(شكل ٢) جانب من مدخل كوبري الخديوي اسماعيل الجديد
الذي ينتظر افتتاحهُ في ٦ يونيو

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الاول من المجلد الثالث والثمانين

١ يونيو سنة ١٩٣٣ — ٨ صفر سنة ١٣٥٢

عقل الطير

وكيف يختلف عن عقل الانسان

كان علماء التاريخ الطبيعي ، يسلّمون من نحو قرنٍ ونصف قرن ، انَّ الطبيعة سلّم ، ذروتهُ الانسان وان كلّ طراز من الحياة يمثّل — او كان يمثل — درجة في هذا السلّم . واذن كانوا يعتقدون ان الكائنات ، حية ومندثرة ، انما هي مراحل قطعتها الحياة في سبيلها الطويل الممضّ من النطفة الاولى الى الانسان

فلما تعمقوا في البحث ، او بالحري لما ظهر مذهب التطوُّر العضوي ، تبين ان صورة الطبيعة كما هي لا تتفق والصورة التي تصوروها — اي صورة السلّم المتدرج ارتفاعاً . فاشكال الحيوانات المختلفة من حشرات واسماكٍ وحيوانات مفصلية الارجل وطيور وغيرها ، لا يمكن ان تكون درجات من سلّم ، بل هي أشبه باغصان شجرةٍ ، شجرة الحياة دائمة النموّ والتفرُّع

وانت اذا نظرت الى الاحياء هذه النظرة ، زادت عنايتك بها . قد تسلّم ، بموجبها ، ان الانسان ذروة الاحياءِ ، ولكنهُ مع ذلك ليس الاّ ذروة غصن أو فرع من أغصانها وفروعها . وثمة اغصان كثيرة اخرى تختلف في طبائعها ، بعضها عن بعض ، اختلافها عن طبائع الاحياءِ في الفرع الذي نرى الانسان في ذروتهِ . وفيها كلّها تحقق الحياة أغراضها بطرق تختلف بعضها عن بعض

فاذا نظرنا الى هذه الاغصان ، تمكنّا من ان نرى طبائعنا في حالتها الناقصة ، قبل ان

تبلغ بالتطور ما بلغتهُ الآن . على أننا نرى كذلك ما هو اجدر بعنايتنا . نرى وجوهاً اخرى للحياة في طبائع تختلف عن طبائعنا في « النوع » لا في «الكم» ، ونخرج من هذا النظر بأن الحياة ليست شيئاً جامداً لا يقبل التحوُّل ، بل هي سلسلة من التجارب الفاتنة ، جربتها الطبيعة لتخرج أفضل الاشكال الحية لمعالجة شؤون البيئة. والظاهر ان تجربة الطبيعة في اخراج الانسان لهذا الغرض ، هي التجربة التي اصابت اكبر قسط من النجاح . ولكن ذلك لا يقتضي أن نكون أجمل المخلوقات ولا أبرعها

اما التجارب الاخرى فاجدرها بعنايتنا تجربتان : تجربة خلق الحشرات وهي أحياء تقيم اجسامها داخل هياكلها ، وتنحصر عقولها في غرائزها . والثانية تجربة خلق الطيور . وهي موضوع المقال ، بل ان المقال يدور على بعض الفروق بين عقل الطير وعقل الانسان

***

ولكن قبل الخوض في الموضوع ، دعنا نلمّ بتطوّر الطيور ، لكي نفهم بعض الصفات التي تتميز بها عن سائر الاحياء

تفرعت الطيور من أحد الزواحف من نحو مائة مليون سنة ، بعد ما تفرّعت الثدييات من فرع آخر من الزواحف . وقد ركّبت طبيعة الطيور لكي تطير . فتحولت قائمتها الامامية الى جناح. ففقدت ذلك فرصة تحويلها الى يد ، كما تحوَّلت في الثدييات التي افضى تطوُّرها الى ظهور الانسان . ولكنها احتفظت بصفة أساسية من صفات الزواحف . وهي البيضة ذات القشرة القاسية . في حين ان الثدييات تحوّلت عنها واختصت بتغذية الجنين في داخلها قبل خروجه الى العالم. وهذا قضى بامتناع ولادة الطيور في مرتبة متقدمة من النمو كما يتم للطفل الانساني

على ان الطيور من ناحية اخرى تفوّقت في تطوّرها على الثدييات . ذلك ان الطيور تشارك الثدييات في انها حيوانات حارة الدم . والاجهزة العصبية والعضلية التي جعلت الثدييات والطيور حيوانات حارة الدم من افعل العوامل في ارتقائها. فالثدييات والطيور تستطيع ان تعيش في بيئات مختلفة الحرارة ، وان تحتفظ في هذه البيئات المختلفة ، بحرارة جسمها على درجة واحدة . على ان الطيور تفوق الثدييات من هذا القبيل ، في ان حرارتها الطبيعية اعلى جدًّا من حرارة الثدييات الطبيعية . لانها تبلغ ١٠٥ درجات بميزان فارنهيت او ٣و٤٠ بميزان سنتغراد ، في حين ان حرارة الانسان الطبيعية نحو ٣٧ ميزان ودرجة ٤٠ في نظره حمى عالية جدًّا

***

هذه الدرجة العالية من الحرارة الطبيعية ، وسرعة الحركة وخفتها ، تجعل درس الطيور



أنثى الوقواق تنزل في عش طائر آخر وترفع منه بيضة
ثم تضع بيضتها فيه وتنصرف

درساً حافلاً بالفتنة والغرابة . على أننا نعلم ، من خبرتنا الانسانية ، ان شدة الحيوية لا تقتضي حدة الذكاء . وفي هذه الناحية كذلك — ناحية العقل — نرى ان الطيور تطورت تطوراً يختلف عن تطور عقل الانسان . فالثدييات ، قد انمت قواها العقلية في خلال تطورها وارتقائها ، فأصبحت تتعلم بالاختبار ، وهذا افضى الى التفكير الشعوري في اعمالها ، واعتماد الحكمة المتجمعة التي يرثها جيل من جيل فيضيف اليها ثم يورثها الى خلفه . وارتقاء قوة التفكير في الانسان اضعف سلطان الغرائز ، وكان من قبل لا يقهر

اما الطيور فقد احتفظت بالغريزة أساساً للسلوك . انها والحق يقال تشترك مع كل الحيوانات الفقرية ، في نصيب يسير من الذكاء ومقدار الاستفادة بالخبرة ، ولكن هاتين الصفتين لهما مقام ثانوي في حياتها فيستعملان لصقل حواشي الغرائز الموروثة فقط

ولو ان عالماً بالتشريح ، قابل بين دماغ طائر ودماغ حيوان ثديي راقٍ ، لوصل الى النتيجة المتقدمة من دون ان يراقب سلوك الحيوانين . ففي دماغ الحيوان الثديي ، يرى زيادة كبيرة في نصفي المخ ، وبوجهٍ خاص في فصوصهِ الامامية ، وهي مراكز الذكاء والقدرة على التعلم . لكن دماغ الطائر ، اذا قيس اليهِ صغير ، وفصوصهُ الامامية غير مميزة في حجمها عن سائر الفصوص . وليست على سطحها تلافيف . يقابل ذلك ان المراكز الدماغية التي تسيطر على الافعال الانفعالية (emotional) والآلية (automatic) هي في الطائر اكبر بالنسبة الى حجمهِ ، منها في ذوات القوائم الاربع

***

اكتفينا الى هنا بذكر الاحكام العامة . والغرض مما تقدم ، ان نبيّن اننا اذ نقبل على درس عقل الطير وطبائعهِ ، لا ندرس احياءً من قبيل الانسان لا تختلف عنه الا انها ادنى منهُ في ارتقاء مميزاتها الحيوية ، بل نقبل على درس فرع من شجرة الحياة ، اختص بلون معين منها ، وان عقلها يختلف عن عقل الانسان والثدييات اختلاف «نوع» لا إختلاف «كم» فقط

فالطيور ذهبت «بالعاطفة» او الانفعال الى ابعد مدى في عالم الحياة ، والثدييات رفعت « الذكاء » الى اعلى ذراهُ

***

ولعلَّ اعظم فارق بين الطير والانسان في سلوكهما ، ان الطيور تستطيع ان تعمل كلَّ ما تقتضيهِ حياتها — وبعض هذه الاعمال معقد كلَّ التعقيد — من دون ان تحتاج في ذلك الى من يعلمها . فالطيران ، وهو عمل معقد يقتضي التوازن وملاءمة تيارات الهواء ، تعرفهُ فطرةً . وصغار الطيور ، تجرّب تجاربها الاولى في الطيران ، في اثناء غياب والديها عن العش . ولا ريب

في ان المرانة لازمة للاتقان. ولكن الطيور لا تحتاج الى تعلم مبداءِ الطيران، كما نحتاج الى تعلّم مبادىء الجولف او رسم الرسوم المعقدة على صفحات الجليد بقباقيب الإنزلاج . ثم ان ما يروى في القصص القديمة من ان الطيور تعلّم صغارها الطيران ، كلّهُ خطأ . فبعض الطيور يحاول ان يغري صغاره ، اذ يكتمل نموّ الصغار بالابتعاد عن العشّ . ولكن هذا الاغراء ، تشجيع من ناحية الطيور الكبيرة ، لحمل الصغار على القيام بالتجربة الاولى . فالصغير لا يتعلم من الكبير ، في خلال ذلك ، ولا يقلّده في استعمال الاجنحة

الطيران عمل صعب ، لانهُ يقتضي وسائل معدة له من عضلات وعظام واعصاب وعقد عصبية وعيون واعضاء لحفظ التوازن واشتراكها معاً . وقيام الطائر بهِ من دون تعليم امر غريب. الاّ ان مقدرتهُ على بناءِ عشهِ اغرب وابعث على الدهشة . أليس من بواعث الدهشة ان تجد صغار الطيور ، بعد زواجها الاول ، قادرة على بناءِ عشوش على مثال العشوش التي يختصّ بها نوعها الخاص . يقول بعضهم ان هذه المقدرة قد تعلّل بان الصغار جمعت المعرفة اللازمة لذلك، من بقائها في العش ايام حداثتها. ونحن اذا سلمنا جدلاً بصحة هذا الرأي — وهو بعيد كلَّ البعد عن الصحة ، لان صغار الطيور تكون شديدة البلادة في اول خروجها من البيض ، ولانها لاتلبث في العش بعد تفتُّح عيونها الاّ بضعة أيام، لا تتلقى في خلالها اي درس في بناءِ العشوش من آبائها وامهاتها — نقول اذا سلمنا جدلاً بهذا ، على بعد احتماله ، وجدنا الحقائق المشاهدة تناقضهُ كلَّ المناقضة

ففي استراليا صنف من التدرج يبني من الاقذار والاوراق التي دبَّ فيها الانحلال اكمات ويضع بيضهُ في انفاق في هذه الاكمات ويتركهُ هناك لكي ينقف بفعل الحرارة الصادرة من النبات الآخذ في الانحلال . فاذا نقفت البيضة خرج الطائر الصغير من النفق . فلا يلقى والديهِ لكي يعلماه كيف تبنى هذه الآكام والانفاق داخلها، لان والديهِ بعد وضع البيض ذهبا كلٌّ في سبيلهِ . ولا هو يلبث قرب الاكمة زمناً كافياً ليعلم كيف بنيت ومما بنيت ، بل انهُ لا يجود عليها بنظرة واحدة. ومع ذلك، اذا ازف الوقت للتزاوج يبني الاكمة وداخلها النفق كما فعل اسلافهُ

حتى العصافير التي ولّدت توليداً صناعيًّا في اعشاش غير طبيعية — صناديق من الخشب مبطنة بالقطن — تبني العش الخاص بنوعها اذا جاءَ وقت التزاوج، ولا تحاول على الاطلاق ان تحاكي في بناءِ عشها الصندوق الذي ولدت فيهِ وقضت ايام حداثتها . فالشرشور ، اذ يحسّ بدافع التزاوج ، ينسج كأساً من الاغصان الدقيقة ثم يبطنها بمادة ناعمة . والطائر الخيّاط يأخذ الاوراق ويخيطها . والخطّاف يجمع الوحل والصلصال ويبني بهما كأساً على جانب صخر او جدار

كذلك اذ يحسّ الطائر بدافع التوليد يجثم على البيض فاذا لم يجد بيضاً استعاض منهُ شيئاً آخر .



الطائر الكبير هو فرخ الوقواق والذي يزقهُ هو الطائر الذي نشأ في عشهِ

فقد ذكر بعض العلماءِ انهم شاهدوا غرباناً تجثم على كرات الجولف اذ لم تجد بيضاً تجثم عليهِ . وطائر البطريق في الاصقاع المتجمدة الجنوبية يجثم على قطع من الجليد اذا اضاع بيضةً او فقد صغيره

***

والطيور تنظر الى حقائق الحياة الاساسية نظراً يختلف عن نظر الانسان ، يتبين لك ذلك من علاقتها باولادها. ولا ريب في ان الطيور تعنى بصغارها عناية مبنية على العاطفة، ولكنها عاطفة غريزية ، لا يقويها ولا يصقلها ، العقل والذاكرة والالفة والإعداد للمستقبل ، على ما هي الحال في الانسان

قد يفقد طائران بيضهما الذي يحتضنانهِ ، فتصدم غريزتهما الجنسية فيضطربان ويقلقان. ولكن اذا مات احد الصغار قبل ان يقوى جناحاه — وهو حادث كثير الوقوع — لا يبدي الوالدان حزناً ولا اضطراباً ، بل يكتفيان بقذف الجثة من العش ، كانها قذى او قذر . ثم ان الطيور تهمل الصغير اذا بدا عليهِ الضعف ، فلا تحوطهُ ، كما يحوط الوالد والوالدة من الناس صغيرهما المريض ، بكل ضروب العناية والرعاية . والظاهر ان الغرائز الوالدية لا تظهر في الطيور الا اذا حدث من قبل الصغار ما يثيرها . فاذا فتح الصغير منقارهُ او صرخ ، اثار هذا العمل او ذاك الغرائز الوالدية فتتحرك الام لزق صغارها او للعناية بها . فاذا لم يبد ما يثير هذه الغرائز ، ظهر للمراقب ، كأنها غير موجودة على الاطلاق

***

ومما يدلك على عجز الطيور ، عن الشعور بالحياة ، كما يشعر بها النساء والرجال ، انك اذا نزعت الصغار من عش السنونو ووضعت محلها بيضاً ، تدهش السنونو قليلاً في البدء ، ثم تلبي الباعث الجديد التلبية الغريزية ، وهو احتضان البيض ، ولا يبدو عليها بعد ذلك اي أثر من آثار الالم على فقد صغارها الذي تشعر بهِ الوالدة من الناس في حالة مماثلة

ولعل طائر الوقواق Cuckoo ابلغ مثل يضرب على الفرق بين عقل الانسان وعقل الطير

تلقى بيضة الوقواق في عش طائر آخر — (كعصفور السياج وجُشنة المروج pipit) فتنقف البيضة في وقت قصير لان طبائعها مركبة تركيباً خاصاً يتفق وعاداتها الطفيلية ، فاذا خرج الفرخ من البيضة ، جعل ينبذ كل ما في العش من بيض او افراخ . وظهرهُ مقعر قليلاً فيحمل على ظهره البيضة او الفرخ ثم يزحف حتى يبلغ طرف العش فيلقي بما حمل خارجه حتى يبقى هو في العش وحيداً

تقول ، اذا فكرت في الامر من وجهة النظر الانسانية ، ان هذه قساوة في غير محلها وبراعة ليس لها غرض الاّ الضر . وانت في قولك هذا مخطئ . ففرخ الوقواق ليس قاسياً،

ولا هو يدري لماذا يفتك باخوانه في العش بهذه البراعة المخيفة . انهُ يتصرف تصرفاً اعمى لانهُ آلة ركبت كذلك. وليس ظهره مقعّراً فقط. ولكن التقعير في ظهره يستثيره اذا مسّهُ شيءٌ. فاذا استقرَّ في هذا التقعير ، شيء ، اهتاجه ذلك ، حتى لا يطيقهُ فيظل يروح ويجيء في العش حتى يبلغ طرفه فيلقي الشيء الذي يهتاجه . ولو انك وضعت في هذا التقعير جوزة او كرة صغيرة ، بدلاً من البيضة او الفرخ الصغير ، لتصرف التصرّف نفسه

فهو لا يدري ما يفعل . ذلك انهُ يفعل ما تقدم بعيد خروجه من البيضة ، وقبل ان تنفتح عيناه . ولا يمكن ان يكون قد تعلم ذلك من والديه . فانهُ لم يرَ والديه منذ ما القيا بيضه في عش غيرها . ولا يمكن ان يتعلم ذلك من صاحبي العش الذي حل فيه لانهما من نوعٍ غير نوعهِ ، وعمله ضار بهما. انهُ لا يعدو كونهُ آلة ، معقدة التركيب، اجزاؤها الظهر المقعَّر الشديد الحس ، والاعصاب التي تُهتاج اذا لمس هذا التقعيرَ شيءٌ ما ، والعضلات التي تلبي حس الاعصاب فتدفع الطائر ذهاباً واياباً كما تقدم

فعمله هذا غريزي فيهِ ، كالعطاس والسعال في الانسان

***

يتخلص الوقواق من مزاحميه في العش ، وتعود الام التي احتضنتهُ بيضة مع بيضها، فلا يؤلمها انها لا ترى من نسلها إلا واحداً ، ولا هي تعنى بأفراخها اذا رأت احدها منبوذاً خارج العش ، ما زالت ترى في العش فرخاً واحداً يكفي غرائز الامومة فيها . فأفراخها خارج العش ليسوا إلاَّ اجساماً غريبة عنها

وفي امكان الباحث ضرب الامثلة الكثيرة على تصرف الطيور تصرفاً لا ينطوي على تعقل وذكاء كما نفهمهما في حياة الناس .فاذا وضعت بيضة غريبة في عش بين البيض الذي فيهِ تحضنها الام احياناً واحياناً تنبذها وتظلُّ حاضنةً بيضها وفي بعض الاحيان تنبذ البيضة الغريبة وتهجر العش — وهو عمل لا ينطوي على اي منطق معقول بوجهٍ من الوجوه

***

واليك مثلاً آخر . اخذ المستر سانت كنتن دجاجتين وديكاً من الطيهوج الرملي (وهو طائر من رتبة الدجاج ولا يوجد فى البلاد العربية اللسان). في هذا الصنف من الطائر تحضن الانثى بيضها في النهار ويحضنها الديك في الليل . وفي احدى السنين باضت الدجاجتان في وقت واحد . فبذل الديك اقصى جهده . فكان يقسم ليله بين بيض هذه وبيض تلك . ولذلك لم يفقس البيض . ولو كان لهذه الطيور عقل ، على ما نفهم بالعقل من امكان تطبيق التصرف على مقتضى الحال ، لامكن الديك والدجاجتان ان يقسما ساعات الليل والنهار بينها تقسيماً يجعل

حضن البيض متواصلاً . ولكن الحضن النهاري في الانثى والحضن الليلي في الذكر ، غريزة ميكانيكية والعقل لا يحولها لكي تطابق المقام في الاحوال الاستثنائية

***

ولكن تسيير الطيور بالغريزة لا يعني انها لا تنفعل انفعالاتشديدة ومنوعة . فالطائر يجد لذة شديدة في تلبية باعث الحضن ، وباعث تغذية الصغار ، ولو كان الباعث اعمى . فاذا احدق الخطر بالصغار ، يتألم الكبير المآ شديداً . والطيور في اغاريدها تعرب عن شعور عميق مع انها لاتفهم هذا الشعور ولا تتأمل فيهِ كما يفعل الشاعر او الموسيقي من بني الانسان. فانها في خلال تغريدها هي هي الشعور العميق مجسماً ، حتى لقد تشتدُّ هذه الحالة الاحساسية في خلال الفصل السابق للتزاوج ، حتى تغفل ما يحدق بها من الاخطار ، فيستطيع الانسان في بعض الاحيان ان يقترب من العش او الغصن الذي تحدث فيهِ المغازلة . وفي اكثر البلدان يكون صيد الطيور وهي فيهذه الحالة غاية في السهولة

ثم ان الطيور تحس بعاطفة الغيرة . فالديوك المتزاحمة على انثى قد تتقاتل حتى الموت. قيل ان ديكين ودجاجة كانت في قفص واحد ، وبعد نزاع ، قتل احد الديكين رفيقهُ . وكانت الدجاجة تفضل المقتول فهجمت على الديك القاتل وكادت تفتك بهِ لو لم تفصل عنهُ

***

على ان المظاهر العديدة التي تظهر بها حياة الطيور من ناحية العاطفة والانفعال،تختلف اختلافاً اساسيًّا عن هذه الناحية من حياة الانسان . ذلك ان الطيور لا تملك قوة التفكير والتعقُّل ، فعاطفتها على استغراقها لحياتها وتغلغلها فيها — وهي في ذلك تفوق الانسان — لا ترتبط بالماضي ولا بالمستقبل كعاطفة الانسان . فالخوف فيالطيور خوف لاغير . ليس هو خوفاً من الموت ولا خوفاً من ألم قد يصيبها في المستقبل القريب او البعيد . لذلك لا يجد الهمُّ سبيلاً الى حياة الطير . فاذا زالت الحالة الباعثة على الخوف ، زال الخوف . والمثل على الخوف يصحُّ كما بيّنا على غرائزها الوالدية. فالانثى من الطيور لا تعبأ بمصير الفرد من نسلها ، كما تهتم الام من الناس بمصير ولدها ومستقبلهِ . ان همّ الانثى من الطير محصور في تلبية غرائزها التناسلية من غير نظر خاص الى صغارها . ومتى كبر الصغار ، وتحوّل التركيب الفسيولوجي الذي كان يدفعها الى تغذيتهم مثلاً ، لا تملك من العقل ، ما يمكن ان يكون صلة بينها وبينهم كالصلة بين الوالد والاولاد

هذا هو الفرق الاساسي بين عقل الطير وعقل الانسان . حياة الانسان متصلة بين ماضيها وحاضرها ومستقبلها ووسيلة الاتصال هي قوى العقل والخيال . أما حياة الطير فلا تعدو كونها سلسلة من الحالات ، لا صلة بينها من العقل أو الخيال

الفن والادب

في حضارة مصر اليوم (1)

لآنسة « مي »

توطئة

ختم المرحوم الاستاذ كليمان هيار المستشرق الفرنسي ، كتابه في تاريخ «الادب العربي» (١٩١٢) بقائمة للصحف والمجلات التي صدرت خلال القرن التاسع عشر — ونقول عرضاً ان تلك القائمة لا تخلو من الخطأ في نسبة بعض الصحف الى غير اصحابها وفي التاريخ الذي عينتهُ لصدور صحف غيرها . ثم عقب على كتابه الهام بكلمة مجملة نقد فيها الأدب العربي كما كان قبل ثلاثين عاماً وأشار الى بعض ما ينتظر منهُ في المستقبل . فقال فيما قال :

«عرضنا في الصفحات السابقة صورة لآداب شغل ازدهارها ونضجها وانحطاطها ثلاثة عشر قرناً ، منذ مطلع القرون الوسطى إلى يومنا هذا . ثم أنسنا في الجذع القديم تجدداً بفعل الأفكار الحديثة وبفضل انتشارها ، ووجدنا أن طائفة من فروعه حملت أزهاراً — فضلاً عن ذلك الغصن العارض الذي تطعم به ، أعني الصحافة الدورية . فأي مستقبل يتهيأ لهذه الثقافة المتجددة ؟ أتجيء محض تقليد للعصور المدرسية (كلاسيك) ؟ أم اللغة ، وقد أرغمت على التحوّل والتطوّر لتترجم عن أفكار طريفة ، ستغنم من فتيّ التعبيرات ما يحرّك رواكد المستودع القديم باعثاً فيه نسمة الحياة ؟

« يخيل لأول وهلة ان أوساطاً للنشاط الأدبي كالقاهرة وبيروت ، لهي جديرة باخراج أدباء يتابعون الحركة التي بدأت على يد أسلافهم في القرن التاسع عشر . . . وبأي الأدوار تقوم اللغة ؟ أتتحوّل وتنمو فتصبح اوفر وضوحاً وأقرب الى جماهير أنصاف المتعلمين المتخرجين من المدارس الابتدائية ؟

« الجواب لمن بحث هذا الموضوع لا يستطيع أن يكون إلاّ نفياً ، لأننا لا نلمح في قطر من الاقطار ما يشبه تلك الحركة التي تناولت اللغة التركية إبان الثلاثين عاماً الماضية فجردتها من بيانها العتيق . ما فتئت اللغة العربية غارقة في الاستعارات القديمة وهي لا تستعمل بالتتبع سوى جمهرة من التعبيرات التي لا يتأتى فهمها الاّ لاهل الثقافة ... مما يحول دون اتصالها بالعامة

(١) كتاب « حضارة مصر اليوم » عني بنشره قسم الخدمة العامة بجامعة القاهرة الاميركية والتزمت طبعه المطبعة العصرية بمصر

لتحدثها في ما يهمها من الشؤون . إن مقالة سياسية « تحترم نفسها » (كذا) لا يمكن أن تكتب بغير النثر المسجع . وبلاغتها التافهة العقيمة ، ومرادفاتها الرامية الى محاكاة مقامات الحريري إنما هي للقارىء المثقف أفكوهة ليس إلاّ ...

« أما ما نود أن تأخذ بهِ اللغة العربية في المستقبل فهو جلاء التعبير وبساطة الأسلوب . فاذا جاء يوم يحقق هذه الامنية استطعنا التنبؤ بعهد زاهر للآداب العربية . اهـ »

(١) اللغة في دور التطور

نقلت هذه الفقرات لانها تقرير لما كان واقعاً في ذلك الوقت . ولم ينفرد كاتبها بالنقد بل ساهمهُ فيهِ المستعربون من زملائهِ الاجانب وكان الالباء من أدبائنا انفسهم أبعد إمعاناً في تبيان العيوب . وقد تعمدت نقلها لانها تعيّن حقبة من الزمن نذكرها فلا نخجل . ففي ما يوازي الوقت الذي شهد فيهِ الاستاذ هيار للغة التركية بالتقدم ، أي في ثلاثين عاماً لا غير ، تفلتت العربية من كثير من الحشو واللغو والتلمظ والغلوّ البديعي والابهام الذي كان يشينها في دور الجمود . وهذا تقدم يذكر في نظر الباحث المنصف ، نظراً للوراثة اللغوية الباهظة التي ترهق أدباء هذه اللغة . في ثلاثين عاماً تطورت عندنا اقلام ، ونضجت أقلام ، ونشأت أقلام فكان همها جميعاً أن تعمل كل بوسائلها وفي بابها لتخلق أدباً جديداً . والاعتزام اول مراتب النجاح . بيد ان النجاح في نواحٍ هامة من البيان جاز مرتبة الاعتزام الى دور الانتاج والتحقيق

ولما كان هذا البحث قاصراً على مصر قلت ان المقابلة ولو السطحية بين طائفة من المقالات نشرت إحداها قبل ثلاثين عاماً وتنشر الاخرى في هذه الايام — تلك المقابلة كافية ليتضح أن أول ما يسترعي الانتباه في النشاط الفكري الجديد هو أسلوب الكتابة . لقد تحررت اللغة في كثير من الكتابات الحديثة ، مما كانت تخفي به افتقارها الى الفكر الحي والعاطفة الحية . والسجع الذي كان أفكوهة للقارىء المثقف ، بات كبواقي الأطلال المنزوية التي يجب أن تجد في البحث عنها لتهتدي اليها . . .

اول بواعث التطوُّر

الثقافة الحديثة كانت أول بواعث هذا التطوُّر . فهي التي نبهت الأدباء الى حالة العالم اليوم ، وعلى ضوئها رأوا ماضيهم المنوّع العظمة ولمحوا مستقبلهم كيف يمكن أن يكون . وهي التي لفتتهم الى ممكناتهم وأفهمتهم أن لا وسيلة لاستغلال تلك الممكنات بغير النشاط والعمل . وهي التي قالت لهم ان الذي يكتفي بما هو فيه قد يكون مومياء نفيسة توحي الى العلماء الرغبة في البحث والاستقصاء ، ولكنهُ لا يستطيع أن يزعم انه العقل المولد والكائن الحي . وبالجملة كانت الثقافة الحديثة المقتبسة عن الغرب اول أدوات التعديل والاصلاح في يد المستيقظين . واذا استيقظ امرؤ من سباته ظهر في صوته وفي تعبيره ما ينمُّ على يقظته من

الفكر المنتظم والقول المنسجم والبيان المباشر مع إعراض عن اللغو والتفكك والغموض القمين بالذين يتكلمون في نومهم . . . ان كلمة الحياة تختلف عن كلمة الموت

اللغة والصحافة

تجرد واندثار من الناحية الواحدة ، في حين اللغة من الناحية الأخرى تزيد كل يوم رشاقة ومرونة وتوسعاً بما تضمه اليها من الكلمات والأسماء والتعبيرات المتطابقة وحاجاتها . والصحافة التي كان الاستاذ هيار يتوسم فيها خيراً — قامت بنصيب وافر في إحداث هذا الانقلاب . فقد تعددت الصحف وتعددت صفحاتها ، وتنوعت أبوابها وأغراضها فحفلت أعمدتها بالمباحث والموضوعات والآراء ، وانتظم تلقيها المتتابع لأخبار العالم وحوادثه العمرانية والسياسية والعلمية والفنية وغيرها سواء أبواسطة التلغرافات العمومية والخصوصية أم برسائل مراسليها من الخارج ، أم بما ترى نقله عن صحف الشعوب الأخرى من المفيد والمفكه معاً . فاضطرت الى اقتباس المفردات الجديدة أو تعريبها أو ابتكارها في كل عدد من أعدادها تقريباً . وكان لها بطبيعتها أن تذيع وتكرر ما تبتكر وتعرب وتقتبس وتصوغ فجاءت الفائدة مزدوجة : إذ أن المستحدث من الالفاظ والتعبيرات صار في متناول القارىء كل يوم ، إن هو أخطأه يوماً أو اسبوعاً أو عاماً تغلب عليه حتماً في النهاية فاحتل مكانه من من تفكير القارىء ومن تعبيره . وتيسر كذلك لأهل الثقافة وعلماء اللغة مناقشة تلك الألفاظ والتعبيرات واستبدالها بخير منها في معناها ، إذا استطاعوا . والمجلات الشهرية التي كانت قد مهدت لذلك ساعدت هي والكتب الجديدة في تحقيق هذه الغاية . إلاّ أن القارىء هنا شأنه في سائر البلدان ، لا يتفرغ للكتاب والمجلة الشهرية إلاّ إذا كان من الاختصاصيين أو من هواة الثقافة ، في حين أن جميع الأيدي تتداول الصحيفة الاسبوعية وبخاصة الجريدة اليومية

والى الصحيفة اليومية يعود فضل تركيز اللغة في مستوى من البيان يرضي الخاصة — الخاصة غير المتحذلقة — ويرفع إدراك العامة إلى افق أوسع وأرقى . حتى ألف أحاديث الصحف ليس خريجو المدارس الابتدائية فحسب ، بل ألفها حتى الجمهور الذي «يفك الحرف» فيفهم منها شيئاً وتغيب عنه أشياء . ويذهب طبعاً في اللحن والتكسير على هواه ، إلاّ أنهُ على كل حال يحذق أهم ما تبغي الصحيفة إيصاله اليه من الأنباء والموحيات

أثر الحركة القومية في اللغة

وليس لمؤرخ منصف أن يغضي عن أثر الحركة القومية في تقريب اللغة إلى افهام العامة وفي انالة الاسلوب الجديد بساطة وحياة . فالحركة القومية التي تلت الحرب الكبرى هزّت في

مصر جميع النفوس، وحفزت جميع القوى ، وجعلت الأُميّ كالمتعلم يتطلع الى مماشاة الحوادث في سيرها ليكون دوماً على أهبة للاشتراك مع بني وطنه في إعلان العاطفة الوطنية وتأييد المطالب القومية . والكتَّاب كالزعماء الراغبين في جمع القلوب حولهم، كانوا يشعرون بوجوب التمشي على منهج لا يستعصي على أحد فيسبكون أقل ما يمكن من الافكار الجوهرية في أقل ما يمكن من الألفاظ البسيطة والصيغ المؤثرة لتستقر في الضمير العام بلا عناء فيتخذها الصغير والكبير أنشودة للحماسة والاخلاص . ومن ثمَّ ، أي منذ الحركة القومية ، نشأت تلك العادة التي ما زالت شائعة في هذه الأيام ، وهي اجتماع نوبيّو الدار الواحدة في حلقة حول بواب الدار وأصحابه والمختلفين اليه ، فيتولى احدهم قراءة الجريدة والآخرون يصغون في اهتمام وانتباه . ولا ينفضّ جمعهم الاّ بعد تبادل الآراء فيما يسمعون ويقرؤون

وقامت المعارضة السياسية والخلافات الحزبية بدور فعال في تطوُّر اللغة . لان الادباء والكتَّاب الذين اشتركوا بطبيعة الحال في النضال السياسي اتخذوا صحف احزابهم منبراً لدعايتهم، وكل يبغي التفوق على مناهضيه في المناظرة اليومية التي لا تهادن ولا ترحم . ومضوا يلتمسون أساليب حية سريعة ملتهبة ، سخرت فيها البديهة الحاضرة وسعة الاطلاع وتنوع الحيلة وبراعة التعبير لاصابة المرمى . فتمخض كل ذلك عن بيان ليس هو ابن قرون وأجيال، بل هو وليد يومه ومستوحى ساعته . وتلك المشاحنات الاليمة — على عديد مساوئها — كانت دافعة إلى تجنب الرواكد القديمة والاستقاء من الينابيع الحية . وفي ذلك دليل آخر على أنهُ في الامكان دائماً استخراج الخير من الشر بوجه من الوجوه

من الجدل السياسي الى البحث الادبي

قد يقال ان مثل هذه المشاحنات لا تمتُّ الى الادب بصلة . صحيح . ولكن الاستعارات الجامدة والمهلهلات القديمة كانت في حاجة الى هذه العاصفة الجبارة التي اكتسحت عجاجتها في اعوام قلائل ما قد كان يقتضي لجرفهِ عمل جيل او جيلين

وبعد ، فمن ذا الذي ينكر أن النفس الفردية أو النفس القومية اذا هي استفزّت من ناحية واحدة فلا تلبث عوامل اليقظة أن تتمشى إلى سائر أنحائها ؟

اولئك الكتاب الذين شغلوا بالنضال السياسي في باديء الامر، انتبهوا فوراً الى ان موضوعهم الرئيسي يرتبط بشتيت الموضوعات ، حتى السلبية في الظاهر ، ارتباطاً وثيقاً . وبنفس الروح الحية التي كانت تملي مقالات المناقشة الحزبية أخذوا يعالجون الموضوعات الادبية والاجتماعية والفنية والفكرية مما يحلي المدارك ، ويفتق قوى الملاحظة ، ويصقل الفكر ويثقف الشخصية القومية من مختلف نواحيها . وتبدّى لهم وللجمهور الذكي أن الكتابات التي كانت

تعد بالامس « خيالية » و« شعرية» انما هي في الواقع دلائل على يقظة نفسية بعيدة لا بدّ من الوصول اليها . في حين أن ما كان يحسب « بلاغة » و« فصاحة » صار لا يحسن إلاّ للعرض في متحف الآثار ...

وافتقار مصر الى شركات الطبع والنشر بحيث أن الكاتب عند ما يشرع في تأليف كتاب عليه أن يفكر أيضاً في كيفية طبعه على نفقته الخاصة ثم في توزيع نسخه على المكاتب — هذه العقبة أيضاً كان لها أثرها في تنويع موضوعات الصحافة ، لان الأديب والكاتب وجد في الصحيفة أضمن وسيلة لاذاعة فكره وترويجه دون خسارة مالية ودون عناء عقيم . وعليه فان وجهاً من أهم وجوه تطوُّر اللغة وتطور الافكار بمصر تجده مدوّناً في الصحيفة اليومية والمجلة الشهرية خلال الأعوام الاخيرة . وأجزم بأنه في هذه وتلك أظهر منه في المؤلفات الحديثة — وان كان لهذه شأنها الخطير وكان بعضها مجموعاً من مقالات ذات موضوعات متناسقة نشرت في الصحف

صحيح ، ولكن ...

تقرير تطوُّر اللغة هو تقرير للواقع ، ولكنه لا يعني ان كل من حمل قلماً يكتب بالاسلوب الذي وصفت . بل يعني ان خطوة حاسمة تمت في هذا الباب وان الوقت ضمين باصلاح العيوب الباقية . ان أنصار القديم كثيرون جدًّا وهم على درجات : بعضهم يسيرون في حركة التجديد بحذر ، وغيرهم يجارونها في اعتدال ، ويرى آخرون في هذا التجديد الانحطاط كله ولكانوا يندبون حظ اللغة العربية ويصنفون لها المراثي شعراً ونثراً لولا أنهم ، لحسن الحظ ، موجودون يجددون بلاغتها القديمة ببلاغتهم ويحرصون على اللهيب الدهري منكرين كل وقود حديث لتغذيته ! وأسلوب المجددين ليس كله من طراز واحد ، ومنهم من لا يعوز بالتخلص من الاستعارة القديمة وان ابتكر هو استعارته فهي رجع لاصداء غير جديدة . إنما يتسم المجددون بالسرعة والرشاقة والحماسة والفكر المليء وإحكام التعبير إجمالاً . ويحرص أنصار القديم على هندسة الانشاء ومتانته، وينسقون توازن الجمل وإيقاعها ويدققون في معان وأغراض إضافية لا يتسع لها صبر المجددين ولا وقتهم . والمعارك القلمية التي تنشب الوقت بعد الوقت بين هؤلاء واولئك تأتي بالترتيب بعد المعارك الحزبية في الشدة والعنف . ومن الغرور أن نزعم أن الاسلوب الجديد بلغ منتهى الكمال أو انه خلص من شوائب الجدة نفسها — ولكن نزعة الكتّاب حرية بالاعجاب

وعلام لا نقول ان كلاًّ من الفريقين على حق في الوجود وعلى حق أيضاً في وجهة نظره ؟ فأنصار القديم — كأشباههم في كل أمة وكل زمن — يخفرون تراث الماضي واثقين من ان

الأدب المستحدث لن يأتي بخير منهُ ولا بما يدانيه . وموقفهم لا يخلو من الفائدة للمجددين لانهُ يحملهم على تمحيص نزعتهم وتهذيبها ، وقد يفيد في إرهاف تلك النزعة وفي تعجلها ايضاً. وبخاصة لانهُ لا يندر أن يستوحي المحافظون الافكار الحديثة التي يقاومونها . أما أنصار الجديد فهم الذين يضيفون الى السجل القديم فصولاً جديدة بلهجة جديدة ، وهم الذين يستأنفون تاريخ اللغة التي عبرت من قبل عدة اطوار خلال القرون الغابرة ، وفقاً لما كانت تتأثر بهِ من ثقافة وتتصل بهِ من حضارة . أترى أدب الاندلسيين هو هو أدب الامويين بعينهِ ؟ أوَ لم يختلف أدب هؤلاء نفسهم حقبة بعد حقبة في صفحة تاريخهم ؟

والى جانب أنصار القديم وأنصار الجديد طائفة من الكتّاب والصحافيين والادباء جمعت بين محاسن العهدين وهي في الغالب تفوز بتحبيذ هؤلاء واولئك — الاّ عند ما يهاجمها فريق من ناحية اللغة وفريق آخر من ناحية الفكر...

(٢) الادب الحديث

ليست هي الالفاظ ولا هو الاسلوب ما يؤبه لهُ في مسألة اللغة الادبية . للاسلوب قيمة في نفسهِ من حيث هو صيغة فنية ، وما الالفاظ الاّ تفاصيل في تلك الصيغة . ولكن الشأن الاعظم في العقلية والنفسية التي تترجم عنها الالفاظ ويصورها الاسلوب . والعقلية والنفسية في مصر الحديثة آخذتان في التغير ، وما الادب الجديد الاّ اعراب عنهما . فهو بجوهره قد شذّ عن تعريف ابن خلدون القائل ان « المقصود منهُ (الادب) عند اهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فنيّ المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم . . . » . الاجادة على أساليب العرب ومناحيهم ؟ هذا ما لا يريده الادب الحديث لان مثل هذه الاجادة تخلق الاديب الراوي والاديب المقلد ، لا الاديب المنتج المبدع . وليس هذا الاباء ليعني الطعن في اساليب العرب ومناحيهم . بل بالعكس ترى ان ادباء اليوم يعنون كل العناية بدراسة تاريخ الادب وبتحليل شخصيات قدماء الادباء والشعراء وبحث التأثيرات التي احاطت بهم في بيئتهم فأوحت اليهم . وقد صدرت كتب عدة في هذا الباب ، وعولجت شخصيات الشعراء والناثرين وما زالت تعالج في المحاضرات العامة وفي مقالات الصحف اليومية وفصول المجلات الشهرية ، بدراية وحذق لم نعهدهما من قبل

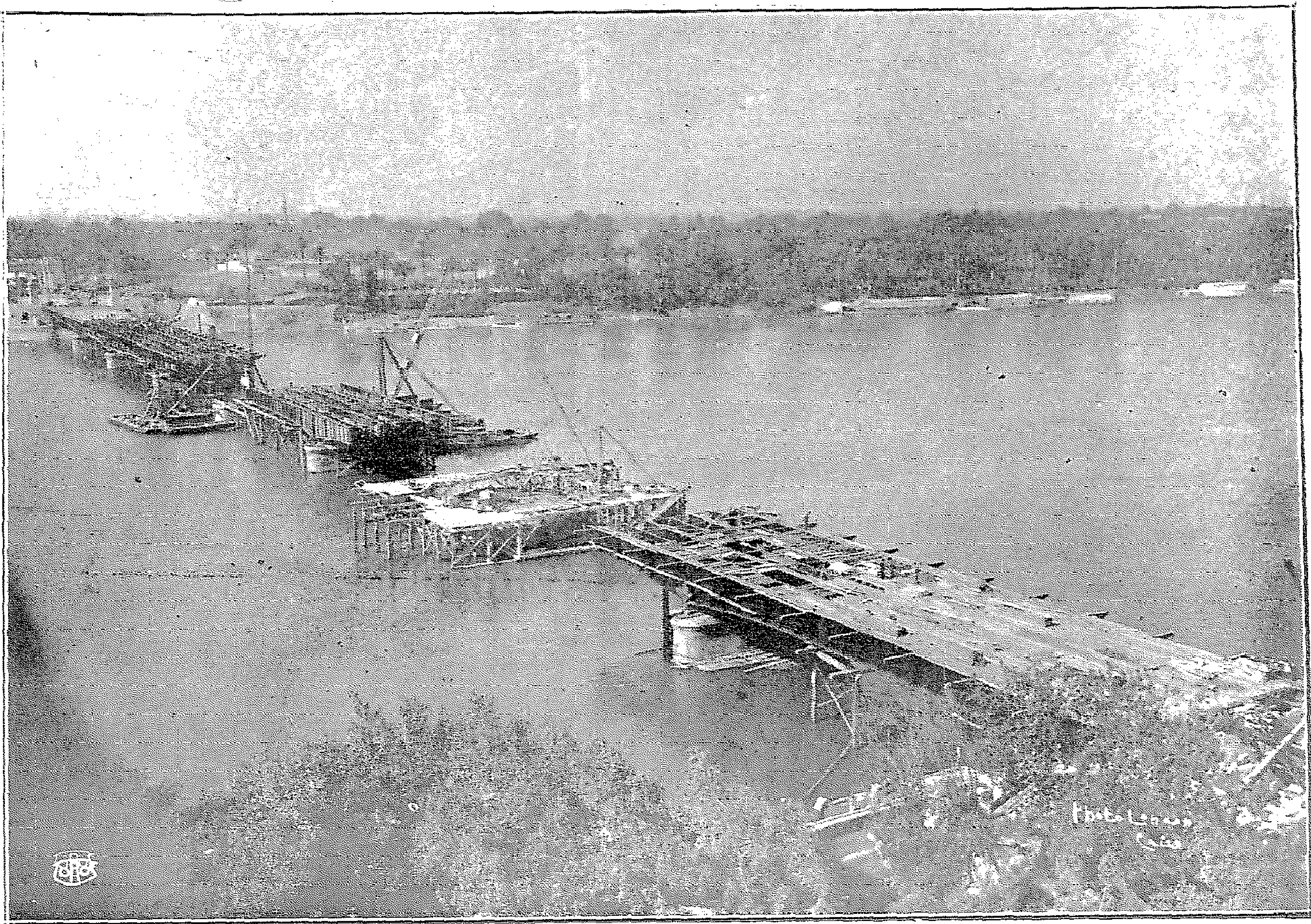
ولكن الادباء يفهمون تلك الآثار على حقيقتها . يرونها حسنة في ذاتها لتوافقها والوقت الذي كتبت فيهِ ، لتصويرها العصر الذي اوحاها ، لكونها قطعة حية من الفكر الذي املاها والشخصية التي رسمت ذاتها فيها . اما اذا قام اليوم فرد يكتب بتلك اللهجة وينتحل تلك العقلية فهو بذلك معلن عجزه عن مجاراة السلف في استعداده للحياة التي هو ابنها ، وفي تلقي التأثيرات

الخاصة المحيطة بهِ لتكوين شخصيته وفقاً لعصره .

وقيمة هؤلاء الادباء الجدد في كونهم حقـًا ابناء العصر الذي ولدوا فيهِ . واي عصر مدهش هو ، يصطدم فيهِ حولهم الماضي الذي ما زال حيـًا في بيئتهم بالحاضر القائم والمستقبل المهاجم . في كل بلد من بلدان العالم إجفال من هذه المفاجئات العلمية والاجتماعية والفكرية العاملة على تكييف الاقوام تكييفاً لا يعلم احد مداهُ ، مع ان تلك البلدان كان التطور فيها متتابعاً متسقاً جيلاً بعد جيل . اما في مصر فقد بلغ الاجفال اشده لاستيقاظ الجيل الجديد وقد باغتت فكره ثقافة مليئة زاخرة مكتسحة . فهو يدرك كل ما يخسره إن لم يأخذ بأسبابها ، ولكنهُ لا يستطيع بالسرعة التي يبتغيها لانهُ من الناحية الواحدة عليهِ ان يكافح جميع العقبات الداخلية والخارجية القائمة في سبيله ، وهو من الناحية الاخرى لا يريد ان يفقد شخصيتهُ في انتحال الحضارة الغربية بحذافيرها . بل يريد أن يقتبس منها ما يوافق طبيعته وموقفه بين الشعوب ، ويريد ان «يمصر» ما يقتبسه قدر المستطاع . فلئن وجد الجيل الجديد في يقظته شيئاً كثيراً من بهجة الحياة فهو يجد كذلك أن نصيبه من الحيرة والاضطراب والقلق المسؤولية اكبر . يشعر بالاجنحة تصطفق على كتفيه ولكنه يشعر بالقيود مثقلة يديه وقدميه . ومن مجموع هذه الادراكات والاحساسات تتكوَّن شخصيته الأدبية الجديدة . وهي فوق ذلك شخصية ذات عزم وشجاعة واقدام ، غير راضية عما هي فيه ، ساخطة من نتاجها الأدبي تشكو أبداً جمود الحركة الفكرية وترجعها إلى شتى الأسباب . وهذه الشكوى أدل ما تكون على ما يصطخب في النفوس من عديد الرغبات والنزعات

وقد أقلع الأدب عن الموضوعات الكلامية وخاض ميدان الحياة القومية يكتشفها ويحللها وينقدها مشيراً الى وسائل التجديد والاصلاح في الثقافة والتعليم والاجتماع والاقتصاد وتحرير المرأة وتحرير الرجل أيضاً . الأديب يشعر مع قومه ويتكلم عنهم ، يستوحيهم ويملي عليهم ، يأخذ منهم ويعطيهم ، يتلقى منهم صامتاً الفيض والخصب ويعدهم في كتاباته بالخصب والفيض . ينظر في حاجتهم وألمهم وفرحهم وعيبهم وأملهم فيستلهم حبة قلبه ومجموعة مطالعاته واختباراته ليدلهم على وسائل النهوض . إنه لأديب شائق متحمس حار غيور . وعندي ان بينا هذا المجهود يكون شخصية الاديب ويمكنه من استغلال قدرته وانمائها فهو كذلك يقود القارىء إلى استكشاف نفسه ويبعث فيه الشوق إلى استغلال قدرته الشخصية ، ويعينه على تكوين شخصيته الخاصة . وهكذا بفضل الأدب الجديد تتنوع الشخصيات في المجموع ، بدلاً من ان تكون كلها على غرار واحد شأنها في الأمم التي هي في حالة البداوة والفطرة . ويخيل اليَّ أن هذه الخدمة هي من أهم ما يقوم بهِ الأدب الحديث

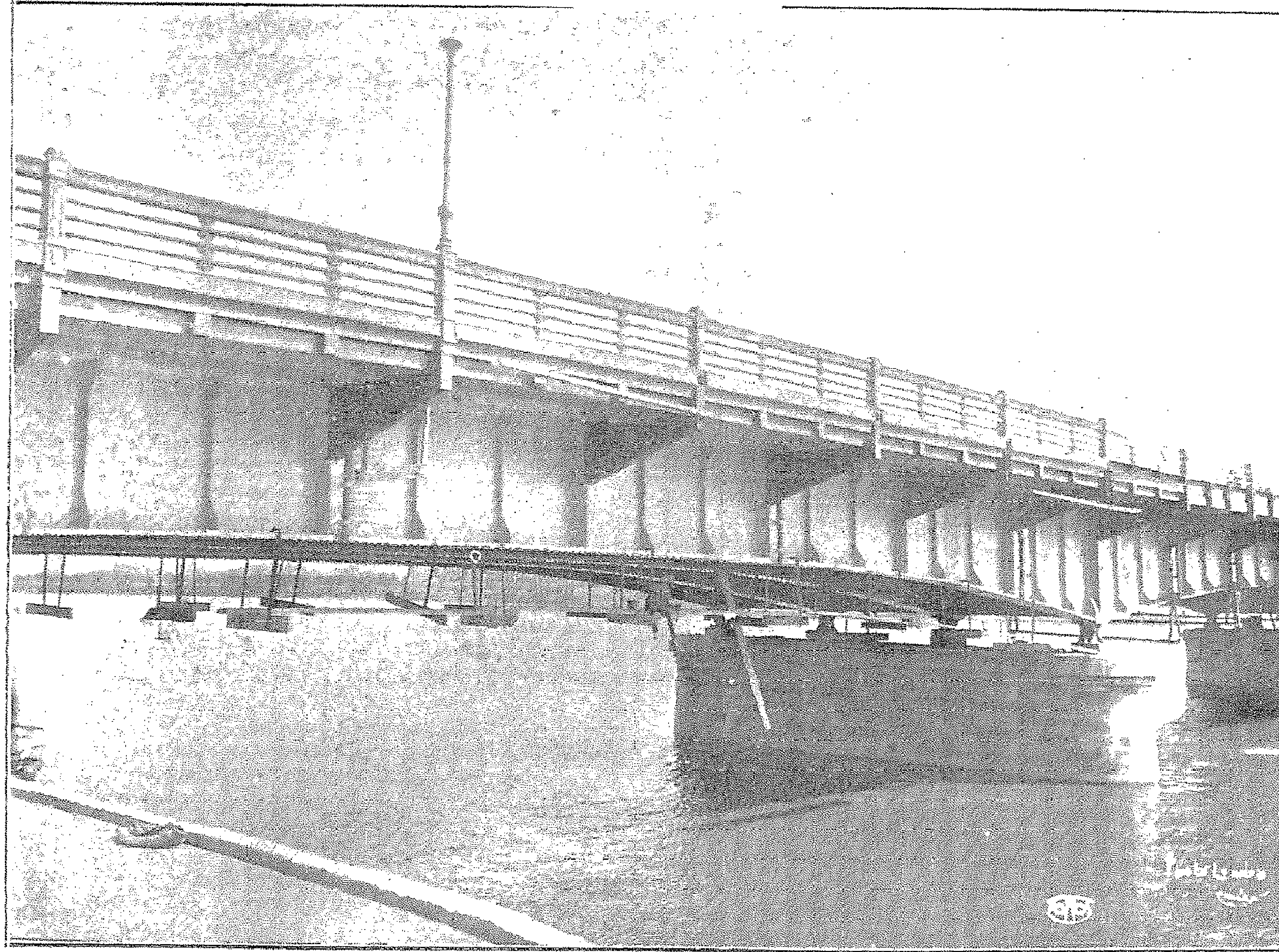
(يتلى) «ميّ»



مقتطف يونيو ١٩٣٣

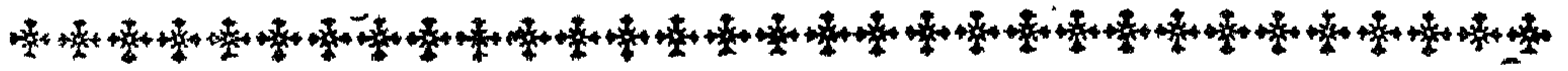
(شكل ٧)

كوبري الخديوي اسماعيل



(شكل ١) كوبري الخديوي اسماعيل

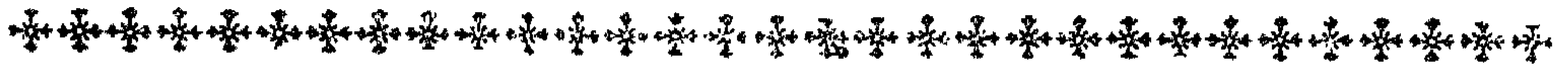
مقتطف يونيو ١٩٣٣



كوبري الخديوي اسماعيل

(قصر النيل)

بحث علمي للدكتور وليم سليم حنا الاستاذ بمدرسة الهندسة الملكية



مقدمة عامة

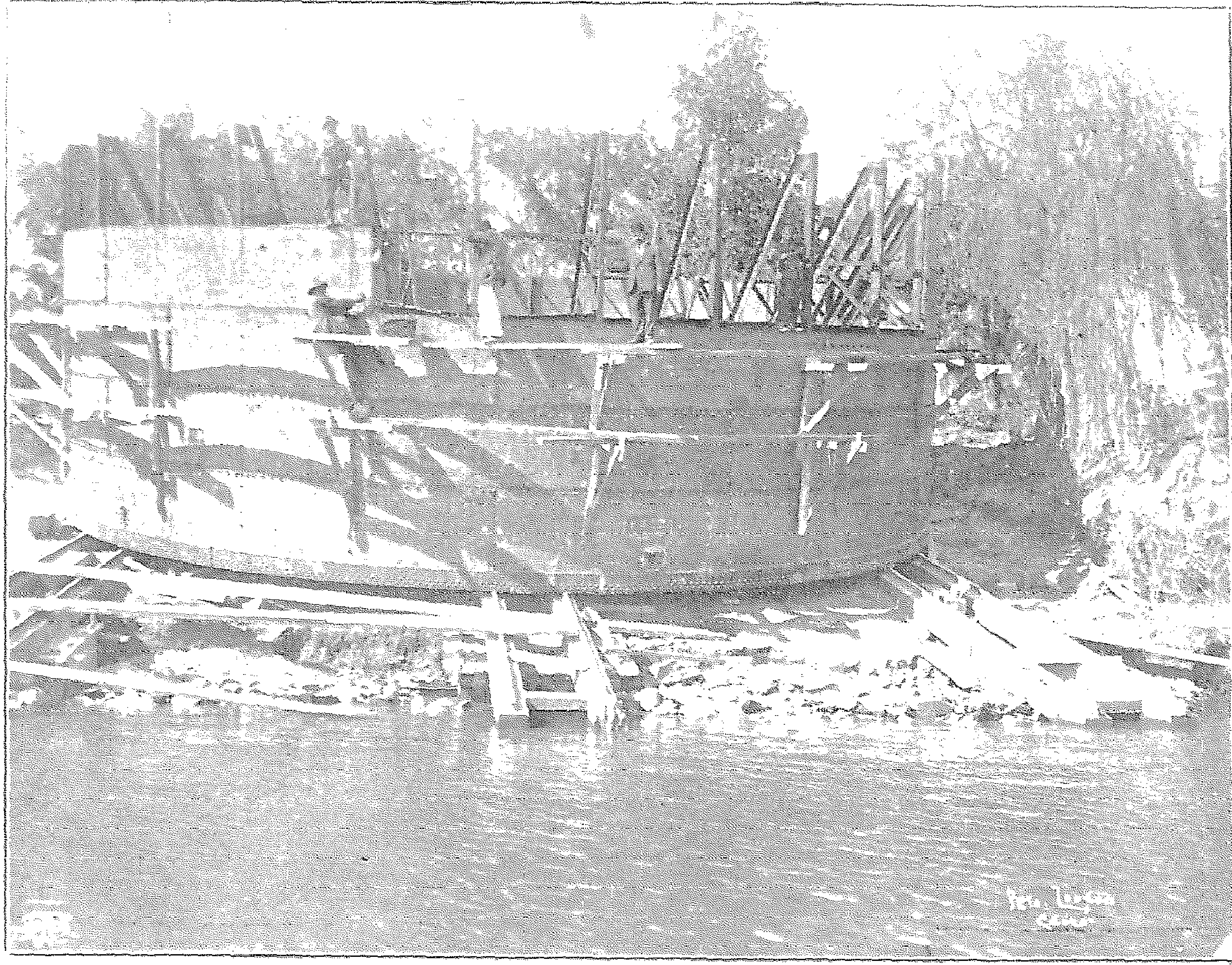
يفتتح صاحب الجلالة الملك في السادس من يونيه الحالي كوبري الخديوي اسماعيل الجديد فيعود بذلك الاتصال المباشر ما بين قلب القاهرة والضفة الغربية من النيل ويوفر بذلك عدد كبير من سكان القاهرة والجيزة كثيراً من الوقت والمال ويتمكن جمهور آخر من الطبقة الفقيرة من العودة الى التمتع بمتنزهات الجزيرة في المساء في اشهر الصيف بعد حرمان دام زهاء سنتين . ولموضوع انشاء الكباري ناحية يود الرجل المثقف ان يعلم شيئاً عنها من دون ان يشمل البحث المسائل الهندسية البحتة التي لا تهم غير المهندس . ونحاول ان نعالج في هذا المقال تلك الناحية الخاصة

لقد تمَّ انشاء كوبري قصر النيل القديم في سنة ١٨٧١ وكان يعد في زمانه من المنشآت الهامة التي تمت في ذلك العهد . وقد كان الجزء المعدني من مادة الصلب الطري Wrought Iron لان مادة الصلب Structural Steel لم تكن قد عرفت بعد . وقامت بتجربة الكوبري في ١٠و١١و١٢ فبراير سنة ١٨٧٢ لجنة من قبل الحكومة برآسة الفلكي باشا . وقد جاء وصف التجربة في محاضرة للاستاذ السيد جودت بك مفتش الكباري القاها بجمعية المهندسين الملكية قال: «واجري تجربة في يوم ١٢ بواسطة مرور بطارية طوبجية راكبة مكونة من ستة مدافع وقد مرت اولاً بالخطوة المعتادة ثم مرت دفعة اخرى بخطوة الغار ثم قسمت البطارية الى قسمين مرَّا سويـًا من الشاطىء وتقابلا وسط العين المتوسطة ووقفا دفعة واحدة ولوحظ انهُ لم يحصل للقنطرة الا اهتزاز قليل قرر القومسيون انهُ لا يضر بثباتها» و«بلغت تكاليف القنطرة ١١٠٠٠٠ جنيه مصري »

وبديهي ان كوبري قصر النيل لم يصمم لحركة المرور المشهودة في هذا العصر بما في ذلك السيارات الثقيلة. غير انهُ قد كان في الاستطاعة تلافي هذا النقص ببعض التلافي كما حصل فعلاً بمنع السيارات الثقيلة من اجتيازه . لكن الكباري المعدنية يدركها نوع من الهرم وأثر هذه الظاهرة في الصلب الطري ان تتبلور ذرات المادة فتفقد مرونتها وتصبح عرضة لان تخور بدون انذار . ومن ثم اتجهت الفكرة الى انشاء كوبري جديد لان اهتزاز الكوبري القديم كان بيّناً كلما كثرت

حركة السيارات عليهِ . ولا يستطيع مهندس مسؤول ان يهمل ظاهرة خطرة كهذه لما قد ينجم عنها من كوارث وخسائر مالية . وعلى ذلك تقرر ان يبدأ في انشاء الكبري الجديد في اوائل سنة ١٩٣١ وعرضت المناقصة بين شركات اوربية مختلفة وترك لها اختيار تصميم الكوبري وقامت مصلحة الطرق والكباري بمصر بعمل الشروط الخاصة او ما يسمى فنيًّا «بالمواصفات» وهي مهمة خطيرة يجب ان تدرس بعناية حتى لا تصبح موادها مثاراً للخلاف اذا جاءت ناقصة او مبتورة . ويهم غير المهندس ان يعرف من هذه الشروط انها تنص على ان يكون عرض الكوبري ٢٠ متراً بما في ذلك رصيفان للمارة عرض كل منهما متران ونصف متر . وان يجيء التصميم متسقاً مع جمال المناظر الطبيعية في تلك المنطقة وهي للعابر نحو الضفة الغربية من اجمل مناظر مدينة القاهرة بلا نزاع . والمنشآت المعدنية بوجه عام والكباري بوجه خاص لا تتصل عادة بجمال المنظر اتصالاً كبيراً . ولكن وجّهت العناية في اوربا واميركا منذ زمن غير بعيد الى تقدير الفن Art في مثل هذه المنشآت ، يشهد بذلك بعض كباري نهر السين بباريس وخصوصاً كوبري اسكندر الثالث وما نراه في روعة بعض الكباري ذات الفتحة الواحدة الكبيرة فوق مينا سدني باستراليا وعلى نهر الهدصن باميركا حيث وجهت عناية خاصة الى جعل تصميم هذه الكباري متلائماً مع المناظر الطبيعية الرائعة . وفي هذه الكباري العظيمة تبلغ سعة الفتحة الواحدة فيها مسافة تفوق عرض النهر عند كوبري قصر النيل . وبالرغم من ضخامتها التي لا تؤاتي العناية باظهار جمالها فقد نجح المهندسون في هذه الناحية نجاحاً عظيماً . ومما قد يهم معرفته ان الكباري ذات الفتحات الواحدة الكبيرة عظيمة النفقات فلو ان كوبري الخديوي اسماعيل الحالي صمّم فتحةً واحدةً لبلغت نفقاتهُ نحو مليوني جنيه مع ان نفقاته بشكله الحالي المستند الى دعامات تبلغ ثلث مليون . هذا فضلاً عن ان التربة المصرية الرخوة لا تسمح بانشاء الكباري ذات الفتحات العظيمة (المعلّقة)

ويلاحظ القارىء في مروره على كباري القاهرة ان منها ما يعلو طريقهُ على الكمرات المعدنية الحاملة للكوبري كما نراه في كوبري عباس والملك الصالح ومنها ما تعلو الكمرات المعدنية فيها على الطريق مثل كوبري بولاق وقصر النيل القديم وامبابه . فاذا اشترط ان يتفق انشاء الكوبري وجلاء جمال النهر في تلك البقعة كان لزاماً ان يجيء التصميم من النوع الاول . غير ان ثمة صعوبة خاصة لتنفيذ ذلك في تلك المنطقة لان منسوب الطريق ٥٥و٢٣ متر فوق سطح البحر المتوسط واعلى منسوب لفيضان النيل ٥٥و٢٠ متر ولما كان من الواجب ألا تصل مياه الفيضان الى الاجزاء المعدنية فان الفرق بين المنسوبين اي ثلاثة أمتار لا يكفي لارتفاع الكمرات الرئيسية للكوبري وكمرات الطريق إلاَّ اذا استعملت فتحات عديدة ضيقة تشوه منظر النهر فضلاً عن استحالة تنفيذ الفكرة من الوجهة الاقتصادية والملاحية . واذا ذكرنا هذه التفصيلات فلكي



(شكل ٣) كوبري الخديوي اسماعيل

مقتطف يونيو ١٩٣٣

يشترك القارىء في فهم سر بعض ما يشاهده عند المرور على الكبري الجديد

وقد كانت نتيجة هذه المسابقة الدولية ان فازت شركة دورمان لونج الانكليزية لجاء عطاؤها اقلها ثمناً وتساوت معها تقريباً شركة أخرى انكليزية غير ان تصميم الشركة الاولى نجح نجاحاً كبيراً في معالجتهِ موضوع تجميل الكوبري ولذلك عهد اليها في انشائه

﴿ وصف الكبري الجديد ﴾ يبلغ طول الكبري الجديد ٣٨٢ متراً فهو أقصر من الكوبري القديم ببضعة أمتار وهو من النوع المعروف فنيًّا بالكمرات اللوحية على مثال كوبري الملك الصالح بمصر القديمة تمييزاً له عن النوع الآخر المكوَّن من إطارات على شكل مثلثات على مثال كوبري بولاق والزمالك. وكل من النوعين صالح للفتحات الحالية التي بين الدعامات الحاملة الكوبري وتتراوح بين ٤٠ متراً و ٥٠ متراً وقد قوس الجزء الاسفل من هذه الكمرات بهيئة عقد (شكل ١) وان كانت من الناحية الفنية ليست عقداً لاستحالة انشاء العقود الكبيرة على اساسات رخوة كالتي نصادفها في قاع النهر بمصر. والغرض من هذا التقويس الاَّ يجيء منظر الجزء المعدني بعرض النهر على وتيرة واحدة لو جعلت ذات ارتفاع واحد فتمل العين رؤيتها. ويستند الكوبري الى تسع دعامات فتسمى الدعامتان عند نهايتيه بالاكتاف والدعامات المتوسطة بالبغال. وهناك سبعة بغال احداها متوسطة وهي مستديرة كبيرة يبلغ قطرها ١٦ متراً وتحمل الجزء المتحرك من الكوبري. وتستند هذه الدعامات الى اساسات خاصة تسمى « القيسونات » واكبر مسافة بين منتصفي بغلتين (وتسمى الفتحة) ٥٠ متراً. وقد عالج المهندس الصعوبة الخاصة بمنسوب الطريق بان قرر رفع مستوى الطريق متراً وربع متر عن مستواه القديم فاقتضى ذلك ان يرفع منسوب الطرق المؤدية الى الكوبري وقد تيسر تنفيذ الفكرة لعدم وجود مبانٍ قريبة يؤثر فيها ارتفاع الطريق . ثم عمد الى تجميل مدخلي الكوبري فانشأ مسلتين في كل مدخل عند نهايته على النمط الحديث ترتفع المسلة منها عشرة أمتار عن الطريق وفي أعلاها منارة كبيرة كهربائية وعند أسفلها وامام الداخل الى الكوبري اقيمت قاعدتان ترتفعان نحو متر وثلاثة أرباع المتر عن مستوى الطريق لترفع عليها أسود الكوبري القديم البرونزية والى جانبي الكوبري درج من الرخام المصري يؤدي الى منبسط يمتد على جانبي الكوبري وبه عدد من الحوائط الساندة التي تمنع انهيار الطريق عليه. وكل هذه الحوائط والمسلات مصنوعة من الجرانيت المصري (الشكل نمرة ٢) وينار طريق الكوبري بمصابيح كهربائية ذات شكل خاص تتفق مع الروح الفنية السائدة في مبانيهِ . وقد بنيت بغالهُ كذلك من الجرانيت المصري وملئت في وسطها بالخرسان

﴿ الأساسات ﴾ أساسات الكوبري هي أهمّ اجزائه وأعظمها خطراً ويستطيع القارىء ان يتصور ان التربة الرخوة التي توجد تحت قاع النهر لا تستطيع ان تتحمل وزن البغال وما تحمله

من وزن الكوبري والاثقال التي يحملها . ولا توجد بمصر في المناطق المأهولة طبقات صلدة قريبة من سطح الارض إلاّ في جهات معينة كاسوان . اما في غير ذلك فطبقات الارض مكونة من رواسب النيل الرخوة مختلطة بالرمل حتى تصل الى عمق يعادل منسوب البحر المتوسط. فان زاد العمق عن ذلك صادفنا طبقات رملية مختلطة بالطين الى ان نصل الى طبقات رملية متفاوتة الصلابة يستطيع المهندس ان يضع أساساتهِ على احداها متى كانت خشنة وبها قدر من الحصى (الزلط) . وقد بحثت مصلحة الطرق والكباري في هذه المنطقة لمعرفة خصائصها الجولوجية في قاع النهر وتحت موقع الاكتاف عند الضفتين .فاتضح ان هناك طبقة صالحة عند منسوب (—٧) تحت مستوى البحر المتوسط اي على عمق نحو ٣٠ متراً من منسوب الطريق عند ضفة النهر. ولما كان منسوب مياه النيل في هذه المنطقة ١٦ متراً فان معنى ذلك ان اساسات الكوبري يجب ان تخترق المياه وطبقات مشبعة بها مسافة ٢٣ متراً. وللوصول الى تلك الطبقة الصالحة تبنى الاساسات بواسطة القيسونات او العلب

والقيسونات هي في الواقع صناديق عظيمة جوانبها من الواح افقية من الصلب مبرشمة بعضها الى بعض وشكلها على شكل الكتف او البغلة التي تبنى داخلها فاذا كان الكتف مستطيلاً كان القيسون كذلك. ولما كانت بغلة الجزء المتحرك مستديرة كان قيسونها مستديراً (شكل نمرة ٣) ويراعى ان تكون ابعاده اكبر قليلاً من ابعاد البناء الذي يقام عليهِ . فمثلاً بغلة الجزء المتحرك قطرها ١٦ متراً فيكون قطر القيسون نحو ١٧ متراً وارتفاع القيسون في كوبري الخديوي اسماعيل نحو ٢٦ متراً أي اعلى من بناء فندق سميراميس . ولكن القيسون لا يصنع دفعةً واحدةً بل لا يزيد ارتفاعه في مبدأ الامر عن ثمانية امتار

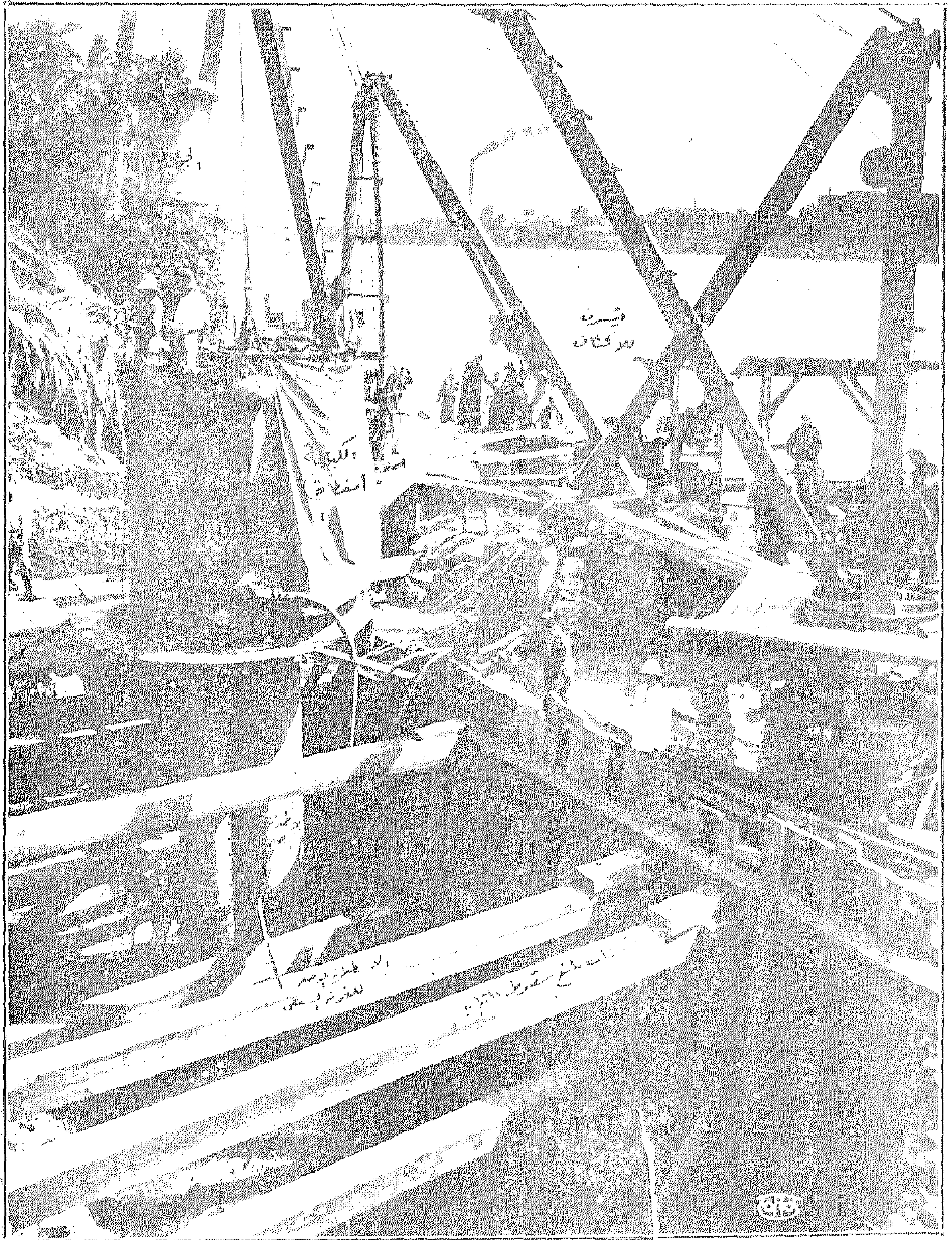
وهذا الصندوق الذي نسميهِ القيسون يختلف عن الصناديق العادية في أن قعره يرتفع عن نهايتهِ السفلى بنحو مترين وربع متر ويميل عند طرفيهِ حتى يتصل بنهايتهِ السفلى . وفي الشكل نمرة ٤ ترى ذلك واضحاً في قيسون الكتف وهو مستطيل ولما كانت الالواح الصاج عرضة للانبعاج فيحيط بجوانب الصندوق وبقعرهِ المرتفع إطار قوي من الصلب تراه واضحاً في نهاية الشكل ثم يثبت الى حافة هذا الصندوق السفلى لوح سميك من الصلب ويبرز عن حافتهِ قليلاً ويسمى السكين. ومتى تمّ تغطية قاع الصندوق الخاص هذا اصبح ما يليهِ الى اسفل فراغاً مقفلاً من اعلاه وجوانبه ومفتوحاً من اسفل أشبه بغرفةٍ لا ارض لها وتسمى غرفة الحفر. وسقف هذه الغرفة هو قعر الصندوق الحديدي وفي وسط الغرفة فتحة مستديرة كبيرة تركب عليها اسطوانة رأسية تسمى اسطوانة الهواء وهي مكوّنة من عدة اسطوانات من قطاع واحد تتصل بعضها ببعض اتصالاً لا ينفذ منهُ هواء سواء حيث يتصل بعضها ببعض او حيث تتصل بغرفة الحفر. وتقطع الواح القيسون الصلب في انكلترا وتثقب ويجرّب صلاح وصلاتها ثم ترقم بطريقة خاصة

ليسهل تركيب اجزائها على نحو ما ترى في الشكل (٤) وعند بنائها بمصر تركب قيسونات الاكتاف على اليابسة في موقع الكتف بالضبط ، اما قيسون البغلة فيركب في مكان خاص على اليابسة وبارتفاع ثمانية امتار ويوضع على قضبان مائلة ثم تسحبها الرفاصات نحو النهر حتى اذا استقرّ فيه ظل طافياً كالباخرة . وترى في الشكل (٣) قيسون بغلة الجزء المتحرك قبل سحبهِ ويمكن ملاحظة السكين واضحاً حول محيط القيسون من اسفل . ووصلات الالواح في كل مكان مانعة للمياه فلا يخشى من تسرب المياه الى داخل القيسون . ويكون محيطهُ الاسفل على مترين تحت سطح الماء عند ما يطفو وهو في طريقهِ الى مركزهِ في النهر وقبل ان يسحب القيسون تنشأ دمسات خشبية كبيرة حول موقع القيسون ترتكز على خوازيق خشبية تدق في قاع النهر ليوضع على هذه الدمسات مواد البناء والخرسان والروافع وآلات خلط الخرسان الى غير ذلك . والى ذلك ينزل الغطاس ليمهد قاع النهر تحت موقع القيسون فاذا تم ذلك سحب القيسون الى موقعهِ بالتقريب وثُبّت في ذلك المكان بواسطة مخاطيف واسلاك معدنية . وتبدأ آلات خلط الخرسان في العمل ليل نهار وترمي الخرسان الى اسفل القيسون بواسطة انابيب معدنية واسعة فتملأ اولاً الفجوة المثلثة بين جوانب القيسون والجزء المائل من سقف غرفة الحفر ثم تغطي الجزء الافقي من السقف وترتفع فوقهُ تدريجيًّا ويلاحظ ان يبعد الخرسان قليلاً عن اسطوانات الهواء ليسهل فكهذه في نهاية العمل. ومن هذا الوصف يرى القارىء ان غرفة الحفر تظل فارغة لا يصل اليها خرسان وتكون مغمورة بالمياه . فاذا ازداد ثقل الخرسان هبط القيسون تدريجيًّا حتى يلمس السكين قاع النهر . وعند ذلك توضع علامات تحدد محاور القيسون بالضبط على حافتهِ العليا وتضبط محاور الكوبري الجديد على الدمسة الخشبية ويستعمل التيودوليت (السدس) في ذلك ثم يحرك القيسون في كل ناحية حتى تنطبق محاوره على محاور الكوبري فيثبّت في هذا المركز وتلقى فيهِ مقادير اخرى من الخرسان فتبدأ السكين ان تغوص قليلاً في وحل قاع النهر ولا يخشى تحرك القيسون عن موقعه كثيراً بعد ذلك

ويرى المتتبع لهذا الوصف انهُ لو استمرّ نزول القيسون بعد ذلك لارتطم سقف غرفة الحفر من اسفل بقاع النهر ولاستحال نزول القيسون بعد ذلك . ويلاحظ انهُ ما بين وصول القيسون الى موقعه وبين هبوطه الى ان يلمس قاع النهر ويستقرّ عليهِ بضعة سنتيمترات، لابدّ ان تزاد الواح جانبية اخرى الى اعلى القيسون وكذلك وصلات من اسطوانة الهواء لتمنع تدفق المياه الى الداخل من جوانب القيسون العليا . وعند هذه المرحلة يركب على اسطوانة الهواء هويس هوائي هو عبارة عن غرفة مستديرة كبيرة جوانبها من الصلب لا ينفذ منها هواء ولها باب خارجي وفتحتان دائريتان كبيرتان احداهما في سقفها والاخرى في ارضها وهذه

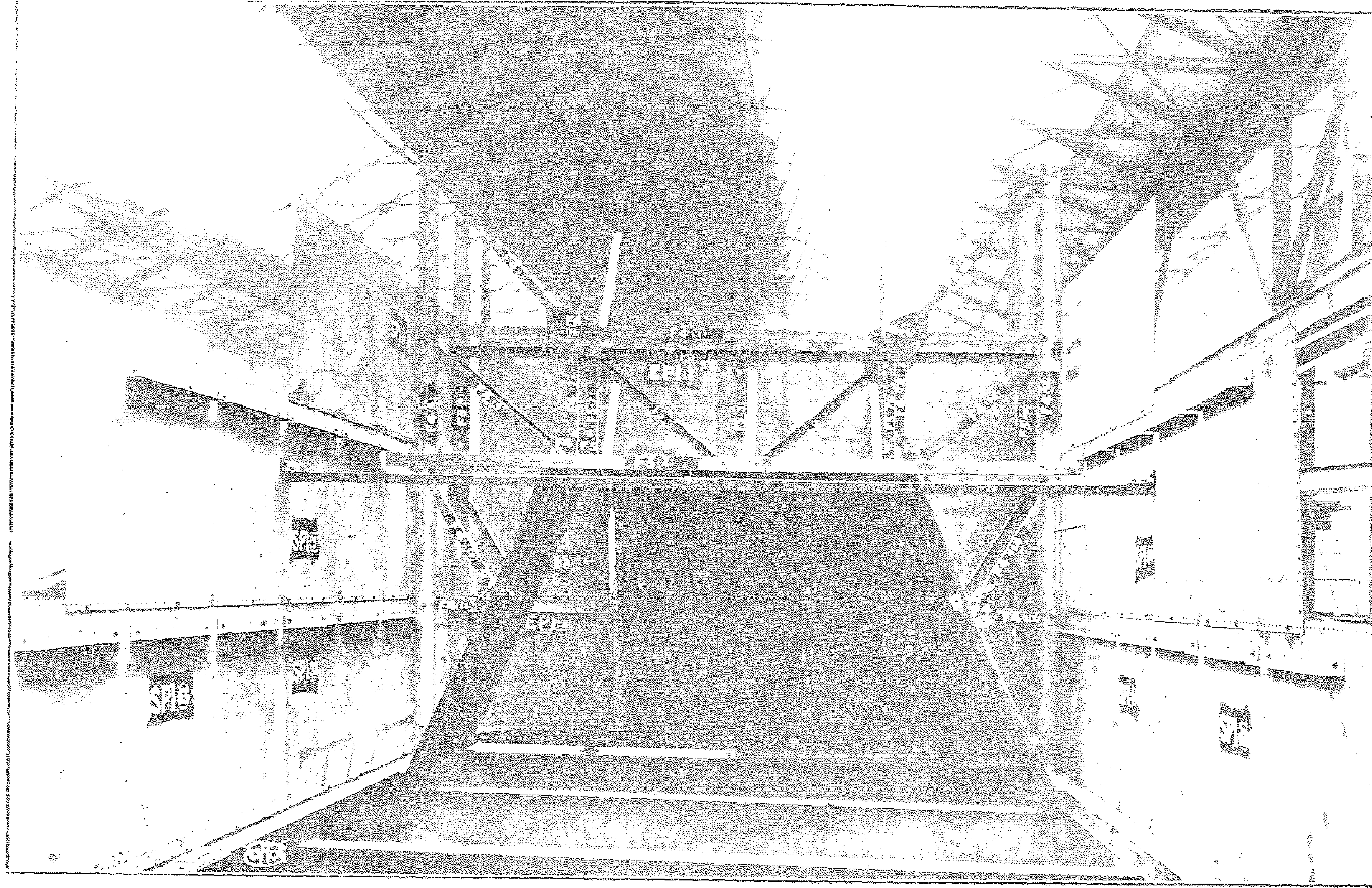
الفتحة الاخيرة ذات قطاع بمساحة وشكل قطاع اسطوانة الهواء وللفتحة العليا في سقف الهويس بابان من الحديد المبطن بالمطاط بينهما اسطوانة ارتفاعها نحو متر وربع ولا يمكن فتح هذين البابين فاذا فتح احدهما أُغلق الثاني من تلقاء نفسه . وعند دخول الهويس من الباب الخارجي تجد مساحة ضيقة منه تسمى الغرفة الخارجية مقفلة الجوانب إلاّ من باب داخلي يؤدي الى الفتحة المتصلة بأعلى اسطوانة الهواء وتسمى بالغرفة الداخلية (انظر شكل ٥) ومتى ركب الهويس الهوائي (ويسمى بالكباية) وسُلّط هواء مضغوط على الغرفة الداخلية أُقفل بفعل الضغط (اولاً) الباب ما بين غرفتي الهويس ثم الباب الأسفل في الفتحة الموجودة في سقف الهويس ثم يسير الهواء داخل اسطوانة الهواء المملوءة بالمياه (بمنسوب مياه النهر) فيدفع الماء خارجاً من طريق غرفة الحفر التي لا قاع لها ومتى زاد الضغط عن ضغط المياه داخل غرفة الحفر طردت المياه من غرفة الحفر مجتازة مسام الطين وتظهر بشكل فقاقيع على سطح المياه . ويظل الهواء المضغوط ليل نهار باستمرار وإلاّ طغت المياه على داخل غرفة الحفر في لحظات وكلما هبط القيسون زاد الضغط المائي فيزاد تباعاً ضغط الهواء

فاذا تمَّ تركيب الهويس الهوائي (انظر شكل نمرة ٦) وطردت المياه من غرفة الحفر دخل العمال من الباب الخارجي للهويس الى الغرفة الخارجية ويسلط الهواء المضغوط بالتدريج داخلها فيقفل الباب الخارجي من تلقاء نفسه ومتى وصل الضغط في الغرفة الخارجية الى مثله في الغرفة الداخلية انفتح الباب بينهما من تلقاء نفسه او بدفع بسيط . فيدخل العمال الغرفة الثانية ويصبحون على رأس اسطوانة الهواء من أعلى ويوجد في داخل الاسطوانة سلم حديديّ يؤدي الى غرفة الحفر وفراغ آخر خاص تجري داخله اسطوانة كبيرة على شكل دلو . ومتى نزل العمَّال في غرفة الحفر بدأوا بحفر قاع النهر داخل القيسون ابتداء من الوسط ومتجهين نحو المحيط . ويكون قاع النهر كثير الوحل ولكن طرد المياه منه لا يجعل السير عليه بأصعب من السير في الطرق الترابية في يوم ممطر . وتنار غرفة الحفر بالكهرباء . فاذا ملىء الدلو بمتخلفات الحفر اعطيت الاشارة للعامل المختص فيبدأ برفع الدلو بواسطة سلك معدني له فتحة خاصة مثقوبة في وسط الباب العلوي الذي يغطي سقف الهويس ومربوط بالدلو من ناحية وبآلة رفع من نهايته الاخرى . ومتى وصل الدلو الى الفراغ بين البابين الموجودين في سقف الهويس (تمييزاً لهما من البابين المؤديين الى غرف الهويس الذين يدخل منهما العمال) أُقفل الباب الاسفل وفتح الاعلى وتلقى متخلفات الحفر . ثم يعاد الدلو الى اسفل بطريقة عكسية . ولا يخفى انه لو تسرَّب الهواء المضغوط من هذه الابواب لطغت المياه على غرفة الحفر واهلكت العمال غرقاً . وفي اثناء استمرار الحفر ليل نهار يراعى ان يكون وزن الخرسان الذي يملأ القيسون من داخله بحيث يحدث هبوطاً بمقدار الحفر الذي تمّ داخل القيسون — ويشعر الرجل بشيء من الوخز



(شكل ٦) كوبري الخديوي اسماعيل

مقتطف يونيو ١٩٣٣



كوبري الخديوي اسماعيل

(شكل ٤)
مقتطف يونيو ١٩٣٣

في الاذنين متى دخل غرفة فيها هواء مضغوط و بقليل من ضيق التنفس ولذلك يكشف طبيًا على المهندسين والعمال الذي يعملون في غرفة الهواء المضغوط . ولكن هذا الشعور لايلبث ان يزول متى بقي الرجل زمناً قليلاً متأثراً بهِ. واكثر الخطر عند الخروج من القيسون الى حيث يكون الضغط عادياً وخصوصاً عند ما يرتفع ضغط الهواء في المراحل الاخيرة فيصاب العامل بمرض « القيسونات » او بما يسميه العمال « ضرب الهواء » وليس هناك خطر كبير من هذا المرض بقدر ألمه الوقتي الشديد الذي يستمرّ بضع ساعات . ولذلك يبقى العمال عند انتهاء عملهم ثلاثة ارباع الساعة في الغرفة الخارجية في طريقهم الى الخارج حيث الضغط العادي ويخفف الضغط في اثناء ذلك تخفيفاً متدرجاً تدرجاً بطيئاً

***

ويستمر هذا العمل ليل نهار حتى يصل سكين القيسون الى منسوب — ٧ وتكون اسطوانات الهواء وألواح الصاج المكوّنة لجوانب القيسون قد زيدت مراراً وفقاً لهبوط القيسون وكلما زيدت اطوال اسطوانة الهواء يحتاج الامر الى رفع الهويس الهوائي مؤقتاً ثم اعادتهُ ثانية في اعلى الاسطوانة التي اضيفت جديداً. وفي كل مدة تقفل اسطوانات الهواء من اسفل اقفالاً محكماً ويستمر الهواء المضغوط في داخل غرفة الحفر بواسطة مجرى خاص مستقل. وعند ما يصل قاع القيسون الى منسوب —٧ يكون ارتفاع جوانب القيسون الصاج نحو ٢٦ متراً ويصمم القيسون على ان يكون منسوب السطح الخرساني داخله على منسوب + ١٠ في ذلك الوقت نفسه — ومتى انتهى من الحفر تملأ غرفة الحفر بالخرسان وتقفل جيداً عند اتصالها باسطوانة الهواء وتفك اسطوانة الهواء وترفع لاستعمالها في قيسون آخر . ثم يبدأ ببناء البغلة داخل القيسون فوق سطح الخرسان حتى اذا ارتفعت المباني فوق سطح مياه النهر نزل الغطاس وفك وصلات الصاج عند منسوب الخرسان وترفع الالواح بواسطة روافع فتظهر مباني البغلة بعد ان كانت تحجبها الواح الصاج التي هي جوانب الصندوق الحديدي الذي نسميهِ القيسون

﴿ تركيب الجزء المعدني ﴾ يبدأ بتركيب الجزء المعدني عند تمام بناء البغال الجديدة وبعد ازالة مباني البغال القديمة حتى مستوى قاع النهر مستعينين في الجزء الاخير هذا بالغطاس وادوات التفكيك. وتصنع الاجزاء المعدنية في الخارج باطوال تسمح بنقلها في البواخر ثم تركب معاً هناك للتأكد من ضبطها وترقم بطريقة خاصة طبقاً لرسوم موضوعة. وهناك طرق مختلفة لتركيب الاجزاء . وفيما يلي وصف الطريقة التي اتبعت في كوبري الخديوي اسماعيل

قبل تركيب اجزاء الكوبري يبتدىء بدق كتل خشبية طويلة في موضع الكمر المعدني بالضبط وتعرف هذه « بالخوازيق الخشبية » وتُغرز في قاع النهر أمتاراً قليلة ولكنها تستطيع

ان تحمل اثقالاً غير يسيرة ثم يبدأ بتركيب اجزاء الكوبري الواقعة فوق الكتف او البغلة فتوضع على مقعد خاص يسمى « الكرسي » وفي كل فتحة كرسي مثبت وآخر متحرك يسمح بتمدد الكوبري تحت تأثير ارتفاع الحرارة. وتستند الاجزاء التالية الى البغلة على هذه الخوازيق الخشبية (انظر شكل نمرة ٧) وتربط معاً بالصواميل مؤقتاً . ويلاحظ ان يكون ارتفاع الخوازيق بحيث متى استند الجزء الواقع عليها الى الذي يليه يجيء شكل الكمرة طبقاً للرسومات الموضوعة حتى اذا استمرَّ العمل الى البغلة التالية رُكبت الاجزاء الباقية على كرسيها. ثم تختبر ميزانية الكمرة كلها للتأكد من انطباقها على حقيقتها مخافة ان يقع خطأ في التركيب او هبوط صغير في الخوازيق. ومتى ثبتت صحتها تبرشم الوصلات بعد فك الصواميل منها . ويلاحظ عند انشاء الاجزاء المعدنية ان تكون المسافة بين منتصفي البغلتين عند درجة حرارة ثابتة فمثلاً اذا كانت الفتحة ٥٠ متر وضعت الاجزاء المعدنية بحيث تكون ابعادها ٥٠ متراً عند درجة ٦٠ فارنهيت فلو ركبت في يوم درجة حرارته ٩٠ فارنهيت نجد ان طول الجزء المعدني وهو ٥٠ متراً يزيد سنتيمتراً واحداً فيراعى ذلك عند الكرسي المتحرك بأن يكون محوره بعيداً عن محور البغلة بمقدار سنتيمتر. ولكن يراعى ايجاد فتحات بين اجزاء الكوبري لذلك ولتمدد الحرارة شأن كبير في تركيب اجزاء الكوبري ويجب حسابه بالتدقيق . ومتى تم تركيب الجزء المعدني لفتحة ما عمل الطريق فوقه بالخرسانة المسلحة ثم يرصف بطوب الاسفلت

***

ومن الصعوبات الهندسية النادرة ان بغلة الجزء المتحرك وقعت في موضع احدى بغال الكوبري القديم فهدمت مباني البغلة القديمة الى منسوب القاع قبل مجيء القيسون وعند ما بدأ القيسون في الهبوط اخذ العمال في كسر مبانيه القديمة وحفر الاتربة من قاع النهر في نفس الوقت وظلَّ العمل سائراً في الحفر وهدم المباني حتى موضع القيسون النهائي ولولا ان مساحة البغلة القديمة صغيرة بالنسبة لبغلة الجزء المتحرك لتعذر تنفيذ ذلك على النحو المتقدم

وتشرف مصلحة الطرق والكباري على اعمال الانشاء نهاراً وليلاً عند ما يستمرُّ العمل فيه لضمان تنفيذ المواصفات المتفق عليها وقد تنشأ احياناً اختلافات فنية كما تنشأ بين الاطباء والمحامين في آرائهم الفنية

ولانشاء الكباري الكبيرة غير فائدتها للمواصلات شأن خاص لمصر في الوقت الحاضر فان المهندسين المصريين يضيفون الى خبرتهم السابقة خبرة جديدة ثمينة في ميدان اقفلت ابوابه في وجوههم الى سنة ١٩٢٣ ومع ذلك استطاع المهندسون المصريون ان يشرفوا بدون اي مساعدة اجنبية على كل الكباري الهامة التي انشئت في السنين الاخيرة مما يدل على ان الاضطلاع بالتبعات الفنية الهامة يخلق نواة قوية يجب ان توجد بمصر في مختلف العلوم الهندسية

القوة والحق

اعلامہ

للاستاذ احمد محرَّم

الحق

أنا الحقُّ فما يُجدي ... أُلي القُـوَّةِ سُلطانُ
سِلاحي حُجةٌ تُغني ... عن السيفِ وبرهانُ
وروحٌ منْ لَدُنْ رَبٍّ ... لهُ القدرةُ والشانُ
رَمى بجنودهِ قِدْماً ... وملْءُ الأَرضِ طُغيانُ
فلمْ يَغلِبهُ (فِرعونُ) ... ولم يُعجزْهُ (هامانُ)
كذلكَ كلُّ جبارٍ ... لهُ في الظُّلمِ اعوانُ
إذا ما حانَ موعِدُهُ ... تولَّى وهو خزيانُ
تولى الناسَ باطلُهُمْ ... فهم للظلمِ قُربانُ
تعادوْا في مذاهبهِمْ ... وهمْ في الأَرضِ إخوانُ
امرتُ فلم يُطعْ احدٌ ... ودأبُ القومِ عِصيانُ
أنا المرجعُ فليصدَعْ ... ظلامَ الجهلِ عِرفانُ
بَني الدُّنيا اذكروا عظتي ... فليس يُفيد نسيانُ
رفعت الصوتَ، فاستمعوا ... وصوتُ الحقِّ رنَّانُ

***

القوة

أنا القوةُ يستعلي ... بيَ المُلكُ ويزْدانُ
عليَّ تقومُ سطوتهُ ... ويَعلو منهُ بنيانُ
وبي تُحمَى حقيقتهُ ... إذا ما خيفَ عُدوانُ
أنا الجحفلُ يحميهِ ... وملءُ البرِّ فُرسانُ
أنا الأُسطول يمنعهُ ... ولجُّ البحرِ نيرانُ
ولولايَ لما استعدَى ... على الاعداءِ إنسانُ

أنا في هذه الدُّنيا لأَهلِ الارضِ ميزانُ
إذا لوَّحتُ للباغي فَتسليمٌ وإذعانُ
وإن ذكرَ المسيءَ فيَّ فإجمالٌ وإحسانُ
وما للناسِ منْ عرضٍ ولا مالٍ إذا هانُوا
ولولا الأُسدُ في الغِيلِ لعاثَتْ فيهِ ذُؤبانُ
وكَمْ مِنْ جامحٍ لولايَ لمْ تملكه أرسانُ
كفى بالضَّعفِ مضيعةً وفي الضُّعفاءِ تبيانُ
إذا القوَّةُ لم ترجحْ فما للحقِّ رُجحانُ

***

الحق
صدقتِ فأنتِ أُسُّ الامــــر للأَقوامِ مذ كانوا
عمرْتِ جوانبَ الدُّنيا فأوْطانٌ وسكانُ
ولوْلا فضلكِ الوافي لما استفحلَ عمرانُ
وما لجميلكِ المأثو رِ عندَ اخيكِ نكرانُ
وكيفَ ، وليسَ لي إلاَّ كِ منذ خُلقتُ مُعوانُ
عليكِ النصرُ إن خصمٌ عناني منهُ خِذلانُ
تلظَّى الشرُّ في الدُّنيا فوجهُ الأَرض بركانُ
وعَبَّ عُبابُهُ فيها فأمسى وَهْوَ طُوفانُ
وجاءتْ كُتُبُ الله عليها (الحقُّ) عُنوانُ
فلمْ يمنعهُ (إنجيلٌ) ولمْ يَرْدَعْهُ (قُرآنُ)
ولوْلا السيفُ لم يُعرفْ على الغبراءِ إيمانُ
يقولُ الناسُ خصمانِ وبعضُ القولِ بُهتانُ
همُ الجهَّالُ ما عَرَفوا وأهلُ الجهلِ عميانُ
أمحضُ الحبِّ موْجدةٌ وصفوُ الودِّ شنآنُ ؟
أنا انتِ ، وأنتِ أنا وذَا للناسِ (اعلانُ)

في أي طريق تساق الحضارة ؟

الازمة الاقتصادية : بواعثها واحتمالاتها الاخيرة

لاسماعيل مظهر

الثورة الصناعية وآثارها

كانت البيئة التي يعمل فيها الصناع مجلبة للهناءة والمسرة . فكان المعمل عبارة عن حجرة متسعة في البيت ، ولها باب يفتح الى الشارع . وعلى الرغم من ان ساعات العمل كانت طويلة الا انها كانت تمر سراعاً لما يتخللها من التسلية والمناظر المتجددة على الدوام . فكان الحذاء او الخياط يتكلم في السياسة ويناقش في الحوادث وهو مكبٌّ على عمله . وكان النجار يستطيع ان يكلم جاره او عميله الذي قد يدخل عليهِ في اثناء عمله يطلب تكليفه عملاً ما . وكان الصانع قبل حدوث الثورة الصناعية واستفحالها فناناً ، يخلق بفنه مميزات صناعية . فكان يضع تصميمها غالباً ، ثم يأخذ في اخراج التصميم الى حيز الوجود ، ويحول ويبدل حتى ينتهي الى صورة تلائم ذوقهُ وميولهُ او ما يكون قد ادرك في ميول الناس . ولا تنسَ ان الصانع اليدوي المستقل كان سيداً حرّاً يحدد ساعات عمله كما يريد ويبدّل في حالات حياته كيفما يشاء ، كما كان يستولي على كل الربح الذي يمكن ان يخرجه من مصنوعاته من غير شريك فيه

فلما وفدت الآلة على المدنية احدثت تغيراً بل انقلاباً مرعباً في حياة العامل وفي مقامهِ الاجتماعي . فالآلة العظيمة مع ما يتبعها من آلات العمل الصغيرة اقتضت ان يجتمع عدد كبير من الصناع في بناء واحد يسمى المصنع . ولما كان من شأن الآلة ان تكون اقل نفقة كلما كبر حجمها ، بدأ حجم المصانع يزداد في السعة . ولما كانت البقعة التي تلائم قيام معمل تسترعي اليها انظار الذين يريدون انشاء المعامل ، بدأت المعامل يزحم بعضها بعضاً في بقاع بعينها ، وبذلك اخذت المدن الصناعية في الظهور .

وكان اول ظاهرة من ظواهر الانقلاب في حياة العمال ، تحوُّل اساسي اخذ يبدو في نظامهم الاجتماعي . فبدلاً من ان يظلّ العمال مختلطين مع بقية افراد الامة وهم جزء منها يتعايشون ويتعاونون ويتقاسمون المسرات والاحزان كما كانوا قبل بدء الانقلاب الصناعي ، اخذوا بعد حدوث ذلك الانقلاب يتجمعون في بيئات لها مؤثراتها التي كوّنت من العمال طبقة خاصة لها اوساطها ولها مصالحها ولها ميولها وخصائصها المنفصلة عن بقية المجتمع . وكان لابدّ من ان يحدث

تجمع العمال في بيئات خاصة حالات اجتماعية على اعظم جانب من الخطورة. فكان للعمال ما يشكون منه وما يتبرمون به في حالات الحياة. ومع مضي الزمن اصبحت حياتهم جحيماً لا يطاق

ومن الانقلابين العظيمين اللذين انتابا المدنية الحديثة، انقلاب الزارع من تابع حربي الى مستأجر يدفع مالاً تلقاء البدل العسكري في بداءة العصر الاقطاعي، وانقلاب الصانع الحر الى عامل اجير سلبت ارادته وفنيت في ارادة الآلة، تكونت الاسس التي قامت عليها المدنية الرأسمالية، رأس مال المالك الارض وعبيده المزارعون، ورأس مال صاحب المصنع الآلات وعبيده العمال، وقامت الحرب سجالاً بين الطبقات

احتمالات الازمة الاقتصادية

الازمة الاقتصادية الحاضرة وليدة امرين لا ثالث لهما. وليدة الامعان في التسليح من ناحية، ووليدة الامعان في الانتاج من ناحية اخرى. ولا بد للتسليح من اموال تجبى واموال تكتنز. ولا بد للانتاج من اسواق تستهلك فيها المنتوجات وحواجز جمركية تحمي الانتاج القومي. ولقد كانت الحرب العظمى نتيجة لهذه العوامل. ولكنها اظهرت ان هذه العوامل تحمل في تضاعيفها من عناصر الافناء والتحطيم اضعاف ما تحمل من عناصر البناء والتشييد. غير ان الناس لم يظهروا على هذه الحقيقة الاّ بعد ان عمهم الخراب واخذت عوامل الافناء والتحطيم تعمل في مدنيتهم فتهزها من اساسها وتهددهم بالخراب العاجل. ففي انحاء العالم فقر وجوع وتحفز للثورات والانقلابات الكبيرة، وفيها بجانب الجوع والفقر محصولات تزيد عن حاجته واموال تكفي لاغنائه. فالعالم الآن يشكو الكثرة ويمرض بالاكتناز. ولكن هل يمكن ان يستقوى الجهد البشري على حالة ارادت الطبيعة ان تكون على غير ما هي كائنة

ان التناقض الظاهر في حالات العالم يدل على ان الجهد البشري سوف يعجز عن محو كل السيئات التي كوّنها الزمان في خلق هذه المدنية الصناعية القائمة على رأس المال. فكثرة تزيد عن الحاجة بجانبها جوع قاتل. واموال مكتنزة تفي بالحاجة بجانبها فقر مدقع. وتحفز للحروب الطاحنة تغلي من تحته الثورات. وضرائب تجبى من الجيوب الخاوية لتعمر بها خزائن الذين غمرتهم الاموال — كل هذه المتناقضات تدل في اول ما تدلُّ عليه ان الجهد البشري سوف يعجز عن معالجة حالة تناصرت على خلقها عوامل تغلغلت في صميم النظام الحاضر واصبحت من دعاماته الاساسية. وهذا في الحقيقة هو عنصر الفساد الذي حملته المدنية الحديثة في تضاعيفها كما أبنا في صدر المقال، والذي سوف يجرُّ بها الى النهاية التي كانت مصير كل حضارة من الحضارات التي سبقتها

كانت الاعتبارات الاقتصادية اعظم الاعتبارات التي كان من الواجب ان يعنى بها واضعو معاهدة السلم. غير ان هذه الاعتبارات اهملت اهمالاً عجَّل في جرّ الخراب على الحضارة. فقد

بولغ في تقدير التعويضات اولاً ثم بولغ في تقدير الغرامة الحربية وبولغ ثالثاً في تعيين الوسائل التي تؤدي الى تسديد ديون الحرب . لم يراعِ الذين وضعوا قواعد السلم الاقتصادية مقدرة الامم على الدفع ولا قدروا ان للشعوب نزعات، يخرج عن طوق الحكومات مهما قويت ان تحتكم فيها . فكانت النتيجة ان كل القواعد التي قامت عليها قواعد السلم الاقتصادية قد انهارت واخذت الامم تعلن افلاسها بتوقفها عن الدفع ، حتى فرنسا التي تجمع خزائنها من الذهب مقادير لا يحصرها الوهم

وبقدر ما اهملت الاعتبارات الاقتصادية في معاهدة السلم روعيت الاعتبارات الاثنولوجية من دون ان يحسب للروابط الاقتصادية التي كانت تربط الامبراطوريات المنحلة اقلّ حساب. وعمدت معاهدة السلم الى الوحدات الاثنولوجية تكوّن منها وحدات سياسية جديدة تمنحها استقلالاً سياسيًّا تامًّا مقتطعاً من جسم الامبراطوريات المنحلة . ولكن عجزت بالضرورة وكما هو محتوم عن ان تضمن لهذه الوحدات استقلالاً اقتصاديًّا . فكأنها انشأت دولات ذوات صفات سياسية من غير ان يكون لهذه الدولات حقائق اقتصادية . فاضافت بذلك الى اخطائها الاولى في وزن الاعتبارات الاقتصادية خطأً جديداً لم يكن منه بدٌّ ما دامت قد عمدت الى تطبيق عهد عصبة الامم في اوروبا . فأخذت هذه الوحدات او بالاحرى الدولات ذوات الصفات السياسية تعمل على تحقيق استقلالها الاقتصادي فأمعنت في ضرب الضرائب، ثم عمدت الى الحواجز الجمركية لتحمي منتوجاتها الصناعية ، فسدّت الاسواق وخنقت سبل التجارة أخذاً وعطاءً . وزاد هذا استحكام الازمة فأحاطت بالحضارة حالات غير طبيعية لا بد من ان تنتهي الى حالة جديدة بغير جدال

على ان هذه الحالات قد صحبتها ظواهر تدل واضح الدلالة على ان معين الحياة في حضارتنا الحاضرة قد نضب وانه لا بد من ان تغذي الحضارة روح جديدة تكوّنها تكويناً آخر وتعيد بناءها على صورة اخرى . فقد رأينا كيف تحول المصنع المستقلّ الى معمل غير مستقلّ وكيف تكونت المعامل فكانت مدناً صناعية اساس حياتها التعاون وكيف احدث تأسيس المدينة الصناعية الحاجة الى الاسواق والتعاون بين المنتج والمستهلك . والآن تعود المدنية الرأسمالية الى الظاهرة الاولى التي قامت عليها. تعود الى الدولة المستقلة استقلالاً اقتصاديًّا ، فكأنها تحاول ان تبدل المصنع المستقلّ قبل قيام عهد الآلات بالدولة المستقلة، تعود الى حياة اساسها التنافس لا التعاون والحجر على حرية التجارة لا العمل على التعاون التجاري . وفي هذا دليل على ان صورة المدنية الحاضرة القائمة على رأس المال قد تحجرت وفقدت المرونة الأولى التي قامت على التعاون في فتح الاسواق وتوزيع الثروات توزيعاً يتناسب مع المنتج من المصنوعات ليمكن استهلاكها . ومن وراء ذلك تهدر الشعوب بهدير الثورة بل الثورات التي هي لا بد واقعة

ولكن تنقيح المدنية على وجه جديد يتحقق مع امكان القضاء على سيئات عصر الانتاج الصناعي ، في حين ان نظام المدنية التي سوف تقيمهُ هذه الثورات سيحمل في تضاعيفهِ عناصر الفساد التي تبدأ تعمل على احباط ما سوف تنشيء من مدنيتهِ ، كما كادت تحبط عناصر الفساد التي حملها نظامنا الحاضر ما يقوم حولنا من حضارة . سنة الاجتماع ولن نجد لها تبديلاً

الازمة الروحية

في عصور الانتقال التي تظهر فيها عادة نتائج العوامل التي تكونت على مر الاجيال، تصاب الجماعات بازمات نفسية عميقة الأثر . ففي خلال العصور التي نشأت فيها الاديان الكبرى ظهرت تلك الازمات الروحية باعظم مظاهرها . فقد اصاب العالم الوثني ازمة روحية قبيل ظهور الدين الموسوي ، واصابتهُ اخرى قبيل ظهور الدين المسيحي واحاطت بالعالم النصراني ازمة روحية شديدة قبيل ظهور الدين الاسلامي. وكذلك تجد الحال قبيل ظهور الانقلابات الكبيرة في التاريخ الانساني ، فالحروب الصليبية نتيجة ازمة من تلك الازمات الروحية التي تأخذ بخناق الشعوب ولا تعرف لها من باعث حقيقي اللهمَّ الاّ البواعث المباشرة التي يزهى المؤرخون بأنهم استطاعوا ان يعللوا بها الحوادث العظمى في التاريخ ، في حين ان بواعثها اعمق غوراً وأبعد عن ان يتناولها البحث الصائب الذي تصح مقدماته فتصح نتائجه ، ويكون لها من الثبات ما للنتائج العلمية . على ان العالم المتمدين الآن مصاب بأزمة من تلك الازمات الروحية التي لن يفلت معها النظام الاجتماعي من انقلاب قد يعظم او يقل خطره على مقتضى الاحوال التي تلابس الانقلاب في اغلب الامر

من مظاهر الازمة الروحية التي اصابت المدنية الحديثة وبالاحرى مدنية الانتاج الصناعي شعور كل طبقة من الطبقات المختلفة شعوراً عميقاً بأن نصيبها من السعادة مهزول لاقيمة له . يتبرم صاحب رأس المال بما ينهكه من المشاغل والمتاعب وتجده في قرارة نفسه يتمنى لو ان الحياة تحبوهُ قليلاً من رخاء البال وراحة الضمير وأن تقيم بينه وبين متاعب المال حائلاً يحقق له بعض السعادة التي ينشدها . هذا في حالة الفردية . فاذا رجعت الى طبقة اصحاب الاموال باعتبارهم كلاً اجتماعيًّا تقع على طبقة مشتركة المصالح تعمل من غير انقطاع على تذليل سبيل الجمع والاكتناز وكأنهم جنود في ميدان حرب من تأخر منهم حطمته الاقدام ومزقته سنابك الخيل ، فيجدُّ ويعمل ويصل الليل بالنهار ليستطيع مسايرة القافلة في هجومها على بقية طبقات المجتمع لتستلب منها بمقدار ما يُضمن لها البقاء في سمت خاص من مراتب النظام الاجتماعي ، اتخذت المال سبيلاً الى اعتلائه ، ثم اخذت تعتقد بأن السمت هو نصيبها من الدنيا وحظها من الحياة . بل لا يبعد ان يقرب اعتقادها هذا من اعتقاد الملوك في القرون الاولى اذ كانوا يؤمنون بأن سلطتهم مستمدة من الله ، والاّ لم يخلقوا ملوكاً . وفي هذا من روح التعصب

والجمود ما يكفي لاحداث ازمة نفسية منشؤها اعتقاد الطبقة العليا من المجتمع الرأسمالي انهم المختارون دون بقية الطبقات

وبجانب هؤلاء طبقة العمال المستعبدين واقعاً، الاحرار قولاً . وهؤلاء يؤمنون بأن الطبقة الاولى هي السد الحائل بينهم وبين السعادة وانهم العقبة التي تمنع عنهم سبل الحياة على ما يجب ان تكون الحياة الانسانية . وهؤلاء بطبيعة مقامهم في نظام الاجتماع هم جيش الهجوم ، كما ان الاولين جيش الدفاع . ثم انهم يعتقدون ان رؤوس الاموال والثمرات العالمية لهم فيها حق كحق الذين منعوا عليهم طرق الاستمتاع بها ، فينظرون الى ما في يد الاغنياء كأنهُ جانب من مالهم وشطر من متاعهم الذي يجب ان يوزع على الجميع ، وان الملكية مبدأ وضعه اصحاب الاملاك ورأس المال انزل منزلة القداسة من القانون لان اصحاب رؤوس الاموال هم الذين يشترعون للجميع ، وان مبدأ الملكية ورأس المال مؤامرة غير مشروعة يعتزّ بها الذين ينتفعون به ليسلبوا ممن لا مال لهم كل ما يزيد عما يسد الرمق ويحفظ الارواح في الابدان . ومن الملكية ورأس المال وتثمير الاموال المكتنزة تقوم الدولات العظمى على اسسها الحربية فتستبيح العمال والزراع بأقصى ما يصل جهدهم ليلقموا بثمرات ما اخرجوا بسواعدهم وفنونهم ، بل وبأجسامهم وارواحهم الى الحديد والنار، دفاعاً عن الملكية وعن رؤوس الاموال التي لا يعرفون منها الاّ الاسم دون المسمى والخبر دون الخبر . وهذه حالة من الفكر تحدث بلا ريب اقسى الازمات الروحية التي تهز اسس المدنية الحديثة

ثم من وراء هذا تقوم مؤامرة متسعة النطاق بين السياسيين وأصحاب الاموال . يسخّر كل فريق منهم الفريق الآخر في سبيل شهواتهِ ، فالسياسيون يسخرون أصحاب الاموال بنفوذهم ، وأصحاب الاموال يسخرون السياسيين بأموالهم في الحكومات وفي السياسة العالمية لان السياسة الحسنة ، كما يقول سياسي فرنسوي ، تستدعي مالية حسنة ، والمال من شأنه ان يحتاج الى قوة تقيهِ كيدَ من لا مال لهم . فالمؤامرة بين السياسيين وأصحاب الاموال ضرورية بحكم الظرف الاجتماعي. ولكن ضد من تتجه هذه المؤامرات بكل سوآتها ؟ تتجه بالطبع ضد الذين لا مال لهم وضد من لا نفوذ لهم في سياسة العالم وتدبير شؤون الدول فيضحى أصحاب الاموال والسياسيون اليد المحركة ، ويظل بقية الناس الاداة المنفذة ، في معمعان حرب وجلاد لا ناقة لهم فيه ولا جمل . وهذا من شأنه ان يحدث الازمات الروحية الممضة التي يشعر معها الناس ضرورة بأن اساس المدنية ان لم يكن قد فسد بالفعل ، فلا اقل من ان يكون الفساد قد دب فيه الى حد يستدعى عمليات حاسمة من البتر والرّتق ومن القطع والوصل ، واي طريق يمهد لهذا غير طريق الثورات الصاخبة والفوضى الآكلة ؟

أضف الى هذا ان الناس اصبحوا ولا ثقة لهم بالمثاليات التي اتخذها السياسيون ذريعة

للتأثير في الدهماء وعامة الشعوب تنفيذاً لاغراض خفية ، ان عمي على الشعوب ان يعرفوا شيئاً من ماهيتها في الماضي القريب ، فان تجاريب نيف وربع من القرن العشرين ، قد كفت لان تجعل الناس يشعرون شعوراً عميقاً ثابتاً بان تلك الخياليات لم تكن الا حبائل نصبت واشراك وضعت لاستغلال عطف الجماهير من طريق التأثير في مشاعرهم واستهوائهم بالالفاظ التي لا تحمل من المعاني الفعلية اكثر مما في قلوب الذين يكثرون من التفوه بها من الايمان بحقيقتها . فالشرف الوطني والمجد العالمي ودولة كذا فوق الجميع ، اصبحت لا تزيد في قيمتها شيئاً عن الكلام الذي ينشره التجار عن سلعهم في صفحات الجرائد. وكأن مثل الناس في ذلك كمثل المؤمن الذي يسجد لصنم الف سنة طويلة عسى ان يحبوه الغفران ، فلما مات وانتقل الى العالم الآخر ، تلقفته الزبانية ، فلم يستفق الا وهو في سعير يصلى لظاها . فكانت الصدمة على قدر الايمان والاستفاقة على قدر الغفوة الطويلة التي اسلم فيها الشعوب قيادها لمهرة الانتهازيين الذين استطاعوا ان يحكموا المؤامرة من كل اطرافها ، ولكن ليصلوا في النهاية بحمقهم وطماعيتهم الى احداث ازمة روحية تغلي في الصدور

ناهيك بان هذه الحالة قد عقبتها حالة اشد شناعة منها. عقبها اضمحلال الفكرة في المثاليات الاخلاقية . حتى لقد اصبح الكذب والنفاق والختل والمواربة والخيانة لكثرة ما روج لها السياسيون في العصر الحديث ، طابع الخلق العالمي . وعلى حذو السياسيين حذت الشعوب والافراد . فالصادق هو الكذاب الأشر في جماعة لا تعرف الا الكذب . والرجل الحر هو العبد الآبق في جماعة لا تعيش الا بالعبودية . والرجل المستقيم الفكر هو المنافق المخاتل ، في جماعة طابعها النفاق والمخاتلة . والرجل الامين هو الخائن في جماعات ما عرفت الا الخيانة وما قدّست الا الضلال

لقد سعدت الجماعات فيما مضى باحلامها اللذيذة. سعدت بانّ في العالم شيئاً يقال له الشرف وشيئاً يقال لهُ الصدق وشيئاً يقال له الحق . وآخر يدعى الحقيقة . تلك كانت احلاماً. ولكنها نزلت في النفوس منزلة الواقع المسلم بهِ . فكان المعتقد ان هذه الاحلام لها حقائقها ولها آثارها الخارجية . فسيق الناس بها . ولكنهم كانوا على الاقل مؤمنين بها ولو باطلاً . كان الناس يؤمنون مطلق ايمان ولو بشيء باطل . ولكنهم الآن يشكّون ، لا في هذه الاحلام وحدها ، ولكن في حقائق الحياة ذاتها . يشكون في الحق ويشكون في الصدق ويشكون في الحرية . وهذا الشك وحده كاف لأن يحدث ازمة روحية كفيلة ان هي ارادت ان تتنفس بأن لا تترك في المدنية الحاضرة قائماً ولا صعيداً

تلك هي بعض الآثار التي تترتب على قيام الوجه الاقتصادي في اوجه المدنية ، بكل مقتضياته من مال وملكية وسياسة . ففي اي طريق تساق الحضارة ؟



الاشعة اللاسلكية

في مكافحة آفات الحبوب المخزونة



كان نقولا تسلا المستنبط الصربي الاميركي اول من اشار (سنة ١٨٩١) الى امكان استخدام التيارات الكهربائية سريعة التذبذب في الطب. وفي سنة ١٨٩٣ قام دارسونفال d'Arsonval بتجارب جرَّبها في اجسام الناس والحيوانات ثبت له منها ان الامواج الكهربائية سريعة التذبذب لها أثر فعال في زيادة حيوية النسيج الذي توجَّهُ اليهِ. وفي سنة ١٩٠٠ وجد هنجستنبرج Hengstenberg ان استعمال التيارات الكهربائية سريعة التذبذب تعقم موادَّ مختلفة. واثبت عيسو Esau سنة ١٩٢٦ امكان استعمال الامواج المتناهية في القصر في العلاج وتلاهُ شليفيك Schliephake فصرَّح امام جمعية برلين الطبية أن الامواج اللاسلكية القصيرة طريقة من الطرق التي يمكن ان تستعمل لتعقيم بؤر المكروبات في الحلق، وكان تعقيمها قبل ذلك لا يتمُّ الاَّ باستعمال أشعة رنتجن. وفي سبتمبر سنة ١٩٢٦ نشر العالم شيرسشفسكي Schereschewsky نتائج التجارب التي قام بها لمعرفة أثر التيارات سريعة التذبذب في الأرانب وخنازير الهند. ثم لاحظ دايفس وهو مهندس كهربائي اميركي في دسمبر سنة ١٩٢٧ انهُ اذا اخذ مصباحاً كهربائيًّا من النوع الذي يضيء بالتوهج incandescence كالمصابيح الكهربائية المستعملة في دورنا. ووضعهُ على مقربة من سلك هوائي تخرج منهُ امواج لاسكية قصيرة — طول الموجة منها ستة امتار — توهج السلك والغاز اللذان في المصباح. ثم لاحظ احد الباحثين في الشركة الاميركية الكهربائية العامة، ان العمال الذين يشتغلون بامتحان آلات الراديو، ترتفع درجة حرارتهم عن المتوسط السويّ في الجسم البشري. وتلاه هوسنر Hosner فأثبت انهُ يمكن استعمال هذه الطريقة لاحداث اية درجة من الحرارة العالية في اجسام الحيوانات. وبعض المستشفيات الاميركية تستعملها الآن في معالجة بعض الامراض (١)

فلما راجع المستر دايفس نتائج هذه المباحث خطر له استعمال هذه الطريقة للفتك بآفات الحشرات التي تصيب المحصولات الزراعية المخزونة. ذلك ان الطاقة المشعَّة تخترق المواد من دون ان تفقد شيئاً من طاقتها وتحدث حرارة عالية مميتة في اجسام الحشرات التي

(١) أثبت فون يورغ النمسوي ان الشلل العام الناشىء عن الاصابة بالزهري يشفى اذا عولج المشلول بالملاريا. فتدخل جراثيم الملاريا في دمه، فتحدث فيه حمى الملاريا العالية، فتموت جراثيم الزهري ثم يعالج بالكينا فيشفى من الملاريا. فلما استنبطت الطريقة المذكورة لاحداث الحرارة استعيض في بعض الاحوال عن حرارة الملاريا العالية بالحرارة التي تولدها الامواج اللاسلكية القصيرة اذ تخترق الجسم (المقتطف م ٧٧ ص ٣١١)

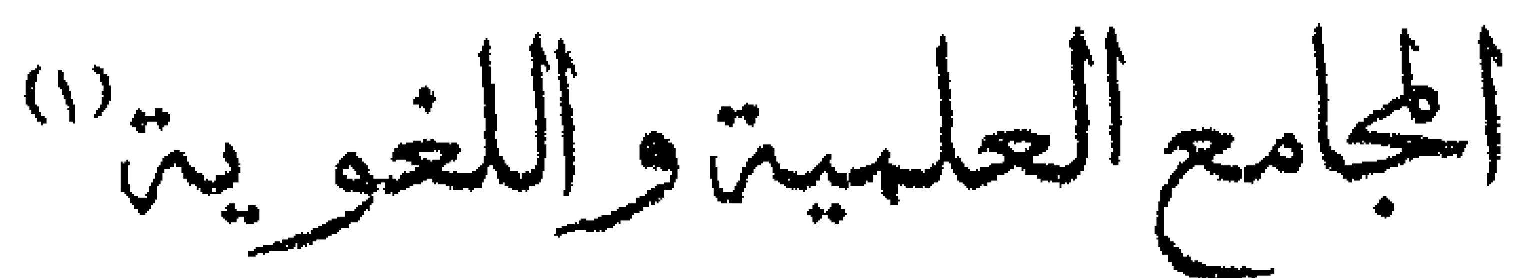
تكون داخل الحبوب . والزراعة في حاجة الى مثل هذه الطريقة الفعّالة ، تمكن الانسان من الفتك بالحشرات في كل ادوار نموها من بيض الى يرق الى حشرات تامة التكوين

يقدَّر ما تخسره الولايات المتحدة الاميركية في قيمة محصول الحنطة المخزون ، بفعل الآفات الحشرية التي تصيبها ، بعشرات الملايين من الجنيهات . والطريقة المتبعة لتخفيف وطأة الحشرات ، هو اخذ الحنطة المخزونة ونشرها للتهوية والتبريد ثم يعاد خزنها . فنموُّ البيض واليرق في داخل الحبوب يقف في خلال التبريد والتهوية. ولكنهُ وقوف وقتي فقط . ذلك انهُ متى اعيد خزن الحبوب ارتفعت حرارتها بفعل تنفس الحبوب وغيره من العوامل الفسيولوجية والطبيعية ، فتعود البيض واليرق الى نشاطها الطبيعي ، فينقف البيض وتنمو اليرقات حشرات كاملة التكوين،وتفسد حبوب الحنطة المصابة وتمتد الآفة من المصاب الى السليم

فاذا وجّه الى الحبوب المصابة بآفة حشرية من هذا القبيل ، تيّارٌ قوي من الاشعة قصيرة الامواج سريعة التذبذب ، قتل الحشرات التي داخل الحبوب ، فاذا منعت اصابتها ثانية بالتخزين المحكم والتهوية ، امكن حفظ مقادير كبيرة من الحنطة زمناً طويلاً من دون ان تتطرق اليها آفة ما

فبعض انواع الديدان ، تحفر انفاقاً في الحبوب التي تلقي فيها بيضها،والانفاق التي تحفرها تخفيها عن الابصار، فلا يستطيع الباحث بنظرة عجلى ان يتبين الحبة المصابة من الحبة السليمة. فاذا انقضت ثلاثة اسابيع او اربعة على هذه الحبوب في مخزن دافئ نقف البيض،فتلتهم اليرقات في خلال نموها باطن الحبوب . وقد قدرت وزارة الزراعة الاميركية ، ان الدودة من ساعة نقفها حتى بلوغها تقتضي اربعة اسابيع ، وان فريقي الذكور والاناث متساويان عدداً ، وان الانثى تبيض مائتي بيضة ، وان كل البيض ينقف وكل يرقة يبلغ ، وعلى ذلك يبلغ نسل ذكر وانثى من هذا الصنف الفي مليون مليون مليون خشرة في خلال ستة اشهر . فلا يعجبنَّ القارئ اذا قيل ان مقادير عظيمة من الحنطة تتلف كلَّ سنة بفعل الحشرات

وقد جرَّب المستر دايفس تجارب دقيقة الغرض منها معرفة فعل الامواج اللاسلكية القصيرة في آفات القمح . فاستعمل تيارين مختلفين ، طول الامواج في احدهما ٣٠ متراً وطول الامواج في الآخر ستة امتار . اما التيار الاول فكان فعّالاً في قتل الحشرات الكاملة النمو في مقادير قليلة من حبوب الحنطة ، بعد تعريض هذه الحبوب تسعين ثانيــة لامواج التيّار . ولكن البيض الذي كان في الحبوب،نقف في ميعاده لان الامواج الطويلة لم تفعل فيه. فجرّب الامواج القصيرة المنبعثة من آلة قوتها ٢٠ كيلو وطاً ووجّهها الى حبوب مصابة مدى ست ثوانٍ فقط، فقتلت البيض واليرق والحشرات الكاملة النمو . ومعالجة الحبوب بهذه الاشعة لا يضعف مقدرتها على التفريخ اذا زرعت بل يزيدها



المجامع العلمية واللغوية [1]

للامير مصطفى الشهابي

الاكادمية لدى اليونانيين الاقدمين ارض على بعد كيلو مترين من أثنا في شماليها الغربي تنسب الى البطل المسمى أكادموس Akadèmos . وهي ارض مملوكة احاطها صاحبها بجدار واتخذها مدرسة . ثم اتصلت بسيمون ابن ملتيادس فغرس فيها اشجاراً متنوعة تسودها ادواحُ بواسق من الدلب ذاع صيتها في تلك الايام . وكان في الاكادمية هيكل للآلهة أتنه Athène محاطٌ باثنتي عشرة زيتونة مقدسة ، ومذابح لآلهةٍ آخرين منها واحد لآلهات الشعر شاده الفيلسوف افلاطون الشهير لانهُ كان يحب تلك الحديقة ويتلذذ بالنزهة في ظلال اشجارها الباسقة . وكان يجلس فيها لالقاء دروسهِ على تلامذته ، لذا اطلق الاقدمون لفظة أكادمية على عصبة تلامذة أفلاطون كما اطلقوا لفظ « مدرسة الأكادمية » على المدرسة التي أسسها هذا الفيلسوف . ثم اتسع مدلول تلك اللفظة فصار يدلّ على مجتمعات الآداب والعلوم والفنون مثل اكادمية البطالسة في الاسكندرية والاكادمية العبرية والمدارس التي أسسها بعض الخلفاء وملوك المسلمين في دمشق وبغداد والاندلس واكادمية شارلمان والفريد الكبير وغيرها وكل هذه اقرب الى المدارس منها الى المجامع العلمية المعروفة في ايامنا هذه.والمجامع العلمية واللغوية كما نعرفها اليوم بدأ تأسيسها في عهد اليقظة في اوربا اي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر من الميلاد . وكانت ايطاليا السبّاقة في هذا المضمار فقد كاد يجتمع لها مجمع او اكثر في كل مدينة من مدنها . وربّ مدينة كبيرة كان فيها عشرون مجمعاً او اكثر لكن معظمها لم يعش طويلاً ولم يقو على صروف الدهر فطاحت بهِ احداثهُ دون ان يأتي اعضاؤه عملاً يذكر

وتبعت فرنسا خطوات ايطاليا في تأسيس المجامع منذ القرن السابع عشر.ولما كانت بلادها موحدة تحت سلطة ملك واحد عاشت فيها تلك المجامع وعمت فوائدها اكثر من اشباهها الايطالية ، وكانت في التاريخ مثالاً احتذتهُ الدول السائرة في ايجاد مجامعها

وكثيراً ما انتقد النقّاد المجامع العلمية إما عن عقيدة واما لغرض في نفوسهم . واهم

---

(١) راجعنا في تلخيص هذا البحث الموسوعة الفرنسية والموسوعة الانجليزية ومعجم لاروس الزراعي وتاريخ التمدن الاسلامي ورسائل اخوان الصفاء وبعض اجزاء المقتطف ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. والمجمع ترجمة Academie والمعهد ترجمة Institut والجمعية ترجمة Société ومن المعلوم ان اللفظة الفرنسية الاخيرة تطلق على الشركة ايضاً

الاغراض اخفاقهم في الانتساب الى احد المجامع فهو ما يدعو الذي عثر به جدهُ عن الانتظام في سلك هذا المجمع الى محاربته اشد المحاربة . ويرى بعض الناس ان اعضاء المجامع العلمية واللغوية يكونون قصيري النظر قليلي الاحاطة بشؤون الحياة يؤثرون انفسهم على الغير ويسيرون بمقتضى اهوائهم ولا يسألون عما يفعلون لهذا تراهم يتمادون في غيهم . لكن الحقيقة ان اعضاء المجامع العلمية بشر يخطئون ويصيبون ونفعهم اعم وقد خدموا العلم والفن واللغة خدمات لا ينكرها الا كل جاهل او اعمى. وقديماً قال رينان « يكون صوت العلم ضعيفاً غالباً أمام جسارة المتجاسرين ووقاحة المتواقحين . ومهما ضعف صوت العلم في بعض البيئات فهو حي لا يموت ومتى سكت الغربان ظل هذا الصوت يدوي حتى لا يُسمع غيرهُ لذلك يكتب النصر للمجامع العلمية دائماً لانها تحمي الحقيقة ولا يدوم غير الحقيقة مهما قل نصراؤها وتألبت عليها الآراء الدنيئة » انتهى

﴿ مجامع فرنسا ﴾ اذا استقصينا مهد المجامع العلمية واللغوية نجده في الغالب في مجتمعات خاصة لاناس تدانت ثقافتهم واتحدت منازعهم فأخذوا يترددون على بيت احدهم يتداولون في العلم او الفن او اللغة وغايتهم خدمتها بما اجتمع لهم من الوسائل والاسباب. كذلك نشأ مجمع اللغة الفرنسي وكذلك كان في فجر حياته سنة ١٦٢٩ . فلما اتصل نبأ هؤلاء النفر بالكردينال ريشليو هالهُ ان لا يمتوا اليهِ بصلة وان لا يكونوا من اتباعهِ فرغب اليهم في بدء سنة ١٦٣٤ ان يكوّنوا جمعية تخدم اللغة تحت سلطة الحكومة واشرافها فترددوا بهِ بادىء بدء ثم رأوا ان لا قبل لهم بالكردينال فاذعنوا . وكان عددهم ١٢ شخصاً فجُعلوا ٢٨ شخصاً. ولبثوا نحو سنة يدرسون الاعمال التي يجب ان يأتوها ثم سنوا في اول سنة ١٦٣٥ قانوناً في خمسين مادة تسموا بموجبهِ «الاكادمية الفرنسية» واهم اغراضها ضبط اللغة وتحديد معاني الالفاظ ووضع ألفاظ جديدة حتى تصبح اللغة الفرنسية لغة علم وفن وعمران كاللاتينية واليونانية في عصورها الذهبية القديمة . ويقتضيهم القانون المذكور تأليف معجم ووضع قواعد في اللغة والمنطق والشعر . وقد جعل عدد الاعضاء ٤٠ عضواً . وظلَّ هذا العدد ثابتاً الى اليوم

وكان الكردينال ريشليو حامياً للاكادمية الفرنسية يذود عنها ويغالب غارات الجهال والحساد وارباب المطامع فكان لزاماً بعد وفاته ان يخلفهُ من هو حسن الظن بها فاستقر الرأي على الوزير سيغيه Séguier وفي ايامهِ صار العضو الجديد يدخل الاكادمية في حفلة علنية وصار مطالباً بتلاوة اطروحة او خطاب . ومن هذه الخطب ما هو مشهور كالخطاب الذي القاه بروير Bruyère سنة ١٦٩٣ والذي القاه بوفون Buffon سنة ١٧٥٣

ورعى لويس الرابع عشر الاكادمية الفرنسية بعنايته وجعلها من دواوين الحكومة الرسمية وخصص لها مكاناً في قصر اللوفر ولم يعارض في امورها ولاسيما في انتخاب اعضائها الا نادراً

واصبح العضو فيها محترماً يشار اليه بالبنان وتمكن العباقرة ان يظهروا في المجتمعات في جانب النبلاء واصحاب الوجاهة ممن لم يسوّدهم سوى المال الذي ورثوه او الأسرة التي ينتمون اليها . ولا شك ان عدداً غير قليل من اكبر ادباء فرنسا ما انتسبوا في حياتهم الى هذا المجمع مثل ديكارت وباسكال وموليير وبوردالو ومالبرانش وغيرهم ومع هذا لا نكران ان المجمع المذكور كان وما برح مثالاً للعبقرية الفرنسية . والادباء والكتّاب يتسابقون عشرات لاخلاف العضو الذي يموت فيه . وكل كاتب مهما كبر شأنهُ وذاع صيتهُ قلما يجلّهُ الناس ويوقرونهُ كاجلالهم وتوقيرهم لاحد اعضاء الاكادمية الفرنسية

وقد قامت الاكادمية بأهم وظائفها فوضعت معجماً للغة الفرنسية يعدُّ ثقة في بابه حددت فيه معاني الالفاظ واضافت الفاظاً ومصطلحات عدة . وطبعت هذا المعجم طبعات كثيرة في مختلف السنين . وهي اليوم مثابرة على عملها تجاه الالفاظ الجديدة . ولها اعمال اخرى منها اشرافها سنويّاً على اكثر من عشرين مباراة ادبية فتفحص اوراق المتسابقين وتحكم فيها وتمنح الناجحين الجوائز المخصصة لهم او الموقوفة عليهم

وفي فرنسا عدا مجمع اللغة المذكور مجامع كثيرة اهمها مجمع الخطوط والآداب ومجمع العلوم ومجمع الفنون الجميلة ومجمع العلوم الاخلاقية والسياسية ومجمع الطب ومجمع الزراعة. فمجمع الخطوط والآداب اسسهُ الوزير كولبر سنة ١٦٦٣ واعضاؤه اربعون . وهم علماء اعلام ينصرفون الى دراسة الآثار والمصانع والمخطوطات واللغات القديمة وتاريخ الآداب. وكان منهم رينان ودارنبورغ وشامبوليون وسيلفستردوساسي وماسبرو وكلهم اعلام استفاضت شهرتهم . ولهذا المجمع مجلة وألف أعضاؤه تاريخاً للآداب ومجموعات في المخطوطات وفي مؤرخي فرنسا ومؤرخي الحروب الصليبية وغير ذلك وهم يشرفون على عدة مباريات ويمنحون الناجحين جوائز حبّسها عليهم اهل البر من عشاق هذه الفنون

أما مجمع العلوم فتاريخه مجهول قبل سنة ١٦٦٦ . وكان اعضاؤه قبل تلك السنة ألفوا بينهم جمعية علمية واخذوا يجتمعون في بيوت بعض رفاقهم . وكان منهم ديكارت وباسكال الشهيران ولما علم بهم (كولبر) وزير لويس الرابع عشر ألّف منهم مجمعاً للعلوم ينتمي الى الحكومة كمجمع اللغة ومجمع الخطوط والآداب وخصص لهم مكاناً في دا الكتب الملكية يجتمعون فيه ويتداولون احاديث العلوم وسيرها في فجر نهضتها . لكن هذا المجمع لبث حتى سنة ١٦٩٩ بلا انظام داخلي وبلا عمل بارز ولا سيما بعد موت الوزير كولبر . ففي تلك السنة سن له نظام يقضي بزيادة عدد أعضائه وباجراء الرواتب على بعضهم . ولما ضاقت دار الكتب عنهم نقلوا الى قصر اللوفر فازداد نشاطهم . لكن الثورة الفرنسية الغت هذا المجمع كما الغت المجامع السائرة واستبدلت بها معهداً جديداً سمته المعهد الوطني للعلوم والفنون يحوي ستين عضواً على فروع

مختلفة عدا عدد كبير من الأعضاء المراسلين . غير ان هذا المعهد لم يدم طويلاً لانه صدر في سنة ١٨١٦ أمر ملكي باعادة المجامع الملغاة مع استبقاء لفظة «المعهد» تطلق على مجموعها فعاد مجمع العلوم الى سابق حاله وصار أعضاؤه ٧٥ عضواً خدموا العلوم خدمات جليلة على توالي السنين

وأما مجمع الفنون الجميلة (وكان أجدادنا يسمونها الآداب الرفيعة) فانه تأسس سنة ١٧٩٥ عقب الغاء مجمعين وجدا قبله وهما المجمع الملكي للرسم والنقش والمجمع الملكي للبناء . ويعد مجمع الفنون الجميلة من أقسام «المعهد» أي معهد العلوم والفنون في فرنسا . وله خمس شعب للرسم والنقش والبناء والحفر والموسيقى . أعضاؤه اربعون وله أعضاء مراسلون كالمجامع الاخرى . وهو يشرف على مدرسة الفنون الجميلة في باريز وله اوقاف ومباريات ومصنفات في تلك الفنون ومعجم

ومجمع العلوم الاخلاقية والسياسية يعدُّ وليد الثورة الفرنسية لانه ما كان معروفاً قبلها . وكان اعضاؤه ثلاثين على خمس شعب للفلسفة والتشريع والحقوق العامة والاقتصاد السياسي والتاريخ العام والفلسفي . وفي سنة ١٨٥٥ أضيف على هذه الشعب شعبة سادسة اعضاؤها عشرة للسياسة والادارة والمال فاصبح عدد الاعضاء اربعين . وقد وهب الشعب والحكومة هذا المجمع هبات مالية او عقارية حَبَسها على مباريات بين المؤلفين في الموضوعات التي يختارها المجمع

ومن المجامع الفرنسية الحديثة مجمع الطب فانه أسس سنة ١٨٢٠ بمرسوم أصدرهُ لويس الثالث عشر وأهم اغراضه البحث في شئون حفظ الصحة والامراض السارية والطب الشرعي والمياه واستحضار العلاجات وتهيئة المصل ضد الامراض وكل ما يدعو الى تقدم صناعة المداواة والشفاء من الامراض . وكان على ثلاث شعب طب وصيدلة وجراحة . وكان فيه ٨٥ عضواً عاملاً و ٦٠ عضواً فخريًّا وعدد كبير من الاعضاء المراسلين او المؤازرين . وقد تبدل نظامه مراراً وهو اليوم يحوي شعباً كثيرة لمختلف العلوم الطبية

واحدث المجامع في فرنسا مجمع الزراعة فانه أنشيء ايام الحرب الكبرى بمرسوم مؤرخ في ٢٣ شباط (فبراير) سنة ١٩١٥ فقام مقام الجمعية الملكية الزراعية التي كانت أوجدت ايام لويس الخامس عشر سنة ١٧٦١ ثم سميت بعدها باسم الجمعية الوطنية الزراعية بموجب مراسيم مختلفة صدرت في السنين ١٨٧٨ و ١٨٧٩ و ١٨٨٠ . وفي مجمع الزراعة ٧٢ عضواً عاملاً و ١٥ عضواً اجنبيًّا و ٣٠ عضواً غير مقيمين في فرنسا و ١٥٠ مراسلاً في فرنسا والجزائر والمستعمرات الفرنسية و ٥٠ مراسلاً من الاجانب . ووزير الزراعة هو رئيس المجمع الفخري وللمجمع حق مراسلة المجامع العلمية الفرنسية والاجنبية مباشرة او بواسطة رئيسه الفخري وهو على قسمين الاول للعلوم الزراعية . والثاني للعلوم المتعلقة بالزراعة . وفي القسم الاول خمس شعب للزراعة المتسعة والزراعة الخاصة والحراج والحيوانات الدواجن والاقتصاد

الزراعي وما اليه كالاحصاء والتشريح الزراعي . أما القسم الثاني ففيه اربع شعب للعلوم الطبيعية والكيماوية الزراعية وللمواليد الزراعية وللآلات الزراعية وللعلوم السائرة المتعلقة بالزراعة . وللمجمع مجلة شهرية ودروس وتقارير وابحاث مطبوعة . وهو يشرف على مباريات ويمنح الفائزين جوائز ومداليات

﴿ مجامع ايطاليا ﴾ ايطاليا كما ذكرت من اقدم البلاد التي تأسست فيها المجامع العلمية . وكانت كلها بادىء بدء جمعيات تعاقد اعضاؤها على خدمة العلوم والفنون والآداب . ومعظمها تلاشت مع الأيام وأشهرها المجمع الافلاطوني Accademia platonica في فلورنسا لدراسة فلسفة افلاطون . وقد تفرق اعضاؤه في سنة ١٥٢١ فلم يجتمعوا بعدها . واول مجمع علمي في ايطاليا مجمع علم الطبيعة أسس سنة ١٥٦٠ وكان اعضاؤه يتداولون في الطب وفي الفلسفة الطبيعية فاتهم رئيسه بالسحر فطلب البابا بولص الثالث الغاء المجمع فالغي . وعقبه مجمع لِنسَاي في رومة سنة ١٦٠٣ وكان غاليليو الشهير من أعضائه وهذا المجمع لم يعش الا لسنة ١٦٣٠ لكنهم اطلقوا هذا الاسم على مجمع أسس حديثاً أي في سنة ١٨٧٠ رعتهُ الحكومة الايطالية وسنت له قانوناً في سنة ١٨٧٥ وحبتهُ بالمال الكافي وهو على شعبتين شعبة للعلوم الاخلاقية والسياسية وشعبة للعلوم الطبيعية

ومن المجامع الايطالية القديمة مجمع سيمانتو Cimento للعلوم الطبيعية أسس سنة ١٦٥٧ وكان طوريشلي الشهير من اعضائه وقد نشر ابحاثاً ثمينة وتجارب مفيدة في ضغط الهواء وقابلية ضغط الماء وفي الحرارة والصوت وغيرها . ومن المجامع التي عاشت طويلاً مجمع كروسكا Crusca اللغوي تأسس سنة ١٥٨٢ في فلورنسا فانكب اعضاؤه على وضع معجم للغة الايطالية عُدَّ ثقة في بابه . وقد أُعيد تنظيم هذا المجمع سنة ١٨٠٩ وهو لا يزال حيًّا

وللفنون الجميلة في ايطاليا مجامع عديدة كمجمع ميلان ومجمع تورين وكمجمع الرسم وغيرها

﴿ مجامع انكلترة ﴾ لا يسمون في انكلترة عصبة العلماء والادباء مجمعاً . بل جمعية. ويطلقون لفظة المجمع على جماعة الفنون الجميلة وحدهم . فالجمعية الملكية في لندن هي في منزلة مجمع العلوم في باريز او في برلين وهي ليست اقل منهما شأناً . وترجع محاولة تأسيسها الى سنة ١٦١٦ . وفي سنة ١٦٤٥ اخذ تلامذة باكون يجتمعون في اوكسفورد ويتدارسون العلوم المادية حتى اذا صعد كارلوس الثاني على اريكة العرش سنَّ لهم نظاماً في سنة ١٦٦٢ فكان فيه أساس جمعية لندن الوطنية . وسرعان ما تألق نور هذه الجمعية فاليها قدم نيوتن أهم مكشوفاته فنشرتها في مجموعاتها . واليها ينسب معظم علماء انكلترة (بل معظم علماء العالم) امثال نيوتن وهاليّ وسمبسون وفاراداي وكافانديش ودافي وطمسن ورذرفورد وغيرهم . وظلت لامعة في عالم العلوم طيلة القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر وهي اليوم في مقدمة المجامع العلمية

اما مجمع الفنون الجميلة ومدرستها فقد بدأت كغيرها جمعية خصوصية كثيراً ما تخاصم اعضاؤها وتنازعوا حتى سنة ١٧٦٦ اذ عطف عليها جورج الثالث فسنَّ لها نظاماً . وسميت بعد ذلك باسم المجمع الملكي وكان اعضاؤها اربعين عضواً بين رسام ونحات وبنّاء . واليها يرجع الفضل في تقدم الفنون البريطانية الجميلة منذ القرن الثامن عشر الى يومنا هذا وثمة جمعيات ومعاهد اخرى للعلم والهندسة على اختلاف فنونها والاقتصاد لا يتسع المقام لذكرها

﴿مجامع المانيا﴾ اول مجمع علمي تأسس في برلين الجمعية العلمية وذلك في سنة ١٧٠٠ ايام فريدريك الاول . وانتخب لبنتز الشهير رئيساً لها . وغرضها جمع العلوم المختلفة وتنميتها وتزييد الانتفاع بها . ولكن صاحب التاج ما كان عطوفاً على تلك الجمعية ولم يشأ ان ينفق عليها من موازنته فلم تقم لها قائمة الا أيام فريدريك الثاني اذ اتحدت مع الجمعية الأدبية وتسمتا باسم المجمع البروسي للعلوم والآداب وذلك سنة ١٧٤٣ . ومنذ ذلك التاريخ اخذ أعضاء المجمع يجتمعون بانتظام مقسمين اربع شعب للعلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والأدبية (ومنها اللغوية) . ومن المعروف ان فولتر انتظم في سلك هؤلاء الاعضاء على اثر رفض انتخابه لمجمع العلوم في باريز . واغدق فريدريك الثاني على مجمع برلين مالاً واوقف عليه ارضاً واحله بناء فخماً ورضي ان يكون رئيسه الأعلى . وجعلت اللغة الفرنسية لغة رسمية للمجمع بدلاً من اللاتينية . وظلت كذلك الى ايام فريدريك غليوم الثاني الذي خلف فريدريك الثاني فانه استبدل اللغة الالمانية باللغة الفرنسية . وساهم هذا المجمع في تقدم العلوم الى يوم الناس هذا وهو يعد من اكبر مجامع العالم في دروس اللغات والتاريخ خاصة . وفي سنة ١٧٠٣ تأسس في برلين مجمع للفنون الجميلة كما تأسس في سنة ١٧٥٩ مجمع علمي في مونيخ وكما تأسس آخر في ليبتزج سنة ١٨٤٦

﴿مجامع اميركا﴾ عدد المجامع العلمية في الولايات المتحدة كبير ونفعها عظيم ولا سيما في العلوم المادية العملية . فمجمع العلوم والفنون تأسس سنة ١٧٨٠ في بوسطن واغراضه تشجيع دروس الآثار ودروس المواليد وتطبيق العلوم والفنون على صناعات البلاد ومحصولاتها الطبيعية . ويسمونهُ المجمع الاميركي حسبُ ولهُ خزانة كتب كبيرة ومؤلفات أخذ ينشرها منذ سنة ١٧٨٥ وأهم ما فيها فوائدها العملية . ومن أهم المجامع الاميركية مجمع العلوم الطبيعية في فيلادلفيا . تأسس سنة ١٨١٢ واعترف به سنة ١٨١٧ . وقد اوجد متحفاً للمواليد من اغنى متاحف العالم ودار كتب حوت مئات الالوف من الاسفار . ولهُ مجلة وتصانيف في تعريف مجاميع المتحف من نباتات وحشرات وطيور وحيوانات سائرة

ومنها مجمع العلوم الوطني تأسس سنة ١٨٦٣ لفحص المسائل العلمية التي تطرحها الحكومة ودرسها وكتابة تقارير فيها . وكان اعضاؤه خمسين عضواً فأربوا اليوم على مائة وخمسين . وفيه شعبتان احداهما لعلم الطبيعة والرياضيات والثانية للمواليد الثلاثة . وله مجلة ورسالات ومصنفات

ومنها معهد سمثصُنْ الشهير تأسس في واشنطون سنة ١٨٤٦ بما اوصى بهِ جمس سمثصُنْ المتوفى سنة ١٨٢٩ .وقد بذلت هذه الجمعية جهدها في جمع المجاميع للمتحف الوطني حتى صار من اغنى متاحف العالم ولاسيما فيما يختص بالانسان والحيوان والمعادن. وجمعت عدداً عظيماً من الكتب أُضيفت الى دار الكتب الوطنية . وسهلت البحث العلمي وشجعته وخاصةً في ما يشق على مختبرات المدارس والجامعات إما لقلة المال او لقلة الاختصاص . وكانت خير واسطة بين العلماء والمعاهد العلمية . ولها نشرات ومصنفات عديدة

﴿ المجامع السائرة ﴾ تأسس في اسبانيا سنة ١٧١٣ مجمع ملكي للغة الاسبانية على غرار مجمع اللغة الفرنسي ومجمع كروسكا الايطالي فنشر معجماً ظهرت طبعتهُ الاولى من سنة ١٧٢٦ الى سنة ١٧٣٩ .وتأسس فيها ايضاً مجمع للفنون الجميلة (سنة ١٧٤٤) وآخر للعلوم (سنة ١٨٤٧) وهو على ثلاث شعب للعلوم الطبيعية والرياضية والمواليد

وفي فينَّا مجمع امبراطوري للعلوم تأسس سنة ١٧٤٦ وآخر للفنون الجميلة اقدم من الاول. وفي روسيا مجمع للعلوم ظهر ايام بطرس الاكبر سنة ١٧٢٤ . وكان جميع اعضائهِ اجانب المانيين وسويسريين . وكان يشترط عليهم تعليم الروسيين وتهيئة علماء من ابناء البلاد يخلفونهم في المجمع. وكان الاعضاء المذكورون يؤلفون بالفرنسية والالمانية والروسية .وقد قام هذا المجمع بأعمال لا بأس بها وصار جميع اعضائه او معظمهم من الروسيين منذ اوائل هذا القرن

ولا تخلو دولة من الدول الاوربية والاميركية السائرة من مجمع او اكثر ويطول بنا نفس الكلام اذا ما رحنا نستقصيها في هذه المقالة الموجزة

﴿ مجامع البلاد العربية ﴾ قلت ان الاكادميات القديمة كانت اقرب الى اسواق العرب في الجاهلية وحلقات التدريس في الاسلام منها الى المجامع العلمية واللغوية المعروفة في ايامنا هذه . فسوق عكاظ وامثالها في الجاهلية تعدُّ من أقدم اكادميات العرب وكذا مجتمع اخوان الصفاء في القرن الرابع من الهجرة . ويمكننا ان نضع في عدادها ايضاً بعض المدارس والربُط والمستشفيات القديمة كالمدارس النظامية التي أسسها نظام الملك وكالازهر ومدارس الاندلس والعادلية في دمشق والصلاحية في القدس وعشرات من امثالها

اما الاكادميات كما نعرفها اليوم فأولها على ما نعلم المعهد الفرنسي في مصر ايام نابليون وقد درس رجاله دروساً مهمة وألفوا في مختلف العلوم والفنون مصنفات يعرفها كل من لهُ اطلاع على تاريخ مصر الحديث . ويوجد اليوم في دمشق معهد فرنسي يبحث اعضاؤه في بعض شؤوننا الشرقية كما يوجد في مصر معهد للعلوم وجمعية للجغرافيا وجمعية للحشرات ولها كلها صبغة اجنبية. وفيها لجنة التأليف والترجمة والنشر وهي من أرقى الجمعيات الادبية وانفعها . وفيها ايضاً المجمع المصري للثقافة العلمية واعضاؤه علماء أسسوه منذ بضع سنوات

واشترطوا على كل عضو ان يلقي محاضرة في كل سنتين على الاكثر فاجتمع لديهم مصنف من المحاضرات في ابحاث علمية ثمينة . وفي تونس جمعية تسمى الجمعية الخلدونية لها مدرسة ودار كتب وردهة تلقى فيها محاضرات معظمها مفيد فيه بحث وتحقيق . وظهر في الشام بعض جمعيات لخدمة الادب واللغة (كجمعية النهضة السورية وكالرابطة الادبية في دمشق) لكن السياسة طاحت بها فلم يطل عمرها . وحاول السيد توفيق البكري رحمه الله تأليف مجمع لغوي في القاهرة سنة ١٨٩٢ فتم له ما أراد لكن عمر هذا المجمع كان قصيراً ونفعه لايذكر . وفي سنة ١٩٠٧ تأسس نادي دار العلوم في القاهرة . وكان رئيسه المأسوف عليه حفني بك ناصف وهذا النادي ايضاً لم يكتب له البقاء كما انه لم يكتب للمجمع اللغوي الذي اوجد سنة ١٩١٧ برئاسه شيخ الجامع الازهر ولا لمجامع بيروت وبغداد وعمان وكلها قامت بعد الحرب الكبرى (١٩١٤—١٩١٨) بمعونة مالية من حكومات لبنان والعراق وشرقي الاردن فلم تعش كثيراً اما لانقطاع المال عنها او لانه كان يعوزها غير المال

والمجمع الوحيد الذي قاوم صروف الدهر واحداثه من ضيق في البيئة وشح بالمال وجهل في سواد الشعب وفي ارباب الوجاهة على السواء ، هو المجمع العلمي العربي بدمشق . تأسس سنة ١٩١٩ وخصصت له الحكومة اعانة ضئيلة فاصلح مدرستي العادلية والظاهرية واتخذها مقراً له . وسار في عمله على خطة ما حاد عنها حتى اليوم وهي اولاً جمع الكتب المطبوعة والمخطوطات القديمة وضمها الى دار الكتب التي اوجدها بجانب الخزانة الظاهرية . ثانياً القاء محاضرات في مختلف العلوم والفنون التي اختص بها اعضاؤه وغيرهم ممن لهم مكانة علمية او أدبية . ثالثاً فتح غرف للمطالعة . رابعاً جمع النصب والتماثيل والنقود القديمة والآثار السائرة حجرية كانت او خزفية او معدنية او قاشانية او زجاجية او خشبية وايجاد متحف (او نواة متحف) في دمشق وآخر في حلب . خامساً اصدار مجلة تبحث في اغراض المجمع وفي منتوجات قرائح اعضائه وغير اعضائه

فاما جمع الكتب فقد صار في خزائن كتب المجمع اكثر من عشرين الف كتاب منها نحو ٤٠٠٠ مخطوط معظمها في دمشق والبقية في فرع حلب . واما المحاضرات ففي كل اسبوع او اسبوعين (عدا اشهر الصيف) تلقى محاضرة في ردهة المجمع . وقد جمع قسم من المحاضرات في كتاب ونشر قسم في مجلة المجمع . وموضوعاتها مختلفة : وفي بعضها ابحاث لم يسبق اليها احد . واما غرف المطالعة فانه يغشاها في كل شهر ١٥٠٠ مطالع وهو الرقم المتوسط . واما جمع الآثار فقد قام المجمع بما اخذ على نفسه القيام به في هذا الصدد فأسس المتحف السوري بدمشق . وهو على صغره يحوي اليوم ٩٠٠٠ قطعة منها مجموعة من القطع الزجاجية القديمة تعد فريدة في نوعها . واما مجلة المجمع فيعرفها كل من له شغف بالابحاث العلمية والادبية

واللغوية . وهي تتناول جميع اغراض مجمع دمشق ولا تقتصر على اللغة . ومع هذا فان لها في هذا الباب ابحاثاً ثمينة فقد اصلحت كثيراً من اغلاط الكتاب وذكر فيها اعضاء المجمع بضع مئات من الالفاظ العربية او المعربة وضعوها لمعان علمية في الزراعة والنبات والحشرات وعلم الطبيعة وغيرها . ولو جمع كل ما نشر في هذا الصدد او كل ما لدى اعضاء المجمع منه في دمشق لتألف من هذه الالفاظ ومن مقابلها بالفرنسية واللاتينية كتاب لا يعرف قيمته الا من عانى صعوبة وضع الفاظ عربية للعلوم والمخترعات الحديثة

وينعى بعضهم على المجمع العلمي العربي بدمشق انه لم يوجد حتى اليوم معجماً افرنجياً عربياً للمصطلحات العلمية ولا معجماً عربياً تفسر فيه معاني الألفاظ تفسيراً علمياً كما في معجم لاروس الفرنسي . وسها عن بال هؤلاء ان عملاً كهذا ولاسيما الاول منه لايجوز بحال ان ينفرد به مجمع دمشق بل لا يجوز ان يأتيه سوى مجمع مشترك يضمّ علماء من الاقطار العربية كافةً . وهو ما أشارت اليه مجلة مجمع دمشق غير مرة ونبهت الى ان المصطلحات التي يضعها اعضاء المجمع وتنشر في مجلته لا تعبر على وجاهتها الا عن رأي واضعي هذه الالفاظ والمجمع لا يسوغ لنفسه حق إقرارها مجمعياً للأسباب المذكورة

واعضاء مجمع دمشق اليوم ١١٥ عضواً منهم ١٨ عضواً في دمشق و٣٧ من المستشرقين والباقون في انحاء الشرق وفي المغرب

وآخر نبأ في صدد المجامع العربية المرسوم الذي اصدره جلالة الملك فؤاد الاول في ١٤ شعبان سنة ١٣٥١ (ديسمبر سنة ١٩٣٢) وهو يقضي بتأسيس مجمع ملكي للغة العربية في القاهرة . وتقضي مادته الرابعة بأن لا يتقيد اعضاؤه بالجنسية ولهذا يمكن انتخاب بعضهم من اعلام العرب غير المصريين ومن نبهاء المستشرقين . وقد اصاب واضعو هذه المادة كل الاصابة لان اللغة العربية ليست وقفاً على مصر وحدها ولان مجمع مصر اذا لم يكن مشتركاً لا يأتي بالفائدة المطلوبة بل ربما كان وجوده داعياً الى ازدياد التشويش والى تخبط اعضائه بمصطلحات جديدة قد لا يقرها علماء الاقطار العربية السائرة . اقول هذا ردًّا على بعض المتعصبين من اخواننا المصريين الذين يظنون ان مصر تستطيع وحدها او يجوز لها وحدها ان تقوم بأهم غرض من اغراض مجمع اللغة العربية وهو وضع معجم افرنجي عربي لمصطلحات العلوم والمخترعات الحديثة . وقد مرّ الى اليوم اربعة اشهر على وضع المرسوم المشار اليه ولم يعين اعضاء المجمع . وعلى كلٍّ اذا احسنت الحكومة المصرية انتقاء هؤلاء الاعضاء واقصت عن المجمع الاهواء السياسية ولم تبخل عليه بالمال فسيكون جديراً بأن يصبح المجمع المشترك الذي ما برحنا نرقب تأسيسهُ وسيكون خليقاً بأن يخطو بلغتنا العربية الكريمة خطوات تدنيها من مصاف اللغات الاوربية الحية

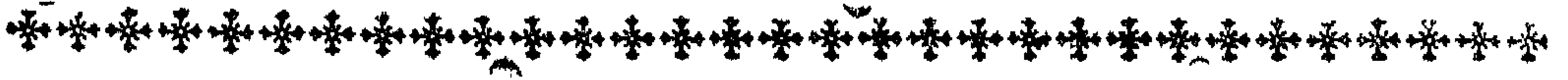


منحة العلم

تأثير الآلات في حياة المجتمع الانساني

التفاعل بين العقل الفردي والعقل الاجتماعي

لنقولا الحداد



يلقبون هذا العصر بعصر الآلات. وهو جدير بهذا اللقب . لان تأثير المخترعات الحديثة في الحياة الاجتماعية اهم مزية ظاهرة فيهِ . فلنتخذ هذا التأثير نواة بحثنا

قلما كان عامة الناس يفطنون لتأثير الآلات في حياتهم اليومية وفي التطور الاجتماعي لانهم معاصروها . وما انتقلوا انتقالاً مفاجئاً من عصر خالٍ من المخترعات الى عصر حافل بها (وهي فيهِ تشغل كل وسيلة من وسائل المعيشة) لكي يقابلوا بين ذاك وهذا . بل جاؤُوا الى الحياة والمخترعات تسبقهم اليها مولداً وتعيش معهم اسرع نمواً وتبقى بعدهم آجلة

على ان التطور الاجتماعي الحالي المفاجيء والسريع نبّههم الى تأثير المخترعات فيهِ . فعلّل السواد الاعظم منهم الازمة الاقتصادية الحالية بانها نتيجة حلول الآلات محل الايدي العاملة . فكان هذا الحلول علة البطالة ، فعلة ضنك العامّة الذين يعتمدون في الاسترزاق على عملهم ، فعلة ضعف قوة الشراء ، فعلة بطء حركة الرواج ، الى غير ذلك من حلقات سلسلة اسباب لا تنتهي . وقد تمادى بعضهم في التعليل الى ان نقم على العلم الحديث لانهُ هو الذي انتج هذه المخترعات

فما اسخف هذه التعليلات ! وما اضلّها ! العلم قديماً وحديثاً كان ولا يزال القوة العاملة في تقدُّم التمدُّن منذ قبض الانسان على يد المحراث الى ان صار يستضيء بمصباح الكهرباء ويناجي اخاه الانسان بواسطة الراديو الخ . فاذا كان انسان اليوم يتمتع بمحامد المخترعات الوف اضعاف ما تمتع بهِ جدّهُ الاول فانما يتمتع بها بفضل منحة العلم هذه . ولكن اذا كان المجتمع الانساني قد اساءَ استعمال هذه المنحة او انهُ لم يدرِ كيف يجب ان يتمتع بها افراده جميعاً على السواء فما هو ذنب العلم ؟ وما هو ضلال تلك المخترعات ؟ ان العلم قصد خيراً للجنس البشري . ولكن الجنس البشري برهن بسوء تصرُّفهِ على انهُ لا يستحق هذا الخير

اما حدوث الازمة العالمية فله اسباب او سبب رئيسي غير تكاثر الآلات . ولهُ بحث آخر لا يسعهُ هذا المقال ولا هو من فروعهِ

يلاحظ بعض المفكرين ان عصر الآلات هذا يؤثر تأثيراً سيئاً في العقلية الفردية الى ان

يضعفها . فهو في زعمهم خطر على النبوغ الفني . فمن امثلة ذلك قولهم ان الطباعة بالالوان تكاد تقضي على فن التصوير الزيتي والزخرفة ، وكذلك شأن التصوير الشمسي . وبين الفريقين بون في الجمال . وان السنما يكاد يقتل فن التمثيل عن يد المزاحمة مع انهُ مهما أتقن السنما فلا يضارع التمثيل ، واذا كان الناس يقبلون على ذلك دون هذا فليس لشدة اعجابهم بالتمثيل السنمائي بل لدهشتهم من غرابة هذا الاختراع ولارتياحهم الى المناظر التي لا تتيسَّر في مسرح يقاس بالامتار . وان الراديو (والفونوغراف ايضاً) كالسنما يزاحم فن الموسيقى ويكاد يقضي عليهِ او على اندية الغناء والعزف . وان الآلة الكاتبة تقضي على فن الخط ، والآلة الحاسبة التي تجمع وتطرح وتضرب وتقسم وتربع وتكعب وتجذر الخ تقضي على قوة العقل الحسابية او تضعفها بسبب الاستغناء عنها : — بمثل هذه الامثلة يمثلون على إضعاف النبوغ والعبقرية في الفنون جميعاً ، بل على ضعف العقل ايضاً بحجة ان الآلات لا تحل محل اليد والعضل فقط بل تحل محلَّ المواهب العقلية ايضاً

ولكن فات هؤلاءِ المتشائمين من تأثير الآلات وخطرها على النبوغ الفني والمواهب العقلية ان النبوغ نفسه والمواهب انفسها تتطوَّر وتتحوَّل من حال الى حال كتطور الحياة الانسانية والحياة العقلية والحياة الاجتماعية على العموم . فقد نبغ العقل الفني يوم لم يكن للفن من اداة الاّ الانامل والريشة والقلم والعاطفة والهيكل الجسماني في التمثيل ومرونة الاوتار الصوتية في الحنجرة والقوة الحاسبة في العقل الخ . ولكن لما امكن ان تقوم الآلات بكل امانة وبلا خطإٍ مقام هذه المواهب والاعضاء والعواطف الخ لم يعد للنبوغ القديم وظيفة في هذه المناطق وصار عليهِ ان يبتدع لنفسهِ مناطق اخرى لكي يبرّز فيها . فلما صارت الآلة الحاسبة تقوم مقام العقل في الجمع والطرح الخ بلا خطإٍ بتاتاً وتريحهُ من عناءِ هذه العمليات الشاقة تفرَّغ العقل للنبوغ في عمليات اسمى من هذه كنسبية اينشتين وكونتم Quantum بلانك والكهرب والجو الكهربائي المغنطيسي الذي تولَّد منهُ الراديو الخ . وقس على ذلك اموراً كثيرة تفادياً للاسترسال في ضرب الامثلة

مع ذلك لم يُستغنَ عن الفن والمواهب العقلية السابقة . بل استغني عن تعدد النوابغ فيها . لا يزال المجتمع في حاجة الى فن التصوير ليغذي فن الطباعة المصوَّرة ، وفي حاجة الى الموسيقي البارع لكي يموّن الفونوغراف والراديو ، وفي حاجة الى كل نبوغ وموهبة عقلية لتغذية كل اختراع . ثم ان الاختراع نفسه ثمرة النبوغ . أليست هذه الآلات والمخترعات العجيبة بنت نبوغ جديد اعظم شأناً من ضروب النبوغ السابقة . اي نبوغ اعظم من النبوغ الذي انار العالم بالمصابيح الكهربائية والنبوغ الذي ينقل الينا الكلام والاصوات والمخاطبات على ابعاد سحيقة بمثل لمح البرق ، والنبوغ الذي يحملنا على متن الهواء

ان تأثير الآلات في جميع صنوف الحياة الفردية فضلاً عن الحياة الاجتماعية ليس خطر عليها وليس فيهِ من اذًى البتة . بل بالعكس فيهِ من التأثير الحسن ما لم يحلم بهِ انسان الامس تأثيره الحسن في الحياة الفردية عظيم جدًّا ، وتأثيرهُ الحسن في الحياة الاجتماعية أعظم فهو يعجل التطوُّر الاجتماعي الذي تتَّجه اليهِ الهيئة الاجتماعية تعجيلاً سريعاً جدًّا

ان التطور الاجتماعي متَّجه الى توحيد الامم ، أي الى صوغها جميعاً في امة واحدة وتأثير الآلات يخدم هذه الصياغة

توحيد الامم يستلزم ان تتشابه الامم في الاخلاق والآداب والعقلية ، وان تتساوى في المعرفة ، وان تتماثل في التصورات ، وان تتقارب في العادات ، وان تتوازن في الانظمة ، وبالاجمال ان تسبك جميعاً في قالب واحد لكي يستطاع تكوين عقلية اجتماعية واحدة ذات عاطفة واحدة ، ولكي يستطاع تعميم نظام واحد لها . ومخترعات هذا العصر قائمة بهذه الصياغة حتماً . والمخترعات الخاصة بالمواصلات قائمة بالجانب الاكبر من هذا العمل

خذ اشرطة السنما مثلاً . الشريط الواحد ينتشر في جميع أنحاء العمور ويرسم في مخيلات ألوف الملايين من الناس تصوُّراً واحداً لكل حادث وفن ومنظر وعاطفة ومعرفة كأنَّ جميع ناس الكرة الارضية مشرفون على مشهد واحد من مشاهد الحياة. وكل يوم يرون منها مشهداً جديداً . واذن كلهم يتأثرون نفس التأثرات وتنشأ فيهم نفس الميول والعواطف والاخلاق سواء أكانت مدمِّثة مثقفة او مفسدة . وتلافي الفساد فيها يكفله الزمن . والميل الانساني الفطري الى الرقي يرشد الانسان الى وسائل الرقي الصالحة بالاختبار والتجربة

وتعميم المعاملات بواسطة المواصلات السريعة على متن الاثير والهواء والكهرباء جعل أفضل الانظمة الاجتماعية متشابهة عند جميع الامم . بل يكاد يكون للامم جميعاً نظام واحد في السياسة والادارات الاقتصادية والحكومية والادبية وسائر الانظمة الاجتماعية. وللطباعة يد طولى في تعميم العلم والمعرفة والآداب والفنون والصناعات عند جميع الامم . وانتشار سلع المصانع والمعامل على طراز واحد في جميع الممالك جعل افراد الامم متشابهين في الازياء والعادات كل التشابه

لا متَّسع لزيادة التفصيل. فنكتفي بما تقدم من الامثلة لبيان تأثير عصر الآلات في المجتمع الانساني بحيث يُعدُّه لصياغة واحدة في قالب واحد تمهيداً وتسهيلاً لتوحُّد اممهِ متى بدت فضيلة هذا التوحُّد . وفضيلته تنشئ الرغبة فيهِ . فمسألة تآخي الامم وانتظامها في سلك الوحدة مسألة وقت فقط . لا اظن هذا الوقت بعيداً . والفضل في هذه النتيجة الحميدة يعود الى عصر الآلات . والفضل في مزيَّة (لا ميزة) هذا العصر الجميلة يرجع الى العلم . والعلم ينتشر في جميع الامم وجميع طبقاتها بفضل نفسهِ . لانه وهو الذي ابدع الآلات وسهَّل

اسباب المعايش وقرّب وسائل التعلّم لمنال كل فرد وابان فضائله كالنور الساطع ، جعل نفسه منحة مجانية لجميع الناس . قابل هذا العصر بالاعصر التي سبقتهُ وانظر كم كانت الامم متباينة في معارفها واخلاقها وميولها وعاداتها وتقاليدها وازيائها الخ . لانها كانت محرومة وسائل المواصلات السريعة . فكأنه كان بينها حدود تفصلها بعضها عن بعض فكانت تمادى في تباينها ولا سيما تباين لغاتها . اما الآن فالامر بالعكس . تمادى في التشابه والتشبّه

وإذ كان الناس يسيئون استعمال هذه المنحة واساءتها تجرُّ عليهم بعض الاحيان وبالأ فلأن ادب النفس Ethics لا يزال ضعيفاً في العقل الانساني والعقل الاجتماعي . وما عيب المجتمع في هذا العصر الناشئ رقيًّا الاّ هذا الضعف . فقد ارتقى المجتمع والانسان كثيراً اذا قيسا الى سلفيهما القديمين — ارتقيا ماديًّا وعقليًّا جدًّا . ولكنهما لا يزالان قاصرين ادباً نفسيًّا. وهذا هو سرُّ ان الانسان لم يقدر قيمة منح العلم حق قدرها ولا يزال لا يستحقها . ولكن العلم حليم جدًّا . لا يعتب على الانسان وعلى مجتمعهِ لكنودهما ولسوء استعمالهما منحةُ الكريمة بل هو يستمرُّ في عملهِ لتدميث الاخلاق وتهذيب النفوس وتقويم الاخلاق وتنبيه الضمائر . والتجارب والاختبارات كفيلة برد الانسان الى رشدهِ لكي يرقي نفسه ادبيًّا

رأيت فيما تقدم ان الآلات وسائر صنوف الاختراعات تلعب ادواراً عظيمة الشأن على مسرح التطور الاجتماعي . حتى انها تغير مجراه في بعض الاحوال ، وتبدي المجتمع في كل حين في شكل جديد وفي ثوب قشيب . بل لا يندر ان تهدم بعض جدرانهِ وتجدّد بنيانه . ففيما هي من صنعة النبوغ الفردي والمواهب العقلية الممتازة تراها ترد هذا الفعل للمجتمع بأن تصنع موادهُ وادواته وتجدد هيكله وطرازه . والمجتمع في نوبتهِ يصنع عقلية جديدة للفرد ويجدد شكل ذهنيتهِ ويغير وجهة ميولهِ . فكأنَّ التفاعل الذي بين الفرد والمجتمع ، او بين العقل الفردي والعقل الاجتماعي لا يتم مباشرة بينهما بل بواسطة الآلات والادوات المادية . العقل يبتدع الآلات . والآلات تجدد تطور المجتمع . والمجتمع المتجدد نفسه يستخدم الآلات نفسها لتطوير عقلية الافراد . هكذا يحدث التفاعل بين العقلية الفردية والعقل الاجتماعي على نحو تفاعل العقول والنفوس الفردية بواسطة وسائل الاتصال المادية كأمواج النور التي تنقل صور الحوادث والاشارات الى الناظرين ، وكأمواج الراديو التي تتولى هذا النقل على مسافات بعيدة ، وكأمواج الصوت الهوائية التي تنقل الاصوات والكلام الى الآذان . والناس يتناولون افكارهم ويتلقون اختباراتهم عن طريق أبصارهم واسماعهم . حتى ان توارد الافكار Telepathy ان صحَّ انه ظاهرة عقلية حقيقية لابد ان يكون بواسطة امواج اثيرية ان صح وجود الاثير او بواسطة امواج كهربائية مغنطيسية تقوم مقام الاثير

الشاعر والزمان

لحسن كامل الصيرفي

يعانق القيثارَ في حسرةٍ　　قد استلست أوتارَها العاصيه

يسامرُ الدهرَ بألحانهِ　　وخمرهِ، والدهرُ في ناحيه

يَوَدُّ لو يُصغي الزمان الذي　　تهُدُّهُ اغراضُهُ العاتيه

تقوده من مَنهجٍ واضحٍ　　على رنين المالِ للهاويه

قد عربدَ الدهر فلم يستمعْ　　للعازفِ اللحنِ ولا الشاديه(١)

وقام في ثورةِ احلامهِ　　يطعَنُ في طغيانهِ ساقيه

وأنّةُ المطعونِ في قلبهِ　　مطموسةٌ في الصرخة الداويه

ما الشاعرُ الموهوبُ إلا دَمٌ　　على نِصال القوّةِ الطاغيه

---

(١) الشادية : هي القيثار

السفياني (١)

للاستاذ بندلي جوزي
جامعة باكو بروسيا

اذا غلبت امة — او طبقة من الناس او حزب سياسي او دين — على امرها وعجزت عن مناهضة عدوها ايًّا كان واسترجاع حريتها والوصول الى حقها المهضوم بالقوة او بالتحكيم او بطريق آخر سلمي ثم رأت ان امرها آئل ولا بدَّ الى الدمار لم يكن لديها الاَّ احد اثنين اما ان تلجأ الى الحيلة واما الى التمني وتعليل النفس بالآمال او اليهما كليهما . وانما نريد بالحيلة هنا المخاتلة والمخادعة والتظاهر بالاخلاص للغاصب لايقاع الضرر به من حيث لا يدري عند سنوح اول فرصة الى غير ذلك من الوسائل التي يعمد اليها الضعيف المغلوب على امره كالسحر والشعوذة واستنجاد القوى الخارقة والتعويل على المعجزات حتى تقضي الظروف امرها في تلك الامة او الطبقة الخاسرة . فاما ان تهيء لها سبل الخلاص فتنال حريتها وتستريح واما ان تبقى مستعبدة طول الدهر فتصغر نفسها وتذل وتكتسب صفات المستعبدين واخلاقهم كخساسة النفس ومهانتها والكذب والنفاق والرضى بالشيء القليل مما يمنُّ به عليها سيدها وولي نعمتها ثم تفقد رويداً رويداً فضائلها الشخصية واكثر مميزاتها القومية التي تتوقف عليها حياتها الاجتماعية او كلها فتندمج في الامة او الحزب او الديانة الغالبة وتفنى كما فنيت عاد وثمود والوف غيرها من الامم والطبقات السالفة

اما التمني او تعليل النفس بالآمال فهو السلاح الثاني في يد المغلوب المستسلم الذي ماتت عزيمته وضعف امله في الخلاص فلم يعد يعتمد إلاَّ على نفسه وصار ينتظر النجاة ولو في المستقبل البعيد على يد امة اخرى او شخص آخر يبعثه الله من بين امته المقهورة بعد ان ينفخ فيه شيئاً من روحه ويهبه من القوى الادبية والروحية ما يستطيع معها ان ينتصر للمغلوب ويرد اليه ما فقده او ما كان يشكو من حرمانه اياه . وعن هذا الامل نشأ كما يظهر لي اعتقاد الناس « بالمخلص » و « المهدي » و « الامام » وما اشبه ذلك من الالفاظ المختلفة لفظاً والمتفقة معنىً وبأن الله يبعثه على فترة من الزمن او في آخر الازمان ليعيد السلام الى نصابه ويملأ الارض عدلاً بعد ان ملئت ظلماً وجوراً

(١) وضعت هذه المقالة الوجيزة ايفاء بوعدي (راجع عدد يونيو من مقتطف سنة ١٩٣١ ص ٦٧٧ تنبيه ٦)

يظهر لي من مطالعة تاريخ الامم القديمة الكبيرة كالمصريين والبابليين والفرس واليونان والرومان ان هذا الاعتقاد كان شائعاً بين اكثرهم إلا انهُ لم يظهر لاول مرة بجلاء وببعض التفصيل الا في الامة الفارسية في عهد اسرة الهاشمنيين Hachéménides وان اول رجل تاريخي او نصف تاريخي قال بهذا الاعتقاد هو زرادشت مؤسس دين المثنوية فان صح هذا الافتراض كان لنا ان نستنتج منه ان اكبر عامل على ظهور الفكر المذكور بين الفرس كان تلك الحركة الاجتماعية التي ظهرت وقتئذ على اثر الحروب الداخلية بين قبائل ايران قبل ان تتوحد وتتغلب بعضها على بعض[1] وتكون دولة عظيمة وسلطة مركزية قوية[2] اخذت تعمل من يوم ظهرت على مقاومة السلطات المحلية الى غير ذلك من دواعي الشكوى . اما شيوع هذا الاعتقاد بين اليهود فالاصح انهُ عقب شيوعه بين الفرس وان انبياء اليهود اخذوه عن الفرس او على الاقل تأثروا بهِ ثم اخذه عن اليهود المسيحيون في اوائل النصرانية اي في عصور الاضطهادات الدينية وبالاخص اضطهاد نيرون الظالم ثم المسلمون مع بعض التفاوت في اسباب انتشار هذا الفكر بينهم وفي صفات « المخلص » المنتظر والغرض من مجيئهِ ثم في اتساع رسالته او ضيقها وحصرها في أمة واحدة الى غير ذلك مما سنشير اليهِ في ما بعد . على انهُ يجدر بنا الآن ان نوجه نظر القارئ الى امر هو في نظرنا هام جداً وهو ان رسالة « مخلص » الفرس — Saochyant — هي عامة تشمل جميع الامم لا الامة الفارسية فقط بمعنى ان العدل الذي سيقيمه متى ظهر سيملأ الارض كلها لا ارض فارس فقط . فان صدق صاحب هذا الرأي الاستاذ الشهير Ed. Meyer[3] كانت رسالة Saochyant اقرب الى رسالة عيسى المسيح كما تكونت في آخر ايامه[4] منهُ الى رسالة « مسيح » اليهود الذي تكاد دعوته تنحصر في الامة اليهودية وبالاخص عند الانبياء المتأخرين ويهود الاعصر الاخيرة السابقة لمجيء يسوع المسيح. على انهُ يظهر لي ان Saochyant الفرس لم يكن في بادىء الامر الا كسائر امثاله واخوانه عند سائر الامم التي شاع بينها هذا الاعتقاد اي ان رسالتهُ لم تكن لتتعدى الامة الفارسية وانها كانت قومية محضة لا عالمية international كما يحاول الاستاذ المذكور ان يقنع قراءه لكنها اتسعت وتطورت مع الزمن هذا ان احسنا فهم عبارات مبهمة تُعزى الى زرادشت وما هي

(١) وعن ذلك نشأت أيضاً كما يخيل الي الحركة الدينية اي حركة زرادشت التي أريد منها اصلاح الدين القديم الذي لم يعد يلائم العصر وذلك التطور السياسي والاجتماعي الذي حدث في ايام الاسرة المذكورة (راجع تاريخ الفرس الاقدمين F. Justi وتآليف الاستاذ A. Christensen) عن ديانة زرادشت

(٢) دولة الفرس في أيام بني ساسان (وكلاهما في اللغة الفرنساوية)

(٣) توفي سنة ١٩٣٠ راجع كتابه Urschprung und Anfanngo dos Christentham ج ٢ ص ٢٥ —

(٤) قلنا في اواخر ايامه لان رسالته الى العالم كله لم تظهر بجلاء تام الا في هذه الايام كما يؤخذ من الايات الآتية : «دعي البنين (اي اليهود) يشبعون اولاً لانه ليس حسناً ان يؤخذ خبز البنين ويلقى للكلاب (انجيل مرقس ٧ : ٢٧) — قالها يسوع للامرأة اليونانية يوم طلبت اليه ان يشفي ابنتها

على الارجح له بل لبعض المتأخرين من خدمة دينه المعروفين بالموبذان والهربذان

قلت ان العوامل التي بعثت الاعتقاد « بالمخلص » على اختلاف اسمائه ترجع في اغلب الاحيان الى عوامل اجتماعية وسياسية ونادراً جداً الى عوامل دينية . والمراد هنا بالعوامل الاجتماعية تغلب طبقة من طبقات الامة على طبقة او طبقات اخرى وهضمها لحقوقها واستخدامها لمصلحتها . وقد تكون الطبقة الغاصبة من الامة نفسها او من امة اخرى فاتحة وكذلك الطبقة المغلوبة المستعبدة. وهذا العامل اقوى العوامل واقدمها واظهرها أثراً في نشوء فكرة « المخلص » ويأتي بعدها تغلب امة على امة وارهاقها وقد يجتمع العاملان في امة فيقوى اثرهما فتسوء حال الطبقة او الامة المغلوبة ولاسيما حال الفلاحين والفعلة وتصبح حياتهم عذاباً مستمراً لا يقوى على احتماله إلاّ من فقد مروءته وعزّة نفسه . واما من لم يفقدها فكان يحاول ان يخفف عن نفسه بجميع الوسائل ومما فيها الثورة على الظالمين المغتصبين والانتقام من الطبقة او الامة الغاصبة. وتاريخ الامم القديمة مفعم بهذه الثورات والحروب الداخلية نذكر منها ثورة المزارعين والفعلة المصريين التي حدثت بعد سقوط الاسرة الثانية عشر[1] وثورة الفرس في ايام الملك قباذ الاول وعلى يد مزدك[2] واضع مبدأ الشيوعية في العصر السادس ولكن قد يفشل اصحاب الثورة فتسوء حالهم ويضعف اعتمادهم على انفسهم فلا يبقى لديهم إلاّ الامل بظهور « ملك او حاكم عادل » يرحمهم ويرق لحالهم او « مخلص » تبعثهُ الآلهة او الله ليلقي عنهم نير العبودية ويرد اليهم حقوقهم المهضومة ويساويهم بأهل الطبقات الاخرى

---

(١) انظر عن هذه الثورة البردي الموجود الآن في متحف ليون حيث تجد وصفاً مؤثراً لما عقب هذه الثورة من الانقلاب الاجتماعي الذي يذكرنا بما حدث بعد الثورة الفرنساوية او الثورة الروسية الاخيرة وهذا بعض ما ذكره صاحب هذا البردي المجهول «تعالوا انظروا ! الغني يذهب الى فراشه ولما يرو عطشه وذاك الذي كان يطلب منه صدقة يشرب الجعة الجيدة . . . من لم يكن يملك شيئاً صار يملك كنوزاً والسيد يتملقه ... فقراء القطر اصبحوا أغنياءه ومن كان يملك شيئاً أصبح معدماً ... من لم يكن لديه خبز صار يملك اهراء لان هريه مملوء مما كان يخص غيره . من كان له فراش ينام الآن على الارض واما من كان يتمرغ في الاوساخ فانه ينام على الوسائد . ترى الحلي في اعناق الرقيقات اللواتي صرن يملكن افواههن وقد بلغت وقاحتهن ان اصبحن يقربن القرابين الى الآلهة ...كل مدينة تقول لنطردن الاعزاء من ديارنا » واصعب من كل ذلك ان الاغنياء اصبحوا مضطرين ان يشتغلوا ليعيشوا .. «سكان المدن يديرون حجار الارحية والسيدات صرن كالخادمات . من كان قبلا خادماً يرسله سيده حيث اراد صار يرسل غيره ... ابناء المتوظفين يلبسون رث الثياب ... ونساء الاعيان اصبحن في يد الفقراء لا يجسرون على فتح افواههن أمام الخادمات سابقاً واولادهن سلموا للعهر» ... حجر المتوظفين فتحت وقوائم (الضرائب) سرقت وبعض المتوظفين قتلوا. تقارير المحكمة في المعبر والفقراء يمزقونها في الشوارع .. واوراق جباة المال اعدمت . . . بيت الحكم الكبير مملوء جداً والفقراء تسرح وتمرح في البيوت الكبيرة . لم تبق وظيفة في محلها وكل الناس كالقطيع الحافل الذي لا راعي له . . . الملك في يد الفقراء واهراؤه مفتوحة لمن يريد وقد خانه حتى من كان يحسن الظن فيه ويأمل ان يعتمد عليه ... والنشء الحديد الذي كنا نربيه لا نفسنا صار من «أصحاب القوس» يريد ان يقضي على من كان سبب وجوده» الخ

(٢) طالع عن حركة مزدك كتاب الملل والنحل للشهرستاني وتأليف الاستاذ A. Christensen Le règne du roi Kanade I et le communisme Mozdakite. كوبنهاغن ١٩٢٥

اما العوامل السياسية فأكثر ما تكون بين حزبين سياسيين او بين حِلْفَين كبيرين من القبائل يتنازعان السلطة ومصادر القوة والغنى وأثر هذا التنازع ظاهر في تاريخ اكثر الامم الكبيرة بل جميعها وعلى الاخص في تاريخ الامة العربية كما سترى بعيد ذلك . وقد يجتمع العاملان المذكوران — الاجتماعي والسياسي — في امة واحدة وفي عصر واحد فيشتدّ ضغطهما عليها حتى تكاد تزهق روحها ويغلب عليها اليأس فلا تعد تفكر الاّ « بالمخلّص » او « الفادي » المنتظر ولا تحلم الاّ به فيستولي عليها شيء من الهوس فتصبح وهي على هذه الحالة سريعة الانقياد سهلة التصديق وبالتالي آلة عمياء في ايدي الطامعين في الرئاسة واصحاب الاغراض الشخصية او الحزبية او غيرها فتتبعهم الى حيث ارادوا فيستخدمونها في قضاء اغراضهم حتى اذا نجحوا القوا اليها بالتبن والقشور وارضوها بالشيء القليل والاّ تركوها وشأنها تعاني بعد الفشل انواع العذاب وتنتظر « مخلصاً » آخر « صادقاً لا كاذباً » يظهره الله على فترة من الزمن او في « آخر الازمان » . وهذا تاريخ اليهود والنصارى وغيرهم من الامم حافل بهذه الآمال التي لم تحقق والاعتقادات الغريبة التي لا يسعنا الآن المقام لتعدادها وبيان ما كان لها من التأثير في مسير تاريخ الامم المذكورة . على انهُ لا بد من الاشارة هنا الى ان الفشل الذي كان يصيب في اغلب الاحيان الطبقات او الاحزاب او الاديان المغلوبة على امرها كان يحملها كل مرة على ارجاء ظهور المخلص الى زمن آخر قد حاول بعضها ان يحدّده فلم يفلح فدحره الى « آخر الازمان » . وفي ذلك بيان كافٍ لما تراه من التردّد في اقوال اليهود والنصارى والمسلمين عن المسيح او المهدي المنتظر هل يكون ظهوره في وقت معين اي عند مسيس الحاجة اليهِ او بعد مئة او الف سنة او في « آخر الازمان » كما اجمعوا على ذلك بعد ان تبين لهم بانهُ لم يأت في الوقت الذي كانوا ينتظرونهُ فيهِ وهل تكون رسالته اجتماعية محضة او سياسية او اخلاقية . وعن هذا التردد نشأ تطور الفكر الاصلي في الغرض من مجيء « المسيح او المهدي » ومدة اقامته بين اصحابهِ ومن ينتظره وفي كل ذلك وعلى الاخص في ارجاء مجيئهِ الى زمن غير معلوم تنازل من طرف الامة — او الطبقة او الحزب السياسي او الديني — المغلوبة على امرها عن مطالبها اوجبتهُ الحوادث التاريخية التي قضت على اماني الفئة المذكورة ومساعي رؤساء الحركات وتأثيرهم الادبي أو السياسي على الطبقات او الاحزاب المظلومة

هذه على ما أرى هي أهم أسباب[1] ظهور اعتقاد الناس بمجيء المسيح أو المهدي وتطور هذا الاعتقاد . اما الغرض من مجيئهِ فقد أجمع السلف على انهُ اجتماعي وأدبي محض وهو « اقامة العدل » الاّ انهُ يلاحظ ان كلاًّ من العناصر المذكورة المظلومة فعلاً أو التي كانت تحسب نفسها

(١) الا ان تكون اصحاب الطبقات المستبدة واصحاب السلطة وضعوا هذا الفكر ليصرفوا عنهم غضب الطبقات او الامم المظلومة المستعبدة ويمدوا في آمالها لئلا تيأس فتثور وتقضي عليهم وهذا يحتمل في نفسه ولكن التاريخ لم يذكره

مظلومة كان وما يزال يفهم من كلمة « عدل » ما كانت تدعو اليه احواله الاجتماعية او السياسية او الدينية وما كان هو في اشد الحاجة اليه فالطبقات الاجتماعية المظلومة كانت تنتظر من « المخلص » ان يساويها بالطبقة المستبدة في الماديات أو على الاقل ان يخفف من وطأة هذه الطبقة عليها ويضمن لها ولو ما تحتاج اليه من الضروريات كالخبز والماء والمأوى . واما الامم المستعبدة فانها كانت تنتظر مجيئهُ لينقذها من الرق ويرد لها عزها السابق ومثلها الديانات المضطهدة والاحزاب السياسية

يخيّل اليّ ان فكرة « المخلص » ظهرت في بادىء الامر بين الطبقات الاجتماعية المقهورة اي بين طبقات الفلاحين والفعلة فاذا صح هذا الافتراض كان الباعثُ على ظهورها عاملاً اجتماعيًّا ماديًّا او اقتصاديًّا وهذا لا يكون على ما نعلم الاّ بعد ان تنتقل الامة من دور البداوة الى دور الحضارة حين تأخذ السلطة المركزية تنمو وتقوى وتتسع التجارة ويشيع بين الناس التعامل بالنقود او ما كان يقوم مقامها وتكثر عوامل الغنى والسيادة او بعبارة اخرى عوامل التفاوت والتفريق بين الامة الواحدة وظهور الطبقات بينها وما يعقب ذلك من نزاعها المستمر . بناء على ذلك يكون شيوع هذا الاعتقاد بين الاحزاب السياسية والديانات المضطهدة تابعاً لظهوره بين الطبقات ومأخوذاً عنه وهذا ما نستطيع ان نؤيده بشواهد عديدة من تاريخ بعض الشعوب القديمة على اننا نقتصر — لاعتبارات مفهومة — على شاهد واحد نأخذه من تاريخ الامة العبرانية وذلك لانها اقرب الامم الينا ثم لانهُ كان لتعاليمها عن المسيح واسباب ظهوره أثر بين في تعاليم المسيحيين والمسلمين عن « المسيح والمهدي او الامام المنتظر » وثالثاً لأن العوامل التي اوجبت ظهور هذا الفكر وتطوره بينهم اظهر في كتبهم مما هو في كتب غيرهم من الاقدمين واخيراً لاننا لا نعلم ان احداً من كتبة سائر الامم وصف لنا حالة الطبقات المظلومة كما وصفها كتبة اليهود ونخص منهم انبياءهم أشعيا وارميا وعاموس وغيرهم . فليسمح لنا اذن القارىء ان نعرض عليه بعض هذه الصور ليرى بعينه ما كانت عليه هذه الطبقات من الحيف وما بلغته من الفقر والذل في ايام الملوك وليقابلها بحال الطبقات الظالمة فيدرك الاسباب التي أوحت الى الفئة الاولى فكرة المخلص وحنينها الدائم الى ظهوره

قال اشعيا يصف تجبر رؤساء الشعب وشيوخه وامتهانهم للفقير : « ما بالكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائس » ؟ (٣:١٥)

« ويل للذين يشترعون شرائع الظلم والذين يكتبون كتابة الجور ليحرّفوا حكم المساكين ويسلبوا حق بائسي شعبي لتكون الارامل مغنماً لهم وينهبوا اليتامى » (١٠:١—٢)

« باعوا الصديق بالفضة والمسكين بنعلين وهم انما يبتغون ان يغطي تراب الارض رؤوس الفقراء ويأوّدون طريق البائسين ... ويضّجعون على ثياب مرهونة بجانب كل مذبح ويشربون

خمر المغرَّمين في بيت إلاههم» (عاموس ٢:٦—٨)

«ويل للذين يفكرون في الاثم ويخترعون الشر في مضاجعهم ثم في نور الصباح يصنعونه يشتهون حقولاً فيغتصبونها وبيوتاً فيحوزونها ويظلمون الرجل وبيته والانسان وميراثه»

«اسمعوا هذا ايها المتعطشون الى دم المسكين وابادة فقراء الارض القائلون متى ينقضي رأس السنة فنبيع الميرة والسبت فنعرض البرَّ مصغرين الايفة [1] ومكبرين المثقال ومستعملين موازين الغش» (عاموس ٨:٥—٦)

«ويل لمن يبني بيته بغير عدل وغرفه بغير حق ويستخدم قريبه بلا اجرة ولا يوفيه عن عمله ويقول ابنِ لي بيتاً واسعاً وغرفاً فسيحة ففتح له كوى وسقفه بالارز ودهنه بالمغرة ... اما انت فعيناك وقلبك على السحت وسفك الدم الزكي والظلم والضغط» (ارميا ٢٢:١٣— ١٤ و ١٧)

« ليس من داع بالعدل ولا محاكم بالحق . يتكلون على الخواء وينطقون بالباطل يحبلون بالضرر ويلدون الاثم ... ارجلهم تسعى الى الشر وتسارع الى سفك الدم الزكي ... لذلك ابتعد الانصاف عنا ولم يدركنا العدل . نترقب النور فاذا بالظلمة والضياء فاذا بنا سالكون في الديجور . نتجسس الحائط كالعمي ونتلمس كمن لا اعين له . نعثر في الظهيرة كما في العتمة ونحن في الاصحاء كأنَّا اموات » (اشعيا ٥٩:٤— ١٠)

« كما يخزى السارق حين يوجد كذلك خزي آل اسرائيل هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وانبياؤهم (ارميا ٢ : ٣٦)

« من صغيرهم الى كبيرهم يحرصون على السحت وهم جميعاً من النبي الى الكاهن يأتون الزور » (ارميا ٦ : ١٣)

« ويل للمترفين في صهيون والمطمئنين في جبل السامرة لعظماء اولى الامم الذين جاءهم آل اسرائيل ... انكم تضجعون على اسرَّة من عاج وتتبسَّطون على حجالكم وتأكلون الحملان من الغنم والعجول من وسط المعلف وتغنون على صوت العود وتشربون الخمر بالجامات وتدَّهنون بالادهان النفيسة ولا تكتئبون لانكسار يوسف » (عاموس ٦ : ١ — ٦)

« ويل للقائمين من الغداة في طلب المسكر المستمرين الى العتمة والخمر تلهبهم وفي مآدبهم الكنارة والعود والدف والمزمار والخمر » (اشعيا ٥ : ١١ — ١٢)

فانت ترى من هذا الوصف الوجيز ان الفرق بين طبقات الشعب العبراني كان عظيماً وان شكوى الضعيف وصراخ الفقير بلغا حدَّها الاقصى وقد كان ينتظر ان يتحوَّلا الى هيجان يقضي على الطبقة الظالمة المحتكرة لموارد الثروة والسلطة ويقلب النظام الاجتماعي رأساً على

(١) الكيل

عقب كما حدث في مصر بعد سقوط الاسرة الثانية عشرة كما رأينا . ولقد كان يكون ذلك لو دعا الانبياء وهم قادة الشعب يومئذٍ — الى ذلك او لو وُجد حينئذٍ من يشدّ أزر الطبقة المغلوبة ويتولى رئاستها وينفخ في نارها الاّ ان انبياء اليهود ومن نسج على منوالهم ممن جاء بعدهم وتأثر بسياستهم الادبية لم يكونوا يأملون اصلاح الامة وقتل اسباب النزاع بين طبقاتها عن طريق الثورة واثارة الحسد والبغض بين افرادها ، بل بالنصيحة والارشاد والوعد والوعيد وما أشبه ذلك من الوسائل السلمية التي لا يظهر فعلها الاّ بعد زمن طويل ان قدّر له ان يظهر. ولولا ذلك ولولا ما نعلمهُ من أثر الانبياء الأدبي في الشعب البسيط المظلوم لكان له شأن آخر مع الفئة الظالمة . ولما اضطر بعد انيئس من نجاح الوسائل السلمية ان يرجيء اصلاح ما فسد من النظام الاجتماعي وما أصابه من الضيم الى ما شاءَ الله من الزمن وان يعهد بهذا الاصلاح الى «الفادي» الذي سوف يبعثه الله . . .على إني ارجح ان الثورة كانت لابدَّ واقعة لو طال امد هذا النزاع وبلغ حدًّا معلوماً يفرغ عنده صبر الصابرين ولو لم تقض دولة الاشوريين على استقلال اليهود وتساوي بينهم في العبودية

كان لهذا الحادث التاريخي نتيجتان هامتان احداها انه ساوى — كما قلنا — بين طبقات الامة المغلوبة في الحقوق والواجبات اذ جعلها كلها في منزلة العبيد وفي التمتع بخيرات هذه اذ جعلها كلها في درجة واحدة من الفقر وبذلك قتل اسباب النزاع بينها ومحا عوامل الحرب الداخلية التي كانت على وشك الانفجار بين الطبقات المذكورة او بالاحرى صرفها الى ناحية اخرى شأن بعض الحروب الخارجية في اوروبا في عصرنا الحاضر . والنتيجة الثانية هي ان «المسيح» الذي كانت تنتظره الطبقات المظلومة لينتقم لها من الطبقات الظالمة ويخلصها صارت تنتظره الآن الامة كلها ليحررها من الاشوريين ويرد اليها ما فقدته من المال وغيره . فانت ترى ان دعوة «المسيح» أصبحت عامة تشمل الامة العبرانية كلها — وهذا ماردَّده الانبياء وبالاخص المتأخرون منهم ألوف مرات — وانها تطوّرت تطوراً ظاهراً بمعنى انها أصبحت سياسية[1] اكثر منها اجتماعية كما كانت في الدور الاول وأهم من ذلك ان قادة الامة والمعبرين عن افكارها وامانيها وهم الانبياء اخذوا يترددون في تعيين زمن مجيء « المسيح » بين ان يكون قريباً وفي حياتهم او بعيداً في آخر الازمان مع ترجيح الامل الاول على الثاني ومصدر هذا التردُّد هو ولا شك التقلب بين اليأس والأمل

(١) « يوم يجبر الرب كسر شعبه ويشفي جرح ضربته » (اشع ٣٠:٢٦)
«قوّوا الايدي المسترخية وشددوا الركب الواهنة . قولوا لفزعي القلوب تقووا لا تخافوا هوذا الهكم، النقمة آتية ، جزاء الله حاضر ، هو يأتي ويخلصنا» (اشع ٣٥:٣ــ٤)
« اني قربت بري فلا يبعد وخلاصي فلا يبطيء» (اشع ٤٦:١٣)
«عما قريب تنحل اغلال المنحني ولا يموت للفساد ولا ينقص خبزه» (اشع ٥١:١٤)
«قولوا لابنة صهيون هوذا مخلصك آتٍ هوذا جزاؤه معه وعمله أمامه» (اشع ٦٣:١١)

الطيارة تقهر افرست

التحليق فوق اعلى قمم حمالايا

لبعض الناس غرام بالتفوق على غيرهم والسبق الى نيل ما تقصر عنه الهمم ولو باقتحام اشد المخاطر لغير نفع مادي . ومن هذا القبيل توخي الوصول الى القطب الشمالي او الى القطب الجنوبي ، اوالضرب في قلب افريقية لاكتشاف مجاهلها ، او التصعيد في الجبال بغية الوصول الى قننها

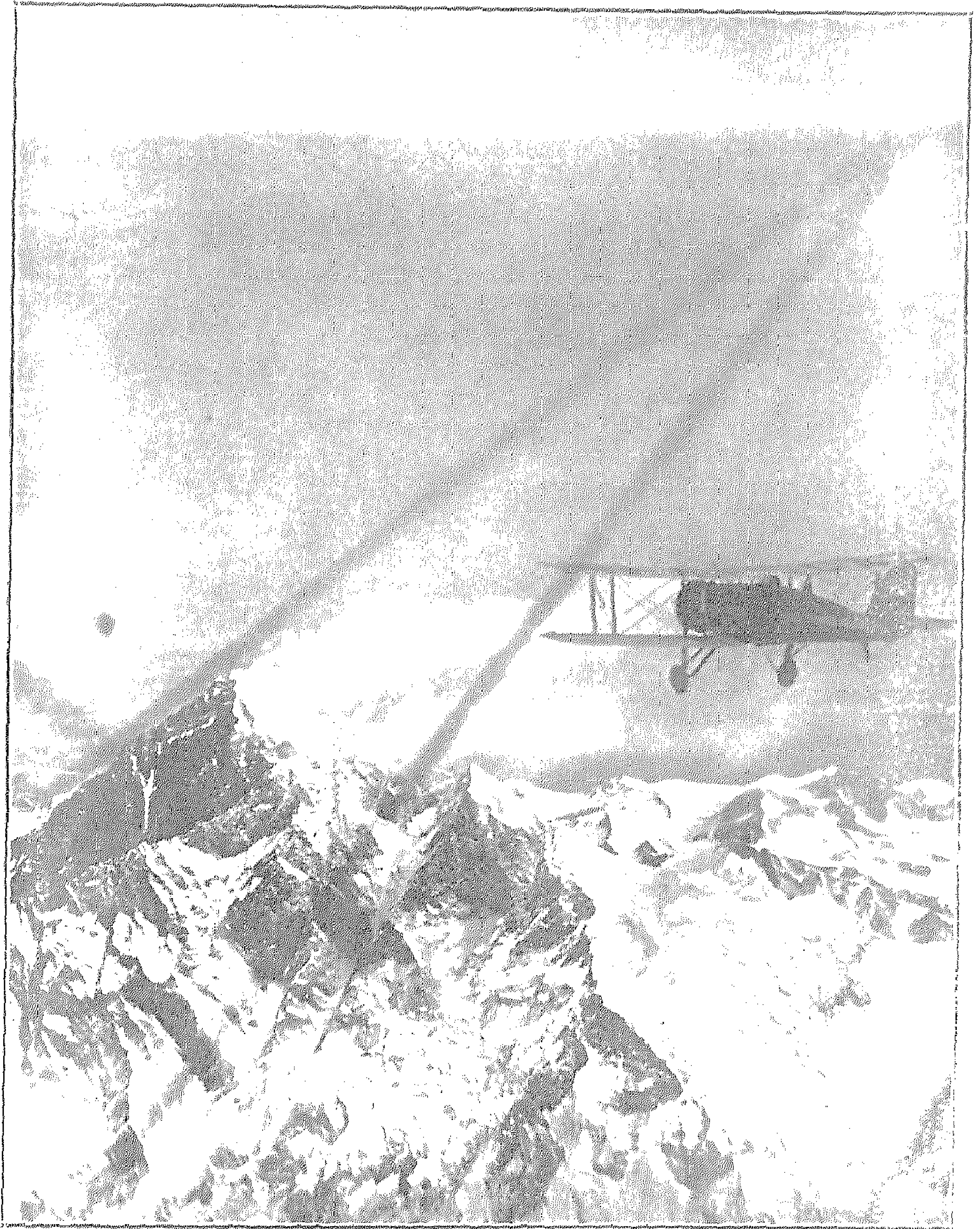
ان جبال حمالايا سلسلة كبيرة من الجبال حاول الروّاد ارتقاءها من عهد طويل . فبين سنة ١٨٥٤ و ١٨٥٨ قصد ادولف شلتجنتويت وأخوه روبرت ، ارتقاء بعضها ، فبلغا ما ارتفاعه ٢٢٢٥٩ قدماً من جبل كامت الذي علو قنته ٢٥٤٤٣ . وبعد ذلك عبر ادولف شعباً فيها وقتل في كشغر . وفي سنة ١٨٩٥ حاول ممري وبعض الرفاق ارتقاء جبل آخر من تلك الجبال ، وبعد ان صعدوا في بعض مساندها افترقوا فرقتين والفرقة التي فيها ممري انقطع خبرها ولا يعلم حتى الآن ما حلّ بها

وحاولت بعثة اخرى ارتقاء جبل من هذه الجبال ارتفاعه ٢٨١٥٠ قدماً وهو الثالث من حيث الارتفاع فبلغت ما ارتفاعهُ ٢٠٣٤٣ وحينئذ عزم بعضها على الرجوع فخالفهم البعض الآخر وصمموا على استطراد الصعود ، وكان عددهم ثلاثة ، ومعهم ثلاثة من الهنود يسيرون امامهم ، والحبل في ايديهم ، فزلقت رجل واحد من الهنود ، فتدهور وتدهور الباقون فلم ينج من الستة الا اثنان من الاوربيين . أما الذين هلكوا فوجدت جثثهم بعد اربعة ايام والثلج يغطيها الى علو ١٢ قدماً لانهُ وقع من مسند الجبل معهم وعليهم

وجبل افرست اعلى جبال حمالايا علوه بحسب القياسات التي يقتضيها حساب المثلثات ٢٩١٤١ قدماً وقنتهُ مغطاة دائماً بالثلج وجوانبه كثيرة الجروف العالية . وحولهُ قنن كثيرة وكلها يغطيها الثلج على مدار السنة ، وتنقدُّ منهُ ومنها قدد كبيرة تتدحرج الى سفوحها ، فتحدث اصواتاً تصم الآذان ، وتجرف في طريقها كل ما تمر بهِ . فالتصعيد فيها محفوف بالمخاطر

لكن المصاعب تشحذ همم الابطال ، فيغامرون بكل شيء ، حتى بالحياة ، وتعيد هممهم الوحيد البلوغ الى ما لم يبلغهُ غيرهم ورفع راية وطنهم عليهِ

وقد حاول المصعدون الانكليز ، مراراً بعد الحرب الكبرى ، ان يبلغوا الى قنة جبل افرست ، فخاطبوا حكومة بلاد التبت سنة ١٩٢٠ لكي تأذن لهم في دخول بلادها لان المرتقى من جهة التبت اسهل من المرتقى في جهات اخرى . فأذنت في ذلك وأُرسلت البعثة الاولى



الطيارة فوق جبل افرست

سنة ١٩٢١ للاستكشاف وجمع الحقائق ومعرفة السبيل المؤدي الى القنة

ثم تتالت البعثات في سنة ١٩٢٢و١٩٢٤و١٩٣١ وكلها عجزت عن بلوغ القنة ، ولكن رجال بعضها بلغوا ارتفاع ٢٨٢٠٠ قدم

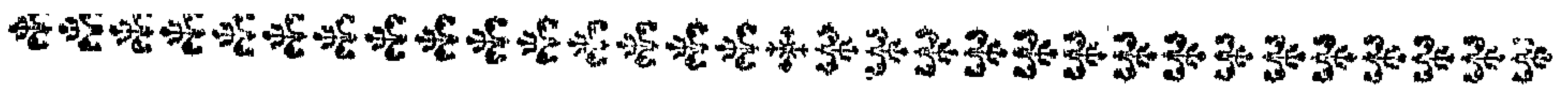
***

واخيراً خطر لضابطين متقاعدين من ضباط الجيش البريطاني،تنظيم بعثة يكون غرضها الطيران فوق قنة افرست.ولكنهما لم يملكا من امر هذه البعثة إلاّ فكرتها، والاّمقدرتهما على جمع الحقائق اللازمة لها.فشرعا في جمع الحقائق . وكان احدهما الكولونل بلاكر قد مارس الطيران قليلاً ، فأدرك الى اي نواحي البحث يتجه . وعرف بمشروعهما لورد كليْدسديل وهو طيّار بارع ، فبحث عنهما فاعترفا له بأن المشروع يكاد يكون وهميًّا لانهما لا يملكان من نفقات البعثة بارة واحدة . فذهب لورد كليدسديل الى اللايدي هوستن ، وهي ارملة ثرية ، يهمها ارتقاء الطيران البريطاني ، وهي السيدة التي تبرعت من سنتين بمائة الف جنيه لكي تدخل انكلترا مباراة شنيدر ، بعد ما قررت حكومة مكدونلد ، ان الدولة لا يسعها الانفاق على هذه المباراة . فلما علمت بمشروع الطيران فوق قنة افرست ، رضيت بالانفاق على البعثة ، وعينت من وكلائها لجنة لتنظيم المشروع وشراء كل ما يلزم له.وصنعت الطيارتان اللازمتان ، والآلات الفوتغرافية واسطوانات الاكسجين التي يستعملها الطيارون اذيحلقون في الجو حيث يقل الاكسجين

***

في اواخر مارس سنة ١٩٣٣ كانت البعثة قد وصلت مقرها عند سفح الجبال ، وأعدت عدتها وجرّبت الطيارتين ، فلما جاءها في صباح ٣ ابريل ١٩٣٣ من مكتب الظواهر الجوية ان البلونات التي اطيرت لمعرفة هبوب الرياح وسرعتها تدل على ان سرعة الريح قد هبطت الى ٥٧ ميلاً في الساعة على علو ٣٣ الف قدم ، قامت الطيارتان في الساعة ٨:٢٥ صباحاً من مطار لابالو ، وكانت احداها بقيادة لورد كليدسديل ، والاخرى بقيادة ملازم الطيران مكنتير يصحبهُ المستر بونت Bonett ممثل شركة افلام جومون البريطانية لاخذ الصور الفوتغرافية

وذهبت الطيارتان صُعُداً في الجو فبلغتا بعد نصف ساعة من الطيران ارتفاع ١٩ الف قدماً على بعد ٤٠ ميلاً من المطار . وفي الساعة التاسعة مرتا فوق قنة شاملانغ على ارتفاع ٣١ الف قدم . فلما اقتربتا من لوتسه Lhotse وهي القنة الجنوبية من القنن التي تحيط بأفرست ، هبطتا نحو ١٥٠٠ قدم بفعل تيار هابط من الهواء سببهُ انحراف الريح على مساند الجبال . وفي الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة كانت الطيارتان فوق قنة افرست على مائة قدم منها . فبدا للطيارين جماله الرائع ، وصوّرت الصور التي نقلنا بعضها مع هذا المقال



تحليل العواطف المركبة

الكره والحسد والاحتقار والانتقام والاعجاب والاحترام والقلق



النفس الانسانية تيه كثير الالتواء متشعب المسالك يلجهُ من يلجهُ فلا يستبين صعوبة السير فيهِ الاّ اذا اوغل في منعطفاته ومعمَّياته . وقتها يدرك انهُ في سبيل ليست كالسبل العادية ، وانهُ اذا شاء ان تكون نهاية لسيره عليهِ ان يسير مرهف الحس شديد اليقظة. وهذا الوصف لا يصدق صدقه على الناحية العاطفية من نواحي حياتنا العقلية . فنحن اذ نعالج دراسة العواطف درساً مجملاً نجد السبيل معبدة مطروقة والسير فيها ميسَّراً غير عسير ، لان علماء النفس قد انتهوا في دراسة العواطف الانسانية الاساسية الى شيء يشبه الاجماع . فاضحت العوامل التي تثير هذه العواطف وتقعدها والمظاهر النفسية والفزيولوجية التي تصحبها واضحة محدّدة . ولكن الى هنا ينتهي الوضوح ويتبدل اليسر عسراً . فاذا انتهينا الى دراسة العواطف المركبة المشتقة من هذه العواطف الاساسية فهناك الحدس والتخمين وهناك الاختلاف في الرأي وهناك ما لا يكاد يتعدّى الدراسة الذاتية . والقليلون الذين تصدّوا لدراسة هذه العواطف مثل شاند ومكدوغل وودورث لا ينكرون مقدار الصعوبة في هذه الدراسة

ووجه الصعوبة هو ان هذه العواطف المشتقة تتألف من العواطف الاساسية على نحو ما يتألّف المركب الكيماوي من عناصره الاولية . والصعوبة في رد العاطفة المركبة الى عناصرها الاولية هي كالصعوبة في رد المركب الكيماوي الى عناصره التي يتركب منها

ثم ان الطبيعة لا تعطي الفرد هذه العواطف الاساسية جاهزة ناضجة شأنها في معظم ما تغرسهُ فيهِ من عواطف اساسية . والحقيقة ان نضوج هذه العواطف المركبة يتوقف الى حد كبير على طرائق التلقين المختلفة التي يخضع لها المرء طوعاً او قسراً ، والتي لاشك تساعدهُ في تثبيت هذه العواطف وتمكينها من النفوس . يضاف الى هذا ان العواطف الاساسية الاولية تفقد معظم خواصها متى دخلت في تركيب العاطفة المركبة ، على نحو ما تشاهده في المركبات الكيماوية حينما تتألف عناصرها الاساسية وتتحد . زد على ذلك كلهِ ان العواطف الاساسية كعاطفة الغضب والخوف والحب (بالمعنى الجنسي) والاستعلاء والتصاغر هي عواطف قوية بارزة . وليس كالبروز والقوة في الصفات النفسانية شيئان يسهلان دراستها . على حين ان العواطف المركبة ليس لها مثل ذينك البروز والقوة . واحدنا قد يقرأ قصة الحياة من الفها الى يائها ولا يتاح لبعض هذه العواطف فيهِ ان تنهض من رقدتها ، فيحيا ويموت وكأن لم يكن لهذه العواطف اثر في حياتهِ . ذلك ان مثيرات هذه العواطف هي الاخرى معقدة متعددة

الجوانب ، فلا يسهل اجتماعها — والحالة هذه — في وقت واحد لتثير عاطفة بعينها من هذه العواطف المركبة . ثم لا ننسى ان الفرق في الكثرة بين العواطف الاولية والعواطف المركبة هو نسبيًّا كالفرق بين العناصر الاساسية في الطبيعة ومركباتها : مما يجعل الاحاطة احاطة تامة بهذه العواطف جميعاً من الامور العسيرة

ولكن على الرغم من هذا كله ففي طبيعة العواطف المركبة ذاتها ما يُساعد على تمييزها من العواطف البسيطة ودراستها . فللتمييز بين العواطف الاساسية والعواطف المركبة على الدارس ان يُلاحظ هل العاطفة المراد درسها ظاهرة بوضوح وجلاء في احد الحيوانات العليا غير الانسان فاذا رآها كذلك عندها يُرجح ان هذه العاطفة عاطفة اساسية ، لان الذي عليهِ جمهور الباحثين النفسيين ان الحيوان لا يشارك الانسان في العواطف المركبة . وعليهِ فالعاطفة التي تشاهد في الانسان والحيوان هي عاطفة اساسية . والعاطفة التي يستأثر بها الانسان هي عاطفة مركبة . واذا فحصت احدى هذه العواطف ورأيت انها قد تظهر في بعض الناس بمظهر الشذوذ المستديم فالراجح ان هذه العاطفة عاطفة اساسية غير مركبة . فالعاطفة المركبة هي في الحقيقة كالجرم المثقل يصعب تحريكها عن مركز ثقلها او زحزحتها عن نقطة ارتكازها لتظهر بمظهر الشذوذ والانحراف . فعاطفة الخوف او عاطفة الغضب او عاطفة الاستعلاء او غيرها من العواطف الاساسية قد تظهر بمظهر الشذوذ الشديد في بعض الناس ، ولكن يندر جدًّا ان تظهر عاطفة الاحترام او الكره او الانتقام من العواطف المركبة بمظهر الشذوذ . نعم ان هذه العواطف قد تظهر بمظهر العنف او المبالغة ، ولكن العنف والمبالغة هما غير الشذوذ

وحينما يتجه الباحث النفسي الى تحليل هذه العواطف المركبة بعد ان يستيقن من انها مركبة غير بسيطة يجب ان يدرس ويلاحظ بدقة جميع التغيرات والمظاهر التي يلحظها في موضوع درسه حينما تثار احدى هذه العواطف . والحقيقة ان لكل من هذه العواطف المركبة مظاهر خاصة تساعد على تمييزها . وليس ادلُّ على ذلك من ان معظم الممثلين الناجحين يستطيعون ان يحُيوا على المسرح بحركاتهم وسكناتهم جميع طيوف العواطف المركبة كالحقد والرياء والمكر والكبرياء والاعجاب والقلق وما الى هذه من عواطف مركبة معقدة

كذلك يُساعد على تبيُّن هذه العواطف دراستها في درجة عليا من الاستفزاز . ففي استثارة هذه العواطف والالحاح عليها ما يكاد يحلها الى عناصرها الاولية ، مما يساعد على دراستها وتمييز صفاتها . وبضعة امثلة من هذه العواطف تؤخذ وتحلل تكفي لايضاح الطريق التي يسير عليها من يود الالمام بطبيعة هذه العواطف والكشف عن عناصرها

من العواطف المركبة عاطفة الكره . وهي مكوّنة من عاطفتين اساسيتين هما عاطفة الغضب وعاطفة الخوف . ولسنا نرى ان عاطفة الاشمئزاز — كما يريد مكدوغل — داخلة في تكوين

هذه العاطفة ايضاً. هذا على تقدير ان عاطفة الاشمئزاز هي عاطفة بسيطة . ولكن الذي نرجحهُ ان عاطفة الاشمئزاز هي عاطفة مركبة . فهي من العواطف الانسانية المحضة . والحيوان في الراجح لا نصيب لهُ منها . والعواطف المركبة هي — كما مرَّ معنا — العواطف التي يستأثر بها الانسان دون الحيوان . وعلى كلٍ ليس ثمة ضرورة لفرض وجود هذه العاطفة وحسبانها عنصراً اساسيًّا من عناصر العاطفة المركبة لان عاطفتي الخوف والغضب وحدها تكفيان لتفسير هذه العاطفة . خذ موضوعاً تتوافر فيهِ مثيرات هاتين العاطفتين فقط فتجد انهُ دائماً يثير عاطفة الكره . شخصٌ يثير مخاوفك لقدرته على الايذاء ويثير غضبك لتوجهه نحوك بهذا الايذاء يستطيع ان يبعث فيك عاطفة الكره دون أن يكون فيهِ ما يبعث على اشمئزاز . ولا نعتقد ان امثال موسوليني ونابليون ومصطفى كمال يثيرون في خصومهم عواطف الاشمئزاز ، مع ان هؤلاءِ الخصوم يتظاهرون بهذه العواطف . والرجل العاتي الذي يتسلط على جماعة من البشر يثير كرههم ، لانهُ يغضبهم بتوجههِ بالاذى اليهم ولانهُ يخيفهم لمنعته واستحالة الانتصاف منهُ عليهم . فالمكروه اذاً يجب ان تتوافر فيهِ مثيرات هاتين العاطفتين : فالمخيف وحده لا يثير فينا عاطفة الكره . كمنظر الاسد مثلاً . وما يثير عاطفة الغضب وحدها لا يثير فينا عاطفة الكره ايضاً — كالطفل الذي يكسر آنية عزيزة عليك . ولا يثير الطفل فيك عاطفة الخوف لانهُ عاجز عن ايذائك اذا رُمت ان تقتصَّ منهُ

والحسد عاطفة اخرى مركبة . وبينها وبين عاطفة الكره نسب شديد ، لان عنصراً من عناصر عاطفة الكره داخل في تركيبها . فهي مكونة من عاطفتين اساسيتين : عاطفة التصاغر وعاطفة الغضب . أما عاطفة التصاغر فهي هذا الشعور الذي يستولي علينا ازاء ما يشعرنا بضعفنا وتخلُّفنا بيد ان ما يثير عاطفة التصاغر لا يكفي ليثير عاطفة الحسد اذا لم يُثر عاطفة الغضب . ونحن لا نشعر بشيءٍ من الحسد للجبار او الملاك القوي الا اذا كانت قوته مبعث خطر او مصدر حرمان لنا . وقد لا يتوجه المحسود بالاذى مباشرة الى الحاسدين ، ولكنهُ مع ذلك يظل يثير عاطفة الحسد في الصدور . ومن هنا كان الناجحون في الحياة هدفاً لحسد الحاسدين سواء اكان هؤلاء الحاسدون مزاحمين لهم او غير مزاحمين . ولعل في قرارة كل نفس شعوراً بأن الناجح ايًّا كان سبيله في النجاح ومهما كان متجهه في الحياة يجور على نصيب غيره ويسلبه فرصة من فرص النجاح ولا تستطيع بغير هذا ان تعلل شيوع التحاسد بين الناس الى هذا الحد

ويقرب من العاطفتين السابقتين في طبيعتهما العدائية عاطفتان اخريان هما عاطفة الاحتقار وعاطفة الانتقام . اما عاطفة الاحتقار فيرجح انها مركبة من عاطفة الاستعلاء الاساسية ومن عاطفة الكره المركبة . فالمحتقر لا يكون محتقراً اذا كان يثير عاطفة الكره ولا يثير عاطفة الاستعلاء وعاطفة الاستعلاء يثيرها شعورك بالتفوق في ناحية من النواحي على من تتعالى عليه . ويجدر ان ننبه هنا الى ان من مظاهر الاحتقار ما هو حقيقي ومنها ما هو متكلف

مصطنع . وهذا النوع المصطنع هو الذي يحفزه — عدا عاطفة الكره — عاطفة التصاغر . وهو في هذا لا يختلف بطبيعته عن الحسد الذي يتكوَّن من عاطفتي الكره والتصاغر . ولعلَّ عاطفة الكبرياء هي في معظم الاحوال وجه من اوجه الاحتقار المصطنع الذي لا يثيره في الحقيقة احساس صحيح بالتسامي والاستعلاء بل احساس خفي بالتصاغر مضافاً الى عاطفة الكره

اما عاطفة الانتقام فالغضب والاستعلاء عنصراها الاكبران . فالغضب وحده لا يكفي ليثير عاطفة الانتقام . والامور التي تستفز غضبنا ، وهي مع ذلك ابعد ما تكون عن اثارة الانتقام ، لا تعد ولا تحصى . كذلك واضح ان ما يثير عاطفة الاستعلاء وحدها لا يثير عاطفة الانتقام . فانت لا تفكر في اذى زيد لمجرد انك اقوى منه . ولكنك تفكر في اذاه حينما يشتد غضبك من عمل من اعماله . ولكننا نحب ان نشير هنا الى ان المرء قد يصفح ويتجاوز عن الانتقام حينما يثبت للملأ انهُ قادر على ايقاع الاذى فيمن اثار فيه عاطفة الانتقام . والعفو عند المقدرة هو من هذا القبيل . وقد لا يعفو القادر على الانتقام إلا اذا ايقن ان عفوه سوف لا يحمل منه على محمل الضعف والعجز عن اثبات شخصيته وتقريرها

وفي العواطف المركبة ايضاً عاطفة الاعجاب . وهي تختلف عن العواطف السالفة في طبيعتها الموجبة غير العدائية . وهي من اسمى العواطف الانسانية ، ولا تنمو وتترعرع إلاَّ في النفوس الرقيقة دقيقة الحس . والناس يتفاضلون تفاضلاً كبيراً في نصيبهم منها لهذا السبب . وتتركب هذه العاطفة من عاطفتين اساسيتين هما عاطفة التصاغر وعاطفة الاستغراب . فعاطفة الاستغراب تظهر بمظهر الانتباه الكثير للشيء المستغرب وادامة التفكير فيه . وهذا عنصر واضح في عاطفة الاعجاب . فكل ما يثير اعجابنا يقسرنا على الاسترسال في النظر اليه والتفكير فيه . ولو خفَّ استغراب الناس لنابليون وأضحى عندهم في قدر الرجل العادي لما كان لنا هذا السيل من التراجم الذي لا ينقطع لحياة هذا العبقري . والناس لا ينفكون يعجبون بكل شخصية او حادثة من حوادث التاريخ الى ان تفهم فهماً جيداً . وحينذاك يتلاشى الاعجاب والاستغراب على انه لا يكفي الشيء ان يثير عاطفة الاستغراب وحدها لكي يثير فينا المعجب عاطفة الاعجاب . بل يجب ان يتصف بصفة بارزة مفقودة فينا او نصيبنا منها نصيب ضئيل تقسرنا على الخضوع والتصاغر امامها . وليس من الضروري ان يكون الشيء الذي يثير فينا عاطفة الخضوع انساناً فقد يكون باخرة ضخمة تمخر عباب اليم او طيارة تئز في الفضاء ، او جبلاً اشم او وجهاً وسيماً او صورة بلغت الغاية في الاتقان . وقد يتجه الاعجاب اول الامر الى موجد هذا الشيء الذي اثار حاسة الاعجاب . واذا لم يكن ثمة شخص ظاهر معروف ترجع اليه الاشياء التي نعجب بها فاننا نرجع مصادر اعجابنا الى قوة خفية غير منظورة . وهذا لا ريب عامل كبير في نشوء الاديان القديمة وفي نشوء فكرة خالق عظيم يهيمن على جميع الكائنات . وسوف تظل للدين

سلطته وجبروته ما دام في الكون اسرار والغاز يحار العقل البشري فيها ويعجز عن النفوذ اليها

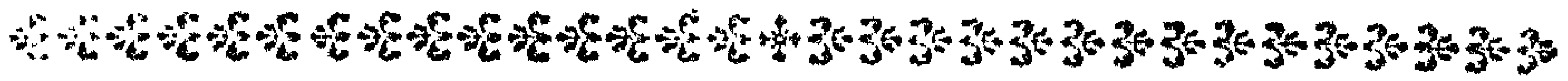
ويجب ان نذكر ان عامل الخضوع امرٌ ضروري في توليد هذه العاطفة. وهذا يفسر لنا كيف ان المغرورين هم اقل الناس اعجاباً بالاشياء المعجبة . وقد تتصف بعض مثيرات الاعجاب بصفة اخرى تثير عاطفة الخوف. فتظهر عاطفة الاعجاب ملونة بلون يبعث على الخوف والرعشة ولفظة « روعة » هي من هذا القبيل وهي خير ما يقابل كلمة awe التي تدل عليها بالانكليزية

ويلحق بعاطفة الاعجاب عاطفة الاحترام إلاَّ انها اكثر تعقيداً وأمت صلة منها بالانسان ولا يثيرها في انسان إلاَّ انسان آخر . في حين ان عاطفة الاعجاب قد يثيرها حيوان او جماد . والمرء ، لكي يثير فينا عاطفة الاحترام ، يجب ان يتصف بما يثير الخوف والرعشة فينا علاوة على ما يثير الاعجاب . وبعبارة اخرى يجب ان يتصف بما يثير عاطفة التصاغر وعاطفة الاستغراب ثم عاطفة الخوف ، ولكن على شرط ان يستغلَّ القوة التي تبعث الخوف فينا للنفع لا الاضرار . فالقائد الحازم الباسل لا شكَّ يبعث في صدور جنوده عاطفة الاحترام اذا كان يفادي بنفسه في المعركة ويناضل دونهم نضال المستميت مهما كانت يده ثقيلة عليهم ومهما اخذهم بالشدة والعنف . ومثل القائد في ابتعاث عاطفة الاحترام فيمن يحيط به كل رئيس مقتدر يسير مقدرته في سبيل النفع لا الايذاء . وقد يخيل للمرء ان ثمة اشخاصاً يبتعثون فينا عاطفة الاحترام دون ان يكون لديهم ما يبعث على الخوف . ولكننا في الحقيقة لو دققنا في ملخص عواطفنا ازاء مثل هؤلاء الاشخاص لوجدنا انها عواطف اعجاب اكثر منها عواطف احترام

والقلق عاطفة اخرى مركبة يثيرها في الغالب عاملان عامل الحب للشيء او الامل في نيله ثم الخوف عليه والخشية من فقده او استحالة الحصول عليه . وعلى قدر ما تكون النسبة بين هذين العاملين يكون القلق قويًّا او ضعيفاً . فأنت قد تأمل نيل شيء ولكنك كبير الشك في نيله في هذه الحالة يكون القلق والحيرة على اشدهما . او انك تنال شيئاً او تتأكد من نيله، ولكنك لا تستطيع الامتناع عن التفكير في امكان الحرمان منهُ . في هذه الحالة يستولي عليك احساس بالقلق . ولكنه احساس اقرب الى الاستمتاع واستشعار السعادة منهُ الى القلق الممض

وفي ختام هذا البحث لا يسعنا إلاَّ الاشارة الى ان اسلوبنا في دراسة هذه العواطف وتحليلها كان في معظم الاحوال اسلوب الاستبطان والدراسة الدائبة. ولذا فنحن لا نستغرب ان يكون القارىء على خلاف رأينا في تحليل بعض هذه العواطف . لان دور البت بشأن طبيعة هذه العواطف المركبة لم يجيء بعد . وكل ما نأمله هو ان يستثير هذا البحث في نفوس القراء الرغبة في الوقوف من هذه العواطف الانسانية موقف النقد والتحليل . ففي ذلك ، فوق ما فيه من متعة ولذة ، فهم صحيح للطبيعة البشرية وهو ما تحاول جميع العلوم «الانسانية» ان تحققهُ او تدنو منهُ على الاقل

شرق الاردن اديب عباسي



نوابغ العرب

في العلوم الرياضية



أبو العباس الفضل بن حاتم النيريزي

بينما نجد في كتاب شكل القطاع لنصير الدين الطوسي وكتاب طبقات الامم للقاضي أبي القاسم اسم صاحب الترجمة [التبريزي] اذ بالفهرست لابن النديم وتاريخ الحكماء والمصادر الافرنجية تقول [النيريزي] ، واظن ان هذا الاختلاف ناشىء عن تحريف لاسيما اذا لاحظنا ان تركيب الكلمتين (النيريزي والتبريزي) عند حذف نقطهما يصبح واحداً ، وعلاوة على ذلك فان نيريز التي هي بلد من نواحي شيراز من أعمال فارس تشبّه بتبريز [1] ولذلك فقد يكون هذا التشبيه وذاك التحريف هما اللذان اوقعا الخلط بين الاسمين

وأبو العباس من الرياضيين المشهورين الذين ظهروا في أواخر القرن التاسع للميلاد وتوفي حوالي سنة ٩٢٢ –٩٢٣ م [2] ، وهو ايضاً من الذين اشتغلوا في علم النجوم وله فيه مؤلفات نفيسة ، يقول كتاب تاريخ أخبار العلماء باخبار الحكماء في ص ١٦٨ « . . . . وكان الفضل متقدماً في علم الهندسة وهيئة الافلاك وحركات النجوم وله تآليف مشهورة . . . » وله أبحاث في المثلثات الكروية ودليلنا على ذلك ما ورد في كتاب شكل القطاع في ص ١١٥ « . . . واستعمله (اي استعمل برهاناً آخر لشكل المغنى) ابو الفضل التبريزي في شرح المجسطي وابو جعفر الخازن قبل ان اقامه هؤلاء الفضلاء مقام الشكل القطاع وتقريره على ما أورداه . . . وكذلك فقد اورد بوجه آخر الفرع الاول من فروع المغنى [3] . . . . » .

واشتغل أبو العباس بالرصد ويقال ان الارصاد التي اجراها قد راجعها بتدقيق ابن يونس الشهير الذي أتى بعده بقرن واحد وقال بمهارة النيريزي الفائقة في الرصد [4] . ومن أشهر مؤلفاته كتاب الاربعة لبطلميوس، وكتاب احداث الجو وقد الفه للمعتضد، وكتاب البراهين

---

(١) القفطي – اخبار العلماء باخبار الحكماء – ص١٦٨ (٢) سمث – تاريخ الرياضيات ج١ ص ١٧٦ (٣) الفرع الاول من فروع المغنى هو : كل مثلث قائم الزاوية من القسي العظام فنسبة جيب تمام احد ضلعي القائمة الى جيب تمام وترها كنسبة جيب القائمة الي جيب تمام الضلع الثالث (٤) صالح زكي آثار باقية – ج١ ص ١٦٠

وتهيئة آلات يتبين فيها ابعاد الاشياء ، وكتاب سمت القبلة [١] ، وكتاب شرح فيه المجسطي وآخر في شرح كتاب اقليدس [٢] وهذا الاخير ترجمه جيرارد اوف ريمونا [٣] وكتاب الزيج الكبير والزيج الصغير

أبو محمود خان بن الخضر الخجندي

يقول كتاب آثار باقية ان ابا محمود لم يُعرف الاّ من كتاب (المبادي والغايات في علم الميقات) لابي الحسن على المراكشي من تعريف الآلة المسماة «سدس التحري» التي استعملها صاحب الترجمة . والخجندي من الرياضيين الذين ظهروا في القرن الرابع للهجرة ومن كبار علماء الهيئة وهو أيضاً من الذين ظنوا انهم برهنوا النظرية المنسوبة الى فرما . ويقال ان برهانه لم يُعثر عليه وقد يكون غير صحيح [٤] . واشتغل في المثلثات الكروية ، جاء في كتاب شكل القطاع لنصير الدين الطوسي ما يلي « وقد لقب ابو محمود الخجندي هذا الشكل [٥] بقانون الهيئة . . .» وسبب تسمية هذا الشكل بقانون الهيئة هو كثرة استعماله في علم الهيئة » وقد حسب دائرة البروج ٢١ ٢ ٣٢ ٣ ٢٣ بربع احد اضلاعه مقسوم ثواني [٦]

امير ابو نصر منصور بن علي بن عراق

لم اتمكن من العثور على تاريخ ولادة صاحب الترجمة او تاريخ وفاته رغم التحري الكثير عن ذلك ، ولكنه ولا شك كان من رياضيي القرن الرابع للهجرة وكان حيًّا حوالي سنة ١٠٠٠ م [٧] . عاش اكثر اوقاته في خوارزم حيث كان مقدماً وذا مقام عال عند ملوكها ثم انتقل مع ابي الريحان البيروني في بدء القرن الخامس للهجرة الى غزنة حيث كان فيها السلطان سبكتكين ، وفيها قويت العلاقات بينهما واصبحت صداقة صميمية حتى ان احدها (ابا نصر) اهدى اكثر كتبه ورسالاته الى الآخر الذي اعترف بفضل صديقه فكان يلقبه باستاذي [٨]

يقول سمث ان منصوراً كتب عن المجسطي وفي الآلات الفلكية والمثلثات [٩] ، وله فيها (اي في المثلثات) مباحثات جليلة عرفنا ذلك من كتاب شكل القطاع لنصير الدين

(١) ابن النديم — الفهرست — ص٣٨٩ (٢) القفطي — اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ص ١٦٨ (٣) سمث — تاريخ الرياضيات ج ١ ص١٧٦

(٤) كاجوري تاريخ الرياضيات — ص ١٠٦ ، (٥) يعني بهذا الشكل ما يلي : نسبة جيوب الاضلاع (في المثلثات الحاد الزوايا والمنفرج الزاوية) بعضها الى بعض كنسبة جيوب الزوايا الموترة بتلك الاضلاع بعضها الى بعض . . » (٦) المقتطف المجلد الاول الجزء الاول ص ١٦ (٧) سمث — تاريخ الرياضيات — ج ١ ص ٢٨٥ (٨) صالح ذكي — آثار باقية — ج ١ ص ١٦٨ (٩) سمث — تاريخ الرياضيات — ج ١ ص ٢٨٥

الطوسي الذي يقول عند الكلام عن الشكل المغنى (. . . . وقد ذهبوا في اقامة البرهان عليها (على دعوى شكل المغنى) مذاهب جمعها الاستاذ ابو الريحان البيروني في كتاب له سماه بمقاليد علم هيأة ما يحدث في بسيط الكرة وغيره ويوجد في بعض تلك الطرق تفاوت فأخرت منها ما كان اشد مباينة ليكون هذا الكتاب جامعاً مع رعاية شرط الايجاز وابتدأت بطرق الامير ابي نصر بن عراق فان الغالب على ظن ابي الريحان انه السابق الى الظفر باستعمال هذا القانون في جميع المواضع وان كان كل واحد من الفاضلين ابي الوفاء محمد بن محمد البوزجاني وابي محمود حامد بن الخضر الخجندي ادعيا السبق ايضاً فيه . . .) وجاء ايضاً في مقاليد علم ما يحدث في بسيط الكرة « ان السبق في اقامة هذا الشكل مقام الشكل القطاع كان للامير ابي نصر »

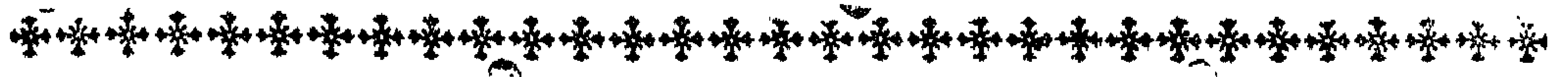
***

نستدل مما مرّ انه يوجد اختلاف في اسبقية هذا الاستعمال وانه يرجّح ان يكون ابو نصر اول من استعمل شكل المغنى في جميع المواضع وانه أيضاً استعمله بدل شكل القطاع في حل المثلثات الكروية ، اما نصير الدين فيقول بهذا الخصوص ما يلي « اقول وفيه نظر لان الامير ابا نصر قال في الجملة الثانية من المقالة الاولى من كتابه الموسوم بالمجسطي الشاهي في صدر الباب الثالث على بيان هذا الشكل بهذه العبارة «الباب الثالث فيما يغني عن الشكل القطاع» وذكر في هذا الباب بعد ان ذكر الرسالة التي عملها ثابت بن قرة في اختلاف وقوعات الشكل القطاع فقال «وعمل ايضاً رسالة فيما يغني عن جنسه (يعني عن الشكل القطاع) الا انه لا بدّ لمن عمل بذلك من استعمال النسبة المؤلفة » اقول وقد ذكره الامير ابو نصر في شرح مانالاؤس وقد ذكرت هذا في الشكل المغني عن القطاع واما انا فاذكر ههنا ما يغني عن الشكل القطاع والنسبة المؤلفة وهذا يدل ان اللقب ايضاً وضعه الامير ابو نصر واخذه من ثابت ابن قرة والله اعلم»

ولابي نصر مؤلفات قيمة منها كتاب المجسطي الشاهي وقد أهداه الى ابي العباس علي بن مأمون احد ملوك خوارزم و «رسالة في الاسطرلاب السرطاني المجنح لابي نصر منصور بن علي بن عراق في حقيقته بالطريق الصناعي وهو على تسعة ابواب [1] » وكتاب في السموت ورسالة في معرفة القسيّ الفلكية بطريق غير طريق النسبة المؤلفة ورسالة في حل شبهة عرضت في الثالثة عشر من كتاب الأصول

نابلس — فلسطين قدري حافظ طوقان

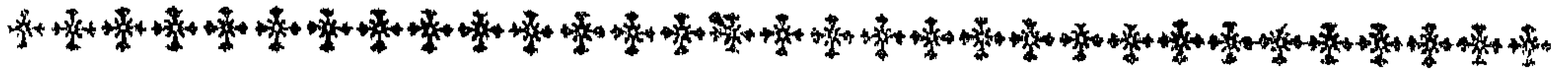
(١) كاتب جلبي — كشف الظنون — ج١ ص ٥٤٠



التعليم التجاري ومؤتمراته الدولية

لنجيب يوسف

الاستاذ في مدرسة التجارة العليا ومندوب الحكومة المصرية في مؤتمر التعليم التجاري



لقد اصبح للتعليم التجاري مكانة سامية بين أنواع التعليم الأخرى جعلت الأمم تهتم به وتعقد له المؤتمرات الدولية لتهيىء الفرص للذين يمارسونهُ أو يعنون به لكي يناقشوا على هدى التجارب المكتسبة ، الاسس والمبادىء الجوهرية لهذا التعليم في الناحيتين العملية والنظرية . ونظرة واحدة الى تطور هذا النوع من التعليم في مصر وتقدم معاهده وازدياد عدد الطلبة فيها تظهر لنا خطر نهضتنا الاقتصادية . وقد رأت ذلك حكومتنا فألفت لجنة للنظر في شؤونه وتنقيح مناهجه

وكيف لا يكون التعليم التجاري ضروريًّا وفي غاية الخطورة ، وهو المنوط به حلّ مشكلات الانتاج والاستهلاك وهي ولا ريب عامل كبير في استحكام الأزمة العالمية الحالية. كما ان تقدم التجارة وتطور وتشعب أساليبها والسعي لاكتساب أسواق جديدة لتصريف المنتجات والارتباط الكبير بين مصالح جميع البلدان وأثره في تقصير عمليات المبادلة وانواع المنافسة والاحتكار كل هذه الامور تتطلب حصول رجل الاعمال ومساعديه على ذلك التعليم الفني الذي يؤهلهُ للقيام بمهمتهِ على الوجه الاكمل مثله في ذلك مثل المهندس والطبيب . فان الدور الذي يقوم به التاجر في حياتنا العامة يزداد شأناً يوماً بعد يوم . ألا ترى ان مشاكل العالم الآن هي اقتصادية قبل اي اعتبار آخر وان الامل في الخروج من الازمة العالمية الحالية معقود على القائمين بالشؤون الاقتصادية والمالية . ومن يقوم بهذا الدور سوى رجل مثقف نال قسطاً وافراً من التعليم يمكنه من البعد في النظر والسداد في الحكم ومقابلة الحالات الجديدة بحلول جديدة . ومما لا شك فيه ان ارتفاع مستوى المعيشة في بلد يتوقف على كفاءة الموكول اليهم القيام بسد حاجات أهلها . كما ان معاهد التعليم التجاري اصلح ينبوع للعلوم والمعارف التي تساعد البلد في نشاطها الاقتصادي والصناعي

للتعليم التجاري جمعية دولية مركزها امستردام تبحث في شؤونه وتعمل على النهوض به الى المستوى اللائق بتقدم العالم من الوجهة الاقتصادية. ولهذه الجمعية لجان أهلية فرعية في أكثر الممالك هي حلقة الاتصال بينها وبين المشتغلين بأمور التعليم التجاري. وبمجهودات تلك اللجان وبمساعدة الجمعية الدولية واشرافها تنعقد تلك المؤتمرات الدولية للتعليم التجاري للعمل على

الرقي به بتنقيح برامجه في ضوء ما يستجد من التجارب ووجوه التقدم. ويرجع تاريخ تلك المؤتمرات الى عام ١٨٨٦ لما عقد اول مؤتمر في بوردو بفرنسا وكان الغرض منهُ النظر في شئون التعليم التجاري والصناعي واستمرت الحال على ذلك في مؤتمرات عام ١٨٨٩ في باريس وعام ١٨٩٦ في لندرة ثم رؤي بعد ذلك فصل هذين النوعين من التعليم فكان المؤتمر في انفرس عام ١٨٩٩ خاصًّا بالتعليم التجاري وعقبه مؤتمر ميلان عام ١٩٠٦ وفينَّا ١٩١٠ وبودابست ١٩١٣ — ولم يُعقد مؤتمر ابان الحرب العالمية. وقد حضرتُ مؤتمر امستردام عام ١٩٢٩ وانتدبتني الحكومه المصرية لتمثيلها في مؤتمر ليبج عام ١٩٣٠ فتقدمت برسالة عن تطور التعليم التجاري في مصر وأثرهِ في نهضتها الاقتصادية . وفي عام ١٩٣٢ تشرفت بوكالة المؤتمر الذي التأم في لندرة

افتتاح المؤتمر

افتتح مؤتمر لندرة في صباح الخامس والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٣٢ في الصالة الكبرى لدار جمعية العطارين في لندرة وهي بناء قديم فخم يقع وسط حي الاعمال وكان في منصة الرئاسة محافظ المدينة يصحبهُ وكيل وزارة المعارف ورئيس المؤتمر ورئيس الجمعية الدولية للتعليم التجاري ورئيس اللجنة الاهلية الانكليزية واللورد برنام من كبار رجال التعليم

وقد قرئت رسالة من سمو ولي عهد انكلترا — وكان المؤتمر تحت رعايتهِ ورعاية سفراء الدول ووزير المعارف ووكيلها ورهط كبير من عظماء الانكليز من رجال الاعمال ورجال التعليم — رحَّب فيها بالمندوبين الذين اتوا لحضور المؤتمر من نيف وثلاثين دولة وتمنَّى لهم طيب الاقامة والنجاح في اعمالهم . واعرب عن اهتمامه الكبير بالتعليم التجاري وكل ما يؤدي الى القيام بالتجارة على الوجه الاكمل . ثم رحب المحافظ بالمؤتمرين نيابة عن بلدية لندره

فردَّ عليه المسيو يواز فان الهولندي ورئيس الجمعية الدولية شاكراً ومظهراً اغتباطه بانعقاد هذا المؤتمر في انكلترا البلد العريق في التجارة منوّهاً بشجاعة اللجنة الاهلية الانكليزية وفضلها في قيامها بتنظيم المؤتمر في مثل هذا الوقت العصيب وقال بأن حضور اعضاء المؤتمر بهذا العدد الوافر مع اشتداد الازمة العالمية الطاحنة لما يبرهن على شدة الحاجة الى تبادل الآراء فيما يختص بالغرض من التعليم التجاري وتنظيم معاهده

وقد اشار الى ظاهرة غريبة في انكلترا وهي انهُ مع عدم اهتمامها كثيراً بالتعليم التجاري فقد اخرجت للعالم اساطين في التجارة والصناعة مما يدل على ان الناحية العلمية وحدها لا تكفي لتكوين الرجل بقدر الناحية الاخلاقية والشخصية . والنظام المتبع في المدارس الانكليزية ألا وهو اشتراك الاساتذة مع الطلبة في الالعاب الرياضية قد ادى الى نوع من الالفة يظهر اثرها جليًّا في تكوين اخلاقهم وشخصياتهم بينما يشاهد في بلاد كثيرة ان كلا الفريقين ينظر الى الآخر بعين النفور وتلك حالة لا شك محزنة

ويا حبذا لو اشترك رجال الاعمال في مؤتمرات التعليم التجاري وأبدوا ملاحظاتهم لرجال التعليم ونوهوا بمواضع الضعف في تنظيم التعليم وتشجيع الصالح منها . وقد سرَّهُ ان يرى بين اعضاء اللجنة الاهلية الانكليزية للجمعية الدولية للتعليم التجاري الاساتذة ونظار المدارس ورجال الاعمال وأصحاب المصانع ورؤساء بعض المصالح العامة ومديري الشركات الخاصة والتجار وطلبة العلم . كذلك يُستحبُّ اشتراك رجال التعليم الفني والصناعي

ولقد اظهرت الازمة العالمية ان ازدياد البطالة وشدة احكام الحواجز الجمركية وهبوط الاسعار وتزعزع النقد والعقبة في سبيل تداول السلع والخدمات والاشخاص كل هذه ترجع الى المغالاة في فكرة القومية . وعلاج ذلك في تشجيع الروح الدولية . وليس هناك اقرب الى التفكير تفكيراً دوليًّا من تجار الصادر والوارد وأرباب الملاحة والمصارف . وبالاختصار كل من له علاقة بالتجارة فانهم بطبيعة اعمالهم واتقانهم عدة لغات يمكنهم تفهم عقليات الشعوب المختلفة وكيفية معيشتهم وبذلك يسهل تبادل الثروات وما يتبعه من رخاء . ولما كانت تلك هي روح الجمعية الدولية للتعليم التجاري فلا ريب انها تسود اعمال المؤتمر . واختتم خطابه بتوقع الفائدة من وراء مناقشات الاعضاء بل ومن وراء تعارفهم واختلاطهم خارج جلسات المؤتمر

ثم تلاهُ السير فرانس جودانف رئيس اللجنة الاهلية الانكليزية في خطاب نفيس استهلّهُ بشكر الاعضاء الذين حضروا من جميع اقطار العالم والترحيب بهم ثم امَّل الحصول على اكبر الفوائد من وراء عقد المؤتمر . لقد كان التعليم التجاري يشمل فنون المكتب والمحاسبة والمراسلات وهذه مع كونها موادّ اساسية الاَّ انها لا تكفي لحسن سير التجارة الذي يستلزم البحث عن الاسواق والعمل على توسيعها والاحتفاظ بها . هو تعليم يعدُّ القائمين بالتجارة في جميع ادوارها المتشعبة من رئيس العمل الى البائع الماهر الى الكاتب الكفء ولذلك فهو يفضل تسميته «بالتعليم للتجارة» وليس التعليم التجاري

وكما ان معضلة ذلك النوع من التعليم ثلاثية : ايجاد الرئيس والبائع والكاتب فإنا نجد ثلاث فئات يتحتم اشراكها في مواجهة تلك المعضلة وهي الآباء والمعلمين وأصحاب الاعمال

جلسات المؤتمر

عقدت جلسات المؤتمر في ردهة الحفلات الكبرى بمدرسة الاقتصاد والعلوم السياسية

وكان النظام المتبع ان يفتتح الرئيس الجلسة التي يحضرها كل الاعضاء فيمهد للموضوع المنصوص عليهِ في جدول الاعمال بكلمة وجيزة ثم يطلب الى كل من قدم رسالة في الموضوع ان يشرح رسالته على قدر المستطاع خلال بضع دقائق ولكنه لا يسمح له بقراءة الرسالة بعد ان يكون قد سبق ان وزع على الاعضاء موجزاً لها ثم يتعاقب الخطباء ممن له ملاحظة او نقد او تعليق على الرسالة بقدر ما يسمح به الوقت

وقد افتتح الرئيس الجلسة الاولى بخطاب اشار فيه الى سوء الحال التجارية في جميع اقطار العالم الآن وإن هذا لممّا يدعو الى زيادة الاهتمام بالتعليم التجاري وتمنى للمؤتمر التوفيق والسداد في خطواته حتى تسفر اعماله عما يساعد على حل المشكلات القائمة في ميدان الصناعة والتجارة

واشار الى الفائدة التي تجنى من تدريس اللغات الاجنبية في مدارس التجارة إلاّ انهُ يود اعطاء اللغة الاصلية في البلد الاهتمام الجدير بها فإن اللغة الصحيحة السلسة الخالية من الاخطاء والتعنت والالفاظ الجوفاء تعطي الرسالة التجارية القيمة التي تستحقها

إن اول مقتضيات التجارة والقيام بالمشاريع الاقتصادية هو الحصول على رجال ذوي اخلاق قوية . وان النجاح الوقتي لمن لا خلاق له لا يلبث ان يفضي الى فضائح ومصائب كما شوهد في ميدان الاعمال إبان السنين الاخيرة

وأفضل نوع من التعليم لمن يريد مزاولة التجارة هو تدريب شامل لتقوية ملكة الملاحظة والابتكار والاعتماد على النفس والشرف في المعاملة والقدرة على الاشتراك في العمل بالاخلاص

ثم شرع المؤتمر في مناقشة المواضيع الآتية في الجلسات الباقية

الطلبة والاهتمام بالبلاد الاجنبية ودراسة شعوبها

في انكلترا «جمعية الرحلات المدرسية» تقوم بتنظيم رحلات الى خارج البلاد . ويشرف الاساتذة على الطلبة طول مدة الرحلة التي يوضع برنامجها العلمي بطريقة محكمة : وتتميز هذه الرحلات عن الزيارات العلمية التي يراد منها توسيع معلومات الطالب في ما يتعلق بأقليمه . وعن الاجازات المدرسية التي يقضيها الطلبة في جهة ما بدون غرض علمي وعن رحلات الكشافة التي يقصد منها الاعتماد على النفس وضبطها . وفي النمسا يهتمون بتدريس الجغرافيا الاقتصادية وتاريخ الثقافة في البلدان الاخرى ولا يقصد بتدريس اللغات الحية معرفة اللغة فحسب بل والوقوف على أدبها وثقافة أهلها وعلاقتهم العلمية والاقتصادية بالبلاد الاخرى

وفي فرنسا يعنون بانتقاء الكتب المزودة بالرسومات وكذلك أفلام الثقافة المأخوذة في البلاد الاجنبية والتي تعطي فكرة صحيحة عنها . فمن صورة لمعيشة أهلها العائلية ، إلى الحال في الاسواق والبورصات ، إلى الحوادث الاقتصادية والسياسية والرياضية . ولا ينسى شأن الحاكي (الفونوغراف) و (الراديو) في تعليم اللغات . وهناك الجمع بين زُمَرٍ من طلبة بلدان مختلفة والاشتراك في تمضية العطلة المدرسية معاً . وانشاء الاندية التي تشترك فيها الجاليات الاجنبية مع اهل البلد . وثمة فكرة مجلة جامعية تحرر بلغات عديدة

اعداد اساطين التجارة بطريق التعليم التجاري

يتطلب إعداد من يعهد اليهم في المناصب الرئيسية في ميدان التجارة والصناعة ثقافة عامة عالية يراعى فيها ارتباط الدراسة العملية بالدراسة النظرية ويكون الغرض من الدراسة النظرية

إمكان تطبيقها بحذق ومهارة قصد زيادة الرقي والتقدم

والغرض الاساسي من المدارس التجارية تقوية ملكة الابتكار ثم زيادة المعلومات. فتقوية ملكة الابتكار لها الاعتبار الاول وان كانت اغلب المدارس تجعل المكانة الاولى لزيادة معارف الطلبة وهذا خطأ بيّن . فان الرأس المنظّمة خير من الرأس المحشوة بالحقائق المتفرقة

ويجب تنمية صفات المعرفة والحكمة والبتّ والنشاط . فعلى من تلقى اليهِ مقاليد الاعمال التجارية ان يكوّن فكرة شاملة عن ميدان الاعمال وعليهِ ان يعرف العالم والرجال ولا يكون ذلك الاّ بدراسة العلوم الطبيعية والفلسفية وعلم النفس واللغات وبقية وسائل التفاهم من قلم الكاتب وريشة الرسام وازميل النحات . ومهما طالت مدة الدراسة فلن تكون كافية للحصول على كافة المعلومات اللازمة واذن فالمهم تدريب الطالب على طرق البحث والتنقيب . وتساعد الحكمة على فحص المعلومات ومقارنتها والخروج منها بنتيجة . وتقوّى هذه الملكة بدراسة الرياضيات والمنطق والتاريخ . ولن تفيد المعارف والحكمة بدون المقدرة على البتّ في الامور واتخاذ القرارات الحاسمة في الوقت المناسب وبعبارة واضحة . ومن ثمّ كان للالمام باللغة الاصلية شأن كبير وللنشاط البدني اثره في توقد الذهن ومن ثمّ كانت الحاجة الى الالعاب الرياضية

ويشترط للانتظام في المدارس التجارية تأدية امتحان قبول ليتسنى الحصول على مجموعة من الطلبة في مستوى علمي واحد بقدر الامكان .ويجب ان يكون ناظر المدرسة التجارية متخصصاً في العلوم التجارية وأن يكون له اتصال وثيق دائم بالحياة العملية . وتزداد الحاجة الى من لهم إلمام بالعلوم التجارية بسبب تدخل الدولة في المشروعات الاقتصادية وتحويل تلك المشروعات بطرق جديدة منها القروض وإصدار السندات التي تتطلب دراية فنية في الامور المالية — وكذلك استعمال الدولة والمجالس البلدية للاساليب التجارية الحديثة في ماليتها وتقييد حساباتها. ثم ان اعمال الجمارك وكل ما يختص بالضرائب والتشريع الاجتماعي تتطلب معرفة كيفية توزيع الدخل ومقدرة المموّل على الدفع

إعداد تاجر القطاعي

تجارة « القطاعي » عبارة عن بيع السلع من ضرورية وكمالية الى المستهلك مباشرةً وهي حلقة هامة من التجارة . وكان يقوم بها في الغالب صغار التجار أما الآن فقد انتشرت المخازن الكبرى وموظفوها ينتخبون من بين خريجي المدارس الابتدائية والثانوية الذين لم يحصلوا على تعليم تجاري ومن ثم كانت الحاجة ماسة الى تعليمهم تعليماً فنياً خاصًّا بمهنتهم

ويقوم بهذا النوع من التعليم في انكلترا معاهد خاصة كمعهد العطارين وقد مضى على تأسيسه ٣٥ سنة وتدرس فيهِ اصناف البضائع ومعرفة اماكن انتاجها وطرق اعدادها للسوق ويضاف الى ذلك دروس في الحساب واللغة وإمساك الدفاتر وطرق التجارة وتمنح المحلات الكبرى

الجوائز للمتفوقين في امتحان هذا المعهد وتعطى المنح المدرسية المختلفة . وفيه ٣٥٠٠ طالب. وقد ساعد هذا المعهد على انشاء الاحترام اللازم للمهنة التي يقومون بها وأوجب عندهم الغيرة وحب العمل . ويجب ألاّ ننسى أن صغار النشء في عالم التجارة اليوم هم كبار تجار المستقبل

وتشتدُّ الحاجة الى هذا النوع من التعليم في عصرنا الحاضر بسبب شدة المنافسة والتقدم العظيم في وسائل المواصلات والتطور الكبير في الصناعة . وقد أدت هذه العوامل الى توزيع السلع وأدخلت عامل « الموده » وأفضت الى توزيع جديد للثروة بين طبقات الهيئة الاجتماعية فتأثرت المقدرة الشرائية في تلك الطبقات وكل هذه وسائل تحتاج الى دراسة تقوم بها تلك المعاهد الفنية ويجب ان يشترك رجال التعليم والتجار في التدريس بتلك المعاهد

اعداد المدرسين

يتحتم علاوة على مواد التدريس المام المدرس بتاريخ التعليم ومذاهبه وأساليبه والحصول على خبرة تجارية وحضور المدارس الصيفية والعمل على توسيع معارف المدرس باستمرار البحث وتسهيل زيارة المعاهد التجارية الاخرى واستماع محاضرات اقتصادية والقيام بسياحات علمية

ويحسن الانتظام في متجر عند التخرج وقبل البدء في التدريس اذ في المتجر تتيسر دراسة طبائع الناس في الطبقات المختلفة . والنفسية كثيراً ما تظهر واضحة عند الشراء

و يا حبذا لو أمكن توحيد مستوى التعليم في مختلف البلدان

وتناولت مناقشات المؤتمر عدة مواضيع اخرى منها مكانة تعليم اللغات الاجنبية في المدارس التجارية . والتدريب على اشغال المكاتب والاستعانة بالسينما والجرامافون والراديو في التعليم التجاري ونصيب المرأة في الأعمال التجارية . والتطور في التعليم التجاري منذ الحرب العالمية

وقد أظهر ولي عهد انكلترا اهتمامه الفائق بأعمال المؤتمر وحضر حفلة الختام وألقى خطاباً نفيساً قال فيه « ان الدروس القاسية التي ألقتها علينا الازمة العالمية تظهر لنا بوضوح أن سعادة كل أمة مرتبطة بسعادة الأمم الاخرى . ولا شك ان الكساد العالمي ناشىء من عدم تساوي التوزيع والاستهلاك بالانتاج وان تعليم القائمين بالتجارة التعليم الصحيح الوافي قد يساعد على حل الكثير من المعضلات العالمية الاقتصادية . ولا بد من اشتراك المربين وأرباب الاعمال وأولياء الامور في النهوض بالتعليم التجاري »

قرارات المؤتمر

(١) العمل على تسهيل تنقل الطلبة بين البلدان المختلفة للتدرب على أساليب التجارة بها واتقان لغاتها ليتسنى لهم النهوض بالمهمة التي ستلقى على عاتقهم وهي التجارة الدولية

(٢) يطلب المؤتمر من أعضائه بث الدعوة في بلدانهم بأن رخاء كل أمة مرتبط برخاء العالم أجمع

(٣) لما كان التعليم التجاري هو الخاص بتفهم العلاقات الدولية فهو من أفضل الوسائل الى الرخاء العام وتجب اذاً زيادة العناية به ورفع مستواه

مقترحاتي

تجمع برامج الدراسة في مدرسة التجارة العليا بمصر بين برامج كليات الاقتصاد وبرامج كليات التجارة في بعض البلدان الاوروبية . ولذلك شدّ ما يصيب الطالب من جهد ونصب في أن يلم الالمام الكافي بكل مواد المنهج. والمسألة ليست مسألة مقدار يحشو الطالب به ذهنه حشواً بل المهم تقوية ملكة الابتكار والاستنباط عنده . ولن يتسنى ذلك في رأيي قبل فصل هذين النوعين من الدراسة : الاقتصاد والتجارة

وطبيعي انه كلما زادت معلومات الطالب كان ذلك في فائدته ولكنه مهما أعطي من المعلومات في مدة الدراسة فلن يعطى القدر الذي يكفيه مدى الحياة . ولذلك كان من المهم تدريب الطالب على التفكير والبحث . واذا كان ناظر مدرسة الهندسة الملكية يقول في خطابه لما زارها جلالة مولانا الملك :— «ان المناهج وحدها لا تكفي لتحقيق الغاية المرجوة من أي نوع من أنواع التعليم فهناك أمر آخر يعد في ذروة الاهمية ألا وهو روح التعليم وأساليبه ولا يمكن الوصول الى هذا الغرض المنشود من التعليم اذا اكتفينا بتلقين الطالب معلومات أيًّا كانت درجة أهميتها ورقيها دون أن يتمكن من فهمها جيداً ودون أن يعرف كيف يستخلصها ويستجمعها ويطبقها بنفسه . وأهم أغراض التعليم ايقاظ ملكة التفكير والتعقل في الطالب وتنميتها »

هذا كلام ناظر مدرسة الهندسة . أفليس من الاحرى أن ينطبق ذلك على دراسات كالعلوم الاقتصادية والمالية والتاريخ والقانون

ويشكو الممتحنون عاماً بعد عام انحطاط مستوى إجابة الطلبة وضعف استنتاجهم ولكن فاتهم وكلهم من خريجي الجامعات الاوربية ومن المتبحرين في علمهم أنهم ينشدون في اجابة الطلبة المستوى الجامعي في حين أن نظام التدريس بالمدرسة لا يمكن أن يؤدي الى تلك النتيجة المنشودة . فان تلقين الطالب خمسة دروس متتابعة في نصف نهار فقط لا يساعده على تفهمها وتمحيصها جيداً

لذلك يكفي الطالب في اليوم درسان أو ثلاثة دروس موزعة على طول النهار وبذلك تتاح له فرصة الاطلاع بالمكتبة فيتعوَّد البحث والاستقصاء والتفكير ولا بدّ ان تتوافر في المدرسة المعدات التي ترغّب في البقاء بها طول النهار من حجرات مريحة للمطالعة وأخرى للتحادث والمناقشة ومن صنوف التسلية ومختلف الالعاب الرياضية الشيء الكثير

وفي أغلب البلاد الاوروبية يشترك الطالب مع الاساتذة في المناظرات والالعاب الرياضية فتتولد بينهم الالفة التي أراها مع الاسف تنعدم وتتلاشى بخطى سريعة عندنا

وأرى أن تترك للطالب حرية حضور الدرس على شريطة ألاّ يتقدم للامتحان الاّ اذا أثبت حضوره عدداً معيناً من الدروس (٧٥ ./. مثلا) فان هذا يرفع مستوى التعليم . ذلك ان الطالب قد يكون باقياً للاعادة فلا يرغب في حضور درس هو ليس في حاجة اليه ولو ترك حرّاً لاستفاد من وقته هذا بالمطالعة في المادة التي رسب فيها أو في علم آخر يرغب الاستزادة منه . وقد يكون الطالب متعباً أو لا رغبة له في حضور الدرس لسبب ما فارغامهُ على حضور الدرس لايجديه نفعاً بل على عكس ذلك تكون النتيجة أنه لايفتأ منشغلاً عن الدرس وينصرف عنه بكل جوارحه ويتحدث مثلاً الى جاره وحينئذ سرعان ما يستميل اليه المتردد في سماع الدرس والذي لو وجد القدوة الحسنة لاتبعها ولكنه في الوقت لا يتأخر عن مجاراة القدوة السيئة وفي هذا تعطيل كبير للدرس يشكو منه كل محاضر في حاجة الى استجماع كل افكاره لاسيما في مثل تدريس العلوم الاقتصادية والمالية التي يقول عنها الاقتصادي الكبير J. M. Keynes انها علوم تفكير ليس لها ضوابط ثابتة الغرض منها الوصول الى نتائج وهي وان كانت دراستها ليست بأصعب من دراسة الرياضيات الاّ ان طرق التعبير فيها ليست لها نفس الدقة التي في الرياضيات ولذلك ما أشق وما أصعب ان ينقلها المدرس الى اذهان الطلبة

ويظهر ان رغبة العبث بالدرس من جانب ذلك النفر من الطلبة الراغب عن تحصيل العلم لا تخلو منها المدارس التي تحتم على طلبتها حضور الدرس . فقد قال ناظر مدرسة التجارة العليا بباريس ان المدرس يدخل غرفة المحاضرة ومعه ضابط لحفظ النظام حتى يتسنى للمدرس ان يتفرغ للدرس وان يحصر كل همه في القائهِ . أما اذا طلبنا من المدرس ان يكون محاضراً وحافظاً للنظام في آن واحد فاننا في الواقع نحمّله ما يشق عليه حمله بل ماهو فوق طاقته . ولابد ان يتلاشى أحد المجهودين اذ يضعف حينئذ أمام الآخر

وكيف يتسنى للطالب ان يصل في الدراسة والتحصيل الى ذلك المستوى الجامعي الذي ينشده ممتحنو الدبلوم ونظام التدريس وروح التعليم في المدرسة على هذه الصورة التي لاتختلف كثيراً عن النظام المتبع في التعليم الثانوي

***

تلك اقتراحاتي اردت الادلاء بها راجياً ان تثير اهتمام القائمين بشؤون التعليم التجاري حتى ينال على ايديهم وبفضل مجهودهم العناية والاصلاح ، والله ولي العاملين

الظلام (١)

اغربي يا ذكاء فالمساء قد محا سطر الشعاع الذهبي
فاذهبي والضياء في السماء سيواريه حجاب الغيهب

***

خطت الشمس على متن السماء الازرقِ صفحة حمراء من تبر الشعاع
لاح منها لك لوح الشفقِ
خلطتها بمذاب من لجين الافقِ ابيض دبجهُ منها اليراع
فهو قانٍ عائم في يققِ
ثم لما جاء زنجي الدجى بالفيلقِ صاح قبل الشمس بالجيش الوداع
ويك يا اسود لِمْ لمْ ترفقِ

***

خطت الشمسُ ألا ان الورى في ضلال وغرور وعمى
هل دروا ان الحياة سوف تفنى وتزول مثلما يمحو الدجى مني السطور لا مرا
ليت شعري هل سوى الشمس ترى كاتباً افنى العصور انما ،
هي سر الكائنات حيرت منا العقول فبها العالم يجري ويدور مجبرا

***

اكتبي فالبهاء والهناء كله عنوان سفر المغرب

---

(١) نظمتها في الرميثة مركز الثورة ايام كنت منفياً من طهران

وارقبي فالرواء في العشاء يتوارى عنك خلف الحجب
والسلام قد بدا سيدا بعد ان اغمدت الشمس الحسام
والظلام اخمدا ما غدا يلهب العالم ظلماً بالضرام

***

يدك البيضاء اعني البدر عندي اكرم ايها الليل الا يا اسود
انا بالبدر معنىً مغرم
ظالم انت ولكن نهاري اظلم ليت ليلي دام دهراً يا غدُ
انت قاسٍ ابداً لا ترحم
قد اذعت السر والليل كريم يكتم اترى الشمس بهذا تشهد ؟
كلما يخفق منها العلم

***

يستر الليل شقائي والجوى تحت جنح اسود فالدجى
ذو يدٍ لا تنكر كم تداويت بها من جروح قد اذابت كبدي بالهوى
واذا ما النجم ولّى وهوى وتوارى اغتدي بالشجا
وجوى يستعر يستفزُّ الولها في فؤاد ظلّ رهن الموقد فاشتوى

***

هل يلام من شدا منشدا ما حكى من شعره سجع الحمام
وعلام ردّدا بالصدى نغم الحزن وألحان الحمام ؟

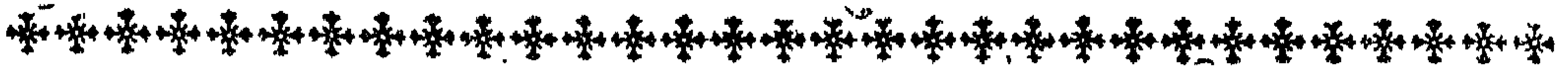
طهران ميرزا عباس خان الخليلي
صاحب جريدة اقدام ومطبعتها



مشاهدات روحانية

ساعة الاحتضار

لمحمد فريد وجدي



تفضلت مجلة المقتطف فأحالت عليَّ ابداءَ رأيي في مسألة روحانية تتعلق بغلام كان سنه اثنتي عشرة سنة ونحو اربعة اشهر، حدثت منهُ ساعة الاحتضار. فقابلني والده الفاضل وافضى اليَّ بما حدث وشهده هو ونحو خمسة عشر نفساً من ذوي قرابتهِ منهم طبيبان وهو يتلخص فيما يلي:

مرض ولده المحبوب واشتدت عليهِ العلة حتى اشرف على الاحتضار ثم سكن حتى ظنَّ الطبيب انهُ قد فارق هذا العالم ، الاَّ انهُ ما لبث ان اشرق وجههُ وعادت اليهِ الحياة فابتسم واخذ يصلي قائلاً : « يا رب اشكرك لانك ستأخذني في هذه الساعة ولما انحدر الى هذه الارض القاحلة التي منها اصعد اليك ، وهناك اكون مبسوط بوجودي معك آمين » ورسم الصليب . لانهُ مسيحي من اسرة مسيحية . ولما تقدم اليهِ والده قال له الغلام : « يباركك المسيح على يد عبده وليم . تمسك بالدين المسيحي وواظب على الكنيسة ، وسنتقابل في جنة عدن التي يموت المئات والالوف والملايين ولا يدخلها الاَّ خمسة في الالف . اثبت مع المسيح وستكون رئيس هذه العائلة دائماً »

فقال لهُ والده : « انا عايزك تقعد معايا عشان تساعدني » . فاجابهُ الفتى بقولهِ . « ما الفائدة ان اعيش واذنب هنا ، فاتعذب هنا واتعذب بعدين ، الموت احسن »

فقدم له والده عمه قائلاً له بارك عمك ، فرفع يده اليمنى ووضعها على رأسهِ قائلاً : « يباركك المسيح على يد عبده وليم (هذا اسم الفتى) . تمسك بالدين المسيحي ، ولا تنسَ الكنيسة سنتقابل في جنة عدن » . ثم قدم له والده شقيقه وخالتهُ وعمتهُ وغيرهم فباركهم بما لا يخرج عما تقدم . فقال له احد الحاضرين : « المسيح عن يمينك » فاجابهُ الغلام : « المسيح امامي (مشيراً باصبعهِ) . آمين » . ثم قال لسيدة وقد رآها تبكي : « لا تبكي يا عزيزتي عايدة بل كوني مسرورة لاني ذاهب الى المسيح »

ولما سأل عن (استر) اخبره والده بانها مريضة . فباركها عن بعد . ثم جاءَت وهي باكية ، فوضع يدهُ على رأسها وقال لها : « انا ذاهب ولن اعود ولكن سنتقابل ولا تنسي الكنيسة » ثم اخبرهم بانهُ قد تعب وطلب اليهم الانصراف ، وما لبث ان لفظ النفس الاخير

رأينا في هذه الحادثة

اني مع العطف الكبير الذي اشعر بهِ نحو والده الفاضل الذي رأيت منهُ ما اعجبت بهِ من التسليم لقضاء الله والايمان بهِ ، لا استطيع أن احابي في العلم فهو امانة في عنق اهله ، فانا استميحهُ كل الحرية في ابداء رأيي فأقول :

ان الذي عرفهُ جميع الذين تسنى لهم شهود المحتضرين ان كثيراً منهم تعرض عليهم بعد اليأس منهم صحوة توهم الذين حولهم انهم قد عادوا الى ما كانوا عليهِ من الصحة ، فيوصون ذوي قرباهم ،ويعظونهم ، وقد يخبرونهم بانهم يرون من المشاهد الروحانية ما يهوّن عليهم ترك هذا العالم ويجعلهم مطمئنين الى الموت الذي هو ليس الاّ انتقالاً الى عالم الجمال والخلود. والذي حدث لهذا الغلام هو من هذا القبيل لا اقل ولا اكثر

بقي الحكم على قيمة ما ذكره لذويهِ، والذي نراهُ ويراهُ كل ناقد انهُ لايعلو عن ذهن تلميذ تزيد سنه على الثانية عشر قد يكون في السنة الاولى من القسم الثانوي ، وقد تربى على سماع مثله منذ نعومة اظفاره . اما العقيدة الراسخة التي ظهر بها ، فهي عقيدته التي نشأ عليها ، والانسان يموت على ما لقّنَ من التعاليم ويبقى زماناً في عالم الارواح على ما هو عليهِ فيثبت فيهِ او ينصرف عنهُ بتأثير الارتقاء الذي يتاح له في ذلك العالم . وقد نصَّ على ذلك العلماء الذين اطالوا البحث والتجربة في هذه الامور .فقال العلامة الكبير (سيزار لومبروزو)وهو مؤسس المذهب الفيزيولوجي المشهور بعلاقة الجرائم بشكل الجمجمة في كتابه (الهبنوتزم والاسبرتزم) في صفحة (٢٨٣) منهُ ما يأتي :

« تحتفظ ارواح الموتى في العالم الروحاني بما كانوا عليهِ من درجتهم العقلية والخلقية »

وقد اعترض كثير من الناس على قيمة المعلومات التي تأتيهم بعض الارواح بها ظنّـاً منهم ان من انتهى الى ذلك العالم كشف عنهُ حجاب الحقائق . فاجابهم العلماء بما تقدم وقد اجمعوا كلهم عليهِ . حتى ان الدكتور جوستاف جيلي Dr. G. Geley مدير معهد المباحث الروحية العلمية في باريس ذكر في كتابه (نظرة عامة وشرح تركيبي للاسبرتزم) هذا الاعتراض وحمله بمثل ما قاله الاستاذ لومبروزو ثم قال :

« فنستنتج من ذلك أن جميع الاعتراضات التي وجهت عن خفة الى الاسبرتزم بمناسبة ضعف المحصول العقلي والغموض والمعلومات السطحية والاكاذيب والمتناقضات الخ التي قد تتلقى من بعض الارواح عند الاتصال بها ليست تقوم على اساس صحيح »

واني اريد في هذه الفرصة ان افضي الى قراء المقتطف ببعض ما يناسب هذا المقام مما عني علماء اوربا بجمعهِ من المشاهد الروحانية ساعة الاحتضار فان فيها فائدة علمية عظيمة القيمة ، نقتطفها من كتاب وضعهُ خاصّـاً بها العلامة البسيكولوجي بجامعات ايطاليا (ارنست

بوزانو) أسماه (الظواهر الروحية في ساعة الاحتضار) قال في مقدمتهِ :

« قد شوهد في جميع الازمان ولدى جميع الشعوب أَنهُ عند حدوث الازمة النهائية للاحتضار ان الانسان يتحلى في احوال كثيرة بصفات من الفطنة والكشف تعتبر غاية في الغرابة ويكون عرضة لمدركات غير طبيعية قد يشاطره شهودها الحاضرون معهُ والبعيدون عنهُ . وقد اجتهد ممثلو العلم الرسمي والذين يشتغلون بالمباحث النفسية الجديدة في تسرية الاسلوب التجريبي على هذه الظواهر السابقة للموت . ولئن كانوا قد انجحوا في ادخال جزء منها في دائرة القوانين الطبيعية المقررة في علم الفيزيولوجيا النفسية الا أنه لا يمكن التأكيد بانهم قد انجحوا في حصرها كلها في هذه الدائرة

« هذه الظواهر التي نحن بصددها هي من التركيب في حال لا نستطيع تصوره ، ومجالها الفسيح يمتد من اول ابسط حالات قوة الذاكرة والعجز عن التعبير الى حالات الشعور بما هو بعيد عن المحتضر ، ومن اول درجات الكشف البصري الى درجات الافراط في العلم او التقهقر فيه . ويضاف الى كل هذا حوادث هامة لمرئيات مدهشة ومشاهد جلية ، واخرى رمزية واخيراً شهود امور مؤثرة جداً لاشباح الذين ماتوا من قبل

« الحالة الأخيرة اكثر الحالات وقوعاً الى حد أن التجربة العامية قد استخرجت منها قاعدة عامة من قواعدها الكثيرة . فان كل امرأة من الشعب تؤكد لك بأن المريض اذ تكلم مع موتاه فلا يبقى أمل في شفائه . والواقع ان تسعة وتسعين في المئة من الاحوال تؤيد هذه القاعدة

الى ان قال : « اذا كان سبب هذه الظواهر هو تحول فكر المحتضر بشدة الى الاشخاص العزيزين عليهِ ، كان اولى به بدل ان يتحول نحو الموتى ـ حتى الذين كان قد نسيهم ، أن يتجه الى رؤية اشباح الاحياء الذين هو مرتبط بهم بأشد روابط المحبة . وهذا لم يحدث قط . فقد شوهد العكس وهو أنه لم توجد حالة واحدة رأى فيها المحتضر اشباحاً للاحياء ، او وجه اليهم كلاماً كما يوجهه الى الموتى . ونعرف جيداً حالات لمحتضرين شاهدوا فيها اشباحاً كان يظن ان أصحابها من الاحياء ، وقد ثبت في كل مرة حدث فيها مثل هذا أن أصحاب هذه الاشباح كانوا قد ماتوا قبل ذلك بقليل ولم يعلم ذلك احد من الحاضرين ، ولا كان يعلمه المحتضر ايضاً . فيجب الاعتراف بان لهذه الاعتبارات قيمة استدلالية عالية في مصلحة التعليل الروحاني لهذه الحوادث . ولو أن التدليل التجريبي على صحة هذا التعليل شاق جداً بسبب طبيعة هذه الحوادث نفسها » انتهى

بعد ما اقتبسنا هذه الملاحظات من مقدمة العلامة (بوزانو) نأتي على عدة حوادث مما اورده في كتابه المذكور آنفاً

﴿ الحادثة الاولى ﴾ عن جريدة (اللانسيت) الانكليزية بتوقيع الدكتور (جروت) فقال :

«كان أحد مرضاي وهو مفتش سابقاً من مفتشي المالية يحتضر متأثراً بسدّة في الكبد ، وكان أخي من اخلص الناس له وقد دعي بالتلغراف ولزم سريره حتى مات . وكان معه صديق آخر ورجل ثالث من موظفي المالية . فما كان أشد ما دهش هذا الاخير حين رجاه المحتضر ان يوجه اليه سؤالاً عن الطريقة التي يقدر بها مشمول برميل من البيرة ، وأسئلة اخرى غيرها . فانقاد الرجل الى اشارته ووجه اليه اسئلة . فأجابه المحتضر عنها وطلب اليه ان يخبره هل اجوبته صحيحة؟ فأجابه الموظف المالي بالايجاب. فقال له المحتضر ان السبب في طلبي اليك ان توجه اليّ اسئلة هو لاجل ان اقنعك باني مالك لجميع قواي العقلية وباني لست في حالة هذيان . واذا تقرر لديك هذا فانا اصرّح لك بأني ارى في هذه الحجرة الى جانب زوجتي وجانبك أشباحاً روحانية لا اعرف أصحابها ، ولكنهم حضروا هنا مستهدفين مقصداً من المقاصد وانا أجهل مقصدهم هذا . ولكن اريد ان اعرفك بأن العالم الروحاني ليس بمجرد افتراض ولكنهُ حقيقة محسوسة . قال هذا ثم لم يلبث ان اسلم الروح

﴿ الحادثة الثانية ﴾ روى الدكتور (ورثن) عن احد رجال الدين من (فيرمونت) بالولايات المتحدة ما يأتي : « انا واحد من رجال الدين وكنت منذ سنين راعياً لمدينة في احدى ولايات انكلترة الجديدة (باميركا) حيث بقيت اعواماً عديدة . فكان من بين بعثتنا امرأة في نحو الثلاثين ذات ذكاء عال واخلاق كريمة تدعى (أليس) . وكانت ظريفة وفطنة ومحبوبة من الكافة أصيبت بحمى عفنة انتهت بدمل قطني ماتت بسببه بعد أسابيع قضتها في الآلام. استدعتني في الليلة التي سبقت وفاتها في نحو الساعة الثانية صباحاً . وكان لديها ثلاث سيدات يقمنَ بالعناية بها ، فلم يعبأنَ بمجيئي كأنهنَّ كنَّ واقعات في دهش يمنعهنّ عن الكلام . فجلست بجانب سرير المريضة وسألتها عن صحتها . فاجابت بانها تشكو ضعفاً شديداً . وبعد تبادل هذه العبارات لاح لي ان السيدات الحاضرات قد عدنَ الى رشدهنَّ . فالتفتت اليّ احداهنَّ وقالت لي بصوت خافت « لقد رأت أليس ملكاً » . فأدركت عندئذٍ ان جمودهنَّ الاول كان عن خوف واحترام . فلقد كنَّ يشعرنَ بانهنَّ كنَّ على عتبة العالم الروحاني . فلم اجبها للوقت منتظراً ان اتحقق هل يبدو على المريضة علامات الهذيان ؟ فخرجت من صمتي وسألتها قائلاً : « أرأيت يا أليس رسولاً روحانيًّا ؟ فأجابتني بقولها : « نعم حقيقة » فسألتها متى حدث ذلك ؟ فقالت : « في منتصف الليل » . فسألتها أين وعلى اية صورة رأيته ؟ فاجابت : « أحسست اولاً بأني قد اكتسبت خصائص بصرية جديدة . وفيما أنا أنظر الى مدى بعيد في الافق شاهدت كرة نورانية تتجه اليّ . فتأملتها فاذا داخلها صورة انسانية روحانية فدخلت الى حجرتي »

فسألتها ماذا كانت تلبس تلك الصورة ؟ فأجابت ، « رداء أبيض لا شية فيه » . فسألتها في أي مكان كانت تقف منك ؟ فأجابت : «بين السرير والبيانو». «هنا قالت السيدات الحاضرات

ان المريضة في أثناء رؤيتها هذه الصورة كانت تتكلم. فسألتها ماذا قالت لك الروح التي زارتك ؟ فأجابتني بقولها : «انها قالت لي أشياء كثيرة منها انها ستأتي لتأخذني بعد اربع وعشرين ساعة» عند ذلك سألتها : « أتستطيعين ان تقولي لي أي يوم من الاسبوع يومنا هذا ؟ . فاجابتني « الجمعة » وكان الامر كما قالت فقد كنا في الساعة الثالثة صباحاً من ذلك اليوم . فسألتها : هل تستطيعين ان تخبريني في أي يوم من الشهر نحن ؟ فاجابتني عنه واضافت الى جوابها قولها: « اوه يا راعيَّ ، لا يجوز لك ان توجه اليَّ هذه الاسئلة فاني مالكة لجميع قواي العقلية وعلى علم تام بما اقوله»

« ثم اخذت قواها تنحط شيئاً فشيئاً وما زلت معها حتى وقعت في غيبوبة ، فتركتها وذهبت الى بيتي ، فلم يأتِ منتصف الليل التالي حتى اسلمت أليس الروح. ولما وضعتها في تابوتها لحظت ان ابتسامة حلوة تضيء جميع تقاطيع وجهها الذي طالما صوَّحت من نضارته الآلام »

﴿ الحادثة الثالثة ﴾ نقل الريفيرند مينو في كتابه (هل التلباثيا تفسر هذا) ؟ ما يأتي :

«في مدينة بقرب (بوسطن) كانت ابنة عمرها تسع سنوات في حالة نزع . فكانت تتحدث الى اقاربها مشيرة عليهم بتوزيع الاشياء التي كانت لها لصويحباتها الصغيرات اللاتي كانت تعنيهم بالاسم . وكان من بين هاته الصويحبات طفلة من اترابها تسمى جيني Jennie وقد خصتها تلك المحتضرة الصغيرة بشيء من لعباتها كذكرى . فما مضى على هذا وقت طويل حتى دقت الساعة المحتومة فابتدأت ترى حولها وجوهاً لناس من محبيها فكانت تسميهم واحداً واحداً ، فذكرت منهم جدها وجدتها . ثم لاح عليها دهش عظيم ووجهت الحديث لوالدها فقالت له : «لماذا يا ابتِ لم تخبرني بأن جيني قد ماتت. ها هي جيني قد حضرت مع من حضر لاستقبالي» .

« فما تجب ملاحظته هنا ان البنت المحتضرة كانت تجهل كل الجهل ما حدث لصاحبتها المذكورة ، فان اقاربها تحاشوا ان يذكروا لها عنها شيئاً حتى لا يثيروا فيها انفعالات نفسية قد تكون وبالاً عليها . والواقع ان جيني الصغيرة كانت قد ماتت منذ قليل »

﴿ الحادثة الرابعة ﴾ وجاء في مجموعة الظواهر النفسية لجمعية العلماء الانكليز في مجلدها العاشر عن سيدة كان يعرفها الاستاذ (بودمور) الانكليزي المدرس بجامعة كمبردج قال :

«دعيت اختي الصغرى ، وهي متوفاة الآن ، لتحضر وفاة والدتي فما كادت تصل حتى ادخلت الى الصالة . فوقفت مذعورة وهي تصيح بأنها ترى شبح شبينتها جالسة الى جانب الموقد في المحل الذي كانت تجلس فيه والدتنا . وقد كانت هذه الشبينة قد توفيت في اواخر سنة ١٨٥١ . وقد كانت مربية والدتنا ومرضعتها ايضاً . وعاشت معها طوال حياتها الزوجية، وكانت شبينة لبنتها الاولى . ولما مات ابونا كانت تقوم مقام والدتنا لتحمل عنها كثيراً من الاعباء وأدت لها هذه الخدم بشرف وأمانة الى يوم وفاتها.» فاما صاحت اختي بأنها قد رأت شبحها بجانب والدتي المحتضرة» اسرعت اليها اختي الاخرى فشاهدتها هي ايضاً جالسة في المكان

الذي عينته اختي الاولى . ثم انتقلت الى جانب سرير المحتضرة، ثم شوهدت جالسة على حرف السرير . فاتفقت اختاي كلتاهما في رؤيتهما اياها وشاركتهما في رؤيتها خادمتي العجوز ايضاً. وكان ظهورها في صورتها التي كانت عليها وهي حية تماماً مع هذا الفارق وهي انها كانت مرتدية ثوباً سنجابيـًا ، وعادتها فيما اذكر انها كانت تلبس ثوباً اسود . وقد رأتها والدتنا المحتضرة اذ ادارت وجهها الى ناحيتها ونادتها قائلة (ماري) وهو اسمها بالضبط »

﴿ الحادثة الخامسة ﴾ كتب السنيور (بيلوري) منظم مكتبة (فيكتور عمانويل الملكية) في جريدة (اولترا) لسنة ١٩٠٩ ما يأتي :

« مات للسنيور ج . نوتاري طفلة عمره اربعة اشهر وكان حول سرير موته الاب والام والجدة وصاحبة البيت واخت المحتضرة ، وهي طفلة سنها ثلاث سنين ، وكانت جالسة على السرير جامدة من الرهبة تنظر الى شقيقتها بعطف وحنان . فحدث انهُ قبل الوفاة بربع ساعة مدت (اينوبا) ، وهي هذه الاخت الصغيرة، يديها نحو زاوية الحجرة وصاحت قائلة : «يا اماه اترين خالتي اولجا ؟ » ثم تحركت لتنزل وتحضنها . فدهش الحاضرون وسألوا تلك الصغيرة قائلين : «اين ترينها ، اين هي ؟ » فأجابتهم البنت : « ها هي ها هي » وحاولت بكل قواها ان تنزل من السرير فنزلت وجرت صوب كرسي خالٍ ثم وقفت حائرة ، لان شبح خالتها كان قد تركه ووقف في مكان آخر من الحجرة . فتبعتهُ اليه البنت وهي تصيح : « ها هي الخالة اولجا» ثم سكتت ، وماتت اختها الصغرى

« ثم قال السنيور بيلوزي : وانا اضمن صحة هذه الحادثة التي حكيت لي مراراً هذه الليلة في جميع تفاصيلها من اسرة (ناسكا) اصدقائي الحميمين ومن جدة البنت التي شاهدت هذه الظاهرة

﴿ الحادثة السادسة ﴾— ارسل الدكتور (بورجس) الى الاستاذ (هُدْجسن) المدرس بجامعة كمبردج الحادثة الآتية التي حصلت بحضرة الدكتور (رنز) الاختصاصي في الامراض العصبية وقد نشرت في مجلة جمعية المباحث النفسية بلوندره لسنة (١٩٠٨) وقد كتبها بقلمه المستر ج . وهو الذي حدثت له تلك الحادثة قال :

«ان ما حدث امامي في مدى الخمس الساعات الاخيرة من حياة قرينتي يستحيل في نظري الى المسألة التالية وقد دققت فيها كثيراً ولم اهتد الى وجه لحلها ، وهي : هل كنت في اثناء تلك الساعات عرضة لهذيان عقلي ، او كنت على العكس حاصلاً فيها على موهبة الكشف النظري؟

«قبل الافاضة في وصف هذه الحادثة ولمصلحة من يقرأون هذه الصحف، اعلن بأني لم اتعاط المشروبات الكحولية قط ، ولم استعمل الكوكايين ولا المورفين ، وكنت ولا ازال معتدلاً في كل شيء ، ولست بعصبي المزاج، ولم اكن خياليـًا في تصوري، وقد اعتبرني الناس دائماً رجلاً متزن العقل، هادئاً وحازماً. واضيف الى هذا اني لم اعتقد قط فيما يسمونهُ بالاسبرتزم، ولا بما

يتعلق به من حوادث التجسد الروحاني، ولا بالجسم الاثيري، ولكن كنت عدوًّا لهذه الآراء كلها

« وقد ماتت قرينتي في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين من يوم الجمعة ٢٣ مايو سنة ١٩٠٢، ولم افقد أملي في نجاتها الاَّ حوالي الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم

« اجتمعنا حول سريرها منتظرين الساعة المحتومة، وكنا ثلة من الاصدقاء ومعنا الطبيب وممرضتان، وكنت الى جانب المحتضرة قابضاً على يدها. وكان اولئك الاصدقاء منبثين في الحجرة بعضهم واقف وبعضهم جالس، جميعنا سكوت نراقب تنفس المحتضرة وكان قد اخذ في الهبوط شيئاً فشيئاً. فمضت ساعتان لم يطرأ فيهما تغير. وحضر الخدم فآذنونا بالغذاء فلم يقبل احد أن يذوق طعاماً. فلما كانت الساعة السادسة والنصف رجوت اصدقائي بالحاح ورجوت الطبيبة والممرضتين ان يذهبوا للعشاء لان انتظارهم قد يطول كثيراً. فلبي الجميع دعوتي الاَّ اثنان منهم

« فلم تمض على ذلك خمس عشرة دقيقة (وقد تحققت من الوقت لوجود ساعة امامي على منضدة)، وكنت قد حولت وجهي نحو الباب، حتى لمحت بوضوح تام عند العتبة ثلاث سحب معلقة افقيًّا في الهواء بعضها فوق بعض يبلغ طول كل منها نحو اربع اقدام ومحيطها من ست الى ثماني عقد، وكانت سفلاها أعلى من الارض بنحو قدمين، وكان يفصل بعضها عن بعض نحو ست عقد

« فوقع في روعي لاول وهلة ان اصدقائي (وانا اطلب اليهم العفو على هذا الحكم الجائر مني) اخذوا يدخنون التبغ خارج تلك العتبة، وان دخان سجائرهم قد دخل الى الغرفة، فقمت على الفور رجاء ان ابكتهم على فعلتهم هذه، فلم اصادف منهم احداً لا على عتبة الحجرة ولا في الدهليز ولا في الحجرة المجاورة، فعدت دهشاً لأتأمل في هذه السحب الصغيرة التي كانت تقترب من السرير ببطءٍ ولكن بثبات حتى احدقت به

« فاخذت انظر من خلال هذه السحب فرأيت صورة امرأة لا تعلو قامتها عن ثلاث اقدام واقفة الى جانب المحتضرة، وقد لحظت ان جثمانها كان شفًّا (اي شفافاً) ولكنهُ كان مشرقاً بنور له انعكاسات ذهبية، وكان منظرها جليلاً الى حد أن لا توجد كلمات يمكن ان تعبر عنهُ وكانت تلبس رداءً يونانيًّا ذا ردنين طويلين واسعين ومدلاتين، وعلى رأسها تاج. فلبثت هذه الصورة لا تتحرك كأنها في بهائها وجمالها تمثال. وكانت يداها ممتدتين الى رأس امرأتي كمن يستقبل قادماً وهو باش هادىء. ورأيت في الوقت نفسه صورتين اخريين لابستين ثياباً بيضاء، وواقفتين على ركبتيها بجانب السرير تنظران الى امرأتي بعطف وحنان، ورأيت كذلك صوراً تختلف في الوضوح حائمة حول السرير

« وشاهدت صورة بيضاء عارية معلقة فوق امرأتي في وضع افقي ومتصلة بها بخيط خارج من أعلى عينها اليسرى، وكأنه جثمانها الاثيري. ثم رأيت ان هذه الصورة تنقبض وتصغر حتى تستحيل الى حجم صغير لا يتجاوز طوله ثماني عشرة عقدة، ولكن مع محافظته على

صورته النسوية الكاملة ، ذات رأس تام التكوين ، وجثمان ويدين وساقين تامة كذلك . ولما كان الجثمان الاثيري ينقبض ويصغر حجماً كانت تبدأ معركة عنيفة يتخللها اضطراب وحركات من الاعضاء ترمي الى غرض واحد وهو التخلص والتحرر من الجسم . وكانت هذه المعركة تستمر كثيراً حتى كان يظهر انها تستنفد قواه (اي قوى الجسم الاثيري) . ثم يعقب هذا دور هدوء يبدأ فيه الجسم الاثيري في الكبر ولكن لا يدوم ذلك حتى يأخذ ثانية في الصغر ويعود الى دور جديد من المعركة

« ولقد شهدت هذا المنظر المحير طوال الخمس الساعات الاخيرة من حياة قرينتي ، فليحدده غيري بما يروقهُ فلم توجد وسيلة لازالته من أمام عيني . فاذا كنت قد تلهيت عنه بالتحدث الى أصحابي ، واذا كنت قد اقفلت اجفاني احياناً ، وتحولت بوجهي عنه احياناً اخرى ، فقد كنت متى اعدت النظر الى سرير المحتضرة اراه على ما كان عليه . ولقد كابدت في مدى هذه الساعات الخمس احساساً غريباً بثقل في الرأس والاعضاء ، وبثقل في الاجفان كما يحصل عند ما يعتري الانسان النعاس ، وكنت وانا واقع تحت هذا الشعور المؤلم ، وهذا المنظر المستمر أخشى ان أصاب في عقلي باضطراب ، حتى لقد كنت اوجه الكلام الى الطبيب من حين الى آخر فاقول له يا دكتور لقد اصبت بالجنون

«بعد هذا دقت الساعة المحتومة فتشنجت المحتضرة للمرة الاخيرة وانقطع تنفسها . وعند ذلك رأيت جسمها الاثيري يضاعف من جهوده ليتخلص من جثمانها المادي تخلصاً نهائياً . ولاح لنا ان قرينتي ماتت ولكنها بعد ثوان معدودة عادت الى التنفس ، وتكرر ذلك مرتين او ثلاث مرات ، ثم انتهى كل شيء ، فانه بعد أن وقف تنفسها للمرة الاخيرة انقطع الخيط الذي كان يربطها بجثمانها الاثيري . وغاب ذلك الجثمان عن الانظار ، وغابت معها تلك الصور الروحانية ، وتلك السحب النورانية التي كانت مخيمة في الحجرة . ومن المستغرب ان أقول أن ذلك الاحساس بالثقل الذي كنت اكابده زال أيضاً مع ذلك المنظر بأعجوبة ، وعادت اليَّ حالتي التي كنت عليها من الهدوء والاتزان والحزم حتى اني شعرت بقدرة على اصدار الأوامر ، وعلى الاشراف على التجهيزات التي لابدَّ منها في مثل هذه الاحوال» . انتهى

قال العلامة (بوزانو) مؤلف الكتاب الذي ننقل عنه هذه الظواهر : «وقد شهد الدكتور (رنز) بصحة هذه الحادثة» وأتى على اسطر من شهادته ، ونحن نقتطف منها ما يلي وهو طبيب اختصاصي في الامراض العصبية : « ان المسترج . اذا كان قد وقع مدة خمس ساعات متوالية في هذيان مرضي كان لا يمكن ان يعود عقله في برهة واحدة الى صفائه الطبيعي ، وقد مضى اليوم على موت قرينته سبعة عشر يوماً ، وعلى المنظر الذي رآه ، وهو على ما كان عليه صحيح الجسم والعقل وعلى حالة طبيعية منها » . انتهى

نكتفي بهذه الحوادث الست من كتاب العلامة (بوزانو) وفيه عدد كبير غيرها

من الارز الى الزوفى

تأليف المسز كروفوت والمس بلدنسبرجر

بحث علمي لغوي بقلم الدكتور معلوف باشا

— ٣ —

الجرموع والقرموع Black bryony. Tamus communis. L.

«يغسلونهُ بالماء الحار لانهُ سام . وقد ورد ذكر هذا النبات في كتاب البقول لجرارد قال: «تخلّل خراعيبه وتؤكل مع اللحم كما اشار ديسقوريدس . وقال مثيولس انهُ يقدّم على موائد تسكانية وقال آخر انهُ يؤكل في الاندلس من اعمال غرناطة»

قلت لم اعثر على الجرموع والقرموع في كتب اللغة الواحدة جرموعة وقرموعة وهما وزان فعلول والعامة تفتح الفاء والقياس ضمها كما في عصفور وصندوق وأمثالها ولم يرد ذكر الجرموع او القرموع في ابن البيطار بهذا الاسم على انهُ ذكره باسماء اخرى وايضاحاً لذلك اقول ان اطباء العرب واليونان ذكروا انواعاً عديدة من النبات الذي يعترش وسموه بالكرم وهو انبالُس باليونانية وهذه الانواع من ثلاث فصائل مختلفة الكرمية واليقطينية والديسقورية كما يأتي:

كرم والواحدة كرمة Vine. Vitis

كرم العنب. كرم بستاني والواحدة Common grape vine. Vitis viniferse بالتاء . ورد ذكر الكرم البستاني في المادة ١٩٠٣ من مفردات ابن البيطار نسخة لكلير

كرمة برية Wild grapevine. Vitis orientalis & other species

ولم يذكرها اطباء العرب وانما ذكرها ابن البيطار في المادة ١٩٠٥ وسماها انبالس اغريا وقال معناه الكرمة البرية وقال في آخر هذه المادة او المادة التي قبلها ان الكرم البري هو الكرمة السوداء . راجع النسخة العربية ونسخة لكلير

فاشرة . كرمة بيضاء Bryony or White bryony. Bryonia alba, B. dioica & other species

فالفاشرة من اصل سرياني وقد وردت على صور مختلفة منها فاشر وفاشرا وفاشيرا وفاشريّ (انظر مستدرك التاج ومحيط المحيط وفريتغ ودوزي) ولعلّ افضل كتابة لها بالتاء اي فاشرة لا بالنسبة والتشديد . ولعل صاحب التاج نقل عن نسخة غير منقوطة الياء فكتب اللفظة فاشري ومثله فريتغ . اما اصل الفاشرا فبالالف كما كتبها ابن البيطار وهي لفظة نبطية او سريانية كما تقدم فكتبها بعضهم بالقصر وقرأها آخرون بالنسبة اي بتشديد الياء ولو نقطنا

الياء كما اشار الأب انستاس في مقالة له نشرت في جزء ماض من المقتطف لعرف الفرق بين القصر والنسبة

اما تعريف الفاشرة فهي بقلة معترشة من الفصيلة اليقطينية التي منها الحنظل والبطيخ والقثّاء ذكر منها بوست نوعين في سورية وهما الفاشرة الكثيرة الزهر والفاشرة القليلة الزهر او الفاشرة السورية وحبهما اما اصفر او احمر وكلاهما من ذات المسكنين . وجميع نباتات هذا الجنس اي بروانيا اسمها فاشرة وكرمة بيضاء اي ان الفاشرة اسم للجنس كله كذلك الكرمة البيضاء . واني افضل الاقتصار على الفاشرة فيقال في ترجمة النوعين المتقدم ذكرها فاشرة بيضاء وفاشرة ذات مسكنين ولو ان معظم انواع الفاشرة من ذات المسكنين . ولا بأس بكتابة الفاشرى بالقصر ولكن يخشى التباسها بياء النسبة

جُرموع وقُرموع Black bryony. Tamus Communis. L.

والواحدة بالتاء

ذكر ابن البيطار من اسمائها الكرمة السوداء والفاشرشين واسماء اخرى فارسية ويونانية ولاتينية وبربرية وارى الاصلح الاقتصار على الجرموع والقرموع لأن بعض الالفاظ التي اوردها ابن البيطار تطلق ايضاً على الفاشرة البيضاء والفاشرة ذات المسكنين واما الالفاظ التي ذكرها شوينفورث فتصحيف الفاظٍ اوردها ابن البيطار وغيره والاصلح اهمالها

عَكّوب GundeliaTournefortii L.

هو من البقول الشائكة ومن اطيبها وربما كان اطيب من الخرشوف وهو كثير في اسواق القدس في آذار (مارس) وفي اسواق عَمّان في نيسان

قلت لا شبهة ان هذا النبات هو العكّوب المعروف بهذا الاسم في سورية من شمالها الى جنوبها اي من حلب الى غَزّة نعرفهُ بهذا الاسم ونأكلهُ وهو مشهور واسمهُ في الموصل كعُّوب وهي مقلوب عكّوب ذكر بوست من اسمائهِ العكّوب والكعّوب والعُكّيب وهذه لم اسمعها وورد ذكر العكّوب في مستدرك التاج قال والعكّوب كتنور بقلة معروفة وهي شوكة الجمال . وفي مفردات ابن البيطار وصف حسن جدًّا لهُ ولكنهُ قال هو سلوبن في ديسقوريدس وليس معنى ذلك انهُ المسمى سلوبن في ايامنا بل هو سلوبن في ديسقوريدس فلكلير اعقل من ان يقول ذلك ولكنهُ قال في حاشية لهُ يُظَن انهُ Silybum Marianum وهذا هو الخرفيش وسيأتي ذكرهُ . وقال دوزي مثل ذلك وزاد عليهِ ان اللفظة ارمية . قلت ونقل لكلير عن بوكارت ان العكّوب اسمهُ عكوبيتا بالعبرانية ثم ان العكّوب ليس هذا النبات الذي ذكرهُ لكلير في حاشية لهُ في آخر مادة عكّوب. ولا يخفى ان ديسقوريدس كان عشاباً مشهوراً ومثله ابن البيطار ولكلير كان باحثاً دقيقاً فديسقوريدس وابن البيطار لم يخطئا في وصف

العكوب فالوصف حسن جدًّا ولكاير لم يخطئ في الترجمة فقال هو سلوبن ديسقوريدس وليس معنى ذلك ان سلوبن ديسقوريدس هو سلوبن في ايامنا وصفوة القول ان العكوب على ماورد في ابن البيطار وفي كتب اللغة هو هذا النبات دون غيره اي كما ورد في هذا الكتاب . اما ضبط اللفظة فكتنور كما جاء في التاج وفي هذا الكتاب وفي نبات سورية لبوست وفي دوزي وليس عُكوب كما ضبطها لكاير او عقُّوب بالقاف او كويب بالواو او كُعَيب او كُعُوب بتخفيف العين بل بتشديدها فتحقيق هذا النبات وصحة اسمهُ العلمي والعربي مما يعود بالشكر على المؤلفتين الفاضلتين

احرار البقول Sallets or Salads

ترجمت ما تقدم باحرار البقول وهي البقول التي تؤكل غير مطبوخة واحدها حرّ البقل اما اللفظتان الانكليزيتان وما يسميه العامة بالسلطة والسلاطة والزلاطة بالزاي فمن اصل لاتيني ومعناه المملّح لانهُ يؤكل مع الملح او مع الملح والخل والزيت . فمن احرار البقول التي وردت في هذا الكتاب باسمائها العربية والانكليزية ما يأتي

خُرفَيش Milk thistle. Silybum Marianum

هو نوع من الشوك يؤكل ورقهُ . والخرفيش انواع منها خرفيش الحمير والخرفيش الاحمر وغيرها ولكن الخرفيش الحقيقي هو هذا واسمهُ بالانكليزية شوك اللبن للعروق البيض في ورقه فقد جاء في اسطورة قديمة ان قطرة من لبن العذراء سقطت على ورقة منهُ فابيضت العروق في ورقهِ ومن اسمائهِ بالانكليزية شوك السيدة ومنهُ الاسم النوعي باللاتينية اي شوك مريم وهم يريدون بالسيدة والدة المسيح

قلت لا شبهة ان الخرفيش مصغر خرفش مقلوب خرشف وهو الخرشوف وسيأتي ذكره. وهذا النبات هو الذي ظنّ انهُ العكّوب كما تقدم في المادة السابقة . وقد اصاب الدكتور احمد بك عيسى بترجمته بخرفيش الجمال وليس هو العكّوب وقد تقدم صحة ترجمة العكّوب

حُوَيْرة Hedge mustard. Sisymbrium irio. L.

هي بقلة صغيرة زهرها اصفر يطيبون بها الشنينة اي مخيض اللبن

قلت لم اعثر على الحويرة في كتب اللغة ولا في ابن البيطار ولعلها التُّودَرة قال زهرها اصفر وقال انها تعرف في بيت المقدس واعماله بالامتجارة وفي نسخة الاسماره او الاشجاره او الجاره واقربها الى ما ورد في هذا الكتاب الجارة ولعلها الحارّة . ثم اني لا ارى فائدة من نقل الفاظ محرفة فالغاية معرفة الاسم العلم والعربي لهذا النبات فالاسم الوارد هنا لا شبهة فيهِ ولكنهُ عامي

الخرشوف Wild artichoke. Cynnara syriaca. Boiss

هو اصل القردون والخرشوف الكروي اما اسم الخرشوف بالانكليزية فاصله من الخرشوف العربية قات ولا شبهة في صحة القولين فالقردون والخرشوف الكروي اي الخرشوف المعروف كلاهما من هذا الجنس اي قنارة وكلاهما بري وبستاني كما يتضح من مراجعة مادة خرشف في ابن البيطار فذكر الخرشف البري في ابن البيطار وبعده سقولومس ليس معناه ان البري هو القردون وسقولومس هو الخرشوف البستاني . وارى ان صحة ترجمة الالفاظ الآتية تكون على ما يأتي

سلطة الرهبان Dandelion. Taraxacum officinale. L.

هندباء Wild chicory. Chicorium intybus. L.

خس برّي Wild lettuce. Lactuca cretica. Desf.

مُرّار . مُرّير Yello wstar thistle. Centaurea. Del.

قُرصَعنّة Snake root. Eryngium Creticum. Lam.

لا اعرف اسماً عربيًّا لسلطة الرهبان غير ما ذكره ابن البيطار اي الطَرخَشقُون وهي يونانية معربة وناب الاسد وهي مترجمة والاصلح ترك الهندباء البرية لما كان بريًّا من الهندباء والبستانية لما كان بستانيًّا منها . فالهندباء برية وبستانية ومثلها الشيكورية اي انها برية وبستانية . ثم ان الطرخشقون قد وردت مصحفة على اشكال مختلفة . وقد أشار الأب انستاس الى ذلك في مقالة لا اذكر تاريخها والاصلح اهمال هذه الاشكال واعتماد الطرخشقون وحده . اما اليعضيد فنبت آخر شبيه بالطرخشقون هو الكُندرِلاّ عند النباتيين ولعلّ العرب اطلقت اليعضيد على الكندرلاّ والطرخشقون والاصلح اهماله بمعنى الطرخشقون

اما الهندباء فالمشهور منها هذه التي ذكرت هنا وهي برية وبستانية واما الشيكوريا فتعريب العامة عن الايطالية وهي نوع آخر اسمه Chicorium endivia وبالانكليزية Endive وهي أيضاً برية وبستانية واما الاسم النوعي للهندباء اي انطوبيا والشكورية اي انديبيا فكلاهما يمتّ الى الهندباء بالعربية

واما المُرّار والمُرّير فبقلة مرّة فصيحها المُرار مخففة وهي بقلة اذا أكلتها الابل تقلصت مشافرها وبها سمّي جدّ امرء القيس الاكبر فقيل حُجر آكل المرار ، والمُرار من الفصيلة المركبة من الجنس المسمى قنطورية اسمهُ في الشام حسب رواية بوست شوك الدردار وهو انواع كثيرة ذكر منها بوست سبعة واربعين نوعاً منها المُرّار والمُرّير واليَمرُور . ثم ان المرار يطلق على عدة انواع من هذا الجنس منها النوع المذكور في هذا الكتاب . ومن هذا

الجنس اي قنطورية القنطوريون الكبير والبهمن . اما القنطوريون الصغير ويقال له القنطاريون في لبنان فمن جنس آخر وفصيلة اخرى هي الجنطيانية

واما القرصعنة فقد ذكرها ابن البيطار ولم يضبطها وضبطها لكلير بفتح اولها واسكان ثانيها واوردها صاحب محيط المحيط بكسر اولها اي قِرْصَعْنة ثم عاد وقال القُرْصعنَّة بالتشديد اي كما تقول عامة أهل الشام ولكن العامة تضم اولها كما هي في هذا الكتاب وكما اوردها الدكتور بوست وهي بقلة مشهورة في شمال سورية وجنوبها ولم اعثر عليها بهذا الاسم في أمهات اللغة . اما فصيحها فالعُرْقُصاء والعُريقصاء والعُرَيقصانة والعرنقُصان والعَرْقَصان والعُرْقُص والعُرَقِص وكله كالقرصعنَّة معرّب Eyrngus (الاب انستاس في مجلة المشرق ٣ : ٦٦) وقد كتبت اللفظة اليونانية بصيغتها اللاتينية . انظر المادة ١٥٣٧ والمادة ١٧٥٤ من مفردات ابن البيطار وانظر الالفاظ المتقدمة في أمهات اللغة فصاحبتنا القرصعنة ليست سوى هذه البقلة عينها واسماؤها كما تقدّم . ومن الغريب ان الدكتور بوست ذكر نوعاً من القرصعنة ثم سماه القرصة او القرْصَع Qarsah ولعلها مقلوب عرقص المتقدمة الذكر

ثم بحث في الجذور والبَصَل منها التُميّر والبَلبُوس والشُحيّم وثوم العرب فضربت صفحاً عنها ما عدا البَلبُوس فهو وارد في ابن البيطار في المادة ٣٣٧ من ترجمة لكلير وقد خصصتهُ بالذكر لان الباحثين عجزوا عن تحقيقهِ وهذا وحده يثبت ما لمؤلفي الكتاب من الفضل . ثم ان البلبوس وارد في محيط المحيط وفي مستدرك التاج . ففي محيط المحيط البُلْبُوس بصل يشبه بصل النرجس لا طاقات لهُ كالبصل بل هو جسم واحد عليهِ قشر منتج أسود ولهُ ورق كورق الكُرّاث ووردهُ يشبه البنفسج ويعرف ببصل الذئب وبصل الزير . وفي مستدرك التاج البَلبُوس بالفتح هو بصل الرند يشبه ورق السذاب ذكره صاحب المنهاج . وفي مفردات ابن البيطار كلام مضطرب قال لكلير في حاشية لهُ ان الشراح مختلفون في البلبوس ولم يثبت ترجمته . اما اسمه على ما ورد في هذا الكتاب فهو ما يأتي

Carum (Bunium) ferulaefolium, Desf. Bolbos, Earth Nut or Pig Nut

اي أنه من الفصيلة الخيمية او الصيوانية التي منها البقدونس والكَرَفس والحلبة والكَرَوياء ومن جنس الكروياء نفسها ذكره بوست في نبات سورية وفلسطين وانما لم يذكر له إسماً عربيًّا ولولا هذا الكتاب لما اهتديت الى البلبوس. ثم ان محيط المحيط على ما يظهر ضبطه كما هو اسمه باليونانية وتاج العروس ضبطه كما يقولون في فلسطين

ثم بحث في القطاني كالعدس والباقلاء والحمّص ونحو ذلك وفي طعام البادية وهو ما يأتي

سَمْح Mesembryanthemum Forskalii, Hoschst. Wild bread. Samh.

وقد جاء في الكتاب ما يأتي ترجمته ملخصاً . سألنا الفلاحين عمّا يعلمون عن الغريب من

النبات فقيل لنا ان في البادية طعاماً يأكله الاعراب وهو ليس نوعاً من الحنطة كالخبز الذي نأكله بل من حب بقلة صغيرة تكون في البادية اسمها السَمْح . قال لنا رجل انهُ اكل هذا الخبز اي خبز البدو الاسود في الجوف مع التمر ولبن النوق واستطابه ولكنهُ كان جائعاً. وهذا يشبه ما جاء في رحلة دوطي وفي وصف فورسكال لهذا النبات

قلت لم أعثر على السَمْح في كتب اللغة بهذا المعنى وانما ورد السَمْح والسَميح بمعنى الجوّاد والمتسامح . وورد السمح في معجم دوزي بمعنى طعام ذكره بلغراف ولا بد انهُ هذا اي ان اللفظة شائعة في البادية بهذا المعنى ولو لم يذكرها اللغويون ولعله سمّي بالسمْح لانه يجود على أهل البادية في جوعهم. واظنه المُلاّح قال صاحب التاج في مادة ملح . وفي حديث ظبيان يأكلون مُلاّحها ويرعون سراحها قال الازهري عن الليث المُلاّح كرُمّان من الحمض وانشد : يخبطن ملاحاً كذاوي القرمل . وقال ابومنصور الملاّح بقول الرياض الواحدة ملاّحة وهي بقلة غضّة فيها ملوحة منابتها القيعان وفي المحكم الملاّحة عشبة من الحموض ذات قضب وورق منبتها القفاف وهي مالحة الطعم ناجعة في المال وحكى ابن الاعرابي عن ابي النجيب الربعي في وصفه روضة رأيتها تندى من بُهمي وصوفانة وملاّحة ونبتة ونقل ابن سيده عن ابي حنيفة الملاّح نبت مثل القُلاّم فيه حمرة يؤكل مع اللبن وله حبّ يجمع كما يجمع الفَثّ ويخبز فيؤكل قال واحسبه سمي ملاّحاً للون لا للطعم . انتهى ما اريد نقله عن التاج . وفي المخصص لابن سيده ١١ : ١٧٥ ما اورده صاحب التاج وفي شوينفورت عن اشرسُن ان نوعاً من الجنس المتقدم اسمه في رشيد الغاسول والملاّح او المليح Mullah . فما نقله صاحب التاج ان ابن سيده جعلني اقول ان الملاّح هو السمح او اي نوع من الانواع الثلاثة المعروفة من هذا الجنس من النبات . اما القلاّم فاظنه الاول منها في السياق الذي سأذكره واما الفث فهو نوع آخر لا أعرفهُ وجميع هذه البقول من فصيلة واحدة سميتها المُلاّحية ولم اسمها الغاسولية لان الملاّح افصح والغاسول وارد ايضاً بمعنى نبت آخر ليس من هذه الفصيلة ومن خواص هذه الفصيلة ان جميع بقولها رَبلة تنبت في القفاف

قُلاّم	Mesembryanthemum Crystalum, L.
مُلاّح . سمح	M. Forskalii, H.
ملاح . غَوْلان	M. nodiflorum L.

ولا يخفى ان جميع هذه البقول من الحمض وجميعها توصف بالربل والرطوبة وأما الذي دعاني الى القول ان القلام هو النوع الاول فما جاء في ابن سيده ١١ : ١٧٢ فقد نقل عن ابي حنيفة القلام اشد الحمض رطوبة وورقه شبيه بورق الحُرْف يأكله الناس. وأما الغوْلان فعن معجم اسماء النبات للدكتور احمد عيسى بك ولا اعلم المصدر الذي اخذ عنه ذلك



ألوان النجوم وحرارتها



اذا راقبنا السماء في ليلة ليلاء صافية الاديم لا سحاب فيها ولا ضباب ظهرت نجومها متألقة كالمصابيح الكهربائية ونور اكثرها ابيض ناصع البياض كالشعرى او ابيض ضارب الى الزرقة كالنسر الواقع او ضارب الى الصفرة كالعيوق او أصفر فاقع كالسماك الرامح او احمر كمنكب الجوزاء وقلب العقرب . والظاهر ان لون بعض النجوم غير ثابت فقد قال بطلميوس وغيره من الاقدمين ان لون الشعرى احمر ولكن الصوفي لم يذكرها بين النجوم الحمر كأن حمرتها قد زالت في عهده . ولونها الآن ابيض ناصع او هو مائلٌ الى الزرقة قليلاً

واشد النجوم حمرةً قلب العقرب واسمهُ باللاتينية Antares ويقال انهُ سمي كذلك تشبيهاً لهُ بالمريخ او ظنًّا انهُ هو نفس المريخ لان اسمهُ مركّب من كلمتين Anti ومعناها بدل و Ares ومعناها المريخ . واكثر النجوم الحمر أصغر من ان يرى بالعين لبعده الشاسع . وبعضها من النجوم المتغيرة فاذا زاد اشراقهُ ظهر برتقاليًّا . وبعض النجوم الحمر لا تتضح حمرتهُ الاّ اذا قوبل بغيره من النجوم البيض . اما النجوم الخضر والزرق فقليلة العدد وهي غالباً من النجوم المزدوجة

نظر الانسان من اقدم الازمان الى النجوم فاسترعى نظرهُ هذا الاختلاف في ألوانها . ولكن العلم لم يعالج تعليل هذا الاختلاف الاّ في بداءة هذا القرن ، فظنّ اولاً ان النجوم البيض هي اشدّ حرارة من النجوم الحمر على مثال ما نراهُ في الحديد الحامي ، فان الحديد الحامي الى درجة البياض اشدّ حرارة من الحديد الحامي الى درجة الحمرة . وقبل اقامة هذا الظن مقام الحقيقة العلمية المؤيدة بالدليل ، وجب على العلماء تحقيق امرين

اما الامر الاول فاستنباط وسيلةٍ لقياس ألوان النجوم قياساً دقيقاً للتفرقة بين ظلال الالوان . واما الامر الثاني فوضع نظرية يربط فيها بين لون جسم متوهج وحرارة سطحهِ . وقد عالج العلامة الالماني مكس پلانك هذا الموضوع ، فخرج من بحثهِ بنظرية الكم Quantum المنجبة في الطبيعة الحديثة ، وبقاعدة علمية تمكن الباحث من معرفة الضوء الصادر من جسم مشعّ ولون الضوء اذا عرف حجم الجسم وحرارتهُ . فاذا عكس العمل امكن معرفة حرارة الجسم المشعّ من معرفة لونهِ ، اذا توافرت لدى الباحث الحقائق اللازمة . واستعين على تحقيق الامر الاول باستعمال اللوح الفتوغرافي مدداً للعين المجرّدة في تبيّن ظلال الالوان . وقد رتبت النجوم التي درست من هذه الناحية في جدول وبوّبت في أبواب ، مُشهر كل بابٍ منها

بحرفٍ اصطلحوا عليهِ والحروف هي O, B, A, F, G, K, M. وكل منها يشير الى لون معيَّن فالحرف O يدلُّ على اللون الازرق والحرف M يدلُّ على اللون الاحمر والحروف التي بينهما تدلُّ على ظلال الالوان التي بين الازرق والاحمر . فاذا كان نجمٌ ازرق مائلاً الى الخضرة وضع الى جانب الحرف O (وهو الحرف الذي يدل على الازرق) رقم صغير يدلُّ على مقدار الميل الى الاخضر . فاذا قيل ان لون النجم كذا من باب O٢ عرفنا ان ميله الى الاخضر قليل واذا قيل انهُ من باب O٧ عرفنا انهُ اقرب الى الاخضر منهُ الى الازرق . والظاهر ان النجوم الزرق (باب O) قليلة لا تزيد على عشرين نجماً من كل النجوم التي فوق القدر السادس

اذا قلنا ان الحديد بلغ درجة الحمرة او درجة البياض ، عنينا انهُ بلغ درجة من الحرارة يشعُّ عندها ضوءًا احمر او ضوءًا أبيض . فاذا شعَّ الكربون ضوءًا احمر متى بلغت حرارتهُ ثلاثة آلاف درجة مئوية ، شعَّ التنغستن كذلك هذا الضوء متى بلغت حرارتهُ هذه الدرجة. فلكل لون من الالوان — ولكل طول من اطوال الموجات — درجة معيَّنة من الحرارة متصلة بهِ . فاذا حلّلت الضوء الصادر من الكربون او التنغستن عند احمائهما الى ٣٠٠٠ درجة مئوية كانت الامواج الغالبة في الطيف امواج اللون الاحمر . فقبيل بلوغ حرارة الجسم الدرجة المعيّنة من الحرارة تبدأ الامواج الخاصة بتلك الدرجة تكثر في الطيف

اذن فلكل لونٍ من الوان الضوء — او لكل ضرب من ضروب الاشعاع من حيث طول الامواج — درجة معينة من الحرارة متصلة بهِ ، فكثر ذلك اللون في الاشعاع الصادر منهُ اذا بلغ الجسم تلك الدرجة من الحرارة ، فالجسم الذي احمي الى درجة الحمرة تتفوق امواج اللون الاحمر في اشعاعهِ على امواج الالوان الاخرى فيبدو احمر اللون للعين

فاذا بدا نجم من النجوم احمر اللون للعين ، صحَّ ان نقول ان حرارة سطحهِ تبلغ درجة الحمرة . فاذا كان لون نجم آخر لون الضوء الكهربائي المنبعث من قوس كربوني صحَّ ان نقول ان حرارة سطحهِ من رتبة حرارة الضوء القوسي . كذلك يقدّر العلماء درجة الحرارة على سطوح النجوم . ولكن الواقع ان بحث الفلكي اشدُّ دقةً من المثل الذي ضربناهُ . فهو لا يعتمد فقط على العين المجرّدة في تقدير درجة الحمرة او درجة الصفرة او درجة البياض . وانما يأخذ الضوء الواصل الينا من نجم ما ، ويحلّلهُ بالسبكترسكوب (آلة الحلّ الطيفي) فيعرف نسبة الالوان المختلفة في طيفهِ ، وأيها المتفوق ، ثم يبني تقديرهُ لحرارة سطحهِ على معرفتهِ لنسبة الالوان التي في الضوء المحلول

اشرنا قبلاً الى قاعدة بلانك التي تمكنك من معرفة حرارة الجسم اذ عرفت لونهُ . ذلك ان بلانك اخذ الاشعاع الصادر من جسم على درجات مختلفة من الحرارة هي ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ و ٦٠٠٠ درجة مئوية ووضع رسماً بيانياً بنسبة الالوان المختلفة في الاشعاعات الاربعة.

واللون في الطبيعة هو طول الموجة . فالاشعاع الصادر من جسم حرارتهُ ٦٠٠٠ درجة مئوية تكثر فيهِ الامواج التي طولها ٤٨٠٠ أنغستروم Angstrom (الانغسترم هو جزء من ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ جزء من السنتمتر) . فاذا حللنا الضوء الصادر من جسم مضيءٍ ووجدنا كثرة امواجهِ طولها ٤٨٠٠ انغسترم حكمنا ان حرارتهُ من رتبة ٦٠٠٠ درجة مئوية . ويؤخذ من درس اشعاع الشمس ان حرارة سطحها من هذه الرتبة

وثمة طريقة اخرى لمعرفة درجة الحرارة في سطح نجم من النجوم . ذلك ان بعض الخطوط التي تظهر في طيف الضوء الصادر من سطح النجم ، سببها ذرات جرّدت من الكترون او اكثر ، من الكتروناتها ، بفعل الحرارة في الجوّ الذي يحيط بالنجم . ولما كان العلماءُ يعرفون درجة الحرارة التي عندها ينفصل الكترون عن ذرتهِ ، فحرارة سطح النجم يمكن ان تستنبط حينئذٍ

ويتّصل بهذا الموضوع البحث في مقدار الاشعاع الصادر من النجوم ، من كل سنتمتر مربّع من سطحها . وهو متصل في المقام الاول بدرجة الحرارة . فارتفاع درجة الحرارة يقتضي ازدياد مقدار الاشعاع فاذا ضوعفت الحرارة على سطح نجم زاد ما يشعُّهُ ١٦ ضعفاً لا ضعفين . فالاشعاع من كل سنتمتر مربع يختلف كمربع الحرارة . فنجمٌ حرارة سطحهِ ٣٠٠٠ درجة مئوية — اي نصف حرارة سطح الشمس — لا يشعُّ السنتمتر المربع من سطحهِ الاّ $\frac{1}{16}$ مما يشعهُ السنتمتر المربع على سطح الشمس . على انّ اشعاع كل نجم خليط من الحرارة والضوء والاشعة التي وراء البنفسجي ونسبة هذه العناصر بعضها الى بعض تختلف باختلاف حرارة النجوم . فاذا كانت حرارة النجم واطئة كان معظم اشعاعهِ من الاشعة التي تحت الاحمر وهي اشعة حرارة . لذلك ترى ان نجماً حرارة سطحهِ ٣٠٠٠ درجة مئوية ، لا يشعُّ $\frac{1}{16}$ من جزءٍ من ضوء الشمس — لان حرارة الشمس ضعف حرارتهِ — بل يشعُّ اشعة حرارة اكثر منها . وهذا يدلُّ على ان تقدير كل ما يشعُّ من احد النجوم لا يمكن ان يقاس بلمعانهِ الظاهر . فالنجم الذي حرارتهُ ٦٠٠٠ يشعُّ اشعاعاً معظم امواجهِ من امواج الضوء الذي يرى . اما النجم الذي حرارتهُ ٣٠٠٠ درجة فيشعُّ اشعاعاً معظم امواجهِ من امواج الحرارة التي لا ترى . ولو ان اعيننا تحوَّلت بمعجزة الهيّة حتى تصبح قادرة ان ترى كلّ ضروب الاشعاع التي تخفى عليها الآن — الاشعة التي تحت الاحمر او وراء البنفسجي — لتغيّر منظر القبة الزرقاء في نظرنا كلَّ التغيُّر ذلك ان منكب الجوزاءِ وقلب العقرب وهما نجمان في المرتبة الثانية عشر والمرتبة السادسة عشرة من اللمعان ، يصبحان اشدَّ النجوم لمعاناً في الفضاء حتى ليفوقان الشعرى . وفي صورة هرقل نجم صغير يفوقهُ في لمعانهِ ٢٥٠ نجماً فيصبح السادس بين النجوم لمعاناً . ذلك ان هذه النجوم الثلاثة تصدر اشعاعاً من الضرب الذي لا يرى بالعين المجرّدة الآن . فاذا اتيح للعين رؤية كل انواع الاشعة تبينت عظمة الاشعاع الصادر من هذه النجوم

ديكارت

Descartes

أبو الفلسفــة الحديثــة (١)

ترجمته

﴿ اردمن ﴾ ولد « رينيه ديكارت » بمدينة لاهاي في ولاية تورين بفرنسا ، في ٣١ مارس سنة ١٥٩٦ . وأتم دروسهُ في كلية لافلاش La Flèche ، فقاده درس الشعر والفلسفة والرياضة الى الارتياب ، الذي كان فاشياً يومذاك بين طوائف الباحثين . فعرج عن طلب العلم حيناً . وكان من عادته ان يحلّ قضايا الهندسة بالجبر ، وقضايا الجبر بالهندسة . فتبيّن ان ضم المنطق اليهما عمل مفيد في كل فروع العرفان ، ودعا ذلك المنهج : استدلالاً : الا أنه غير القياس الجاف الذي لا يضيف الى معارفنا شيئاً

ذرّ فجر الفلسفة الحديثة « بديكارت » في ١٠ نوفمبر سنة ١٦١٩ بمدينة نوربرغ بالمانيا . بشروعه في تأليف كتاب : العالم : Le monde . وكاد ينجزه سنة ١٦٣٣ . ولكن راعه ان البابا حرم « غليليو » لقوله بدوران الارض . وجانبٌ كبير من كتاب (العالم) يستند الى تلك النظرية ، فرأى اولاً ان يعدم الكتاب دفعاً للبلاء . ومع انه عدل عن هذه الفكرة فانهُ لم يطبع الكتاب . لكنه اصدر عوضاً عنه ، نشرة دورية سنة ١٦٣٨ . الجزء الاول في الفلسفة . والثاني في الطبيعة والرياضة . وهذا الجزء مأخوذ كلّهُ من كتاب : العالم : والثالث في الهندسة . والرابع في الطبيعة . فكان لهذه الكتب أثر كبير في سير العلم . وتلاها كتاب : تأملات فلسفية

عرض هذا الكتاب على كثيرين من العلماء قبل طبعه . وطبع في آخره اعتراضاتهم وردوده عليها . وتلاه كتاب : المبادىء سنة ١٦٤٢ ورسالة في انفعالات النفس بعث بها الى الاميرة اليزابت سنة ١٦٤٦ . ثم دعته « كريستيانا » ملكة اسوج لزيارتها . فلبّى الدعوة متردداً ولم يتحمل جسمه برد اسوج القارس . فمات من جراء ذلك سنة ١٦٥٠ في ١١ نوفمبر . وبعد موته صدر كتابان من تأليفه وهما « الانسان » و « تكوين الجنين » وطبعت كل مؤلفاته باللاتينية في تسعة مجلدات

مذهبه

﴿ لوس ﴾ لا مشاحة في ان ديكارت ابو الفلسفة الحديثة . ولا يزال التفكير في اوربا

---

(١) هذا جانب من فصل ممتع في كتاب « الفلسفة في كل العصور » الذي وضعه المؤلف الفاضل حنا خباز وقدمه للطبع وقد جرى في وضعه على خطة طريفة ذلك انه طالع طائفة من أشهر الكتب التي وضعها مؤرخو الفلسفة واختار منها خير ما قيل في مختلف الفلاسفة مما يجلو آراءهم وأسند كل قول الى صاحبه على ما ترى في هذا المقال

نسجاً على منواله . وبه تقرّر وجود الفلسفة كأمرٍ لا نزاع فيه . قال في مقدمة كتاب «تأملات فلسفية» الذي قدمه للسوربون :— «لقد فكرت في قضيتين : وجود الله ، وطبيعة النفس . وهما أهم ما يجب حله بالفلسفة من القضايا ، لانه مع ايماننا بهما لا نقدر ان نقنع اي احد بلزوم الديانة والفضيلة ، مالم نبرهن اولاً على صحة هاتين القضيتين» . وهذا الكلام جديد الصيغة . يدلنا دلالة واضحة على ان الفلسفة حصلت على استقلالها التام عن علم اللاهوت . ولكن ما هو اتجاهها ؟ الجواب . ان اتجاه الفلسفة احد أمرين . اما ان تنهج منهج فلسفة الاقدمين ، او ان تبتكر منهاجاً جديداً . فنهج ديكارت المنهج الثاني . الارتياب فاشٍ ، والنفس البشرية في حاجة الى محك به تميز الحقيقة . ذلك ما شعر بالحاجة اليه الابيقوريون والرواقيون وفلاسفة الاكاديميا الافلاطونية . وبعدهم عرج الفلاسفة الاسكندريون الى مملكة الايمان ، هرباً من الحيرة . فمسألة محك الحقيقة هي مسألة الفلسفة الكبرى . لم يجد «ديكارت» حلاً لهذه المسألة في أساطين عصره . فملك الشكُّ مشاعره . وعاد لا يثق بمعارفه ، ولا ببيّنات حواسّهِ . فعزم على نزعها كلها من عقله ، بحيث يصبح عقله : صفحة بيضاء : ثم يشرع في بناء صرح المعرفة فيه من جديد ، بفحص مقدمات كل نتيجة فحصاً مدققاً . فلا يقبل إلاّ ما تبرهن على صحته برهاناً لا تردُّد فيه

﴿ روجرس ﴾ قال : سررت بالرياضة لان بيناتها راهنة على اني لم اكن قد رأيت لها نفعاً . فظننت ان كل ما فيها من فائدة انما هو استخدامها في فنون الميكانيكا . وعجبت من انه لم يبنَ على اسّها المتين بناء شاهق . كما دهشت لصروح باذخة قد شيدت على الرمال . انني اشدُّ احتراماً للاهوت من أي احد للفوز بدخول السماء . لكنني علمت ان أبوابها مفتوحة للحكيم وللجاهل سواسية . وان قضاياها فوق مستوى العقل الانساني . لذلك لم اجنح الى اخضاع قضايا اللاهوت السامية لفحص العقل . ولو ان ذلك متاح لنا لتعذّر اتمامه دون العون الالهي . وليس لي ما أقوله في الفلسفة غير ما يلي : لقد ثقفها اكبر العقول في كل العصور . ومع ذلك فليس فيها ما لا نزاع فيه . فهي غير حرة من دواعي الشك . ولم احلم بفوز يفوق ما حصل بمساعي الآخرين . وتفكرت في تضارب الآراء مع وحدة الحقيقة فملت الى الريب في الآراء المتضاربة كافةً . وتراءى لي ان لا علم يقين يُبنى على اسّ واهن ، كقواعد التنجيم او عمليات الكيمياء القديمة ، وادعاءات المخرقين . فرأيت ان أقطع علاقتي باساتذتي . وان لا أختار شيئاً من المعارف ، الاّ ما حصلته بذاتي لذاتي . فقضيت زهرة شبابي في الاسفار ، اتعهد المحاكم ، واشهد الجيوش ، واختلط بالناس في مختلف الاحوال ، اجمع الاختبارات ، محققاً في كل ما أراه ، مفكراً في الحوادث ، لاستخراج ما يمكن استخراجه من الفوائد . لانه ما دام ديدني اقتفاء آثار الغير ، وانتهاج مناهجهم ، ندر ان استخرج ما

اذخره في عقلي . ورأيت ان وجوه الاختلاف وافرة هنا كما هي في المذاهب الفلسفية . ورأيت الناس يتهافتون على سخافات كثيرة . وحررت نفسي من خطيئات كثيرة كانت تحجب النور عن بصيرتي ، وتصرفني عن سماع وحي النفس . وبعدما قضيت سنين في درس العالم ، جاهداً في جمع الاختبارات ، وطنت العزيمة ، ذات يوم ، على درس باطني . وان اقف كل قوى عقلي على اختيار المنهج الذي اتبعه . فصادفت هذه الخطة فوزاً هو اعظم مما لو لم اهجر كتبي وبلدي . وكان ذلك في مدينة نوربرغ ، في خلال الحرب الناشبة يومذاك . وانا عائد من حفلة تتويج الامبراطور الى المعسكر . فدفعني البرد القارس الى بيت منعزل قصد التدفئة . لم يكن في ذلك البيت من اعاشره ، ولا ما يثير الاهواء التي تتنازع تفكيري . فقضيت النهار بطوله في غرفة يدفئها الموقد . وكانت لي فرصة سانحة لمحادثة النفس

واول خاطر خطر لي هو : ان العمل الذي يشترك فيهِ الكثيرون اقلّ اتقاناً من عمل يتمّمهُ الفرد الواحد من الناس : والكتب العلمية ثمرة جهود الكثيرين ، وفيها حقائق غير قاطعة ، ونحن اطفال قبل ان نكون رجالاً ، فنستند الى الكتب والمعلمين . فافكارنا غير حرة واحكامنا غير ذاتية . بخلاف ما لو اشتغلنا بالتفكير في نعومة الاظفار . فلم ارَ خيراً من اطّراح كل ما عندي من المعلومات ، ونزع كل حكم من عقلي . وان لا ابني عليهِ تفكيراً . فسننت لنفسي قوانين . وهي

﴿ روجرس وترنر ﴾ القانون الاول : ان لا اقبل شيئاً كحقيقة الاّ اذا وضح انهُ كذلك

الثاني : ان اقسم كل معضلة الى اقصى ما يمكن من الاقسام

الثالث : ان ابدأ بالاسهل والاقرب الى الفهم ، واتقدم منهُ الى الاصعب والابعد

الرابع : ان اضبط الاحصاء حذراً من ضياع شيءٍ من الجزئيات التي لديّ . معارفنا مشوّشة مبهمة ، لانا نقبل اشياء كثيرة في وقت واحد . والمكثار غير مجيد ولا مستوضح . لان عقله مشوش مضطرب . فلنختر الاوليّات التي لا تفتقر الى البرهان ، وهي التصورات الغريزية . لانها ليست نتيجة الاختبار ، وهي اساس كل حكم ، وفيها جرثومة الحقيقة التي غرستها الطبيعة في نفوسنا . يضاف اليها الاستدلال ، وهو فعل بهِ نتوصّل الى نتائج صحيحة . فمن مقدمتين لنا نتيجة صحيحة . فالرياضة اصح العلوم البشرية . وفيها اوليات يبنى عليها

﴿ روجرس ﴾ فشرع « ديكارت » يفكر بذاتهِ لذاتهِ ، وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، بانياً على الرياضة . فجاء منهجهُ بما اراده منهُ من الوضوح والبيان ، مع متانة البناء ، وسديد الحجة . فطبّق في تفكيره قوانين الرياضة ، فكان عمله منتجاً . ولما كانت كل فروع العلم مستمدة من الفلسفة الاولى رمى الى تطبيق منهجهِ على تلك الفروع

الوجود والفكر

﴿ ترنر ﴾ وانتهى الامر بتأليف كتاب « المنهج » سنة ١٦٣٧ ، وكتاب « تأملات » سنة

١٦٤١ محاولاً بهما اكتشاف الحقيقة التي لا تدحر ، التي ندركها بالبديهة الجليّة والحقيقة الانسانية التي بنى عليها كل شيء هي «الثقة بالادراك»

﴿روجرس﴾. قال: — اما كل ما تعلمته فمن الحواس وبالحواس. على اني وجدت الحواس خادعة احياناً: ومن الفطنة عدم الثقة بالخادع. على ان الحواس، وان خدعتنا في ما لا يحصره حكمها، فهي الدليل الامين في كثير من الحوادث التي لا يدانيها ريب. مثلاً: انا الآن امام الموقد، لابساً ردائي ، واقبض على هذه الورقة بيدي . فكيف يمكنني ان انكر هاتين اليدين ؟ اللهمّ الاّ اذا كنت كاحد المجانين الذين ليس لاوهامهم وزن . او اني ارى ما اراه حالماً . وان ما انا فيهِ ليس حقيقة بل هو ظل . وان ليست يداي ، ولا عيناي ولا رأسي هي في النسبة التي اعرفها . ولكن لا ندحة عن التسليم بان اشياء الحلم ظلال حقائق اليقظة . وان ما نراه في حلمنا هو صورة ما يحدث لنا في يقظتنا . فهذه الاشياء ، من عيون وايدٍ ليست تخيلية ، بل كائنة حقيقة . على الاقل ان العنصر الذي منهُ تكونت هو حقيقي ، هيولى ذو امتداد . فالاجسام ذوات ابعاد وحجوم وعدد . فكيف ارتاب في ان ٢ + ٣ = ٥ ؟

مرّ بي زمن طويل اومن بوجود الله، وانهُ قادر على كل شيء ، وانهُ خلقني . فكيف اتصوّر انهُ لم يخلق السموات والارض ، والاجسام ذات الامتداد ، والاشكال والصفات ! اني اشعر بوجود هذه الاشياء ، فكيف اعرف اني لست مخدوعاً في شعوري ؟ ان الله لا يخدعني ، ولكن قد يكون الخادع شيئاً آخر شرير ، فلنفرض (والفرض جائز) ان السماء والارض والهواء والاشكال والالوان والاصوات ، وكل الاشياء الخارجية ، ليست الاّ خداعاً وتصورات فارغة ، وان ليس لي يدان ، ولا رجلان ، ولا عينان ولا ولا ولا . واني لا اتمكن من معرفة شيء فالنتيجة اللازمة عن ذلك هي التوقف عن كل حكم . فاقول لذاتي : ان كل ما اراه واسمعهُ واذوقه والمسه واشمُّه وهمٌ في وهم . وان لاشيء موجود . وان ذاكرتي مشحونة بالاوهام . وان لا حواسّ لي . وان الجسم والحركة والصوت وكل الظاهرات ، هي خيالات ابتدعها عقلي . فماذا بقي مما هو حقيقة ؟ لم يبقَ الاّ الحكم : ان لا شيء موجود

افلست انا شيئاً ؟ ولكنني انكرت ان لي جسماً او اعضاء . وان لا سماء ولا ارض ولا هواء الخ . فهل انا غير موجود ؟ كلاّ لان لي فكراً بهِ حكمت ان لا شيء موجود : فالحاكم موجود . واذا زال هو زلت انا . فانا ما يفكر . اي اني عقل فاهم او فكر . فانا موجود ، ولكن ما انا ؟ قلت اني شيء يفكر ، فما بعد ذلك ؟ اني استفزُّ خيالي لارى هل انا اكثر من ذلك . لست انا هذه المجموعة من الاعضاء التي ادعوها جسدي . ولست بخاراً ينتشر في جو هذه الغرفة . ولست ريحاً ، ولا شيئاً آخر من كل ما اقدر ان اتصورهُ . مع ذلك لا ازال اوقن اني شيء . فما هو ذلك الشيء الذي يفكر ؟ هو شيء يرتاب ويفهم ويدرك ويجزم ويشعر .

فليس هو شيئاً زهيداً وفيهِ كل هذه الصفات ؟ ألست انا الذي ارتاب الآن بوجود كل شيء ؟ اولست انا الذي فهم وجزم بوجودهِ ونفى كل ما سواه ؟ انا الذي لا يريد ان ينخدع . انا الذي يتصور اشياء كثيرة ، ويشعر بأشياء كثيرة . افليس يقيناً أني موجود ولو اني في حلم ؟ ثم اني انا الكائن الذي يشعر ، والذي يؤكد وجود بعض الاشياء بواسطة أعضاء جسده . فأرى النور ، وأسمع الصوت ، وأشم الرائحة ، وألمس المادة . ولكني قلت ان هذه الاشياء باطلة ، واني نائم . فلنسلم بذلك . فأقول ، على الاقل ، انهُ يخيَّل اليَّ اني ارى نوراً وأسمع صوتاً وألمس مادة وأشم رائحة ، وأدعو ما فيَّ شعوراً ، روحياً . وليس ذلك الاّ فكراً . من ثمَّ بدأت اعرف ما انا

فأساس فلسفة ديكارت ، التي توفر له اثبات وجود الذات وجوداً لا ريب فيهِ ، هو الشعور . يتجلى ذلك الشعور حتى في فعل الشك . والذات هي التي تشعر . ولكن ما هي؟ قال تعوَّدت ان احسب ذاتي مؤلفة من نفس وجسد . فالجسد هو هذه الكتلة المشكلة بالشكل الخاص . ولكن لا شيء من اوصاف الجسد يصدق على النفس ، التي هي بالضرورة فكرية. فهل من صفة للنفس ؟ نعم ، وهي الفكر . فما دمت افكر فأنا موجود Cogito Ergo Sum

ويلي ذلك كلام ضافٍ في «الله» و «المادة» و «العقل» و «علاقة المادة بالعقل والعواطف» نعرج عنها الى نظرية اردمن في ديكارت . واردمن اهم مؤرخي الفلسفة الذين اعتمدتهم في تأليفي

﴿ اردمن ﴾ : وقعت تعاليم « مونتان » الارتيابية بفرنسا كالبزور . وكانت ثمرتها في النفوس المتدينة صفة ارتياب (كمرسين) ، ذات ميل الى الجزم في صحة قضايا اللاهوت . وانتشر الارتياب ، فحمل ذلك «مرسين» على الندب والرثاء . فاذا فرضنا ان «ديكارت» اختبر وطأة ارتياب كهذا ، فحمله ذلك على طلاب المعرفة ، كانت محاولته التخلص من هذا الارتياب امراً معقولاً

ففي كتاب « المنهج » وكتاب « تأملات » وكتاب «المبادىء» سلسلة من التعاليل باللغة المألوفة . كقوله (الحس خادع والعقل كذلك) فلا نقدر ان نستسلم للعقل لانهُ عرضة للخطأ . فانظر كيف يتطرق الشك الى اليقين . قال «سانشيه» . كلما زدت تفكيراً زدت شكـّاً . فاجابهُ «ديكارت» . كلما زدت تفكيراً زدت يقيناً بأني موجود . فالادراك هو الذي يشك . فالشك دليل على وجود الشاك (المسند اليه) دلالة الاثر على المؤثِّر ، دلالة الفعل على الفاعل

ليس في طبيعيات «ديكارت» تصور الغاية . لان ذلك الفكر (الغائي) غريب عن الرياضة وقد اشار « ارسطوطاليس » الى انتفائه من تعليم فيثاغورس (لان تفكير «فيثاغورس» كان رياضياً كتفكير «ديكارت») ولا ينكر «ديكارت» ان الله يعرف غايات العالم الطبيعي . لكنهُ يرى ان رغبتنا في معرفتها وقاحة . فقولنا — الانسان غاية الكون — كبرياء وصلف منا . فكل ما يساور ادراك الامتداد يلزم الاجساد طبعاً . وما كان ضد ذلك ينكر . فليس في العالم

الطبيعي جواهر ولا حدود . فتضم فسحات الوجود المتحرك الى ادراك الامتداد . ولكي نفهم هذه الامكانات يلزم تدخل قوة اخرى، هي الكائن، اساس اقصى امتداد — هي او هو الله

يرد ديكارت كل حوادث المادة الى الحركة . ففلسفة الطبيعة كلها ميكانيكا ، وهي بالنتيجة رياضية . ولما كان الله علة كل حركة فهو لا متحرك (هذه فكرة ارسطوطاليس) فالاثر من طبع العلة . ومجموع نتيجة النواميس هو : —

١ً : ان مجموع الحركة واحد بذاته

٢ً : يظل كل جسم في الحالة التي هو فيها من حركة او سكون

٣ً : يظل كل متحرك سائراً في خط مستقيم ما لم يعترضه عامل خارجي

٤ً : اذا صدم جسم متحرك جسماً آخر ساكناً نقل اليه الحركة

تدعى المادة عنصر النار الاول (نظرية هيرقليطس) ومنها تكونت الشمس والنجوم الثوابت . وباقي الهيولى ماء وتراب ، بحسب سهولة حركتها او صعوبتها ، وبينهما الهواء السكووي . ومنه تكونت السماء (ربما اراد بهِ الجو) فالنار ظاهرة تموُّج الذرات . وذاك التموُّج علة تكوُّن الكون . اما الحرارة فمعلولة حركة العنصر الاول . ويؤثر تنوُّع الحرارة فتحوَّل بعض الذرات عن الخط المستقيم . واذا انسحب جسم (من النار) تواردت الاجسام الاخر الى حيزه . فنتج عن ذلك حركة دورية . بهذا يعلل سقوط الاجسام على سطح الارض ودوران السيارات حول الشمس (يقارب ذلك رأي «اينشتين» في تحدُّب الفضاء)

الدم روح الحيوان ، وفيه الحياة . وقد رحب « ديكارت» باكتشاف «هارفي» للدورة الدموية . لكنهُ خالفهُ في ان القلب علة النبض . ومركز الانفعال الغدة الصنوبرية في الدماغ . وهي منشأ كل حركات الجسم . تماثل فلسفة العقل فلسفة الجسم . الله عقل كبير . والعقل اله صغير . والتفكير من خصائص العقل كالنور في المصباح . كل اعمال العقل تصورات . وهي انواع . فمنها تصورات مطابقة ، ومنها تصورات غير مطابقة ، مخالفة ، ناقصة ، وهكذا

من هنا التصورات الغريزية — البديهية

الله كامل الارادة . فلا يقرر ما كان ، بل يكون ما قرَّر . ويكون الشيء صالحاً لان الله ارادهُ . ويكون شريراً لان الله لا يريده . «فديكارت» «سكوتي» (اي من رأي « دُنْ سكوت» من كبار المدرسيين) في الله ، توماوي (اي من رأي «القديس توما الاكويني») في الانسان

تقود فلسفة «ديكارت» الى الثنائية (وجود اصلين للكون هما المادة والروح) يستحيل التفاعل بينهما . ولكن تصور وجود الله وضع الحد لهذه الثنائية . فزال الارتياب ، وصار ممكناً ان يعلن العالم الخارجي للعقل . ونقطة فلسفة «ديكارت» : الذات المرتابة والالوهية

وبدون الالوهية يتعذر التوفيق بين المادة والعقل

نضال بين نزعتين

محور تفكير العلماء اليوم

يقول هولبروك جاكسون الكاتب الاجتماعي الانكليزي في بحث له يتناول الحياة في العصر الحاضر « ان المجتمع الحديث عبارة عن عقدة من الآراء المتضاربة في الاحساس والتفكير ... واننا قلما نجد في هذا العصر ، مثل ذلك الصفاء أو الصحو او الثقة التي نعرفها عن الحياة الاجتماعية إبان المدنية الاغريقية مثلاً ، إذ أن الافكار — في ذلك الحين — كانت على اختلافها متصلة بالحياة اتصالاً وثيقاً مباشراً ، بينما نرى الآن ، أن معظم النظريات الاجتماعية تكاد تتناقض في تطبيقها — مع الحياة العملية في هذا العصر ... »

وقد تناول هذا الكاتب في بحثه معنى الحرية التي يكافح الناس من أجلها منذ بدء الخليقة إلى اليوم ، فهذه الكلمة التي من أجلها اشتعلت الثورات ودكت عروش وقلبت حكومات وتغيرت معالم دول ، وتفرَّغ العلماء والكتاب في مختلف العصور ، لوضع أسسها وتثبيت دعائمها ، لا تزال بعيدة عن متناول الانسان بمعناها الأسمى حتى عند اكثر الامم رقيًّا

وهذا الكاتب لا ينادي بثورة سياسية او اجتماعية فقد جرّب الناس كل انواع الثورات ، ولكن الثورة التي ينادي بها هولبروك جاكسون ، انما هي ثورة داخلية في نفس الانسان ، على مثال المبدإ الذي عناه ابسن في كافة كتاباته تقريباً . فلقد كان ابسن يدعو إلى « ثورة في صميم النفس الانسانية » وهو — أي هولبروك جاكسون — يفسر هذه الثورة بجملة خالدة للكاتب الامريكي مارك توين « لا تتنبأ او تقبل شيئاً الا اذا عرفتهُ واقتنعت بهِ »

فنحن على الرغم مما بلغنا من الرقي في الناحية الصناعية والظواهر الاجتماعية لا نزال ارقاء لبعض العادات والتقاليد الموروثة، بينما طغت المادية على أنبل عواطفنا . فاما العادات والتقاليد — ويجب الا نقرن تلك العادات او التقاليد بالدين فان هذا لون من التخبط لا معنى له — فيمتد تأثيرها الى غل التفكير الصريح . فقد يحدث احياناً أن يخفي انسان بعض ما يشكو منهُ لمجرد الوهم او الانتقاد او الخجل ، ومن هذا المثل نستطيع أن نقرّب الى الفهم معنى كلمة الحرية التي يدعو اليها العلماء في العصر الحاضر ، فهم لا ينادون بثورات يروح ضحيتها الوف من البشر لصالح طائفة صغيرة من الناس ، فان تلك الثورات على الرغم من بريقها ، وما فيها من اغراء وتحريض ، لا تسعد كل انسان ولا تمتعه بحريته السامية التي يصبو اليها ، ولكنهم يدعون الى تحرير النفس ، وتحقيق الاستقلال والحرية الفردية

يقول باسكال « ليس من الخير ان ننال الحرية كلها ، او نحصل على كل ما نشتهي » وفي

هذا القول تحديد لمعنى الحرية التي اسبقنا التحدث عنها . فان الحرية الشخصية للانسان اساس النظام الاجتماعي ، والحرية الطائشة هي الفوضى . وليس أدلّ على ذلك من قول تشسترتون في الثورات ، فهو يقول بان الثورة الروسية — بشكلها — جاءت طائشة ، لان اكثر رجالها اغبياء ، ولان تلك الثورة جاءت متأخرة عن عهدها الصحيح اذ كان يجب ان تشب قبل ذلك بمائة عام ، ولو ان الثورة جاءت في عهدها لما حملت كل هذه الاخطاء التي توصم بها اليوم ، والتي أفسدت معناها الاجتماعي . وفي الواقع ان رجال الثورة دائماً لا ينفعون اممهم من الناحية الاجتماعية ، وهذا ما رأيناه في فرنسا ، إبان ثورتها العظيمة ، فان روبسبيير ودانتون ومارا ، وغيرهم من اعلام الثورة ، لم يفيدوا فرنسا فائدة صحيحة ، بل كان عملهم مؤقتاً شاذاً ، ولقد توسلوا الى تحقيق معاني الثورة بالتهديد والبطش وسفك الدماء بدون حساب وان كان هنالك ما يسوّغ بعض أعمالهم الدموية . الاّ ان عهدهم لم يطل ، وأكل بعضهم بعضاً ، وذلك لانهم تمادوا في فهم معنى الحرية ، حتى بلغت زعامتهم حد الطغيان والغرور والفساد والطيش وهذا ما نراه في روسيا . فان رجال السوفيت اليوم يعملون بكل قواهم للتنكيل بالأديان وتشتيت رجال العهد القديم ، وقلب النظم الاجتماعية كلها رأساً على عقب . ولا تزال روسيا — بتقرير اكثر الكتّاب والعلماء الذين عالجوا حياتها الاجتماعية مثل ولز وشو وبرتراند رسل ودورا رسل وغيرهم ، تعاني اضطراباً نفسيّاً واجتماعيّاً ، هو نتيجة ما يلقيه رجال الثورة الباقون من الرعب والبطش والمداهنة والخطب المشبعة بالالفاظ النارية والجماهير منقادة اليهم ، وفقاً لوعودهم . ولان زعماءهم يلهبونهم بذكريات الماضي ، ويغذون زعامتهم بتلك الذكريات . ولهذا فان الجيل القادم في روسيا ، كما رأينا في فرنسا من قبل ، لا يمكن أن يحكمه متطرفون في الرأي والنزعات السياسية والدينية من طراز ستالين ومجلس ادارة الحزب الشيوعي الحاضر في روسيا ، كما هو الحال اليوم . إذ أن عهد «الانتقام الاكبر» لم ينته بعد ، وسيحل بعده رجال يوفقون بين معنى الحرية والنظم الطبيعية — كما نرى في فرنسا في هذا العصر

***

ومن أهم الظواهر التي تبدو في هذا العصر أن اكثر العلماء أهملوا إلى حد ما مباحثهم العلمية الخالصة واتجهوا الى المباحث الاجتماعية ، وقد ذكر ذلك البروفسور هالدين فقال ان اكثر المشتغلين بالمسائل العلمية ، يعنون عناية واضحة بالمسائل الاجتماعية . والسبب في ذلك لا يعزى الى الازمة المالية فحسب ولكنه يعزى الى الازمة الاجتماعية . وما نشأ عنها من الظواهر المختلفة عند الطبقات . ولقد عالج الدكتور جون ميلار وهو من كبار العلماء في امريكا هذه الناحية في بحث مستفيض منذ عام ، فقال ان الشكوى السائدة في هذا العصر أساسها اننا لم نعن برقينا الصناعي والاقتصادي من ناحيته الاجتماعية . فبينما نرى اننا قد ارتقينا في أحوالنا الصناعية

بصنع السيارات والطيارات واللاسلكي وغيرها ، نجد الى جانب ذلك جيوش العاطلين الذين يتكاثرون يوماً بعد يوم كنتيجة لاخطاء اقتصادية خطيرة ،وسيطرة الآلات،وضعف التعاون بين الطبقات . والسبب في هذا يرجع إلى ان روح الطمع غزت النفوس الفجة . فتأثرت بذلك طبقات العمال في البيئات الصناعية . واذا أردنا ان نعرف فائدة تبادل المنفعة والتعاون الصناعي والاجتماعي ، ذكرنا — مثلاً — كيف يعنى فورد بذلك في مصانعه ، فهذا الرجل المالي الكبير يقرر النظم الاجتماعية والاقتصادية العادلة جنباً الى جنب ، ولذلك فان من النادر أن يجد الانسان في أعمال ذلك الرجل وهي أعمال واسعة جداً شيئاً من الخطإ أو الارتباك ومن ناحية أخرى فان عمَّاله لم يلجأوا الى وسائل سلبية لتحقيق رغباتهم (مع ملاحظة ان الحركة الاخيرة التي قامت في مصانعه كانت نتيجة شبه مؤامرة من بعض مناهضيه ومنافسيه) إذ أن التعاون هو أساس العمل بين الطرفين.ولهذا فاننا نرى ان العامل يستطيع أن ينال حقوقه وأن يرضى بها وأن يستمتع بحريته كاملة دون أن يشعر بضغط أو حيف ودون ان يلجأ الى الاعتصاب او غيره من الوسائل السلبية

ولقد ذكر « صموئيل سشهوزن » في بحث له عنوانه (هذا العصر المريض) أن اكثر الامراض الاجتماعية في العصر الحديث ناشئة عن الاهمال والجشع والتهور وعدم العناية والواقع يؤيد ذلك . فاننا نعالج في كثير من الاحيان المسائل الاقتصادية ببعض المبادىء السياسية ، وهذا خطأ جوهري . وسبب هذا هو الافتقار الى التفاهم ورغبة فريق في الطغيان على فريق آخر . وطمع الفريق الاخير — الى حد الهوس — في الانتقام

لهذا نرى العلماء والكتَّاب ،على اختلافهم، نرى برنارد شو(وخاصة في كتابه الاخير المسمى مخاطرات الفتاة الزنجية وقد ملاه بالتهكم من المدنية وغيرها) كما نرى أيضاً ولز وأينشتين والسر آرثر طمسن وغيرهم يعنون عناية صادقة في اصلاح بعض الاخطاء السائدة،وتبسيط النظريات الاجتماعية حتى تتلاءم مع روح العصر ، وحتى تنجو البشرية قليلاً من طغيان المادية وما تهدد به مدنيتنا الحديثة.وهم يرون ان من الضروري ان تتغلب المبادىء الروحية في كثير من الاحيان على المبادىء المادية تخلصاً من الازمات والضيق والفساد الاجتماعي الحاضر

وهذه النزعة الروحية الاخيرة ، اقرب الى التصوُّف منها الى المادية ، وهي نزعة اسيوية بلا شك ، او بتعبير ادق نزعة سلافية صميمة والفكر السلافي الصميم يناقض الفكر الاوربي في كثير من نزعاته . ولا يرضى ان تنساق الانسانية في طريق الحيوانية والانانية والطمع والسيطرة المطلقة ، وزعيم هذا المبدأ الروحي في الوقت الحاضر هو الفيلسوف الروسي ليون شستوف وهناك غيره من زعماء هذا المذهب لايقلون عنه منزلة ورأياً في سبيل هذه الدعوة

محمود عزت موسى

باب شؤون المرأة

وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة وأهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينه وسير شهيرات النساء ونهضتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

دور المراهقة

وتبعة الوالدين فيه

محاضرة للدكتور شخاشيري

يقولون ليس من خلاف في تقدير خطورة دور المراهقة في الانسان، والواقع هو ما يقولون. فقد اجمع العلماء على خطورته واجلال ما يقع فيه من تطورات وانقلابات. فهو في الحياة الانسانية كفصل الربيع في الحياة النباتية سواء بسواء. فالاشجار تورق في الربيع وتزهو نخورة بما تجنيه من اطياب الثمار. والرياض تزدان بألوان مختلفة من الأزهار. والطيور تجدد اكنانها وتنتشر في الفضاء مغرّدة طروبة. وكذلك الانسان يزداد في هذا الدور انتاجاً ونشاطاً. ولعل ايامه من اعظم الايام نشوةً وطرباً وأكثرها مرحاً ولهواً واخفها ظلاً وألذّها حلماً. وهو كذلك من اخطر ادوار الانسان واعظمها قدراً. فهو يسبق ميلاده الحادي والعشرين ببضع سنوات فيبتدىء في نحو السنة الحادية عشرة وينتهي في اواخر السادسة او السابعة عشرة. وفي ثناياه يظهر على المراهق، فتىً كان او فتاة، تغيرات خلقية وصفات نفسية متحدرة اليه بالوراثة من الجدود والآباء، او مما يكون قد اكتسبه في عالم الاجنة او في زمن الطفولة من اخلاق وعادات. فضلاً عن عوامل البيئة التي يعيش فيها ويحاط بها — فان تأثيرها في تكوين شخصيته يبلغ اشده في خلاله

ويشعر المراهق بحرارة ميوله الجنسية تسري في عروقه ويتعرّف الفارق الفاصل بين ما كان هو فيه وصار اليه ويسمع انشودة الحب للمرة الاولى تروى في اعماق نفسه فتطرب لدويها جوارحه ويخفق لصداها قلبه

وتراه يخرج على حياده البريء الذي لزمهُ مدة وجوده في نعيم الطفولة الطاهر الى هذا

العالم الزاخر بالحسنات والسيئات . ويرى النور ويرى الجمال يتمشيان امام باصرتيه في اليقظة كان او في المنام . نراه ، وهو العزيز علينا ، نفديه بأرواحنا ومهجنا ، واقفاً على شاطىء هذا البحر الخضم بأمواجه المضطربة وأهوائه العاصفة وزوابعه الجارفة واعاصيره القاتلة ... ان ان يلقي بنفسه المتوثبة في عبابه — وليس له من ذلك مناص ولا له من خوضه بد

فهل ندعه للامواج تتقاذفه والاهواء تعبث بآماله والاعاصير تتحكم في مصيره ؟ هل نقف منهُ موقف المتفرج على الغريق وقد اشرف على الهلاك ولا نحرك يداً لاسعافه وفي استطاعتنا انقاذه ؟ هل نظل حريصين على الصمت متمسكين بالتقاليد البالية فلا نتحدث اليه عن مفاجئات هذا الدور الذي يجتازه — او البحر الذي يخوض عبابه على متن سفينة آماله وأحلامه ؟ ام نأخذ بيده ونظهر له ما قد يصادفه من عثرات وينتظره من عراقيل

ولا ينقضي هذا الدور في حوادثه ومؤثراته عند هذا الحد بل يمتد نفوذه كما تعلمون الى ابناء الغد وبعد الغد

ولم يقع اختياري عليه والتحدث اليكم عنهُ لغرابة حوادثه عن اذهانكم وابتعاد صوره عن مدى ادراككم — فاعتقادي ان ما من والد ولا والدة او بالغ وبالغة الا ويحفظ له ذكريات عميقة وصوراً مؤثرة لا يستطيع محاضركم هذا المساء ان يجلوها امامكم او يأتي بجديد عليها او غريب منها ولو ظلّ متكلماً فيها الى الصباح

ولذلك سوف اقتصد في وصف التغيرات التي تحدث في الاعضاء الجنسية ووظائفها او ما ينم على تلك الوظائف من شعور ويستدل منها على ميول . فما التبسط فيها الا عبثاً بأوقاتكم اذا لم يكن فيهِ مضايقة او تحرج . ليس لمثل هذا كابدنا كم مشقة الحضور الى هذا المكان وسماع اقوال انتم في غنى عن سماعها

التغيرات المادية والنفسية

اما تلك التغيرات التي تبدو على الفتى ولا يخطئها النظر العادي كالنمو السريع الذي يظهر على الجسم جملةً وتفصيلاً . فلا اعرض لها بقليل ولا كثير . واي فائدة من تكرار ما هو معلوم ومنظور ، فصوته يخشن مثلاً ، وشعره ينبت في الوجه وفي اماكن اخرى غير الوجه من الجسم . وصدره يتسع وكتفاه ترتفعان وجلده يفقد نعومته وتزداد قوته البدنية الى غير ذلك من الاوصاف — فهل في ذكر هذه المظاهر المحسوسة طرافة فاجعل لها من هذا المقال مقاماً ؟

وكذلك التغيرات النفسية التي يحس بها لها صورة عامة تقاس بها ويستدل عليها منها وكان في الامكان الاعراض عنها ايضاً . كشعوره بغرابة موقفه من الفتاة التي كانت الى الامس تأتي اليه في مرح الصبا وجذالة الطفولة وتخلو بهِ في الحديقة وفي اي مكان يتفق ان يكون فيهِ . وتتحدث اليهِ ويتحدث اليها من غير كلفة ويقضيان الفترات في اللهو والعبث . وقد

يتنافران لسبب تافه ولكن سرعان ما يعودان الى ما كانا عليهِ من الالفة واللعب . فاذا بها اليوم تبدلت بأخرى واذا بهِ يراها نافرة منه بعيدة عنهُ مع شدة رغبته فيها وميله اليها فهو يريدها ويشتد في طلب الاجتماع بها والتحدث اليها — ولكن اذا رآها مقبلة عرته رعشة ومنعه الحياء من النظر اليها وعقد لسانه عن صوغ كلمة يعبر بها عن شعوره نحوها

وتراه وقد تغير بسلوكه وتصرفه مع اخوته ورفاقه واصبح شديد الاهتمام بمظهره كتمليع شعره وتزيين وجهه حريصاً على الاناقة في لبسه وقد كان لا يبالي بمثل هذه المظاهر ولا يعيرها اي اهتمام فما الذي حدث له حتى تخلق بصفاتٍ غير التي عرفناه بها ؟

انهُ ولا ريب قد شعر بعاطفة غريبة نحو تلك الفتاة لم يكن يشعر بها من قبل وبحث عن السبب فلم يهتد اليهِ — وقام في ذهنهِ ميل الى معرفة ما لا يعرفهُ عن هذا الشعور الغريب . واخذ يقلب صفحات ايامه الماضية ويقيسها على ايامه الحاضرة فيجد هوّة سحيقة بين العهدين وتناقضاً كبيراً بين الشعورين . فيرتبك ويظهر عليهِ هذا الارتباك في حديثهِ ان تحدث ؟ وفي دراستهِ إن درس ، وفي لعبه ان لعب . ويقع في حيره مما وصل اليه بتفكيره ولا يدري كيف يفسر هذا الانقلاب في شعوره نحوها وميوله اليها . ومع هذا الغموض تجدهُ يرتاح الى التفكير بها والتنقيب في مخيلته عن آثارها — وقد يرى صورتها ماثلة امامه في كل مشهد يقع نظره عليهِ — سواء اكان في خلواته او في اجتماعاته

ولا مغالاة في وصف ما يعانيه من الآلام ويساوره من هموم واحزانٍ بسببها او ينبعث فيهِ من صفاتٍ وخلالٍ بتأثيرها . فقد يقتحم المهالك بوحيها ويطلب المعالي لاجلها وتصبح شغله الشاغل الذي يهنأ بهِ وسعادته التي ينشدها ويطمع بها . ومنشأ هذا كما لا يخفى الميل الغريزي فيهِ

الميل الغريزي

وهذا الميل الغريزي والشعور النفساني الذي تفتحت مباسمه وتوهجت افاويقه فيهِ . انما هو الحب الذي لولاه لما نشأت العائلة ولما تكونت الجماعة ولما نبض قلب الانسان بالعواطف — ولا كان له شعورٌ بالحياة ولا تقدير لما فيها من مناظر رائعة ومشاهد جميلة فتانة . فهو الجذوة او الشرارة لهذا الكون الواسع — ولولاه لما كان له أي أثر ولما كان للجمال ما له من روعة وسلطان

وسعادة الفرد — والاسرة — والجماعة — والشعوب لا تتوفر الاّ بمقدار ما يتوثق بينها من روابط الحب . وما الميول الجنسية الاّ رسائل تعبر عنهُ ودعائم توطد اركانه

وطرق التعبير عن هذه الميول تتفاوت بين الجماعات تفاوتاً كبيراً . فمنهم من يتخذ الحب وسيلة للهو وقضاء الشهوة فقط — كما يتخذ الجائع الطعام وسيلة لاشباع جوعه . وآخرون يتخذونه لغرض ابعد من قضاء الشهوة وتغذية الجسم . فهم يجدون فيه وسيلة شريفة لتأسيس

العائلة وتكوين الجماعة وربط اواصر المودة بين الافراد والجماعات . وحفظ كيان الجنس سليماً من الآفات . فالاول حب بهيمي والثاني حب إنساني . ولذلك نشاهد في أنصار الحب الثاني نفوراً بيناً في أحاديثهم عن العلاقات الجنسية وتخوفاً من عاقبة الافاضة فيها الا بمقدار يسير . وسبب تخوفهم ناشيء عن اساءة فهم هذه الميول وطرق التعبير عنها الى حد الابتذال والاسفاف

التغيرات التي نلاحظها في الفتاة

اما التغيرات النفسية التي نلاحظها في الفتاة عند بلوغها هذه السن فهي قريبة الشبه بالتغيرات التي احصيناها على الفتى . فقد نلاحظ عليها ضعفاً في الذاكرة فلو طلبت منها ان تقص عليك حادثة رأتها امس لوجدتها تهرب من ذلك او تذكر شيئاً قليلاً عنها . وينسب البعض هذا الضعف الى اسباب خلقية تبتديء معها في بداءة هذا الدور وتزول بزواله . ولكن يزداد انتباهها فتنظر الى الاشياء التي حولها بعين الباحث المدقق وتزداد قواها العاقلة فتظهر رغبة صادقة في تعليل المسائل تعليلاً صحيحاً . وتكثر من الاسئلة . ويمتد نطاق خيالها وبعد نظرها الى ابعد من حوادث يومها . اي أنها تبحث عن مصيرها وهي طفلة وقبل ان تتم دراستها وفي أي دور تقيم ومع من تعيش ؟ ويحلو لها ان تتخيل تلك الدار على شيء من الفخامة وانها مفروشة بأثاث وأوانٍ نفيسة ــ وتتصور حجرة الاستقبال انيقة في مظهرها ــ وحجرة المائدة قريبة من المطبخ قليلة الاثاث ليسهل تنظيفها . وانها سوف تضع في وسط المائدة زهرية وتعلق على جدرانها رسوم بعض المناظر الطبيعية . وان يكون المطبخ طلق الهواء والحمَّام كالمرآة في نظافته . وأما حجرة النوم فتحب ان تكون واسعة الجوانب يدخل اليها نور الشمس في الصباح وبعض الظهر وفرشها قليل ولكنه فخم . وربما يذهب بها الخيال الى ان ترى سريراً صغيراً بالقرب من سريرها تنبعث منهُ ألحان تنعش نفسها . ويخفق لها قلبها . تتخيل الفتاة كل هذا واكثر منه قبل ان تعرف الشخص الذي يكون شريك حياتها في تلك الدار . ولكنها ترى صورته أمام عينيها كأنها مطبوعة على حدقتيها ويمتد بها الخيال الى انه من أحسن الشبان ظرفاً وأخفهم ظلاً وأطربهم حديثاً وأجملهم قواماً واكثرهم اناقة قد تراه في كل مشهد يقع أمامها . وكل حادثة لطيفة تحدث لها مع رفيقاتها ومع اخوتها وفي البيت او في المدرسة . انها تتخيل صورته في كل مكان تذهب اليه . وتكون فيه — وتسمع صوته يرن في اذنها وتحس بهزة في جسمها عند ما تتصور يده بيدها . والغريب انها لا تتخيل ان تكون كاتبة ولا ممثلة ولا طائرة ولا محامية ولا طبيبة . وانما تتصور قبل كل شيء ان تكون زوجة وأماً . ولا عجب من هذا الاختيار . فانها ما وجدت الا لتلك الوظيفة السامية والغرض النبيل «زوجة وأمًّا» بالفعل والواقع لا بالوهم والخيال

ومما نلاحظه عليها ايضاً . تقديرها للجمال فانها تظهر اهتماماً كبيراً بكل ما هو جميل وتميل الى تقليد ما تراه جميلاً في ملابس رفيقاتها وزينتهنَّ . وكثيراً ما تسرُّ بمناظر الطبيعة وينشرح لها صدرها . وترغب في الاماكن الهادئة المخيم عليها ظل وارف هادىء كالليل في هدوئه . ولا أعذب على سمعها من كلمة جميلة تقال لها وتوصف بها . .

والشيء بالشيء يذكر ؟ فقد هبطت مصر في ١٢ فبراير الماضي كريمان هانم خالص ملكة الجمال وقد احدث وصولها رجة اعجاب وتهافت من الرجال، ورنَّة غيرة وحسد من السيدات — ولو سألت فتياتنا في مصر — كما سألت بناتي الثلاث — او سألت فتيات العالم اي شيء احب اليك — المال وما يتبع المال من قنية ومتاع ؟ ام الجمال ؟ لما اختارت واحدة منهنَّ غير الجمال حلية ومتاعاً . فهي تريد ان تكون جميلة وتحب أن تسمع الناس يتحدثون عن جمالها اكثر من تحدثهم عن علمها وجاهها وغناها . . وكل شيء في هذا الدور يتغير في نظرها فتقديرها للحياة يختلف اليوم اختلافاً كبيراً عن تقديرها لها في الامس . وتبدأ بحكم طبيعتها وسنها ان تشعر باضطراب وعدم طمأنينة الى تحقيق امانيها . ويزداد شعورها بنفسها ويحل محل ما كانت عليه من غرور وسذاجة في زمن الطفولة . وترغب كثيراً في اظهار شخصيتها مستقلة في كل مناسبة تعرض لها فاذا رأت شقيقها الاكبر أو الاصغر سنًّا منها يذهب الى السينما وحده فتتساءل لمَ لا تفعل مثله وتذهب وحدها الى حيث تريد وأحياناً لا يسمح لها بالذهاب حتى مع شقيقها وقد لا يكون غرضها من الذهاب الاَّ ان تشعر بقوة نفسها منفردة لا لكي تشاهد رواية تمثل او صوراً تتحرك — والاستقلال دائماً مطلب النفوس الكبيرة — وانت تحس بحرج عندما تسألك ابنتك لماذا لا تصرح لها بالذهاب وحدها كما تفعل مع أخيها — وهل تخاف عليها الانفراد ولماذا لا تخاف على أخيها منه ؟ وبالطبع لا يكون خوفك عليها من نفسها وانما من الآخرين فتقول لها عن سبب هذا الحذر وانه ناشيء من قلة اختبارها في الحياة وانها سوف تنفرد عندما تتم لها عدة الانفراد والاستقلال التام . .

والى جانب هذا نراها تغدو فريسة لمختلف المنازع والاهواء وتزدحم الافكار في مخيلتها وتتمنى لو تفضي بشيء منها الى غير نفسها من الناس ، ولكن الحياء يمنعها من ذلك . وتظهر ميلاً الى العزلة وتنقلب في طباعها من الدعة الى الخشونة حيناً والى الضد حيناً آخر . أي انك قد تراها ضاحكة في الصباح وعابسة في المساء وقد يكون المساء ادعى الى السرور والاغتباط لها منه في الصباح

***

ولكن هذا التناقض لا يطول عصره او يطول على نسبة ما ينقضي عليها من الوقت لاستقرار الهواجس والاماني التي تدور في ذهنها ولاختيار مثلها الاعلى في الحياة . وقليل

من الفتيات يظهرنَ ضعفاً في مقاومة هذه الميول ويجازفنَ في الاستسلام لها ولو تعلمنَ ضبط النفس وروّضنَ على الطاعة والنظام في المعيشة لسهل عليهنَّ اجتياز هذه المرحلة من غير ان يصبنَ بشيءٍ من اضرارها الشائعة فيها ولكنَّ في حرز من المعاطب والمزالق الخطرة التي يتعرضنَ لها في خلال هذا الدور

المزالق الخطرة في هذا الدور

ان ما يتعرض له الطفل من الامراض والطوارىء يكاد لا يذكر خطره على جسامته وشدة هوله بجانب المهالك التي تحف بهِ وهو في دور البلوغ . فالامراض على اختلاف انواعها وتباين نزعاتها تكون في اغلب الاحيان شديدة الوطأة عليهِ لكنها مع ذلك تعرف عند ظهورها ويبادر في الحال الى مداواته منها ، كمعالجتها بالادوية او بما يكون في الجسم من قوة ومناعة او بالعناية التي يحاط بها . بكل هذا يقلل كثيراً من حدتها وقد يبطل في الغالب مفعولها ويقضي على سمومها فضلاً عن ذلك . فعلم الوقاية وحده كفيل ان يصونهُ من غوائلها ويبعده عن مدى رمايتها والاصابة بها . وكذلك الطوارىء فهي تكاد لا تحصى ولكن تجنبها والحذر منها ليس بالامر العسير . أما ما يتعرض له من صنوف المهالك وقد نضُر عوده وفتُل عضله واشتد ساعده لهو اكبر خطراً من الامراض كلها . فهو كبير الخطر بهذا المقدار ليس لانهُ يضعف الجسم ويذهب بحيويتهِ ونضارتهِ الى البوار.. ولا لانهُ ينهك قواه المدركة فيصاب بالخبل والجنون ويدفعهُ احياناً الى الانتحار . ليس لهذا فقط خطره عظيم بل لان ضرره ينتقل منهُ الى الذرية وتظهر آثاره في الابناء والاحفاد . . ولو كان كالامراض المعروفة في اسبابها واعراضها ونتائجها لهان شأنهُ .. ولكنهُ يختلف عنها في ذلك كله — يختلف في الاسباب والاعراض والنتائج . ومن المعلوم ان الميكروبات على اختلاف انواعها هي التي تولد في الجسم تلك الامراض وتظهر عليهِ اعراضها الخاصة بها ...

اما اسباب مرض فتانا المراهق فعاطفة يحس بها وعشرة سيئة الاخلاق ينجذب اليها وغواية اثيمة ينغمس فيها . وان اعراضه دفينة في صدره وليس انها دفينة فقط بل انهُ يحاول جهده انكارها وطمس معالمها ما استطاع الى ذلك سبيلا .. ويظل مصرًّا على اخفائها وعدم الاعتراف بها الى ان تظهر عليهِ الدلائل القاطعة على وجودها ويستفحل امرها ويعز دواؤها كهزال جسمه وشحوب لونه وخور عزيمته وذهاب نضارته فضلاً عن القلق والاضطراب والحيرة التي تستولي عليهِ . ولولا اهمالنا نحن الآباء وعدم تقديرنا لهول ما يستهدف له البنون من الوان الغواية لما تفشى فيهم هذا الداء ولا كان يقضي على آمالهم ويحطم عودهم قبل الاوان.. فقليل من العناية يريحهم من هذه المتاعب الاليمة والمعاطب الجسيمة

صورة لحالات مريضة

وتثبيتاً لصحة ما اقول او تفسيراً لما تقدم اعرض امامكم صوراً لحالات كانت قد عرضت على احد الزملاء في السنة الماضية — وهي كما ترون لها مثيلات عديدة في كل بلد ومكان

فالحالة الاولى : غلام عمره اربع عشرة سنة وهو وحيد لابويه . ارسل لعيادة الطبيب ليفحصهُ ويبدي رأيه في اسباب مرضه وقد اظهر الكشف غلاماً شاحب اللون غائر العينين خائر القوى هزيل الجسم وبعد التحري والاستقصاء علم الطبيب انهُ بسبب قريب له يزيده في العمر ثلاث سنوات اصيب بالمرض الذي يشكو منهُ وقد اغراه ودفعهُ الى الهوة التي سقط هو فيها من قبل وكانت السبب في رسوبهِ في الامتحان النهائي وخروجه من المدرسة . وبعد مدة قصيرة اصيب هذا الغلام بالتهاب رئوي حاد لم يقوَ جسمه على مغالبة الداء فذهب مبكيًّا عليهِ من ابوين ودَّا ان يفديانه بحياتهما لو يقبل القدر الفداء

الحالة الثانية : غلام عمره ١٥ عاماً . توفيت امه وهو دون السابعة من العمر ؟ فاعتنت بتربيته سيدة غريبة الاطوار كان همها ان تظهر لوالده مقدرتها على التربية فانخدع الوالد ولم تنكشف له الحقيقة الاَّ بعد فوات الوقت وظهور المرض على ابنه فأرسله الى الطبيب لمعالجته واسترجاع صحته ولكن عند ما كشف عليه الطبيب رأى امامه شابًّا هزيل باهت اللون خامل الذهن بليد الفكر ، خليع القول ، قد رفت من المدرسة للمرة الثالثة ، فما كان من الطبيب الاَّ ان اشار على والده بأن يرسله الى اصلاحية الاحداث ولكن لا رجاء باصلاح ما افسدته المخدرات والعادة الرديئة

الحالة الثالثة : شاب عمره ست عشرة سنة يشكو صداعاً عنيفاً في الرأس وارتعاشاً مؤلماً في اليدين ، واحياناً في الساقين واظهر الكشف ضعفاً عامًّا وخفقاناً في القلب مريعاً وهزالاً مخيفاً وقد اعترف عند ما سأله الطبيب باسباب ما يشكو وبعد محادثة طويلة وعد بالابتعاد عن ذلك المعشر الردىء وابطال ما تعوده منه وأخذه عنهُ . وقد برَّ بوعده وشفي من اوصابه وآلامه . وتقدم في فصله بعد ان كان من المتأخرين الراسبين

الحالة الرابعة : شاب عمره ١٨ سنة . فما كاد يدخل الى حجرة الكشف ويجلس في الكرسي المعد له إلاَّ وابتدر الطبيب بقوله رجائي في الشفاء كبير على يديك . اشفيني من مرضي كما شفيت صديقي الذي ارشدني اليك وكان مصاباً بمثل مرضي . دعني انصرف من عندك وكلي آمال حسنة في الحياة التي كدت اصرم حبلها بيدي امس من شدة ما عانيته من هذا المرض الذي اصبح الموت عندي اهون منه . ولما قام الطبيب وكشف عليه — رأى بثوراً وقروحاً منتشرة على سطح الجلد — ورأى الغدد الاربع متضخمة ومؤلمة . واللوزتين والحنجرة في حالة التهاب والمفاصل ملتهبة وفيها ورم بسيط

وبعد معالجة ستة اسابيع شفي هذا المريض ووعد بأن لا يعود الى معاشرة من كانوا السبب في دائه وما عاناه من اوجاع . ولو انحصر خطر هذا الداء في المصاب وحده لهان امره ولكنه ينتقل منهُ الى من يتصل بهم من معارف. وهؤلاء ينقلونه الى سواهم وهكذا دواليك حتى تسري العدوى في دم الامة ويتفشى الداء في كل فردٍ من ابنائها وقد تولد الاجنة مصابة به متأثرة منه . واحياناً تولد مشوهة الخلق غير تامة النمو وقيل انه يموت نحو ٢٥ ./. منهم بعد دقائق من ولادتهم كأنهم جاؤا الى هذا العالم ليسجلوا على صفحاته ذنوب الآباء وعيوب هذه الحضارة . ونحو ٢٥ ./. يعيشون مثقلين بوطئة الداء أياماً أو أسابيع او أشهر . وقد يعيش بعضهم طويلاً ان تداوى ولكنه يظل هدفاً صالحاً لغزو الامراض والاصابة بها

تصوروا ؟ أيها السادة ؟ حال أمة هذا حالها قد تغلغل الداء في شرايينها وامتزج سمه بدمها . كم يكون مستقبلها مظلماً وارتقاؤها كاذباً وعمرانها مهدداً وكيانها متداعياً .. ؟؟

وعمران الامم يبلغ أقصى درجات الكمال اذا تحرر ابناؤها من الامراض . وكل عمرانٍ لا يقوم على هذا الاساس فهو عمران كاذب يدركه الفناء ولو بعد حين

هذا قليل من الحالات التي لها أمثال عديدة اكتفيت بها ضناً باوقاتكم ولا أزيد عليها سوى حكمة أقولها وأنا على ثقة من موافقتكم على صوابها وهي اذا اردنا وكلنا نريد — ان نقضي على حوادث الانتحار من صفوف الطلبة وغير الطلبة ونمحو كلمة (رسب وسقط وفشل) من نتائج الامتحانات — فما علينا الا ان نرشد الابناء ونزيد العناية في تثقيف عقولهم وتسديد خطواتهم في فجاج الارض ومناحي الحياة . ونتبسط معهم في شرح طبائع الميول الجنسية كما نعرفها على ضوء الحقائق العلمية والاختبار

طبائع الميول الجنسية واثرها

وهذه الميول والغرائز اصيلة في طبيعة الانسان لا يصح اغفال ما لها من سلطان عليه وتأثير في تكوين شخصيته فهي تسيره في مسالك الحياة على حسب ميولها ونزعاتها . وتقيده بسلاسل رغباتها فلا تترك له وقتاً للاختيار بين ما يريده منها وما لا يريد — وهي انما تريده دائماً حيواناً آلياً لتنفيذ مآربها وقضاء شهواتها وسيان عندها عاش بعد ذلك او هلك

فالانقياد لهذا السلطان المطلق يجب ان يقيد بما يتفق والحياة الانسانية من مقاصد نبيلة بعيدة كل البعد عن مطاليب الحياة البهيمية . وهذا لا يكون الا بارشاد الاحداث الى نظم ومبادىء عامة تظهر لهم شأن تلك المقاصد وضرورة الاخذ بها والعمل بحسب أصولها وأن يوضح لهم أسباب تلك الميول والعواطف التي يشعرون بها ويندفعون وراءها . وأن يقص عليهم باسهاب وظائف الاعضاء الجنسية من غير مداورة وان نظهر لهم الاضرار التي تنشأ عن العبث بها والاساءة اليها

باب الزراعة والاقتصاد

صناعة الالبان في مصر

— ٢ —

الميزات والحوائل

تجربة خطيرة في توليد البقر الحلوب

للاستاذ مكفيترز بكلية اسيوط

اذا نذكر صناعة الالبان كمورد رئيسي للدخل في مصر عرضت لنا استفهامات تختص بمشكلة الطعام ، وبتوافر الايدي العاملة وكفاءتها ، وبالطقس وحدوده ، وبوسائل البيع في الاسواق وتسهيلها ، وبصنف الماشية التي في مصر الآن . بين هذه المشاكل نرى ان مشكلة اطعام الماشية اهمها وفي الواقع يتوقف نجاح كل المشروع في الغالب على طريقة حل هذه المشكلة.

ذلك ان الارض في مصر مرتفعة الثمن والافواه البشرية التي يجب اشباعها كثيرة وانتاج طعام للناس مباشرة من المحصولات التي تزرع اسهل منالاً من انتاجه باطعام المحصولات للبهائم اولاً ، فداناً بفدان . اذ تحويل النبات الى منتجات حيوانية مناسبة لا يتم الاَّ بخسارة كبيرة . الاَّ ان ما يعوض عن هذه الخسارة ، بعض الشيء ، ان الطعام الذي تستهلكه الحيوانات يتكوَّن من نفايات لا نفع منها كطعام للبشر ، ولولا اطعامها للحيوانات لذهب معظمها سدًى . فمثلاً تستطيع الماشية ان تنتفع من التبن ومن زعازع الذرة الشامية وفي الوقت الحاضر ثمة فضلة محصول مصري زراعي — هي بقايا بذرة القطن بعد عصر الزيت منها فتشرى وتكبس وتشحن الى مسافات بعيدة حتى يربح من استعمالها صانعو الالبان في البلاد الاخرى

ولكن حتى بعد عمل حساب الانتفاع من كل هذه الفضلات لابدَّ من مساحات واسعة ، تنبت مواد صالحة لاطعام الماشية ، كاساس لصناعة الالبان اذا شئنا التوسع فيها . واذن فالمشكلة ما زالت امامنا . فهل من محصول نباتي في مصر صالح ومنتج يأتي بقيمة مالية في صنع الالبان اكثر منهُ مستهلكاً بطريقة اخرى ؟ نعم يوجد هذا المحصول ألا وهو البرسيم المصري والبرسيم الحجازي (الالفلفا) وان مصر وافرة الحظ لان هذين المحصولين البديعين يوجدان في ارضها . اذ انهُ يمكن الانتفاع بجنيهما اثنتي عشرة مرة او اكثر سنويًّا وهذا

يصدق سواء اكانت الارض في اقاليم الري الصيفي او اقاليم الري بالحياض حيث تروى بين الفترتين من الآبار . فحيثما تزرع ارض الحياض على اثر الفيضان بمزيج من بزور البرسيم والحجازي فان الاول يجود في اثناء الشهور الباردة ثم يذوي بعدها . ولما كان الحجازي بطيئاً في ارسال الجذور الى اسفل فانهُ يستمر مخضرّاً طول فصل الحرّ

ولو ان صانع الالبان الاميركي يستطيع ان يضمن ولو ثلاث جنيات فقط في السنة من علف كهذا لعدَّ نفسه موفقاً حقّـا . وما اكثر العراقيل التي تعترض صانع الالبان الدانيماركي او السويسري اذا قابلناه باللبّـان المصري عند ما يحاول الاولان تخفيف جنيتي الحشيش الوطني لعملهما دريساً يطعمانه الماشية شتاء. وتظهر غزارة نفع البرسيم المصري والالفلفا من ان فداناً واحداً يكفي غذاءً طول السنة لثلاث بقرات حلوبة. واذا تحسنت انواع البقر في مصر شيئاً ما ، يستخرج من الفدان الواحد نحو ٦٠٠ رطل زبدة سنويـّا. اما فيما يتعلق بثمن الزبدة فيكفي ان تعرف انهُ حتى في سني الضيق الاقتصادي هذه يباع الرطل من الزبدة الواردة من الخارج بمبلغ تسعة قروش للرطل بالقطاعي . لذلك يستطيع الفلاح المصري ان يصرف مبلغاً غير يسير في الصناعة والشحن والبيع ومع ذلك يربح ربحاً لا بأس بهِ ، مع العلم ان هذا التقدير لا يحسب شيئاً للفضلات التي تتبقى بعد الزبدة

هذا وان غزارة محصول الربيع ليست سوى جانب من الميزة التي تمتاز بها مصر. فان مصر موفقة غاية التوفيق في ان قيمة هذا العلف الغذائية من اعلى صنف فانه من جهة الاتزان بين البروتين والكربوهدرات او بين محتوياته المعدنية والفيتمينية ، نجد ان الالفلفا هو تقريباً اكمل غذاء لبني . قارن ذلك بما يضطر صانع الالبان في البلاد الاخرى الى عمله من شراء مواد غنية بالبروتين كبقايا بذرة القطن ، ليزيد القيمة الغذائية في علف بهائمه . ولا يحتاج الحال الى القليل من الحنطة لتغذية البهائم في حالة توافر البرسيم والالفلفا ، اخضر كان او مجففاً ، الاّ في حالة البقر الخاص الغزير الادرار. اما اذا استعمل التبن او زعازع الشامي كتكملة فان مقداراً اكبر من الحنطة يلزم استعماله

ففي حلّ هذه المعضلة الغذائية تمتاز مصر امتيازاً كبيراً . ثم انها من وجهة كثرة الايدي العاملة لا تقلّ امتيازاً وان كانت هذه الايدي تعوزها الكفاءة العلمية الى حدٍّ ما لان صناعة الالبان لم تتعدَّ كونها عملاً منزليـّا فرديـّا حتى الآن . لذلك وحتى تتحول مثل هذه الحالة الى صناعة يلزم اولاً مقدار كبير من التهذيب والتدريب في طرق انتاج اللبن وصناعته وسنزيد هذا الموضوع بياناً ان شاء الله

اما عن الضرورات الناشئة عن الطقس فيكاد الامر لا يعرقل الانتاج بتاتاً . ويرجح ان المربي المصري للبقر الحلوب لا يستطيع تعدي اي رقم قياسي عالمي لغزارة الانتاج. فانهُ لا يستطيع ،

في اشهر الحر ، ان يغري بقراته الممتازة بأن تلتهم مقادير كثيرة من الغذاء الضروري لانتاج مثل هذه الارقام القياسية بدون الحاق الاذى بها . على ان نجاح صناعة الالبان لا يتوقف على وصول بقرات قليلة الى مثل هذه القياسات العالية بل بالاحرى على الغزارة المتوسطة في انتاج القطيع كله. وليس في الطقس ما يعطل ذلك بل على الضد من ذلك ان طقس معظم السنة يعتبر مما يمكن تحقيق الغرض المتقدم

***

نعم كان طقس البلاد المصرية يعتبر ، سابقاً ، حائلاً كبيراً يحول دون النجاح في صناعة الالبان . فانه حتى عهد قريب كان يقرب من المستحيل ممارسة مثل هذه الصناعة ابان كثير من اشهر الحر . ولكن التقدم الباهر في فن التبريد الميكانيكي والتخزين المثلّج بلغ حداً يجعل ممارسة ذلك ممكناً بدون اي صعوبة حتى في أشد الاشهر حرارة

وبالطبع ليست هناك ، للآن ، اية هيئات منظمة او تسهيلات للاتجار بمنتجات الالبان . ولا غرو فانهُ لم يكن هناك ما يتاجر به لذلك فان تسهيلات الاخذ والعطاء ستتدرج مع تقدم هذه الصناعة. وينبغي، من اول الامر وعلى طول الزمن بعد ذلك، ان تعنى الحكومة والقائمون بالعمل ، بتنظيم المعاملات بحيث ينشئون صيتاً حسناً لكل المنتجات التي تصدر للاسواق الاجنبية ويداومون على تعهد ذلك بيقظة

اما عن معرقلات هذه الصناعة في مصر فاحدها قلة ما تدره البقرة المصرية من اللبن . والواقع اننا لا نجد ماشية في مصر يجوز ان يقال عنها انها حلوبة . فانه من سالف الازمان كانت تستخدم الماشية في مصر لغرض مثلث فكان اول ما يطلب منها المقدرة على العمل ثم كثرة اللحم وثالثاً واخيراً اللبن . ولذلك لم يعتنَ بانماء المقدرة على انتاج اللبن خاصةً بل ان جل الاهتمام كان متجهاً الى انتقاء الماشية التي تفوق غيرها في المقدرة على العمل . ولا يخفى ان العمل والادرار لا يتفقان قط . فان كلاً منهما يتطلب حيوانا مختلفاً كثيراً عن الآخر . ولذلك فلا ينتظر بطبيعة الحال الا انخفاض في انتاج اللبن اذا اخترت البقر قصد استعمالها في الحرث . ولما كان العمل المطلوب من الجواميس اقل من العمل المطلوب من البقر نلاحظ ان مقدرة الجاموسة المصرية على الادرار تزيد قليلاً عن مقدرة البقر الا انها اقل مما يجب اذا قوبلت بالابقار الحلوبة . على ان غزارة الزبدة في لبن الجاموس تخفف الفرق شيئاً ما

فاذا قابلنا مصر باقاليم انتاج اللبن الاخرى وجدنا أمام مصر صعوبة كبيرة تعرقل مسيرها في هذا الطريق. فهل يمكن التغلب على هذه الصعوبة ؟ ليس فقط في الامكان الانتصار عليها بل يمكن ذلك بسرعة معقولة. لانه ان كان من المحتم انتظار النتائج البطيئة التي يسفر منها الانتخاب المستمر عن طريق توليد البقرة الحلوبة من البقرة المصرية الحاضرة المثلثة الغرض لا يكون من المجدي التحدث

عن تجارة الألبان ، لها أي شأن ، في مصر. نعم يمكن توليد البقر الصالح لهذا الغرض ولكن ذلك يستغرق على الاقل ، نصف قرن. فهل من طريق أخصر من هذا الطريق لتحسين ماشية اللبن في مصر ؟ أتستطيع مصر ان تستفيد حالاً من خلاصة تقدم الماشية الاجنبية عن طريق توريد بهائم مشهود لها بهذا التقدم واستعمالها كأساس لتوليد قطيعها الخاص ؟ أيمكن ان تتعود مثل هذه الحيوانات الاصيلة اقليم مصر وتثمر وتجيد في الاحوال المصرية ؟ وأهم من ذلك ، هل يحتفظ نسلها ، المولود والمربّى بمصر ، بمقياسه العالي ؟ وأهم ، حتى من ذلك ، هل تبرهن الماشية المهجّنة ، أي الناتجة من تلقيح افضل البقر المصري من ثيران أصيلة ، انها ذات قيمة خاصة لاغراض صناعة الألبان ؟

لا يمكن الاجابة القاطعة عن هذه الاسئلة الاّ بالتجارب العملية الدقيقة . وهذا نفس ما تحاول كلية أسيوط اجراءهُ. وللكاتب المام به فانه بفعل الاعتقاد ان الحاجة ماسة في مصر الى تحسين الماشية اللبونة، ورغبة منهُ في المساهمة في حل المشاكل العملية للحياة اليومية استوردت لجنة ادارة كلية أسيوط في سبتمبر سنة ١٩٢٨ أربع بقرات أصيلة من صنف بقر جرزي ثلاثاً منها عمر كل منها سنتان والرابع عجل عمره ستة أشهر وكلها تواصل التقدم والنجاح . فقد زاد انتاج لبن البقرات الثلاث من سنة لأخرى باقترابها من سن البلوغ الكامل وبلغ معدل ماتنتجه كلٌّ سنويًّا ٧٠٠٠ رطل ومقارنة هذا بما انتجته أحسن بقرة مصرية في قطيع الكلية نجد ان هذه انتجت فقط ٣٥٥٦ رطل

***

ثم ان الجرزية الاصيلة تتقدم باستمرار ويتوقّع انها لن تقل ادراراً عن امها ، وعندنا عجلة قوية نشيطة تمثل الجيل الثاني للجرزي الاصيل وقد ولدت وتربت بمصر وابوها وأمها ولدا وتربيا بمصر أيضاً ولم يظهر عليها وعلى الحيوانات الباقية اي انحطاط

وليس عندنا الآن سوى عجلة واحدة مولّدة (أمها بلدية وأبوها جرزي) وصلت الى سن الادرار . ولحسن الحظ في استطاعتنا ان نعمل مقابلة طريفة فان عندنا أيضاً أختاً لهذه العجلة من أمها البلدية ومن أب بلدي. وفي أسبوع واحد ولدت الاختان عجلين ولاحظنا ان مقدار اللبن الذي تدرّهُ العجلة التي أبوها جرزي يفوق المقدار الذي تدرّهُ أختها البلدية مرة ونصف بانتظام مع أنها أصغر من اختها باربعة عشرة شهراً ومع كون هذه (اي البلدية) في ولادتها الثانية في حين ان اختها لم تلد الاّ مرة واحدة ، فمتى بلغت المولّدة سن البلدية ينتظر ان تدرّ لبناً قدر لبن اختها مرتين. وكل لبّان خبير يعلم ان مضاعفة انتاج اي بقرة يزيد في قيمتها كحيوان لبون اكثر بكثير من الضعف . على ان مما نسلّم بهِ ان مثالاً واحداً لا يكفي ان يكون أساساً لقاعدة عامة ولكن النتيجة التي بلغناها في غاية الخطورة على كل حال

ثورة الأدب

بقلم الدكتور هيكل — طبع بمطبعة السياسة بمصر — صفحاته ٢٥٥ قطع وسط — ثمنه ١٠ قروش

« ليقتحم أدبنا إذن ماضينا . وليقتحم هذا الماضي بادوات البحث الأدبي وبأساليب الكتابة الحاضرة . وليقتحم هذه الميادين حرًّا طليقاً غير هياب ولامتردد . وليقتحمها بروح الثورة التي اقتحم بها الأدب الغربيُّ تراثَ اليونان وروما وتراث الكنيسة من بعدهما، وبروح الثورة التي اقتحم بها الأدب العربي تراث فارس ومصر واليونان ، وليقلب ، وليقلب في هذا الماضي ماشاء له التقليب والتنقيب بروح النقد والتمحيص والحرص على الحق لوجه الحق وحده الحق في أسمى صوره التي تلتمس الانسانية على الأجيال فتكاد تلمسه أحياناً حين يكشف عنه أنبياء الانسانية وشعراؤها وكتابها ، ثم لا يلبث أن يفلت من يدها لأول ما تغريها المادة وتلهيها عن جادة هذا الحق الصحيح . والحق الصحيح، الحق الذي تقوم الحضارات على أساسه والذي يدعمه الادب على أسنة أقلام كبار الموهوبين من الكتّاب ، هو الحق في صلة الانسان بالوجود كله ، بهذه الافلاك التي نرى وبهذه السماوات التي تغمرها وبالروح الفياض بالضياء والذي يحيط بذلك كله ويبعث اليه الحياة والنور . هذا الروح الذي لانور ولا حياة ولا وجود من دونه . وصلة الانسان بالوجود وبهذا الروح الذي ينتظم الوجود جميعاً ، هي الحقيقة العليا التي يجب أن تكون مطمح كل باحث وكل كاتب ، وأن تكون رسالة كل أدب يطمع في أن تقوم على أساسه حضارة سليمة تكفل للانسانية المجد والسعادة

« الأدب الذي يسمو بالنفس الى هذه المعاني العليا ، والذي يرتفع بها لتتصل بالوجود كله، يجعلها تلمس حقيقة الوجود كاملة، حقيقة هذا الروح العظيم الذي تعنو له الجباه والذي تستمد منه كل حقيقة وجودها . هذا الادب هو الذي يقيم الحضارات السليمة الصحيحة . وأحياء هذا الأدب يجب أن نلتمسه في ماضينا . في هذا الامس العظيم الذي يفاخر به الشرق القديم تاريخ الانسانية جميعاً . والذي يدعونا لنقيم عليه حضارة الشرق الجديد »

بهذه العبارة الحافلة بالحكمة والثورة يختتم الدكتور هيكل كتاب « ثورة الادب » ، وهي خير ختام لفصول اتسعت لأحكم واصدق ما يمكن ان يقال في بعث الادب العربي ، بل هي في مجملها يصح ان تكون دستور هذا البعث . فهي تنطوي على تحديدٍ لروح الادب ومعناه ، وبيان لاساليبه واغراضه العليا

وقد اختار له « ثورة الادب » عنواناً لان فصوله الاولى تتحدث عن « الثورات المتصلة التي شهدها نصف القرن الاخير في شؤون الكتابة والادب وتصف المجهود المتصل الذي قام به اصحاب المذاهب المختلفة في اقامة الادب العربي الجديد . والواقع ان هذا الادب العربي يضطرب بعوامل الثورة فيه منذ الثورة العرابية ومنذما بدأ هذا الشعور القومي يحرك النفوس ويدعوها الى التوجه نحو النهوض بمجموع الامة الى مثل اعلى »

فالفصول الاولى تحدّد العلاقة بين « الطغاة وحرية القلم » تحديداً يلخّص في قوله « في عصور الظلمة التي تمرُّ بالامم آناً بعد آنٍ يعمد الباطشون البغاة الى تقييد حرية القول والكتابة وفي سبيل هذا التقييد يصلون ارباب الاقلام حرباً لا رحمة ولا هوادة فيها » وهو يصف قوة القلم بقوله : « هذه القوة التي تنبعث من القلم على صحف الورق تنقلها الى الانسان هي اقوى وابقى ما على الحياة من سلطان . هي قوة الايمان القائم بالنفس القوية متى امتلأت ايماناً فقالت للجبل انتقل من مكانك ينتقل » . ثم هو يثبت في الفصل الثاني حاجة الاديب العربي الى الاطلاع على ما يظهر في عالم العلم والفلسفة والادب من جديد وعنده ُان هذه الحاجة تزداد بتيسير اسباب المواصلات : « فلئن امكن ان يتوهم الانسان مجرّد توهم امكان استقلال حيٍّ من الاحياء ، سواء اكان هذا الحيُّ امة ام فرداً ، في شؤونهِ المادية او العقلية او النفسية ، فان مجرّد هذا التوهم مستحيل لكثرة الاتصال بين امم العالم .... وسيرى الادباء يومئذٍ ان الشاعر او الكاتب الذي يريد ان يخطو بالادب العربي الى مراتب الكمال الفني مضطرٌّ لا بدَّ الى الاطلاع على اكثر مما اطلع عليهِ ادباء جيلنا الحاضر ، اذا هو كان جديراً حقًّا باسم الكاتب او الشاعر حريصاً حقًّا على اداءِ رسالة الادب السامية »

وفي الكتاب فصلان نفيسان احدهما عنوانه « فن القصص » والثاني « سبب فتور القصص » ففي اولهما يبين ما للقصة والاقصوصة من المكانة في ادب الغرب ، وفي الثاني يفصل الاسباب التي يسند اليها فتور القصص في الادب العربي . وقد صدق كل الصدق في تفنيد الدعوى التي يدعيها بعض المستشرقين بان فتور القصص سببهُ ضعف الخيال الشرقي . ومما نستغرب لهُ اننا لم نرَ في ما اطلعنا عليهِ من مقالات المستر جب في « القصص المصري » وما كتبهُ الدكتور هيكل في هذين الفصلين اي ذكر لروايتين مصريتين وضعهما الدكتور صروف ، احداهما « فتاة مصر » وضعت سنة ١٩٠٥ والثانية « فتاة الفيوم » وضعت سنة ١٩٠٧ ويقيننا انهُ لا بدَّ من العناية بهما في كل دراسة وافية للقصص المصري الحديث

وقد وضع الدكتور هيكل فصلين في النثر والشعر . ونحن نرى رأيهُ ان النثر العربي قد خطا خطوات واسعة فتعدّدت اساليب التعبير ، وتحررت من السجع الممقوت ، وتنوعت المطالب والاغراض ، وطوِّعت الالفاظ لتؤدي ظلال المعاني النفسية والاجتماعية والسياسية

والادبية والعلمية في فصول تكتب كلَّ يوم. ولسنا نقول ولا هو يقول اننا بلغنا الغاية. وانما نقول ، اننا قد قطعنا شوطاً بعيداً ، مذ كانت الرسالة من صديق الى صديق ، منمقة الالفاظ رنانة الاسجاع ، المثل الاعلى للكتابة البليغة

ولكننا نرى انهُ جار قليلاً على الشعراء — شيوخهم وشبانهم . اننا لا ننكر ان جانباً كبيراً من الشعر الذي ينشر الآن في الصحف اليومية،هو في الغالب من الضرب الذي يدعوه « شعر مناسبات» وان كانت بعض المناسبات ، اذا استفزَّ الشعور حقاً ملهماً صادقاً للشعر. ولكن جمال الحياة وأسرارها وألغاز الوجود والموت تستهوي شعراءنا الآن كما كانت تستهوي الشعراء الانكليز في بدء ذلك العصر الذهبي الذي دعاه بعض النقَّاد «بعصر التعجب». ويغلب عندنا ان وقت الدكتور هيكل لم يتسع له في العهد الاخير لمتابعة نهضة الشعر العربي . او انه كتب هذين الفصلين لما كان حافظ وشوقي يملآن النفس بآثار شاعريتهما الفيَّاضة . فلم تتسع لهُ دراسة الاتجاهات والاساليب المخالفة لما درجا عليه. فليس في ديوان الجداول قصيدة رثاء او قصيدة مديح واحدة . وقصيدة الطلاسم في آخره تشفُّ عن تلك الحيرة الفكرية التي تمضُّ عقول الفلاسفة والمفكرين ، في جلباب شعري خلاب . وقصيدة « عبقر» لشفيق المعلوف تتناول الاسطورة العربية وتتخذها موضوعاً لقصيدة طويلة منوعة البحور والقوافي فيها هندسة شعرية وفيها شعور قويٌّ وفيها وجهة نظر خاصة . ومن قبل ذلك قصائد الجنين الشهيد ونيرون لمطران وترجمة شيطان للعقاد . وفي قصائد طائفة كبيرة من الشعراء المصريين المعاصرين ادلة دامغة على ان الشعر العربي قد القى عنهُ ثوب «المعارضة» و«المناسبة» و«البيت الفرد» او « الابيات القلائل» منثورة في لجج القصائد انتثار الدر في قاع البحر . وانهُ متجهٌ الى «ابراز فكرة او صورة او احساس او عاطفة يفيض بها القلب في صيغة متسقة من اللفظ تخاطب النفس وتصل الى اعماقها »

وفي الكتاب بحث مستفيض في الادب القومي وخمس قصص مصرية ثلاث فرعونية واثنتان عصريتان ، لم يتسع المجال لقراءتها ولعلنا نفرد لها فصلاً في جزء مقبل

التربية عند العرب

تأليف الدكتور خليل طوطح — مدير مدرسة الفرندز للصبيان برام الله فلسطين —

طبع بالمطبعة التجارية في القدس صفحاته ١٧٥ وفيه صور

تخرّج مؤلف هذا الكتاب من كلية المعلمين بجامعة كولومبيا برتبة دكتور في الفلسفة في التربية والتعليم وجعل موضوع الرسالة او الاطروحة التي قدمها حينئذٍ The Contribrution of Arabs to Education اي فضل العرب على التعليم او أثرهم فيهِ . واهدى الينا حينئذٍ

نسخة من الرسالة باللغة الانكليزية فاطلع عليها الدكتور صروف رحمهُ الله فأعجب بها إعجاباً عظيماً وكتب فيها الكلمة الآتية :—

« لم تقع عيننا على كتاب جمع من مفاخر العرب بل مفاخر المسلمين في العلم والتعليم قدر ما جمع هذا الكتاب . وفيهِ اكثر من مائة صفحة كبيرة حافلة بالاقتباسات من أمهات الكتب العربية والفرنسوية والانكليزية والالمانية لكبار المؤرخين والباحثين وهذه الاقتباسات ناطقة كلها بما كان لملوك العرب من بني امية وبني العباس ولسائر ملوك الطوائف من الفضل على العلم والعلماء ومن البذل في نشر لواء العلم . ومما قالهُ في هذا الصدد انهُ لما كان شارلمان يتعلم حروف الهجاء في بلادهِ مع اولاد اشرافهِ كان الخليفة المأمون يدرس الفلسفة ويناظر الفلاسفة . ولما لم يكن في اوربا مدارس لاكثر أولاد الاوربيين كان اولاد العرب المعاصرون يتمتعون بكل فوائد التعليم

«وتكلم على مدارس العرب الابتدائية والعالية والجامعة ومكاتبهم وعلمائهم . ولما ذكر الجامعة العلمية المسماة بيت الحكمة التي انشأها الخليفة المأمون قال انهُ كان لها مكتبة واسعة أمينها رياضي وفلكي مشهور وهو الخوارزمي الذي لا يزال كتابهُ في الجبر والمقابلة محفوظاً الى الآن

«وقال ان المدارس كانت قسمين قسماً للعلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وقسماً للعلوم الدنيوية من حساب وجغرافيا وفلك . وذكر من هذه ٢٢٨ مدرسة قال انهُ عثر على اسمائها واوصافها في مطالعاتهِ وهي ٧٤ في القاهرة و ٧٣ في دمشق و ٤١ في القدس و ٤٠ في بغداد الخ . وان الحكام الذين كانوا ينشئون هذه المدارس كانوا يقفون عليها اوقافاً يقوم ريعها بالنفقات المطلوبة مثال ذلك ان صلاح الدين الأيوبي وقف على المدرسة السيوفية في القاهرة اثنين وثلاثين دكاناً وعلى المدرسة الصلاحية في القدس سوقاً كاملة . وقد قال ابن جبير انهُ رأى في بغداد ثلاثين مدرسة لها اوقاف يكفي ريعها تلامذتها واساتذتها . واقام الادلة على أن بيت الحكمة في بغداد كان اول مدرسة جامعة في البلاد العربية وهو اقدم من كل مدرسة جامعة في اوربا

«وكل ما في هذا الكتاب ناطق بمفاخر الاسلام في تعضيد العلوم والفنون وحبذا لو نقلهُ مؤلفهُ الى العربية فيستفيد منهُ ابناؤها كما يستفيد ابناء الانكليز » آه

ثم ترجمنا فصلاً من فصول الكتاب بعنوان «تعليم المرأة عند العرب» نشرناه في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٢٨ ص ١٦٤ ونحن يسرُّنا ان الدكتور طوطح قد اخرج رسالته في كتاب عربيّ غرضهُ كما قال : — «ليس التغني فقط بمحامد السلف بل الاتعاظ في الاحوال الحاضرة والتيقظ للمستقبل »

علم النفس النظري

لواضعه مظهر سعيد استاذ علم النفس في معهد التربية وكلية أصول الدين ، احدى كليات الجامعة الازهرية . وهو مما جمعه أحد الطلاب من ملخص محاضرات يلقيها المؤلف في ذلك المعهد

تخرج الدكتور مظهر سعيد من القسم العلمي بمدرسة المعلمين العالية وظهر تفوقهُ في الرياضة والكيمياء والطبيعة ، فاندمج في سلك التعليم في مصر الى ان ارسلته وزارة المعارف العمومية الى انكلترا للتخصص في علم النفس النظري والطرق الخاصة في التربية . فعاد يحمل درجة B. SC في الرياضة ودرجة ماجستير .M. SC في علم النفس

وتمهيداً للكلام في الكتاب يلزم ان اذكر كلمة في ذلك المعهد

ابواب معهد التربية مفتوحة لفئتين من الطلاّب . الفئة الاولى افرادها من الحاصلين على شهادة البكالوريا . فيدرسون في المعهد المذكور سنة اعدادية في مواد الثقافة العامة ، لتمكينهم من الآداب ان كانوا من طلاب القسم الادبي ، او من العلوم الرياضية ان كانوا من طلاب القسم العلمي . والفئة الثانية هي التي تخرج طلابها من الجامعة المصرية فحصلوا على درجة علمية فيها . وهؤلاء يقتصرون على درس سنتين مع طلاب الفئة الاولى المذكورة آنفاً . فيدرس الفريقان مدة سنتين علم التربية ، وعلم النفس بفروعهما النظرية والتجريبية ليتمكنوا من القيام بمهمة اساتذة في تربية النشء على اسس علمية صحيحة . في هذا المعهد القى الاستاذ مظهر محاضرات في علم النفس قسمها الى ثلاثة اقسام . الادراك والوجدان والنزوع . وهذا الجزء الاول تتناول ابحاثه القسم الاول — الادراك والتفكير —

ويظهر من اسلوب مواد الكتاب انها تجمع بين الناحيتين النظرية والعملية . خلافاً للطريقة التي كانت متبعة في كتابة مباحث التربية وعلم النفس دون اشارة الى طريقة تطبيقها عمليًّا

ومما يمتاز بهِ شرحه طريقة الاستفادة من دراسة علم النفس الجليل بأمثلة قريبة من مدارك الطلاب ، وبرسوم رسمها كلها — عدا اثنين منها — ريشة المؤلف ، ولا يوجد لها نظير في كتاب بهذا الموضوع في اللغة العربية ولا في اللغة الافرنجية على ما نعلم

واهم ما اختص به تبيان العمليات العقلية في اثناء الادراك والتفكير . فيجد القارىء فيه تحليلاً مشفوعاً بالامثلة والاشكال البيانية

وقد تعرض المؤلف لشرح طرائق تدريس بعض العلوم الاساسية وفقاً للقواعد السيكولوجية في الادراك ، مما يدلُّ على قيامه بتجارب واختبارات عملية وافية تثبت اصابة المرمى ، وسهولة التدريس في الفروع التي اتى على بيانها ، بحيث تكون متمشية مع طبيعة النشء ، وانتقاله من طور الى طور ، كاشفاً عن خطإ الطرائق المتبعة في تعليم النشء المرهقة للعقل والجسم لكونها فوق مستواه العقلي ومخالفة مجرى الطبيعة الحكيمة ، التي يجب ان تكون رائدنا في نظم التعليم وفي صورة تطبيقها . ولم يألُ المؤلف جهداً في تبيان المنهج الطبيعي الذي درج

عليه الانسان في تفكيره . وفي ذلك من الفائدة العلمية ما لا يخفى . واوجّه نظر القارئ الى صفحة ٧٧ والصفحات التي قبلها ، حيث ابان المؤلف بالايجاز تطور اللغة عند الانسان من تحديد معاني الكلمات اولاً . الى نقل هذه المعاني برسم الحوادث بصورة محسوسة ثانياً . فالرمز اليها برموز تواطأ عليها افراد الانسان ثالثاً . الى الابجدية في النهاية القصوى . وهذا المسلك الطبيعي هو على الضد من الطرق الخاطئة التي اتبعها المربون وفندها المؤلف ، اعني انهم يبدأون حيث ينتهي الطبع ، وينتهون حيث ابتدأ . فيعلمون الابجدية اولاً . . . . الى ان ينتهوا الى تحديد معاني الكلمات . فيرى الاستاذ ان طرائق التعليم يجب ان تجاري هذا التطور الطبيعي ، اي تطور اللغة في العالم ، وعند الفرد الانساني ، على ما اسلفنا . وهذا الكتاب يسدّ فراغاً كبيراً في اللغة العربية . اذ يعطينا ترجمة فنية — لاقاموسية — صحيحة للكلمات السيكولوجية والمصطلحات الفلسفية . وقد علمت انهُ ساعٍ بمعاونة قرينته الفاضلة في وضع قاموس وافٍ للمصطلحات السيكولوجية والفلسفية ، بهِ يتمكن المترجمون من نقل الفلسفة بفروعها عن لغات اوربا بصورة صحيحة

ومن اظهر ما يمتاز بهِ المؤلف في هذا الكتاب وفي غيره من مؤلفاته ومحاضراته انهُ لا يعتمد على الترجمة من الكتب الاجنبية الاّ عند تقريره نظرية مؤلف معينة. وهو لا ينتحل شيئاً من مباحث غيره لذاته. ولذا فهو يعنى بوضع المراجع بدقة كما هو واضح لمن يتصفح هذا الكتاب. وقد ختم الكتاب من ص ١٩٨ فما بعدها بخلاصة في الادراك والتفكير واثر مدرسة جشتالت (علم النفس الانموذجي) فيها ، ولا ريب في ان عروج علماء السيكولوجيا والتربية الى هذا المنهج سيقلب طرائق التربية والتعليم ، والآراء السيكولوجية رأساً على عقب ، ويشرع يشيد الحقائق من جديد صرحاً حصيناً يقي العقل شعب الضلال في سيره في سبيل البحث عن اخفى ما طرقه الانسان من الابحاث من عهد ارسطوطاليس الى هذا اليوم

مصر حنا خباز

هوراس

اهدى الينا الدكتور احمد ضيف مدرس الادب العربي بدار العلوم ترجمة هوراس تأليف الشاعر الفرنسي الكبير بيير كورني Corneille وهي احدى الروايات التي اختارتها وزارة المعارف العمومية وعهدت في ترجمتها الى ادباءٍ مشهود لهم بالعلم والفضل امثال خليل مطران ومحمد مسعود والدكتور ضيف واحمد الصاوي محمد . وان عجبنا لشيءٍ فعجبنا ان ترجمة هذه الروايات قد تمت وطبع بعضها او كلها ولم تتكرّم وزارة المعارف علينا بنسخ منها لمراجعتها ولا عرضتها على الجمهور في المكاتب ليطالعها وما كنّا نظن انها ترجمت وانفق على ترجمتها وطبعها لخزنها

حضارة مصر الحديثة

عني بنشره قسم الخدمة العامة في جامعة القاهرة الاميركية والتزمت طبعه المطبعة العصرية بمصر

يقول فردريك ليبلاي المهندس الفرنسي والاجتماعي الكبير في نظريته المشهورة ان كل شعب من الشعوب هو نتيجة التفاعل بين ثلاثة عوامل — المكان — العمل — السكان. وهذا ما دعا قسم الخدمة العامة الى الاهتمام بوضع كتاب (حضارة مصر الحديثة) الذي يدور حول نقطة واحدة ويبحثها من وجوه مختلفة. فيشمل هذا الكتاب اثني عشر موضوعاً روعي في ترتيبها قاعدة ليبلاي ومع انهُ لا يمكن تطبيق هذه القاعدة تطبيقاً حرفيًّا الاَّ أن جميع موضوعاته ترمي الى بيان تأثير هذه العوامل الثلاثة مجتمعة. فان حالة كل جماعة من الجماعات التي يتألف منها الشعب تتوقف الى حد كبير على المكان الذي يعيشون فيهِ أي طبيعة بلادهم وجوها ومواردها. أما طرق استغلال هذه الموارد أي العمل فانها تحدد نوع الاعمال التي تقوم بها الجماعة لكسب الرزق وهذه تؤثر في علاقة الجماعة بغيرها من الجماعات لاسيما اذا كانت التجارة أحد هذه الاعمال. غير ان العامل الاخير هو أهمها لانهُ الجماعة نفسها. أي السكان. فان سبيل ائتلاف الجماعة وطرق استغلال مواردهم ونوع الحضارة التي يعملون على ترقيتها انما تتوقف على مبلغ إدراكهم ونبوغهم

دخلت الحياة المصرية في عصر جديد منذ نشوب الحرب العالمية مما أدى الى اهتمام المصريين المتعلمين بأثر هذه العوامل الثلاثة التي يتوقف عليها تقدم البلاد في المستقبل. فكانت الشؤون الزراعية من زمن بعيد أهم ما يشغل بال المصريين. غير ان الشؤون الصناعية أخذت تنال قسطاً وافراً من العناية في عصرنا الحاضر وكذلك الاحوال التجارية التي يتوقف عليها رواج الزراعة والصناعة. ولم يكن اهتمام المصريين مقصوراً على الامور المادية فان الحالة الاجتماعية والفكرية عني بأمرها سواء ما كان منها متصلاً بحاجات الاهالي الاساسية كالمعيشة والصحة والتعليم، او خاصًّا بالتربية والتهذيب كاستعمالهم لاوقات الفراغ، او آدابهم وفنونهم ودينهم. هذه الموارد المادية والعقلية تحتم علينا ان نبحث في الطرق التي تضمن نموها وتقدمها، وهذا البحث يثير امامنا عدة مسائل كالاميال العامة وتقدم انظمة الحكومة وعلاقتها بالامم الاخرى

فمن الموضوعات الاثني عشر تتناول الثلاثة الاولى موارد البلاد المادية من زراعة (فؤاد بك اباظه) ومعادن (الدكتور هيوم مستشار قسم المساحة الجولوجية) وتجارة وصناعة (الدكتور عبد الحكيم الرفاعي مدرس الاقتصاد بكلية الحقوق). ثم يلي ذلك ستة موضوعات تبحث في حالة مصر الاجتماعية وكيفية تقدمها كعمل الفلاح والصانع (سلامه موسى)، وانتشار الآراء في انحاء البلاد وتقدم المواصلات (اسماعيل محمود القباني المدرس بمعهد التربية)، وحالة الاهالي الصحية (للدكتور محمد شاهين باشا)، واستعمال اوقات الفراغ، والحياة المنزلية (للدكتور

بهمان الطبيب بمستشفى الامراض العقلية) . وبعد ذلك تعالج الحياة الروحية التي تتمثل في أدب وفن مصر (للآنسة مي وقد نشرنا الجانب الاول منهُ في مقتطف هذا الشهر) ،والحياة الدينية (علي عبد الرازق) ، واخيراً تبحث ثلاثة موضوعات في التنظيم الاجتماعي . فيتناول الاول أثر التنظيم الاعتيادي ، العادة والرأي العام (للدكتور محمد حسين هيكل) . ويتناول الثاني التنظيم الرسمي بواسطة الحكومة (لاحمد بك صفوت رئيس محكمة شبين الكوم الاهلية). ويعالج الثالث العلاقات الدولية وأثرها في توجيه الحياة الاهلية (للاستاذ سابا حبشي المحامي)

هذه الموضوعات القيت في اثني عشرة محاضرة بدار يورت التذكارية في فبراير ومارس وابريل سنة ١٩٣٢

وكتب كلَّ موضوع منها متخصصٌ لهُ ومعروف بصحة البحث وسعة الاطلاع وطول الاختبار . وعليهِ سيكون كل موضوع مرجعاً وملخصاً لاحدث الحقائق والنظريات ويمتاز هذا الكتاب بانهُ من وضع المصريين الذين لا تشوب آراءهم صبغة أجنبية

وقد عالج كل محاضر موضوعه على طريقته في التفكير والاسلوب الذي ارتضاه ومن الواضح بناء على هذا ان المحاضرين غير متضامنين فيما تضمن هذا الكتاب من مختلف الآراء. وقسم الخدمة العامة يسره أن يعرض هذه الابحاث في حيدة تامة لان مهمته ان يسعى لتنشيط الفكر لا أن يسيطر عليهِ

والامل وطيد بأن يؤدي هذا الكتاب الى زيادة تفاعل العوامل الثلاثة — المكان — العمل — السكان ، وتقدم المرافق الوطنية وازدياد أثرها حتى ينعكس ترتيب النظرية فتصبح — السكان — العمل — المكان . أي أن السكان يصبحون العامل المسيطر في انتاج العمل بحسب ارادتهم وبكيفية تؤدي الى تحسين المكان وجعله جذاباً منعشاً وهو منتهى الفن الذي يتجلى في سلسلة الموضوعات حيث تظهر عبقرية مصر الحديثة وطموحها

وندل كاليلند
مدير قسم الخدمة العامة

علم النفس

لما استقلَّ علم النفس عن الفلسفة واستوى مع سائر العلوم على أساس تجريبي اتصل بشؤون الحياة العملية اتصالاً وثيقاً كالتربية والتعليم والصناعة والصحة والتجارة والآداب. وهو لحداثة عهده كثير النظريات،وبعضها متضارب متناقض في الغالب . فالاستاذ مكدوجل في خطبة الرآسة التي خطبها في قسم علم النفس في مجمع تقدم العلوم البريطاني قال ان «القصد» Purposive striving مبدأ أساسيٌّ في علم النفس . والدكتور وطسن الاميركي غالى في مذهب

السلوكيّة . والعلاّمة فرويد أخرج نظرية التحليل النفسي. وكوهلر وانصاره اوجدوا مايعرف بعلم النفس الانموذجي . كل هذه النظريات محاولات لفهم الحياة العقلية على صحتها وتفسير السلوك الانساني تفسيراً معقولاً منسجماً . فالقارىء العربي يرحب بكل كتاب جديد في هذه الناحية من المباحث العصرية ، وبوجهٍ خاص اذا كان من قلم كتّاب عالجوا الموضوع نظراً وعملاً ، درساً وتدريساً

فالكتاب الذي بين أيدينا جزآن . اشترك في وضع الجزء الاول منهُ الدكتور مظهر سعيد والاستاذان حامد عبد القادر ومحمد عطية الابراشي . وقد انفرد الاخيران في وضع الجزء الثاني . والثلاثة من خريجي مدارس انكلترا ومن مدرسي علم النفس في معهد التربية ودار العلوم وقسم التخصص بكلية أصول الدين في مصر

لما تعلمنا علم النفس ، تعلمنا القسم الفسيولوجيّ اولاً وعلى حدةٍ ، اما مؤلفو هذا الكتاب فقد أحسنوا بجعل الناحية الفسيولوجية من البحث تابعة لكل موضوع من موضوعات الكتاب ، بحيث تجيء في ترتيب طبيعي مع المسائل السيكولوجية المجرّدة التي يشتمل عليها الفصل . خذ مثلاً موضوع « الحواس والاحساس » فبعد بيان مقام الاحساس في الذهن الانساني في ست صفحات او سبع يبسط موضوع الحواس من الناحية الفسيولوجية فتذكر انواع الاعصاب ثم اعضاء الحس الخاصة كالعين والاذن والانف وغيرها . ثم يلي ذلك فصل في الادراك الحسي Perception وما يتفرع عنهُ من خداع الحواس — وتفسير الاسباب التي قد تبعث عليهِ كتوقع الشيء او التسرع في الحكم او الجهل او قصر النظر او ضعف الملاحظة او الاستهواء — والتوهم والخبل . ثم يعالجان نشأة الادراك الحسي ووظيفتهُ — هي معرفة البيئة الحقيقية التي تحيط بالانسان معرفة تامة — وغير ذلك من الموضوعات النظرية والعملية التي ينطوي عليها هذا الموضوع . وفي آخر هذا الفصل تعليمات موجّهة الى المدرّس مبنية على الحقائق التي قرّرت في بحث الادراك الحسي ، ويلي ذلك فصل آخر في انواع المدركات الحسية العليا كالابصار والسمع ، والدنيا كاللمس والذوق والشمّ . فانت ترى ان جانباً كبيراً من الجزء الثاني محصور في بحث الحواس والاحساس والمدركات الحسية . ولا بدع في ذلك فالحواس « أبواب المعرفة » وهي الركن الاول في حياتنا العقلية وسلوكنا

***

ومن فصول الكتاب الاخرى « الاختبارات العقلية » و « الانتباه والتشويق » و « الملاحظة » و « تداعي المعاني » و « التذكر والنسيان » و « التصوّر والتخيل » وهي مرتبة بحسب مستويات عنصر الادراك — اي مستوى الادراك الحسي — مستوى الادراك الكلي المعنوي — والمستوى الفلسفي

الضاحك الباكي

تأليف فكري أباظه — مطبعة الهلال — صفحاته ٢١٣ قطع وسط

هذا الكتاب صفحة من حياة مؤلفه . بل هو صفحة من حياة الشباب المصري في العهد الاخير كيف يهوى ويتألم ويثور ويخوض معركة السياسة ويبحث عن الزوجة الفاضلة بالوسائل القاصرة فلا يهتدي. كتبه الاستاذ أباظه ترجمة لنفسهِ منبهاً في مقدمتهِ الموجزة على ان «كلّ ما في الكتاب قد وقع فاقرأوه على انهُ حقيقة»، وانت اذا شرعت تقرأهُ سواء احسبتهُ من وضع الخيال او من نسج الحقيقة استهواك ما فيهِ من سرد أخّاذ للحوادث ومن جرأة في نقد الشؤون الاجتماعية والسياسية ومن تحليل صائب لحبّ الرجل دون حبّ المرأة على ما نرى . والاستاذ أباظة متصف بما يعرف عند الانكليز Sense of humour اي انهُ رحيب الصدر يقبل النكتة تقال فيه ، بل هو يقولها في نفسهِ ، وهذا أساس خفة الروح . فالكتاب مصريٌّ في إلهامهِ وروحهِ ، مصريٌّ في موضوعهِ وجوّهِ . وهاتان ميزتان لا نغلو اذا قلنا انهما حسبهُ

واحة سيوه

كان المصريون الاقدمون يسمّون هذه الواحة سخت أم اي ارض النخل وهي على ٣٥٠ ميلاً من القاهرة في جهة الغرب بميل الى الجنوب. وعلى عشرة اميال منها في جهة الشمال الشرقي واحة صغيرة اسمها واحة الزيتون وفي الغمقة كلها سلسلة من الواحات الصغيرة. والرسالة التي امامنا وضعها الدكتور حسين علي الرفاعي مدير قسم النشر والترجمة بمصلحة التجارة والصناعة على أثر زيارتهِ الى سيوه في اكتوبر الماضي وقد بسط تاريخها القديم الى عهد محمد علي ثم من عهد محمد علي الى العهد الحاضر . ثم تناولها من نواحي جغرافيتها وحكمها وحالتها الاجتماعية والاقتصادية — فذكر في الفصل الخامس وهو الخاص بحالتها الاقتصادية نظام الريّ فيها وانواع الزراعات كالبلح والزيتون، والحبوب — كالقمح والشعير والاذرة العويجة — والخضر والقطن . ثم تناول نظام الملكية العقارية فيها ومعاصر الزيتون والنجارة والحدادة وصناعة الخوص وصناعة الجبب والصياغة وطحن الغلال . ثم بحث الموضوع من ناحيتهِ التجارية واسباب المواصلات فذكر تجارة البلح وتجارة الزيتون وتجارة الحبوب ثم فصل موجز في وسائل اصلاح الواحة. والبحث كلّهُ يشهد للمؤلف بشدة الملاحظة واصالة الرأي وتنظيم الفكر

تطور الصناعات في مصر

وهذا بحث آخر للدكتور حسين علي الرفاعي نشرهُ مقالات متسلسلة في مجلة الصناعة والتجارة وتناول تطور الصناعة في مصر من ايام الفراعنة الى عهد اليونان والرومان الى عهد العرب والمماليك . ثم زاد البحث تفصيلاً اذ تكلم على الصناعات المصرية في العصر الحديث ، اي من عهد الحملة الفرنسية الى عهد جلالة الملك فؤاد

مطبوعات جديدة

﴿ الكوخ الهندي ﴾ تأليف الكاتب الفرنسي الكبير برناردين ده سن بيير وقد نقلها الى العربية الشاعر الاديب الياس ابو شبكة وطبعتها مكتبة صادر ببيروت . ثمنها خمسة فرنكات خالص اجرة البريد

﴿ بولس وفرجيني ﴾ هذه الرواية من اشهر مؤلفات برناردين ده سن بيير وقد نقلها ابو شبكة واخرجتها مكتبة صادر ببيروت . ثمنها ثمانية فرنكات خالصة اجرة البريد

﴿ العاصفة ﴾ تأليف شكسبير وتلخيص وتبسيط كامل كيلاني . فرغ المؤلف من سلاسل القصص والحكايات التي وضعها للاطفال — وقد اشرنا اليها قبلاً في هذا الباب — فعمد الآن الى اشهر روايات شكسبير التمثيلية يلخصها ويبسطها ويزينها بالصور . فبدأ باختيار العاصفة وفعلاً أجاد في تحقيق الغرض الذي تصدّى لهُ . ومما هو جدير بالذكر ان حسن تقسيمه للرواية وتزيينها بالصور لا بدَّ ان يحمل القارىء الكبير — دع عنك الصغير — على الشغف بمطالعتها

﴿ أهم آثار دمشق ﴾ بحث أثري فني وضعهُ الخوري الاسقفي بطرس جواد صفير أحد مدرسي اللغات الشرقية في كليات ايطاليا، ونشرهُ في سلسلة مقالات في مجلة القربان من اكتوبر سنة ١٩٢٩ الى يناير ١٩٣١ . والبحث يشمل أهم الكنائس الأثرية في دمشق والجامع الاموي وقصر العظم وقصر الملك العادل والمتحفين الفرنسي والعربي

﴿ مبادىء الاشتراكية ﴾ كتيّب في ٦٤ صفحة من القطع الصغير وضعهُ عصام الدين ناصف وبين فيهِ مبادىء الاشتراكية وعلاقتها بالمذاهب الاجتماعية الاخرى ، وأصول فلسفة ماركس وصلة الاشتراكية بالسلام ، وغير ذلك من الموضوعات الاجتماعية والعمرانية التي تنطوي تحت اصلاح الاجتماع من ناحية التعاون وازالة الفروق بين الطبقات

﴿ رحلة اكسبرس ﴾ وهو حديث رحلة رحلها الصحافي العجوز (توفيق حبيب) مع المستر اتول مدير جمعية الشبان المسيحية سابقاً في الاسكندرية ونفر من اعضاء الجمعية الى استانبول فقضوا في الرحلة ذهاباً واقامةً واياباً عشرين يوماً . والمؤلف دقيق الملاحظة وخاصة في الشؤون الاجتماعية ، وملاحظاته كلها جديرة بالنظر . وقد أجاد حيث قال انهُ لم يكن يحمل « بيدكر » للارشاد فالخطرات التي دوَّنها هي خطرات عابر سبيل ، ولكنها حافلة بفوائد تشعُّ منها خفة الروح

﴿ طريقة منسي ﴾ وهي الطريقة التي ابتدعها احمد ابو الخضر منسي لتعليم اللغة الفرنسية برسم كلماتها بحروف عربية ووضع مفتاح لاجادة لفظ الكلمات المكتوبة بالحروف العربية . وقد اتمت هذه الجريدة السنة الاولى من عمرها . وكل عدد منها يشتمل على مفردات المحادثات ومختارات تهم طلبة الكفاءة والبكالوريا وتطلب من الباعة والمكاتب

باب الأخبار العلمية

المجرات الكبرى

تضاف كلمة «سوبر» في اللغة الانكليزية الى الاسم فتدلُّ على انهُ بلغ منزلة فوق المنزلة التي هو فيها او انهُ بلغ المنزلة العليا. « فالسوبر دردنوط» بارجة تفوق الدردنوط «والسوبرمان» انسان يفوق الانسان الحالي في قربهِ من الكمال. وقد يقصد بهِ الانسان الامثل . وقد تضاف الى الفعل او الى النعت فتضيف اليهما معنى السموّ او التفوّق

خطب الاستاذ شايبلي الاميركي وهو من كبار علماء الفلك المعاصرين فقال انهُ لا بدَّ من استعمال لفظ جديدٍ في علم الفلك هو « السوبر جلكسي » «والجلكسي» هي المجرّة . ولا يخفى ان الارض جزءٌ من النظام الشمسي . وان النظام الشمسي بشمسهِ وسياراتهِ — واقمارها — ونجيماتهِ ومذنباتهِ جانب من مجموعة من الانظمة الشمسية والنجوم المزدوجة والكتل النجمية Clusters والسدم على انواعها — الاَّ السدم اللولبية — وان هذه المجموعة تعرف بالمجرّة . وان خارج المجرّة مجرّات اخرى تماثلها بناءً وهي منثورة في رحاب الفضاء، وان اقرب مجرّة الينا سديم المرأة المسلسلة فهو يبعد عنا نحو ٨٥٠ الف سنة ضوئية. وكان الظن ان هذه المجرّات او السدم اللولبية هي اكبر اقسام الكون المادي. ولكن الاستاذ شايبلي يرى الآن انهُ كما تزدوج النجوم احياناً، تزدوج المجرّات فالنظام المكوَّن من مجرّتين تفصل بينهما مسافة اقل من قطر احداها يدعى «سوبر جلكسي» ويصحُّ ان يسمّى «المجرّة الكبرى»

خواء الكون

ونحن اذا نظرنا الى الكون في ليلة صافية الاديم ورأيت السماء مزدحمة بالنجوم ، تعذر علينا ان نصدق قول من يقول بأن الخواء غالب على الكون . ومع ذلك فكل علماء الفلك والطبيعة يقولون هذا . فالمادة التي في الفضاء اذا قيست الى سعة الفضاء كانت أقل من المادة في اتمّ فراغ يستطيع ان يحدثهُ الانسان . ومن العبث تصوير خواء الكون بارقام قريبة من التصوُّر

فالمادة التي في الفضاءِ الكائن بين المجرّات تبلغ ١٠^-٣٠^ من الخواءِ في السنتمتر المكعب او هي جزءٌ من ...... و...... و...... و...... ......و١٠ من الغرام وهذا الخواء يقابل فناء محطة القاهرة حيث تقف قطارات الاسكندرية وبور سعيد وغيرها، وقد افرغ داخلهُ من كل أثر مادي الاَّ ثلاث حبّات من الرمل !

غبار الكون المظلم

وقد تعوّد العلماء في كل حديث عن المادة التي في رحاب الكون ان يفرقوا بين المادة المضيئة والمادة المظلمة . وما هي هذه المادة المظلمة ؟ هي رماد النجوم التي فقدت طاقتها أو هي المادة التي لم يتح لها ان تتحد فتتكون منها نجوم او هي بقايا المذنبات او نفايا ايّ جسم آخر من الاجسام السماوية

وقد عرف العلماء من أيام هرشل بوجود هذه المادة . اما تقدير مقدارها في رحاب الفضاء فامر معقد . ولكن الاستاذ ستبنز Stebbins والدكتور هفر من علماء مرصد وشبرن الاميركي حاولا حلّها بالسبكترسكوب . فكل ملمّ بمبادئ الطبيعة يعلم ان الغبار لهُ أثر في تحويل لون الضوء الذي يمرُّ في خلاله الى الاحمر لذلك يُرى لون الشفق ورديّا وقانياً في بعض الاحيان . فاذا فحصنا ضوء النجوم لمعرفة درجة الاحمرار فيها ، وجدنا بحسب قول الدكتور ستبنز حمرة شديدة تحول دون رؤيتنا قلب المجرّة . والى هذا الغبار الكوني يسند « الحيود نحو الاحمر » red-shift الذي يُرى في طيوف المجرّات . فنحسبها بمقتضى قانون دبلر ، دليلاً على ابتعاد المجرّات عنا ، وابتعادها بعضها عن بعض ، بسرعات لا يتصورها العقل

ضوء النجوم ووزنها

اثبت ادنغتن سنة ١٩٢٤ برسالة ان لمعان نجم من النجوم يتوقف على كتلتهِ . وهذا مبدأ يجري عليهِ الفلكيون فيقدرون وزن نجم من النجوم اذا عرفوا لمعانهُ ، تقديراً يكون قريباً من الصحة . فاذا عرفت ان وزن نجم من رتبة وزن الشمس عرفت ان لمعانهُ من رتبة لمعانها . واذا عرفت ان لمعان نجم آخر من رتبة لمعانها خلصت الى القول بحسب هذا المبدإ الى ان وزنه من رتبة وزنها . وقد صرّح الاستاذ رسل استاذ الفلك بجامعة برنستن والرئيس المنتخب لمجمع تقدم العلوم الاميركي انهُ امتحن ٥٦٠ نجماً مزدوجاً فوجد ان العلاقة بين اللمعان والوزن التي استنبطها ادنغتن تنطبق عليها جميعها

اينشتين في فرنسا

على أثر الاحتجاج الذي نشرهُ اينشتين على معاملة اليهود في المانيا صودرت امواله في احد بنوك برلين واستقال من اكادمية العلوم البروسية فلم تعرب الاكادمية عن اسفها لاستقالتهِ وقيل انهُ سوف يتخلّى عن جنسيتهِ الالمانية ويتخذ الجنسية السويسرية . وقد طلب اليهِ ان يتقلّد منصب استاذ في « كوليج ده فرانس » فقبل ذلك

اقصى سرعة السيارة

بلغت سرعة السر ملكم كمبل بسيارتهِ « العصفور الازرق » ٢٧٢ و ٥٥٦ من الميل في الساعة في شوطٍ طولهُ ميلين وذلك في ٢٣ فبراير الماضي على شاطىء ديتونا بالولايات المتحدة الاميركية

الاثير أيضاً

مضى على العالِم الاميركي دايتُن مِلَر الاستاذ بمدرسة كايس للعلم التطبيقي بضع سنوات وهو يحاول ان يبرهن على وجود الاثير — وهو الوسط الذي فرض وجودهُ لنقل امواج الضوء والحرارة والامواج اللاسلكية . وقد كان الأثير في نظر علماء الطبيعة في القرن التاسع عشر امراً لا مندوحة عنهُ . ولا تزال فئة قليلة من غلاة المحافظين في العلم وعلى رأسهم السر الفرلدج مقتنعة بوجوده وتكافح عنهُ . والاستاذ ملر احد رجالها

فاذا كان للأثير وجود حقيقي وجب ان يعرف ذلك من معرفة حركة المجموعة الشمسية المطلقة في الفضاء . وقد ثبت من تجربة ميكلصن مورلي التي وُصفت في المقتطف ان معرفة هذه الحركة المطلقة متعذّرة وان النتيجة اللازمة عن ذلك نفي الاثير . وقد بنى اينشتين على هذه النتيجة جانباً من نظرية النسبية ومن اركانها تعليل الظاهرات الكونية من دون فرض الاثير . ولكن الاستاذ مِلَر تابع تجاربهُ ودقّق فيها وهو يقول انهُ تمكن من معرفة حركة المجموعة الشمسية المطلقة وان سرعتها ١٢٩ ميلاً في الثانية وانها متجهة الى نقطة في صورة دورادو — وتعرف كذلك بصورة سيّاف البحر Sword-fish وهي من الصور الجنوبية — ومباحثهُ في هذه الناحية اقنعتهُ بوجود الاثير . اما وكثرة العلماء مجمعة على نفي وجود الاثير ، فالغالب ان الاستاذ مِلَر سوف يلقى صعوبة في اقناعهم برأيهِ وبوجه خاص لان الفلكي كبتيين — المتوفى من عهد قريب — يخالف الاستاذ مِلَر في النقطة التي تتجهُ اليها المجموعة الشمسية

الاشعة الكونية

كان زمن وكان الدكتور مِلِكن يعتقد ان الاشعة الكونية الواصلة الى الارض تبلغ نحو عشر الاشعاع الواصل الى الارض من جميع النجوم . ولكنه يقول الآن انهما متعادلان . ويؤخذ من تجاربهِ الحديثة في قياس قوة الاشعة الكونية بواسطة بلونات حلقت الى علو عشرين ميلاً حاملة ادوات القياس ان الاشعة مزيج من الامواج . وما يحسبهُ العلماء الآخرون الكترونات يفسره ملكن بأن الاشعة الكونية الصحيحة تمزق بعض ذرات الهواء اذ تدخل جوّ الارض فتطير منها الكترونات وبروتونات سريعة ، فحسبها بعض الباحثين انها الاشعة الكونية نفسها . ومن هنا نشأ الخلاف بين مِلِكن القائل بأن هذه الاشعة امواج وبين القائلين بأنها الكترونات . وهو يرى ان الاشعة الكونية الاصلية الصادرة من اعماق الفضاء هي فوتونات او تموجات كهربائية مغناطيسية بالغة حد القصر

الازمة والعلم

من آثار الازمة الاقتصادية في الولايات المتحدة الاميركية ان الشركات الصناعية الكبيرة التي لها معامل خاصة بالبحث العلمي

تخلت عن طائفة كبيرة من العلماء الذين كانوا يشتغلون في هذه المعامل . ويدلُّ الاحصاء الذي عمل في ٥٠٠ شركة صناعية انها كانت تستخدم في معامل البحث العلمي التابعة لها ٢٣٧٣٣ عالماً وباحثاً سنة ١٩٣٠ فانقصتهم الى ٩٦٨٢ في آخر سنة ١٩٣٢ اي ان نحو ١٢ الف عالم أصبحوا من العاطلين بسبب الازمة او انهم تحوّلوا من البحث الى فروع اخرى من العمل لا تتفق مع إعدادهم العلمي

البرد الشديد وايصال الكهربائية

اخذ الاستاذ جوتز لفة من سلك الرصاص طولها ثلاثون قدماً وغمسها في هليوم سائل — ودرجة برده قريبة جدًّا من درجة الصفر المطلق — ففقد الرصاص كل مقاومة لسير التيار الكهربائي فيهِ . وظل كذلك نحو ثلث ساعة . هذه الظاهرة الطبيعية الجديدة — وقد اشرنا اليها قبلاً — من الموضوعات التي تهم العلماء ورجال الصناعة سواسية. لان التيار الكهربائي يفقد جانباً كبيراً من طاقتهِ بسبب المقاومة التي يلقاها لدى سيرهِ في الاسلاك المعدنية حتى افضلها ايصالاً للكهربائية. ولعلَّ البحث في هذه الناحية يسفر عن استنباط خليطٍ معدني جديد تكون مقاومتهُ للتيار الكهربائي طفيفة فيسهل سير التيار فيهِ ، فيرخص سعر التيار ويكثر استعمالهُ

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يعقد مجمع تقدم العلوم البريطاني اجتماعهُ السنوي في مدينة لستر بانكلترا في الاسبوع الواقع بين ٦ — ١٣ سبتمبر وتعقد الرآسة للسر فردرك جَوْلند هبكنز رئيس الجمعية الملكية وصاحب المباحث الطريفة في موضوع الفيتامين ، وينتظر ان يدور موضوع خطبتهُ حول « الحياة من ناحيتها الكيمائية »

جامعة زوريخ

احتفل في ٢٨ ابريل الماضي بانقضاء مائة سنة على جامعة زوريخ فحضر الاحتفال مندوبو الجامعات والجمعيات العلمية من أنحاء الارض وقد كانت جامعة زوريخ يوم تأسيسها تشتمل على ٢٣ استاذاً و ٢٣ محاضراً و ١٦١ طالباً. اما اليوم فاساتذتها يبلغون المائة ومحاضروها تسعون وطلاّبها يربون على الالفين . ومن أشهر الذين تعلموا وعلّموا فيها في العصر الحديث العلاّمة اينشتين

اضطهاد العلماء اليهود

ليس موضوع ثورة النازي بزعامة الهر هتلر في ناحيتها السياسية من موضوعات المقتطف ولكن المعاملة التي يلقاها العلماء اليهود في المانيا امر يتمعض لهُ رجال الفكر في كل البلدان . فقد استقال الاستاذ جيمس فرانك الذي اقتسم جائزة نوبل الطبيعية سنة ١٩٢٠ مع الاستاذ هرتز ، من منصب أستاذ الطبيعة في جامعة غوتنجن . وتلاهُ الاستاذ هابر مدير معهد القيصر وليم للطبيعة والكيمياء في برلين ومكتشف طريقة تثبيت نتروجين الهواء التي مهدت السبيل لصنع سماد النترات الصناعي. واستقال من المعهد نفسهِ الاستاذ

فرويدلنخ صاحب المؤلفات النفيسة في الكيمياء الغروية والاستاذ بولاني Polanyi المشهور بمباحثه في الكيمياء الطبيعية. وقد جاءَ في نايتشر ان اثر اليهود في حضارة البلدان الاوربية اثر لا ينكره إلا المعاند في الحق. ولا ريب في ان خسارة المانيا لهؤلاء العلماءِ على اثر خسارة اينشتين وغيرهم من أرباب العلوم والفنون لا تعوَّض بمال

الوان عيون الاطفال

لقد نقض القول الشائع بان اللون الازرق هو الغالب على عيون الاطفال لدى ولادتهم مع انهُ قد مضى زمن واكبر علماء الوراثة والفسيولوجية يقولون بهذا

ولكنَّ الدكتور بيسلي الاستاذ بجامعة جُنْنز هُبْكنْز الطبية لم يسلم بالقول ولا نقضهُ إلا بعد بحث مستفيض ففحص عيون خمسمائة طفل لدى ولادتهم بنور كشاف قوي فاثبت ان هذا القول لا يقوم على أساس. فقد ثبت لهُ ان اللون الغالب على عيون ٧٧ في المائة من الأطفال البيض و ٣ و ٩٩ في المائة من الاطفال السود كان اللون البنيّ. ولم يجد إلاّ ٢٨ طفلاً من ٤٥٥ طفلاً عيونهم زرق. ووجد كذلك ظلالاً مختلفة من الالوان في بعض العيون من بنّي مصفرّ الى بنّي محمرّ الى عيون خضر وعيون بنفسجية وعيون رمادية الى عيون مخططة واخرى مرقشة واخرى مشععة (أي فيها خطوط تخرج من البؤبؤ وتتجه الى محيط الانسان فهي أشبه بالاشعة المنطلقة من جسم مضيء)

الامبراطورية البريطانية والعلم

للاستاذ هلدين: انا ابن الامبراطورية البريطانية، وهي تشتمل على بلدان الدومنيون العظيمة. ان أصدقائي المتعالمين يقولون أن بلدان الدومنيون لم تنتج آثاراً عظيمة في الفن والادب. انها عملت على الاقل عملاً فذًّا. ففي زيلاندا الجديدة ينتظر للطفل لدى ولادته ان يعيش ستين سنة وفي استراليا ٥٧ سنة وفي الدنمارك ٥٦ سنة. اما انكلترا فتأتي في المرتبة الرابعة. ولقد عنيت بلدان اخرى بعد الحرب في مكافحة الامراض وتقوية الصحة العامة وتقليل الوفيات، فزاد فيها متوسط الحياة، ولكن ما زالت زيلاندا الجديدة واستراليا في مقدمة الصفوف. فأنا فخور بأن اكون من امبراطورية احرزت القصب في مكافحة الموت

حقائق متفرقة

يرتدُّ اول استعمال للمفرقعات في التعدين الى سنة ١٦٢٧

تدل المباحث النفسية في جامعة كاليفورنيا على ان المفكر البطيء ليس بالضرورة ضعيف العقل

كان المذنب العظيم الذي ظهر سنة ١٨١١ اكبر من الشمس.

تدل التجارب ان لون الزبدة المصفرّ يتأثر بما تأكله البقرة اكثر مما يتأثر بسلالتها

يقول أحد العلماء الفرنسيين ان جو مدينة ليون أشدُّ قتاماً الآن مما كان عليهِ من نحو اربعين سنة. وقد وصل الى هذه النتيجة من الموازنة بين مدونات المقاييس الجوية المحفوظة في المدينة

الجزء الاول من المجلد الثالث والثمانين

صفحة

JANUARY—MAY 1933 | يناير الى مايو سنة ١٩٣٣

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

المجلد الثاني والثمانون

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by : FUAD SARRUF

VOL. LXXXIII

FOUNDED 1876 BY DRS Y. SARRUF & F. NIMR

فهرس المجلد الثاني والثمانون

فهرست الكتاب

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد الثالث والثمانين

١ يوليو سنة ١٩٣٣ — ٨ ربيع الاول سنة ١٣٥٢

مصير العالم الاقتصادي

اي السبيلين نختار

اصلاح النظام الرأسمالي او القضاء عليهِ

يقف الناس اليوم ، وهم في غمرات ازمة طاحنة ، مرتابين مترددين لا يدرون اي السبل يسلكون . اما القلائل الذين لا يزالون يظنون انهُ لا بدَّ للعناية من اصلاح الحال ، وان ذلك لا يقتضي من جانب الناس اي سعي يبذل، فيصحُّ ان نمرَّ بآرائهم مرَّ الكرام ، اذ يعرف القراءُ مما نشرناه في الشؤون الاقتصادية ، ان اسباب الازمة متغلغلة في صميم نظامنا الاقتصادي . فلا يمكن لازالتها القعود مكتوفي الايدي بانتظار العون الالهي ، بل لا يصلح الآن الاَّ السعي الحازم المقرون بالمعرفة والتعاون. والعالم في شديد الحاجة الى خطط عملية توضع بالاتفاق وتنفذ بالاشتراك الدولي ، حتى يستطيع الخروج من كهف الظلمة الى طريق الانتعاش فالرخاء. ولكن ما هذه الخطط ؟ ان المؤتمر الاقتصادي والنقدي العالمي الملتئم في لندن ونحن نكتب هذه السطور ، يحاول ان يقرّر أهمها اذا أُلهم اعضاؤهُ الحكمة والتعاون

وليس امام زعماء الشعوب الاَّ أحد سبيلين . اما ان يحاولوا في عزم وصفاءِ نيَّةٍ اصلاح النظام الرأسمالي، بازالة اسباب الاضطراب في شؤون كل دولة وفي صلات الدول بعضها ببعض، وبتصفية المساوىء الاقتصادية التي نشأت عن الحرب الكبرى ومعاهدات الصلح ، وتنظيم المجتمع من الناحية الاقتصادية والمالية تنظيماً يقيهِ مما يُبلَى بهِ النظام الرأسمالي في الفينة بعد الفينة من عجز قوة الشراءِ عن مجاراة اتساع قوى الانتاج — او ان يعترفوا اعترافاً صريحاً بان

النظام الرأسمالي،على جلالة فوائده في القرنين المنصرمين ، اصبح لا يصلح للعالم في العصر الحديث ، وان يُقبلوا بسعي منظّم وحزم وعلم ، على انشاء نظام اقتصادي آخر يقوم على مبادىء تختلف عن المبادىء التي يقوم عليها نظامنا الحالي

فأي السبيلين يختارون ؟ ان الاتفاق على الجواب عن هذا السؤال متعذر الآن . ففي الناحية الواحدة نجد الولايات المتحدة الاميركية على السبيل الاول لا ترضى عنهُ بديلاً . وفي الناحية الاخرى يقوم اتحاد الجمهوريات السوفيتية بتجربة اجتماعية اقتصادية واسعة النطاق ويرى زعماؤها ان لا طريق الاّ طريقهم يفضي الى الخير . وسائر الدول بين الاثنتين ، حائرة مضطربة ، وهي تعاني من آثار حيرتها واضطرابها ما تعاني

تراث الحرب الكبرى

زعزعت الحرب الكبرى اركان التجارة العالمية ، واحدثت اضطراباً في اتزان النظام الاقتصادي،في البلدان المحاربة والمحايدة على السواء. ففيها جميعاً نشطت الصناعات الخاصة بادوات الحرب وذخيرتها نشاطاً عظيماً . واصيبت الصناعات الاخرى المتجهة الى صنع ما تحتاج اليهِ الشعوب التي لا صلة مباشرة لها بالحرب ، بقسط وافرٍ من التراخي والفتور . وحوّلت سمة الانتاج في كل بلادٍ تحويلاً مفتعلاً ، فارغمت البلدان التي كانت تعتمد على تجارة الصادر الى تحويل صناعاتها حتى تصنع ما تستوردهُ داخل حدودها فتكفّ عن الاستيراد ، وعوّدت الناس في البلدان المحاربة ان يتحدثوا بالملايين ومئات الملايين من المال،وان يحسبوا ان المشكلة الاقتصادية العظمى هي الحصول على السلع التي يطلبونها في مقادير كبيرة وبسرعة فائقة من دون اي نظر الى نفقة انتاجها . ومكّنت قوى الانتاج بتنظيمها والسيطرة عليها من اخراج مقادير من المصنوعات تزيد على متوسط الانتاج قبل الحرب زيادة عظيمة — ثم كانت هذه المصنوعات تدمَّر تدميراً يساوق في سرعتهِ سرعة انتاجها — وضخّمت رؤوس الاموال بتمكين اصحابها من حساب ثروتهم بحسب الاسعار التي ضخّمتها الحرب وكان لا بدّ ان تتقلص قيمتها بعد الحرب ، اذ تسرّح الدول جيوشها فتنقص الحاجة الى كلّ ما تنفقهُ الجيوش وتبدّدهُ من الذخيرة الحربية والمطعم والمشرب والملبس

كل ذلك يدلُّ على ما تستطيعهُ قوى الانتاج العالمية من التوسُّع لانهُ رغماً عن اشتغال زهرة شباب العالم بتقتيل بعضهم بعضاً وتدمير المنشآت الصناعية والمدنية ،وانشغالهم عن العمل المنتج في المعامل والحقول ، استطاع جانب كبير من سكان العالم ان يعيشوا في مستوًى عالٍ ، وينتجوا إنتاجاً وافراً ، وهذا يثبت ما بلغت اليهِ سيطرة الانسان على الطبيعة والى اي مدًى يمكن ان تتسع قوى الانتاج اذا عرف الانسان كيف ينظمها ويسيطر عليها

ولكن ساءت الحال ، بعد ما وضعت الحرب اوزارها وعقدت معاهدات الصلح ، وشرع الناس يحاولون العودة الى الاحوال السوية التي كانت سائدة قبل نشوب الحرب. على ان هذه العودة كانت امراً متعذراً بسبب الانقلاب الاقتصادي في طبيعة الانتاج وفي تخطيط العالم السياسي . ذلك ان البلدان التي اضطرت في خلال الحرب الى ان تكتفي بما تنتجهُ هي ، وان تنتج ما كانت تستوردهُ ، لم يحتمل ان تستغني عن صناعاتها الوطنية الناشئة. فبدلاً من تحاول الامم وضع الصناعة على اساس جديد يتفق ومقتضيات الاسواق بعد الحرب حاولت كل امة ان تعيد صناعاتها الى الحالة التي كانت فيها قبل نشوب الحرب . فلما كانت فترة الرخاء القصيرة التي تلت الحرب ، اعتقد الناس انهم على الطريق السويّ الى الرخاء الدائم — وكانوا واهمين

ولذلك ترى ان اعمال الترميم الصناعي التي تمت في البلدان الصناعية القديمة وجّهت توجيهاً خاطئاً ، وكثير من الصناعات الجديدة التي انشئت بعد الحرب ، وانفق عليها مال طائل اصبحت لا تجدي نفعاً بعد انقضاء فترة الرخاء القصيرة

ذلك ان معاهدات الصلح خلقت دولاً جديدة على انقاض الامبراطورية النمسوية المجرية وجانب من روسيا. وكل دولة من هذه الدول كانت ترغب في ان تستقلَّ استقلالاً اقتصاديا الى جنب استقلالها السياسي . فشرعت تبني حوالها حواجز جمركية عالية مع عجز اسواقها المحلية عن استهلاك ما تنتجه صناعاتها المستحدثة . ثم ان البلدان الصناعية الكبيرة التي كانت تعتمد على تجارة الصادر اصبحت ذات يوم واذا الاسواق التي تعتمد عليها قد اقفلت في وجهها . ولكن هذه البلدان كانت في الغالب قد اعادت بناء صناعاتها على احدث الاساليب. والصناعات الحديثة لا تعود بربح على اصحابها الاّ اذا كان انتاجها واسع النطاق ، لكثرة النفقات الاساسية. والانتاج الواسع النطاق يحتاج الى اسواق حرة لبيع المصنوعات. فنشأ عن كل هذا — وبوجه خاص بعد ما اصلحت المانيا صناعاتها ونزلت الى السوق — منافسة شديدة بين البلدان الصناعية ، والفوز في هذه المنافسة لا يتم الا بخفض قيمة النقد او بخفض اجور العمال وحفظ معيشتهم على مستوى واطىء

تمَّ كل هذا والعالم احوج ما يكون الى التعاون بدلاً من القطيعة والمنافسة

الديون والتعويضات

ولو ان التجارة الدولية كانت تبادلاً في العروض فقط لكانت الحال التي نشأت بعد الحرب الكبرى كافية لاقلاق بال العارفين بأصول الاقتصاد المعرضين عن التأثر بالنزعات القومية الجامحة . ولكن مما زاد الطين بلّة ان التبادل بين الامم ازداد تعقّداً بالديون الدولية الكثيرة وفي مقدمتها اموال التعويض التي طلبها الحلفاء من المانيا ، وديون الحرب بين الحلفاء ،

وديونهم لاميركا . ثم يضاف الى اموال التعويض وديون الحرب ديون اخرى عقدت بعد الحرب لانفاقها في ترميم البلدان التي دمّرتها الحرب واصلاح الصناعات وما الى ذلك . ولكن الدول المدينة لم يكن في امكانها ان توفي أقساط دينها — لانها لاتملك زيادة في صادراتها على وارداتها — اذا امسكت الدول الدائنة عن اقراضها المال . ولم يكن للدول المدينة امل ما في زيادة صادراتها على وارداتها الاّ باستدانة المال لاصلاح الصناعات واقامتها على أساس حديث حتى تستطيع ان تنافس بمصنوعاتها مصنوعات غيرها من الدول الصناعية في الاسواق الحرّة. وكذلك ترى ان عبء الديون الدولية على فداحته عند انتهاء الحرب ، ازداد فداحة بعيدها ، واتّضح أنهُ لا بدَّ من المضي في اتجاه تيار المال من الدول الدائنة الى المدينة اذا اريد الاحتفاظ باستقرار النظام الاقتصادي القائم . وليس ادلّ على صحة ذلك من انهُ لما حصل الانهيار العظيم في سوق نيويورك المالية وكفَّ الاميركيون عن عقد القروض لالمانيا ، كاد النظام الاقتصادي الالماني ينهار ، ولولا موراتوريوم هوڤر لانهار فعلاً ، ومنذ اعلن موراتوريوم هوڤر سنة ١٩٣١ لم تسدِّد المانيا شيئاً من ديونها السياسية او التجارية

ثم ان عبء الديون حمل الدول على السعي كلّ السعي الى زيادة صادراتها ونقص وارداتها ، فراحت تخفض أسعار صادراتها لكي تنافس بها صادرات البلدان الاخرى ، وترفع حواجزها الجمركية لكي تمنع صادرات البلدان الاخرى من منافسة مصنوعاتها في اسواقها الداخلية

وزادت الحال تفاقماً لما أخذت الدول ترجع الى عيار الذهب . لانها برجوعها فازت من ناحية بتثبيت قيمة نقدها بالنسبة الى النقود الاخرى. ولكنها إذ فعلت ذلك نقصت أسعار الجملة بوجهٍ عام . لان الدول برجوعها الى عيار الذهب ، كأنها اعترفت بأنها تعتمد على الاحتفاظ في خزائن بنوكها بقدرٍ كافٍ من الذهب . ولكن هذا كان متعذراً لوجوب تسديد أقساط الديون الدولية الكبيرة. وهذه الاقساط كان تسديدها متعذراً الاّ بالذهب . لان تجارة الصادر كانت مقيدة بقيود الحواجز الجمركية العالية . والدولة المدينة ليس أمامها الاّ أحد سبيلين لتسديد دينها ، فاما ان تسدّدهُ ذهباً ، او ان تزيد صادراتها على وارداتها فتسدد بثمن الفرق جانباً من دينها . فنشأ عن ذلك ان معظم الذهب خزن في خزائن أمم قليلة اي ساءَ توزيعهُ. فاذا قلَّ الذهب — أساس النقود — ارتفعت أسعارهُ ونقصت اسعار العروض . والذهب في خزائن بعض الدول كان «متجمداً» لا يستعمل للتجارة . فكأنَّ مقدار الذهب في عالم التجارة نقص . ونقصه يفضي دائماً الى ارتفاع ثمنهِ وهبوط ثمن العروض . واذ نقصت اسعار العروض زادت قيمة الديون .فدين مائة جنيه اذ يكون اردب القمح بمائة قرش ، يتضاعف اذ يصبح اردب القمح بخمسين قرشاً . وكل هذا افضى الى زيادة اتجاه الذهب الى البلدان الغنية به حيث يحفظ في الخزائن لا يصلح لعمل مالي ، فضيّق المجال على التجّار في البلدان التي خرج

منها الذهب، وحدّد «الكرديه» ورفعت الحواجز الجمركية في البلدان المدينة والدائنة على السواء

ولم يطل المطال على قادة الامم حتى ادركوا ان الاموال التي كانوا يتوقعون الحصول عليها من المانيا كانت بعيدة المنال. واذا كان رجال السياسة في فرساي قد اخطأوا التقدير، اذ حسبوا ان الالمان يستطيعون ايفاء هذه المبالغ الطائلة ذهباً، لا بضاعة، فان بعض المفكرين ما لبثوا أنْ ادركوا هذا الوهم ونبهوا عليه. ولكن الامر الذي لم يدرك على صحته حتى الآن، هو ان ما يصح على مال التعويض يصح كذلك على الديون الدولية. فليس في العالم كله ذهب يكفي لتسديد الديون. ولو كان الذهب الموجود كافياً لذلك، لاحدث انتقاله من بلدان مختلفة الى بلاد واحدة — لان مسير كل الديون واغلب مال التعويض ينتهي مطافهُ الى اميركا — تقلقلاً كبيراً في الاحوال الاقتصادية. واذاً فلا بد من تسديد الديون، كما تسدد الديون الدولية عادة. اي بالفرق بين الصادر والوارد. وهذا ممتنع بسبب الحواجز الجمركية العالية التي رفعت بعد الحرب

ومع وضوح هذه المسائل الاساسية عجلت بريطانيا في تسوية دينها لاميركا، اعتداداً بمكانتها المالية. فتعهدت بايفاءِ الديون التي عقدتها في الحرب كاملة للولايات المتحدة وبفائدة معتدلة. وليس الاتفاق نفسه عبئاً لا تستطيع بريطانيا حمله فقط، بل هناك ما هو اشد ضرراً. ذلك ان هذا الاتفاق جعل بريطانيا في صف الدول التي تقضي باستيفاء مال التعويض الالماني لكي توفي بحصتها منهُ دينها لاميركا

فلما ذهب مندوبو الدول الاخرى الى اميركا ليسوّوا ديون حكوماتهم لها، كان رجال السياسة ووزراء المالية قد اصبحوا ابعد فهماً للمصاعب التي تحول دون تسديد مبالغ طائلة من المال — كأقساط الديون الدولية — اذا لم تسدد بضاعة وعملاً، فخفضت مبالغ ديونها وفوائدها تخفيضاً كبيراً عما تقضي بهِ التسوية البريطانية الاميركية

وفي خلال ذلك كان مبلغ التعويضات الاول المطلوب من المانيا قد خفض بموجب برنامج دوز سنة ١٩٢٤ ولكنهُ ظل مبلغاً كبيراً من المتعذر على المانيا توفيتهُ. بل ان برنامج دوز اسفر عن نتيجة خطرة، ذلك انهُ اقترن في اذهان الناس باستقرار الامور في المانيا، فاقبل اصحاب الاموال على تثميرها في قروض تعقد لالمانيا. وكذلك بدلاً من ان ينقص مجموع الديون الخارجية المطلوبة من المانيا زادت زيادة فاحشة بعقد هذه القروض لها في الخارج. وحاولت الامم في برنامج ينغ ان تنقص المطلوب من المانيا من مال التعويض فزادتهُ فعلاً. ذلك ان برنامج دوز كان يقضي بنقص الاقساط اذ انخفضت الاسعار. ولكن برنامج ينغ لم يحفل بهذا الشرط وعينت الاقساط من دون نظر الى الاسعار، فلما انهارت الاسعار هذا الانهيار العظيم، زادت قيمة الاقساط الفعلية المطلوبة من المانيا زيادة فاحشة

الديون وهبوط الاسعار

وكذلك نرى ، ان رفع الحواجز الجمركية ، وعبء الديون الدولية سدَّا سبل التجارة العالمية . ولكن الغريب ، ان اوربا ظهرت في خلال ١٩٢٤ — ١٩٢٩ بمظهر المقدرة على الانتعاش ، فزاد ما تنتجهُ مصانعها ، واتسع نطاق تجارتها ، وتمكنت الثقة اذ بدا ان اوربا قادرة على تخطي المشكلات التي نشأت عن الحرب . ولكنَّ حائلين حالا دون تحقيق الاحلام . الاول هبوط عام في مستوى الاسعار زاده تضييق نطاق «الكرديه» الناشىء عن انحصار الذهب وتجمده في خزائن قليلة . وثانياً اعتماد اوربا على مقدرة اميركا على عقد القروض لها . فلما راجت الاعمال في اميركا ذلك الرواج العظيم سنتي ١٩٢٨ و١٩٢٩ كفَّ الاميركيون عن ادانة اموالهم في اوربا لكي يثمّروها في بورصة نيويورك وجني الربح الطائل منها هناك . فكانت النتيجة ان اتجه تيّار الذهب الاوربي الى اميركا . فلما وقع الانهيار في وول ستريت وهبطت الاسعار بدأ الاميركيون يستردّون من اوربا ما يستطيعون استردادهُ من المال المثمَّر فيها . فاكمل الانهيار ما بدأه الرواج . ديون الحرب يجب ان توفى ، ولا يمكن دفعها الاَّ ذهباً . والديون التجارية يجب ان تسدّد اقساطها وفوائدها ، ولا يمكن ان تسدّد الاّ ذهباً . ذلك لان الحواجز الجمركية الاميركية تمنع كثرة الواردات الى اميركا . فلا المانيا ولا بريطانيا ولا غيرها تستطيع ان تسدّد جانباً مما عليها بزيادة صادرها على واردها الى اميركا أو إلى غير اميركا لان رفع الحواجز الجمركية كان عامًّا . وزاد هبوط الاسعار، فزادت فداحة الديون. لذلك نرى على أثر الانهيار في سوق اميركا المالية سنة ١٩٢٩، ميلاً عالميًّا الى الغاء الديون بانكارها، وهذا الميل كان شاملاً لاوربا واستراليا واميركا الجنوبية والشرق الاقصى حيث زادت مشكلتهُ تعقيداً بهبوط اسعار الفضة وهي اساس نقده فهبوط ثمنها ، زاد قيمة ديونهِ ، ونقص مقدرتهُ على الشراء

كل هذه المصائب نشأت في الغالب عن الحرب . ويصح ان نحسبها من نتائج الحرب الاقتصادية . ففي المقام الاول ، كانت الحرب نفسها ، من ناحية التفكير الاقتصادي ، خطأً كبيراً . لانهُ لا ريب في ان المنتصرين والمهزومين خسروا في الحرب . فالامبراطورية البريطانية ، رغم ما ضمَّ اليها من بلدان واسعة خصبة ، افقر الآن مما كانت قبل نشوب الحرب وقبل ان تضمّ اليها هذه البلدان باسم الانتداب . وفرنسا رغم الثروة التي جمعتها الآن ، ورغم تفوقها في شؤون اوربا السياسية والحربية ، لم تفز بالسلامة التي كانت ترمي اليها ، ولا تزال مرغمة على الذود عن سلامتها بالمدافع والحراب . وكنا نحسب ان الولايات المتحدة الاميركية هي الدولة الوحيدة التي ربحت من الحرب ، ولكن تجمد الذهب في خزائنها لم يغنها شيئاً ، فقد عمدت اخيراً ، وهي اكبر دولة خازنة للذهب الى الخروج عن قاعدة الذهب

وقررت وهي اكبر دولة دائنة ، انها لا تدفع فوائد ديونها الا بالعملة الورق. العمال العاطلون في بلادها يزيدون على ١٢ مليوناً . وفلاحوها في حالة يرثى لها لما بلوا بهِ من هبوط اسعار الحاصلات الزراعية . فاذا كان هذا هو الغنم الاقتصادي من الحرب فأين هو الغرم

ضعف جمعية الامم

واذا كان السماح بنشوب الحرب خطأً فاضحاً من الناحية الاقتصادية، فالتسليم بوضع معاهدة صلح كالمعاهدة التي وضعت كان خطأً وجهلاً . فتقسيم بلاد النمسا والمجر وانشاء دويلات متعددة في اواسط اوربا كانا مصيبة اقتصادية من الطبقة الاولى ، لانهما زادا الوحدات المتنافسة في العالم ، والعالم في اشد الحاجة الى التعاون والتوحيد . ولا ريب في أن انشاء هذه الدول كان له مسوغ سياسي . ولكن لامفرَّ من الحكم بأن انشاءها عزز روح القومية — والقومية الجامحة في الغالب — في حين ان الروح القومية لم تكن الروح الصالحة لتنظيم العالم من الناحيتين السياسية والاقتصادية بعد الحرب . لان الدولة القائمة على مبدإ القومية تقتضي استقلالاً سياسيّاً وسيادة قومية ، وهذان من شأنهما رفع الحواجز الجمركية لحماية الصناعة الوطنية وتعزيز الاستقلال الاقتصادي، في حين ان حاجة العالم الاولى انما كانت لحفظ مساري التجارة مفتوحة . وانشاء جمعية الامم لم يكن كافياً لتعديل هذه النزعة القومية المكتسحة . لان عمل الجمعية نفسه كان محدوداً بفكرة السيادة القومية ، فلم تفز حتى الآن بالوصول الى اي توحيد اقتصادي بين الوحدات السياسية المنفصلة . بل ان منبرها في الغالب كان ميداناً للمنافسة بين القوميات المتنافسة والدول الكبرى التي تتنازع السلطان. فلم تقدم الجمعية على استعمال ما يخولـهُ اياها دستورها خشية ان تفقد التأييد الذي تمنحها اياهُ احدى الدول الكبرى . وبعض الدول الصغرى — كالدول السكندينارية — رغب في فهم جمعية الامم على ما هو مقصود منها حقيقة ، فحاول ان يجعلها أداة للتعاون الدولي، ولكنهُ لم يصب من النجاح الاَّ قسطاً يسيراً . وجلّ ما قامت بهِ جمعية الامم هو جمعها الحقائق الدولية ونشرها وهذا سبيل لا بأس بهِ الى خلق رأي عام دولي في مختلف البلدان

ان خيبة الرئيس ولسن في ضمّ اميركا الى الجمعية قضى عليها بأن لا تترفع كثيراً عن المنازعات الاوربية . ثم ان فوز الاشتراكية المتطرفة في روسيا ، حوّلها أداة تستعملها الامم التي تخاف الاشتراكية المتطرّفة، للاحتفاظ بالحالة الراهنة . ودول اميركا الجنوبية لا تستعملها الاّ لتؤكد على خشبة منبرها استقلالها عن الولايات المتحدة الاميركية . وطريقة معالجتها لمسألة منشوريا وشنغهاي جعلت الشرق الاقصى ازال اية ثقة لهُ فيها

وسرُّ ضعفها انها بطبيعة نظامها تدافع عن التسوية التي تمت سنة ١٩١٩ وهي تسوية كما بيّنا تنطوي على اخطاءٍ كثيرة يكفي كل خطإٍ منها ، اذا استفحل ان يفضي الى حرب كبيرة

العقدة الاقتصادية الاوربية

اما وقد وضعت التسوية السياسية والاقتصادية للحالة الناشئة عن الحرب الكبرى ، فمن المتعذر الغاؤها . والحدود الجديدة التي رسمت على خريطة اوربا بالغة ما بلغت من الخطاء والضرر على المصلحة الاقتصادية العامة ، لا يمكن تنقيحها الاَّ بالعودة الى حالة اوربا قبل الحرب . فاذا شئنا انشاء وحدات مستقلة كبيرة في اوربا ، لم يكن ذلك مستطاعاً الآن ، الاَّ باسترضاء الدول الصغيرة ومحاولة التوفيق بينها بوضع خطة شاملة للتعاون . وهذا متعذر ، او هو على الاقل صعب . لان كل ميل الى الاتحاد بين دولتين او اكثر يثير الريب الدولية . ففي سنة ١٩٣٢ حاولت الدول التي حول نهر الدانوب ان توثق عرى الصلات الاقتصادية بينها ، بالوصول الى اتفاق تخفض بموجبهِ الحواجز الجمركية خفضاً متبادلاً . ولكن هذه المحاولة لقيت مقاومة عنيفة . ذلك ان دول الدانوب اكثرها زراعي . وهي سوق لمصنوعات المانيا وايطاليا فهما تخشيان انهُ اذا تمَّ هذا الاتفاق — ولا بدَّ ان تكون تشكوسلوفاكيا أحد اعضائهِ وهي دولة صناعية — اصبح لمصنوعات تشكوسلوفاكيا ميزة ظاهرة على مصنوعات المانيا وايطاليا في اسواق البلدان الزراعية . وهما لذلك تقاومانهِ . وتزداد المسألة تعقداً اذا عرفت رغبة المانيا الملحة في الاتفاق مع النمسا بل الاتحاد بها ، ونزعة المانيا وايطاليا الى النظر في تنقيح المعاهدات وهو عمل تقاومهُ فرنسا وحلفاؤها . فالعقدة الاقتصادية الاوربية مرتبطة بالعقدة السياسية ، ورغم عهدة الدول الاربع وانقشاع بعض الغيوم التي كانت ملبدة في جوّ اوربا في مايو الماضي ، ما تزال الدرب الى الانتعاش الاقتصادي مبهمة على الروّاد

شروط الاصلاح

ان المصاعب التي خلّفتها الحرب الكبرى ، والمصائب التي نشأت بعيدها عن معاهدات الصلح ، تقف حائلاً دون كلّ محاولة غرضها اصلاح النظام الرأسمالي واقامتهِ على اساس راسخ . ومع ذلك فليس بالامر العسير تعيين الخطوات التي يجب ان تخطوها الامم نحو ذلك الغرض . فالخطوة الاولى هي اعادة النظر في مشكلة الديون الدولية — والمقصود هنا بالديون الدولية مال التعويض وديون الحرب والديون التجارية الخاصة والعامة التي عقدت بعد الحرب — وقد زادت فداحة اعبائها بهبوط اسعار العروض زيادة جعلت الدول المدينة عاجزة عن حملها . ولعل افضل طريقة لمعالجة هذه المشكلة هي تقسيمها الى مراحل فينظر اولاً في مال التعويض وقد تمَّ ذلك في مؤتمر لوزان في صيف ١٩٣٢ اذ خفض باقي المطلوب من التعويضات الالمانية الى نحو ١٥٠ مليون جنيه . ثم النظر في ديون الحرب ثم التدرّج الى تسوية كلّ الديون الدولية العامة والخاصة

وكلُّ حلٍّ لمشكلة الديون يقتضي موافقة اميركا عليهِ، لان مطاف الديون من مال التعويض الى ديون الحرب، ينتهي في الغالب اليها. ولكن السواد من الاميركيين ما يزال يجهل مقام الديون الدولية في اقلاق التبادل المالي والتجاري، وهم لا يرون فيها الاّ ديوناً عقدت لامم بصكوك موقعة، وانها اذا لم توفَّ هذه الديون وقع عبء توفيتها على دافع الضرائب الاميركي. لذلك تعجز كل حكومة اميركية عن ان تتساهل في حلّ مشكلة الديون الاّ اذا أمكنها الحصول على تعويض يفهمهُ الشعب الاميركي. ولعلَّ الامر الوحيد الذي يستطيع ان يؤثر في نفوس الاميركيين، هو تعهُّد دول اوربا بالوصول الى اتفاق معقول في خفض السلاح، يضمن انها لا تبدّد الاموال التي تتخلى اميركا عنها في اعداد معدّات الحرب. فمشكلة الديون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمشكلة نزع السلاح. ومؤتمر نزع السلاح ما يزال بطيئاً يتردد بين خفض السلاح وضمان السلامة. ففريق يقدم الاول على الثاني، وفريق يصرُّ على ضمان سلامتهِ بمعاهدات تعقد وتوقّع قبل ان يسلم بخفض سلاحهِ. فاذا اتيح لمؤتمر نزع السلاح ان يصل الى نتيجة يصحُّ الاعتماد عليها، بعد الموافقة على اقتراح مكدونلد، وتصريح اميركا الذي يخرجها من عزلتها الدهرية، تمهدت الطريق الى قسطٍ من التعاون الاقتصادي. وعندئذ لا تتأخر أميركا عن النظر في خفض الديون او الغائها، لان ما تربحهُ اميركا، اذا تمَّ ما تقدَّم، يفوق اضعاف ما تخسرهُ اذ خفضت الديون التي لها خفضاً كبيراً (١)

على كلٍّ لا بدَّ من البحث في هذه المسألة قبل ١٥ دسمبر القادم وهو الميعاد الذي تستحق فيهِ الاقساط التالية. وقبول روزفلت من الدول المدينة التي سدّدت اقساطها السابقة، وتسليمهُ بأن لا توفي من الاقساط المستحقة في ١٥ يونيو الماضي إلاجانباً يسيراً منها علامة على اعترافها بها، يدلُّ على ان الحكومة في وشنطن، اذا لم يخرج زمامها من يد روزفلت، قد تتمكن من اقتراح حلٍّ معقولٍ، او قبول حلٍّ معقول. واميركا بين أحد امرين، فاما ان تخفض حواجزها الجمركية حتى تمكن مدينيها من اصدار بضائعهم الى اسواقها فيوفوا بذلك ديونهم او ان تلغي الديون او ان تسكت عن عدم توفيتها

ولكن المسألة لا تنتهي عند هذا الحدّ. فمعظم المال الذي عقد قروضاً تجارية خاصة بعد الحرب كان مالاً اميركيًّا وبريطانيًّا. وهذه الديون التجارية لا بدَّ من الاتفاق على نقصها في سبيل عودة الرخاء لانها تجري مجرى مال التعويض وديون الحرب في اقلاق الحال الاقتصادية العامة. ولعلَّ أفضل طريقة لخفض هذه الديون هو السعي الدولي المشترك لرفع الاسعار. لانهُ اذا ارتفعت الاسعار قلّت الديون، واصبح عبؤها محمولاً

وحلُّ مشكلة الديون يقتضي ان يصحبهُ اتفاق على خفض الحواجز الجمركية وتثبيت اسعار

(١) جاءت الانباء ونحن نكتب هذه السطور ان مؤتمر نزع السلاح قد اجل اجتماعه الى ١٥ سبتمبر اذ لا فائدة من اجتماعه قبل الوقوف على نتائج المؤتمر الاقتصادي وهذا يزيد المسألة تعقيداً

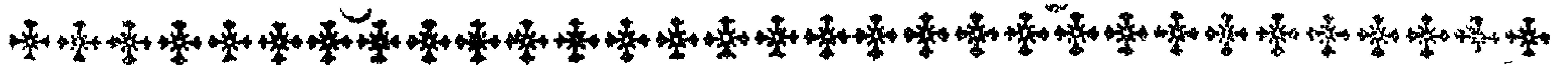
النقد . وكلاهما من آثار الاضطراب الذي احدثتهُ الديون في توزيع الذهب

فقد كان الذهب قبل سنة ١٩٢٨ موزّعاً توزيعاً نسبيًّا عادلاً . وكانت القروض التي عقدت في اميركا وانكلترا ، تمكن الدول المدينة من توفية ديونها بالاعتمادات التي تفتح لها بمقتضى هذه القروض . فلم تضطرّ في يومٍ ما ان تخرج الذهب من خزائنها لتوفي بهِ قسطاً من دين او فرقاً بين صادرها ووارداها . فلما حلّقت الاسعار في بورصة اميركا الى مستوى غير طبيعي وصار جني الربح بالمضاربة امراً مؤكداً ، كفّ الناس عن شراء سندات القروض الاجنبية لكي يثمروا اموالهم في البورصة . فلما انهارت الاسعار ، حاول اصحاب الاموال المثمرة في البلدان الخارجية ان يستردوا ما يمكن استرداده منها . فعجزت الدول المدينة عن الحصول على الاعتمادات التي توفي بها ما عليها . فاضطرت ان تسددهُ بالذهب . فلما رأت المخزون من الذهب عندها يذوب بين يديها عمدت الى تحديد المبالغ التي تخرجها لتسوية الصفقات الدولية . ثم خرجت عن قاعدة الذهب . فسقطت اسعار نقدها . ثم رفعت حواجزها الجمركية لكي تقلل الوارد اليها. واصبحت بعد خروجها عن قاعدة الذهب قادرة ان تنافس بمصنوعاتها مصنوعات البلدان الاخرى الباقية على قاعدة الذهب . فاضطرت هذه البلدان ، وغيرها من البلدان الدائنة ان تثأر لنفسها ، برفع حواجزها الجمركية وتحديد الوارد من أصناف معينة او من بلدان معينة (الكوتا Quota) وكل هذا افضى الى هبوط اسعار العروض فنشأ عن ذلك المنافسة في خفض الاسعار للمزاحمة في الاسواق الدولية وسد المنافذ لعروض البلدان الاخرى برفع الحواجز الجمركية والوسائل الاخرى وهز الثقة العامة لاضطراب اسعار النقود وتقلقلها. فهبط مقدار التجارة الدولية من نحو ١٤ الف مليون جنيه سنة ١٩٢٩ الى ٥ آلاف مليون جنيه سنة ١٩٣٢ وهو ادنى ما بلغتهُ التجارة الدولية بين سنتي ١٩١٠ و١٩٣٢

ولما كانت الامم الزراعية ، والصناعية تتنافس للاستئثار بالاسواق العالمية ولما كانت المقادير التي تخرجها الحقول والمزارع ، والعروض التي تصنعها المصانع ، تفيض عن الحاجة وجب على الامم الوصول الى اتفاق على توزيع الفائض من الانتاج الزراعي والصناعي في كل بلاد . وهذا لا بدَّ منه اذا اريد جعل الاسعار مستقرة بعض الاستقرار . وقد ابدت حكومة اميركا رغبتها في استطلاع رأي الحكومات الاخرى في ما يتعلق بتحديد مساحة الحقول التي تزرع حنطة. وقد عهد الى احدى اللجان الفرعية في المؤتمر الاقتصادي العالمي في درس هذا الموضوع

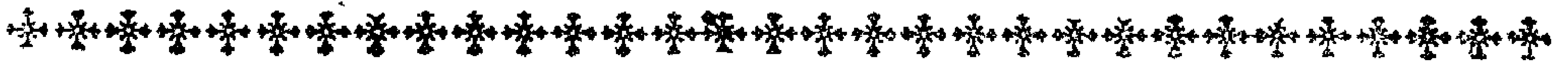
ولا بدَّ من الاتفاق على تشجيع عقد القروض الدولية، ضمن حدود معينة. فهذه القروض كانت من عوامل الرخاء قبل سنة ١٩٢٩ لانها مكنت الامم المدينة من تسديد ما عليها من دون اخراج الذهب من بلادها — ومن تثبيت النسبة بين الفضة والذهب لان ذلك يزيد مقدرة الصين والهند الشرقية على الشراء وهما نحو ٨٠٠ مليون من الناس

ان هذه المقترحات يشدّ بعضها بعضاً ، فالاتفاق على بعضها دون البعض الآخر لا يكفي



لامرتين في ربوع الشرق

هي ترجمة المحاضرة التي القاها ماريوس بك شميل في الحفلة التي احياها النادي الكاثوليكي للشبيبة السورية في فندق الكونتنتال مساء ٢٢ مايو سنة ١٩٣٣ برآسة شاعر القطرين خليل بك مطران وذلك احتفاء بمرور مائة سنة على زيارة لامرتين للشرق وقد حضر الاحتفال جمهور كبير من نخبة المصريين والسوريين يتقدمهم مندوب المفوضية الفرنسية ومندوب وزارة المعارف المصرية. والترجمة بقلم الاديب عادل الغضبان



قد يكون من الاساءة إليكم ايها السادة ان احاول تعريفكم بلامرتين قبل الوصول بهِ الى الشرق. فحسبي ان أنقل لكم ما ذكره عنهُ جول لومتر في ختام البحث الذي خصَّه بشعره في كتابه « المعاصرين » حيث قال : « ان لامرتين هو أعظم الشعراء ان لم يكن أنبغهم » أضيفوا الى هذا ما كتبهُ عنهُ الناقد المشهور لويس فيو بعد وفاة لامرتين بايام قلائل قال: «ان لامرتين منذ اكثر من عام لم يكن بين احياء هذا العالم فلم يفعل الموت بهِ الاّ انهُ أقفل نعشه حتى لكأنهُ احتاج الى زمن طويل لكي يستطيع ان ينقل بقايا هيكل كان عظيماً »

وخلاصة ما فاه بهِ هذان الناقدان ان لامرتين كان رجلاً عظيما وشاعراً عظيماً وحديثي الليلة معكم مقصور على سياحته في الشرق ولذلك فاني لن احجم في تصوير الرجل كما كان عن ان أوقفكم على آيات من نثره وشعره بالقدر الذي يسمح لي بهِ وقتكم

كان لامرتين أعظم شاعر حطمت قلبه الاحزان والحسرات ولعل سبب رحلته الى الشرق هو ذلك الحزن الذي كان مستعر اللهب بين ضلوعه لوفاة وحيده في باريس عقب عودته من لندن وكان قد ذهب اليها مستشفياً بصحبة والده . لم تمنع هذه الضربة القاضية لامرتين من ان يفكر في رحلته الى الشرق مصطحباً ابنته جوليا العليلة راجياً لها ان تلقى في بلاد الشمس المشرقة والنسيم العليل ما لم تلقه في بلاد الضباب . اما حبه لابنته جوليا فقد كان حبًّا يقارب العبادة وهذه قصيدته المشهورة في رثائها قطعة من فؤاده نظمها آيات من الشعر في البكاء عليها والتفجع على غصنها الذابل. وقد يكون الدافع الحقيقي الى زيارة الشرق هو كون لامرتين شرقيًّا بطبعه فلبيّ داعي الحنين الى الشرق واصغاءه على ما ذكرهُ جول لومتر في هذا الصدد قال :—

«ان لامرتين شرقي كاكثر رؤساء الشعوب فهو كباقي افراد اسرته كابراً عن كابر طويل القامة اسود العينين اقنى الانف مرتفع بطن القدم

« وقد نشأت اسرته في بلدة ماكوني وهي لا تزال عربية حتى ايامنا هذه . ولقد جاءَ في مذكرات كوندي انهُ في سنة ١٥٧٢ عرفت هذه البلدة رجلاً يسمى ألاَمرتين وهذا الاسم

مركب لا شك من كلمة الله ولامرتين فيستدل من هذا على شرقية هذه الأسرة »

ومهما يكن في كلام جول لومتر من اعمال الفكرة لاثبات شرقية لامرتين فمن منا لا يرضى بهِ ولا يقبل ان يكون لامرتين واحداً منا. اما هو فقبيل إبحاره من مارسيليا ذكر السبب الذي حداه على زيارة الشرق فقال :

«لم اسمع صيحات الشعوب يتجاوب صداها في ارجاء ذلك الارز الخالد لم ار من فوق ذرى لبنان تلك العقبان تصطدم بقبة السماء وهي في اعالي قصور صور الشاهقة لم يتح لي أن أرى تدمر التي ليس لها اليوم الآ صدى اسمها كذلك لم ارسل صوتي في جوف مملكة ممنون الخالية الخاوية »

كل هذا اراد الشاعر ان يراه كما كان يحلم دائماً ان ينظم ملحمة يلهمهُ بها الشرق ولم يكن احب على قلب هذا الشاعر من ان ينقش على قلبه هذه الكلمات الثلاث : الله والحب والشاعر

في الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين من يوم ١١ يوليو سنة ١٨٣٢ أقلع المركب السست Alceste بلامرتين وزوجته وابنته جوليا يصحبهم ثلاثة من اصدقائه وهم اميديه دي پارسڤال Amèdèe de Parseval والمسيو دي كاپماس M. de Capmas والطبيب دي لارواييـر Dr. de la Royère . ليس السفر بالمراكب الشراعية مثل السفر بالمراكب البخارية ولذلك اضطرت الرياح المعاكسة مركب هؤلاء المسافرين الى الوقوف وقتاً طويلاً فكأن القضاء قدّر للامرتين ان يحذو حذو اوميرس وورجيل وان يستسلم استسلام عولوس وقد ذهب يبحث عن محبوبتهِ ايتاك وما ايتاك لامرتين الآ الشرق الذي يسعى اليهِ ليجلو عبقريته ويترك لهذا العالم عالم الظلمات والشك والمآسي ثروة تغذيه وتنفح فيه روح الشباب مدة قرن كامل . ذهب لامرتين الى الشرق طابعاً على غرار نابليون ولكنهُ ذهب لتثبيت مجده ان لم يكن في سبيل الحصول على مجد جديد

بقي المركب الشراعي يتنقل بركابهِ بين جزيرة كالبسو ومالطه وبلاد اليونان واقريطش ورودس حتى حاذى في آخر اغسطس شواطىء كارامانيا وقد بدت لركابه القمم العالية البيض التي ذكّرتهم بجبال سويسرا . وفي اثناء مرورهم كانت تبدو لهم وجوه نساء حسان جلسن في ضوء القمر على سطوح المنازل فرأوا في عيونهنّ عيون نساءِ ايطاليا ولكنها أكثر عذوبة وحياءً وحناناً كما رأوا في قدودهنّ قدود نساء الاغريق ولكنها اكثر لياناً وفي جباههنّ العريضة جباه حسان بلاد الشمال . وفي ظهر يوم ٢٧ اغسطس وصلوا الى قبرص وفي ٥ سبتمبر بعد ان قضوا ٥٦ يوماً في عرض البحار بدا لهم لبنان بجبالهِ البيض العالية تتوّجها قمم صنين المرتفعة حوالي ٣٠٠٠ متر فوق سطح الارض فاخذت لامرتين نشوة من السرور لا توصف رجا بها ان تعود الصحة الى ابنتهِ جوليا اذا ما استقرّوا في هذه البلاد الجميلة الساحرة سنة او سنتين . وفي الساعة التاسعة من صباح يوم ٦ سبتمبر رسا المركب في مرفأ بيروت وهي مدينة قائمة على مرتفع من الارض تغسل اقدامها مياه البحر الابيض المتوسط فبدت لهم منازلها

الحمرا المنسقة وقد امتد الى شرقها سهل خصيب واسع ينتهي عند سفوح سلسلة من جبال لبنان . اما الميناء فيكتنفهُ لسان من الارض عند عنهُ عصف الرياح وعلى امتداد الشواطىء المجاورة قامت أشجار الخرنوب والتين والبرتقال والرمان الى مجموعة من الشجيرات التي يجهلها ابناء الغرب وهنالك على اول نشز من الارض قامت أشجار الزيتون وعلى بعد فرسخ من المدينة تبتدىء سلسلة جبال لبنان بالنهوض فاغرة افواهها تسكب منها الانهار هذه تذهب الى صور وصيدا وتلك الى طرابلس واللاذقية والقمم اللامعة التي يغطيها السحاب تشبه قمم جبال الألب الدائمة الجليد

كان لامرتين يحمل كتب توصية لقنصل فرنسا ببيروت المسيو جي ولكن اتفق ان كان المسيو جي متغيباً عن بيروت في ذلك الحين فاستضاف لامرتين واصحابه المسيو جوريل مترجم القنصلية . ولقد أثرت في قلب لامرتين تلك المناظر التي شاهدها لاول وهلة بعد سفر طويل عاصف . فانها لساعة ممتعة تلك الساعة التي يصل فيها المرء بعد سفر مضن شاق لا يشبه ابداً أسفارنا التي لا تستغرق في هذه الايام اكثر من ثلاثة أيام او اربعة على تلك القصور العائمة من مثل شامبوليون واوزونيا ، أجل انها ساعة ممتعة عند ما يبلغ المرء بلاداً يجهلها فيأخذ يجيل الطرف حوله مبهوتاً كذلك كان تأثير البلاد التي وصل اليها لامرتين على ذلك المركب الذي ما برحت تتقاذفه الامواج في مرفأ بيروت المضطرب حتى قدر له ان يعود بجثمان ابنته بعد انتهاء الرحلة . وان امرءًا تطأ قدماه الارض بعد قضائه اياماً في عرض البحار لكالعليل الذي يقضي ايام النقاهة بعد مرض عضال قال لامرتين يصف اول يوم من وصولهم : —

« لقد قضينا ليلتنا في صفاء وغبطة ونحن في ضيافة مدام جوريل الحلبية الحسناء التي قد حافظت على اللباس الفاخر لنساء العرب من منديل يعصب رأسها الى صدرية مزركشة عُلّق في وسطها خنجر جميل وكان هذا اللباس الشرقي يزيد في جمالها وبهائها »

غير ان لامرتين لم يكن ليرى الحسن الاّ في ابنته جوليا فاسمعوه يقول : « لم أجد أجمل من ابنتي جوليا في لباسها الحلبي المؤلف من ثوب ذهبي مخطط تتفرع منه شُرُطٍ مزركشة محلاة باللؤلؤ ضمن سلاسل من الذهب هذا وقد استرسلت ضفائر شعرها على كتفيها واخذت تجيل الطرف بيني وبين امها مبتسمة ولسان حالها يقول ما اجملني »

سألت مدام جوريل لامرتين ان يخلد زيارتهم بتذكار ترسله الى ابيها بحلب فخلا بنفسه قليلاً ونظم القصيدة المشهورة التي عنوانها « عربية تدخن النرجيلة في بستان من بساتين حلب »

كان المنزل الذي اختاره لامرتين لسكنه في الحي الذي تقوم اليوم فيه مدرسة راهبات الناصرة وقد يكون كثيرات منكنّ ياسيداتي قد تلقين علومهنّ هنالك وهي تبعد مسير عشر دقائق عن البلدة ويكتنف الطريق المؤدي اليها سلسلة من الأشجار العظيمة الرامية بثمارها على رؤوس المارة . وكان المنزل وهو مؤلف من خمسة بيوت متفرقة تجمع بينها سلالم خشبية او

بعض ثغرات، يشبه مجموعة «فيلا» ايطالية على طراز تلك التي نراها على شواطىء لقورن

وصل لامرتين الى سورية بعد أشهر من افتتاح ابراهيم باشا الكبير لها وكان هذا القائد العظيم يكرم العلم والادب شأن جلالة مليكنا فؤاد الاول فما سمع بقدوم الشاعر العظيم حتى أمر كل القواد المصريين ان يحتفوا به ويكرموه الاكرام اللائق به وكان لامرتين إذ ذاك في ابان مجده فيما نشره من «التأملات» و«الانغام» وهو منذ سنة ١٨٢٩ عضو في المجمع العلمي حلَّ محل الكونت دي دارو . وبعد وصوله الى بيروت باربعة أيام زاره الحاكم المصري حاملاً اليه تحية سيده ورعايته طول مدة اقامته وكان لامرتين قد سمع بابراهيم باشا وعظمته وكانت الألسنة إذ ذاك تتناقل عنه الحكاية التالية :

لما دخل ابراهيم باشا بيروت وصار على مسافة قريبة من بابها اعترضت سيره حية عظيمة زحفت على الرمل حتى وصلت الى جواده فاجفل هذا وهرع بعض العبيد الحفاة الى ضرب الحية فاستوقفهم ابراهيم باشا باشارة منه ثم استلَّ سيفه وضرب به الافعى فشطرها نصفين وروى لنا لامرتين بعد هذا ان الحشد صاح صيحة اعجاب بشجاعة قائده الذي ابتسم واتم سيره متفائلاً بالنصر الذي ابتدأ بهذه الحادثة

اغتنم الامير الفرنجي (كما كانت العامة تسمي لامرتين) فرصة تمتعه برعاية ابراهيم باشا وذهب يزور اللادي استير ستانهوب في عزلتها في جون

كانت اللادي ستانهوب ابنة اخي وليم بت (الوزير البريطاني) . فبعد موت عمها لم تستطع ان تتحمل حياة الالم فهجرت انكلترا الى غير رجوع

جاءت الى الشرق وهي فتاة في ريعان الشباب تتمتع بقسط كبير من الجمال والفن والشجاعة والذكاء فاستقبلت استقبالاً حافلاً حيثما حلّت وكانت رحلتها الى تدمر عاصمة الزباء وإقامتها هناك مدة قد اكسبتها لقب ملكة تدمر . وبعد حوادث عدة اظهرت فيها من الشجاعة والاستخفاف بالموت ما لهجت بذكرهِ الالسن انقطعت بما بقي لها من ثروة في دير من اديرة جون كان حاكم عكا قد وهبها اياه. ود لامرتين بنفسه الشاعرة ان يزورها ولو قطع عليها عزلتها اما هي فكانت تأبى كل زورة تعكر عليها صفاء خلوتها غير ان شهرة الشاعر حملتها على ان لا تتأخر في استقبال زائرها. وكان ذلك في الساعة الثالثة في يوم من ايام اكتوبر سنة ١٨٣٢ فاستقبلته في منزل اشبه بوكر النسر تحيط به ظلمات لا يستطاع معها ان يستوضح قسمات ذلك الوجه النبيل. وما كاد لامرتين يصل حتى نهضت من مضجعها وخفت الى استقباله وكانت اذ ذاك في السنة السادسة والخمسين من عمرها الاّ انها ما زالت مشرقة الوجه وضاحة الجبين. ان المشيب يذهب بالنضارة والزهو ولكن الجمال اذا كان ممثلاً في القد الممشوق والقسمات المنتظمة والعظمة فهو يتغير مع العمر ولكنهُ لا يزول. تجاذب الزائر والمزور الحديث فكان من كلامها له :

كان يجول في خاطري ان كوكبينا صديقان وها اني ارى والبشر يفعم قلبي ان هاجسي لم يخطىء فان قسمات وجهك التي اراها ووقع خطاك الذي سمعته وانت تجتاز الممرّ كل هذا جعلني ألاّ اندم في قبولي زيارتك. ان لي مشاركة في علم الفلك فهل تريد ان انظر في مستقبلك

غير ان لامرتين الحكيم كان يخاف جداً من الحقيقة وكان يحب الحياة حباً جمّاً ولو انهُ كان يتمثل الموت في كثير من قصائده فخشي ان يتقلص عنه ظل السعادة في استماعه لعرافة ولو انها اللادي استيرستانهوب فقال : —

حاذري يا سيدتي اخشى إن انا استوضحت امر مستقبلي مخلوقاً من الناس ان ادنس هيكل الله الذي يخبىء لي هذا المستقبل . انا لا اعتقد الاّ بالله والحرية والفضيلة وليس غير الله من يملك الحقيقة اما نحن فلا نملك منها الاّ الايمان. ان المسيح الذي اومن به قد جلب للارض الدين القويم السمح الذي لم يعرفه من قبل ذكاء البشر فالدين يعرف بثماره ومبادئه فثمار المسيحية هي غير محدودة كاملة الهية فالدين نفسه اذن هو إلهي

قالت لكن اترى العالم في الاجتماع والسياسة والدين حسن النظام ألا تشعر ان في نفسك حاجة الى المنقذ المنتظر ؟ قال:

ليس من يشكو من النظام الاجتماعي والسياسي والديني شكواي منه ولئن انتظرت انت المهدي فاني انتظره مثلك بفارغ الصبر. اني ارى كما ترين في معتقدات الانسان القلقة في ظلام افكاره في خلو قلبه في هيأته الاجتماعية في كل هذه التقلبات السياسية ارى في كل هذا عناصر انقلاب شديد . ولكني اعتقد ان الله يظهر دائماً في كل ما يعجز عنه البشر . اعتقد بمنقذ مقبل ولكني ارى فيه المسيح الذي تنبأ عنه الله فأنا انتظره بشوق يفوق شوقك

قالت اعتقدْ كما تهوى فاني استشرت الكواكب فقالت لي انك شاعر وان لك كواكب عدة هي كلها متحدة على خدمتك واسعادك فستعود انت الى الغرب ولكن لن يطول بك المقام حتى ترجع الى الشرق فهو وطنك . انظر الى قدمك الى بطنها المرتفعة عن الارض ارتفاعاً يمر من تحته الماء فهي قدم العربي قدم الشرقي

وعلى هذا استمر حديثهما اللاذع الغريب بما لا طائل تحته فان اللادي ستانهوب شعرت بعطف شديد على لامرتين فخصته بضيافة شرقية كريمة وطافت به في انحاء حدائقها الجميلة اللابسة من وشي الطبيعة ثوباً سندسياً وقد انتشرت فيها رائحة الياسمين وازدانت ارجاؤها بالبرك من الرخام تنسكب فيها المياه كسيل من البلور وقامت الاشجار منبراً لكل انواع الطيور. وما زالا يطوفان حتى وصلا الى باب مغلق ففتحته وأرته جوادين من الجياد العربية الاصيلة كانت تقدر لهما وهي العرافة مستقبلاً باهراً ثم لما انقضى الليل ودَّعته بقولها : —

تذكر انك تارك صديقة منعزلة في لبنان ثم حيته وحياها بتحية عربية وخرج وزار لامرتين

بعد اللادي ستانهوب الامير بشير الكبير وقد احتفل اخيراً في بيت الدين بتذكار هذه الزيارة

ان الامير بشير هو لا شك بعد الامير فخر الدين اكبر حكام لبنان شأناً ولئن كان حذراً ذا دهاء وحيلة مثل لويس الحادي عشر فلانه اراد ان يجعل من لبنان بلداً كبيراً ولم يكن ذلك سهلاً في بلاد كسورية تتلاعب بها الاهواء الشرقية والمطامع الاوربية المختلفة الاغراض. فهو اول من عبّد تلك الطرق التي كانت دروباً للغنم والبغال فاستطاع الناس في عهده ان يتجولوا في انحاء الجبل بلا خوف. ذلك هو الشرط الاساسي لقطر يريد ان يتقدم. كذلك كان من العدل على اعظم جانب فقد ضرب على ايدي المستبدين من امراء الجبل ولعل احسن ما يسجل له بمداد الفخر ان لبنان على عهده كان ملجأً اميناً لضحايا الدين والسياسة

اهتمّ الامير بشير مدة نصف قرن بالقيام بمنشآت سلفه ولقد اضطر اربع مرات الى ان يهجر لبنان فكان يرجع في كل مرة قويًّا شديد العزم وافر الهيبة . والامير بشير هو مثال صادق للامير الشرقي الذي يلقي في القلوب الروعة والهيبة والاحترام بدهائه وذكائه وقسوته حيناً وليانه حيناً آخر فاستطاع ان يضمن للبنان حياة رغيدة ولو انهُ اثار حفائظ الاحزاب المختلفة بعضها على الآخر . وكان في الاساطير اللبنانية يلقب بنابليون سورية حتى تنازل عن الامارة بعد مؤتمر اوربا سنة ١٨٤٠ فسمح له ان يعتزل الحكم في جزيرة مالطه التي انتخبها مقرًّا له ثم سار منها الى القسطنطينية فمات فيها سنة ١٨٥٠ وعمره ٨٧ سنة وكانت مدة حكمه ٥٣ سنة وذلك من سنة ١٧٨٧ الى ١٨٤٠ وهي مدة ما قضاها في الحكم حاكم قبله

كان الامير بشير في غضون زيارة لامرتين للشرق في ابان مجده قد اتخذ بيت الدين مقرًّا له وها نحن اولاء نتبع لامرتين في زيارته لهذا الامير العظيم

تقوم على جانبي الطريق سلسلة جبال يبلغ ارتفاعها ٣٠٠ الى ٤٠٠ قدم كأن باريء البشر قد فصلهما حديثاً بضربة من مطرقته

بعد مسير ساعة في هبوط وصعود يصل المرء الى ذلك القصر العظيم قصر بيت الدين بالقرب من دير القمر . يرى المشاهد هناك وادياً عميقاً واسعاً يفيض نضرة وخضرة وقد انتشرت على سطوح الجبال بعض القرى ثم اذا اتجه الرائي بنظره نحو الافق شاهد البحر من فوق قمم بعض التلاع

وفي بطن الوادي مرتفع من الارض يقوم عليه القصر العالي كانه أحد الابراج يحيط به صخور قد نبت بين شقوقها العشب الاخضر وقمة القصر تشرف بعظمة على بقاع بيت الدين . وكأني بالامير كان يعنى بالعظمة فحلى قصره بكل ما يدل على ذلك وجلب له المياه باقنية يبلغ طولها ثلاثة فراسخ اما فخامة اسطبله وعدد الصيد والقنص فيه فحدّث عنها ولا حرج فقد تناقلتها الألسن على انها أساطير لغرابتها

في زوايا القصر وداخله تتحدر عيون المياه وفي الصدر بعد سلسلة من الاعمدة الموصولة

بالحديد والزجاج يشاهد الداخل ببراً هائلاً قد أسند رأسه الى قدميه المشتبكتين ولا شك ان الامير قد استعار نظره الحاد من هذا الببر الجاثم على انه لم يقلق لامرتين

كان الامير جالساً في زاوية البهو على مضجع أحمر وهو شيخ جليل حاد النظر اغبر اللحية زاهي اللون تتدفق منه الحياة وكان مرتدياً ثوباً أبيض ومتمنطقاً بنطاق من الكشمير وقد ظهرت بين طيات ثوبه قرب خصرهِ قبضة خنجر طويل عريض محلى بباقة من الالماس في شكل برتقالة. وكان لامرتين قد قدر في الامير ثقافة ومعرفة بالامور وذكاء في تصريفها قد يندر في ذلك العهد ان تجتمع في امير شرقي. وكان قد عقد لهُ قبيل ذلك على حسناء تبلغ من العمر ١٥ سنة وكان هو إذ ذاك في التاسعة والستين من عمرهِ وعلى زعم لامرتين انه كان في الثانية والسبعين ولكن لامرتين لا يُسأل عن التدقيق وانما يسأل على الوحي والالهام. غير ان هذه الحسناء قد يكون عمرها ٢٠ سنة اذا اتبعنا قاعدة اجدادنا في معرفة السنين من ان سنة المرأة ١٥ شهراً

استقبل الامير بشير لامرتين استقبالاً فخماً فطاف واياه على كنوزه في قصره الملكي حتى خيّل للشاعر الفرنسي انه يطوف في قصر من قصور الف ليلة وليلة وبعد حديث طويل اعجب فيهِ لامرتين بحكمة الامير ونبله دعاه هذا الى مرافقته الى قاعات الحمام

لن أصف لكم ايها السادة هذه القاعات فانتم تعرفونها فهي ككل حمامات الوجهاء في الشرق. وكأني بالامير اراد ان يغرق في اكرام لامرتين فدعاه الى الاستحمام معه هو ورفقته غير ان لامرتين تنحى بلطف عن هذه الدعوة لانهُ رأى فيها مظهراً من مظاهر الحفاوة التي اراد الامير ان يخصه بها. وانتهى بلامرتين المطاف الى اسطبلات الامير يسمع منها صهيل الجياد العربية الاصيلة ومن لم يزر هذه الاسطبلات او اسطبلات دمشق فلا يعرف شيئاً عن الجواد العربي ومن فاته ذلك فليقف عليهِ في قصيدة لامرتين التي يصف فيها الجواد «سلطان» وهو الجواد الذي اشتراه لامرتين لابنته جوليا وكان آخر نزهة قامت بها عليهِ نزهتها في انحاء القديس ديمتري

رجع لامرتين الى بيروت في ٧ نوفمبر واستطاع في مأدبة أدبها بعض قناصل بيروت ان يرى ابناء الامير بشير نزلوا الى بيروت بأمر من ابرهيم باشا لخضد شوكة من يحاولون شق عصا الطاعة. قال لامرتين يصفهم:

«ان هؤلاءِ الامراء ولاسيما البكر هم عنوان على الحضارة الشرقية التي هي في مستوى حضارتنا بل هي أقدم وانقى مورداً واكمل اصلاً فانهُ يبدو لعين الرأي النزيه ان ليس هنالك فرق بين ما عندنا وعند الشرقيين من نبل وقسوة حكيمة في التقاليد والعادات فنحن قوم حديثو الحضارة خرجنا من حضارات قاسية ضخمة ناقصة اما هم فتشعر عند رؤيتهم انهم ابناء بيت أصيل وحفدة قوم عرفوا منذ القدم بالحكمة والفضيلة»

علينا نحن الشرقيين ان لا نؤخذ بجمال هذا المدح وان لا ننتشي برحيقهِ المسكر فقد يحتاج

الى تحقيق وامعان نظر . اما الاسرة الشرقية والفتاة الشرقية فقد وصفها لامرتين بما يأتي :

« الاسر القاطنة في سفوح الجبال ليس فيها أثر من الوحشية . والقروي منهم أعلم من القروي في اريافنا فضلا عن انهُ الين عريكة وا كثر مسالمة واقدر على العمل وأصبر. وكثيراً ما رأيت في الحقول وجوه نساء وفتيات ماكان رافائيل ليراها في احلامه الفنيَّة »

لم يخطىء الشاعر الذي يقول في وصف سورية

« ان بلادي هي الارض التي ينبعث السحر من عيون غاداتها اللواتي يشبهنَ العذراء في جمالها الخالد »

سُحر لامرتين بكلّ شيء رآه في ربوع الشام فلا عجب ان نقرأ في « هبوط ملاك » كل الانغام السحرية التي استلهمها لامرتين من لبنان وأهداها اليهِ. وصف لنا لامرتين جمال جبال القديس ديمتري ونهر بيروت يوم كان يتنزه مع ابنته جوليا في تلك الانحاء فلما جابه تلك المحاسن الطبيعية الخلاَّبة لم يستطع الاّ ان يصيح باعجاب

« اللهم ما اعظمك ان في كل بقعة من هذه البقاع شعاعاً تعكسه تلك المرآة التي تصور فيها نفسك »

طالما رددت الافواه صيحات الاعجاب والدهش امام جمال الطبيعة فما بالك بالمنبع البعيد الغور اللانهائي الذي يفيض بذلك الجمال . شاركت لامرتين ابنتهُ جوليا في اظهار ذلك الاعجاب فلم تتمالك هي ايضاً ان صاحت قائلة « ما اكرم الله الذي قدر لي ان اشاهد هذه المظاهر من الجمال »

والحق لا يظهر صريحاً نبيلاً الاّ على افواه الاطفال ولكنها كانت النزهة الاخيرة التي قام بها لامرتين مع ابنته جوليا التي يحبها حبًّا يقارب العبادة. ففي ٦ دسمبر سنة ١٨٣٢ في ذلك الوقت الذي كان يخيل فيهِ الى لامرتين ان ابنته جوليا متمتعة بالصحة والعافية لفظت روحها بين يدي والديها في المنزل الذي اختاروه في ضاحية من ضواحي بيروت حيث ظنوا انهم يجدون فيهِ اسباب السعادة والهناءة. وفي شهر مايو من السنة التالية سار المركب ألسست Alceste الذي جاء بهم الى بيروت في سبتمبر سنة ١٨٣٢ يحمل الى فرنسا جثمان الفتاة المحبوبة حيث دفن في مدفن العائلة في سان بوان. اما لامرتين وزوجته التاعسان فقد عادا الى فرنسا في الوقت نفسه على المركب لاسوفي La Sophie

كذلك اراد الحزن والاسى ان يظل لامرتين متعلقاً بالشرق وطنه الثاني

قلت لكم ان لامرتين كان يظهر اعجابه حيثما حلّ واينما اتجه سواء كان ذلك فيما كان يراه من جمال وروعة او فيما يقف عليه من اخلاق الناس. واذا رغبتم ان تطلعوا على رأي لامرتين في الطائفة المارونية التي يرعاها في هذه الآونة شيخ بكركي الجليل فها كم ماقاله في هذا الصدد:

« ان الشعب الماروني يؤلف شعباً منفرداً في كل الشرق رجاله طوال القامة وسام الطلعة لهم نظرات تدل على الصراحة والفخر وابتسامة حلوة فطنة عيونهم زرق وانوفهم قني ولحاهم

شقر وحركتهم نبيلة وصوتهم خطير وعاداتهم تدل على التهذيب والادب فكأنهم جالية اوربية رماها الدهر بين قبائل الصحراء . على ان قسماتهم عربية وان من يمر بقرية من قراهم ويرى الشيخ جالساً امام داره ويسمع صهيل جياده ويشاهد اعيان القرية تحيط به وهم لابسون اغلى ثيابهم وعماماتهم ومتقلدون خناجرهم لا يشك الاّ انهُ امام شعب متحدر من سلالة الملوك

«ان الموارنة هم ابطال شجعان ميالون بطبيعتهم الى الغزو والفتك كباقي سكان الجبل فاذا دافعوا عن جبلهم دافعوا عنهُ دفاع رجل واحد ولا مغالاة اذا قلت ان اللبناني هو شعب بنفسه»

يقال ان لامرتين تغنى شعراً بوادي حمانا وهذا خطأ فان اشهر قصائد لامرتين من مثل «التأملات» و «الانغام» نظمها قبل سفره الى الشرق ولم ينظم بعد عودته الاّ مجموعته المسماة «وحي الاستجمام» اذا استثنينا «جوسلان» و «هبوط ملاك» وليس في هذه المجموعة ما يدل على زورته للشرق الاّ قصيدة «الحسناء تدخن النرجيلة» و «القفر» و «سلطان: الجواد العربي» . اما وادي حمانا فان لامرتين قد وصفه نثراً وصفاً بديعاً سأذكر لكم شيئاً منهُ

لما رجع لامرتين من فلسطين وفجع في ابنته جوليا غادر بيروت في الثامن والعشرين من شهر مارس ميمماً بعلبك ودمشق ماراً ثانية بغابات الصنوبر حيث يلقى في كل خطوة يخطوها تذكارات مؤلمة . ويرجع عهد هذه الغابات غابات فخر الدين الى ما قبل القرن الثالث عشر وهي ذات مساحات واسعة غربي المدينة وعند سفوح الجبال

صعد لامرتين الجبل بحاشيتهِ المؤلفة من ٢٦ جواداً ومن ثمانية عبيد مشاة او عشرة كانوا خدمه وحراسه فمرّ بطرق صخرية صفرٍ منقطة بلون وردي تبدو للناظر اليها عن بعد انها متشحة بثوب بنفسجي وردي يسحر الالباب وليس ما يسترعي النظر في هذه الرحلة حتى بلغ حمانا. قال يصف هذا الوادي

« ان اروع منظر يستطيع المرء بهِ ان يرى بدائع صنع الله هو وادي حمانا فهو وادٍ يبتدىء بهوة مظلمة عميقة حفرت في قلب صخور مرتفعة تكللت بالثلج وهذا الوادي يمتاز بسيل من الزبد يتحدر من قمم الجبال ويخط في تلك الظلمة اخاديد متحركة ساطعة تعرض قليلاً قليلاً حتى ينسكب سيلها من شلال لآخر ثم يتجه فجأة الى المغرب ويسيل في وادٍ متسع مجتازاً ما يعترضه من بطاح وتلاع

« ما شعرت قط بجمال الجبال قبل رؤيتي لهذه البقعة المتشحة بجمال حزين خطير حلو يختلف عن جمال البحر وجمال السهول فهو جمال يقبض الصدر بدل ان يشرحه كأنهُ صورة للعاطفة الدينية في ايام المحن بدل ان يكون صورة لعاطفة الدين ايام الهناءة»

بعد ان غادر لامرتين حمانا وصل الى سهل البقاع ثم ذهب الى زحلة حتى وصل الى بعلبك في اواخر مارس سنة ١٨٣٣ . نترك الكلام هنيهة عن بعلبك وارز لبنان وننتقل مع الشاعر الى دمشق

حط لامرتين رحاله بدمشق في اول ابريل فتجلت لديه هناك صور الشرق بأجلى مظاهرها. يسوءني ان الوقت لا يتسع لي حتى اقضي معكم ومع الشاعر وقتاً طويلاً في هذه المدينة نستجلي بدائعها من قفرها الذي لا يدرك الطرف آخره وحواجزها الرخامية ما بين صفر وسود الى غابات مآذنها الى نهرها ذي السواقي والجداول التي لا تحصى الى بساتينها المزهرة الزاهرة الى قصورها ومنازلها وقراها . ان العالم كتاب وكل خطوة نخطوها في اسفارنا تقلب لنا صفحة منهُ والذي لم يقرأ منهُ غير صفحة واحدة فهو لا يعرف شيئاً كثيراً ولذلك يجدر بنا ان نقلب باقي صفحات هذا الكتاب السحري

لقي لامرتين في دمشق طبيعة جميلة ونساء أجمل مما رأى حتى وصوله اليها . ان للمرأة في دمشق قامة كاملة كما في التماثيل اليونانية ونظراً تنبعث منهُ الحياة كغادات سكان الجنوب وبساطة في الهيئة كما هي الحال في الشعوب الاولى فاذا اجتمعت هذه الشروط الثلاثة في وجه صبية حسناء منظم القسمات كاد جمالها يكون كاملاً

يشعر المرء ازاء هذا المنظر الجميل بعاطفة من الاغتباط ليست هي عاطفة الحب ولكنها عاطفة حب الذكاء حب الفن حب الابداع المجسم في عمل كامل واتفق للامرتين ان يجلس الى فتاة قد خصها الله بكل هذه المواهب في مجتمع من المجتمعات التي سارعت الى اكرامه والحفاوة به وكان الحفل غاصًّا بشعراء البلدة فتنافسوا جميعاً في التغني شعراً بجمال هذه الفتاة الحسناء فنظم لامرتين لهذا الغرض قصيدته المشهورة في حسناء دمشق . وكذلك كان لامرتين يتنقل من عجيب الى أعجب ومن جميل الى أجمل حتى وصل الى الارز فمنعته الثلوج المتراكمة من ان يدنو منه

كان لا بد للامرتين وهو في طريقه الى الارز ان يمر بطرابلس الشام في ١٤ ابريل فاستقبلتهُ هناك اسرة كاتسفليس المشهورة وهي أسرة يونانية الاصل يزاول افرادها التجارة فضلاً عن انهم قناصل روسيا في طرابلس ولا يزال الخلف منهم في الشام مثالاً يحتذى في الكرم والنبل والجمال

وصل لامرتين الى الارز الى أشهر ما جادت بهِ الطبيعة وتغنى بجمالهِ الكتاب المقدس والانبياء الذين كانوا يرون في الارز عدا القوة النباتية التي تجعله يعيش أبد الدهر ، نفساً على شاكلة الغريزة في الحيوان والذكاء في الرجل فكانوا يعتبرون الارز الهاً اتخذ له شكل الشجر

على ان هذا الشجر يقلُّ قرناً فقرناً ففي الوقت الذي وصل فيه لامرتين اليه لم يبق منه غير سبع شجرات يرجع عهدها الى العصور الاولى

وفي شهر يونيو من كل سنة يصعد سكان بشرى واهدن وماحواليهما الى الارز يسمعون القداس في ظلال الشجر . فما أجمل تلك الصلوات التي يرن صداها في تلك الغاب وما أجمل ذلك الهيكل المجاور للسماء. فاحبب بالارز الخالد الذي ظلل ويظلل اجيالاً مختلفة من الناس كلها

تدعو الله وتصلي للعلي بلهجات وعقائد مختلفة على انها كلها تشيد بذكره في أعماله المجيدة وتعبده في مجالي الطبيعة التي تظهر قوته وعظمته

ولما وصل لامرتين الى الارز كان ذلك حوالى ١٤ ابريل والشتاء لم يكد ظله يختفي فكان من الصعب جدًّا على لامرتين وحاشيته ان يقتربوا منه فظلوا مع الجهد الذي بذلوه على بعد ٥٠٠ او ٦٠٠ خطوة فلم يستطع ان يلمس بيده بقايا الطبيعة والدهور فساءهُ ذلك وآلمه

كنت اودُّ ان اتركَكم أيها السادة في هذا العلاء الالهي غير اني وعدتكم ان ارجع معكم الى بعلبك فلنرجع اذن الى ٢٩ مارس حيث كان لامرتين يجتاز قمم صنين الى ان انتهى بعد جهد ولأْيٍ الى قفر عين شمس

يمتد من ناحية الافق مجموعة خِربَ‍ٍ صفر القت عليها الشمس الغاربة حلتها الذهبية هي بعلبك المحبوبة بجدرانها الضخمة واعمدتها العظيمة

يعجز قلم الكاتب وريشة المصور ان يصف تأثير هذا في نفس مشاهده

في مجرى النهر بين الحقول في جذوع الشجر الباقية على الزمن في كتل الجرانيت الاحمر أو الاغبر في الرخام الابيض في الحجر الاصفر في قطع الاعمدة والتيجان المحلاة بالبارز من النقوش في القبب والعقود والقواعد في التماثيل والاعمدة التي رماها عصف الرياح والزلازل كل هذا يتمثل المشاهد بقايا مملكة عظيمة هي صدى الماضي وعلامة الفناء

جن الليل وضرب بخيله ورجله وبدا القمر في السماء الصافية من ذلك المكان فكان لذلك السكون المخيم اكبر الأثر في نفس لامرتين وهو بين انقاض عالم يخيم عليهِ الموت والفناء بين انقاض هي شهود خرس على ماض مجهول بين انقاض لا تجاريها اي انقاض اخرى في العالم بالقوة والعظمة لقد اوحت هذه الخرب الى لامرتين بقصائد قوية عظيمة توازي عظمتها وقد ختم احداها بقولهِ يتحدث عن نفسه

«لا اسمع وانا جالس على حافة هذه الهوة العميقة الاَّ صفير الرياح ينبعث منها الهزء والسخرية لقد اثقل الاسى كاهلي واحنى رأسي وضاق بهِ صدري فأصبحت وانا لا فكر لي ولا قلب »

ايها السادة : ان هذه الابيات التي ختم بها لامرتين قصيدته ما هي الاَّ نفثات شاعر لان لامرتين كان عليهِ ان يحيا ليذهب من سورية الى القسطنطينية ليذهب من قلبهِ الى فكره ففي سورية خلّف قلبه والقسطنطينية خصها بفكره . لقد عاش لامرتين بعد ذلك عمراً طويلاً وكان يحلم دائماً وهو رجل الدولة والخطيب المصقع في تحقيق اماني قلبه وفكره

ولا اخال الاَّ ان لامرتين لو عاش حتى هذه الايام لكان مغتبطاً مسروراً اذ يرى ان ما كان يضمره للبنان من آمال وأمانٍ قد تحقق ، واذ يثبت لهُ ان الشعب اللبناني فيما بذله من صبر وجهد وتضحية قد كوفئ او سيكافأ — على ما نتمناه لهُ — باستقلال مجيد سعيد تام

جرازيلا

للشاعر الفرنسي الفونس دى لامرتين

جرازيلا فتاة ايطالية من سكان نابولي كان أهلها صيادي سمك فقطن في منزلهم الفونس دي لامرتين في اثناء سياحته في البلاد الايطالية. وكان وقتئذ في الثامنة عشرة من عمره فاحبته الفتاة حباً تملك كل مشاعرها وتسلل الى سويداء قلبها . لكنه سلاها عند ما غادر ايطاليا عائداً الى موطنه تلبية لنداء أمه . فماتت تلك العاشقة حزناً وكمداً بعد شهور من فراقه . حتى اذا كانت سنة ١٨٣٠ اي بعد الحادثة باثنتين وعشرين سنة تذكرها وهو في احدى كنائس باريس يحضر جنازة فتاة تماثلها سناً . فبكى بكاء مراً . وتمثل له غدره وخيانته لتلك التي قتلها صده وبعاده . فيمم صوب ايطاليا وزار نابلي باحثاً عن قبر تلك التي ذهبت ضحية على مذبح انانيته حتى عثر عليه في مكان موحش فجثا على أديمه وبلل ثراه بدموعه مستغفراً عما جناه. ونظم هذه المرثية التي هي بلسم للجرح . وندى للقلب. وعطر الزهور التي تنبت على ارماس المحبين

على شاطئ البحر الخضم ، الذي ترتسم على صفحاته مباني سورانت[1]، حيث الامواج الزرق تنبسط تحت اقدام شجر البرتقال ، قبالة سياج الاجمة العطر ، اقيم نصب صغير ، لا رواء له ولا بهاء ، قد غطته الاعشاب ، ووارته الزهور ، فاختفى تحت اوراقها اسم الراقدة الذي لم يفكر فيه احد ، ولم يردده صدى

فاذا ما مر عابر سبيل ، واستوقفته عاطفة رأفة وحنان ، فأزاح بيده النباتات، مستطلعاً طلع ساكنة الرمس ، استعبرت عيناه ، وفاضت مدامعه ، فكفكف عبراته ، وعاود سيره آسفاً حزيناً ، وهو يتمتم: ستة عشر ربيعاً ! لم تستتمها ! لقد ماتت قبل اوانها

اجل ! ستة عشر ربيعاً غير كاملة ، عمر قصير الامد ، لكنه لم يسطع البتة على جبهة اجمل من هذه وابدع ، ولم ينعكس بهاء هذا الشاطئ المحرق ، في عين اشد صبابة ولا اكثر هياماً ، اني اراها وحدي ، كما تركتها الذكرى حية في النفس، حيث يبقى الشيء دون ان تنال منه يد الموت ، اراها حية كما كانت في تلك الساعة ، والفلك يسري بنا على متن الامواج ،

---

(١) مدينة في ايطاليا على خليج نابولي

وقد عاق نظرها بنظري ، فتكلمت عيناها ، وصمتت شفتاها ، مخافة ان يقطع الكلام اللذيذ هنائتنا وشعرها الاسود الفاحم ، مستسلم الى الهواء يحله ويداعبه ، وظل الشراع يتيه على خدها الجوري[1] ، وهي تستنشق عبير النسيم العليل ، فأشارت ببنانها الوردي الى القمر المتلألىء ، ثم الى زبد الماء الفضي ، وصاحت بتدلهٍ : « لماذا كل شيء يسطع في الفضاء وفي نفسي ، فهذا الحقل السماوي ، ذو اللون الازرق السمنجوني ، المزرع شهباً منيرة ، وهذا الرمل الذهبي حيث تتكسر الامواج ، وهذه الجبال التي ترتعد قنتها في اقصى الفضاء ، وهذه الخلجان المتوّجة بالغابات الهادئة الساكنة ، وهذه الاضواء على الساحل ، والاغاني على الامواج لم تهيج قط حواسي ، وتملأها لذة مبهمة ، وحبوراً خفيّاً ، مثلما فعلته الآن

« لماذا لم يذهب بي التأمل فيما مضى مذهبه الآن ؟ فهل اعترى حياتي حدثٌ رقق من شعوري ، ولطف من احساسي ؟ وهل بزغ في فؤادي كوكب ، مثل ذلك البازغ في السماء ؟»

***

وكانت عينها صافية نقية ، وشفتها طاهرة عفة ، وجفناها لم يكونا ليحولا بين نظرها المملوء عفافاً وقدساً ، وكانت السماء تغمر نفسها بالضياء ، وروحها اشبه بتلك البحيرة التي لا تجعّد سطحها نسمةٌ ، غير نسمة الشفوف والنقاء ، وجبينها البديع لم يصل اليه الهم ليسمه بميسمه ، فكل شيء فيها بطرٌ مرحٌ ، وهذا الابتسام اليافع ، الذي مات بعدئذ بحزن على فمها ، كان دائماً طافياً على شفتيها المنفرجتين كأنه قوس قزح نقيٌّ ، في يوم بهيٍّ ، ذي سناء ، وذلك الوجه الفتان لم يستره ظل ، ولم يحجبه حزن ، لان هذا الشعاع لم ينفذ بعد خلال الغمام

وكان صوتها الذي يحاكي رنين اكواب الفضة ، صدى نقيًّا صافياً لنفسها الطفلة ، وموسيقى لتلك الروح ، تنشد على قيثارتها اغاني العواطف ، فتسبي العقول ، وتأسر الافئدة وتبهج حتى الهواء الذي تصعد على جناحيه

لقد كانت صورتي هي الاولى التي حفرت في قلبها ، فتقبّلتها كما تتقبّل العين اول شعاع من ضوء النهار ، فتغدو لا ترى غير ذلك النور الذي فاض عليها ، فملأها من سنائهِ وضيائهِ ، فعند ما احبّت ، اصبح العالم كله لها حبًّا وصبابةً ، فامتزَجَتْ بي ، وامتزجتُ بها ، فنبذَتِ الماضي ، واشاحت بوجهها عن المستقبل ، ولم تَعُدْ تهتمّ إلاّ بالساعة التي هي فيها ، فتلاقٍ من تلاقينا الليلي هو كل مُنىَ نفسها ، بل هو حياتها وروحها وريحانها ، فكانت تستسلم الى الطبيعة الهادئة ، فتبتسم لها هذه ، عند ما تقوم بصلاتها الحارّة الورعة ، فتقصد صَوْبَ الهيكل المقدس ، حاملةً بيدٍ ازاهير التقدمة . وقابضةً بالاخرى على يدي ، فأسير معها طائعاً كطفل ، حتى اقف في أسفل الدَرَج ، فتُسِرّ اليَّ بصوتها الملائكي : « صلّ معي ، لترتفع

(١) نسبة الى الورد الجوري

نفسانا الى السماء ، لاني لا أصبُو الى جنة الخُلد ، ولا « اتمناها، اذا كانت خلواً منك »

***

غاب شخصي فارتعد كل شيء في اعماق تلك النفس ، وانطفأت تلك الشعلة مصعدة لهيبها المائت الى السماء، وتغلغل فيها دون ان يرجى له عود ، ذهبت تلك الحبيبة ولم تضن فؤادها بالتعلة والأمل، ذهبت ولم تنازع الآلام حياتها ، بل شربت كأس المرارة والاحزان نهلة واحدة ، فاغرقت قلبها في اول دمعة ذرفتها عينها ، فحاكت ذلك الطائر الذي اذا جنَّ ليله ، لوى عنقه تحت جناحه ونام ، فالتحفت باليأس الصامت ونامت هي ايضاً نومها الابدي، ولكن قبل ان يزرَّ غسقُ حياتها ، وتبدو طلائع ليلها

نامت خمس عشرة سنة في مرقدها الصلصالي : ولا احد يبلُّ بدموعه ثرى ملجأها الأخير ، فالنسيان السريع الذي هو كفن الميت الثاني ، قد غطى الممرّ المؤدّي الى تلك الحفرة ، فليس من يزور ذلك الحجر الذي محت نقوشه يدُ الزمن ، لا احد يفكر بها ويصلي لاجلها ، غير ذهني الذي علقت به كل ذكريات الماضي، فاذا ما صعدت على امواج ايامي السالفة ، وساءلتُ نفسي عن الذين رحلوا من هذه الفانية ، وطفقت عيناي على آثارهم العزيزة ، وبكيتُ في سماء حياتي ، على نجوم عدّة غارت وخبا ضياؤها ، كانت تلك الحبيبة اول الكواكب التي اندب خسوفها ، مع ان ضوءها الهادىء اللطيف ، لم يزل يُنير قلبي بنور التقوى والخشوع

***

نسيها الناس طُرّاً ، لكن الطبيعة لم تنسها ، فقد حلّت قبرها بشجيرة شائكة صفراء الورق ، يابسة العروق، امتصّت عصارتها رياحُ البحار ، واوقفت نموّها حرارةُ الشمس فدبّت على الصخر دبيباً، دون أن ترفع رأسها ، فأشبهت تلك الحسرة المميتة ، التي تتسلل الى القلب وتتأصّل فيه . ولا تزال تتغلغل في صميمه حتى تأتي عليه

فاذا ما اقبل الربيع ، وبسمت الطبيعة . نبتت على ذيّالك القبر زهرة بيضاء ، كأنها الثلج في نقائها ونصوعها ، فتحاصرها الريح ، وتضيّق عليها من كل جانب ، ولا يدور الفلك دورة او دورتين ، حتى تنتثر اوراقها ، قبل ان يُعطّر أريجُها الفضاء

فما اشبه هذه الزهرة بساكنة الرمس ، التي هُصرَ غصنها الغضُّ ، قبل ان تُبتهج الحياةُ فؤادها ، وتسرّها بنيل المُنى وإدراك الأماني . . . . ألا بالله خبريني أيتها الزهرة الذابلة ، هل لا يوجد مكان غير دنيانا ، تزدهر فيه الاشياء ازدهاراً ، لا يُصيبه ذبول ، ولا يعتريه أفول ؟؟؟

القاهرة جورج نيقولاوس



القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر



معرض المذاهب السياسية

الاشتراكية والبولشفية

﴿ الاشتراكية ﴾ : اول ما وضعت هذه الكلمة في معاجم اللغات الاوربية حوالي سنة ١٨٣٥ وضعها (روبرت اون) المتوفى سنة ١٨٥٨ وتتجلى البواعث التي ادت الى الاشتراكية بعض التجلي بالاشارة الى حياة هذا الرجل الانكليزي الغريب في اطوارهِ والى الاعمال اللذيذة الثمينة التي قام بها . فقد كان من كبار رجال الاعمال ولهُ مُحدَثاتٌ جمّة في صناعة غزل القطن تشف عن قدرة وذكاء متوقد ، وجمع ثروة لا بأس بها ، وقد رأى بام العين الشقاء المخيم على العمال في مصنعه في (مانشستر) وضياع شطر عظيم من حياتهم عبثاً فاخذ على عاتقه اصلاح حالهم وتحسين العلائق بينهم وبين مخدوميهم ، ومن سنة ١٨٠٠ الى سنة ١٨٢٠ ادخل من الاصلاحات على من كان في خدمته من العمال في مصنعه في (نيولنارك) وعددهم الفان ما يعد عجباً عجاباً . قال الكاتب اتش . جي . ولز [1] عنه انهُ خفض ساعات العمل تخفيضاً محسوساً وابطل تشغيل الاطفال وحسّن البناء من الوجهة الصحية وزاد في معارف العمال وتمرينهم العلمي العملي وخصص لهم راتباً يتقاضونهُ في اوقات البطالة وكساد الاسواق وانشأ المدارس الحديثة وذهب الى ان النساء والرجال هم ابناء البيئة التهذيبية التي يعيشون فيها ، ثم بفضل جهوده والدعاية الواسعة النطاق التي بثها اصدر البارلمان الانكليزي في سنة ١٨١٩ القانون المشهور باسم « قانون المصانع » وبموجبهِ لا يجوز لاصحاب المعامل ان يستخدموا الاطفال من سن التاسعة فما دون ولا ان تتجاوز ساعات العمل الاثنتي عشرة في اليوم ، ولكن اهل الجمود من اعداء التجديد والذين لا يحسبون حساباً للفقراء والذين لهم مصالح يخشون عليها من البدع التي ادخلها (اون) — ان هؤلاء جميعاً تربصوا بهِ واعدوا العدة لمحاربتهِ فلم يجدوا خيراً من اخذه بالآراء الحرة التي يدين بها مما يخالف النصرانية وعقائدها فحملوا عليهِ حملة كنسية قروسطية كان لها في تلك الايام السحيقة أثر سيء عليهِ

(1) The Outline of History p. 109

ومن الطف انتقاداته للعملة وتقلب اسعارها قوله اننا ما دمنا نؤدي ثمناً على الاعمال بعملة متقلبة فأملنا بالحصول على العدالة الاقتصادية لن يزيد على املنا بالحصول على دنيا نريدها مضبوطة في حين تتقلب ساعاتها تقلب الحرباء

ومن تجاربه انهُ حاول اصدار اوراق مالية تقدر قيمتها بساعات العمل لعقيدتهِ ان العمل هو القيمة الثابتة ، فهنالك ورقة مالية بساعة واحدة من العمل وورقة بخمس ساعات وورقة بعشرين ساعة . وقد تولدت من تأثيره المباشر وآرائهِ المبتكرة النقابات التي تملأُ الاوساط الاقتصادية في عصرنا هذا وربما بلغ اعضاؤها ثلاثين مليوناً او اربعين مليوناً من الخلق

وهذه الاشتراكية التي وضع اساسها العملي (روبرت اون) هي اشتراكية سلمية علّقت جميع آمالها على الذوق السليم في الناس بان ينهضوا ويعيدوا تنظيم المجتمع ويصلحوا ما فيهِ من عيوب سياسية واقتصادية واجتماعية . فهذا كما يرى القارئ مخالف لاشتراكية (ماركس) وما فيها من الاعتماد التام على الكره المتغلغل في صدور الصعاليك لاهتضام حقوقهم ولتجردهم من الاموال والاملاك واتخاذ هذا الكره قوة عنيفة دافعة لاحداث الانقلاب الاشتراكي المنشود . فهذه الاشتراكية العنيفة هي اساس الشيوعية التي تهدد النظم الحاضرة . وقد نجح (ماركس) في اذكاء نار الثورة الاجتماعية حتى ان تعاليمه ادّت الى تأليف عصبة من العمال من انحاء الارض وهي العصبة التي تسمى (الدولية الاولى) ويقال بالاجمال ان الصراع العنيف بين الاشتراكيتين — اشتراكية (اون) واشتراكية (ماركس)— انتهى بتغلب هذه على تلك كما هو ظاهر من ميل الاشتراكيين في انحاء الارض الى تنظيم حركة العمال لاتخاذها كما يدّعون سلاحاً ماضياً ينقذون بهِ النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية من ايدي محتكريها من اهل التملك الخاص

وتفرّق الاشتراكية الحديثة تفريقاً جليًّا بين التملك الشخصي والتملك الجمهوري ، ومدار حركتها ان تكون الارض وجميع الوسائل الطبيعية للانتاج والنقل والتوزيع بيد الجمهور ، وان يكون للفرد في ضمن هذه الحدود الشيء الكثير من التملك الشخصي والحرية الذاتية الطليقة

ولكن ليت شعري كما قال (ولز) من هو الجمهور الذي يستولي على هذه الثروة المشتركة؟ ايكون مؤلفاً من الملك وحاشيته ام من اهل المدينة ، من اهل المقاطعة ام من اهل المملكة من الامة ام من الانسانية جمعاء ؟ وهنا نجد الاشتراكية صامتة لا تحير جواباً . ثم اذا انكر الاشتراكيون على الفرد ان يدّعي حق التصرف في منجم من المناجم او في قطعة من الارض فكيف يسمحون لامة من الامم ان تحتكر المناجم او طرق المواصلات او الثروة الطبيعية في الارض التي تقيم بها وتمنع منها سائر العالم ؟

اما الشيوعية فهي الغاء التملك بتاتاً اي جعل جميع الاشياء ملك جميع الاشخاص

﴿ البولشفية ﴾ : ابتدأت الثورة الروسية في سنة ١٩١٧ بتفكك الجيش الروسي في الجبهة

الالمانية ورجوع افراده الى القرى والمدن يحرقون وينهبون ويقطعون السابلة الى ان ازل القيصر الضعيف عن عرش آل رومانوف وتبوأت الحكومة المؤقتة مقعدها في الحكم وعلى رأسها (كرنسكي) الرجل الاشتراكي الديموقراطي الوهمي الهستيري ولكن ما عتم ان اكتسحهُ البولشفيك بزعامة (نيقولاي لنين) فقبض هذا على ازمة الامور بيد من حديد ونشر على حكومات العالم منشوراً يعد اعظم تحدٍّ حازم ظهر منذ سنة ١٧٨٩ الى اليوم وفيهِ الدعوة الى فكرة صريحة في الحكم لم تكن معهودة من قبل

والواقع ان البولشفية او الشيوعية هي نظرية (ماركس) مفسرة تفسيراً ينطبق على الافكار والاحوال في القرن العشرين ، ومع ما كان عليه تلاميذ هذا الرجل الثائر من الاتفاق على أساس تعاليمه الاقتصادية فقد اختلفوا جد الاختلاف على مضامين هذه التعاليم العملية والسياسية. فالحزب الاشتراكي الدموقراطي الجرماني الذي يتفكك اليوم أمام الحملات الهتلرية الوطنية ومن حذا حذوه من الفرق ومنهم المنشفيك الروس اشتغلوا بتنظيم الأحزاب الاشتراكية البرلمانية واستخدموها عند سنوح الفرصة لتأييد الاصلاحات الاجتماعية، على ان تكون الغاية المنشودة الانتصار على الدولة انتصاراً تدريجيًّا وتحويل الرأسمالية على مهل الى الاشتراكية وذلك باتخاذ اجراآت تشريعية تبدل شكل الحياة في المجتمع شيئاً فشيئاً . لكن البولشفيك عرضوا تفسيراً آخر لتعاليم (ماركس) خلاصته ان الدولة الراسمالية لا يمكن انقاذها من القابضين على زمامها واستخدامها في المصالح الاشتراكية فلا بدَّ من سحقها اولاً ثم يتوجب على العمال بعد تتويج هامتهم باكاليل الظفر في هذا الصراع العنيف ان يخلقوا في محلها غداة ثورتهم دولة جديدة مختلفة في نوعها وروحها تكون سلَّماً لخدمة الاغراض البعيدة التي ينشدونها

بيد ان هذه الدولة الجديدة لا يمكن ان تكون في حدّ ذاتها اشتراكية او شيوعية بالمعنى التام لان فكرة «دولة اشتراكية» في نظر الرجل الاشتراكي القح هي فكرة يناقض بعضها بعضاً ، فالدولة في نظره اداة تستولى عليها طبقة من الناس كالطبقة الراسمالية لارغام طبقة أخرى كطبقة العمال. ولكن متى توطدت اركان الاشتراكية في العالم فارغام طبقة لاخرى يتلاشى من الوجود لانه لا تبقى ثمة طبقات بالكلية، بل الذي يستجد هو اداة لتسيير أمور الناس تدعى «الآلة الادارية»

غير ان الانتقال الى الشيوعية من بعد سحق الرأسمالية لا يتم دفعة واحدة بل لا بد من فترة تكون فيها السلطة قاهرة بيد « الصعاليك » فان هؤلاء مضطرون في الدفاع عن حوزتهم الى تنظيم صفوفهم ومحاربة « الرجعى » في بلادهم والقضاء على الرأسماليين قضاء مبرماً لا تقوم لهم قائمة من بعده واستئصال شأفة الطبقة التي كانت حاكمة بعد تجريدها من مالها ثم يأخذون في التمرن على المعيشة في نظام ليس فيه طبقات الى ان يكتسبوا العادات الاجتماعية والاشكال النظامية الضرورية لتسيير المجتمع الخالي من الطبقات . وتعرف هذه الفترة بفترة « استبداد

الصعاليك القاهر » وهذه الجملة هي مما كتبه (ماركس) نفسه وتنبأ به ويقول الشيوعيون ان الروسيا لا تزال تجتاز هذه المحنة منذ سنة ١٩١٧ الى اليوم

وعلى القارىء ألا ينسى ان المثل الاعلى الذي ينشده الشيوعيون من كل الانقلاب الذي يحدثونه هو عند التحليل النهائي لا يختلف في شيءٍ عن الاشتراكيين الا في هذه الفترة الاستبدادية الحاسمة ، فالشيوعيون والاشتراكيون متفقون على ان يكون التدرج هو من الحالة الرأسمالية التي نحن عليها الى الحالة الاشتراكية المنشودة بيد ان اولئك يطلبون ان يكون الانفصال بين الحالتين حاسماً مطلقاً وان يبنى الجديد من أسس جديدة مباشرة في بيئة مستحدثة قد هيأها العاملون للعقول بالعناية التامة وان يكون بناؤها بايدي دولة تتمتع بسلطان قاهر لا حد له وهي تعمل باسم طبقة الصعاليك ثم تزول من الوجود حالما يصبح الاصلاح الاشتراكي وطيد الاركان . وقصارى القول ان الشيوعيين يذهبون الى وجوب هذه الفترة الانتقالية بين سقوط الرأسمالية وقيام الاشتراكية تكون فيها طبقة الصعاليك ذات سلطان قاهر تتوسل الى تحقيق غايتها العظمى بدولة من صنع يدها

على ان الطبقة بمجموع افرادها لا تستطيع ان تملي ارادتها ولا ان تدير شؤون الحكم مباشرة بل لا بدَّ لها من وسيط يقف بينها وبين القوة الاجرائية يعني لا بدَّ لها من رأي عام منظم يمثل طبقة الصعاليك ويعبر عن افكارها ، وهذا والحق يقال هو وظيفة (الحزب الشيوعي) المفتَّح الابواب لكل صعلوك يشعر بطبقته ويظهر الاستعداد الكافي للاشتراك في الاعمال والتبعات الملقاة على عاتق الحكومة المستجدة . وما أشبه هذا الحزب الشيوعي بجمعية (الاتحاد والترقي) العثمانية وسيطرة مركزها العام على الدولة وعلى مجلس النواب . ويجري الدستور (السوفيتي) على خلاف القواعد الاساسية في الدموقراطيات النيابية — يعني ان حقوق الانتخاب وان كانت متسعة الاَّ انها حقوق محصورة في الطبقة العاملة ومحرَّمة على سائر الافراد التابعين للطبقات المستثمرة ، ويعد من هذه الطبقات المستثمرة اهل التجارات الخاصة والفلاحون الاغنياء بل الاطباء والمحامون . والقاعدة التي يتمشى عليها الانتخاب ان ليس « لكل فرد واحد صوت واحد » بل « لكل عامل واحد صوت واحد » تحاشياً من ان يتمتع الطفيليون والذين هم عبء على المجتمع بمثل هذا الحق الغالي . ولما كان الاقتراع في روسيا السوفيتية يجري علناً او « على المكشوف » فلا مجال كثيراً للرأي الفردي في انتقاء الافراد بل القائمة المسيطرة التي لا ترد هي قائمة الحزب الشيوعي . ويراعى في التمثيل جانب الصناع من أهل المدن دائماً لئلاَّ يغرقهم سواد الفلاحين الذين يملأُون السهل والجبل

وفي نظر الروس الحمر ان الاجراآت المتخذة لثل عروش التجار والفلاحين المتخومين ، وان الحملة المنظمة لجعل الزراعة مشتركة ، وان مشروع السنوات الخمس لتقوية الصناعة — وقد تجدَّد

حديثاً — كل ذلك خطوات ثابتة في الطريق الموصلة الى النظام الاشتراكي، ومتى توطد هذا النظام تصبح حكومة الطبقات عملاً لاغياً لان الاشتراكية تكون قد قضت على وجود الطبقات نفسها

ولا بدَّ لنا هنا من تنبيه القارئ الى أن الثورة الروسية في نظر الشيوعيين ليست نهضة وطنية محلية مستقلة غايتها احداث مجتمع اشتراكي في روسيا فقط وانما هي جزء من انقلاب عالمي لا تكون انتصاراتها وطيدة الاركان من غير تحقيقهِ والحصول عليهِ . وستبقى الدولة الطبقية في روسيا — وهي دولة الصعاليك — مادامت الرأسمالية في الخارج تهدد نظام «الاتحاد للجمهوريات الاشتراكية السوفيتية» بخطر الرجعى او ما دام في اية ناحية من انحاء الارض جزء من طبقة الصعاليك ينتظر ساعة الفرج ويوم التحرير . لاجرم ان زوال الدولة في البلاد الروسية تأخر الى اجل غير مسمى . وما العلائق السلمية التي عقدها الاتحاد السوفيتي بالعالم الخارجي الرأسمالي سوى انواع من الهدنة المؤقتة في حرب طبقية ستنتهي فقط في مجتمع تطمئن فيهِ الاشتراكية وتأمن على حياتها من الاخطار

ولا يألو الحزب الشيوعي جهداً منذ الآن في بناء الهيئات المتنوعة كالمتحدات او المؤسسات القائمة على الادارة الاقتصادية حتى اذا حان الزمن اصبحت عاملة من نفسها مكتفية بطريقتها من غير حاجة الى ادارة سياسية تشرف عليها . ومن هذه الهيئات ما يدعى «ترست» اي المتحدات التي تدير صناعات الدولة ومنها «اللجان التصميمية» وهي التي تضع الخطط العملية ومنها «المجالس الادارية» وهي التي تنظم الحياة الاقتصادية ، ومنها المتحدات التجارية والجمعيات التعاونية وهي النقابات ذات المقام المعترف بهِ في ادارة الشؤون ، فهذه الهيئات جميعاً هي ادوات الحكم الاجتماعي والغاية منها ان تحل محل الدولة الطبقية وادارة الصعاليك القاهرة وذلك عند ما تحل الساعة التي تخلف فيها الادارة الاقتصادية الحكومة السياسية

هذه بالاجمال هي الطريقة السوفيتية وما فيها من التقسيم الثنائي المبني على تمثيل الصعاليك تمثيلاً مزدوجاً في الادارة ، الواحد باعتبارهم الطبقة الغالبة في المجالس السوفيتية في المديريات والمقاطعات وفي مؤتمر الدولة العام والثاني باعتبارهم الطبقة الحاكمة في الحزب الشيوعي وهو مؤلف من النخبة المنتخبة من افرادهم ولهُ فروع منتشرة في طول البلاد وعرضها وما اشبه هذه الحالة بالحالة التي كانت عليها الدولة العثمانية عقب ثورة سنة ١٩٠٨ كما قلنا يوم تربع الاتحاديون على دست الحكم فكانت المجالس على انواعها — مجالس الادارة ومجالس الولايات ومجلس المبعوثان — مؤلفة منهم او من اكثريتهم من جهة وكان المركز العام للاتحاد والترقي من جهة اخرى مهيمناً على الحكومة مباشرة وهو يعين لها السياسة التي تسير عليها . ووراء ذلك قوة ثالثة هي قوة التنظيم الاقتصادي من نقابات ومتحدات ومشروعها الاقتصادي المسؤلة عن تنفيذه وهو مشروع السنوات الخمس ثم الايمان الملتهب بالقوة الكامنة في الشعب

وامكان استنهاضها الى العمل الدائم الذي لا ينضب

فهذا السعي لاستمالة الصعاليك واستثارة حماستهم وتوجيه اراداتهم شطر هذا النظام المستحدث وتأييده، ثم هذا الجد في حض الناس على العمل وعلى الصراع لتثبيت المجتمع الجديد وتوثيق عراه واحداث جماعة مؤلفة من وطنيين على اساس التساوي بدلاً من وطنيين ناخبين فقط — هذا كله هو الجوهر في الشيوعية اكثر من ذلك النظام الدستوري الجاف المطبق في الدولة الروسية

اما مشروع السنوات الخمس فقد ابتدأ في منتصف الليل من اول سنة ١٩٢٨ وانتهى في منتصف الليل من اول سنة ١٩٣٣ والغاية منه انعاش الصناعة والتجارة بتسخير ابناء البلاد في بذل الجهود مضاعفة على الانتاج والتوزيع وعمارة المباني العامة وفتح الطرق وما اشبه ذلك من الاعمال العمومية — يعني ان الحكومة السوفيتية ارادت الاسراع في تنظيم البلاد تنظيماً صناعيّاً اقتصاديّاً على حساب المعيشة العامة وانقاص مستواها فتحمل الروس ولا سيما العمال منهم في هذا السبيل ما كادت تنوء به ظهورهم لولا العقيدة المتأصلة في النفوس من ان ايمان الصعاليك يزحزح الجبال الراسيات . وذكرت الصحف ان البلاشفة لم ينجزوا مما وعدوا في هذا المشروع الذي جدّدوه سوى سبعين في المائة وان هم اعلنوا في مشارق الارض ومغاربها ان نجاحهم كان مائة في المائة . وهم لم يعدموا مع ذلك منتقداً مثل المستر (بتريك مرفي) يقول لهم في (الصنداي اكسبرس) مستهزئاً ان روسيا السوفيتية « حوّلت صناعتها من فوضى متفرقة عقيمة الى فوضى مركزية منتجة وحولت حياة سكانها من عبودية يتخبطون فيها كالاعمى الى رق ميكانيكي تحت اشرافٍ، وقد انجزت في تلك السنوات اعمالاً جليلة القدر ولكن تحت الجلد بالسياط . ويعجب المرء بتلك الاعمال اعجابه بالاهرام ولكنه يكره في نفس الوقت ان يسمع الخبر الممض عن طريقة بنائها»

ولا يفوتني في الختام ان اوجّه انظار النخبة المنتخبة في العالم العربي ولا سيا الشبيبة منهم الى القوة الهائلة التي يستطيع التنظيم الدقيق مع الايمان الصادق ان يقوم بها ، وهذا التنظيم ظاهر في الفاشستية كما هو ظاهر في النازية ولكنني اعتقد انهُ كان في البولشفية اتم واجرأ واكثر نشاطاً ، يدلك على ذلك ان الحزب الشيوعي في روسيا ما ادعى قط ان انصاره يزيدون على مليون ، والواقع ان عدد اعضائهِ لم يتجاوز في سنة ١٩٢٥ ربع مليون . « ولما كان هذا الحزب المنظم — على صغره — حازماً ومخلصاً ولم يوجد في جميع تلك البلاد المفككة العرى حزب آخر فيه من الشرف او الحزم او الكفاءة ما يمكنهُ ان يصمد لهُ او ان ينازعهُ فقد تمكن من الاستيلاء على بطرسبرج وموسكو ومعظم المدن الروسية وان يستميل اليهِ بحارة لاسطول الذين فتكوا بمعظم ضباطهم وان يصبح الآمر الناهي في الروسيا جميعاً » [1]

(1) Outline of History p 694

الاعضاء الاثرية

في جسم الحيوان والانسان

ان جسم الانسان مؤلف ، كأية آلة ، من اجزاء كثيرة تعمل معاً لتحقيق غرض معيّن . اما في جسم الحيوان فتعرف هذه الاجزاء بالاعضاء . ولكل عضو عمل خاصّ فالعين واليد والقلب ثلاثة اعضاء في جسم الانسان ، الاول للنظر والثاني للقبض والثالث لدفع الدم في الجسم . والاجزاء في الآلة تتفاضل من حيث خطرها . كذلك الاعضاء في الجسم ، فبعضها اعظم خطراً من غيرها في عمل الجسم الحيّ

وقد يكون في الآلة «سيور» و«مسامير» و«عجلات» لا عمل لها او ان عملها ثانوي . وجسم الحيوان كذلك ، قد تجد فيه اعضاء لا عمل لها ، ولا هي ضرورية للحياة ، فقد تقطع ذراع رجل او فخذه ، ولكنهُ يظلّ حيًّا ، ويلعب التنس بذراع واحدة او فخذ واحدة على ما رأى كاتب هذه السطور بامّ عينيه . وقد تزال احد الكليتين فيتعود الجسم الاكتفاء بواحدة ، فتكبر حجماً وتعمل عمل الكليتين . وما يصدق على الكليتين يصدق بوجه عام على الاعضاء المزدوجة ، كالرئتين والخصيتين والمبيضين ، بل قد تنزع بعض الاعضاء الفردة كالطحال ، او المعدة من دون ان يموت الجسم الذي نزعت منهُ . ذلك ان عملها تقوم به اعضاء اخرى ، وتمضي الحياة في سبيلها من دونها

ولكن ثمة أعضاء لا ندحة للجسم الحيّ عنها ، فاذا فقدها فقد الحياة . فليس بين الحيوانات العليا حيوان يستطيع ان يبقى حيًّا بعد انتزاع قلبه من جسمه ، وكلٌّ منها يحتاج على الاقل الى كلية واحدة ورئة واحدة . بل ان الغدة الكلوية (adrenal) وهي فصان صغيران فوق الكليتين ، اذا ازيلت زالت معها الحياة من الجسم . فالاعضاء التي لا يستغني عنها الجسم الحيّ تعرف بالاعضاء الحيوية . وعليه ترى ان الاعضاء تتفاوت من حيث صلتها بالحياة ، فبعضها يستغنى عنهُ وبعضها لا يستغنى عنهُ

والاعضاء الاثرية لا فائدة منها ، ولا هي لازمة لاصحابها . وليس بالامر السهل ان تثبت بالبرهان ان عضواً من الاعضاء هو من هذا القبيل . لان هذا البرهان يقتضي امرين . اما الاول فممكنٌ في الغالب وهو ازالة العضو من الجسم من دون ان يتعرَّض الجسم بازالته للموت . اما الثاني وهو اثباتُ ان لا عمل لعضو ما وهو في الجسم ، فينطوي على صعوبة كبيرة ، لان

علمنا لا يشمل كلَّ شيءٍ ، وقد نعتقد ان عضواً ما لا وظيفة لهُ ، ويكون الباعث على اعتقادنا جهلنا. ومع ذلك فقد ثبت للباحثين وجود طائفة من الاعضاء الأثرية في كل طوائف الحيوان

***

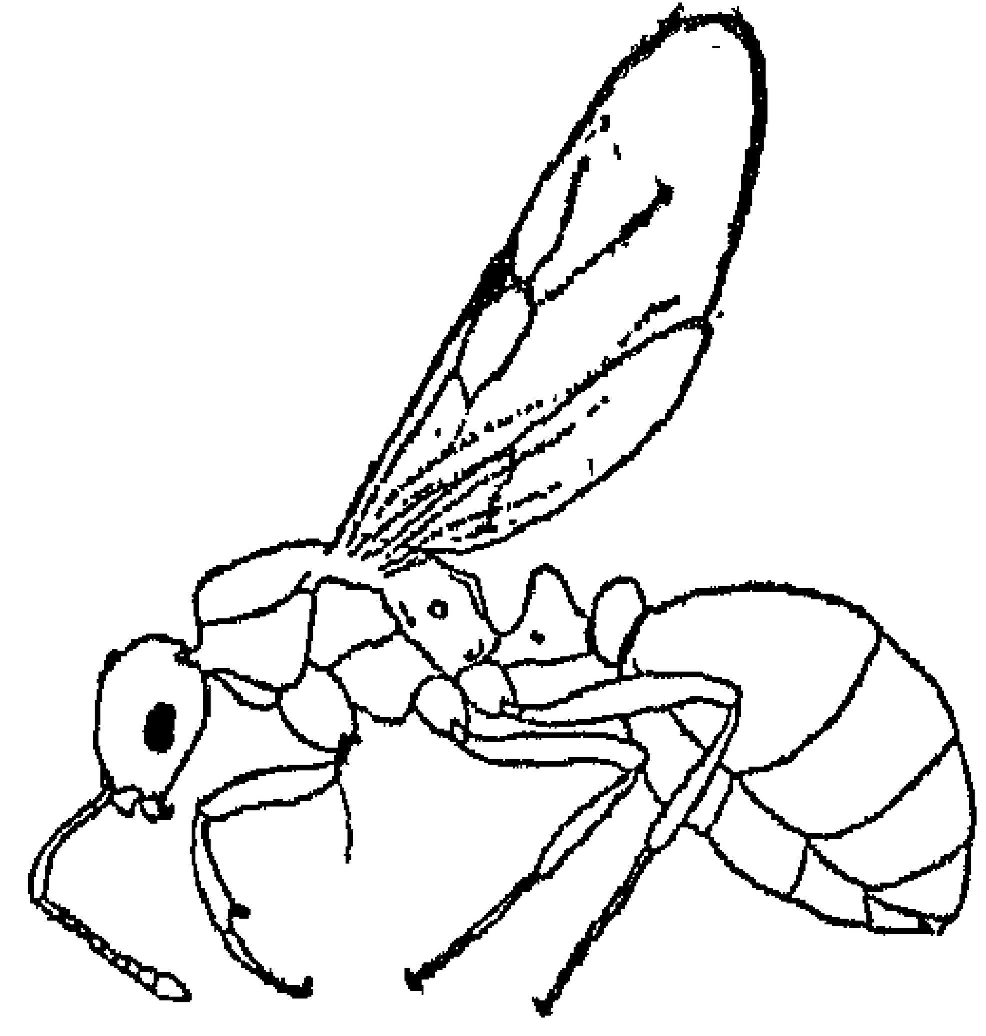
اكثر الحشرات قادرة على الطيران، ولها زوج من الاجنحة او اكثر من زوج لهذا الغرض. ولكن بعض الحشرات فيها اجنحة لا تجنى منها فائدة ما . فذكر عث الغجر Gipsy moth لهُ اجنحة ويطير بها كسائر الفراش. اما الانثى فلها جناحان ولكنها لا تطير . فانها لدى خروجها من الشرنقة تزحف مسافة قصيرة وتلقي بيضها ، ولكنها لا تطير . فجناحاها لا عمل لهما . فهما من الاعضاء الأثرية حقًّا . وفي بعض الحشرات نجد ان الاجنحة صغيرة علاوة على انها لا تستعمل . ففي فصيلة الخلقيديدة (فصيلة من الحشرات وتعرف بالذبان النحاسي) حشرات صغيرة جدًّا وتتطفل على غيرها وهي مثلٌ بليغ على ما تقدم. وقد وصف الاستاذ هويلر من عهد قريب نملةً استرالية جناحا انثاها نصف الجناحين السويين ، ولا عملَ لهما . فهذان الجناحان من الاعضاء الأثرية

ثم ان العيون في بعض حيوانات الكهوف من الاعضاء الأثرية. ففي بعض أسماك الكهوف تجد العيون اجساماً كروية صغيرة مختفية تحت الجلد ، ولا عمل لها على الاطلاق . ومن هذا القبيل عيون بعض اصناف السرطان والحشرات والسمادل

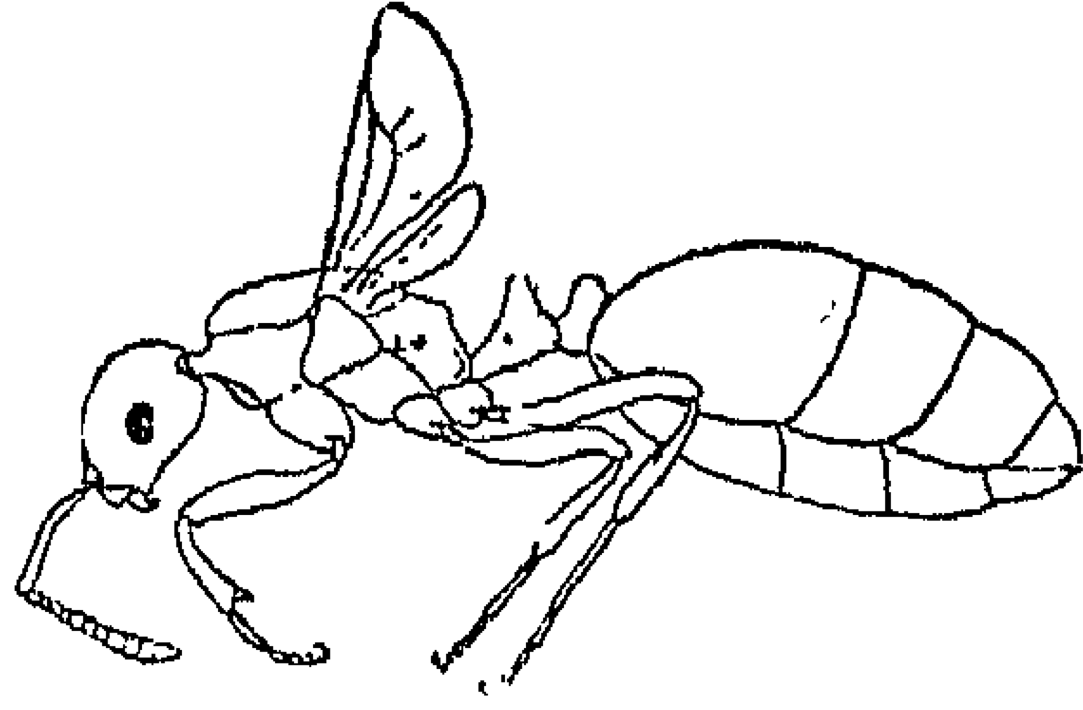
والمشهور ان الحيّات زواحف لا قوائم لها . ولكن الاصَلة (وهي جنس من الثعابين كبير جدًّا وموطنهُ افريقية والهند) لها أثرا قائمتين على جانبي مؤخرها ، وليس هذان الأثران في الجلد الخارجي فقط بل هما عظام متصلة بهيكل الجسم اتصالاً يدلُّ على انهما أثر قائمتين خلفيتين لا ريب فيهما . ثم ان الحيات تمتاز ببناءِ رئاتها بناءً خاصًّا . فمعظم الحيوانات التي تسكن على سطح الارض او في الهواءِ لها رئتان واحدة الى يمين الجسم وواحدة الى يسارهِ . ولكن عدداً كبيراً من الافاعي ليس لهُ الاّ رئة واحدة ، هي الرئة اليمنى ؟ واما الرئة اليسرى فليس منها الاّ أثر نتوءٍ بسيط

وفي الطيور اعضاءٌ أثرية عجيبة. فالمبيضان والقناتان اللتان تنقلان البيض من المبيضين الى الرحم متسقة النمو في معظم الحيوانات . فمبيض الى اليمين ومبيض الى اليسار . وقناة من كل من المبيضين الى الرحم . ولكن الطيور لا تجد فيها الاّ المبيض الايسر والقناة اليسرى. اما المبيض الايمن وقناتهُ فلا يعدوان كونهما أثراً مما كانا في الزمن الماضي

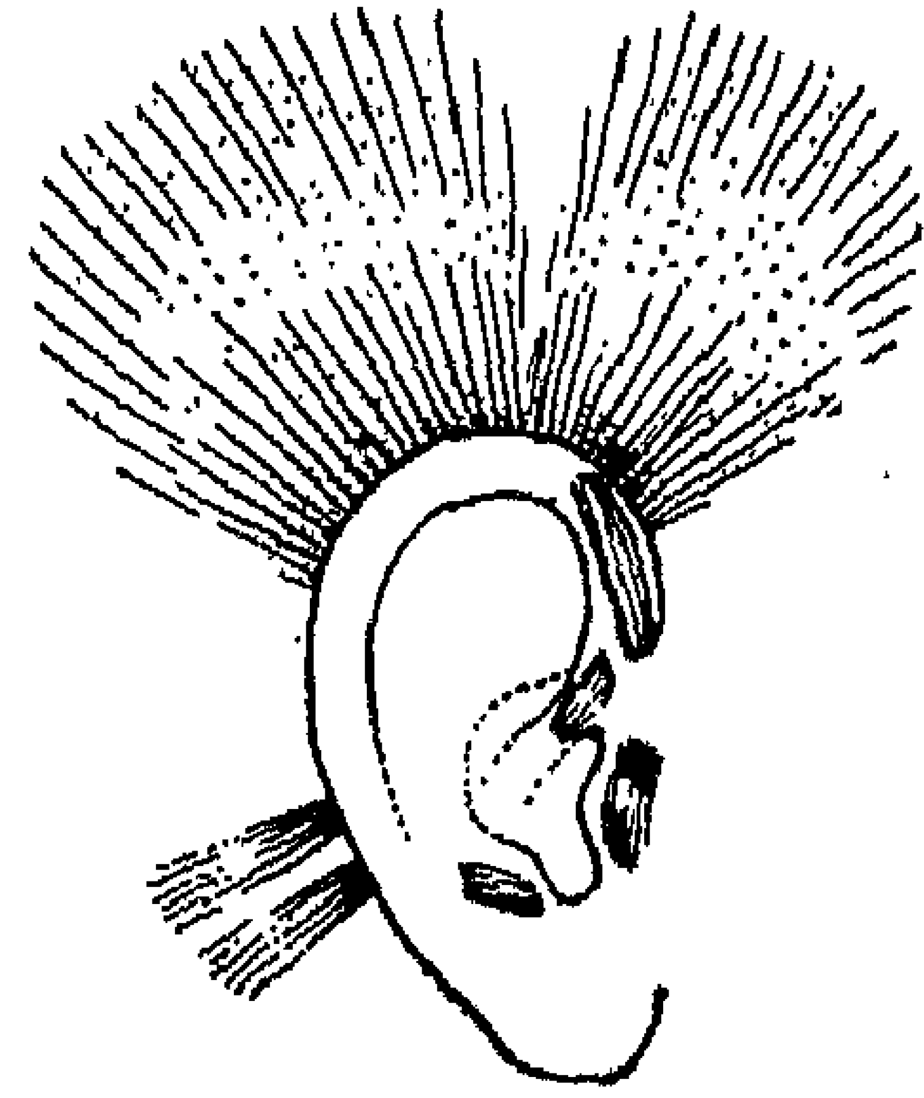
حتى الاجنحة ، اعضاءٌ أثرية ، في بعض الطيور . والاجنحة من الاعضاءِ التي تتميز بها الطيور عن غيرها من الحيوانات . ولكن الاجنحة في بعض الطيور العدّاءة كالنعامة والشَبْنَم (وهو طائر كالنعامة موطنهُ استرالية وجزائر الهند نقلها المعلوف عن بوسط عن



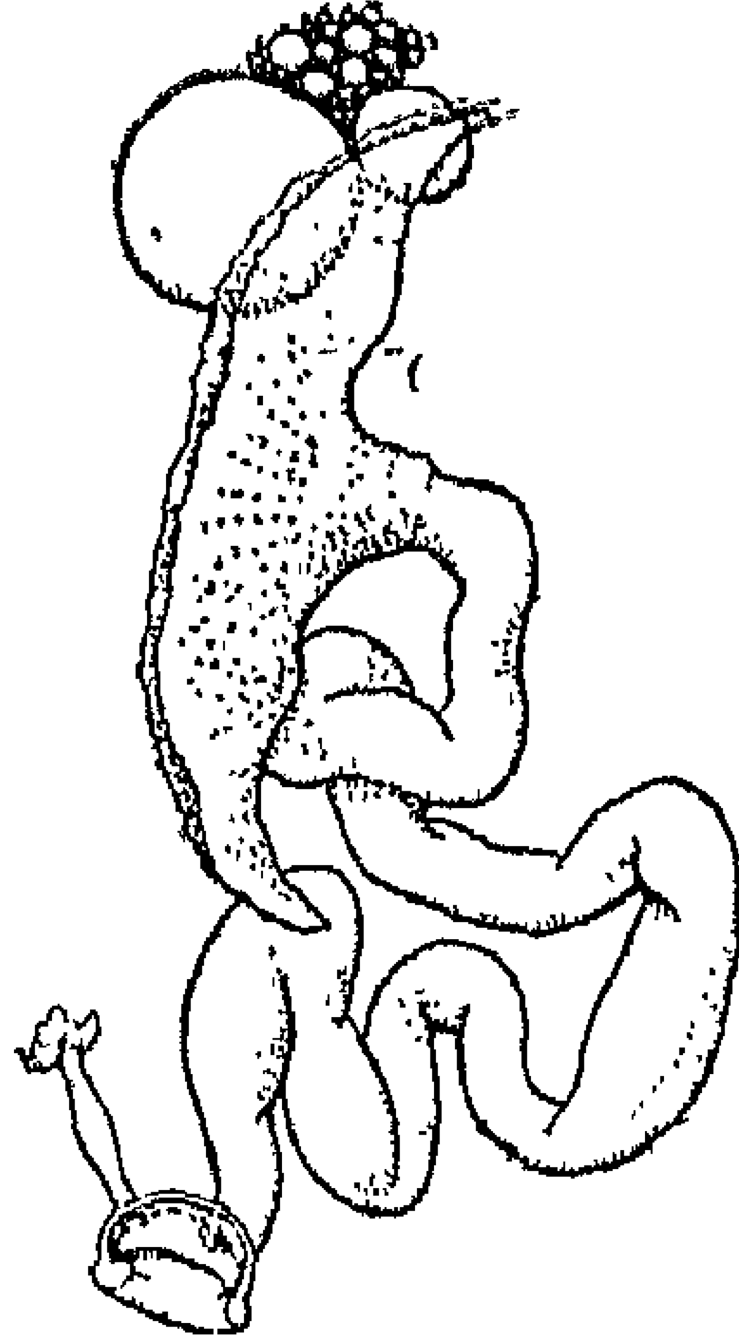
انثى نملة ولها جناحان



انثى نملة اخرى ولها جناحان أثريان



اذن الانسان والخطوط تمثل العضلات الأثرية فيها وحواليها



الى اليمين : المبيض الايمن والقناة في الحمام . والى اليسار: المبيض الايسر والقناة اليسرى وهما ضامران

احد فارس : Cassowary لا تفيدها شيئاً لانها لا تستطيع أن ترتفع بها عن سطح الارض . واذا قابلت بين اجنحة الطيور العدّاءة واجنحة الطيور الطيّارة وجدت الريش والعظم والعضل في اجنحة الاولى ضامرة وضعيفة اذا قيست بالريش والعظم والعضل في اجنحة الثانية . بل ان الجناح في طائر الكيوي (وهو من طيور زيلندة الجديدة) ضامر صغير حتى يختفي تحت الريش الذي يغطي جسم الطائر ، فيبدو هذا الطائر وكأنه ليس لهُ اجنحة على الاطلاق . فجناح «الكيوي» لا فائدة تجنى منهُ قط ، وهو مثل بليغ على الاعضاء الأثرية

***

فاذا انتقلنا بالبحث الى الحيوانات الثدية وجدنا امثلة كثيرة على الاعضاء الأثرية. فالحيتان حيوانات ثدية وليست من الاسماك كما يظن عادةً . وهي حيوانات ثدية لاءمت بينها وبين المعيشة في البحر. فهي حيوانات حارة الدم ، وتتقي تقلب الحرارة بطبقة من الدهن. ثم انها تطلع الى سطح الماء بين الفينة والفينة لكي تتنفس . ودورتها الدموية مركبة تركيباً عجيباً تمكنها من استعمال الاكسجين المخزون في دمها في خلال الغوص . اما انتقالها فيتمُّ بحركة ذيلها العريض المشقوق ، الممتد امتداداً افقياً ، بدلاً من امتدادهِ امتداداً قائماً كأذيال الاسماك . اما زعنفتا الحوت — وهما تقابلان الذراعين في الانسان والقائمتين الاماميتين في الحيوانات الثدية — فتستعملان لتوجيه حركة الحوت في الماء ، اي انهما كالدفة في المركب. ولكن اذا نظرت الى جسم الحوت من الخارج لم ترَ اثراً فيهِ لما يقابل القوائم الخلفية في الثدييات . فاذا فحصت هيكله في المكان المقابل للقوائم الخلفية وجدت عظيمات تقابل قحف الفخذ . هذه العظيمات مدفونة في جسم الحوت ، وليس لها عمل ما على ما نعلم فهي امثلة بليغة على الاعضاء الأثرية

واذا فحصنا قوائم الفرس الامامية والخلفية وجدنا فيها كذلك اجزاء اثريةً . فاذا اخذنا القائمة الامامية وفحصناها وجدناها مكونة من عدة عظام كذراع الانسان ويدهِ ، ففي اعلى القائمة عظمة تقابل عظمة العضد في ذراع الانسان ويليها عظمتان تقابلان عظمتي الساعد . ثم يلي ذلك في الفرس والانسان عظام صغيرة هي عظام الرسغ — وهي في الفرس في المكان الذي يعرف بركبة الفرس . ثم من ركبة الفرس الى حافره اربع عظام تقابل في يد الانسان عقد الوسطى . فالاولى تقابل العظمة التي تمتد في كف الانسان من الرسغ الى قاعدة الوسطى فاذا فحصت هذه العظمة في قائمة الفرس ثبت ان على جانبيها عظمتين طويلتين رفيعتين مدفونتين في لحم القائمة ولا يستند اليهما الفرس في شيء وهما تقابلان العقدتين الثانية والرابعة من وسطى الكف. فهما بقايا عظام كان لها شأن في تطور الفرس فلم يبقَ منها الاّ آثارها

***

وليس الانسان بخارج عن هذه القاعدة العامة — قاعدة وجود الاعضاء الأثرية في تركيب

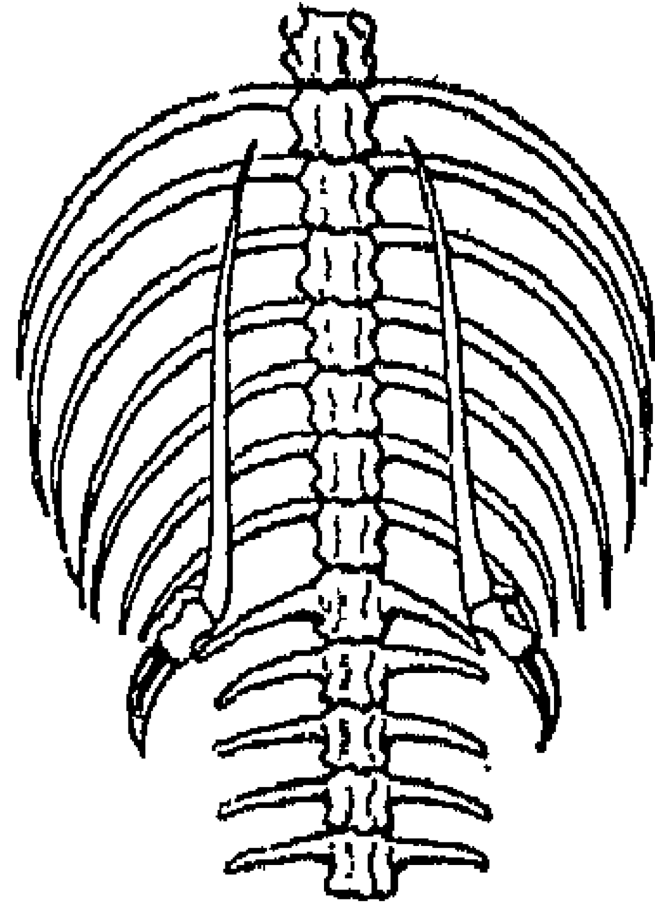
الحيوانات . فالاذن الخارجية عضوٌ مركب من قطعة من الجلد وقطعة من الخضروف ولها مكان معين على جانبي الرأس. اما من حيث السماع فليس لها شأن كبير . بل اذا نزعت لم يفقد صاحبها مقدرته على السمع . ولكنا اذا اردنا ان نتبين بعض الاصوات الخافتة احطنا الاذن الخارجية بكفنا كأننا نعينها على التقاط الامواج الصوتية

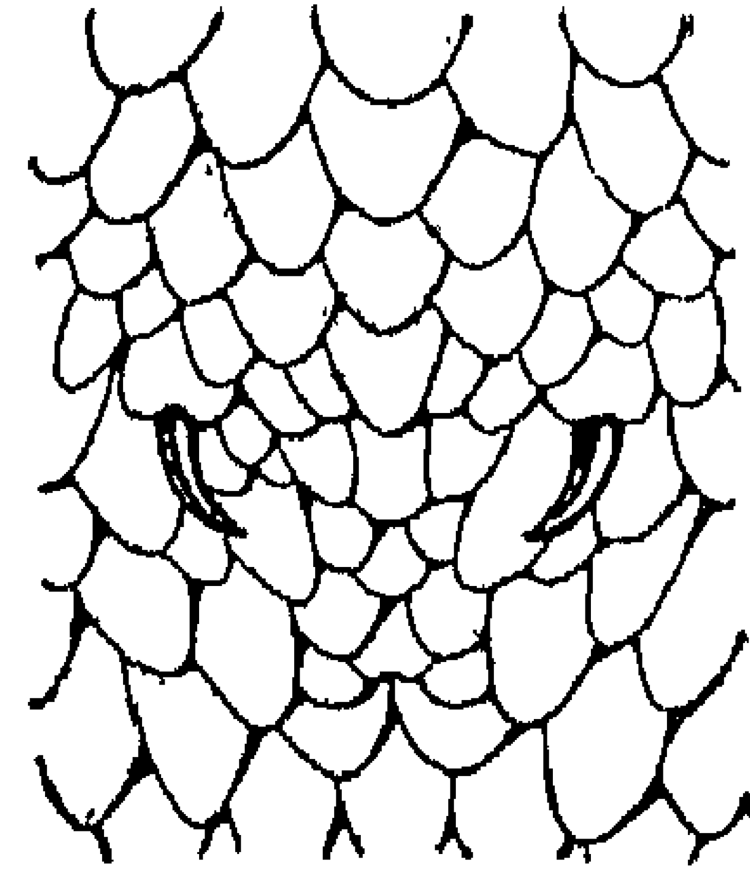
ومع ضآلة شأن الاذن الخارجية كعضوٍ ذي عمل خاص ، لها عضلات مركبة تركيباً عجيباً تمتد من متصل الأذن بالرأس . وهي ثلاث عضلات تكفي حركاتها لحني الاذن الخارجية الى الامام او الى الوراء او الى فوق. ثم هناك ست عضلاتٍ اخرى ممتدة على سطح الاذن نفسها، تغيّر شكلَ الاذن بانقباضها . وكل هذه العضلات بالغة حدًّا بعيداً من النموّ والقوة في الحيوانات كالخيل والكلاب. فالعضلات الثلاث الاولى توجه الاذن في جهة الصوت، والعضلات الاخرى تغيّر شكلها لتلقّي الصوت. اما اذن الانسان فعاجزة عن هذه الحركات . والعضلات رغم وجودها ، لا تقوم بالغرض من وجودها اي تحريك الاذن وتغيير شكلها . واذا وجدنا من الناس مَن يستطيع تحريك اذنهِ ليدلّ على سيطرتهِ على العضلات المحركة لها، وجدنا كذلك ان تحريكهُ لها محصور في مدى ضيّق، لا شأن لهُ في تغيير مقدرة الاذن على السماع . فهذه العضلات في الاذن الخارجية في الانسان من الاعضاء الأثرية حقًّا

وفي عين الانسان عضو أثري كذلك . فانك اذا نظرت الى طرف العين من ناحية الانف وجدت نسيجاً مبيضًّا هلاليّ الشكل. وليس لهذا النسيج شأن كبير في عمل العين . ولكن اذا تقصّينا تركيبَ العيون في الحيوانات التي دون الانسان فهمنا انهُ بقايا عضو كان لهُ شأن في قيام العين بوظيفتها . ذلك اننا اذا فحصنا طرف عين الهر المقابل لطرف عين الانسان حيث نجد هذا النسيج المبيضّ ، رأينا في عين الهرِ جفناً ثالثاً . ولهذا الجفن عضلات تمكّنهُ من الامتداد فوق الحدقة وتحت الجفنين الآخرين بسرعة ، فيغطي الحدقة. وهذا الغشاء معروف في كل الثدييات والغرض منهُ وقاية العين . فما نراه في عين الانسان هو أثر من هذا العضو ، ولكنهُ فقد ما يجعله ذا فائدة في وقاية العين فاصبح عضواً أثريًّا. والقرود تشارك الانسان في ذلك

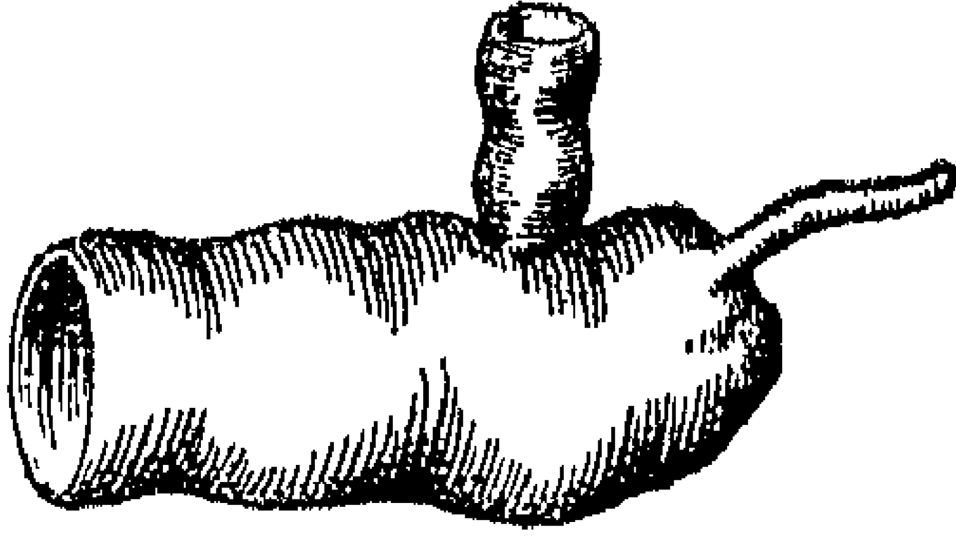


ولا يقتصر وجود الاعضاءِ الأثرية في جسم الانسان على ظاهر الجسم . بل نجدها كذلك في باطنهِ . ومن أشهرها على الاطلاق الزائدة الدودية . فحيث تتصل المعى الدقاق بالمعى الغلاظ ينتأ من المعى الغلاظ نتوءٌ (يعرف بالاعور) في نهايتهِ زائدة أشبه شيءٍ بالدودة، لذلك دعيت بالزائدة الدودية . وقد تلتهب هذه الزائدة احياناً فتؤلم صاحبها ألماً شديداً ، فاذا اجريت عملية استئصالها قبل فوات الاوان ، استغنى عنها الانسان من دون ان يختلّ نظام جسمهِ في





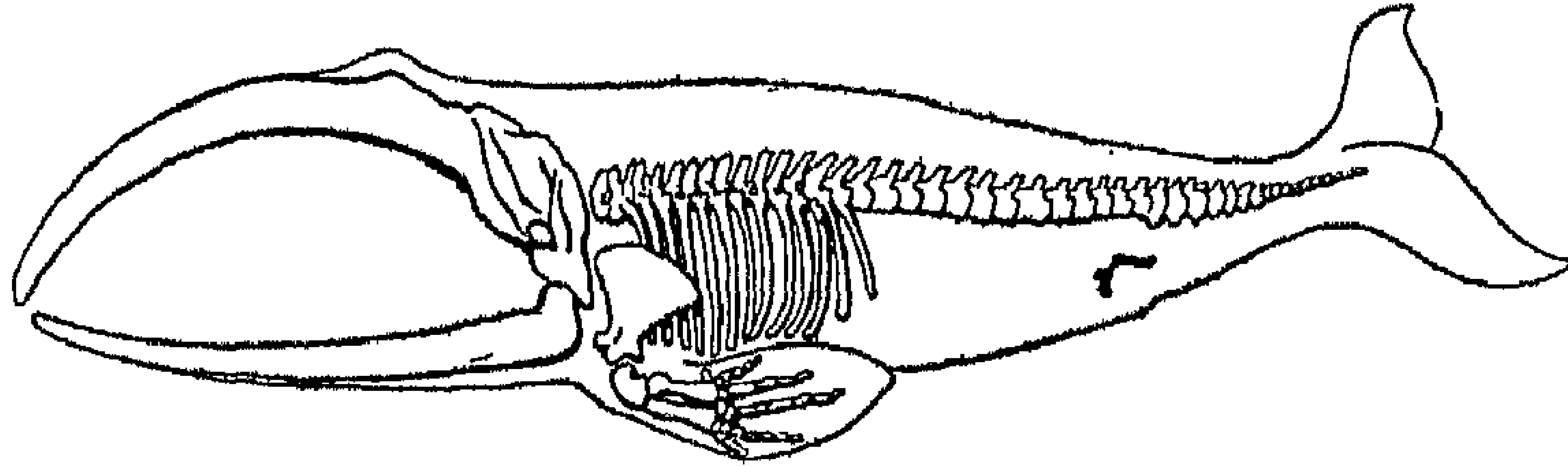
العظمتان على جانبي مؤخر الأَصلة وهما بقايا قائمتين خلفيتين



الزائدة الدودية في الانسان



الزائدة الدودية في الارنب



الخط الاسود تحت السلسلة الفقارية في
مؤخر الحوت يمثل بقايا قائمتيهِ الخلفيتين

اقل وظائفه . بل اصبح من عادة الاطباء ان يستأصلوها في خلال القيام بأية عملية في البطن اذ لا فائدة ترجى منها على ما نعلم ، وقد تكون مصدر ألم وخطر على الحياة اذا التهبت

والزائدة الدودية — في غير الانسان — تظهر باشكال مختلفة . وليس بالسهل في بعض هذه الحيوانات التمييز بين آخر المعى الغلاظ واول الزائدة الدودية . ولكن آخر المعى الغلاظ (اي الاعور) في الارنب عضو كبير شبيه بجانب ورقة من ورق الاشجار وفيهِ في نهايتهِ الزائدة الدودية كأنها جزءٌ منهُ . والظاهر ان للاعور وللزائدة الدودية وظيفة ذات شأن في جهاز الهضم في الارنب . وهما كذلك في كثير من الحيوانات الثديية الاخرى . ولكنهما يضمران في القردة والقردة الشبيهة بالانسان حيث تشبه حالتهما ما هما عليهِ في الانسان . فالزائدة الدودية في الانسان عضوٌ اثريٌّ ولكنها ليست كذلك في الارنب

ثم ان النواجذ (اضراس العقل) في الانسان يمكن حسبانها اعضاء اثرية في بعض الاحيان. فمن الامور المعروفة ان اسنان الاطفال المشهورة بالرواضع (اسنان اللبن) تشتمل في كل فك على اربع ثنايا (قواطع) واربع انياب وضرسان (طواحن) . فاذا زالت الرواضع وحلت محلها الاسنان الدائمة كانت كما يأتي: اربع ثنايا وأربع انياب وثمانية اضراس . اي بزيادة ٦ اضراس في كل فك ثلاثة منها في كل جانب من جانبي الفك . واربعة من هذه الاضراس تنبت حوالي الخامسة والعشرين من العمر وتعرف بأضراس العقل (النواجذ) وقد اطلق عليها الاسم الاول لانها تشق اللثة حوالى السن التي يكتمل فيها عقل الشاب . ولكن هذه النواجذ لا تظهر في افواه بعض الناس. فتنقص اسنانهم اربعاً عن العدد السوي اي تكون ٢٨ سنّـا. والاسنان التي لا تشق اللثة ولا تظهر فوقها لا تصلح للقيام بعملها ، وعمل الاضراس طحن الطعام ومضغه . بل قد تكون الاضراس التي لا تشق اللثة ، مصدر الم وخطر ، كالزائدة الدودية ، اذا كان تكوينها مشوّهاً فتصبح في حاجة الى عملية جراحية

على ان قردة العالم الجديد لها ٣٦ سنّـا بدلاً من ٣٢ سنّـا في فم الانسان . واما قردة العالم القديم اي الغورلّـى والبعام وغيرهما من القردة الشبيهة بالانسان ، فعدد أسنانها شبيهٌ بعدد اسنان الانسان . ولكنها اسنان دائمة وتظهر كلها في الفكين . لا يتلكأ سنٌّ منها عن شق اللثة والظهور . والظاهر ان الانسان يخطو الآن خطوة ثانية في نقص اسنانهِ . فنواجذهُ تنبت احياناً ولا تنبت احياناً اخرى فاذا جاء زمن لم تنبت فيهِ النواجذ في فكي الانسان ، اصبح عدد اسنانهِ الدائمة ٢٨ يقابلها ٣٢ في قردة العالم القديم و ٣٦ في قردة العالم الجديد . فالنواجذ أو اضراس العقل التي لا تشق اللثة وتنبت جنباً الى جنب مع الاضراس الاخرى هي اعضاء اثرية لانها في هذه الحالة لا فائدة تجنى منها

الفن والادب

في حضارة مصر اليوم

لآنسة «مي»

(٣) نظرة عجلى في أقسام الأدب

الادب الحديث في جوهره أصبح الآن في مصر منه في كثير من البلدان الأخرى حيث شغلوا بمشاحنات لا طائل تحتها حول ما يسمونه المذاهب الادبية. فلا رومنتيكية عندنا، ولا رمزية، ولا مستقبلية. ولا غيرها. الخصومات تدور حول الجديد والقديم مما سبق ذكره، وإن نشطت الخصومات في التطرف تناولت موضوعاً طارئاً أسموه الادب المستور والادب المكشوف. وفي ما عدا ذلك فالنزعة العامة واحدة رغم التفاصيل الثانوية القليلة

الشعر والنثر

الأدب النثري يسبق الأدب الشعري بمراحل. ألصعوبة التجديد في الشعر العربي؟ لست أدري ولكني أدري ان كثيراً جداً من القصائد التي ننعتها كسلاً أو مجاملة بالعصماء قد كان يمكن أن تنظم في أي عصر من العصور الغابرة، وما زالت قصائد «المدح» شائعة عندنا. واذا استثنينا فئة صغيرة من الشعراء المطبوعين الذين يستوحون موضوعات جديدة ويطلقونها في نفس جديد ولو في صيغة قديمة في الغالب — فيمكننا ان نقول بأننا لا نلمح في الشعر الحد الحاسم الجلي الذي نراه في النثر. ولئن انضجت الحركة القومية عدة مواهب شعرية فانها لم تخلق شاعراً واحداً تفرد بجبروته الفني فأرسل الصيحة التي تغزو القلوب وتفتح النفوس فتحاً مبيناً

فنحن في هذا والشعوب الاخرى سواء، لاننا لا نعرف شاعراً واحداً جباراً خلقته الحرب في أية لغة من اللغات، بل القحط الشعري يبدو في كل مكان. وقد يكون هذا راجعاً الى روح العصر الذي نعيش فيه. وقد يكون النثر الفني صيغة أوفق لاختباراتنا الشعرية في هذه الايام

وانما هناك ملاحظة لها أهميتها الاجتماعية، وهي ان الشعراء يخاطبون المرأة في قصائدهم بضمير المؤنث، وقد كانوا من قبل يستعملون في مخاطبتها الضمير المذكر وقد أقلع كبار الشعراء عن الاساليب المألوفة في المدح والمفاخرة، ولكن قصائد الرثاء تجري أنهاراً كلما غمض امرؤ عينيه ليمضي الى باريه. ولما كان الموت على رقاب العباد . . . !

أما النثر فهو الذي يبدو فيه الخصب والتنوع والثروة والحياة، وخلاله ترتسم الشخصيات الادبية، وهو الرسالة الادبية العالية التي تبدع ابداعاً في هذا الطور الحاضر. لا أظن أن

اللغة العربية في أي عصر من العصور السالفة عرفت مثل هذا التنوع الذي نشهده اليوم . فالموضوعات الادبية والسياسية والاجتماعية والقانونية والعلمية والتهذيبية والفنية والتاريخية شيء مألوف يقع تحت أنظارنا كل يوم ، ومنها ما يضاهي أحسن ما يكتب في صحف الغرب دقة وإحكاماً في رشاقة ولباقة . والمقالة تفوز بالجائزة — لو كان هناك مسابقة - بين سائر أقسام الادب . ويجاري فن المقالة فن الخطابة والمحاضرة فهو اليوم في مصر أرقى ما يكون ، بل قد يبدو لك تدرجه عاماً بعد عام من حسن الى أحسن . ومن دواعي السرور ان المرأة أيضا تعتلي المنبر وتخطب في الجماهير الغفيرة فلا تكون أقل تأثيراً من أمهر الخطباء وأشهرهم ، حتى في موضوعات عصية . والمسلمة والمسيحية في هذا سواء . وهناك الكتب المترجمة والمؤلفات العديدة في كل فن وخبر ، تبحث في الاجتماع والتاريخ والادب والفلسفة والاخلاق والعلوم الفنية. وغيرها وصف جميل للرحلات والاسفار ووصف لعادات الشعوب وخصائصها ووسائل تقدمها . وغيرها ذكريات شجية وترجمات عن حالات نفسية. وغيرها يبتكر أدباً للاطفال يستوحيه المؤلفون من قصص الشرق القديمة وأحاديث رحاليه ، أو يقتبسونه عن آداب الغرب

. . . . والرواية كذلك تحصحص هنا وهناك ، ولكن فن الرواية يتطلب وقتاً آخر للنضج . لأن الرواية تخلق عالماً تامًّا مستقلاً في ذاته لهُ خصائصه وسيكولوجيته ووجوه نزعاته وفكرته الخاصة ووجوده المتصل بمحيطه المنفصل عنهُ في آن واحد . فهو يتطلب من العزلة والسكون ما لا قبل لأدبائنا بهِ في هذا الوقت لانهماكهم في عدة موضوعات في آن واحد ، وعند ما ننظر الى كثرة ما ينهب وقتهم من المشاغل نعجب كيف استطاعوا أن يؤلفوا هذه الروايات على قلتها ونعجب من وفرة ما ينتجون

أما القصة الصغيرة فقد تقدمت بالعدد أختها الكبيرة . وقد قصر بعض الكتاب نشاطهم عليها فنجحوا خصوصاً في القصة الوصفية ، وستليها حتماً القصة السيكولوجية

ولا مندوحة عن أن يجاهد الأدباء في وضع الرواية العصرية لوصف هذه العادات وتسجيل هذه التقاليد في مجتمع هو سائر بطبيعة الحال نحو العادات الأوروبية . فالحجاب يتناثر شيء منهُ كل يوم ، ووجوده وحي كبير للأديب المستعد لتلقي هذا النوع من الوحي. وهذا الفن الروائي لو هو وجد بمصر يصبح فريداً في بابهِ بين صنوف الروايات العصرية بسبب هذا الحجاب نفسه وبسبب جميع الحوادث السيكولوجية التي تخلقها في النفس صعوبة اللقاء بين المحبين — ما دام الحب هو « الحبكة » التي لا تقوم لرواية قائمة بدونها ، مع ما يستفزه من خفايا الطوية ويعلنهُ من غامض الأسرار

كذلك تفتقر الى النقد وإن كان ما يكتب في النقد غير قليل . ولكن أكثره إما يرمي إلى المجاملة والثناء واما يبغي الطعن والتحقير . ويندر جداً البحث النقدي النزيه الدال على تمام

استيعاب الناقد لموضوعه وعلى اكتمال نضج شخصيته من نواح شتى . والغريب ان نفس الكتّاب الذين يجيدون في نقد كاتب غربي وتحليل شخصيته يكونون أقل اجادة وبخاصة أقل اصابة عندما يبحثون شخصية أدبية مصرية حديثة . وعندي ان الناقد البارع روائي على نوع ما، وان الرواية والنقد ان هما تحاذيا اليوم في تخلفهما فسيكونان كذلك متحاذيين في تقدمهما . لان الكثير من خصائص الناقد السيكولوجية هي نفس خصائص مؤلف الرواية

الأدب الشعبي أو أدب العامة

في مصر أدب يجب أن لا يهمل . هو أدب العامة الذي ندر من عني به من الأدباء ، مع أنه قادر على اخراج جنى خصيب طلي لو اهتم كل كاتب بحكايات مديريته واقليمه فدوّن مايتناشده الشعب الساذج في حفلات الاعراس والمآتم ، وما ترويه الرواة عن أبطال القرون الغابرة . غير أن فرعاً من ذلك الادب في ازدهار ، أعني الزجل ، الشعر العامي الجميل الذي يفصح عن الروح المصرية برشاقة وطلاوة وباللهجة المصرية لهجة التخاطب العادي والمحادثة اليومية . وقد تألفت حديثاً « رابطة الزجالين » قرب عدة جماعات أخرى أدبية وثقافية — أخذ الله بيدهم جميعاً !

ان لكل اقليم بيانه الادبيّ المروي الذي يترجم عن الروح القديم في أساطير وأناشيد باللغات العامية ، وحكايات تضمنت اعتقادات سرية مقبلة عن أعماق الدهور ، وذكريات حب وحنان وتضحية وتفجع ،ونفثات شعرية ذات سحر مستغرب حضان . ألحان الشعب وأساطيره وحكاياته تعبر عن خلقه المقيم وصبره واحتماله وتحدث عن عبقريته الفطرية وعن آماله وأحلامه . ومن الخسارة الفادحة أن تهمل تلك الآثار وتلك الألحان لأنها صائرة شيئاً فشيئاً الى النسيان والفناء

(٤) الفن

الادب النثري أرقى الفنون جميعاً وأنضجها وان كان بعض الفنون أوسع رواجاً في الجمهور وأقرب الى تذوق العامة . وهاك ترتيب الفنون بموجب رقيها وتقدمها :

(١) — التمثيل .(٢) — النحت والرسم والتصوير . (٣) — الموسيقى

التمثيل

هذا أظهر الفنون في مصر تقدماً . وقد برزت فيه شخصيات موهوبة عرفت أن تكسب الادوار التي تمثلها روعة وتنوعاً واستطاعت ان تبعث فيها نفحة حيوية غنية

والتمثيل يرتبط بالادب وبالتأليف المسرحي وبالحركة الفكرية والاجتماعية وبتطور اللغة . فنطق الممثلين والممثلات فصيح بالاجمال ، وأوضاعهم المسرحية في تقدم محسوس . وقد ترجمت الى العربية روايات من غرر الادب المسرحي في العالم فجاء بعضها متطابقاً والاصل الذي نقلت عنه ، و«مصّر» غيرها تمصيراً ليتفق وذوق الجمهور ، ومسخ غيرها مسخاً . وقد عني جماعة من المؤلفين بوضع روايات باللغة العربية فنجح بعضها نجاحاً عظيماً ، وكان للمرحوم

شوقي بك الفضل في استيحاء موضوعات قديمة من تاريخ مصر وتاريخ العرب وصوغها في روايات مسرحية شعرية ونثرية . ويمكن القول ان التأليف المسرحي الآن في حالة التكون . والنقاد المسرحيون أبرع في ملاحظاتهم وانتقاداتهم من نقاد الكتب الحديثة

وقام في الاعوام الاخيرة التمثيل السينمائي يسابق التمثيل المسرحي وهم الممثلون في المسرح الذين يسابقون أنفسهم على الشاشة الفضية : فما أشق هذه الجهود وما أكبر هذا الاقدام ! وهم يعنون في ادخال آثار مصر الفرعونية أو آثار الاسلام بمصر وغيرها — في كل رواية سينمية تقريباً مع عرض بعض العادات والتقاليد خلال تلك المناظر المتعاقبة . ولكن الى الآن لم نر رواية واحدة مستكملة النضج السيكولوجي والفني . بيد أنه يمكن البت في أن التمثيل السينمي المصرى لن يقف عند هذا الحد

النحت والرسم والتصوير

باستثناء فرائد فنية وموسيقية سبقت التقدم المسرحي من حيث كمال الصنعة ونضج الفكرة — يمكن ترتيب المنتوجات في هذه الفنون الثلاثة بعد الفن المسرحي وقبل الفن الموسيقي . في المعارض السنوية الرسمية كما في المعارض الجزئية العديدة تستطيع أن تهتدي الى شخصيات فنية هي على ثقة من وحيها ومن مقدرتها في اتقان الصنعة معاً ، فترى أنها تتقدم عاماً بعد عام في احكام الصلة بين وحيها وبين افصاحها عنه

وعدد المشتغلين بهذه الفنون كل سنة في تزايد . وليس التقدم ليبدو في الكمية وحدها بل في الكيفية أيضاً . يشهد بذلك الذين زاروا أول معرض أقيم من هذا النوع قبل ١٤ عاماً، فهم يزورون معارض اليوم فيسبحون الله ولا يبطرون ! ولئن كان الفن الى الآن يستوحي الصناعة الاوربية والفكرة الاوربية فالفنانون يميلون الى اخراج موضوعات مصرية. وعلام لا تنطلق يوماً الوراثة القديمة الكامنة في فناني هذه البلاد فيبتكرون فناً حديثاً هو غير فن الغرب ؟

الموسيقى

الموسيقى الوترية أرقى من الموسيقى الصوتية . فمن العازفين من يعزف بفطرته الموسيقية وبسليقته الطروبة . ومنهم من يتبع الاساليب الحديثة التي روجها نادي الموسيقى الشرقي من ضبط الالحان بالنوتة وتوقيعها على أصول الثقافة الموسيقية في الغرب ، وهو تجديد لم يعهد من قبل في تعليم الموسيقى العربية

يتسنى لك أن تسمع من بعض « التخوت » أو جوقات الموسيقى الوترية أو من الافراد العازفين على مختلف الآلات — عزفاً هو في منتهى الجودة والاتقان . لولا أن مجموعة الالحان تستمر غالباً على وتيرة واحدة وليس من الميسور أن تميز الفرق بين القطعة وأختها.

فكلهنَّ يتشابهن فيما بينهنَّ ، مما يثير الملل عند الملم بالموسيقى الغربية الذي ألف فيها التنوع والتفنن والتلوين الى مدى لا يحد

أما اقرب الفنون الى الجمهور الكبير من مختلف المراتب فهو الموسيقى الصوتية ، والناس على اجتماعات الطرب والانشاد أشد إقبالاً منهم على أية حفلة فنية أخرى، ويرون في الحفلات والسهرات نقصاً وجفافاً إن لم يشجعها الغناء ويلقي في جوها عاطفة الشجن الشرقي التي لا توصف. انما ترتكن الموسيقى الغنائية في مصر على صوت المغني اكثر من ارتكانها على فن الغناء. وهنا أصوات جميلة حنونة مؤثرة ، إلاَّ ان أحسن ما تنشده في نظري هو الادوار القديمة بألحانها القديمة بما فيها المواويل والقصائد الغزلية . واكثر ما يسمونه « تجديداً » في الغناء خير له أن لا يكون . لان بعضه مقتبس عن الموسيقى الغربية التي لا تعتبر من الفن في شيء بل هي من النوع التافه (musiquette) ، والبعض الآخر تطويل وتباطؤ وإعادة وتكرار. ما زالوا يمدون في الآهات وقتاً طويلاً جداً ويعيدون « يا ليلي يا عيني » في تبسط وتراخ يستحيل معه الصبر لاعصاب تنظمت للطرب المحكم. بيد أن الجمهور يحب ذلك التطويل المخدر للاعصاب ويستلذه ، والمنشدون يماشون ذوق الجمهور ولكنهم لا يثقفون فيه العاطفة الفنية ولا مقدرة لهم على ازدجار تلك العاطفة وانهاضها من تثاقلها الدهري . وعلى ذلك ما زال العاشق في الاغاني يسهر الليل مناجياً النجوم بموضوع حسرته وجواه ، وما زال قلبهُ يذوب وروحه تكتوي بنار الغرام والمحبوب — ما أقساه ! — لا يرحم المتيم المسكين ! والعذول — لحاه الله ! — ما زال واقفاً بالمرصاد يريد الايقاع بالعاشقين !

والمغنون يحملون نفوسهم فوق طاقتها لأن كلاً منهم يأبى الاَّ ان يكون منشداً وملحناً في آن واحد ، وهو أمر لا يتفق مع قانون تقسيم العمل ولا مع الموهبة الفنية. فالانشاد شيءٌ والتلحين شيءٌ آخر. وقد يكون الملحن صاحب صوت غير حسن وغير قابل للتوقيع المطرب. ولم يشذ عن هذه القاعدة من كبار الموسيقيين في الغرب الاَّ النفر اليسير

ولكن ما لا ينكر هو الجهود العظيمة التي يبذلها أهل الفن . وان لم يبد الى الآن شيء يصح أن يسمى تجديداً بمعنى التقدم في نظر الناقد الخبير فذلك راجع الى صعوبة هذا التجديد في موسيقى لا قائمة لها الاَّ بالنغم فقط ولا تقبل طبيعتها التطرق إلى فن اصطحاب الأنغام الذي قطعت فيه موسيقى الغرب شأواً بعيداً. مهما ضاعفت الآلات في الاركسترة أو ضاعفت الأصوات في النشيد فأنت لا تكون الاَّ مقوياً النغم الواحد ومفخمه . وهذا مشكل كبير لا حلَّ لهُ إلاَّ بتنويع النغم تنويعاً بارعاً ينزع عنهُ ما يرافقهُ عادةً من التراخي والملل ، على أن يبقى لهُ النكهة الساحرة ذات العوارض الخفية الدقيقة التي تحتفظ للموسيقى الشرقية بطبيعتها الخاصة. ثم يجب الاكثار من الاناشيد الحماسية في موضوعات مشوقة تستولي على قلب الجمهور وتعلمهُ

التجاوز عن الموضوعات الغرامية الكثيرة إلى ما لا صلة له بالعشق والغرام والدلال والنوح

الخلاصة

الخلاصة ان الحركة الأدبية والفنية في مصر شيء ذو وجود محسوس ، في بعض نواحيه تقدم وفي بعض نواحيه تأخر ، ونواحيه الاخرى بين بين . غير أن النشاط لا يمكن إنكاره

الصورة التي رسمتها هنا مطابقة للواقع في تقديري . وأنا لم اعتبر في الأدب والفن الا كونهما تعبيراً عن الروح الجديدة الناجمة عن اليقظة القومية ، هذا التعبير الفني والادبي الذي هو من أدل الدلائل على ثقافة قوم وحضارتهم وعلى مبلغ ما اكتمل من تكوّن مجتمعهم . والفن والادب يدلان على أن المجتمع الجديد هو فعلاً في حالة التكون . وهذه الحركة سائرة الى الامام بلا ريب بفضل انتشار التعليم وتنوع الشخصيات والاحتكاك المتتابع بالحضارة الغربية والاشتراك اقتصاديًّا وفنيًّا وأدبيًّا وسياسيًّا وعلميًّا في جميع المشاكل الطارئة على العالم

عندما نقول «قديم» يفهم من هذه الكلمة عهد الفراعنة ثم عهد الاسلام ، وعند ما نقول جديد يفهم الحضارة الغربية بوجه عام . ولكن الموضوع في نظري أبعد مدًى واكثر ارتباكاً . إذ ليس من بلد كمصر هبطته جميع الشعوب وضربت فيه جميع الحضارات وانتشرت فيه جميع الثقافات واختلطت دماؤه بجميع الدماء . فمن العناصر الفرعونية الى العناصر المكدونية إلى اللاتينية فالاغريقية ، فالعربية بتنوعها العديد ، فالتركية وما كان ينضم تحت لوائها من العناصر العثمانية الكثيرة ، الى عناصر اوربا الجديدة كلها تقريباً ، الى غير ذلك مما يحصى ولا يحصى — جميع هذه العناصر تتمخض الآن وتصهر في الشخصية المصرية الكبرى . والمصريون الذين زاوجوا خلال تاريخهم الطويل شتى الشعوب ، ما زالوا اليوم يزاوجون الشعوب الغربية ، وهذا الامر — على ما يستوجبه من الانتقاد في بعض الوجوه — يصب الدماء الشتيتة في دم هذا البلد القديم . فهنا العالم كله في حالة « التمصر » . وقد عرف دائماً لمصر السحر في تحويل ما يقبل عليها الى جزء منها دون أن تفقد فيه شخصيتها الصميمة . وفي هذه الثروة الزاخرة من الوجهة الادبية والحسية معاً ما يمكن من تكوين شخصية رحيبة الجوانب ، متعددة النواحي ، غنية نبيلة لا نبالغ في القول انها تستطيع أن تنتج نوعاً خاصًّا من الثقافة تقف حيال الثقافة العالمية فلا تتضاءل

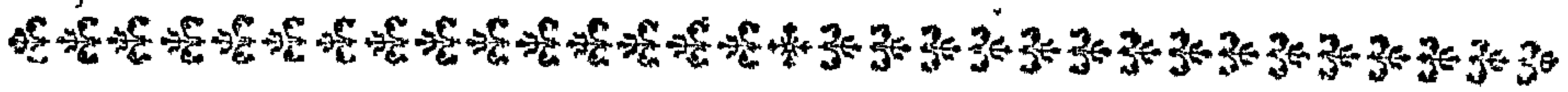
وترجمان هذه الثقافة المرجوة هو اللغة العربية . ويخطىء الذي يتطلب التجديد في هذه اللغة إن هو أراد منها أن تصبح نسخة من أي اللغات الغربية . إن هذه اللغة تمثل عقلية خاصة في وسعها أن تحاذي العقليات الغربية وتتفاهم واياها وتأخذ منها وتعطيها ، ولكنها ليست هي ولا يمكن أن تكون . لأنها — وفي هذا أهميتها — مظهر آخر من الحضارة العمرانية وناحية أخرى من النفسية الانسانية

« مي »



نوابغ العرب

في العلوم الرياضية



ابو محمود جابر بن الافلح

اذكر اني قرأت في احدى المجلات العربية ان جابراً بن الافلح هو اول من اكتشف الجبر وان كلمة (جبر) مأخوذة من كلمة جابر وقرأت ايضاً في بعض الكتب الانكليزية ان بعضاً من علماء الغرب وقعوا في الغلط نفسهِ . يقول سمث في كتابه تاريخ الرياضيات في الجزء الثاني في ص ٣٩٠ ان بعض الفرنجة المتأخرين نسبوا كلمة (جبر) الى (جابر) وقالوا انهُ واضع علم الجبر. والحقيقة ان جابراً لم يكتشف علم الجبر حتى ولم يكن اول من الف فيهِ فقد سبقهُ الى ذلك الخوارزمي وغيره ، كما لا يخفى،وجلّ ما في الامر ان جابراً من الذين نقلت مؤلفاتهم الرياضية الى اللاتينية قبل غيرها وهذا جعل نفراً من علماء الغرب يظن ان كلمة (جبر) مأخوذة من (جابر) وبعضهم خلط بينهُ (اي بين جابر) وبين جابر بن حيان الكيماوي الشهير

وقد ولد جابر في اشبيلية في اواخر القرن الحادي عشر للميلاد وتوفي في قرطبة في منتصف القرن الثاني عشر

***

في العصر الذي بدأت فيهِ الدولة العباسية تنحل وتتفكك كانت العلوم في المغرب والاندلس تتقدم وتزدهر وظهر في المثلثات الكروية ولا سيما فيما يتعلق بالفلك رجال ابدعوا فيها واجادوا كصاحب الترجمة فقد كان لمؤلفاتهِ أثر كبير في تقدمها خلال عصر اليقظة في اوربا . لقد الف جابر تسعة كتب في الفلك يبحث اولها في المثلثات الكروية وقد نقل جيرارد هذه المؤلفات الى اللاتينية وطبعت سنة ١٥٣٣ في نورمبرغ[١] وتقول دائرة المعارف البريطانية ان هذه الكتب لها مقام كبير في تاريخ المثلثات . ولجابر فيها (في المثلثات) ابحاث مبتكرة لم يُسبق اليها.ولقد استنبط معادلة (سميت بنظرية جابر) تستعمل في حل المثلثات الكروية القائمة الزاوية ، اي انهُ زاد معادلة على الاربعة المنسوبة الى بطلميوس

ويقول سمث في ص ٦٣٢ من الجزء الثاني من كتابه تاريخ الرياضيات انهُ من المحتمل ان يكون ثابت بن قرة عرف هذه المعادلة المنسوبة الى جابر . وعلى كل فمن الصعب الجزم في هذا الموضوع وحتى اليوم لم يستطع علماء تاريخ الرياضيات البت فيه رغم التحريات الدقيقة التي اجريت

---

(١) بول — تاريخ الرياضيات — ص١٦٥

ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي القلصادي

هو من اشهر الرياضيين الذين ظهروا في القرن التاسع للهجرة ، وُلد في مدينة بسطة في الاندلس وكان صاحب فضل وعلم اعترف له بذلك علماء عصره المشهورون حتى ان القاضي ابا عبد الله بن الازرق سماه بالفقيه وبالاستاذ العالم المتفنن

درس القلصادي في بادىء الامر في بسطة على اشهر علمائها ثم رحل الى غرناطة حيث درس كثيراً من العلوم على اساتذة اجلاء كان لهم الفضل الاكبر في تثقيفه وفي إعداده لان يكون في مصاف الرياضيين . ويقال انه لم يكتف بذلك بل رحل الى الشرق حيث اجتمع باعلام الرجال واستمع لدروس فحول العلماء فاستفاد كثيراً وأفاد (فيما بعد) كثيراً . وبعد ذلك ذهب الى الحجاز لاداء فريضة الحج ثم عاد الى غرناطة حيث طابت له الاقامة ولكن صروف الدهر ومفاجآت الايام وما حدث بين امراء ذلك العصر في تلك البلاد كل ذلك اجبره على الهجرة الى افريقيا . وفي اثناء وجوده في غرناطة تتلمذ عليهِ كثيرون ونبغ منهم نفر غير قليل كاحمد داود البلوي والامام السنوسي[1] وتوفي في باجة من اعمال تونس في اواخر القرن التاسع للهجرة سنة ٨٩١ هـ — ١٤٨٦م

اشتغل القلصادي بالحساب وألف فيهِ تآليف نفيسة وابدع في نظرية الاعداد وله في ذلك ابتكارات[2] وله ابحاث في الجبر جليلة ومؤلفه كتاب كشف الاسرار عن علم الغبار اول كتاب اثبت للاوربيين بأن الاشارات الجبرية كانت مستعملة عند علماء الرياضة المسلمين. وقد استعمل لعلامة الجذر الحرف الاول من كلمة جذر (جـ) وللمجهول الحرف الاول من كلمة شيء (شـ) يعنى س ولمربع المجهول الحرف الاول من كلمة مال (مـ) يعنى $\text{س}^{٢}$ ولمكعب المجهول الحرف الاول من كلمة كعب (كـ) يعنى $\text{س}^{٣}$

واستعمل لعلامة المساواة حرف ل وللنسبة ثلاث نقط ∴[3] وقد نقل ووبكه في منتصف القرن التاسع عشر للميلاد الاشارات الجبرية المستعملة عند العرب من نسخة خطية موجودة عند رهنو المستشرق الشهير وترجم ايضاً الى الفرنسية النسخة المذكورة ودرجها في نسخة سنة ١٨٩٥ م من مجموعته[4] وقد اعطى القلصادي قيمة تقريبية للجذر التربيعي للكمية ($\text{س}^{٢}+\text{ص}$) والقيمة التقريبية هي : $\frac{\text{٤ س}^{٣} + \text{٣ س ص}}{\text{٤ س}^{٢} + \text{ص}}$ [5] ويعتقد جُنْتر Gunther ان هذه العملية ابانت طريقة لبيان الجذور الصماء بكسور متسلسلة . وفي ايجاد القيم التقريبية للجذور الصماء استعمل ليوناردو اوف پيزا وتارتا كليا وغيرهما القانون العربي الموجود في كتب ابن

(١) صالح ذكي — آثار باقية — ج ٢ ص ٢٨٣ (٢) سمث — تاريخ الرياضيات ج ١ ص ٢١١
(٣) كاجورى - مختصر تاريخ الرياضيات ص ١١٠ — ١١١ (٤) صالح ذكي — آثار باقية ج ٢ ص ٢٨٢ (٥) كاجورى تاريخ الرياضيات ص ١١١

البناء والقلصادي [١] اما آثاره فاهمها :

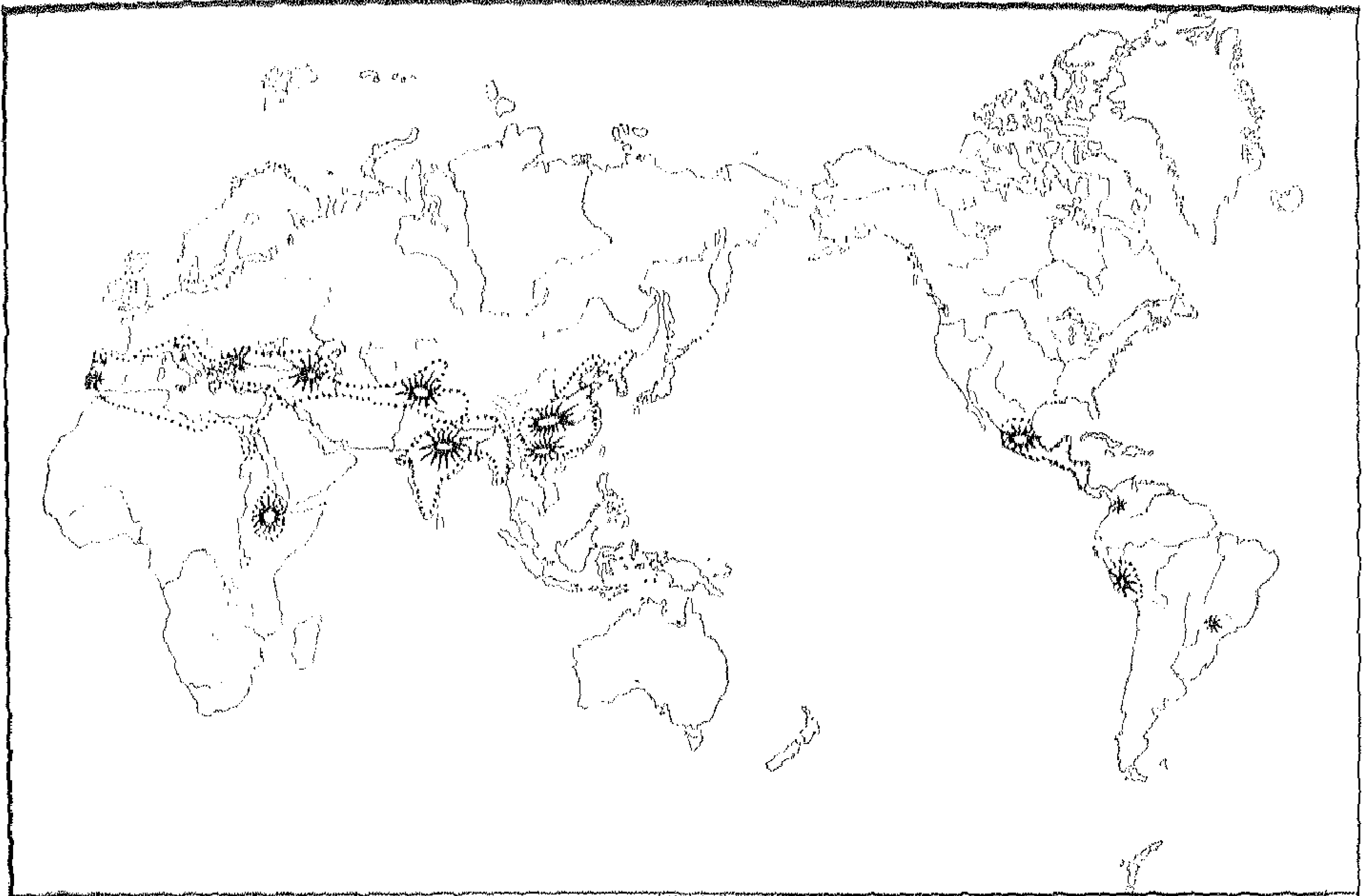
كتاب كشف الجلباب عن علم الحساب الذي يقول عنهُ كشف الظنون انهُ من اشهر مؤلفات القلصادي وا كملها وهو اربعة اجزاء وخاتمة . وكتاب كشف الاسرار عن علم حروف الغبار وهو مختصر كتاب كشف الجلباب . وفيهِ مقدمة واربعة اجزاء وخاتمة . وقد ارسله الينا العدل الاستاذ محمد داود من اعيان تطوان — المغرب وفهمت من بعض التلامذة المراكشيين ان هذا الكتاب (كشف الاسرار) لا يزال يُستعمل في كثير من مدارس المغرب . اما محتوياته فهي كما يلي : المقدمة تبحث في صفة وضع حروف الغبار وما يتعلق بها . والجزء الاول ثمانية ابواب ويبحث في العدد الصحيح ، الباب الاول في الجمع ، الثاني في الطرح ، الثالث في الضرب ، الرابع في القسمة ، الخامس في حل الاعداد ، السادس في التسمية ، السابع في قسمة المحاصات ، الثامن في الاختبار . والجزء الثاني فيهِ مقدمة وثمانية أبواب ويبحث في الكسور . فالمقدمة تبحث في أسماء الكسور وما يتعلق بذلك ، والباب الاول في جمع الكسور ، الثاني في طرحها ، الثالث في ضربها الرابع في قسمتها ، الخامس في تسميتها ، السادس في جبرها ، السابع في خطها ، الثامن في الصرف. والجزء الثالث يبحث في الجذور وهو مقدمة وثمانية أبواب . فالمقدمة تبحث في معنى كلمة جذر والباب الاول في أخذ جذر العدد الصحيح المجذور ، الثاني في أخذ جذر العدد غير المجذور وبالتقريب ، الثالث في تدقيق التقريب ، الرابع في تجذير الكسور ، الخامس في جمع الجذور ، السادس في ضرب الجذور ، السابع في قسمة الجذور وتسميتها والثامن في ذي الاسمين. والجزء الرابع يبحث في استخراج المجهولات وهو ثمانية أبواب : الاول يبحث في الاعداد المتناسبة ، الثاني في العمل في الكفات ، الثالث في الجبر والمقابلة ، الرابع في الضرب والمركبات ، الخامس في الجمع من علم الجبر والمقابلة ، السادس في الطرح ، السابع في الضرب والثامن في القسمة من علم الجبر والمقابلة — والخاتمة اربعة فصول الاول يتناول هل في المعادلة استثناء . الثاني يبحث في موضوع المسئلة المركبة وهل فيها عدد ، الثالث في الجمع في النسبة والرابع في استخراج العدد التام والناقص [٢]

وللقلصادي كتاب قانون الحساب [٣] وكتاب تبصرة في حساب الغبار [٤] وله أيضاً شرحان لكتاب (تلخيص الحساب لابن البناء) أحدهما كبير والآخر صغير وزاد على شرحه الكبير خاتمة تبحث في صورة تشكيل الاعداد التامة والناقصة والزائدة والمتحابة [٥]

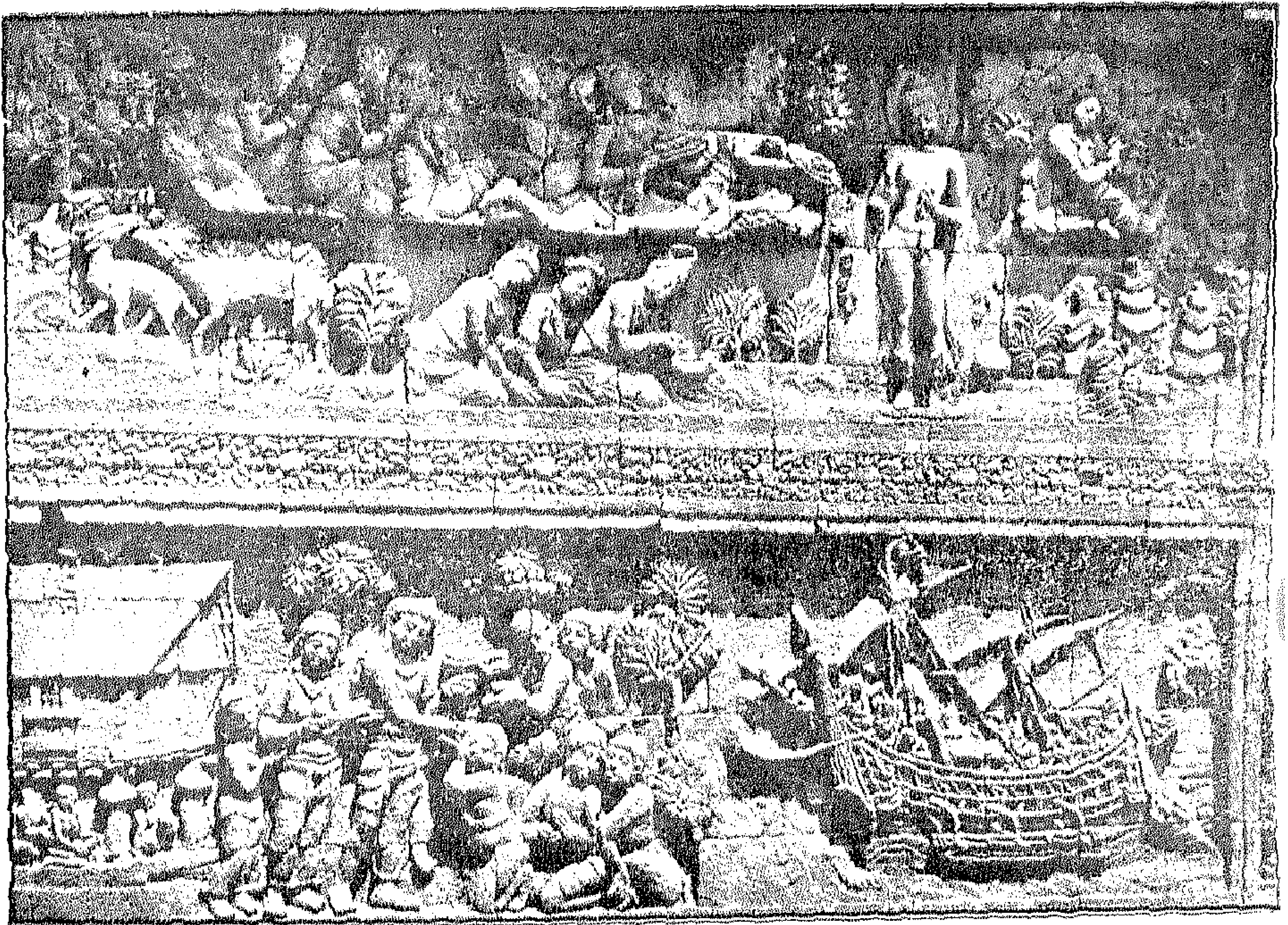
نابلس — فلسطين قدري حافظ طوقان

---

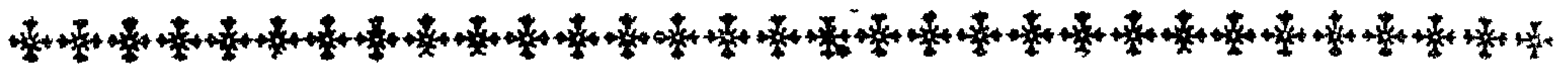
(١) مختصر تاريخ الرياضيات لكاجوري ص ١٥٠ (٢) كتاب كشف الاسرار عن علم حروف الغبار للقلصادي (٣) كاتب جلبي — كشف الظنون ج ص ٢١٦ (٤) كاتب جلبي — كشف الظنون ج ١ ص ٢٤٥ (٥) صالح ذكي — آثار باقية ج٢ ص ٢٥٧



خريطة للعالم تبين المواطن التي ظهرت فيها «النباتات الزراعية»



جانب من نقش بارز على جدران هيكل بورو بودور في جاوى يمثل نباتات مختلفة



الحضارة والحاصلات الزراعية[1]

النباتات الاليفة واصول الحضارات



نمرُّ بالحيوانات والنباتات الداجنة كلَّ يوم، كراماً او غير كرام، او تمرُّ بنا، فلا يخطر في بالنا ان نسأل، من اين اتت هذه الحيوانات والنباتات، واين نشأت، ومن دجّنها اولاً، ومن اتى بها من موطنها الاصلي الى هذه البلاد او الى غيرها من البلدان. ومع ذلك فان هذه النباتات التي مضت عليها عشرات القرون وهي تزرَع وتحصَد، وهذه الحيوانات التي ألّفها الانسان وألِفها واستخدمها لاغراضهِ، هي اساس كل الحضارات العالية

ولا ريب في ان هذه النباتات والحيوانات نشأت من الاشكال البرية التي استعملها الانسان غذاءً في فجر حياتهِ على الارض. وان استعماله للنبات يرتدُّ الى عصور متغلغلة في جوف التاريخ. ولكنهُ بعد مرانة وتجربة لا نعلم مداها، فرَّق بين ما يؤكل من النبات وما لا يؤكل. ولا ريب في ان التطورات المذكورة تمَّت الوفاً من السنين قبل نشوء الزراعة

والزراعة سابقة للتاريخ المدوَّن. بل ان كلَّ النباتات التي تزرع الآن، وكلَّ الحيوانات الداجنة كانت قد لانت لارادة الانسان قبل ان تدوَّن اخبارهُ الاولى نقشاً على الصفا

ويذهب فريق المحافظين من علماء الانثربولوجيا الى ان اصول الحضارة البدائية ترتدُّ الى بداءة العصر الجليدي، وهذا على المقياس الجولوجي المسلَّم بهِ الآن، يرجع بمبادىء الحضارة الى قبل مليون سنة. كان الانسان خلال ذلك العهد، صياداً متنقلاً. والغالب ان وجود الانسان يرجع الى قبل العصر الجليدي. وانما ظل تقدمهُ بطيئاً جداً حتى العصر الحجري الجديد اي من نحو عشرين الف سنة اذ بدأ يخطو الى الامام خطوات حاسمة. فاخترع النار، وابتنى الاكواخ يأوي اليها، واستعمل الملابس، وزين جسمه، وابتدع اصول الفن والنقش، واصطنع بعض الطقوس وخصوصاً فيما يتعلق بدفن الاموات

ومن نحو عشرة آلاف سنة حدث انقلاب خطير في حياة الانسان على الارض. ذلك ان الزراعة الدائمة اي تدجين النباتات والحيوانات القيت اليهِ مقاليدها. ومقدرتهُ على الحصول على قدرٍ معيَّن من الغذاء في مواعيد معيَّنة وفي اماكن معيَّنة، افضت بالانسان الى الاستقرار في بقعة محدودة من الارض وتقسيم العمل، فنشأت عن كل ذلك العوامل والاوضاع

(١) نقلت بتصرف من بحث للمستر المر مرل مدير حدائق نيويورك النباتية نشر في مجلة التاريخ الطبيعي

التي نطلق على مجموعها كلمة « الحضارة » . وكان الانسان قد اخترع قبيل ذلك صناعة الخزف والنسيج واستعمل النحاس والذهب والحديد النيزكي ، ثم ارتقت معرفتهُ باستعمال المعادن . وصحب ذلك كلّهُ تقدم في الاوضاع الاجتماعية كتنظيم الجماعات ، والخضوع للقانون ، ونشوء فن العمارة ، وتبعهُ استنباط الكتابة

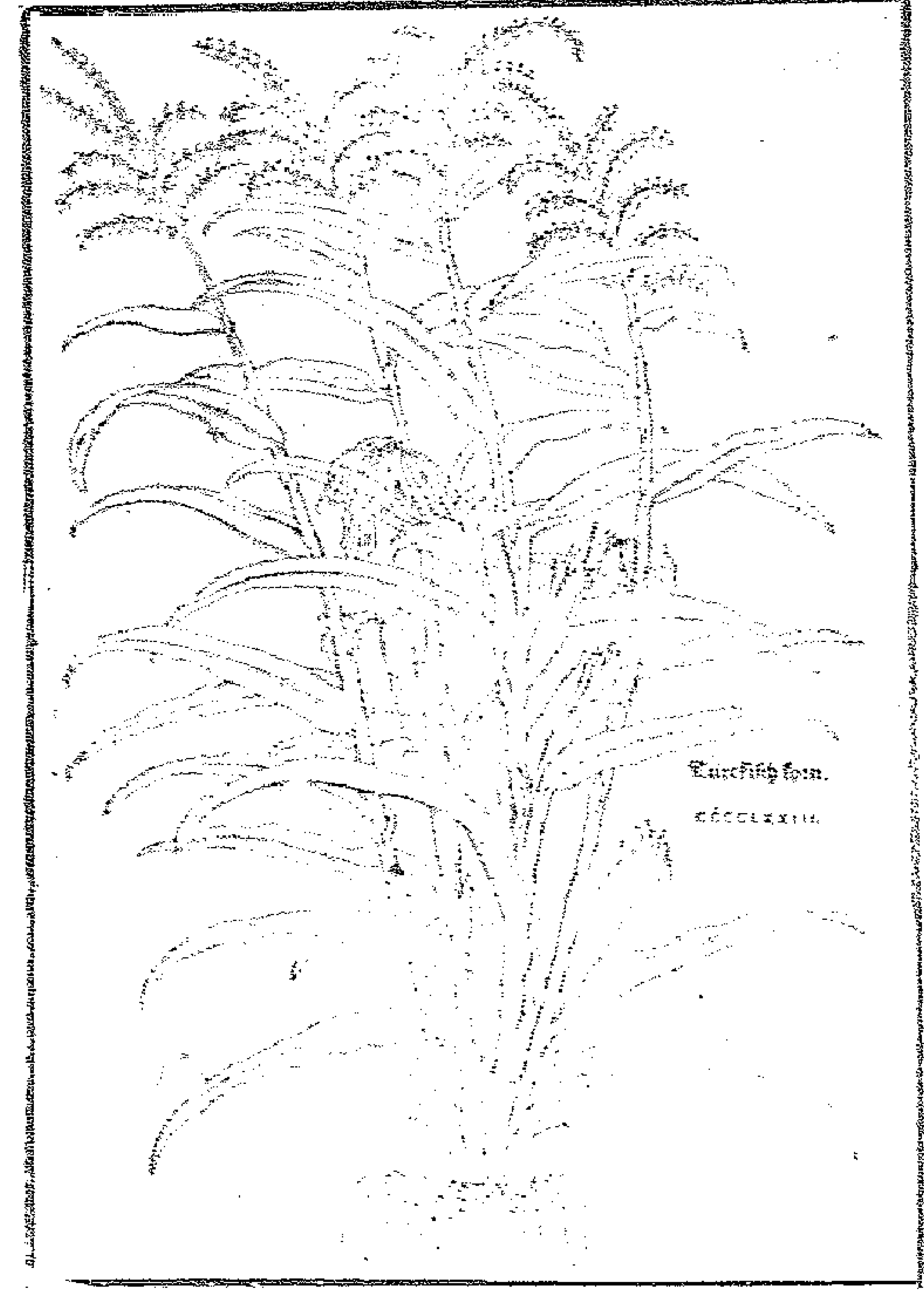
ولا يهمنا هنا ان نقرر هل كان تدجين الحيوانات سابقاً لتدجين النباتات او هل كان تدجين النباتات سابقاً لتدجين الحيوانات . وانما يغلب عندنا ان الانسان في بعض البقاع كان راعياً قبل ان يكون زارعاً . ولكن لا ريب في ان زراعة النباتات التي تؤتي محصولات يحتاج اليها الانسان ، كانت الخطوة الاولى في نشوء الزراعة الثابتة التي شيدت عليها كل الحضارات العليا في العصور القديمة

وهذا الضرب من الزراعة ، الذي بدأ قبل التاريخ المدوّن ،كان محصوراً في مناطق معينة في نصفي الكرة الارضية ، حيث وجدت النباتات والحيوانات الاصلية التي نشأت منها النباتات والحيوانات الداجنة المعروفة الآن . والجدير بالذكر ، ان في هذه المناطق نشأت الحضارات الاولى كذلك

***

مضت قرون طويلة قبل نشوء الزراعة ، والانسان البدائي يجمع البزور والثمار والجذور من النباتات البرية ويستعملها غذاء ، على نحو ما تفعل السلالات المتوحشة الآن في بعض البقاع . وقد ذهب العلماء مذاهب مختلفة لتعليل ابتداء الزراعة . ولكن بسط تلك المذاهب ليس من مقتضيات هذا البحث . فنكتفي بأن نقول ان بداءة الزراعة تمّت في الغالب صدفة

ان عشرين الف سنة او ثلاثين الف سنة زمن طويل اذا قيس بحياة الانسان ، ولكنها فترة قصيرة اذا قيست بألف الف سنة منذ انشأ الانسان يصعد سلم الارتقاء . وكان تقدمهُ بطيئاً في الـ ٩٨٠ الف السنة الاولى التي تحول في خلالها من صياد متنقل الى زارع مستقرّ . ومرّت عليه ازمان كان تقدمه يصيب في خلالها حوائل تمنعهُ عن السير الى الامام او تحمله على النكوص الى الوراء . ولكن ارتقاءه امر لا شك فيه اذا قابلنا بين ارتقائهِ في القرن الاخير بارتقائه في الالفي السنة الاخيرة . او اذا قابلنا ارتقاءه في العصر الميلادي بارتقائه في العشرة آلاف السنة التي سبقته . وقد يختلف الباحثون في تعيين العوامل التي دفعت بالانسان الى الامام ، ولكن قلما يختلف اثنان في جعل المقام الاول لاكتشاف حقيقة الزراعة . وحقيقة الزراعة هي التي جعلته يدرك ان العناية الزراعية ببعض النباتات البرية التي يستعملها غذاء، تمكنهُ من الحصول على غذاء يعتمد عليه في وقت معين . فالزراعة يجب أن توضع في رأس المخترعات التي اخترعها الانسان . واختراعها كان مفتتح انقلاب اقتصادي عظيم في حياته على الارض



اول صورة للذرة ظهرت في الكتب
الاوربية في كتاب طبع سنة ١٥٤٣
ودعيت فيه « بالذرة التركية »
مقتطف يوليو ١٩٣٣



اول صورة لليقطين ظهرت في الكتب
الاوربية في كتاب طبع سنة ١٥٤٣
ودعي فيهِ «الخيار التركي»
امام صفحة ١٧٥

واذا اتهمت باني اسند الى الانسان الاولي اكثر مما يستحق ، أُحب ان ابيّن ان الانسان الحديث — رغم ما اتقنهُ من وسائل الزراعة وزيادة المحصول واستحداث ضروب جديدة وتربية النباتات والحيوانات حتى تستطيع مقاومة الامراض ، وتتمكن من ان تزكو في اقاليم مختلفة — اقول انهُ بالرغم من كل هذا لم يتمكن الانسان الحديث من اضافة نبات جديد او حيوان جديد الى النباتات والحيوانات التي دجّنها اسلافنا الاقدمون . وقد يقال ان ضروباً من العنب والتوت وغيرها استحدثت في العهد الاخير . ولكن الردّ على ذلك ان ليس منها نبات واحد يحسب من نباتات الغذاء الاساسية

***

فنحن اذاً مدينون ديناً عظيماً ، الى اولئك الناس المجهولين ، الذين اختاروا في العصور المتغلغلة في القدم طائفة من النباتات والحيوانات البريّة ، اللازمة لغذاء الانسان ، ولاءموها لما نحتاج اليهِ ، بالزراعة والتدجين . وقد اسدل ستار النسيان على هؤلاء المخترعين العظام ، قبل بداءة عهد التاريخ المدوّن ، لان اصول الزراعة لشدّة قدمها متصلة بالخرافات والاساطير . ففي الحضارات القديمة ، كان الناس يعمدون الى القوى التي من وراء الطبيعة لتعليل حصولهم على محصول ثابت من نبات معيَّن ، سواءٌ في ذلك مصر واليونان ورومية والصين وهنود اميركا . فالِـهُ الذرة كان الهاً ذا مقامٍ كبير بين آلهة الازتك في اميركا الوسطى . وفي مصر القديمة كان الناس يعتقدون ان الحنطة منحة من الاله اوزيريس وفي رومة الوثنية كان الحنطة هبة من الربّة سيريس Ceres ومنها لفظة Cereals في اللغات الفرنجية وهي تطلق على الحبوب بوجهٍ عام

قلنا ان تدجين النباتات والحيوانات ونشوء الحضارات الاولى انحصر في بعض المناطق المختارة . وعلى الضد من ذلك نجد مناطق شاسعة لم يكن لها اي قسط في احدى هاتين الناحيتين . فأميركا الشمالية الى الشمال من بلاد المكسيك ، واوستراليا وجانب كبير من اميركا الجنوبية وافريقية واوربا وآسيا ، كانت سهولاً قاحلة ، في ذلك العهد ، مع انها الآن من اخصب المروج

اما في اميركا فأشهر المناطق التي دجنت فيها النباتات والحيوانات هي البقاع المتوسطة والجنوبية من بلاد المكسيك . وبعض بلدان اميركا الجنوبية وبوجهٍ خاص بيرو واكوادور وبوليڤيا وهي من البلدان التابعة لسلسلة جبل الاندس . اما في بر آسيا واوربا فكل البلاد الواقعة حول بحر الروم وآسيا الصغرى وبقاع محدودة في الهند والصين

***

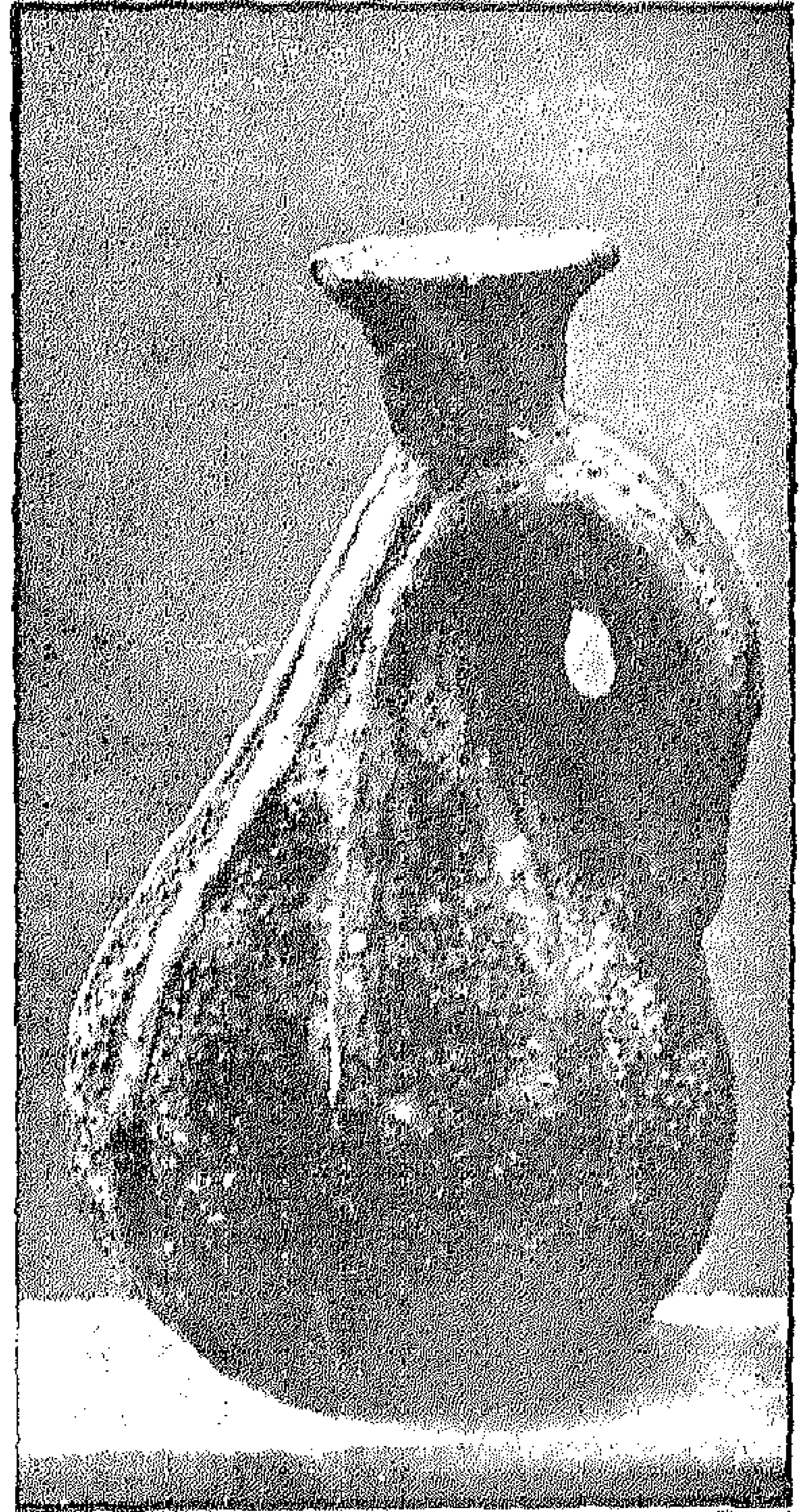
في كل من المناطق المذكورة كان يوجد نباتات عليها العمدة الاولى في الغذاء وبها تمتاز البلاد وتتميز عن غيرها . ففي بلاد المكسيك كانت الذرة الغذاء النباتي الوحيد تقريباً . اما في بوليڤيا واكوادور وپيرو فكانت البطاطس . وكان ثمة نباتات ثانوية في كلتا هاتين المنطقتين

مثل نباتات الفول العادي وفول ليما ونباتات واثمار اخرى. اما في برّ آسيا واوربا فكانت نباتات الغذاء الاساسية نباتات الحبوب العادية : القمح والشعير والشوفان oats والجويدار rye في حوض بحر الروم وآسيا الصغرى وجنوب آسيا الغربي. وكان ثمة حيوانات المناطق المعتدلة الآن ونباتاتها واثمارها. اما في الصين واليابان فكان نبات الارز هو النبات الاساسي للغذاء ولكن الحبوب الاخرى اتصلت بهذين البلادين من عهدٍ قديم من آسيا الصغرى . وكان ثمة نباتات ثانوية لا يتسع المقام لتعدادها . وليس يختلف نبات الارز البري الذي ينبت في الهند وجنوب الصين الآن عن اصناف الارز الاليفة . ثم ان الباحثين عثروا على القمح والشعير والجويدار والشوفان والذرة وغيرها من الحبوب تنبت نباتاً بريّاً في بقاعٍ مختلفة من آسيا الصغرى وجنوب آسيا الغربي

وكانت النباتات الغذائية الاليفة قبل اكتشاف كولومبوس لاميركا اي قبل سنة ١٥٠٠ ميلادية غير مشتركةٍ بين برّ آسيا واوربا من جهة وبرّ اميركا من جهة اخرى . فلم يكن ثمة نبات اليف واحد ولا حيوان داجن واحد — عدا الكلب — موجوداً في نصفي الكرة الارضية . فلما بدأت الدول الاوربية تتوسع توسّعها الاستعماري في القرن السادس عشر وما يليه ، نقل المستعمرون معهم نباتاتهم وحيواناتهم الى مستعمراتهم في اميركا وعادوا من اميركا بنباتاتها وحيواناتها الممتازة بها . ففي العهد الذي تلا طواف مجلان حول الارض (١٥٢٠ ميلادية) كثر تبادل النباتات الاستوائية التي لها شأن اقتصادي بين جزائر الهند الشرقية واميركا عن طريق الملاحة في المحيط الهادىء . وكان للبرتقاليين والهولنديين والبريطانيين اكبر أثر في نشر هذه النباتات

***

واذا اجلتَ بصرك في مواطن الحضارات القديمة رأيت علماء الآثار مكبّين على البحث فيها للكشف عن اسرارها واستخراج كنوز فنونها وصناعاتها المطمورة في الارض . ففي العراق وفلسطين ومصر وسوريا واوربا الوسطى واميركا الوسطى وافريقية تقع عليهم يعانون كل ضروب المشاقّ حبّاً بتوسيع نطاق العلم . ومع ذلك ترى طوائفهم مختلفة شرّ اختلاف في تعليل الحقائق التي كشفوا عنها . ففي العالم الجديد طائفة من العلماء يدّعون ان الحضارات القديمة التي كشف عنها في اميركا الوسطى هي حضارة اميركية مستقلة لم تتأثر بحضارات العالم القديمة في فنونها ولا في علومها فكأنهم يريدون ان يطبّقوا مبدأ مونرو السياسيّ على الحضارات الاميركية . وفي العالم القديم طائفة اخرى لعلّ الاستاذ اليوت سمث — استاذ التشريح سابقاً في مدرسة القصر العيني — والاستاذ السر دانيال هول اكبر زعمائها ، يرون ان العالم القديم هو منشأ الحضارة فالاول يرى في مصر هذا المنشأ والثاني يذهب الى ان الحضارة الشمّرية هي اقدم من الحضارة المصرية



قطعة خزفية تمثل « الدباء »
عند اهل بيرو في اميركا الجنوبية



قطعة خزفية تمثل آلـه الذرة
عند اهل بيرو في اميركا الجنوبية

امام صفحة ١٧٧

والموضوع المختلف عليه هو هل الحضارة عمل متصل الحلقات محكمها اشتركت فيه كل امم الارض بالتتابع ولو كان نصيب بعضها اكبر من نصيب البعض الآخر . او هل نشأت الحضارة في أمم مختلفة على سطح الارض من غير اتصال بينها فاسفرت عن نتائج متماثلة . واول من ذهب من العلماء هذا المذهب الثاني كان الدكتور وليم روبرتسن مدير جامعة ادنبره الذي كتب « تاريخ اميركا » سنة ١٧٧٨ وتابعهُ في ذلك بعض علماء الالمان وايدهُ الاستاذ تيلر بعض التأييد فقط لانهُ كان يرى ان بعض الادلة التي عثر عليها تؤيد المذهب المناقض. واقدم آثار الحضارة على ما نشاهدها في الآثار الفنية وجدت في كهوف فرنسا . والشعوب التي رسمت هذه الصور كانت تعرف الفيل والمموث . وقد دلت المباحث الجديدة في العراق وكريت ومصر ان اقدم آثار الحضارة متغلغلة في جوف التاريخ المظلم. والظاهر ان حضارة الهند وفنونها تلت الحضارة المصرية والشمّرية في النشوء ومنها اتصلت بالبلدان التي الى شرقها مثل كمبوديا . فاذا قيست حضارة اميركا السابقة لكولمبوس بهذه الحضارات ظهرت حديثة العهد لانها لا تشمل الاّ القرون العشرة الاولى من التاريخ المسيحي . فالمسئلة الآن هل نشأت حضارة اميركا الوسطى مستقلة او نقلت اليها اصولها من شرق آسيا عبر المحيط الباسفيكي ؟ فعلماء الآثار الاميركيون يقولون انها نشأت مستقلة والاستاذ اليوت سمث يرى ان عناصر الحضارة الاميركية القديمة نقلت اليها من آسيا

فهل في البحث النباتيّ المتقدم اي دليل لحسم النزاع القائم بين العلماء على اصول الحضارة الاميركية

في سنة ١٨٨٢ وضع العالم ده شاندول كتاباً في اصول النباتات الاليفة ختمهُ بقوله :— « لم اجد في تاريخ النباتات المزروعة أثراً للاتصال بين الامم في العالمين القديم والجديد قبل ان كشف كولمبوس عن اميركا » وقد كان هذا الرأي في نظره بمثابة حقيقة لا تحتاج الى التفصيل والتأييد والرأيُ في مجمله لا يزال مسلّماً بهِ عند معظم العلماء . وقد عاد الى الموضوع من عهد قريب (١٩٣١) الاستاذ ڤاڤيلوف الروسي فقال : ان الزراعة في اميركا في العهد السابق لكولمبوس نشأت مستقلة عن نشأتها في العالم القديم . فاذا كانت شعوب العالم الجديد جاءَت اصلاً من آسيا كما يذهب معظم الباحثين ، فانها ولا ريب جاءَت من دون النباتات التي أنّستها وزرعتها . فتحويل النباتات البرية الى انيسة وزرعها كان عملاً مستقلاً كل الاستقلال في العالم الجديد

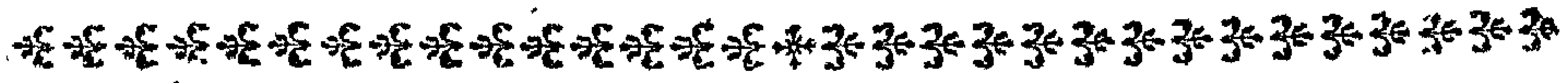
ودرس النباتات الاصيلة في نصف الكرة الغربي ، والنباتات الاصيلة في نصف الكرة الشرقي يسفر عن ان نباتات اميركا لم تظهر في آسيا واوربا ، ونباتات اوربا وآسيا لم تظهر في اميركا الاّ بعد توسع اوربا الاستعماري . وهذا يؤيد قول ده شاندول وڤاڤيلوف واصحاب المذهب القائل بأن حضارة اميركا الاصلية نشأت مستقلة عن المؤثرات الاجنبية



السفياني

للاستاذ بندلي جوزى

جامعة باكو



من يطالع كتب الانبياء بامعان يرى ان اليأس استولى عليهم او كاد في بادىء الامر اي على اثر سقوط دولتهم فأظلمت الدنيا في اعينهم وأخذوا يندبون امتهم بعبارات لا مثيل لها في آداب سائر الامم (راجع مراثي ارميا) ولم يعودوا ينتظرون من شدة ما اصابهم مساعدة من احد «لان جميع اخلاء اورشليم غدروا بها وصاروا لها اعداء» (مراثي ارميا ب) ولما لم يبقَ لهم امل في الخلاص القريب اضطروا ان يعلقوه على المستقبل البعيد حين يبعث الله «الفادي» ثم اخذوا يصوّرون هذا المستقبل المتحجب وراء الغيوم بما كانت توحيه اليهم مخيلاتهم المتهيجة المريضة وعواطفهم القومية المهانة ورغبتهم القوية في الانتقام من الصور الساحرة الخلابة التي هي اقرب الى الهذيان وأضغاث الاحلام منها الى الممكنات المعقولة ولكن سرعان ما تحوّلت هذه الاحلام البعيدة الى آمال قوية في قرب «الخلاص» يوم غلب كورش ملك الفرس البابليين وضم بلادهم الى مملكته ثم اخذ يظهر من العطف على بني اسرائيل والرغبة في استمالتهم اليه لاعتبارات سياسية واقتصادية ما جعلهم ينظرون اليه نظرهم الى مسيحهم المنتظر (١) ليحررهم ويردهم الى بلادهم ويقيم العدل بينهم (٢) وقد كان ذلك كما هو معلوم ولكن الى حين حتى اذا فقدوا استقلالهم مرة اخرى في ايام ذي القرنين وخلفائه ثم في عهد الرومانيين والبزنطيين عادوا الى احلامهم القديمة وآمالهم التي لم تتحقق وكذلك ظلوا يتقلبون بين اليأس والامل والشدة والفرج وينتظرون مخلصهم القومي (٣) حتى قضي امرهم فتشتتوا في طول البلاد وعرضها يحملون في طيات افئدتهم عقيدتهم المعزّية ويبثونها بين الامم التي نزلوا اراضيها . هذه على ما ارى هي العوامل التي اوجبت ظهور الاعتقاد بالمسيح عند اليهود وقد اسهبت في بيانها لاعتقادي بأنها هي نفسها اوجبت انتشار هذا الفكر بين العرب المسلمين ايضاً وبين من اخذ عنهم الدين الحنيف وعلى الاخص بين الفرس

---

(١) «هكذا قال الرب لمسيحه كورش ...» (اشع ٤٥ : ١) «انتم شهودي وعبدي الذي اخترته» (اشع ٤٣ : ١٠) (٢) «انا اقته للعدل وسأقوم جميع طرقه» (اشع ٤٥ : ١٣)

(٣) غلبت الصفة القومية على سائر صفات «المسيح» في كتاب دانيال وذلك في ايام المكابيين في حين ان اشعيا وارميا وعاموس كادوا في بعض الاحيان يجردونه عن هذه الصفة ويصورونه بصورة «مخلص» عام تشمل رسالته الادبية جميع شعوب الارض (international)

لقد اجمع (*) مؤرخو الاسلام (١) ومن كتب في الفرق الدينية (٢) على ان القول بالمهدي او الامام المحتجب ظهر في الاسلام بعد وفاة النبي وانتقل الى العرب خاصة والمسلمين عامة عن اليهود . على اني ارجح ان هذا الاعتقاد كان شائعاً في اهم المدن العربية بين بعض الفرق الدينية كالحنفيين والكسائيين والسابئيين قبل الاسلام وان النبي العربي كان يعلم ذلك قبل ان يظهر دعوته وانما اليهود والنصارى المتهودون (٣) نقلوا الى العرب بعض تفاصيل هذا الاعتقاد وبعض خرافات واحاديث خلقها جهلهم ومخيلاتهم المصابة بالحمى. وقد ذكر ابن خلدون بعض هذه الاحاديث في مقدمته فليراجعها هناك من اراد التوسع في هذا الموضوع .فمن ذكروا بين الذين ادخلوا على الاسلام هذا التعليم عبد الله بن سبا وعبد الله بن السوداء وغيرهما وكلهم كانوا من اليهود الذين « اظهروا الاسلام ليفسدوا — كما يقول صاحب « الفرق بين الفرق » (٤) — على المسلمين دينهم بتأويلاتهم في علي وأولاده » الذي غالوا فيه حتى جعلوه إلاهاً وقالوا انه لم يقتل وانما قتل شيطان في صورة انسان (٥) وانه صعد الى السماء كما صعد اليها عيسى بن مريم ثم انه سينزل منها — القول في الرجعة — لينتقم من اعدائه و « يملك الارض بحذافيرها» (٦) وهذه الفرقة تزعم ان المهدي هو علي دون غيره . وقد تبعها في ذلك اكثر الروافض كالزيدية والامامية والكسائية والاسماعيلية وسائر الغلاة مع اختلاف بينهم في شخص المهدي واسمه او الامام المنتظر بين ان يكون عليًّا نفسه او احد ابنائه او احفاده على انهم قد اجمعوا على ان المهدي لا بدَّ ان يخرج من بيت علي او من بيت النبي وعترته وقد تسرب هذا الاعتقاد الذي كان في اول الامر محصوراً في شيعة علي الى اهل السنة والجماعة حتى اصبح عقيدة عندهم او كاد فلم يبق محدّث الاّ تناوله وخاض فيه ووضع فيه من الاحاديث (٧) ما وافق عصره ودرجة ثقافته وشيعته الدينية او السياسية وصفاته الشخصية الى غير ذلك من المؤثرات الداخلية والخارجية .ونحن انما يهمنا من كل ذلك ان نعلم أن القول في المهدي لم ينتشر بين المسلمين الاّ بعد ان قتل علي بن ابي طالب وان الذين ادخلوه كانوا من اليهود وان الغرض من مجيء المهدي — وهذا هو الاهم — كان في اول الامر سياسيًّا محضاً ولم يتحول

(*) قول الاستاذ هنا باجماع مؤرخي الاسلام !! باطل لا يستند الى دليل قوي ، وكلمة رجل او رجلين فيما روى من الاحاديث عن ظهور المهدي (ولا نقول الامام المحتجب) لا تعد اجماعاً من مؤرخي الاسلام على هذا القول ، ونحن لا نقر الاستاذ على ما وصف به ائمة الاسلام في كلامه هذا من اختلاق الاحاديث والجهل والتخيل المحموم [محمود محمد شاكر]

(١) انظر على الاخص الفصلين الذين عقدهما ابن خلدون في مقدمته على « الفاطمي » وما ذهب الناس فيه ثم على الملاحم والجفر وهما من أهم ما كتب في هذا الموضوع على الاطلاق (الفصلان ٥٣ و ٥٤ من طبعة المطبعة البهية ص ٢٧١ — ٢٩٩) (٢) راجع كتاب « الفرق بين الفرق » لابي منصور البغدادي وكتابي ابن حزم والشهرستاني في الملل والنحل وغيرها (٣) يظهر ان كلمة نصارى الواردة في القرآن لم تكن تشمل جميع المسيحيين بل فرقة منهم عرفت قديماً بهذا الاسم (٤) ص ٢٢٥ (٥) وهذا ما ادعته بعض الفرق (Docètes) في عيسى المسيح (سورة ٤ آية ١٥٦) (٦) الفرق بين الفرق ص ٢٢٤ (٧) وقد فند اكثرها ابن خلدون وغيره من رواة الحديث المحققين

الى غرض اجتماعي واخلاقي الاَّ مع الزمن وبعد ان فشل اصحاب علي مرات عديدة يؤيد ذلك اكثر الاحاديث واقدمها وهي تصرح بأن « المهدي » سيظهر « لينتقم من اعداءِ علي وبيته ويملك الارض كلها » وانه متى اتم مهمتهُ هذه عاد الى حيث اتى. ولهذا اجمعوا او كادوا يجمعون على ان رسالته هذه سوف لا تستغرق اكثر من « سبع او تسع سنوات » « ويكون في امتي المهدي ان قصر فسبع والاَّ فتسع فتنعم امتي فيه نعمة لم ينعموا بمثلها قط تؤتي الارض اكلها ولا يدخر منه شيء والمال يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذ » [1]. وجاءَ في حديث آخر عن جابر ان النبي قال « يكون في آخر امتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عدًّا » [2] وعن ابي سعيد الخدري « يخرج في آخر امتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الارض نباتها ويعطي المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظم الامة يعيش سبعاً او ثمانيا (حججاً) » [3] الى غيرهِ من الاحاديث التي تنسب الى المهدي اغراضاً سياسية مادية وتحصر رسالته في امته فقط. الاَّ انهُ لم تمضِ على ظهور هذا الاعتقاد مائة سنة او نحو ذلك حتى صاروا ينسبون اليهِ اغراضاً اجتماعية واخلاقية كقولهم بان المهدي المنتظر سيملأُ متى ظهر « الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً » [4] ولعلهم انما ارادوا « بالعدل والقسط » الانتقام من اعداء علي وبيتهِ وردّ الحكم ومصادر الثروة والقوة اليهم فيكون حينئذٍ الغرض من مجيء المهدي سياسيًّا محضاً وهو ما ارجحهُ لاسيما وان اكثر شيعة علي والذين غالوا فيهِ وفي ابنائهِ كانوا في هذا الوقت من الفرس الذين لم يتشيعوا لعلي وابنائهِ في باديء الامر الاَّ لغاية سياسية معلومة ألا وهي استرداد ملكهم وما فقدت ايديهم من خيرات هذه الدنيا

على كل حال لا ريب في ان الغرض الاساسي من ظهور القول بالمهدي بين الشيعيين كان في اول الحركة سياسيًّا وعليهِ لا اظنني بعيداً عن الحقيقة اذا صرّحت بان الاحزاب السياسية الاخرى والقبائل العربية التي ظهر بينها القول بالمهدي او بما يرادف هذا الاسم اخذت هذا الاعتقاد عن الشيعيين رأساً لا عن اليهود او عن المسيحيين واكبر دليل على ذلك في نظرنا هو ان هذه الاحزاب او القبائل حصرت الغرض من مجيء « المهدي » او الامام في امر واحد وهو اعادة الحكم واسبابه اليها اذا كانت اضاعته، او اعطاؤها اياه اذا لم تكن بعد وصلت اليهِ. وكل ذلك ظاهر ان كان في خبر « السفياني » او « مهدي » بعض القبائل العربية الذين لم يقدّر لهم ان يلعبوا دوراً هامًّا في تاريخ العرب « كالقحطاني » [5] في اليمن و « التميمي » [6] عند المضرية و « الكلبي » [7] عند بني كلب في اليمن وغيرهم ممن لم تبلغنا اخبارهم ولهذا نعرض عن ذكرهم مقتصرين على خبر « السفياني » مهدي بني سفيان

(١) و (٢) و (٣) مقدمة ابن خلدون ص ٧٥ ومسند احمد ٣: ٣٦ (٤) ابن خلدون ص ٢٧٤

(٥) و(٦) و(٧) راجع عنهم تأليف van Vloten تحت عنوان Recherches sur la domination arabe, le chiitisme et les croyances messianiques sous le Khalifat des Omayyades p. 61 Amsterdam 1894

جاء في كتاب الاغاني (١٦ : ٨٨) ان اول من وضع خبر السفياني وكبّرهُ « هو خالد ابن يزيد بن معاوية وانهُ اراد من ذلك ان يكون للناس فيه طمع حين غلبهُ مروان بن الحكم على الملك وتزوّج امهُ ام هاشم » وهذا الحديث مرفوع الى مصعب عم الزبير الاّ ان صاحب الاغاني او من نقل عنهُ يعد هذا الخبر وهماً من مصعب لان خبر « السفياني قد رواه غير واحدٍ وتتابعت فيهِ رواية الخاصة والعامة وذكر خبر امره ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين وغيره من اهل البيت » على اني ارجح اليوم [1] بان الواهم هو صاحب الاغاني لانهُ خلط على ما يظهر لي بين كلام جعفر المذكور وغيره من اهل البيت في المهدي المنتظر على العموم وبين الكلام عن « السفياني » بطل بني امية او بالاحرى بني سفيان وشتان ما بين هذا وذاك من الفرق فقد رأينا ان دعوة المهدي اصبحت مع الزمن عامّة تشمل جميع المسلمين وان الغرض من مجيئهِ اصبح اجتماعيًّا اخلاقيًّا اكثر منهُ سياسيًّا في حين ان رسالة السفياني كانت دائماً سياسية ومحصورة في بني سفيان ثم في بني امية بعد ان سقطت دولتهم وانتقل الملك الى بني العباس ولم يكن غرضها الاّ اعادة الملك الى بني امية حتى اذا ردّ اليهم انتهت دعوة «السفياني» ولم تعد حاجة اليهِ ولهذا السبب لم يشع خبره والاعتقاد برسالته الاّ بين شيعتهِ وجلهم او كلهم من عرب سوريا وفلسطين وبعض الناقمين على بني العباس من العرب وغيرهم ولهذا ايضاً قالوا ان مدة بقاء السفياني في اصحابه لا تزيد على تسعة اشهر او ما يقرب من ذلك كما يؤخذ من الحديث الآتي : « قال ابو جعفر محمد بن علي كم تعدّون بقاء السفياني فيكم قلت حمل امرأة — تسعة اشهر — قال ما اعلمكم يا اهل الكوفة » [2] وجاء في حديث آخر ان منصور بن الاسود قال : أتيت جابر الجعفي أنا والاسود اخي فقلنا له إنّا قوم نضرب في هذه التجارات وقد بلغنا ان الرايات قد قطع بها الفرات فماذا تشير علينا وماذا تأمرنا ؟ قال اذهبوا حيث شئتم من ارض الله تعالى حتى اذا خرج السفياني فاقبلوا عودكم على بدئكم » [3]

ومما يرجّح القول بان خالد بن يزيد بن معاوية هو الذي وضع خبر السفياني هو ان خالداً كان يطمع في الملك لانهُ كان اكبر ابناء يزيد فكان يجب ان يرثهُ طبقاً للنظام الذي وضعهُ معاوية جرْياً على سنة البزنطيين الذين كان يتأثرهم في ادارة البلاد الاّ ان خالداً لم يرث اباه كما هو معلوم بل ورثهُ مروان بن الحكم واولاده من بعده وبذلك انتقل الملك الى المروانيين وهذا ما لم يكن ليرضى عنهُ بنو سفيان او ينسوه . ومن ذلك ايضاً ان خالداً كان من اشهر علماء عصره بين العرب وكان متفرغاً « لطلب الحديث وقراءة الكتب وعمل الكيمياء » [4] ولهذا لم يكن ليخفى عنهُ امر المهدي وخطورة هذا الفكر وسعي اهل الشيعة في حصره في بيت علي واستغلاله في مصلحتهم فهل يلام خالد او يستغرب منهُ اذا هو اخذ هذا الاعتقاد عن اعدائهِ

(١) خلافاً لما قلته في مقالتي «حنين العرب الى بني امية» فليصلح هناك (٢) كتاب الاغاني ١٦:٨٨
(٣) الاغاني ١٦:٨٨ (٤) الاغاني ١٦:٩٠

واستعمله لمصلحته ومصلحة بيته؟ ومهما يكن من الامر فلا ريب في ان القول «بالسفياني» ظهر في الاسلام بعد ان انتشر الاعتقاد بالمهدي على العموم وبعد ان اضاع بنو سفيان الخلافة ولا ريب كذلك في ان سوريا كانت منشأ هذا الاعتقاد وساحة الحروب التي نشأت عنهُ وان كلمة « السفياني » اصبحت شعار عرب سوريا ينادون بهِ كلما ثاروا على اصحاب السلطة الجديدة ويؤلبون تحته غير الراضين عنها وعن نظامها وادارتها . وقد عرف بنو العباس ذلك منهم فكانوا يخشونهم ويكرهون سماع كلمة «السفياني» كما يُستفاد من الحديث الآتي . ذكر الطبري: « ان رجلاً تعرَّض للمأمون بالشام مراراً فقال له يا امير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم اهل خراسان فقال (المأمون) اكثرت عليَّ يا اخا اهل الشام . والله ما انزلت قيساً[1] عن ظهور الخيل الاّ وانا أرى انهُ لم يبقَ في بيت مالي درهم واحد واما اليمن فوالله ما احببتها ولا احبّتني قط واما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجهِ فتكون من اشياعه[2] اعزب فعل الله بك ! »

وقد حاول عرب سوريا — الجنوبية والشمالية — مراراً ان يردوا الملك الى بني امية فلم يوفقوا للاسباب التي بيناها في مقالتنا السابقة وكم من مرة شقوا عصا الطاعة على بني العباس باسم السفياني فلم يفلحوا على ان ذلك لم يكن ليقعد بهم عن القيام ضد الدولة المبغوضة عندهم كلما سنحت لهم فرصة

ذكر أصحاب التاريخ ان اول ثورة ضد حكم بني العباس ذكر فيها اسم السفياني كانت ثورة علي بن عبدالله بن يزيد بن معاوية الملقب بابي العميطر في الشام وذلك في ذي الحجة من سنة ١٩٥هـ — ٨١٠م والذي يؤخذ من كلام الطبري[3] وابن الاثير[4] ان ابا العميطر « دعا لنفسه بالخلافة مدعياً انه السفياني المنتظر وقوي على سليمان بن المنصور (بن أبي جعفر) عامل دمشق فاخرجه عنها بعد حصره اياه واعانه على ذلك الخطّاب بن وجه الفلس مولى بني أمية وكان أكثر أصحابه من كلب » ولولا اختلافه[5] مع محمد بن صالح بن بيهس الكلابي الذي كان دعاه الى طاعته فلم يجبه الى ذلك ولولا انقسام بني أمية الى حزبين سياسيين متزاحمين على الملك لكان للسفياني شأن آخر في سوريا

ثم ظهرت حركة المبرقع الفلسطيني « السفياني » في فلسطين سنة ٢٢٧هـ / ٨٤٢م و « السفياني » الموسوس في الشام سنة ٢٩٤هـ — ٩٠٦م و « سفياني » آخر في طرابلس (ابن الاثير ٧ : آخر الصفحة) وغيرهم ممن ذكرنا اخبارهم في مقالتنا السابقة فلتراجع هناك . ولم ينته أمر السفياني الاّ بعد ان سقطت دولة بني العباس في أيدي السلاجقة ثم المغول حين لم يبق داع الى النزاع بين الاحزاب العربية السياسية القديمة وحين عمَّ الاعتقاد بوجوب ظهور مهدي عام « يملأ الارض قسطاً وعدلاً » ويحيي الامة العربية جميعها ويرد اليها عزها السالف ويوحد كلمتها . . .

فهل يكون ذلك ياترى ومتى ؟ وهل يكون عن يد «السفياني» أم عن يد شخص آخر ؟

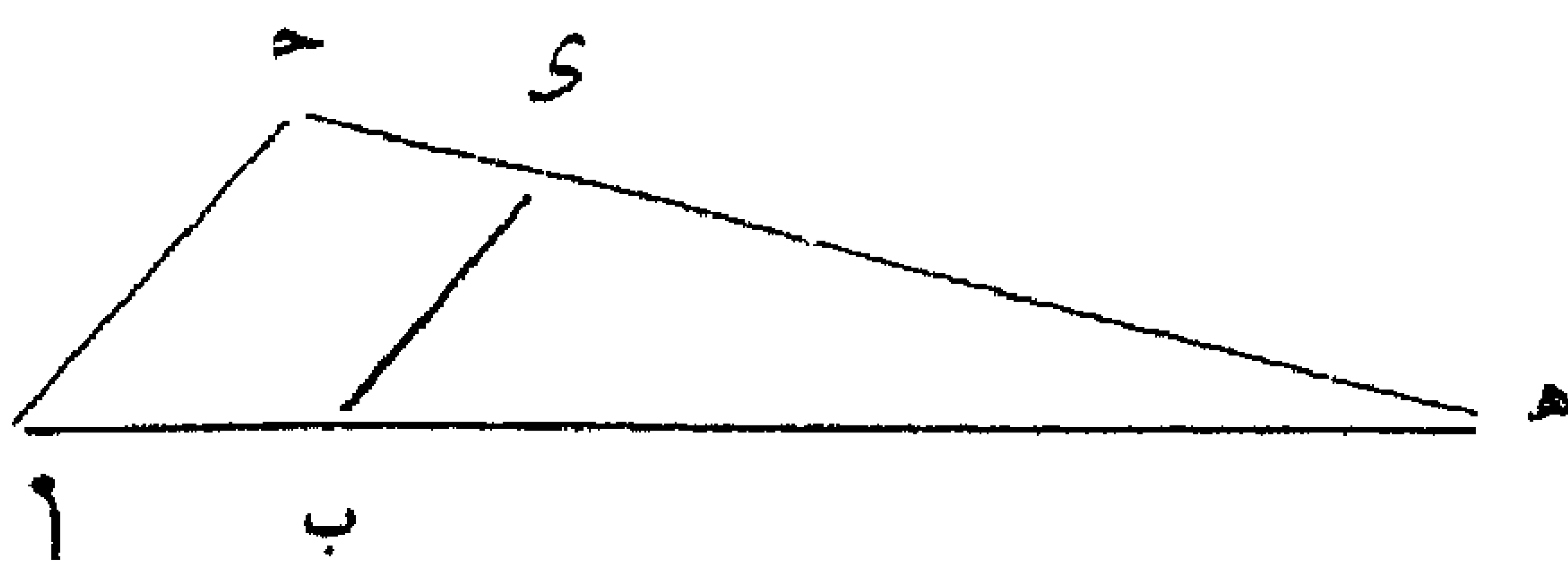
(١) شيعة بني امية وجندهم المجرب (٢) ١٠ : ٢٩٦ (٣) ١٠ : ١٥٥ (٤) ٦ : ٨٩ — ٩٠ من الطبعة المصرية (٥) «ولما مرض ابن بيهس جمع رؤساء بني نمير فقال لهم ترون ما اصابني من علتي هذه فارفقوا ببني مروان وعليكم بمسلمة بن يعقوب . . ابن مسلمة بن عبد الملك فانه ركيك وهو ابن اختكم واعلموه انكم لا تتبعون ببني ابي سفيان وبايعوه بالخلافة وكيدوا به « السفياني »»

فكرة اللانهاية(١)

للدكتور علي مصطفى مشرَّفة
استاذ الرياضة التطبيقية في كلية العلوم بالجامعة المصرية

اللانهاية كلمة تعبر عن معناها تعبيراً حرفيًّا من دون حاجة من جانبي او جانب اي شخص آخر الى تفسير. فـ «لا» النافية. ونهاية حدٌّ او آخر أو طرف. والمعنى إذن ما لا حدَّ له او ما لا آخر او طرف له. فيقال للشيء انهُ لانهائي إذا لم يوجد له حدّ او نهاية. وعكسه الشيء المنتهي أو المحدود

وقد يخطر لاول وهلة أن كل شيء يجب أن يكون محدوداً قبل أن نستطيع الكلام عنهُ كلاماً مضبوطاً وإلاَّ فنحن نتكلم عن شيءٍ نجهل حدوده فنهرف بما لا نعرف. ولكن هذا الخاطر سرعان ما يفارقنا إذا نحن بحثنا في الامر بشيءٍ من التدقيق. ولأُضرب لكم مثلاً على ذلك. فنحن نستطيع ان نعدد الاعداد الصحيحة الموجبة بترتيب تصاعدي فنقول واحد اثنين ثلاثة الخ. ثم إنهُ من الصعب على العقل البشري أن يتصور وجود حد أعلى لهذه الاعداد إذ كلما ذكر عدد أمكن دائماً ذكر عدد اكبر منهُ. فعدد هذه الاعداد إذن نستطيع ان نقول عنهُ إنهُ لانهائي. ونستطيع أن نزيد على ذلك فنبحث في خواص هذا العدد فنحكم مثلاً باننا اذا قسمنا الواحد الصحيح على هذا العدد فإن خارج القسمة يكون اصغر من أي كسر موجب اي يكون الصفر. وكل هذه عبارات مضبوطة لا اعتراض عليها من الناحية المنطقية كما أنها تنطوي على حقائق لها شأنها في المباحث الرياضية البحتة منها والتطبيقية. وربما قيل ان عدد الاعداد الصحيحة الموجبة وإن أمكن الكلام عنهُ الاَّ انهُ لا يمكن اعتباره شيئاً موجوداً في العالم الخارجي اوحقيقة واقعة كما يمكن اعتبار العدد ٣ مثلاً رمزاً على حقيقة واقعة كثلاث برتقالات وثلاثة رجال الخ. وقبل ان اخوض في هذه الناحية الفلسفية لموضوعي أريد ان اواصل كلامي اولاً عن الكميات اللانهائية باعتبارها اشياء موجودة في ذهن المتكلم لهُ أن يعرِّفها ويحدد معانيها وأن يبحث في النتائج المنطقية لهذه التعاريف وفي الارتباط بينها وبين غيرها من المعاني الذهنية



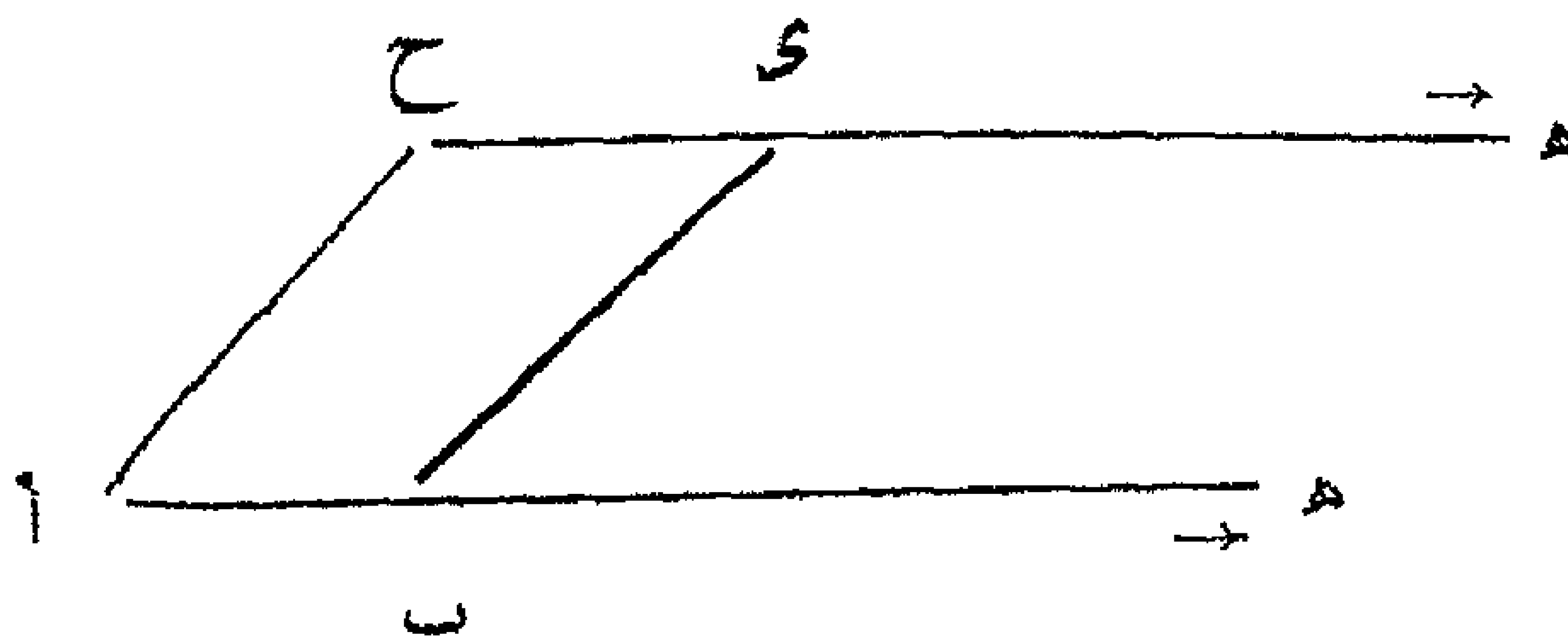
لنفرض اننا رسمنا مستقيمين متوازيين أ حـ، ب ء من نقطتين ثابتتين أ، ب ثم وصلنا حـ ء فقطع امتدادها امتداد أ ب في نقطة هـ

(١) من محاضرات المجمع المصري للثقافة العلمية في مؤتمره الرابع

فاذا علم طول كل من أ ب ، أ ﺣ وعلم الفرق بين طولى أ ﺣ ، ب ى فان طول أ ﻫ يتعين بطريقة هندسية بسيطة من العلاقة

$$\text{طول أ ﻫ} = \frac{\text{طول أ ب} \times \text{طول أ ﺣ}}{\text{الفرق بين طولي أ ﺣ ، ب ى}}$$

واذا نحن تأملنا في هذه العلاقة وافترضنا ان أ ﺣ ، ب ى اقتربا الواحد من الآخر في الطول بحيث صغر الفرق بينهما فان مقام الكسر الذي على اليسار يصغر وبذلك تكبر قيمة الكسر . ثم أريد أن تعتبروا الحالة التي فيها يكون أ ﺣ ، ب ى متساويين في الطول تماماً . قد يظهر لاول وهلة أن الكسر على اليسار يصبح عديم المعنى لان معناه يقتضي تحديد معنى قسمة عدد محدود على الصفر وهي عملية لا نتعلمها عند ما نتعلم القسمة ولكن انظروا معي الى المسئلة الهندسية الاصلية في هذه الحالة



ان المسئلة الهندسية لا تزال مسئلة معيَّنة وكل ما هنالك ان ﺣ ى يوازي أ ب بدلاً من ان كان مائلاً عليه ومعنى هذا ان طول أ ﻫ يزداد بدون حد

هذا مثال من خاصية معروفة للكميات اللانهائية في الكبر نعبر عنها بما يأتي :— خارج قسمة أي كمية محدودة على الصفر يساوي كمية لا نهاية لكبرها واذا رمزنا للكمية التي لا نهاية لكبرها بالرمز ∞ فاننا نكتب

$$\frac{\text{كمية محدودة}}{\text{صفر}} = \infty \quad (١)$$

والعلاقة السالفة بين اطوال المستقيمات تمكن كتابتها على الصورة الآتية

$$\frac{\text{طول أ ب} \times \text{طول أ ﺣ}}{\text{طول أ ﻫ}} = \text{الفرق بين طولي أ ﺣ ، ب ى}$$

ومن ذلك نرى بنفس الطريقة السالفة أن

$$\frac{\text{كمية محدودة}}{\infty} = \text{صفر} \quad (٢)$$

ترون مما تقدم أن العلاقتين (١) ، (٢) صحيحتان مهما كان مقدار الكمية المحدودة (ما دامت محدودة) فمثلاً

$$\frac{١}{\text{صفر}} = \infty \text{ ، } \frac{٢}{\text{صفر}} = \infty \text{ ، } \frac{٣}{\text{صفر}} = \infty$$

وكذلك

$$\frac{١}{\infty} = \text{صفر ، } \frac{٢}{\infty} = \text{صفر ، } \frac{٣}{\infty} = \text{صفر}$$

فاللانهاية إذن مرتبطة ارتباطاً متيناً بالصفر وهي في الواقع مقلوب الصفر كما ان الثلث مقلوب الثلاثة والربع مقلوب الاربعة . أريد ان تتذكروا هذه العلاقة البسيطة بين الصفر واللانهاية عند ما يأتي الكلام على الوجود الخارجي للانهاية لان الوجود الخارجي للصفر ليس من الامور الصعب تصورها . فمن الممكن جداً ان يكون ما في جيبي الآن من القروش يساوي الصفر [مع انني لن اطلب منكم ان تستنتجوا من ذلك ان من الممكن أن يكون ما في جيبي من القروش يساوي اللانهاية] ولكن مع ذلك يصعب من الناحية المنطقية تصور الوجود الخارجي لعدد وانكار الوجود الخارجي لمقلوبه . اي تصور وجود ما هو متناهٍ في الصغر وانكار وجود ما هو متناهٍ في الكبر

ولا اريد ان اخوض بكم في العلاقات الرياضية المختلفة بين الاعداد اللانهائية والعلاقات بينها وبين الكميات المحدودة وفي كيفية تطبيق العمليات الجبرية على الاعداد اللانهائية فان ذلك يخرج هذه المحاضرة عن صبغة المحاضرات العامة ويدخلها في صف المحاضرات المدرسية . وانما أكتفي بان اذكر انه من الممكن تعميم العمليات الحسابية والجبرية بحيث يمكن تطبيقها على الكميات اللانهائية بطريقة منطقية مضبوطة . تقولون كل هذه امور قد تهمّ الرياضيين والفلاسفة ولكننا لا نرى بينها وبين حياتنا اليومية ارتباطاً واضحاً ولكن فكروا معي نحن في حياتنا اليومية وفي تفكيرنا العادي ألسنا نقسم زماننا ومسافاتنا الى اقسام ؟ ألسنا نعتبر اننا نعيش في لحظات متتالية

دقات قلب المرء قائلة له ان الحياة دقائق وثواني

ثم اذا نحن انتقلنا او تحركنا ألسنا دائماً نعتبر اننا ننتقل من « نقطة » الى نقطة اخرى . ففكرة اللحظة وفكرة النقطة ، كلاهما أساس في تفكير البشر عامتهم وخاصتهم

ثم اذا سئلنا ما هي اللحظة ؟ ألا يكون جوابنا انها جزء من الزمن متناهٍ في الصغر ! على هذا الاساس ألا تكون أية مدة محدودة في نظرنا عبارة عن عدد لانهائي من اللحظات المتتالية ؟ فاللحظة في التفكير العادي هي جزء من الزمن مدتهُ الصفر وإذن فلا سبيل الى تكوين مدة محدودة من لحظات الاّ بجعل عددها لا نهائيًّا في الكبر او بعبارة اخرى لا ندحة عن قسمة المدة المحدودة من الزمن في تفكيرنا الى عدد لا نهائي من الاقسام يسمى كل قسم باللحظة وهذا هو نفس المعنى الذي عبرت عنهُ منذ مدة وجيزة بالعبارة

$$\frac{\text{كمية محدودة}}{\infty} = \text{صفر}$$

وكذلك الحال لدى تفكيرنا في المسافات فهي مجموع عدد لا نهائي من النقط . فالتفكير العلمي والتفكير الرياضي إن هما في الواقع الاّ متابعة طبيعية للتفكير العادي يتوخّى فيهِ زيادة الضبط والتدقيق في التعبير . افرضوا معي اننا قسمنا مستقيماً ا ب طوله متران إلى نصفين

بواسطة نقطة $أ_1$ ثم قسمنا الجزء $أ_1$ ب إلى نصفين بواسطة نقطة $أ_2$ ثم قسمنا الجزء $أ_2$ ب إلى نصفين بواسطة نقطة $أ_3$ وهكذا

أ ———— $أ_1$ ———— $أ_2$ —— $أ_3$ —— ب

ثم فكروا في الاقسام

أ $أ_1$ ، $أ_1$ $أ_2$ ، $أ_2$ $أ_3$ ، $أ_3$ $أ_4$ ، $أ_4$ $أ_5$ ، وهكذا

ان طول أ $أ_1$ = ١ ، $أ_1$ $أ_2$ = $\frac{1}{2}$ ، $أ_2$ $أ_3$ = $\frac{1}{4}$ ، $أ_3$ $أ_4$ = $\frac{1}{8}$ وهكذا

ان العقل البشري يستطيع تصور استمرار هذه العملية بدون نهاية بل هو لا يستطيع تصور نهاية للعملية الحادثة في الذهن وإن كان الحدوث في الخارج يقتضي وجود آلات للتقسيم. ولكن العملية « الذهنية » لا نهاية لها فالاقسام أ $أ_1$ ، $أ_1$ $أ_2$ ، $أ_2$ $أ_3$ الخ لانهاية لعددها ولكن فكروا في مجموعها . ان نظرة بسيطة الى الشكل تدلكم على ان نقط التقسيم قد تقرب من النقطة ب ولكن لا يمكن ان تتعداها

انمجموع اطوال الاقسام أ $أ_1$ + $أ_1$ $أ_2$ + $أ_2$ $أ_3$ + $أ_3$ $أ_4$ + — — — لا يمكن أن يزيد على طول المستقيم أ ب أي على مترين . وإذن فـ

$1 + \frac{1}{2} + \frac{1}{4} + \frac{1}{8} + \frac{1}{16} +$ الخ لا يزيد على ٢

والعقل البشري يستطيع ان يقرر اكثر من ذلك فهو يستطيع ان يقرر انهُ اذا زاد عدد هذه الاقسام بدون حد فان الفرق بين مجموعها وبين العدد ٢ ينقص بدون حد حتى يساوي الصفر أي أن

$2 - \left(1 + \frac{1}{2} + \frac{1}{4} + \frac{1}{8} + \frac{1}{16} + \cdots \to \infty\right) =$ صفر

هذا مثال محسوس للحقيقة الآتية وهي أن مجموع كميات عددُها لا نهائي يكون في بعض الاحوال محدوداً . من هذه الحقيقة على وجه الخصوص نشأ خطر دراسة الاعداد اللانهائية من حيث تطبيقها في المسائل العملية وعدم ادراك هذه الحقيقة ينشأ عنهُ اختلاط في التفكير. ومن المغالطات المشهورة المغالطة الآتية وهي ان سلحفاة سابقت ارنباً فتقدمتهُ بمتر عند البدء في حركتها وكانت تتحرك هي بنصف سرعتهِ فلكي يلحق بها الارنب وجب عليهِ أن يقطع المتر الذي بينهما ولكن بينما هو يقطعه تقطع هي نصف متر وبينما هو يقطع هذا النصف المتر تقطع هي ربع متر وبينما هو يقطع الربع المتر تقطع هي ثمن متر وهكذا فاذن لن يلحق بها ابداً . والمغالطة منشؤها افتراض ان مجموع المتر والنصف المتر والربع المتر الخ لانهائي في الكبر مع انهُ كما ترون محدود ويساوي مترين تماماً. واذا عرفت سرعة الارنب وكانت متراً في

الدقيقة مثلاً فاننا نحكم بأنهُ سيلحق بها بعد دقيقتين

والآن انتقل بحضراتكم الى الناحية الفلسفية من الموضوع ومدارها هل الكمية اللانهائية موجودة فعلاً في الخارج . اذا نظرتم الى المثال السابق وجدتم ان مجموع الكميات $1+\frac{1}{2}+\frac{1}{4}+$ — — ← ∞ التي عددها لانهائي ، حقيقة واقعة في الخارج وتساوي مترين

ولكن هل الكميات ذاتها ١ ، $\frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{4}$ ، $\frac{1}{8}$ موجودة على المستقيم أ ب اي هل هناك طول مقداره متر وآخر طوله نصف متر وهكذا على المستقيم ؟

اظنكم ستتفقون معي على ان المستقيم أ أ$_{1}$ موجود في الخارج وكذلك أ$_{1}$ أ$_{2}$ ، وكذلك أ$_{2}$ أ$_{3}$ وكل ما يستطيع الرياضي ان يقوله للفيلسوف في هذه الحالة :— « اذا كان بين هذه المستقيمات ما ليس في رأيك موجوداً على المستقيم فقل لي ايها ؟ اما اذا عجزت فانني سأستمر اتكلم عنها كما لو كانت كلها حقائق واقعة في الخارج »

ولكني لا أزعم ان المسئلة بسيطة الى هذا الحد . لنفرض اننا بدلاً من جعل الأطوال أ أ$_{1}$ ، أ$_{1}$ أ$_{2}$ وهكذا مساوية لمترٍ ونصف متر الخ ، جعلناها كلها متساوية ويساوي كل منها الوحدة ففي هذه الحالة من البديهي ان مجموعها لا يكون محدوداً كما ان عددها ليس بمحدود . سنكون ازاء مستقيم طوله في ازدياد مستمر فهو اطول من اي مستقيم تستطيع تصور مقاسه . والمسئلة اذن مؤداها البحث في خواص الفضاء الذي نعيش فيه . ان الرياضي والفيلسوف يسلمان معاً بأن طول المستقيم لا يمكن تمثيله بأي عدد من الاعداد المحدودة ولكن هل مثل هذا المستقيم شيء موجود ؟ ماذا يحدث عند ما تستمر في مدّ مستقيم ؟ وبعبارة اخرى ما يحدث عند ما نتحرك في الفضاء ؟ هل نستمرُّ نبتعد عن النقطة التي بدأنا منها ونستمرُّ ننظر الى مبدإ رحلتنا كلحظة ماضية ام نعود الى حيث بدأنا ولو بعد حين كما يعود المسافر حول الارض الى النقطة التي بدأ منها . هنا يمتزج التفكير الرياضي بالتفكير الفلسفي . ان خبرتنا في السنين الاخيرة التي نشأت عن دراستنا للعالم الذي نعيش فيه قد أدت بنا الى آراء في خواص الزمان والمكان تختلف اختلافاً بيّناً عمّا كان مألوفاً بيننا من قبل . فلكي نبحث عن الوجود الخارجي لمستقيمنا اللانهائي يجب اولاً ان نتخلص من آرائنا الموروثة عن خواص المكان والزمان والتي نشأت عن افتراضنا تعميم خبرتنا المحدودة بحيث تشمل انحاء الفضاء وتعميم فكرتنا عن الزمان الذي نشعر بمروره بحيث تشمل الماضي والمستقبل جميعاً . ولست أحب ان اخوض بكم الليلة في بحث النظرية النسبية ولكني اكتفي بأن اذكر ان مستقيمنا «اللانهائي» ربما كان بدلاً من توغله في فضاءٍ لا نهائي كما نتصور هو في الواقع ملتوٍ على نفسه كما يلتوي خط الاستواء على نفسه فيعود الى حيث بدأ بحيث ان ابعد مسافة يمكن الوصول اليها هي في الواقع ونفس الامر مسافة محدودة وان كانت كبيرة نسبيًّا بحيث تقارن بابعاد السدم اللولبية عنا

نبذة عن البترول

بقلم المستر فرانكن مدير شركة الزيوت الانكليزية المصرية (١)

هل خطر لاحدكم ان يسائل نفسه من أين يأتي الكيروسين المعروف لنا بالجاز والذي به نطهي الطعام وبضوئه يستضيء السواد الاعظم من أهل هذه البلاد وكيف نحصل عليه وما هو مصدره الطبيعي . يجد القراء فيما يلي جواباً عن هذه الاسئلة بقلم المهندس الهولندي البارع المستر فرانكن مدير الشركة الانكليزية المصرية لحقول البترول المقيم بالغردقة صاحب الفضل في اقامة الاعمال الكبرى بحقول البترول في تلك البقعة الصحراوية النائية والموضوع ينقسم الى المسائل الآتية : — (١) تاريخ تطور صناعة البترول (٢) أصل زيت البترول وما يصحبه من غازات (٣) الطرق المتبعة في حفر آبار زيت البترول واستخراجه من باطن الارض

﴿ تاريخ صناعة البترول ﴾ من الامور التي يشوقنا تتبعها معرفة درجات التطور التي مرت بها صناعة البترول من أول بدئها الى وقتنا الحاضر . واذا نحن علمنا ان محصول العالم من هذه المادة عام ١٨٥٩ لم يتجاوز ثلثمائة طن وانه يبلغ الآن نيف ومائتي مليون طن في كل عام فلا شك اننا ندرك ان ذلك التطور كان عظيماً

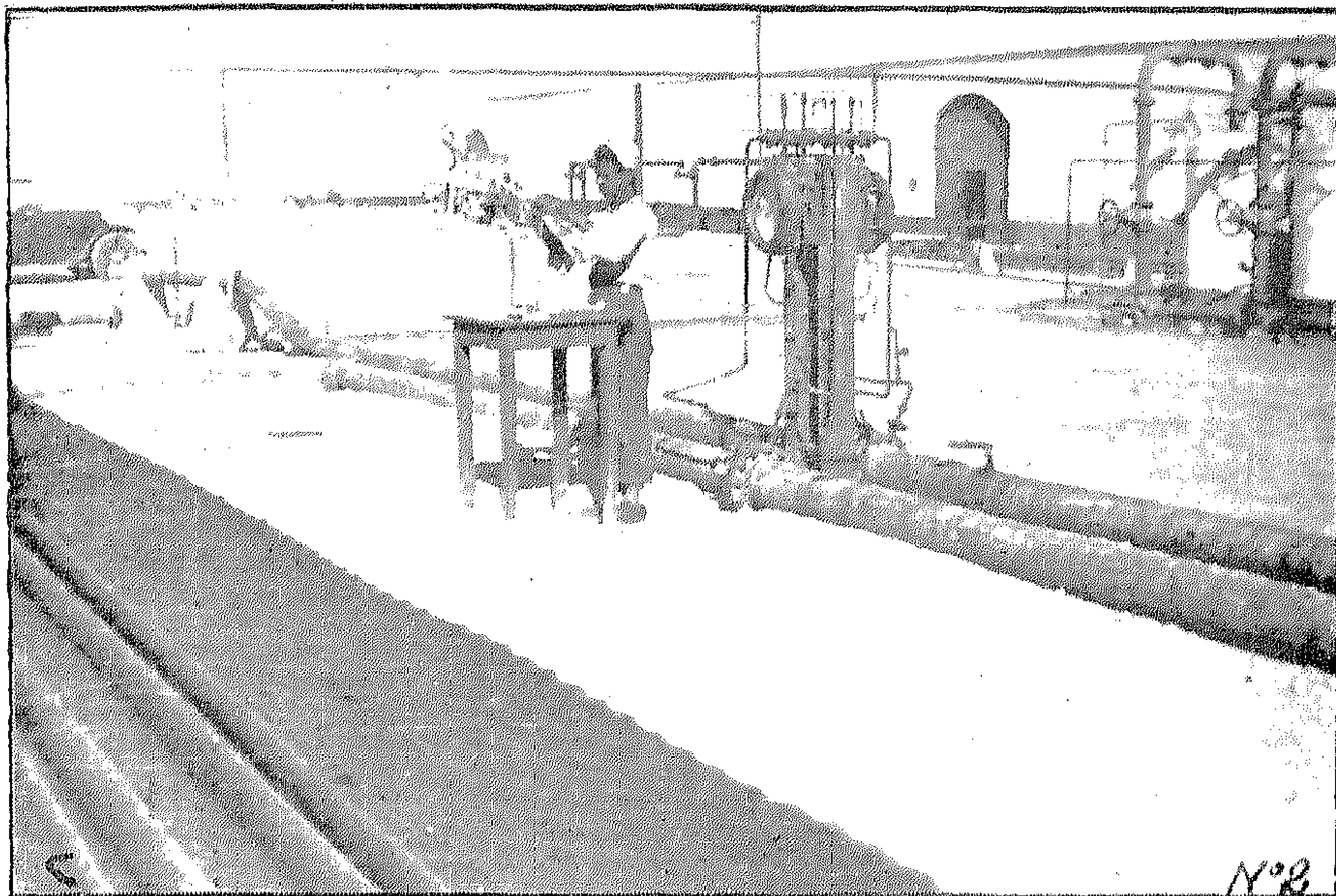
ولم تكن عمليات حفر الآبار للحصول على البترول في ابتداء عهده مقيدةً بنظام خاص او قائمةً على أساس تراكيب جيولوجية معينة بل كان لكل من شاء ان يدعي العلم ببواطن البترول وطرق استنباطه . واني لاذكر في ذلك الوقت ان أحد مديري شركة من شركات البترول اراد انتخاب بقعةٍ يحفر فيها بئراً فطوّح بقبعته في الهواء حتى اذا هبطت الى الارض اختار موقع هبوطها لحفر بئره . ومن محاسن الاتفاق ان هذه البئر كانت من اغزر ما عرف من آبار البترول . ويقولون والعهدة على من روى انهم كانوا يعملون في توصيل خط من الانابيب الى نقطة يراد حفر بئر فيها فلما لم تكف الانابيب للوصول الى النقطة المقصودة حفرت البئر عند آخر نقطة وصلت اليها الانابيب وتؤكد الرواية ان هذه البئر كانت سبباً في اكتشاف حقل بترولي عظيم

وكان القائمون بشئون استغلال حقول البترول يهملون رأي الجيولوجيين في انتخاب مواقع الآبار وأحياناً كانوا يتعمدون مخالفتهم وذلك جهلاً بقيمة ذلك العلم واعتقاداً منهم ان أربابه لم يكونوا سوى دجالين

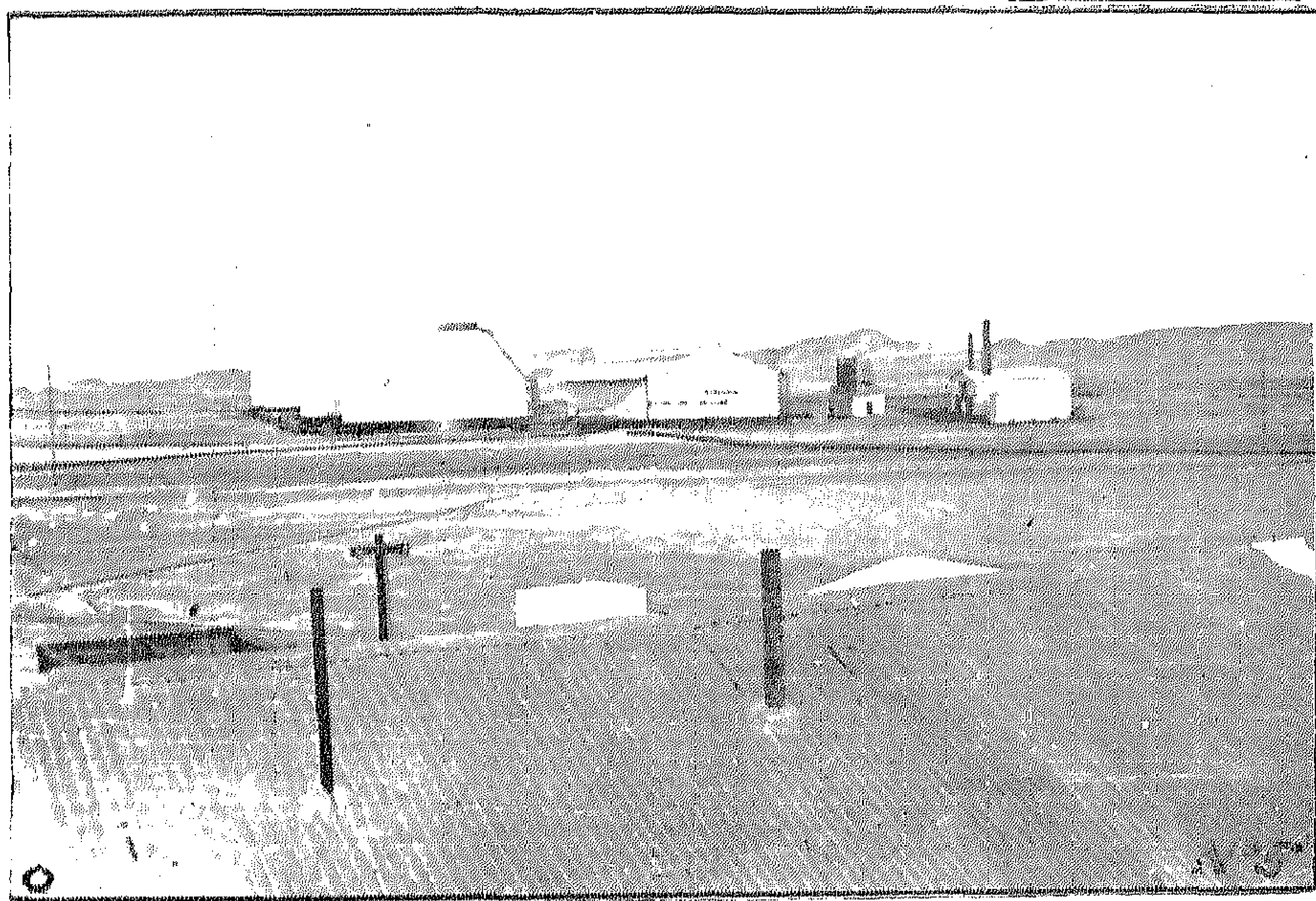
ولا غرابة فقد كان الجيولوجي في ذلك الوقت غير خبير بجيولوجية البترول فكان يقتفي أثر من يقومون بالحفر بدلاً من ان يسبقهم ويرشدهم

---

(١) مترجمة عن الانكليزية بمعرفة الحنفي السيد فهمي افندي مفتش البترول المساعد بمصلحة المناجم والمحاجر



شاب مصري لم يتجاوز الخامسة عشرة يقيس الكثافة النوعية للغاز الذي يستخرج الجازولين منه ويستعمل بعد ذلك وقوداً



المحطة العمومية بميناء الغردقة وفيها الصهاريج الخازنة والمضخات التى تقوم بتفريغ ناقلات البترول وشحنها

حتى اذا جاء المستر هوايت الجيولوجي الاميركي عام ١٨٨٥ وضع القواعد الجيولوجية على أساس الاختبارات السابقة واثبت إمكان تحديد مواقع البترول استناداً الى الظواهر الجيولوجية السطحية وكانت النتائج الباهرة التي حصل عليها خير مقنع لزملائه بصحة استنباطه

ولقد انقضى الآن العهد الذي كان ينكر فيه فائدة الجيولوجيا في المباحث البترولية واصبح السبق للجيولوجيين في فحص المناطق البترولية واستكشافها ، يدلك على ذلك ازدياد الطلب على استخدامهم ، ففي حقول كنساس واوكلاهوما بالولايات المتحدة الاميركية كان عدد الجيولوجيين عام ١٩١٣ ثلاثة فقط فاصبحوا الآن في نفس هذه الحقول نحو مائتين وخمسين شخصاً

﴿ البترول في العصور القديمة ﴾ مع ان صناعة البترول كما نعرفها الآن لم تبدأ الا منذ سبعين عاماً فإن البترول نفسه كان معروفاً واستعمله الانسان في بعض حاجاته منذ مئات بل آلاف السنين. فقد أثبت علماء التاريخ والآثار ان الاسفلت (وهو من البترول الخام) استعمل في آسيا الصغرى وفي مصر بدل الملاط في البناء وقد ذكر هيرودوتس أنه استعمل في بناء سور بابل

كذلك دلت آثار مدنيات الانكاس ببيرو باميركا الجنوبية والازتكس بالمكسيك على ان الاسفلت استعمل لمثل هذه الاغراض. وجاء في الكتب المقدسة ما يشير الى استعمال الاسفلت في أسوار بابل وابراجها، وان فلك نوح والسلة التي وضع فيها الطفل موسى عليه السلام والقي في اليم كانت مبطنة بالاسفلت لمنع تسرب المياه الى داخلها

وقد استعمل المصريون القدماء خام البترول ومنتجاته في تحنيط مومياتهم وقيل ان لفظة موميا نفسها منقولة عن الفارسية ومعناها الاسفلت

كذلك تدل بعض المسارج القديمة التي وجدت في حفائر المصريين القدماء على ان الانارة بها كانت بواسطة خام البترول الذي ينشع على شواطىء البحر الاحمر عند جبل الزيت وجمسا

وكان الهنود الحمر باميركا يعرفون فوائد البترول الطبية قبل ان يطأ الاوروبيون بلادهم . ثم ان ماركو بولو دوّن في القرن الثالث عشر بعد الميلاد ما يدل على ان الروس في منطقة باكو كانوا يستعملون البترول كمسكر ودواء . وقد كانوا يحجون الى منابع البترول في باكو وحول بحر القزوين . وأقام عبدة النار في هاتيك الاماكن هياكل يعبدون فيها النار الدائمة الاشتعال التي تغذيها منابع البترول الطبيعية ويرجع تاريخ بعضها الى ستمائة عام قبل الميلاد

﴿ تقدم صناعة البترول ﴾ وأول مجهود جدي بذل لاستخراج البترول كان في عهد بطرس الاكبر الذي منح عام ١٧٢٣ اول امتياز لاستغلال البترول بمنطقة باكو وقد ظل هذا الامتياز قائماً حتى عام ١٨٧٢ على ان الفضل الاكبر في تقدم هذه الصناعة يرجع الى ما بذل فيها من الجهود الجبارة بالولايات المتحدة وكان البحث عن ملح الطعام والمياه التي تحتوي عليه هو الذي أدّى الى اكتشاف البترول فيها وهو الذي اكسب الباحثين خبرتهم في حفر الآبار

وقد شهد عام ١٨٠٦ حفر اول بئر للبترول في الولايات المتحدة على ضفة نهر كيناوه بمقاطعة فرجينيا فلما بلغت البئر ثمانين قدماً من العمق بدأت تخرج ثلاثة اطنان من البترول يومياً علاوة على ما كان تخرجهُ من الماء المالح

ثم جاء عام ١٨٢٠ حتى كانت صناعة حفر آبار البترول قد تقدمت تقدماً مكّن اصحابها من الوصول الى عمق الف قدم في باطن الارض . وكانت اغلب الآبار قد حفرت على ضفة نهر كيناوه للحصول على الملح وكان البترول الناتج يعتبر من المواد الضارة فيطلق مع ماء النهر الذي سمي لذلك (الزيتي) Old Greasy

وعلى أثر الكشف عن البترول بالولايات المتحدة قامت تجارة لا يستهان بها في البترول كعنصر يشفي كثيراً من الامراض ولتخفيف الآلام وكان أشهر الاصناف زيوت سنكا وزيت كرير الحجري وكان كرير هذا محضراً بمخزن أدوية في بتسبرج بولاية بنسلفانيا وقد أقام مرجلاً لتقطير مازاد على حاجته من البترول واستخلص منه المواد الخفيفة التي استعملها في الاضاءة

وقد تكونت اول شركة للبترول باسم شركة بنسلفانيا للزيوت الصخرية عام ١٨٥٤ وحفرت اولى آبارها عام ١٨٥٦ ببلدة تيتاسفل حيث نبع زيت البترول من عمق ٥٨ قدماً وتدفق على السطح بقوة ثلاثة اطنان او اربعة في اليوم فكان النجاح الذي اصابتهُ هذه الشركة بشيراً بسرعة تقدم هذه الصناعة حتى بلغت شأواً ناوأت به صناعة استخراج الفحم الحجري في أوج عزها . اما في منطقة باكو على بحر قزوين فقد حفرت البئر الاولى عام ١٨٨٩ ففاق الخارج منها ما كان يتصوره العقل وقتئذٍ وكان ما يذاع عنها يقابل بالشك الكثير

وكان يحول دون تقدم العمل في حقول البترول رداءة وسائل النقل فكان زيت البترول في روسيا والولايات المتحدة ينقل من حقوله الى محطات السكك الحديدية في براميل تحملها عربات تجرها الدواب على انهُ في عام ١٨٧٥ مُدّ اول خط من الانابيب لتوصيل خام البترول في بنسلفانيا من منابعهِ الى مدينة بتسبرج . ثم حذت روسيا حذو اميركا على ان معارضة اصحاب عربات النقل اضطرت الحكومة الى حراسة خطوط الانابيب وقتئذٍ بقوات كبيرة مدة طويلة

كذلك قامت شركة نوبل الروسية عام ١٨٧٩ بانشاء اول باخرة خازنة لنقل البترول بالبحار وبذلك تمت وسائل نقل البترول براً وبحراً

وقامت منافسة شديدة بين روسيا واميركا وحمي وطيسها سنين طويلة وظلت روسيا موطن كل جديد ومبتكر في هذه الصناعة حتى عام ١٩٠٢ وقد انتجت بعض آبارها انتاجاً هائلاً نذكر من بينها بئر دروجيا التي تدفق البترول من فوهتها في نافورة تخترق الفضاء الى ارتفاع ثلثمائة قدم . وقدر انتاجها اذ ذاك بنحو سبعة آلاف طن يومياً . وقد استمر ضياع ذلك الانتاج الهائل نحو اربعة شهور . كذلك كانت الحال في نافورة ماتكوف التي كان يتدفق الزيت

منها الى ارتفاع اربعمائة قدم وبلغ انتاجها اليومي نحو اربعة عشر الف طن

مثل هذه النافورات الهائلة جعلت محصول روسيا يبلغ عام ١٩٠١ اكثر من نصف محصول العالم باسره وكان ذلك من مساحة لا تزيد عن عشرة اميال مربعة . ولم تسبق الولايات المتحدة روسيا الا عام ١٩٠٣ بفضل ما اكتشف من حقول بترولية غنية في كاليفورنيا علاوة على ما كان معروفاً منها في ولايتي اوكلاهوما وكنساس . ويبلغ انتاج حقول البترول بالولايات المتحدة الآن ما يزيد عن ثلثي انتاج العالم بأسره

﴿ اصل زيت البترول وغازاته ﴾ يوجد البترول الخام في باطن القشرة الارضية التي تتألف من صخور راسبة واخرى نارية واخرى متحولة. ويهمنا من بينها في مبحثنا هذا النوع الاول الذي يرجع الى ما تكوّن من رواسب حملتها الانهار او الرياح او ما خلفتها الكائنات الحية في البحار وفي هذه الفصيلة من الصخور دون غيرها يوجد خام البترول

اما الصخور النارية كالجرانيت مثلاً فكانت في اول نشأتها عجينة مصهورة شديدة الحرارة ثم بردت فصلبت واما الصخور المتحولة فبعضها من اصل راسب والبعض من اصل ناري وقد تأثرت بعوامل مختلفة من حرارة وضغط شديدين فلا اثر للبترول فيها

وتنقسم نظريات العلماء في تفسير نشأة البترول الى طائفتين الاولى تقرر ان اصل البترول مواد غير عضوية والاخرى تقرر ان نشأته من مواد عضوية واليك خلاصة كل من الرأيين :—

﴿ نظريات المواد غير العضوية ﴾ بعض هذه النظريات مجرد استنباط وتخمين لا يقوم على أساس علمي صحيح والبعض بني على نتائج التجارب في المعامل الكيمائية فهو معقول مقبول وقد اقامهُ علماء الروسيين والفرنسيين على اساس من التجربة

ومع ان هناك نظريات عديدة تدخل تحت هذا الباب فنكتفي بايراد اثنتين من بينها :—

الاولى : ان مادة البترول كانت بين الغازات التي احاطت بالكرة الارضية وقت نشأتها الاولى فلما بردت وتكثفت هذه الغازات تحولت هذه المادة الى سائل البترول الذي تسرب الى جوف الارض

هذه هي النظرية الازلية وهي مجرد تخمين لم يقم اي برهان على صحتها

الثانية : وهي نظرية العالم Mendeleef تقول بوجود كربورات بعض المعادن في جوف الارض وهذه تتأثر بما في باطن الارض من مياه فيتولد منها غاز الاستيلين المستعمل في الاضاءة ولحام المعادن . فاذا تعرض هذا الغاز في باطن الارض لضغط شديد وهو على درجة ملائمة من الحرارة تحول الى سائل البترول

واغلب الذين يقولون بهذه النظرية هم من الكيماويين مع ان احد الجيولوجيين المعروفين Eugene Coste الكندي من انصار هذه النظريات ويدلل عليها بالاسباب الآتية :—

(١) وجود المواد الايدروكربونية في بعض النيازك المتساقطة من السماء
(٢) وجود المواد الايدروكربونية في الكواكب والنجوم
(٣) النجاح في عمل مواد ايدروكربونية في المعمل من مواد غير عضوية
(٤) وجود البترول السائل في بعض الصخور النارية والبركانية
(٥) وجود مقادير ضئيلة منهُ في الحديد « الزهر »

وليس وجود البترول في الصخور النارية دليلاً كافياً على صحة هذه النظريات فربما كان قد تسرب اليها من صخور راسبة ملاصقة لها

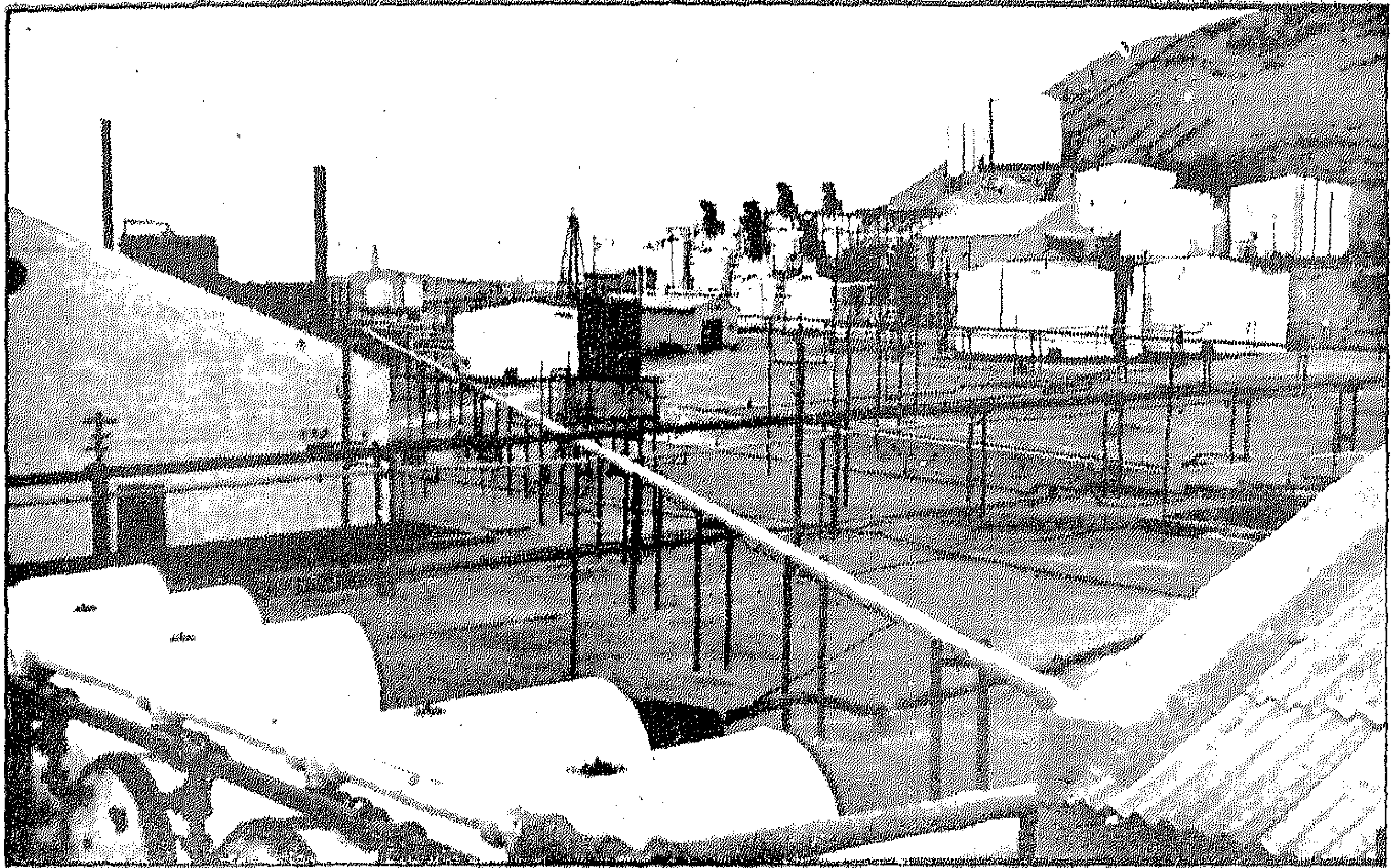
أن اغلب علماء الجيولوجيا لا يعترضون على امكان الحصول على زيت البترول من مواد غير عضوية الاَّ أنهم متفقون على ان هذه الطريقة لا يمكن ان تؤدي الى وجوده بمقادير كبيرة صالحة للاستغلال

﴿ نظريات المواد العضوية ﴾ ذهب العلماء مذاهب عديدة في تفسير نشأة البترول من مواد عضوية ولا تختلف بعضها عن بعض الاَّ في المواد التي تحولت الى بترول وأهمها : —

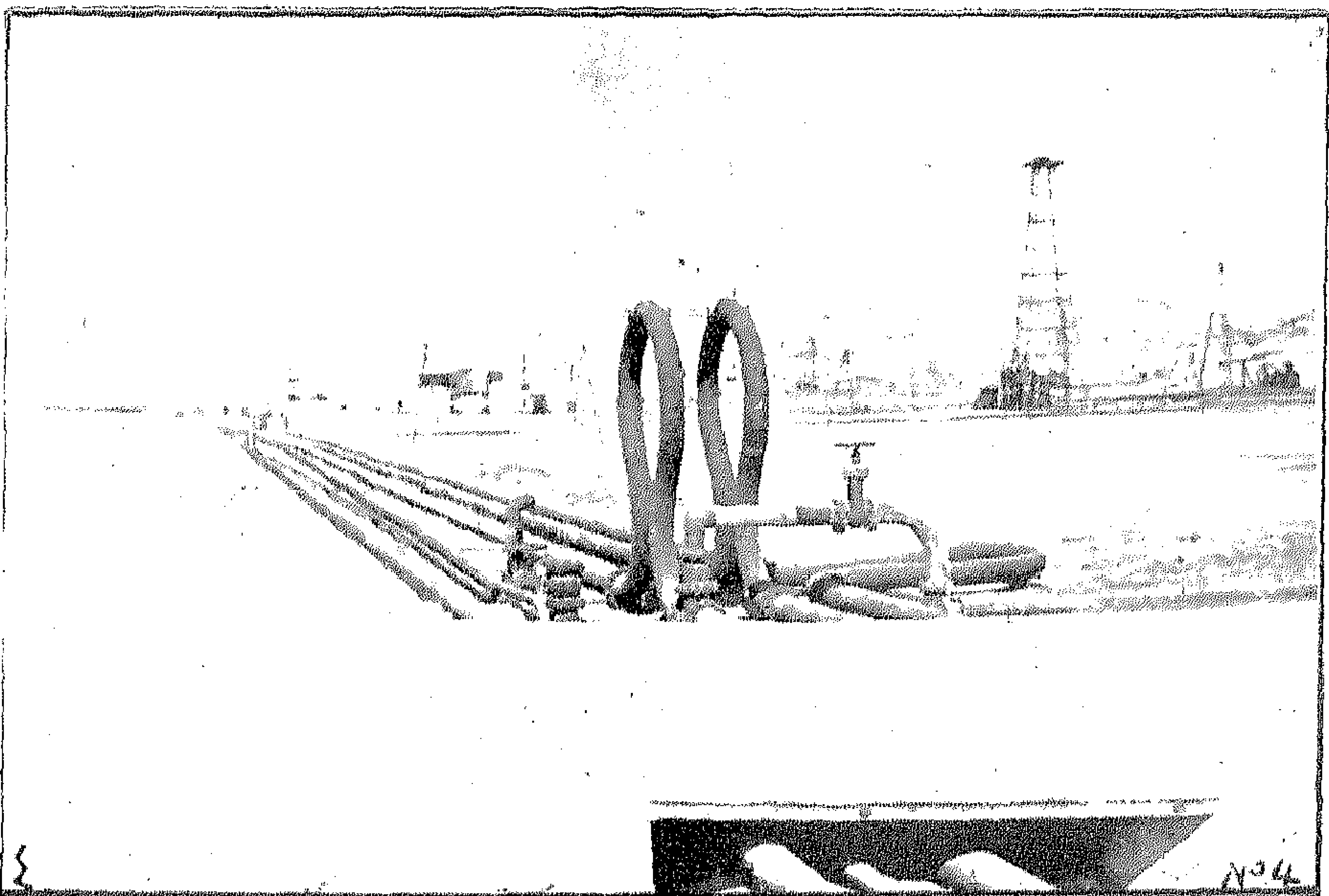
(١) الفحم الحجري والمواد المتفحمة
(٢) بقايا النباتات المتراكمة
(٣) بقايا الحيوانات المتراكمة
(٤) بقايا الحيوانات او النباتات المجهرية الدنيئة
(٥) بقايا الحيوانات والنباتات مختلطة

واقدم هذه النظريات ما يرجع اصل البترول الى الفحم الحجري لوجود المادتين جنباً الى جنب في بعض حقول الفحم الحجري القديمة علاوةً على ما لوحظ من ان الغازات التي تنبعث من طبقات الفحم الحجري تشبه في تركيبها الغازات التي تتصاعد مع البترول في حقولهِ . كذلك كان يعزز هذه النظرية ان الفحم الحجري اذا عرض لدرجة من الحرارة تحت ضغط معين يمكن تقطير زيوت وغازات من الصعب تمييزها من الزيوت والغازات في بعض الحقول البترولية . كذلك لوحظ وجود البترول متصاعداً من طبقات الفحم في اسكتلندا وبعض مناطق فرنسا وفي جزيرة ترينداد . على ان البرهان قد قام اخيراً على انهُ لا اتصال بين الفحم والبترول في هذه الجهات وان وجودهما في صعيد واحد جاء بطريق الصدفة وعلى ذلك فقدت نظرية الفحم الحجري كمادة اصلية في تكوين البترول أغلب معضديها

اما النظرية القائمة على أساس ان البترول مستمد من بقايا النباتات فقط فلا يمكنها ان تفسر ارتفاع نسبة الكبريت والنتروجين في بعض انواع البترول . كذلك نجد ما يناقض أن بقايا الحيوانات وحدها هي أساس البترول لان نسبة النتروجين في البترول اقل كثيراً مما



منظر عام لاجهزة فصل المياه عن البترول وفيها يستعمل التيار الكهربائي العالي الضغط



منظر عام في حقل البترول بالغردقة ترى فيهِ الهياكل الحديدية القائمة فوق آبار البترول وكذلك الانابيب الموصلة بين الحقل وميناء الغردقة وفيها ينقل البترول لشحنهِ

يوجد في المادة الحيوانية بوجهٍ عام . ثمّ ان المواد الحيوانية عادة لا تعدم من بين الحيوانات الحية ما يلتهمها ويبيدها

بقيت النظرية القائلة بأن البترول من اصل عضوي خليط من مواد نباتية وحيوانية وهذه يؤيدها اكثر علماء الجيولوجيا على انهم يقدرون نصيب الحيوان في هذه الحالة باكثر من نصيب النبات . ولا شك في ان ما يتراكم من المواد الحيوانية والنباتية في مواطن الرسوب كاعماق البحار والبحيرات لكاف لأن يفسر المقادير الكبيرة من البترول التي في باطن الارض

وقد قدّر بعضهم ان ما يصاد من صنف واحد من الاسماك في بحر الشمال في مدة ١٣٠٠ عام يكفي لتكوين ما انتجتهُ منطقة غاليسيا من البترول حتى الآن . فاذا قدرنا ان ما يصاد من هذا الصنف ليس الاّ جانباً يسيراً جدًّا مما يوجد في البحر وان هذا الصنف هو واحد بين مئات بل آلاف الاصناف فلا يصعب ان نتصور ان ما يلزم من المواد الحيوانية لتكوين ما نعرفه في باطن الارض من مواد بترولية ضئيل جدًّا اذا قيس بالمواد العضوية في الطبيعة

﴿ طرق حفر آبار البترول ﴾ ابتكرت الطرق الحديثة لحفر آبار البترول عام ١٨٥٩ لدى اكتشاف البترول بولاية بنسلفانيا ومع انها تقدمت كثيراً من ذلك العهد الاّ انها لا تختلف في جوهرها عن احدى طريقتين : الحفر بالدقاق والحفر بالحفار الدائر ولكل من هاتين الطريقتين احوال تلائمها فهي لذلك تستعمل في مختلف الحقول

﴿ طريقة الحفر بالدقاق ﴾ ويعبر عنها بالطريقة الاساسية Standard او الطريقة الاميركية وهي عبارة عن الحفر باستعمال حربة ثقيلة الوزن جدًّا معلقة في نهاية حبل من الليف او السلك الصلب يرفع ويخفض بحركة منتظمة فيفتت لدى اصطدامه بالارض الصخور التي تقابله ويساعده على ذلك الماء الذي يُصَبُّ في الثقب . كذلك تزال المواد المفتتة بالتوالي بأنبوبة نازحة (Bailer)

هذه الطريقة تلائم المناطق المكوّنة من طبقات صخرية صلبة متماسكة بحيث لا تنهار جوانب الثقب ويمكن حفرهُ الى عمقٍ كبير قبل الاضطرار الى تبطينه بالمواسير لوقاية الطبقات المائية او لعزلها . كذلك تفضل هذه الطريقة في الآبار الاستكشافية او آبار التجارب في المناطق المجهولة اذ بها يتسنى لمن يقوم بالعمل تتبع خواص الطبقات واحدة واحدة فتجتمع له معلومات صحيحة تساعده في تفهم حقيقة تركيب المنطقة . اما بعد حفر البئر الاولى فليس ما يمنع من انتخاب اية طريقة اخرى تلائم طبيعة التركيب الصخري للمنطقة

﴿ طريقة الحربة الدائرة Rotary ﴾ والادوات المستعملة في هذه الطريقة عبارة عن حربة

حادة (سكينة) متصلة باسطوانات دقيقة مجوفة من الصلب الى قرص تديرهُ آلة ميكانيكية او كهربائية. وتقترن حركة دوران القرص والسكين بدخول تيار مستمر من الماء داخل الاسطوانات الى حرف السكين القاطع ثم تعود مع المواد المفتتة الى السطح بين الاسطوانات وجدران الثقب . هذا التيار من الماء يساعد على اكتساح المواد المفتتة كما انه يبرد الآلة القاطعة ويضغط على جوانب الثقب فيحول دون انهيارها . ثم انه يسدُّ مسام الطبقات الحاملة للمياه التي يمرُّ بها الثقب . وهي طريقة تلائم الحفر في المناطق المعروفة التركيب والتي تتكوَّن من طبقات قليلة الصلابة ولكنها لا تصلح في المناطق التي يجري استكشافها نظراً لما قد يفوت الحفار من معلومات تفيده في عمله

﴿ الحفارون Drillers ﴾ وهم فريق الاخصائيين في عملية حفر آبار البترول يحذقون هذه المهنة بالمرانة تحت اشراف حفارين آخرين ومن اهم ميزاتهم ان يكونوا ميكانيكيين مهرة سريعي الخاطر ذوي اقدام لا تعوزهم الحكمة في اجتناب المخاطر وهم صبورون شديدو اليقظة ذوو ملاحظة قوية وهو ما تتطلبهُ طبيعة العمل . فالدقاق يتعمق في باطن الارض الى آلاف الاقدام والحفار الذي يزاول العمل لا يمكنه ان يرى ما يقوم بهِ الدقاق بل يلحظه عن طريق الاستنتاج مما يشعر به من حركة السلك الذي تتدلى منهُ الآلة القاطعة

وقبل البدء في عملية الحفر نفسها يجب اقامة الهيكل (Derrick) الحديدي الذي تعلَّق من ساريته الآلات المختلفة . واذا عرفنا ان بعض هذه الآبار يبلغ عمقها آلاف الاقدام قدَّرنا ما يجب ان يكون عليه هذا الهيكل من المتانة لحمل هذه الآلات الثقيلة من دقاقات ونازحات وانابيب تبطين وما اليها

هذا ولا يخفى ان الماء والبترول هما خصمان لا يتفقان ولذلك يجب عزل احدهما عن الآخر في عملية حفر الآبار وذلك بتبطين البئر بمواسير مختلفة الاقطار متداخلة الواحدة في الاخرى مع عزل الطبقة المائية بالاسمنت

﴿ استنباط زيت البترول من باطن الارض ﴾ عند ما يتمُّ حفر البئر بوصولها الى الطبقة الصخرية الخازنة للبترول إما ان يتدفق السائل منها بحكم الضغط الداخلي الناتج من الغازات المحبوسة فيه بدون حاجة الى عمليات خاصة واما ان لا يكون الضغط الداخلي كافياً لرفعه الى السطح وبذلك تتخذ لرفعه احدى الوسائل الآتية :—

(١) انابيب النزح Bailers

(٢) المضخات الماصة الكابسة

(٣) الهواء او الغازات المضغوطة Air Lift

اما انطلاق البترول من باطن الارض الى فوهة البئر فقد يتخذ شكل نافورات شديدة

وذلك اذا توافر في الطبقة الخازنة للبترول غازات مرتفعة الضغط وتبقى مثل هذه النافورة ناشطة مازال الضغط الغازي عالياً . على انهُ يزول تدريجيًا مع تقدم البئر . وقد بلغ انتاج بعض هذه النافورات عشرة الآلاف طن في اليوم الواحد او اكثر . مثل هذه الآبار يتعذر ضبط انتاجها في اول انفجارها فيفقد جانب كبير من بترولها علاوة على ما قد تحدثهُ من الاضرار والتلف . واكبر النافورات حتى الآن نافورة Petrero de Liano المعروفة بالمكسيك وقد انتجت في اول أمرها ما متوسطهُ خمسة وعشرين الف طن في اليوم

مثل هذه النافورات اذا امكن ضبط انتاجها وتوصيل فوهة البئر الى صمامات خاصة فقد يمكن استخراج بترولها تدريجيًا مع بقائها مدة طويلة . على ان انتاجها شأن باقي الآبار يقل تدريجيًا مع قلة ضغط الغازات المحبوسة . وأحياناً يمرُّ البترول الناتج من هذه الآبار المتدفقة في آلات خاصة لفصل الغاز عن السائل قبل تخزين الاخير في خزاناته الخاصة وفي هذه الحالة يستعمل الغاز بمختلف الطرق

اما اذا لم يتدفق البترول تدفقاً طبيعيًا الى السطح فالطريقة الشائعة في رفع البترول هي استعمال المضخات الماصة الكابسة وهذه توضع في باطن البئر وتتصل اسطواناتها بانابيب ثابتة تصل الى السطح يتحرك بداخلها كباس متصل بواسطة سيقان دقيقة من الصلب الى الآلة المحركة

وكثيراً ما يستعمل الغاز او الهواء المضغوط لرفع السائل من باطن الارض الى فوهة البئر وتمتاز هذه الطريقة النقط الآتية :—

(١) انها عملية اتوماتيكية ومضمونة

(٢) عدم وجود اجزاء قابلة للعطب

(٣) رخص النفقات

(٤) توحيد القوة المحركة وجعلها في نقطة مركزية ومنها تتفرع الأنابيب الموصلة الى مختلف الآبار

بهذه الطريقة يرسل الغاز المضغوط الى باطن الآبار فيؤدي الى صعود السائل الى السطح كما لو كان تحت ضغط غازاته الطبيعية

اما في حالة وجود نسبة كبيرة من الرمال السائبة في الطبقة التي ينبع منها البترول فقد يصبح استعمال المضخات كثير النفقة وفي هذه الحالة تستعمل آلات النزح والآلة منها اسطوانة طويلة ذات صمام بأسفلها يفتح ثم يغلق بحسب اتجاه الضغط الواقع عليهِ . فاذا دلّينا هذه الاسطوانة الى باطن البئر فان الصمام ينفتح فيدخل السائل حتى يملأها . عند ذلك يقفل الصمام برفع الآلة الى السطح وهكذا تصل الى السطح مملوءة بالزيت . وعلى كل حال فهذه طريقة كبيرة النفقة وان كان لا بدَّ منها في بعض الاحيان

اسرار السينما الناطقة

تسجيل الاصوات في السينما

طريقة الاسطوانات او الاقراص

﴿ انتقال الصوت ﴾ لا بد لفهم الطريقة المستخدمة لتسجيل الصوت ، على الاسطوانة او على الفلم ذاته ، من البحث في انتقال الصوت

اذا تأملنا طائفة من الاجسام التي تحدث الصوت وجدناها في حالة حركة : فوتر العود يهتز ، بدليل أنهُ اذا وضعت عليهِ ورقة صغيرة على شكل الرقم ٨ قفزت بعيداً عنهُ ، والناقوس في حالة اهتزاز ، والدليل على ذلك انهُ اذا امسك باليد عند حافته ، امتنع صوته فوراً . والشوكة الرنانة اذا طرقت احدثت صوتاً بسبب اهتزازها ، ولاثبات هذا الاهتزاز يقرب طرفها من الاسنان فيشعر الشخص بصدمة عنيفة ناتجة عن اهتزاز الشوكة ، او يغمس طرفها قليلاً في كأس بهِ ماء ، فينتثر الماء رشاشاً دقيقاً ، لا يلبث أن يتلاشى ، وهذا يثبت تحرك الشوكة حركة اهتزازية في اثناء احداثها للصوت

والجسم المحدث للصوت بتحركه يحرك الهواء حركة موجية . ويمكن تشبيه هذه الحركة بحركة الماء اذا القينا فيهِ حجراً . فمن المشاهد أنهُ اذا القي حجر في ماء ساكن ، كماء بحيرة او مستنقع أو حوض كبير ، أحدث الحجر موجات على شكل حلقات مركزها النقطة التي سقط فيها الحجر ، وهذه الحلقات تأخذ في الاتساع والانتشار شيئاً فشيئاً ، وتقل في نفس الوقت شدتها ، حتى تتلاشى تماماً

وهذا عين ما يحدث في انتقال الصوت فالجسم المحدث للصوت يولّد في الهواء موجات تأخذ في الانتشار ، اسوة بالموجات المائية . وهذه الموجات اذا دخلت صيوان الاذن مثلاً حركت طبلة الاذن. ومن ثمَّ تنتقل هذه الحركة في عظيّمات وقنوات خاصة حتى تصل الى اعصاب السمع الواصلة الى المخ

﴿ نظرية الفنوغراف ﴾ ومن السهل بعد التمهيد السابق أن نفهم نظرية الفنوغراف . يتألف الفنوغراف من قرص (وهو المسمى اسطوانة) بهِ خطوط متعرجة تجري فيها ابرة من الصلب متصلة بقرص صغير من مادة كالزجاج اسمها الميكا (وقد يصنع القرص من الكربون) وهذا القرص يؤلف غطاء علبة صغيرة اسطوانية الشكل اسمها السماعة متصلة بالبوق

فاذا اديرت الاسطوانة اهتزّت الابرة بسبب اصطدامها بتعاريج خطوطها وترتب على هذا الاهتزاز اهتزاز قرص الميكا . وباهتزاز هذا القرص يهتز الهواء المحصور في السماعة ، وتنقل هذه الاهتزازات أو الموجات عن طريق البوق الذي يكبرها الى الجو فاذن السامع

ولما كانت درجة النغمة (أي حالتها من حيث الحدة والغلظ) تتعلق على عدد ذبذبات (أي اهتزازات) الجسم المحدث لها في الثانية ، فانه اذا أدير الفنوغراف بسرعة ارتفعت النغمة (أو الطبقة في اصطلاح الموسيقيين) . وبالعكس اذا أدير الفنوغراف ببطء كانت النغمة منخفضة (أي الطبقة واطئة) ، وبناء على هذا فمن الممكن أن نجعل صوت عبد الوهاب أعلا طبقة من صوت أم كلثوم بزيادة سرعة الفنوغراف . ولكن هذا لا يستحب لان الغناء يكون سريعاً والكلمات تتوالى بشكل غير طبيعي ، ويكون الصوت مصطنعاً . ولسماع صوت المغني على حقيقته يدار الفنوغراف بالسرعة التي اديرت بها آلة الالتقاط ، وهذه السرعة هي ٧٨ دورة في الدقيقة للاسطوانات العادية و ٣٣⅓ دورة في الدقيقة لاسطوانات السينما . وسيأتي شرح السبب في هذا الاختلاف

﴿طريقة عمل الاسطوانات القديمة﴾ كانت الاسطوانات القديمة اسطوانية الشكل (ولذا سميت اسطوانات) والعامة تطلق عليها اسم « الكبايات » وهذه الاسطوانات مصنوعة من مادة شمعية

وفي تعبئتها تستعمل سماعة ذات قرص من الميكا في وسطه إبرة قاطعة من الصلب أو نحوه فتوضع الابرة على أول الاسطوانة ، ويقرب المغني فمه من البوق المتصل بالسماعة ، وتدار الاسطوانة . فاذا غنى المغني اهتز قرص السماعة والابرة ، فحفرت على الاسطوانة خطاً حلزونياً ذا فجوات مختلفة العمق تبعاً لارتفاع الابرة وانخفاضها ، وفي اثناء دوران الاسطوانة تتحرك الابرة من أول الاسطوانة الى آخرها ببطء ، بحيث يؤلف مسير الابرة خطاً حلزونياً يغطي سطح الاسطوانة

ولاستعادة الصوت تستخدم سماعة ذات ابرة غير حادة . فاذا أديرت الاسطوانة اصطدمت الابرة بالحفر فاهتزت السماعة وتولدت فيها موجات تنتقل في البوق الى الهواء فالاذن . ولما كانت الحُفر مناظرة للموجات الاصلية المحدثة لها ، فان الموجات الجديدة تكون مشابهة لموجات الصوت الاصلي وكذلك يكون صوت المغني وصوت الفنوغراف متشابهين . والاسطوانات القديمة يسهل محوها وتعبئتها في المنازل بالطريقة السالفة

﴿الاسطوانات الحديثة﴾ الاسطوانات الحديثة ، كما هو معلوم ، على هيئة أقراص . وسميت اسطوانات رغماً عن أنها غير اسطوانية الشكل ، اثباتاً للتسمية الاولى . وتمتاز الاسطوانات الحديثة على الاسطوانات القديمة بعدة أمور منها

(١) صغر الفراغ الذي تشغله اذ تشغل العشرون منها فراغاً أقل بكثير مما تشغله عشر من الاسطوانات القديمة

(٢) الاسطوانات الحديثة معبأة من وجهيها . اما القديمة فمعبأة من ظاهرها دون باطنها

(٣) الاسطوانات الحديثة اكثر صلابة وأظهر صوتاً من الاسطوانات القديمة

وتمتاز ابرة الفنوغراف الحديث بانها غير ملتصقة بوسط قرص الميكا مباشرة ، اذ أنها متصلة برافعة طرفها ملتصق بوسط القرص . وهذا القرص مثبت في وضع رأسي ، ونتيجة هذا انهُ اذا اهتز القرص اهتزت الابرة في مستو افقي (أي يميناً ويساراً) . فاذا وضع قرص من الشمع تحت الابرة وادير : أحدثت الابرة عليهِ خطاً منتظماً هو عبارة عن دائرة. أما اذا حركنا الاسطوانة في مستو افقي فان الابرة تحدث فيها خطاً حلزونياً منتظماً

***

هذا اذا كانت الابرة غير مهتزّة . فاذا تكلم إنسان أو غنّى امام البوق اهتزت الابرة وكان الخط الحلزوني الحادث غير منتظم بل كان متعرجاً تبعاً لاهتزاز الابرة والاسطوانات الشمعية المحضرة بالطريقة السالفة تسمى « امهات » وتنقل عنها الاسطوانات التي تباع للجمهور بواسطة الكهربائية

﴿طبع الاسطوانات بالكهربائية﴾ لما كان الشمع غير موصل للكهربائية ، فان الامهات تطلى بمسحوق الجرافيت . والجرافيت هو المادة التي تصنع منها الافلام المعروفة خطأ بأقلام «الرصاص» ومن مميزاته انه املس موصل للكهربائية . ثم توضع الامهات بعد طليها بالجرافيت في حوض الطلاء الكهربائي حتى تغطى تماماً بطبقة سميكة من النحاس او الالومنيوم وبذا يحصل على قرص من النحاس يعرف بالقالب يستخدم في صنع الاسطوانات التي تباع للجمهور بواسطة الضغط وفي الغالب تحتفظ المصانع بهذا القالب لعمل قوالب اخرى منه ، لان هذه القوالب تتلف اثناء عملية ضغط الاسطوانات ، وتدعو الحاجة الى عمل قوالب اخرى. فبدلاً من الاحتفاظ بالامهات (وهي سريعة التلف لكونها من الشمع) يحتفظون بالقالب الاول ، ويصنعون منه قوالب اخرى بالطلاء الكهربائي كما سبق . والاسطوانات القديمة تتركب من :

حمض دهنيك (ستياريك)	١٢ رطلاً
صودا كاوية	١ رطل
اكسيد الومنيوم	١ اوقية
شمع البرافين	٢ رطل

وهذا التركيب لا يختلف كثيراً عن تركيب الامهات في الاسطوانات الحديثة اما الاسطوانات الحديثة ذاتها فتركب من الابونيت وهي مادة تتركب من الكوتشوك والكبريت بالنسبة الآتية

كوتشوك	١٠ اجزاء
كبريت	٣ اجزاء
شمع	قليل
زيت بزر الكتان	قليل

والابونيت سمي بهذا الاسم للونه الاسود الذي يشبه لون الابنوس . وهو شديد الصلابة ولا ادل على صلابته من ان الاسطوانة الواحدة المصنوعة منه تبلي مئات من الابر الفولاذية . وقد قدر ان ضغط السماعة على الاسطوانة بواسطة الابرة يعادل طنّين على كل بوصة مربعة وهذا ضغط عظيم يشهد للابونيت بالصلابة والمتانة

ويستعان على عمل الاسطوانات من الابونيت بالتسخين والضغط بمكابس قوية ثبتت بها القوالب النحاسية

وقطر الاسطوانة المعتادة يتراوح بين ٢٥ و ٣٠ سنتمتراً ، اما الاسطوانات المستعملة في السينما فهي اكبر حجماً ، ومعبأة من وجه واحد فقط لتسهيل ترتيبها واستعمالها

﴿ التعبئة بالكهربائية ﴾ في الطريقة الحديثة للتعبئة لا يكون المغني مضطراً الى الغناء في نفس الحجرة التي بها الآلة اللاقطة،على مقربةمن البوق ، بل تكون هذه الآلة في حجرة خاصة بعيدة عن الضوضاء ، ويكون المغني في حجرة اخرى تتوافر فيها الشروط الصوتية الملائمة للتعبئة ، مثل عدم انعكاس الصوت والرنين . ويتم الاتصال بين المغني وآلة الالتقاط بواسطة الميكرفون

والميكرفون جهاز يستخدم لنقل الصوت بالكهربائية (وبعبارة ادق: لتحويل الموجات الصوتية الى تيارات كهربائية) ومن احد اشكاله الشائعة بوق التلفون الذي يوجّه فيه الكلام

والميكرفون التليفوني بسيط التركيب ، اذ يتألف من حبيبات من الكربون (الفحم) يمر فيها تيار كهربائي من بطارية ، وهذا التيار واصل الى السماعة التي يضعها المخاطب على اذنه فاذا تكلم المتكلم في البوق تضاغطت الحبيبات او تراخت بسبب اهتزاز قرص رقيق ملاصق لها . ونتيجة تضاغطها مرور تيار قوي الى السماعة ، ونتيجة تراخيها عرقلة سير التيار (لجودة الاتصال في الحالة الاولى ورداءته في الحالة الثانية) . ويترتب على تغير شدة التيار تغير القوة المغناطيسية لساق مغناطيسي صغير في السماعة ، وهذا يؤدي الى تذبذب قرص رقيق من الحديد امام المغناطيس، ذبذبات مناظرة لذبذبات قرص الميكروفون، فيحدث صوت يناظر الصوت الاصلي

وتفسير عمل التليفون هذا هو عين تفسير التعبئة الكهربائية : فصوت المغني يحدث تغييراً في شدة التيار الكهربائي، وهذا التيار المتغير يؤثر في سماعة خاصة للفنوغراف اللاقط تشبه في

التركيب سماعة التلفون ولكن قرصها متصل بابرة قاطعة ، بحيث انهُ اذا تذبذب قرص السماعة اهتزت الابرة فأحدثت خطاً متعرجاً على سطح الاسطوانة الدائرة، ولما كانت الاسطوانة ذاتها تتحرك ، فضلاً عن دورانها، في مستوًى افقي ، جهة اليمين او اليسار مثلاً ، فان الخط الحادث يكون خطاً حلزونياً متعرّجاً

﴿ نظام الدوران ﴾ يلاحظ ان الابرة في الاسطوانات المعتادة تبدأ من المحيط الخارجي مقتربة من مركز الاسطوانة شيئاً فشيئاً

وهذا النظام خطأ من الوجهة الفنية، لاسباب سيأتي شرحها، ولكنّ هناك داعياً يحتمهُ وهو ان الفنوغراف عند ما يشرع في الدوران يكون الزنبلك ملتفاً تمام الالتفاف وقوته كبيرة ، ولكنهُ لا يلبث أن ينبسط شيئاً فشيئاً فتضعف قوتهُ ، ولهذا السبب تبدأ الابرة من الخارج لان تأثير ثقلها على الاسطوانة في هذا الوضع يكون أكبر ما يمكن، ويأخذ تأثير هذا الثقل في الضعف حتى اذا قاربت محور الاسطوانة كان تأثيرها ضعيفاً وفي هذه الحالة لا يعجز الزنبلك المرتخي عن ادارتها .وهذه نظرية ثابتة في الميكانيكا ،ومؤداها ان تأثير القوة يزداد تبعاً لازدياد بعدها عن المحور الذي يتحرك حولهُ الجسم ، فانت مثلاً تستطيع اغلاق باب ثقيل باصبع واحدة ، اذا وضعتها قرب الحافة التي بها القفل . أما اذا حاولت اغلاقه بدفعهِ عند نقطة قريبة من المفصل فانهُ ليعجزك اغلاقه ولو دفعتهُ بكلتا يديك

ونظن انهُ اذا انتشرت الفنوغرافات التي تدار بالكهرباء عملت الاسطوانات بحيث تبدأ الابرة من الداخل الى الخارج

وهذا هو الحال في اسطوانات السينما ، فانها تدور بالشكل السالف،أي ان الابرة تتحرك من الداخل حتى تبلغ محيطها الخارجي . ولما كانت فنوغرافات السينما تدار كلها بالكهرباء ، فلا خوف اذن من ضعف المحرك وبطء السرعة

أما السبب الذي من أجله يفضل ان تبدأ الابرة من الداخل فهو هذا : بالنظر لصلابة الاسطوانة تبلى الابرة شيئاً فشيئاً حتى اذا مرّت على الوجهين كانت غير صالحة للاستعمال . ولما كان المحيط الخارجي اكبر من المحيط الداخلي ،كانت تعاريجهُ كبيرة متسعة . أما تعاريج الاجزاء الداخلية فهي تكون صغيرة متقاربة دقيقة

ولا يصلح لهذه التعاريج الدقيقة غير سن رفيع جدّاً ، ولهذا يتحتم استعمال الابرة قبل ان يبلى سنها في هذه الاجزاء الداخلية . اما في الطريقة الشائعة وهي البدء في الدوران من الخارج فان الابرة عند ما تبلغ التعاريج الداخلية الدقيقة يكون سنها قد تآكل فلا يندمج في قناة الصوت تماماً . ولهذا السبب يشاهد تلف الاجزاء الاخيرة من الاسطوانات

﴿ سرعة الدوران ﴾ من المشاق التي لا يستهان بها في السينما الناطقة ضبط سير الاسطوانة

مع الفلم لان عدم الدقة في ذلك تؤدي الى نتائج سخيفة أظهرها ان تسمع الصوت بينما يكون فم المتكلم مغلقاً ، وأن يفتح الممثل فمه دون أن تسمع شيئاً . وهذا الخطأ لاحظه كثيرون في الافلام المصرية الناطقة (رغماً عن تسجيل الصوت على الفلم) ولكن هذا الخطأ ناتج عن جهل العامل الذي يدير آلة العرض، كما سنبينه عند الكلام على تسجيل الصوت على الفلم

وتذليلاً لصعوبة ضبط الفلم والاسطوانة تعمل اسطوانة لكل فصل (٣٠٠ متر) بحيث يضبطان معاً في البدء ثم يسيران معاً (اذ يحركهما محرك كهربائي واحد) حتى نهاية الفصل . ويكون الفصل التالي واسطوانته في الآلة الثانية ، حتى اذا انتهى الفصل الاول ، عرض الفصل الثاني بدون توقف

وسرعة الفلم الناطق ٢٤ اطار (أو صورة) في الثانية ، ومعنى هذا أنه في الدقيقة الواحدة يعرض ٢٧ متراً من الفلم . وبمقتضى هذا الحساب يستغرق الفصل الواحد نحو ١١ دقيقة . ولما كان وجه الاسطوانة المعتادة يستغرق نحو دقيقتين ونصف فمن الواضح انهُ يتحتم عمل اسطوانات كبيرة جدًّا حتى يستغرق عرض الوجه منها ١١ دقيقة . وحيث ان الاسطوانات اذا كانت كبيرة جدًّا كانت أغلا ثمناً واكثر عرضة للكسر فقد عملت للسينما اسطوانات اكبر قليلاً من الاسطوانات العادية ولكنها تدور ببطء ، إذ ان سرعة الاسطوانة العادية ٧٨ دورة في الدقيقة وسرعة اسطوانة السينما ½ ٣٣ دورة في الدقيقة

وفي الافلام ذات الاسطوانات توضع علامة في أول الفصل وعلامة عند مبدأ الاسطوانة (من الداخل طبعاً) وعند العرض توضع العلامة التي بالشريط في فتحة الآلة العارضة أمام العدسة ، وتوضع السماعة فوق علامة الاسطوانة ، ويدار المحرك الكهربائي فيدير آلة العرض والفنوغراف وبعد برهة وجيزة تظهر الصوت ، ويسمع الصوت . ويلاحظ أنه اذا قطع جزء من الفلم وضعت بدله قطعة من شريط أسود مثله في الطول حتى لا يختل توافق الصور والصوت (Synchronization)

﴿ انطاق الافلام الصامتة ﴾ عند ما انتشرت السينما الناطقة رأت بعض الشركات ادخال الصوت على أفلام صامتة سبق اخراجها وانفق في سبيلها آلاف الجنيهات بدلاً من اعادة تمثيلها ناطقة

وطريقة ذلك ان يعرض الفلم الصامت أمام الممثلين (وليس من الضروري أن يكونوا نفس الاشخاص الذين ظهروا في الفلم) في حجرة ظلماء وأمامهم الميكروفون ، فيتكلمون كلاماً محفوظاً يلائم حركات الممثلين على الستار ، خصوصاً حركات الشفاه . وهذا العمل يتطلب بطبيعته تمريناً طويلاً شاقًّا . ومن أهم شروط النجاح ضبط سير آلة التقاط الصوت مع سير آلة عرض الصور

وهناك صعوبات كأداء ، يكاد يكون من المستحيل التغلب عليها ، نذكر منها

(١) الفلم الناطق سرعتهُ ٢٤ صورة في الثانية ، والفلم الصامت سرعته ١٦ صورة في الثانية . فاذا أدير الفلم الذي أخذ في المبدأ صامتاً بسرعة ٢٤ كانت حركات الممثلين وشفاههم سريعة بحيث أنه اذا أخذ الصوت مطابقاً للحركات (وهذا أمر جوهري) كانت لهجته سريعة سرعة غير طبيعية . ويمكن تحاشي هذه العقبة اذا كان في الامكان ادارة الآلة العارضة عند اضافة الصوت وعند عرض الفلم على الجمهور بسرعة ١٦ صورة في الثانية (أو إعادة تصوير الفلم صامتاً بسرعة ٢٤ صورة)

(٢) عند أخذ الفلم صامتاً لم يكن من المهم تخاطب الممثلين بالالفاظ المدونة في السناريو (الرواية السينمائية) ، فمن الصعوبة بمكان أن تعرف بعد ذلك الالفاظ التي قيلت أثناء تصوير الفلم صامتاً لاعادتها بنصها عند اضافة الصوت . ويتغلب على هذه العقبة بأن يحتم على الممثلين التخاطب بالالفاظ الواردة في السناريو بنصها (هذا اذا عمل الفلم صامتاً بنية اضافة الصوت اليه فيما بعد ، وهذه الطريقة متبعة أحياناً)

(٣) اذا سلمنا جدلاً ان الالفاظ التي قيلت في أثناء التمثيل عرفت وان الممثل حفظها أجود حفظ ، فمن المحقق أن يتعذر عليه متابعة حركات الشخص الذي يبدو امامه على الستار بحيث يطابق الكلام حركة الشفتين . ومما سبق يتضح ان اغلب الصعوبات السابقة من السهل التغلب عليها اذا راعى المخرج اثناء تصوير الفيلم صامتاً انهُ قد تدعو الضرورة فيما بعد الى اضافة الصوت اليه

***

ويلاحظ ان لدى الشركات السينمائية مجموعات من الاسطوانات والافلام المحتوية على الاصوات التي يحتمل الاحتياج اليها كنباح الكلاب وصفير القطارات وزئير الوحوش وتحطيم الاواني الخ . وهذه الاسطوانات والافلام تنقل الاصوات عنها الى الافلام الموجبة ذات الصور ، التي توزع للعرض في دور السينما . وقد تعمل من الاسطوانات اسطوانات اخرى لتدار في دور السينما . مع الافلام العامة فتحيلها صوتية (سونور)

***

ولا تظن ان نباح الكلاب او خرير الماء او حفيف الشجر الذي تسمعه في السينما صادر حقيقة عن الكلاب والماء والشجر بل ان هذه الاصوات محدثة بوسائل ميكانيكية وأدوات مبتكرة كطرق لوح من النحاس أو دحرجة كرات من الزجاج أو نفخ تيار من الهواء . بيد ان بعض الشركات الغنية تتكبد عناءً كبيراً وتنفق أموالاً باهظة في سبيل تسجيل الاصوات الطبيعية للوحوش الكاسرة والافاعي القاتلة

الاسكندرية — محمود خليل راشد

نبذة في تاريخ رسم المصاحف

كانت وزارة المعارف قد عهدت الى المغفور له حفني بك ناصف بتصحيح الاغلاط الاملائية التي وقعت في رسم المصحف بتكرار طبعه ، فقام بمراجعة المصحف وابتدع قواعد خاصة بالاملاء الذي كتب به في خلافة عثمان بن عفان . وقد صحح وفقاً لهذه القواعد نحو مائتي غلطة املائية ، وطبع المصحف الجديد فجاء خالياً من الخطإ

وقد وضع حفني بك كتاباً في قواعد رسم المصحف . ولكنه لم يطبع بعد ، وكتب له مقدمة شائقة سرد فيها تاريخ رسم المصاحف فرأينا ان ننشرها

جاء في حديث عائشة وفاطمة رضي الله عنهما ان جبريل عليه السلام كان يعارض النبيَّ (يقرأ والآخر يقابل عليه) صلى الله عليه وسلم القرآن في كل سنة في شهر رمضان مرة واحدة ، وفي السنة الاخيرة من حياته عارضه مرتين ، فأحسَّ النبي صلى الله عليه وسلم بدنو اجله

وقد كتب القرآن بعد العرضة الاخيرة زيدُ بن ثابت وأُبيُّ بن كعب وأبو الدرداء ومعاذ وغيرهم من اكابر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . ولكن الوحي لم ينقطع حتى قبض عليه الصلاة والسلام ، فألحق الكاتبون ما نزل أخيراً بما عندهم

ولما ولي أبو بكر الخلافة ارتدَّ من ارتدَّ من العرب ، وادعى مسيلمة النبوةَ في اليمامة وتبعه بنو حنيفة ، فأرسل أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد لقتالهم مع عصابة من المسلمين فاستحرَّ القتل في القراء ومات منهم ٧٠٠ رجل ، فخشي عمر رضي الله عنه أن يستحرَّ القتال في المواطن كلها ويذهب بالباقين من القراء ، فيذهب بذهابهم قرآن كثير ، فأشار على أبي بكر ان يأمر بجمع القرآن كله في صحف لتكون مرجعاً للمسلمين

فأرسل ابو بكر لزيد بن ثابت ، وقال له : إنك رجل شاب عاقل لا نتَّهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبَّع القرآن لتجمعه . قال زيد : فجعلت اتتبَّع القرآن من صدور الرجال ومن الرقاع والاضلاع ومن العسُب (قحوف السعف) حتى جمعته . قال ففقدت آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أجدها عند أحد فوجدتها عند رجل من الانصار : وهي : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » فألحقتها في سورتها ، ثم فقدت آية اخرى فاستعرضت المهاجرين والانصار أسألهم ، فوجدتها عند خزيمة بن ثابت : وهي : « لقد جاءكم رسول » الى آخر السورة ، فألحقتها في آخر السورة ، ثم عرضتهُ على نفسي عرضة ثالثة فلم أجد فيه شيئاً

ومعنى أنه لم يجد الآية أنه لم يجدها عنده مكتوبة فيما سبق أن كتبه في حياة النبي (ص) مع كونه يحفظها ، « ومعنى وجدها عند الانصاري » أنهُ وجدها مكتوبة لان زيداً كان يهمه أن يطلع على الكتابة لانه كان فيها علائم مخصوصة تدل على أوجه القراءة التي اذن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرأ بها وفود القبائل من العرب من فك وادغام وإمالة وتفخيم وإشمام ومد وقصر وتغليظ وترقيق ، قال عليه الصلاة والسلام : ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه . قيل انها لغات قريش وكنانة وأسد وهذيل وبني تميم وضبة وقيس ، وهم الذين انتهت اليهم الفصاحة وسلمت لغاتهم من الدخل . وبذلك تم جمع القرآن كله في الصحف مشتملاً على الاحرف السبعة . وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر حتى مات ، ثم كانت عند عمر حتى مات ، ثم كانت عند ابنته حفصة زوج النبي

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قدم عليه حُذيفة بن اليمان فزعاً ، وكان قد سار مع جيش المسلمين للقتال على فرج أرمينية ، وقال : يا أمير المؤمنين إني سمعت الناس اختلفوا في القراءة حتى والله إني لأخشى أن يصيبهم ما أصاب اليهود والنصارى من الاختلاف ، فما كنت صانعاً — إذا قيل هذه قراءة فلان وقراءة فلان كما صنع أهل الكتاب — فاصنعه الآن. وكان قد بلغ الخليفة عثمان ان المعلمين في المسجد يختلفون في القراءة ويقول أحدهم قراءتي خير من قراءتك واني رويت قراءتي عن فلان عن النبي (ص) ويتمادون الى حد المقاتلة ولا يسلّم أحدهم بقراءة الآخر ، فجمع عثمان الناس وكانوا يومئذٍ اثنى عشر الفاً وقال لهم : بلغني أن بعضهم يقول قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفراً . قالوا فما ترى؟ قال ، ارى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا يكون فيه فرقة واختلاف . قالوا فنعم ما رأيت

فأرسل من فوره الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف فننسخها في المصاحف ثم نردّها اليك . فأرسلت اليهِ الصحف . وأرسل هو الى زيد بن ثابت وسعيد بن العاصي وعبدالله ابن الزبير وعبد الرحمن بن هشام ، وقال لهم انسخوا هذه الصحف في مصحف واحد ، وقال للنفر القرشيين : إن اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه على لسان قريش فانما نزل بلسانهم فصدعوا بأمر الخليفة واخرجوا للناس اربعة مصاحف مكتوبة كلها بخط زيد واملاء القرشيين وليس فيها أي علامة من العلامات التي كانت في الصحف قبل ، لتدلّ على الاحرف السبعة ، فأرسل منها مصحفاً الى الكوفة وآخر الى البصرة وآخر الى الشام وأمسك عند نفسه واحداً ، وأمر بتحريق كل الصحف والمصاحف التي كانت من قبل . وقد أقر على ذلك الصحابةُ رضوان الله عليهم ، حتى قال عليّ كرم الله وجههُ : « لو وليتُ لفعلتُ في المصحف ، الذي فعل عثمان»

وقد امر بعد ذلك بكتابة مصحف لأهل المدينة وآخر لاهل مكة وآخر لاهل البحرين وآخر لاهل اليمن

وقد نقل الجعبري عن أبي علي ، أن عثمان أمر زيد بن ثابت ان يُقرىء بالمدني ، وبعث عبدالله بن السائب مع المكي والمغيرة بن شهاب مع الشامي وأبا عبدالرحمن السُلمي مع الكوفي وعامر بن عبد قيس مع البصري ،ولم يعرف من بعث مع اليمني ولا البحراني ، ولهذا انحصر الأئمة الخمسة في السبعة الأمصار

قال الجعبري: والاعتماد في نقل القرآن على الحفاظ.ولهذا انفذهم الى اقطار الاسلام للتعليم، وجعل هذه المصاحف اصولاً ثواني حرصاً على الانفاذ ، ومن ثمَّ ارسل الى كل اقليم المصحف الموافق لقراءة قارئه في الاكثر

ويفهم من كلام الجعبري ان بين المصاحف الستة شيئاً من الاختلاف في الرسم وهو صحيح . ولم يكن غرض عثمان رضي الله عنهُ منع الناس من قراءة القراءات المروية بالتواتر وحملهم على الاقتصار على لغة قريش وتضييق ما وسعهُ الله على عباده من الاذن لنبيّهِ بأن يقرئهم على الاحرف السبعة تسهيلاً لهم ورحمة بهم،بل غرضهُ الضرب على أيدي من يتشبث بما وصل اليهِ ويحجر على الناس القراءة بما وصل اليهم ويقول قراءتي صواب وقراءة غيري خطأ ووضع حد ثابت لقبول الروايات ، فكل رواية لا تنطبق على مرسوم المصاحف العثمانية يضرب بها عرض الحائط ولا يجوز القراءة بها ، ولذلك قال ابو محمد مكي : لقد سقط العمل بالقراءات التي تخالف خط المصحف فكأنها منسوخة بالاجماع على خط مصاحف عثمان . اه .

ولو كان عثمان أمر باتباع حرف واحد لما جاز لنا ان نخالفه ، فان عرفنا عينه أخذنا بهِ وان لم نعرفهُ اقتضت قاعدة اجتماع الحظر والاباحة عدم جواز القراءة بأي حرف كان إذ لا حرف الاّ وهو محتمل أن يكون غير مراده ، فهو محتمل للمنع

وما ظهرت هذه المصاحف الاّ وقد تقاطر الناس عليها لنسخها كما هي من غير تغيير في شيء حتى الحروف المخالفة لاصول الرسم القياسي

وكانت الكتابة في ذلك العصر خلواً من نقط الاعجام ومن الشكل بأي طريقة كانت ، فكانت مصاحف عثمان كذلك ، وكان المرجع في القراءة الى المقرئين الذين انفذوا الى الامصار ومن تلقى عنهم

واول من وضع الشكل أبو الاسود الدؤلي بطلب زياد بن سمية عامل معاوية ، فوضعهُ نقطاً حمراً فوق الحروف وتحتها وعلى يمينها

واول من وضع نقط الاعجام نصر بن عاصم الليثي مستعيناً باستاذه يحيى بن يعمر العدواني بطلب الحجاج عامل عبد الملك بن مروان

واول من غير النقط الحمر الى الحروف الصغيرة الخليل بن احمد الفراهيدي بعد انقراض دولة الامويين

ومن هذا تعلم أن مصاحف عثمان كانت صالحة لان تقرأ على أوجه شتى حسب ما يحتمله رسمها ، فكانت الرواية هي المخصصة لبعض هذه الاوجه دون بعض . وبسبب تعدد الروايات تعددت القراءات

وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وعلماء الامصار على ان كل رواية متواترة صحيحة السند ، يُقرأ بها متى كان لها وجه في العربية وكان رسم اي مصحف من المصاحف العثمانية يحتملها

ومن هذا يعلم ان المحافظة على رسوم المصاحف العثمانية امر واجب لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة لان هذه الرسوم صارت اصلاً من اصول القراءة ودعامة من دعائم الدين الاسلامي

وفي هذه المحافظة ايضاً احتياط شديد لبقاء القرآن على اصله لفظاً وكتابة فلا يفتح فيه باب الاستحسان لانهُ اذا فتح الاستحسان في الرسم فقد لايلبث ان يفتح في اللفظ، ويتطرق اليه التغيير والتبديل ، فسدوا هذا الباب بابقاء كل شيء على اصله حتى ما هو مخالف لمألوف الرسم المعتاد . وقد سئل مالك هل يكتب المصحف على ما احدثه الناس من الهجاء فقال لا . إلاَّ على الكِتبة الاولى

وما ذهب اليهِ مالك ، ذهب اليه جميع الأئمة المجتهدين وانعقد عليه اجماع علماء المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، واصبح من الامور التي فرغ منها وانتهى الامر فيها

ولا نعلم ان احداً من العلماء تحكك في هذا الامر الاَّ ابن خلدون في القرن الثامن وبعض رجال الازهر في القرن الرابع عشر . وليس احد منهما اماماً مجتهداً ، والحمد لله

قال الاول ما معناه ان الصحابة لم تكن استحكمت فيهم اجادة صناعة الخط فأخطئوا في مواضع من رسم القرآن وتابعهم على هذا الخطأ مَن بعدهم تبركاً بأصحاب رسول الله وتكلفوا لعملهم هذا تعليلات وحكماً لم تخطر في بال الصحابة

وقال الآخرون : لو كتبنا القرآن بخطنا المستعمل الآن دون تلك المخالفة خرجنا من العهدة وقمنا بالامر احسن القيام كمن كلف شيئاً ففعل خيراً منه، لانك قد علمت ان الخط الحاضر احسن مما كان عليه من الطريقة القديمة التي كانت في زمن الصحابة . اهـ

وقد غفلوا جميعاً عن السببين الجوهريين اللذين لاجلهما انعقد الاجماع ، وهما ان الرسم القديم واجب المعرفة لقبول ما يقبل من روايات القرآن ورفض ما يرفض منها وسدّ باب الاستحسان مبالغة في التحفظ على القرآن ، فهم قد حفظوا شيئاً وغابت عنهم اشياء

ولا يبعد اذا سلم كلام هؤلاء العلماء ان يذهب غيرهم الى استحسان كتب المصاحف بالحروف اللاتينية وآخرون الى اختصاره وآخرون الى ارجاعه للغة العامية ليعم نفعه الى غير ذلك من الرقاعات والخرقة . وماذا بعد الحق الاَّ الضلال ؟



تجار الحرب

تجارة الاسلحة وموقف الحكومات منها

خطرها على السلام العام



من نحو عشرين سنة شرع في حملة عامة غرضها تقييد صناعة الاسلحة واخضاعها للسيطرة الاجتماعية . وكان من زعماء تلك الحملة المستر فيليب سنودن (اللورد سنودن الآن وزير مالية انكلترا في وزارتي العمال والوزارة القومية الى حين عقد اتفاقات أوتوى الجمركية) فوقف في مجلس النواب البريطاني اربعة اشهر قبل نشوب الحرب الكبرى وأبان الصلة الوثيقة بين صناعة الاسلحة في بريطانيا ورجال الحكومة البريطانية أنفسهم . قال : « يتعذر ان أرمي حجراً على المقاعد المقابلة من دون ان اصيب عضواً من اعضاء المجلس لا يملك اسهماً في احد هذه البيوتات » . ثم ذكر اسماء طائفة من اعضاء المجلس قال ان لهم مصلحة مالية في مصانع الاسلحة واذن فلهم مصلحة خاصة في نشوب الحروب . ثم وضع كاتب يدعى المستر بريس (Perris) كتاباً فصَّل فيهِ بعض نواح من هذه المسألة وجعل عنوانهُ « تجار الحرب » . ونشرت « لجنة اتحاد السيطرة الديمقراطية » ما وصلت اليهِ من النتائج في مجلة عنوانهُ «صناعة الحرب الدولية»، وفي سنة ١٩١٥ اتخذت« عصبة النساء الدولية للسلم والحرية»القرار الآتي:

« ان هذا المؤتمر النسائي الدولي يرى في الارباح التي تجنى من مصانع الاسلحة الكبيرة عائقاً كبيراً يحول دون الغاء الحرب »

فلما كانت سنة ١٩١٩ واجتمع ممثلو الحلفاء في باريس لوضع معاهدة الصلح ، كانت الحركة لمقاومة تجارة الاسلحة الدولية قد بلغت من القوة مرتبة بعيدة فأرغم أعضاء مؤتمر الصلح أن يدخلوا في دستور جمعية الامم بنداً اعربوا فيهِ عن ترقبهم لليوم الذي تصبح تجارة الاسلحة خاضعة لرقابة دولية . ووفقاً لهذا البند تشكلت لجنة في جمعية الامم سنة١٩٢١للبحث في أعمال العصبة التي تتجر بالاسلحة. ويسوءنا ان اللجنة لم تنشر الحقائق التي كشفتها ، وانما يكفي الآن انها نشرت النتائج التي وصلت اليها . وهي :

١ — ان شركات الاسلحة كانت فعالة في خلق اشاعات الحرب والتهويل بها وفي اقناع البلاد التي انشئت فيها باتخاذ خطط حربية لكي تفضي هذه الخطط الى زيادة التسلح. ٢— ان اصحاب شركات الاسلحة حاولوا ان يرشوا موظفي الحكومات في البلدان التي فيها الشركات وفي البلدان الاخرى . ٣— ان شركات الاسلحة قد وزعت بيانات خاطئة عن حالة التسلح الحربي والبحري في بلدان مختلفة لكي تحمل الحكومات على التنافس فتغرق في الانفاق على التسلح . ٤— ان شركات الاسلحة حاولت أن تؤثر في الرأي العام بالسيطرة على الصحف في مختلف البلدان.

٥ — ان شركات الاسلحة في البلدان المختلفة قد اتحدت في شبه عصبة همها استثارة كل امة ضد الاخرى في المسابقة الى التسلح

ما هي الحالة الآن ؟

لا تزال شركات الاسلحة تهول باشاعات الحروب ، وتحاول الضغط على الحكومات ، والتأثير في الرأي العام بغية أن تزيد المبيع من بضاعتها في السوق الدولية ، ولا يزال لها ممثلون يحاولون باساليب المداورة والدعوة والاتصال الشخصي منع التقدم في أي سعي لتخفيض التسليح ولا تزال هذه الشركات تبعث بأسلحتها الى البلدان التي تطلبها لا ترهب الحكومات ولا ترجوها . فالذخائر الحربية كانت تتدفق على بوليفيا وباراجواي — في اميركا الجنوبية — زمناً قبل نشوب الحرب بينهما . وبلاد الارجنتين ما زالت تشتري الاسلحة من الولايات المتحدة الاميركية بمال قرضين سريين عقدا في الولايات المتحدة الاميركية بين سنتي (١٩٢٣ — ١٩٢٦) . وفي سنة ١٩٣٠ كان ٩٩ ./. من الاسلحة التي تصدرها شركات الاسلحة اليابانية يصدر الى الصين فاستعملت الجيوش الصينية جانباً من هذه الذخائر في قتال اليابانيين أنفسهم

ولم تكن بيوتات صنع الاسلحة الاوربية أقل نشاطاً من بيوتات أميركا واليابان . فبعض معامل فرنسا كان يصدر أسلحة لاعداء فرنسا وأحلافها على السواء . وليس ثمة ما يدل على أن حكومة بعينها تريد أن تحل هذه العصبة الدولية الشريرة . فقد قرأنا في مجلة « الامة » الاميركية — وهي من أصدق المجلات وأشدها حرية — ان السرجون سيمون والمستر نفيل تشمبرلين — وهما وزير خارجية انكلترا ووزير ماليتها — يملكان أسهماً في شركة انكليزية مشهورة تصنع مفرقعات في عداد ما تصنعه من المستحضرات الكيمائية

وقد حاولت الجمعيات المؤيدة للسلام أن تبحث عن الحقائق المستترة في هذه التجارة . فلقيت مصاعب جمة تعترض سبيلها . حتى جمعية الامم نفسها لم تفز الاّ بنصيب يسير من النجاح في محاولتها معرفة حالة تجارة الاسلحة على صحتها . ومن اربع سنوات انشئت لجنة في جمعية الامم لوضع اتفاق تفرض بموجبه رقابة دولية على صناعة الاسلحة . فتناقشت اللجنة في اول اجتماعها في موضوع « هل يصح أن يطلب من كل حكومة أن تنشر منشوراً دورياً عن صناعة الاسلحة في بلادها » . فاعترض على ذلك مندوب بريطانيا . وقال :

« أولاً : إن حكومته لا تملك هذه الاخبار . ثانياً : ان اصحاب المصانع وحدهم هم الذين يستطيعون أن ينشروا هذه الحقائق وهم ولا شك يرفضون . ثالثاً : لا سلطة لنا لارغامهم على ذلك . رابعاً : ثمة حكومات قليلة جداً تجرؤ على وضع تشريع يرغمهم على ذلك »

ومنذ ثلاث سنوات قامت سيدة سويدية عالية الهمة تبغي أن تجمع لجمعيات السلام النسائية ما خفي من أنباء شركات الاسلحة وتجارتها الدولية . فراجعت الاحصاءات المطبوعة والمحفوظة في جمعية الامم والحكومات المختلفة وخاطبت موظفي الحكومات ودعاة السلم وكل

من يهمهُ الموضوع . ثم وضعت تقريرها ، فاذا هي تقول فيه : إن الحقائق المنطوية على خطر لا تظهر قط في تقرير رسمي ، فكأن هذه الشركات ، عصابات لا تبيح أسرارها لاحد

ثم ان ميزانيات بعض البلدان تذكر في باب الانفاق على التسلح رقماً أقل من الرقم الذي تنفقه حقيقة. وفي بلدان اخرى يجد الباحث في المسألة لفاً ومداورةً في مسألة الصادر والوارد يجعل التحقق من قيمة الاسلحة التي استوردتها البلاد متعذراً

خذ مثلاً على ذلك بلاد السويد . فوثائقها تشير الى انها صدرت الى بلاد النرويج أسلحة قيمتها ٤٩١٠٠٠ كرون . في حين ان بلاد النرويج لم تستورد في السنة نفسها — بحسب وثائقها العمومية — أسلحة من بلاد السويد بأكثر من ١٣٩٣٠٠ كرون

أو خذ مثلاً آخر ، يؤخذ من احصاءات امريكا سنة ١٩٢٥ أن ٣٢٫٢ في المائة من كل ما صدر من امريكا من البارود أرسل الى بولونيا ، في حين أنك لا تجد في أية وثيقة رسمية من وثائق بولونيا ما يشير الى أنها ابتاعت بارودا ما من امريكا في تلك السنة . وثمة ما يحمل هذه السيدة السويدية على الاعتقاد بأن جانباً كبيراً من الاسلحة يدخل البلاد التي تستوردها موسوماً بسمة « ألعاب نارية وصواريخ » أو « بيانوات » أو « قطع آلات » أو ما شاكل

ومن أغرب ما اكتشفته هذه السيدة ان معاهدة فرساي في مادتها ١٧٠ تمنع المانيا من تصدير الاسلحة او الذخائر الحربية او مواد الحرب أياً كانت وان بعض دول الحلفاء الذين فرضوا هذه المادة على المانيا «هم نفسهم من زبائنها» فبريطانيا وايطاليا والبلجيك وحتى فرنسا نفسها ابتاعت ذخائر من عدوتهم السابقة. والمادة المذكورة في معاهدة فرساي تمنع كذلك المانيا من استيراد الاسلحة من الخارج ولكنها لم تمنع شركة مترو فكرز ارمسترنغ — التي حوكم رجالها حديثاً في روسيا — من الاعلان عن احدث طراز من مدافعها الضخمة في مجلة رسمية بألمانيا

واغرب من ذلك ان البلدان التي تحيط بالمحيط الهادىء قد زادت ما ابتاعته من الاسلحة وفي مقدمتها الصين — وهذا مفهوم للحرب الاهلية فيها وحربها الاخيرة مع اليابان — وكندا واستراليا وجزائر الهند الشرقية التابعة لهولندا. والولايات المتحدة وحدها لم تستورد اسلحة من الخارج ولكن يجب ان نذكر ان الولايات المتحدة تكفي نفسها بنفسها من هذه الناحية

في طليعة البلدان المتجرة بالاسلحة بريطانيا ونصيبها من الاسلحة المصدرة في خلال سنة يبلغ نحو ٣٥ في المائة من المجموع وقد اعلن وزير خارجيتها السير جون سيمون انه في اعطاء الرخص لتصدير الاسلحة لا تنظر الحكومة البريطانية الا الى اثر هذا التصدير في علاقاتها الودية مع الامم التي تصدر الاسلحة اليها . اي ان مصانع الاسلحة البريطانية تستطيع ان تصدر الاسلحة الى اي بلاد ما زال هذا التصدير لا يتعارض والسياسة الخارجية البريطانية

ثم ان جانباً كبيراً من الاسلحة المصدرة يصدر من ثغر همبرج وهو بالنسبة الى تشيكوسلوفاكيا

مرفاً حر، وفي تشكوسلوفاكيا معامل «سكودا» المشهورة وهي جزء من اتحاد شنيدر كروزو الفرنسي. وهذه المعامل رفضت منذ بضعة اشهر الموافقة على منع تصدير الأسلحة الى اليابان والصين فكان ذلك باعثاً على الغاء القرار الذي اتخذته بريطانيا. ومعظم الاسلحة التي استعملت في حرب اليابان والصين الاخيرة صدر من هذه المصانع. ولكن الاسلحة التي استعملتها اليابان في حربها الاخيرة لم تصدر كلها من معامل «سكودا» فلمعامل بريطانيا نصيب فيها. ومصانع المانيا الكيمائية صدرت اليها مقادير كبيرة من الحوامض لصنع المفرقعات. وثمة مصنع للسيارات في ديجون بفرنسا كان منهمكاً في صنع قنابل طيارات بيعت لليابانيين. ومصانع شنيدر وكروزو كانت مكبة على صنع الدبابات. وكذلك مصانع اميركا لها نصيب لا تعلم حقيقته

ومن اغرب ما حدث في الولايات المتحدة الاميركية ان لجنة مجلس النواب للشؤون الخارجية قبلت ان تعقد جلسة لسماع بيانات عن تجارة الاسلحة ووجوب السيطرة عليها. فلما ازف الميعاد المضروب وحضر الشهود ورجال الصحف الغي الاجتماع بحجة رسمية لا تعوز من يريدون عرقلة هذه المساعي. ولكن الواقع ان عقد هذا الاجتماع بحضور رجال الصحف يجعل الاذاعة عنه امراً يخشاه الرجال الذين لهم مصلحة في هذا الضرب من التجارة. وقد قيل في الحجة الرسمية ان «الذخائر الحربية لا تشحن الآن الى الشرق الاقصى» وهذا في الواقع غير صحيح. والادلة على تصدير الاسلحة الى اليابان ليست نادرة ولا قليلة. ففي ١١ فبراير سنة ١٩٣٢ نشرت جريدة «النيوز» نبأ ملخصه: ان اربع سفن خرجت من مدينة رتشمند من رصيف احدى شركات الذخائر ووجهتها اليابان. ثم نشر احد اعضاء مجلس النواب في جريدة «الصن» ما مؤداه ان ١٥ سفينة يابانية خرجت من الرصيف نفسه حاملة المواد الاساسية لصنع المفرقعات. وكانت كلها الا سفينتين متجهة الى مرافئ يابانية» ثم ان شركات الاسلحة زادت عمالها في الزمن الاخير. وهو دليل على زيادة ما تنتجه من الاسلحة. وبعد اجتماع عقد في مارس سنة ١٩٣٢ بين اصحاب شركة دي بون وهي من شركات الذخائر الحربية الكبيرة في اميركا ومساعد وزير الخارجية ورئيس قسم الشرق الاقصى في وزارة الخارجية الاميركية، اعلن ان سياسة الحكومة الاميركية في تصدير الاسلحة لن تتغير. ولا يعلم على ما دار البحث حينئذ ولكن سيل الاسلحة الاميركية الى اليابان لم ينقطع بعدها حتى عهد روزفلت

ويجدر بنا ان نذكر هنا ان الدكتور صروف رحمه الله، كان شديد التوجس من هذه الناحية، قبل ان تظهر الحقائق التي ذكرناها، وقد بسط ذلك في روايته «فتاة مصر» التي الفها سنة ١٩٠٥ وبطلاها فتاة مصرية وشاب انكليزي كان مكاتباً للصحف في الحرب الروسية اليابانية التي كانت دائرة حينئذ، والفصل الذي عقده لرواية ما دار بين رجال المال وأصحاب مصانع الاسلحة على الحرب الروسية اليابانية أحاط فيه بأهم المبادئ المتقدمة في قالب روائي جذاب

صانعة الدموع

أنا الرجلُ المشبُوبُ القويُّ الذي لا يَخْضَع ،
أنا الرجلُ المُلْتَهِبُ كأنَّ روحَه في بَدنه إعصارٌ من النّار
أنا الرجُل الصَّخْرُ الذي تَقَعُ الأحداثُ عليهِ لتَرِنَّ ثُمَّ تنحدِر ؟
بَل الرَّجُلُ البركانيُّ الذي لا يغضَبُ ، فإن غَضِبَ تَفَجّرَ بالبلاء

***

نَفْسي كأنَّها قطعةٌ من القَدَرِ فلا تَسُرُّها ولا تَسوءها الأقدار،
بل كأنَّها سُنَّةٌ من الابَدِ يستوي في مرآتها الليلُ والنهار ،
بل كأنَّها بعضُ الفلَكِ الذي تجري فيه الشُّموسُ والأقمار ،
بل كأني عَالَمٌ مَسْحُور كلُّه ألغازٌ وكُلُّه أسْرارٌ

***

أنا ذلك الرجُل ما أزالُ وتلك نَفْسِي ما بَرِحتْ
ولكنْ ما هذا البلاءُ الجديد ؟
ما هذا الماءُ المُنْهَمِرُ عَلى خديَّ حاراً دافِقاً ؟
لكأنَّهُ من رَشَاشِ أمواج البَحْرِ في مِلْحِه ومَرارتهِ ؟
وكأنهُ من طائراتِ الحُمَمِ الفَوَّارَةِ في لذعهِ وحرارته ،
ولكنّ البَحْرَ بعيد ، وما في هذه الأرض حُمَم
. . . بل كأنهُ من قطرات المطر
بَلْ ليس به ، فالمطر عَذْبٌ خَصِر
وإني لأرى السماءَ سافرةً ليس يحْجُبُها سحابٌ
ولو قد كان في السماء سحابٌ ، لقلت : عسَى ولعلَّ ....

***

ما هذا السرُّ الخفيُّ بينَ جنْبيَّ ؟
إنهُ ليهزُّني كما أهزُّ الدَّوحة بساعدي المَفْتُول ،
إنَّهُ ليَغزو ضياءَ قلبي بمثل سواد الليل ،
ولقدْ عهدتُني مرحاً طروباً ، فما هذا الفتور ؟ !

... لقدْ سمعتُ الناسَ قديماً يصفون في أنفسهم مثل هذا الطائف
سمعتُ قائلَهم يقولُ : ..... هو الهمُّ ،
أَجل إنّهُ لهمٌّ ... وإنهُ من همٍّ لحبيب

***

وما هذا ؟ ! جديدٌ ، ما عهدتهُ من قبلُ !
... إنها لتتحسّنُ بألوانها وتهاويلها ، ...
وانها لتتفتّقُ من سرارتها فترسل من فُتوقها أمثالَ أشعة القمر ، ..
لقد أخذ الفتقُ يستديرُ .... وما هذا القمرُ العجيب؟
ويحي ... ما هذا قمراً .... انهُ لملكٌ كريم ،
ويحي ... انهُ وجهُ غانيةٍ ، وإني لأجدُ في نفسي أَني أعرفهُ
آهِ ! أأنتِ ؟ أأنتِ تلك الحسناء التي رأيتها بالامسِ ؟

***

أَجل ! أنا الحسناء ، والبلاء الجديدُ ما هو إلاّ دموعُ عينيك
البلاء الجديدُ ...؟! دُموع عينيّ ؟! ..... ما أنتِ !
بل كيفَ استرقتِ أحاديثَ قلبي ؟ .....
إنني قريبةٌ منك وإن طارتْ بي النوى أو طوّحني الفراق ،
إني لأراكَ .. ، وأسمعك .. ، وألجُ قلبَك .. ، وان خِلتَني بعيدةً عنك ،
وأنا ... أنا التي صنعت لكَ هذه الأحلامَ لأبدُوَ في زينتها ،
وزينتها هذه من بعض معانيّ

***

إني لأجري منكَ مجرى الدَّم ،
وذاك السرُّ هوَ ما يتطايرُ من دمكَ إذ أسبح أنا فيه ،
وإن ما يتطايرُ منهُ ليقعُ على شجرة أفكارك الجرداء ... ،
فبعدَ قليلٍ ما تنفصدُ أوراقها خُضْراً ثم تتفطّرُ ثم تورق ثم تتلفعُ ،
وإذا شجرةُ أفكارك خضراء وارفةُ الظّلال
وظلالُها التي أفيء — أنا — إليها تُسمّيها — أنت — الهمّ ..... !
لقد جارَ منكَ لسانُك ... ولكن سوف يرضيني منك شيءٌ واحدٌ ،
سوفَ يرضيني منكَ أنك لن تنسانِي بعد اليوم وإن لم نلتقِ ....

وأنـا ... آه ... إنّي لنْ أنساك .... إنّي أُحبُّك

***

ويحَ غيري ! لقد أُصبحتُ أفهمُ هذه اللغة وكنتُ لا أفهمُها !
إنّ لساني لينذَلِقُ بها الآن كأنما كان يرتضعُها من ثدي أمّه !
أجل ! لقد ارتضعتُ — صغيراً — من ثدي امي هذه اللغة ،
ولكني نسيتها لما انفتلتْ قُواي واستمرّ مريري ،
نسيتُها لما كبرتُ وأصبحتُ رجلاً ...
نسيتُها ... ولعلّي نسيتُها وأنا أصارعُ الحياةَ وكانت تريدُ أن تصرعني
نسيتُها..ولعلّي نسيتُ اشياء كثيرة في الميدانِ
وهناك كلمة لعلّها مما نسيتُ في حومةِ الحياةِ....
كلمةٌ مما سمعتُ ، ما فهمتها ، ودعيني — يا جميلتي — أفهمها وحدي
ما هي الدُّموع ....؟

***

ما هي الدُّموع ... ؟
أهي عواطفي ترسلها سحائب شجوني وأحزاني ؟
أم هي أنفاسي الحارةُ التي كانت روح قُبلاتي... ؟
أنفاسي الحارّة التي انعقدتْ لما دفعتها الحياةُ عالياً في جوّ السماء ...
أهي نفسي تسيلُ على خدّي حين ربضتْ عليها الحياةُ بأثقالها فأسالتْها....؟
أم هي إخلاصي وعفتي ووفائي تقطرُ من قلبي إذ تعتصره الآلام ؟
أهي كلماتُ حبّي الذي لايتكلم ؟
أم لغة آلامي التي لا تفهمها الا لحظات عينيك ؟...
آه : وما كنت عاجزاً ولقد عجزتُ . ألا فقولي أنت ... ما هي الدُّموعُ ؟

***

أتضحكين ....؟ انك تهزئين مني ... فلستِ خالصة الحب ...
ويلي ... ! أراك اخضعتني ، وكنت الرجلَ المشبوبَ الذي لا يخضعُ ،
وأطفأتِ ناري ، وكنت الرجل الملتهب كأنّ روحه في بدنه إعصار من النار ،
وصدعتِ صخرتي ،وكانت الاحداث ترنُّ عليها ثم تنحدرُ ،
واغضبتني ... فالآن حذارِ ان يتفجّر البركانُ بالبلاء

ولكن .... ما أعجزني ، وما أعجز البركان !!

***

ومالك الآن يا نفسي ؟ ألست كما كنتِ ! لا تسرُّكِ ولا تسوءُكِ الاقدارُ ؟
ألستِ كما كنتِ ؟ سنَّةً من الابد يستوي في مرآتكِ الليل والنهار ؟
ألستِ كما كنت؟ بعضَ الفلك الذي تجري فيهِ الشموس والأقمار ؟
ألست كما كنتِ ؟ عالماً كلُّهُ ألغازٌ وكلُّهُ أسرارٌ ؟
أم أشعَّةُ عينيها تجعل من بنائي أحجاراً على أحجارٍ ؟

***

أغضبتَ — أيها الحبيب — ؟ أحزنتَ ... ؟ لا! لا تغضب ولا تحزن .
إنني ما ضحكت من سخر ولا استهزاءٍ
ضحكتُ إذ صُرفتُ عن الصواب وقد ملكتهُ ...
لا تغضبْ ولا تحزنْ ... ألا تعرفُ ما هي الدُّموعُ .... !
الدُّموعُ البريئةُ التي تذرفها أنت لاما يسكبهُ الناسُ من محاجرهمْ ...
هي : ... بل لا لا ... إنها سرٌّ صناعتي لنْ أبوحَ بهِ ،...
ويكفيك مِن عِلمها أن تعرفَ أنّي — أنا — التي أصنعُها لك ... ،
أنا التي أصنعُ دموعك وأحلامك ، وشجونك وآلامك ... ،
أنا التي أصنعُ لك كلَّ شيءٍ ، ...
أنا التي تحبُّك .... ، وأنا التي لن تنساكَ ....

***

ما هذا ؟ أختفيتِ ؟ فاني لا أراك يا حبيبتي ...
ما هذا؟ أين أنتِ ياصانعة دُموعي وآلامي ؟
أينَ أنتِ ياصانعة آمالي وأحلامي ؟
أين أنت ؟ أينَ أنت ؟ إنك تسمعينني ... لقد قلتِ ذلك
إنكِ تسمعينني فلماذا لا تجيبين ندائي ؟ لماذا ؟
تعاليْ ، تعاليْ ! تعاليْ واصنعي لي آلاماً ودموعاً أُخرى ،
تعاليْ ، تعاليْ ! تعاليْ واصنعي لي آمالاً وأحلاماً جديدةً
أريدُ آلاماً ودموعاً ،
أريدُ آمالاً وأحلاماً

محمود محمد شاكر

اللون الاحمر واللون الازرق

في الصحة والمرض

من المبادىء الطبيعية المعروفة ان أشعة الشمس متى نفذت موشوراً من الزجاج انحلت الى الالوان الاصلية التي يؤلَّف من مجموعها الضوء الابيض فظهرت في شكل قوس قزح فاذا وضع امامها حجابٌ وقعت صورتها عليهِ وتعرف هذه الصورة بالطيف الشمسي . وهي مؤلفة من الالوان الآتية الاحمر اولاً ثم البرتقالي ثم الاصفر ثم الاخضر ثم الازرق ثم النيلي ثم البنفسجي . هذا ما يظهر من الطيف للعين لكنهُ يزيد عن ذلك من طرفيهِ . فلو أدنينا منهُ ترمومتراً حسَّاساً مبتدئين بالمنطقة البنفسجية وجدنا الحرارة تزداد كلما اقتربنا من المنطقة الحمراء وتستمر الزيادة الى ما بعدها بقليل ثم تأخذ بالانخفاض تدريجاً مما يدل على ان هناك أشعة غير الاشعة الحمر لا ترى بالعين لكن يشعر بحرارتها فقط . ثم لو عرضنا ورقاً فوتوغرافيًّا حسَّاساً على أشعة الطيف الشمسي وجدنا المنطقة التي بعد اللون البنفسجي تؤثر في املاح الفضة كما تؤثر فيها الالوان التي بين البنفسجي والاخضر اي ان بعد اللون البنفسجي منطقة لا تظهر للعين لكنها تؤثر في الاملاح الفضية

فالطيف الشمسي اطول مما يظهر للعين ولا يرى منهُ الاَّ الجزء المتوسط فقط والوانهُ تختلف في خواصها فما كان منها بين الاخضر والبنفسجي لهُ خواص كيمائية ويؤثر في املاح الفضة وما كان بين الاخضر والاحمر لا تأثير لهُ من هذا القبيل . ويظهر ايضاً ان اشعة الطيف تختلف ايضاً في تأثيرها في الخلايا الحية فقد علم من عهد بعيدٍ ان للنور الاحمر فائدة في معالجة الحميات النفاطية كالجدري فكانوا يلبسون المجدور قميصاً احمر

***

وقد اخذ بعض الاطباء في هذه الايام يهتمون بالمعالجة بالنور فانهم يضعون المجدورين في غرفٍ حمراء يحجبون عنها الاشعة البنفسجية ولاسيما الاشعة التي وراء البنفسجي وينتبهون لذلك أشد الانتباه كما ينتبه المصور لحجب هذه الاشعة عن الالواح الفوتوغرافية . ويقوم ذلك بوضع الستائر الحمر امام النوافذ فلا يدخل الغرفة الاَّ النور الاحمر وتنار الغرفة أيضاً

بمصباح ينير نوراً أحمر كالمصباح الذي يستعمله المصورون فجاء ذلك بنتائج حسنة الى الغاية لا سيما في الجدري والحصبة . ولا يعرفُ تعليل لهذه الفائدة فقد قال بعضهم انها ناتجة عن حجز الاشعة الكيمائية اي ان الاشعة الحمر لا تأثير لها في شفاء هذه الامراض بل منفعتها سلبية فقط وقيل انها تنبه الجهاز العصبي وتزيد الجسم مقاومة المرض

***

اما تأثير الاشعة الحمر في الجهاز العصبي فامرٌ لا ريب فيهِ فانها تهيج الأعصاب كثيراً كما يحدث للنور من رؤية الالوان الحمر . وفي أحد المعامل حيث تصنع الالواح الفوتوغرافية أصيب العمال بتهيج عصبي شديد كانت عاقبته وخيمة وذلك لانهم يشتغلون في النور الاحمر فقط وامتنع ذلك بابدال اللون الاحمر بالاخضر فان هذا كاللون الاحمر لا يؤثر في املاح الفضة لكنهُ أقل منهُ تأثيراً في الاعصاب

والمصورون يعرفون الفرق في تأثير هذه الالوان بالشعور فيستعملون الالوان المفرحة أو المحزنة حسبما تقتضيه الاحوال فاللون الاحمر دليل الشجاعة والغضب والاصفر دليل الحزن والازرق دليل الهدوّ والسكينة

وبعض الاطباء يستعملون اللون الازرق مخدراً فانهم يضعون نوراً حولهُ زجاجة زرقاء على مسافة ١٥ سنتيمتراً من عيني المريض ويضعون على وجههِ وعلى النور منديلاً من الحرير الازرق يحجبون بهِ سائر الاشعة ويبقى المريض فاتحاً عينيهِ فيؤثر النور الازرق في عصب العين ويسبب تخديراً في الدماغ يمكنهم على ما قيل من اجراء العمليات البسيطة التي لا يستغرق عملها وقتاً طويلاً بغير ألم كخلع الاضراس وما اشبه . وقد نسبوا هذا التخدير الى التنويم المغنطيسي لكن النور الاحمر والنور الاصفر لا يفعلان ذلك ولا بد ان للنور الازرق تأثيراً خاصاً في الاعصاب

ويمكن استعمال النور الازرق في معالجة الامراض العصبية المؤلمة كالنفرالجيا وغيرها ولذلك جهاز خاصّ مؤلف من مصباح تنعكس اشعتهُ عن سطح شلجمي امامهُ حجاب ازرق وبين الاشعة والحجاب اناء فيهِ ماء جارٍ فلا ينفذ من الاشعة سوى الاشعة الزرق والبنفسجية وما وراءها وكلها مسكنة للاعصاب . ويستعمل بعضهم حماماً لهذه الغاية وهو مؤلف من صندوق يوضع فيهِ المريض ويبقى رأسه خارجاً وينار الصندوق بمصابيح عليها زجاج أزرق

وقد أشاروا على أصحاب الامزجة العصبية المصابين بالنفرالجيا والارق وما أشبه ان يفرشوا غرف النوم بالاثاث الازرق اللون ويضعوا على النوافذ ستائر زرقاً فان ذلك يريحهم كثيراً

باب شؤون المرأة
وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة وأهل البيت معرفته
من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة
وسير شهيرات النساء ونهضتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

دور المراهقة

وتبعة الوالدين فيه
محاضرة للدكتور شخاشيري

مواطن الارشاد والآراء

هذا الارشاد يجب أن يُبدأ به في البيت . وان تتولاه الام مع طفلها في فترات منظمة تتحدث اليه فيها عن اعضائه الخاصة وعن وظائفها المختلفة وشأن تلك الوظائف . ولا تتوانى في تحذيره من اللعب بها والاساءة اليها . وما هي الاضرار التي تنزل به ان أساء التصرف بها . والفوائد التي يجنيها ان أحسن ذلك التصرف ويجب ان تشرح له مدى تلك الاضرار والفوائد على حسب استعداده لفهمها كما تشرح له الاضرار التي تلحق به ان لعب بعيدان الثقاب او غير ذلك من الاشياء التي تخاف عليه منها وهي كثيرة جدًّا . وقد لا تعادل اضرارها مجتمعة ذلك الضرر الذي يدهمه بسبب جهله ميزات تلك الاعضاء

وقد يفضل بعضهم عدم اطلاع الطفل على هذه الحقائق لانه — على زعمهم — لا يستطيع ان يفهمها قبل ان يدرك سن الرشد — ولكن هذا الزعم ان صح لا يمنع اطلاعه عليها بحال بل قد يكون ادعى الى استيعاب هذه الحقائق وهو طفل منه وهو شاب

وكما ان تعليم الاحداث وغرس الفضائل فيهم وترويضهم على الطاعة والنظام في المعيشة يكون دائماً أسهل وأجدى فائدة عليهم . كذلك تكون نتيجة معرفتهم أسباب تلك التغيرات التي تطرأ على ميولهم عظيمة جدًّا . لانها تمكنهم من صيانة أبدانهم وعقولهم من العلل والاسقام وتنقذ الاجيال من سيئاتها

وليس اهتمام الاطباء بالاحتياطات الصحية التي يتوسلون بها لدفع الاوبئة عنهم باعظم فائدة منها . فكما نحصن الطفل من مرض الجدري والدفتريا والتيفودية باللواقح المعتادة والامصال . كذلك يجب أن نصونه من هذه المهالك بتعليمه وارشاده كيف يتجنب السقوط فيها

ومن الغريب ان معظم الآباء لا يهتمون بترويض ابنائهم على معرفة تلك الميول أو

يتركون تعليمهم الى ان يعلو زرعهم ويقسو عودهم او الى ان يبلغوا سن الادراك وغاب عنهم ان ما تتعرض له النفس في هذا السن من اضطراب في الاعصاب والافكار وتطور في الميول يحول دون تعليمها التعليم المنظم . وقد يمكن تحويل مجرى النهر من منبعه حيث يكون جدولاً صغيراً لا حول ولا قوة له ولكن ليس من قوة تستطيع ان تغير مجراه عند مصبه حيث يتسع نطاقه ويشتد تياره . كذلك الحال مع الطفل فان تحويله عن عادة سيئة وغرس فضيلة مكانها أسهل عليه منه وهو شاب وقد تأصلت فيه الطباع والعادات . والطفل لا بد وان يتعرف الى هذه الميول ويغلب ان تكون طريقة تعرّفه بها مشوهة او ناقصة مما يبعث فيه حب الاستطلاع ومعرفة ما يجهله منها . ولا يبعد ان يساق الى تكوين فكرة خاطئة عن نبل العلاقة الجنسية . وهذه المعرفة الناقصة مع تردد الاب في محادثته فيها عنها يزيدان رغبته في الامعان وكشف الاستار . ولا يخفى ما يجره عليه هذا الامعان من البلايا — وقد يورطه في رذيلة المعاقرة وادمان المخدرات وغير المخدرات ويذهب بعضهم ان تنظيم المعيشة على التعاليم الخلقية يكفي لارشاد الطفل الى ما يجب ان يعرفه عن العلاقة الجنسية . ولعل هذا يكون صالحاً لتدريبه على حذق المجاملات في الزيارات والمقابلات اكثر منه لفهم تلك الحقائق الغامضة عليهِ كل الغموض . ويعتقد بعضهم ان الضغط على الطفل خير مرشد لتسديد خطواته في الحياة وهذا الاعتقاد على فساده لا يزال ويالاسف سائداً في الشرق بخلاف ما هو عليهِ في الغرب . فحظه فيه من الانتشار غير كبير

والتربية الصحية لا تقوم على الضغط والاكراه — وانما تقوم على المبادىء القويمة التي توجههُ الى الغاية الشريفة من الحياة . اما التخويف والتهديد فاثرهما ضئيل غير مجدٍ وليس منهما فائدة تذكر في جانب الاضرار التي تنشأ عنهما

ويزعم بعضهم ان الطفل لا يستطيع فهم هذه المشكلة الاّ بعد ان يخوض غمارها ويكتوي بنارها وخطأ هذا الزعم واضح لا يحتاج الى تفسير ولا تعليق وقد برهنا على فساده فيما تقدم

ويقول بعضهم بعقد اجتماعات عامة للاطفال والقاء محاضرات في هذا الموضوع وتشجيعهم على المناقشة فيها واي سؤال يوجههُ طفل من المدعويين يجب مراعاته والاجابة عنهُ . والذي لا يهتم منهم بابداء رأيه في موضوع المحاضرة يطلب منهُ ذلك ولو على سبيل الاستفادة منهُ

ويستحسن كثيراً ان يبتدىء الاب بمكاشفة ابنهِ بمعلوماته عن هذه التطورات قبل ان يذهب بهِ الى المدرسة بقليل — ويجب ان لا يكتم شيئاً عنهُ منها نافعاً كان او ضارّاً — والمصارحة المطلقة واجبة بل ضرورية لان هذه الغرائز ما وجدت في الانسان الاّ لفائدتهِ اولاً ولفائدة الجنس ثانياً . وان علاقة الفتى بالفتاة — والرجل بالمرأة — لا عيب فيها ما دامت تتم في حدودها المشروعة وفي نطاق الغرض الذي وجدت لتحقيقهِ . وحب الاوطان ومجد الانسانية

يطالبان الآباء بالتبعة الملقاة على مناكبهم نحو الابناء — بل نحو الاجيال المقبلة

والانسان لا يعلو بقيمته الاّ بمقدار ما يشعر بهِ من اعباء تلك التبعة ويفعله من الاعمال المجيدة وليس الغرض من الحياة ان نخلق جيلاً جديداً فحسب بل جيلاً صالحاً ليأتي بجيل اصلح منهُ للحياة الشريفة التي تسعى اليها الانسانية الراقية في شعورها وثقافتها . . .

معاونة المدرسة

لقد فرضنا فيما سبق على الام التحدث مع طفلها في الوقت الذي تبدأ تكلمه عن الاشياء المحاطة به والتي تخاف عليه أن يصاب بمكروه منها

كذلك فرضنا على الاب ان يتناول هو الآخر هذا النوع من الحديث مع ابنه قبل ان يذهب بهِ الى المدرسة بقليل . ولا افرض على المدرسة هذه المعاونة وانما القيها عليها كواجب مقدس تضطلع به اضطلاعها بالاعباء القائمة بها في تثقيف العقول وتهذيب المدارك — ولا يخفى ان المراهق يحتاج الى كثير من الارشاد في اثناء الدراسة — وخير من يسدي اليهِ هذا الارشاد هو المربي الفاضل والاستاذ العاقل ومعاونة المدرسة هذه لاتقل شأناً عن تلك العلوم والفنون التي يقضي عشرات السنين في دراستها واستجلاء معانيها — ومن الغريب ان تظل برامج الدراسة في مصر وغير مصر خالية الى الآن من هذا الدور الخطير الذي يجب ان يكون في طليعة العلوم على اختلاف اقدارها في الخطورة لانهُ في الواقع اعظمها شأناً وافضلها علماً واي علم يفاضل علم الصحة ويفضله ؟

واذا كان علم النحو والجغرافيا والتاريخ والهندسة وغير الهندسة من الادوات الضرورية لهذا العصر فمعرفة اسباب التغيرات التي تحدث في الجسم اشد ضرورة واولى بالعناية والدراسة منها جميعاً

مما لا شك فيهِ ان معاونة المدرسة في تعليم الفتى في دور النضوج الطبيعي الذي تظهر بوادره عليهِ في سن الادراك تؤيد ما يكون قد علق في ذهنه من تعاليم البيت وتثبت لهُ فوائدها بالبراهين العلمية والشواهد الناطقة وبالوسائل التي تستعين بها على شرح الاعضاء ووظائفها والميول الغريزية ومبلغ الاضرار التي يصاب بها ان أساء الى تلك الاعضاء. والفوائد التي يجنيها في صحته وأخلاقه ودراسته ان اعتنى بها

آراء العلماء في مداواة المشكلة الجنسية

لقد ذهب فريق من العلماء في مداواة ما ينشأ عن الصلات الجنسية الدنسة من علل واسقام مذاهب مختلفة منها التحكم بالنسل او عدم الانتاج. ولكن ظهر لهم ان لهذه الوسيلة عواقب وخيمة في صحة المرأة لا تبرأ منها فيما بعد . وفريق آخر يقول ان في القضاء على المخبولين والمجرمين والمصابين بامراض عضالة أو حرمانهم من الزواج والتوالد هو الدواء الوحيد الذي نستطيع بهِ ان ننشيء جيلاً سليماً من الامراض الاجتماعية والتشوهات الخلقية

وذهب فريق ثالث الى ان للوسط تأثيراً في النشء لا يستهان به فان اردت اصلاحه فما

عليك الا ان تقضي على المؤثرات الرديئة المنبثّة فيه كالمظاهر التي تفسد الاخلاق وتفسد الشهوة وان تحارب الامراض التناسلية وتستأصل جراثيمها واسبابها . وان تشجع العوامل على تنظيم المعيشة كتهوية المنازل والعناية بالرياضة الجسدية والعقلية ومراقبة الملاهي ودور السينما واصطفاء المعشر . كل هذه الوسائل تضمن للنشء التربية الخلقية الصحيحة . وانت تعلم ان الوقاية من الرذيلة تعادل في خطورتها الوقاية من الامراض الوبائية

العلاج الواقي

وكما تحتوي تذكرة الطبيب على ادوية مختلفة المزايا في مقرراتها لكنها متحدة القصد متجهة الى معاونة المريض في مجموعها ، كذلك احتوت هذه الكلمة في معالجة الموضوع الذي بحثناه على آراء وطرق مختلفة اشد الاختلاف في نزعاتها ووسائلها ولكنها متحدة الغاية في جملتها على معاونة الابناء في اجتياز دور المراهقة الذي هو اهم ادوار الحياة شأناً . فمن مصارحة الآباء المطلقة للابناء عن الاعضاء الجنسية ووظائفها قبل بلوغهم سن الرشد وذهابهم الى المدرسة الى ضرورة ادخال هذا الدور في برامج الدراسة العامة والعناية بشرح اسباب التغيرات التي تظهر فيه والى محاربة الامراض الاجتماعية والغاء البغاء الرسمي وتنظيم المعيشة والتحكم بالنسل وغير ذلك من الآراء والادوية التي تقدم وصفها وكلها نافعة بمفرداتها ومجموعها .

ومع هذا فاني اتقدم اليكم برأي جديد يعلو بفائدته على ما اظن عليها كلها — وهو ان نضع تشريعاً عرفيًّا للزواج الاجباري — بهِ يفرض على الفتى الزواج في سن معينة ومن يبلغ تلك السن ولا يتزوج يغرَّم بدفع مبلغ من المال ويرفت من الوظيفة التي يشغلها . واذا قدم عذراً قبل ميعاد الزواج وقُبل منه يعطى مهلة ستة اشهر او سنة ولا يوظف الاّ بعد الزواج . واذا مضت السنة ولم يتزوج يغرم بدفع مبلغ من المال ويحرم من الحقوق المدنية التي يتمتع بها ابناء الوطن ولا تعاد له تلك الحقوق الا بعد انقضاءِ ستة أشهر على زواجه — وان مضى على حرمانه شرف الوطن سنة ولم يبرهن الكشف الطبي على ما يبرر امتناعه عن الزواج تجري له عملية الحرمان الكبرى دفعاً لخطره ووقاية من شره

وهذا التشريع — او الزواج الاجباري هو الدواء الوحيد الذي يقي الابناء من العثرات ويصون المجتمع من الفساد المنتشر في جوانبه وهو يقضي على البغاء الرسمي وغير الرسمي ويمحو اثر الامراض التناسلية ويذهب بالمخدرات والمسكرات وسائر المخازي والمفاسد

فلو عرف ولدي وهو في سن دون العاشرة ما سوف يعرفه وهو في العشرين عن الميول الجنسية والاعضاء الخاصة وانه لا بد ان يتزوج من الفتاة التي يختارها فانه ولا شك يضاعف اجتهاده في الدراسة وتحصيل العلوم لكي ينال القسط الاوفر منها . كما وانه يحسن سلوكه وتطمئن افكاره الى الشخص الذي ينتظره

واني اناشدكم الله ان تسرعوا في وضع هذا التشريع لكي اسرع في تنفيذه في افراد كرام يعيشون بيننا طليقين وهم ينادون باصواتهم العالية المسموعة في الاهرام وغير الاهرام «الزواج فضيلة ورجولة وكمال خلق» — ولكنهم لا يتزوجون، بل يأمرون الناس بالزواج وينسون أنفسهم ويكتبون المقالات الضافية عن حسناته . . أفلا يعقلون؟ واليكم نموذج من اقوال صديقي الاديب الاستاذ الصاوي في اهرام الاثنين الماضي . هذا نصها بالحرف :—

« وهو ما اريد ان اشير به على الشاب المصري المتزوج حديثاً لماذا لا يدعو امرأته يوماً في الاسبوع للعشاء خارج جدران البيت الاربعة، ولماذا لا يستقل القطار مرة في الشهر الى الفيوم مثلاً فيتغدى هنالك على شاطىء بركة قارون ويقضي سحابة يومه؟ بل ولماذا لا يقضي ليلة أيضاً في فندق صغير من تلك الفنادق التي تحتها مطعم ومقهى؟ والزوجة؟ لماذا لا تدخر من مصروف البيت اذا لم تكن غنية — وتدعو زوجها هي بدورها ترد له الدعوة الى الشاي او العشاء في مكان ما من حين الى حين خارج البيت؟ ان هذه الدعوات المفاجئة تجدد الهناء. بل هو كالمال يجب ان نجد في تحصيله . . تصوروا سيدة تقول لزوجها « أنا عازماك الليلة ياحبيبي » — بماذا يشعر؟ أليس بسرور المفاجئة اولاً . . وبانه سيغير منظر خادمه المألوف ثانياً وان زوجته هي صاحبة الدعوة ثالثاً؟ أليس في هذا ما يشعره بان زوجته ليست زوجته فقط ولكنها ايضاً صديقته » ؟ ويذهب حضرته فيقول :

« اعتقد ان كل بيت في حاجة الى التجديد والاّ نسج عليهِ العنكبوت خيوطه، اعتقد ان كل حب بحاجة الى العناية والخدمة باستمرار، واذا ضحك السخفاء والسفهاء من هذه المقترحات فذلك لحسن حظنا والاّ وجدناهم امامنا في تلك الدعوات الخاصة يسدون علينا منافذ الطرق ! . تأملوا ايها السادة بهذه الاقوال التي اقل ما يقال فيها انها حكم وان لم تخل من تهكم واستغفال عقول المتزوجين من رجال وسيدات وقد كانت تكون جديرة بالارشاد لو كانت صادرة من متزوج خبير وليس من غريب يهرف بما لا يعرف

فالزواج الاجباري — فضلاً عن انه المحك او القياس الذي تقيس بهِ مبلغ ايمان اولئك الادباء بصدق ما يقولون ويكتبون فهو الدواء الوحيد — بل القيد الخفيف لكبح الشهوة الجامحة وصد الميول الزائغة ومحو المظاهر الخادعة وقتل الغواية الاثيمة — وحسبه ان يذهب بطائفة العزاب ويبدل حالهم بحال ويضمن للامة والانسانية ذرية راقية في شعورها — ويزيل حجر عثرة كبيراً في طريق عبده — وسبباً قويًّا لكساد سوقه وقلة الاقبال عليهِ

ولا افهم لماذا يبقى ذلك الاديب النابه او الكاتب المجيد او العالم الكبير او الطبيب البارع او المحامي الضليع او المثري المتلاف لماذا يبقى هؤلاء الافراد من غير زواج ألأن ليس في البلد فتاة جميلة تلائم ميولهم وتروي ظمأهم . او يريدوننا ان نفهم انهم ملائكة الله على الارض

يعيشون كما يعيش ذلك الراهب في صومعته طاهر الذيل نقي القلب ميت الشعور والعاطفة لا يبغي من الدنيا غير الصلاة واقامة الشعائر الدينية ولكن حتى هذا الراهب اتقدم اليه بهذا السؤال وهو في حصنه المنيع لماذا لا تتزوج يا حضرة الاب المحترم واي ضرر تراه في الزواج ولا ترى اضعافه في العزوبة . . . أيها السادة ! :

ان ما تكابده الامة من الامراض وتعانيه من المخدرات والمسكرات لهو كثير جداً يكاد يطغى على حسنات هذه الحضارة ويقلبها الى سيئات وخيمة الأثر ولو عنيت الالمام بالمسائل التي عرضت لها في سياق هذا البحث كتحدث الام والاب والمدرسة الى الطفل لخرجت عن الخطة المرسومة لهذا الموضوع ولما كنت وفيتها حقها من البحث في هذا المقال اولو شرحت مبلغ الخسائر التي تتحملها الامة من الامراض والمخدرات بسبب زيوغ الميول الجنسية وانتشار سوق الدعارة لحرمت نفسي هذا العطف المشمول به فكم الآن وحسبي ان اذكر للتدليل على صحة هذا الفرض ما جاء في تقرير رسل باشا عن مفعول المخدرات وتعليق صديقي الكاتب الكبير الاستاذ داود بركات رئيس تحرير الاهرام عليهِ بقولهِ: يقول لنا رسل باشا حكمدار العاصمة ان المخدرات التي ضبطوها في العام الماضي ٤١١٣ كيلو جرام فكم هي المخدرات التي لم يضبطوها وقد دخلت البلاد ودخلت الاجسام فسممتها بل كم شخصاً هدمت وكم اسرة اهلكت وكم غني افقرت وكم شاب وشابة اضاعت وكم سلالة اضعفت ونهكت وكم من الاحزان احلت ومن الافراح بدلتها اتراحاً ..... ان رسل باشا لا يستطيع ان يقول لنا كم هو عدد اولئك التعساء الاشقياء الجهال الضالين الذين قدموا حياتهم وغبطتهم وسعادتهم ضحية على هيكل الشقاء . واذا نظرنا الى المسألة من الوجهة المالية هالنا الامر جداً . فقد قدر رسل باشا في العام الماضي المال الذي تدفعه مصر ثمناً للمخدرات بنحو خمسة عشر مليوناً من الجنيهات فالمسؤولون عن تربية النشء يعترفون كما ترون بخطورة هذا البحث الذي عرضنا له اليوم واظهرتم كرماً لسماعه وعطفاً عليهِ وانهُ في نظرهم من اكبر المشاكل قيمة واكثرها تعقيداً وأعزها مقاماً . وهم متفقون على ضرورة الاهتمام بهِ وانقاذ الامة من اخطاره . فالى ان يتم لنا ذلك التشريع العظيم في الزواج الاجباري وتحضير مواده واستقرار اصوله ، اسألكم ان تجمعوا الرأي على مكاشفة الابناء عن وظائف الاعضاء الخاصة وضرورة العناية بها. والمطالبة بادخال دور المراهقة في برامج الدراسة العامة في كافة المدارس ومقاطعة اولئك العزاب حتى يهتدوا او يثوبوا الى محجة الصواب . ونشر الدعاية ضد الدعارة والمغريات لها . وبث روح الفضيلة في النفوس والبيئات . ولا اطيل عليكم في وصف الفوائد التي تظهر من خلق هذا الجو البريء ، جو الفضيلة فانكم ادرى مني بنتائجها الحسنة في ربط اواصر المودة بين الافراد والجماعات . واسمحوا لي ان احييكم واشكركم في الختام

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف . ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف بأغلاطه أعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تفضل على المطولة

الرسالة العذراء

للأب انستاس الكرملي

كلمة في طبعتها الثانية

وقع بيدي في هذه الايام «الرسالة العذراء» لابراهيم بن المدبّر ، مصححة ومشروحة مع مقدمة مفصلة بالفرنسية عن فنّ الانشاء ومذاهب الكتّاب في القرن الثالث بقلم الدكتور زكي مبارك ، فوجدتها رسالة بديعة السبك ، مترجمة لفن الكتابة في المائة الثالثة للهجرة ، ومما زادها ثمناً وتقديراً ان الدكتور زكي مبارك صحّح ما دسّهُ النسّاخ من الاوهام ، واشار الى بعض ما ذكر منها او مثلها في بعض المؤلفات ، ولا سيما في العقد الفريد ، فجاءت حقيقة غادةً عذراء يفتخر بالوقوف على محاسنها كل من يهمّهُ آداب العرب وأساليب كتابتهم وبدائع لغتهم

بعض هفوات في طبعتها هذه

كانت هذه الرسالة طبعت في القاهرة بعناية الاستاذ محمد كردعلي في سنة ١٩١٣ في مجموعة سماها : « رسائل البلغاء » وقعت في ٣٢٠ صفحة بقطع الثمن الصغير ، ووقعت الرسالة العذراء في الصفحة ١٧٦ الى ١٩٣ ولم يُرَ فيها هذا الوشي الذي نراهُ فيها في الطبعة «المباركة»، وفيها تلك الحواشي النفيسة ، والضبط بالشكل الكامل في بعض المواطن التي تحتاج اليهِ ، الى غير ذلك من المحاسن التي جاء بها علماء العصر الذين يعالجون مصنفات الاقدمين ليخرجوها الى المعاصرين المستفيدين منها فائدة طيبة

وقد عثرنا في مطاوي مطالعتنا لهذه الطبعة على هفوات نكاشف بها الدكتور المحقق ، لعله يصلحها في طبعة ثالثة او يصلح وهمنا ان كنا من المخطئين

اننا لا نتعرض هنا لبعض هفوات الطبع التي لا تخفى على القارىء مثل هوجرونيه (ص٤)

وهو هرجرونيه او هورجرونيه. وما ثلاث (ص٢٢) وهي مائلات — وزيادة ضروية(حاشية ص ٣٢) وهي زيادة ضرورية . فهذه وامثالها نتركها على علاتها، ونذكر فقط ما يظن انهُ من غير هذا القبيل

١ً فقد جاء في حاشية ص ٥ : « لا حاجة اليها » . والمعروف في مثل هذا المقام ان يقال : « لا حاجة « لنا » اليها » ، او « لا حاجة « بنا » اليها » (راجع في هذا الموضوع لغة العرب مجلتنا ٨ : ١١١)

٢ً وورد في ص ٨ : « وان شدوت من هذه العلوم ما لا يشغلك محلهُ و ٠٠٠و٠٠٠٠ فعلق على هذه العبارات : « لم يذكر الكاتب جواب الشرط » . — ونحن نظن ان « وإنْ » في هذا الكلام ليست للشرط ، بل وردت بمعنى يقارب قولك : « ولو » وبالفرنسية Quoique

٣ً وفسَّر اللهازم في الحاشية ٦ من تلك الصفحة بقولهِ : « جمع لهزمة وهو عظم ينتأ تحت الاذن » — فقوله « ينتأ » يبين ان هناك زمناً لاتكون فيهِ اللهزمة او اللهازم . ولو قال في مكان ذلك : «عظم ناتىء تحت الاذن» لانتفى كل لُبْس،

٤ً وقال المؤلف في ص ٩ : « ولا يكون [الكاتب] مع ذلك فضفاض الجُبـّة »، فقرأها المصحّح « فضفاض الجثة » وهل في يد الكاتب ان يكون جسيماً ام ضعيفاً ؟ وهل من مانع يمنع الكاتب الجسيم ان يكون بارعاً ؟ هذا فضلاً عن ان المعروف عن الفضفاض انهُ من صفات الملبوسات ، لا من صفات الاجسام او الجثث . والذي يثبت ذلك كلام المصحح نفسهِ في حاشية من تلك الصفحة اذ نقل عن الجاحظ : «ذأبان انهم كانوا يهتمون بتعريض «الجُبـّة» و « تطويل الذيل »

٥ً وجاء في الحاشية ١ من تلك الصفحة ٩ قول المصحّح : « وقد اعطانا ياقوت بعض التفاصيل ... والتفاصيل التي أعطاها صاحب العقد ... » ونحن نرى هذا التعبير غير عربي صرف ، وان كان صحيح التركيب . ونفضل عليهِ قول من يقول : «وقد ذكر لنا ياقوت تفاصيل . . . والتفاصيل التي اوردها صاحب العقد . . . » او ما يضاهي هذا الكلام الذي لا يشم منهُ رائحة الاعجمي

٦ً وذكر في ص١١ كلام المؤلف . « ومذاهب يجب عليك ان تراعيها في مراسلتك اليهم في كتبك» ونظن ان صحيح العبارة . . « في مراسلتك إياهم » لانهُ يقال : راسلهُ لا راسل اليهِ

٧ً وجاء في الحاشية ٥ من ص ١٢ : «وروي عن حماد بن زيد أنهُ قال : احدثها الزنادقة وقال الاصمعي . هي من دعاءِ الزنادقة . وقيل : أصل يبطل هذا ، ويطلق التكاتب بها » فهذه العبارة لا معنى لها . وهي ترى كذلك في الاصل المطبوع من أدب الكُتَّاب . ونحن نرى

فيها نقصاً او تصحيفاً او حذفاً . ولعلّ الصواب : «وقال الصولي (اي المؤلف صاحب كتاب أدب (الكتاب) . يبطل هذا ويطلق التكاتب بها »

٨ً وفي ص ١٣ : «لو رأى الكلب ماثلاً في طريق . . . » والذي احفظهُ من هذا البيت « لو رأى الكلب بائلاً في طريق . . . »

٩ً وذكر لي الاستاذ المحقق مصطفى جواد أن قول المؤلف في ص ٢١ : «فما فوقهُ منهنَّ غير غرائر» محرّف والصواب « فهنَّ »

١٠ً وفي حاشية ٣ من تلك الصفحة : « ما في ذراعيهِ او في احدهما بياض » . ولعلّ الصواب «أو في احداها » لان الذراع أنثى

١١ً وذكر الكرشف بالشين المعجمة في الحاشية ٣ من ص ٢٢ والمعروف في هذا المعنى الكرسف بالسين المهملة

١٢ً وقيل هناك . «ان قولهم: ما لاقت المرأة عند زوجها اى مالصقت بقلبهِ مأخوذة من لاقت الدواة » هو حديث خرافة . وماكان يحسن ان يثبت في هذا الكتاب ، ولا سيما على يد أحد مشاهير الادباء مثل الدكتور زكي مبارك ؟ لان الدواة حديثة بالنسبة الى لصوق المرأة بقلب زوجها

١٣ً وفي نص ص ٢٤ : « ولئن قيل : كأنهُ الرمح الرديني فقد قال الكاتب . . . » والصواب « ... لقد . . . ليكون جواباً للئن . وهذه القولة للاستاذ مصطفى جواد المدقق. وقد ذكر لي ايضاً ان في قول المؤلف في ص ٢٨ . «وكذلك ماء الكثير او النشاستج » خطأً ظاهراً . والصواب « ماء الكثيراء » « والكثيّراء : ضرب من الصمغ مشهور ، ويعرفهُ العراقيون بهذا الاسم الى يومنا . واسمهُ بالفرنسية Gomme adragante (راجع مفردات ابن البيطار كلمة كثيراء) وبمعرفة هذه الكلمة والوقوف على صحتها لا يبقى لهُ حاجة الى قولهِ في الحاشية : «الكثير : طَلْعُ النخل ، وهو في كتب اللغة «الكثر» بالفتح والتحريك»

١٤ً وفي حاشية ٤ من تلك الصفحة: « الضمير عائد على القراطيس »والمشهور في التعبير: « عائد « إلى » القراطيس »

١٥ً وفي حاشية ٨ من تلك الصفحة ايضاً : « الوشق : نوع من العشب » . والمعروف عند اللغويين والعراقيين ان الوشق لغة في الاشق كسُكّر وهو صمغ نبات كالقثاء شكلاً يلزق بهِ الذهب على الرق (راجع القاموس واللسان والتاج ومفردات ابن البيطار)

١٦ً وفي حاشية ٢ من الصفحة ٢٩ : « دهن صفار البيض » وهو منقول عن صبح الاعشى . ولو اصلحها « المبارك » وقال : « دهن صفرة البيض ، او دهن المحّ » لكان

اصحّ . — وفي تلك الحاشية : « كلمة عن الكتابة .... كلمة عن وضع الكتابة ...» والمشهور في مثل هذا التعبير : « كلمة على . . . »

١٧ً وفي ص ٣٥ : « فمتى خاطبت احداً بغير ما يشاكلهُ ، فقد اجريت الكلام غير مجراهُ وكشفتهُ » هكذا وردت هذه الكلمة بالشين المعجمة . والصواب : « وكسفتهُ » بالسين المهملة ، اي حجبتهُ كما يكسف الله الشمس

١٨ً وفي تلك الصفحة : « ابلغ الكلام ما لا يحتاج الى كلام ، واحسنهُ ما لم يكن بالبدويّ المُغرِب ، ولا القروي المخدِج » وضبطت الكلمة الاخيرة كمسلم . وفسَّرها بالناقص في الحاشية . قلنا : والصواب عندنا : « المجدَّح » كمعظم بصيغة المفعول ، لان كلام القروي —وهو ساكن القرية، والقرية المدينة الكبرى— مخلوط بكلام آخر من لغات مختلفة . فالمجدَّح : المخلَّط لا غير . وهذا يؤيدهُ سياق الكلام . زد على ذلك ان ضبط المخدج على الفاعلية في هذا الموطن مخالف لما فسره وكان يجب ان يضبط على المفعولية ، اي بصيغة المجهول

١٩ً وما يجلب النظر الدقيق قول المؤلف في ص ٣٦ : « ويزداد [الكلام] حسناً على مرّ السنين بتجلية الرواة ، وتنقية السراة » وضبطت هذه الكلمة بضم السين . والسراة بهذا الضبط جمع سارٍ . ونظن ان الصواب مع من يضبطها هنا بالفتح لتكون جمع سريٍّ ، وهو الجيد من كل شيءٍ والسيد الشريف

٢٠ً وورد في تلك الصفحة قوله : « لما هطلت شآبيب الكلام ، وتدافقت سيوله » . قلنا : لا وجود لتدافق في كلامهم فضلاً عن ان المعنى يتطلب هنا التدفق ليدل على التصبب المتتابع

٢١ً وجاءَ في متن ص ٣٧ قوله : « فوجد طائراً يقال له « الشفانين » . والذي نراه ان الصواب هو « الشفنين » ليتسق مع قوله : « طائراً » وهو مفرد . اما الشفانين فجمع ، وهذا لا يمنع قول ذيالك المتبجح انهُ « شفاء من الانين » ، كأنهُ يزعم ان الشفنين منحوت من شفاء الانين . على انهُ لو قال قائل : ان الشفانين اقرب الى « شفاء الانين » فهذا صحيح ، لكن لا توجيه لهُ كالتوجيه الذي يحرّر النحت والنحو معاً في قولك الشَّفنين

٢٢ً ومما يسترعي الانتباه ما جاءَ في نص ص ٣٩ فقد قال صاحب الرسالة : « والمعاني كلها ممتثلة والكلام مشبعاً ولكن سياستهُ صعبة » . قلنا : ولا معنى في قولهِ : « ولكن سياستهُ صعبة » والذي نراهُ في موضعهِ قولك : « ولكن سياقتهُ » فينجلي المعنى ويتسق مع سابقهِ ولاحقهِ

٢٣ً ومن هذا القبيل ما جاءَ في تلك الصفحة نفسها اذ يقول ابن المدبّر : « وهي كاللآلئ المنظومة في اصدافها » . والذي نعهده ان اللآلئ « منضودة » في الاصداف ، اي مجعولة بعضها فوق بعض بلا نظام ، او « موضونة » اي مثنيَّة بعضها على بعض ومنضّدة فيها .

ولهذا يكون قوله « المنظومة » من مسخ النسّاخ

٢٤ً وعلى الشارح في ص ٤٠ على قول المؤلف : « واما اللسان فهي الآلة » ما هذا صورتهُ : « أنَّث الضمير مراعاة للخبر » — قلنا : ولا حاجة في صدرنا الى هذا التأويل . والصواب ان اللسان مذكر ومؤنث فأنث الضمير هنا على رأي من يعتبر الانسان انثى

٢٥ً ومما نوجّهُ اليهِ نظر الشارح المبدع ما جاء في ص ٤١ إذ يقول المؤلف. « واللسان وان كان ذلقاً فصيحاً لا يعدو سامعهُ » فجاءت « ذلقاً » هناك « زلقاً » بالزاي ، فانقلب المعنى ، لكن اي انقلاب !

٢٦ً ومما يستحق ان يدقق النظر فيهِ قول المؤلف : « وفوض ذلك لابن عمهِ » . والمشهور عند الفصحاء في هذا الاستعمال ان يقال : « وفوض الامر الى ابن عمهِ » . ولعل لهُ عذراً من باب التخفيف اي من باب ورود اللام بمعنى « الى »

٢٧ً وورد في ص ٤٥ : «ويكون في قواه (اي في قوى البليغ) فضل للتصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل (التنقيح ، ويصفيها كل التصفية ، ويهذبها غاية التهذيب» . وعندنا ان الصواب هنا حذف «لا» السابقة ليدقق وينقح وحينئذ يتسق المعنى والمبنى مع سابقه ولاحقه

***

واختم نظراتي الطفيفة شاكراً للدكتور زكي مبارك عنايته باخراج هـذه الطرفة بأحسن حلية مادية وادبية ، فجاءت تتهادى بين ايدي الادباء كأنها الغادة الحسناء ، بل البكر العذراء . وعسى اننا نرى عن قريب الطبعة الثالثة نقية من كل شائبة وليس ذلك بعسر على من وقف نفسه لخدمة اللغة والناطقين بها

بغداد في ٢٦ /١٩٣٣/٤ الاب انستاس ماري الكرملي

مؤلف مختار الصحاح

وقرنه

الى حضرة الاستاذ الكريم محرّر المقتطف ، قرأت في ص ١٣٦ من سنة ١٩٣٣ لمقتطفكم قول الشيخ عبد القادر المغربي :

« وقد ألّـف الرازي كتابه هذا [أي مختار الصحاح] سنة ٧٦٠ للهجرة أي منذ ستة قرون » وأنا أري هذا القول خطأً وأن الصواب « ٦٦٠ » هـ فالمختار يكون قد مضى على

تأليفه قراب « سبعة أقرن » لا « ستة » أما دليلنا على قولنا هذا فهو ما ورد في كشف الظنون ، فقد قال مؤلفه عن صحاح الجوهري « واختصره الشيخ الامام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى بعد سنة (٦٦٠) وسماه مختار الصحاح ... وفي آخره : وافق فراغه عشية يوم الجمعة سنة ٧٦٠ » [١] فهذا التاريخ الاخير ، من زلّة قلم المؤلف أو الناسخ على ما نرى ، والاول هو الصحيح بأدلة :

أولها : أن صاحب كشف الظنون ذكر في باب «غريب القرآن» ومن ألف فيه ماصورته «والامام زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي صاحب مختار الصحاح ، أوله : الحمد لله بجميع محامده الخ وفرغ من تأليفه في سنة ٦٦٨ [٢] » فكتابه هذا في الغريب ألفه بعد مختار الصحاح بـ «٨» سنوات

وثانيها : أن الكتب التي نقل عنها الرازي للاستدراك على الجوهري أو لاتمام الفائدة لم يتجاوز تاريخ مؤلفيها سنة «٦٦٠» الهجرية ، فقد ذكر «ديوان الادب» لاسحق بن ابراهيم الفارابي المتوفي سنة ٣٥٠ هـ في مادة «غل» و «كنى» و «شاء» و «خل و «سجن» و «سجل» و «رعد» و «خون» و «حضر» و «جنى» و «جز» و « أرب » وذكر الزمخشري في مادة «حمد» و «قصر» والهروي في «ريض» و «قصر» و «سوى» و «بس» ومصادر البيهقي في «بس» والمطرزي المتوفي سنة « ٦١٠ » هـ على رواية في « دلب » و « غل » و «كور» و « طهر » والمنهاج للاسرائيلي المتوفي سنة «٦٥٨» في مادة « ورد »

وثالثها . أن السيد البحاثة عبد الله مخلص ذكر في كراسته عن صاحب مختار الصحاح أنه كان من معاصري الصدر القونوي المتوفي سنة ٦٧٣ هـ

ورابعها : ان من العلماء المعاصرين لصاحب مختار الصحاح الوارد ذكرهم في آخر ورقة من الجزء التاسع من كتاب جامع الاصول المسموع بمدينة قونية ، رجل اسمه «قلمشاه» كما ذكر عبد الله مخلص ، وأقول انا : لقد ذكر ابن بطوطة في رحلته الى قونية سنة «٧٣٣» ما نصه « نزلنا منها بزاوية قاضيها ويعرف بابن قلمشاه [٣] » فهو ابن قلمشاه المذكور المعاصر للرازي وهذا يثبت ان قرن الرازي هو القرن السابع للهجرة ويستحيل معه بلوغه سنة «٧٦٠» هـ ، كيلا يكون عمره « ١٥٠ » سنة على اقل تقدير ، بله ان الادلة السابقة تحيل هذا اشد الاحالة ، واختلاف الناس في تاريخ هذا العلامة من سوء حظه فهو في ضياع تاريخه مثل « محمد بن ابي زيد القرشي » صاحب جمهرة اشعار العرب الذي كان قد ادرك القرن الخامس للهجرة ، ولما يعرف احد من المعاصرين زمانه غيرنا ، وذلك بعد النصب الشديد مصطفى جواد

(١) ج ٤ : ص ٩٤ من طبعة أوربة (٢) ج ٤ ص ٣٣١ من تلك الطبعة (٣) ج ١ ص ١٨٦ من طبعة مصر

باب الزراعة والاقتصاد

صناعة الالبان بمصر

للاستاذ مكفيترز بكلية اسيوط

٣

امتيازات صناعة الالبان

شرحنا في مقال سابق ، حاجة مصر العظمى الى محصول نقدي مكمل للقطن . وبينّا ايضاً ان تفوّق محصول البرسيم « البلدي والحجازي » كعلف للمواشي اللبونة يثبت بالبرهان القاطع ان صناعة الالبان هي المشروع الزراعي الذي يحل المشكلة ويسد الحاجة على احسن حال

وفضلاً عما ذكر ، هناك منافع اضافية تصحب صناعة الالبان جديرة بالنظر نذكر منها ، ان هذه الصناعة تفسح ميدان العمل لعددٍ كبير من الأيدي العاطلة وتدر ايراداً منتظماً ، ثم انها من الصناعات التي تقل فيها مضاربات الاسواق الى حد الغدرة ، علاوة على انها تمكّن الارض من الاحتفاظ بخصوبتها

فمتى تنظّمت صناعة الالبان كما يجب ان تنظم ، تصبح عملاً مجدياً لعدد وافر من المزارعين طول السنة ، ولكن اذا اقتصر المزارع على العناية بمحصول زراعي لم يتعدَّ عمله المجدي اسابيع قليلة او بضع اشهر في السنة . ففي وقت البذر والحصاد يُساق بعنف ، ويكون عليهِ من الاعمال ما قد لا يستطيع القيام بهِ كما يجب ، ولكن بين هذين الفصلين مدداً طويلة يصرفها في الكسل والتراخي وهذا مما لا تحمد عقباهُ من الناحية الاخلاقية او من ناحية كفاءتهِ كعامل . ان البنّاء او النجّار الذي لا يجد عملاً خلال نصف سنة قلما يقتني ثروة ، ولا يشعر بطمأنينة من جهة قوتهِ او قوت عائلتهِ . اذ عليهِ ان ينفق في وقت البطالة وفي وقت العمل ولا يتناول احد اجراً كاملاً اذا كان عمله يشغل نصف وقت العمل فقط . وهذا القانون الاقتصادي صحيح يسري على المزارع والاجير كما يسري على غيرهما من العمال . اما العامل في صناعة الالبان فان عمله موزع على ايام السنة بطولها ولذلك فاجره مستمر ، يستطيع ان ينظم خطة معيشتهِ بمقتضاه فيصرف بحكمة ولا يضطر الى الاستدانة

ثم ان صناعة الالبان اقل الصناعات الزراعية عرضة لمضاربات الاسواق وتقلبات الاثمان

فان منتجاتها اطعمة ضرورية يحتاج اليها الناس وتستعملها كل الطبقات. وحتى في ازمنة الضيق لا يستطيع احد الاستغناء عنها استغناءً تامًّا . ولذا فان اثمان منتجاتها تتراوح تقلباتها بين حدين غير متباعدين زيادةً ونقصاً . وذلك مما يجعل صناعة الالبان وسيلةً مثلى لتفريج الازمات الاقتصادية . وحتى نثبت ذلك نوجّه الانظار الى ما جاءَ في خطاب القاهُ حديثاً رئيس المجلس الوطني لصناعة الالبان بالولايات المتحدة الامريكية

قال « كان المستخرج من الزبدة في سنة ١٩٣٢ مساوياً لما استخرج في السنين ١٩٣١ و٣٠ و٢٩ ومع ذلك فقد استهلكت كلها ولم يتبقّ منها الاّ قدر مساوٍ لمتوسط المتبقي في الخمس السنوات الماضية ولا يزيد الاّ قليلاً عمَّا تبقى من السنة الماضية سنة ١٩٣١ وقد استهلكت هذه المقادير من الزبدة ، مع اننا نجوز الآن ضيقاً ماليًّا ، وعجزاً في المقدرة الشرائية لم نرَ مثلهما في كل تاريخنا » . ثم قال « قد نقص ايراد الزراعة من كل المحاصيل بما يقرب من ٦٠ ٪ ما بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٢٩ ولكن ايراد اللبن في نفس المدة زاد ٣٤ ٪ واذا بحثنا في سنتي ١٩٣٠ و١٩٣١ ، وهما من اشد السنين الزراعية عسراً عندنا ، وجدنا ان مجموع الدخل من كل المنتجات الزراعية غير اللبن قد نزل من ٩٦١٥ مليوناً من الريالات الى ٥٣٢٩ مليوناً اي بنقص ٤٤٫٦ ٪ عن منتجات سنة ١٩٢٩ . وقد نزل ايراد منتجات الالبان من ٣٣٢٢ مليون ريال الى ١٦١٦ مليون ريال اي بنقص ٣٠٫٤ ٪ ففي سنتي العسر الماضيتين كان النقص في دخل الالبان اقل من النقص في موارد الزراعة الاخرى بمقدار ١٤٫٢ ٪ »

وقال ايضاً « انهُ في سنة ١٩٢٥ كان دخل الالبان ١٤٫٥١ ٪ من مجموع دخل الزراعة وقد زادت هذه النسبة بانتظام من سنة الى اخرى الى آخر السنة الماضية سنة ١٩٣١ حيث بلغت الرقم العالي ٢٣٫٣٦ ٪ وارجو ان تلاحظوا انهُ في اثناء سنتي العسر ٣٠ و٣١ زادت نسبة المتحصل من منتجات الالبان زيادةً اسرع منها في اي سنة اخرى عدا سنة ١٩٢٩ »

ثم استنتج ما يأتي « ان نقص الدخل من منتجات الالبان في اثناء سنتي ٣٠ و٣١ بمقدار ٣٠٫٤ ٪ إذ قوبل بنقص الدخل من كل المحاصيل الزراعية الاخرى وهو ٤٤٫٦ ٪ ظهر ان صناعة الالبان فيها قوة مقاومة واستقلال ذاتي يكافحان ازمات كالتي نحن فيها الآن كفاحاً اجدى من كفاح كل فروع الزراعة الاخرى »

مما تقدم يتضح ان صناعة الالبان اقل عرضةً للتأثر بالازمات من اي الاعمال الزراعية الاخرى . وليس بخافٍ على احد ان زارع القطن معرض اكثر من غيره لتأثير الازمات . فاذا امكن ربط صناعة الالبان بزراعة الاقطان بني عليهما بناء وطني اقتصادي اقوى وابقى

ومع ما للاعتبارات السالفة التي اوجزنا في شرحها من الشأن فان اهم منها جميعها ، على ممر الزمن ، علاقة صناعة الالبان باستمرار خصوبة التربة . لان خصوبة التربة اساس استمرار

الثروة الزراعية . على ان خصوبة تربة ارض مصر قد بقيت قوية منذ العصور الخالية . ففي عهد الفراعنة كانت مصر تزخر بالغلال بينما نواحي العالم الاخرى تمنى بالمجاعات . وبعد ذلك بمئات السنين كانت مصر ترسل سفنها المحملة بالغلال الى روما — سيدة العالم — بينما كان الرومان يكافحون فقر تربتهم عبثاً . وبالرغم من اجهاد الاراضي واستعباد الفلاحين والثورات والتقلبات السياسية — بالرغم من كل ذلك — فقد شذّت تربة مصر في انها لم تنِ ولم تضعف اذ دبّر لها رب الطبيعة نهر النيل الذي يكسو سطحها بطبقة خصبة جديدة من التربة كل سنة فتتجدد شبابها بدلاً من ان تهرم

الا انهُ في السنوات القليلة الماضيــة قد غيّرت مصر ذلك النظام الطبيعي الذي سار من تلقاء ذاتهِ الوف السنين ، جرياً وراء استعمال الطرق الحديثة في الزراعة ، ولا زالت هناك تغييرات اخرى منتظرة من هذا القبيل . وبناءً على ذلك لم يعد هناك متسع من الوقت للتربة لان تكسوها طبقات الطمي الجديدة ولا ان تتمتع بفرصة الراحة حتى تشع عليها الشمس فتختزن فيها قوى الانماء بل على الضد من ذلك يتجه السعي الآن الى اجهاد الارض لتنتج محصولين او ثلاثة محاصيل في السنة . فلا نحن حاولنا التعويض عن خسارة الطمي ولا حسبنا حساب اجهاد التربة . وحيث اننا غيرنا النظام الطبيعي القديم فالحكمة تقضي بان نحترس لئلا نضيّع كنز ثروتنا . فالتربة بنك لا نستطيع ان نسحب منهُ الى الابد بدون ايداع بدلٍ لما يسحب حتى يتوازن الحساب

ولا يكفي في موازنة حساب اجهاد التربة ان نلجأ الى استعمال السمادات الكيماوية . فان المادة العضوية جوهرية كطعام للنباتات بل كطعام لجراثيم التربة — تلك الملايين من الخليات التي تعمل ليل نهار لصنع الازوت النباتي اللازم لاي محصول والذي بدونه تصبح الارض عقيمةً بتاتاً

***

كثيراً ما نسمع ان زراعة القطن مضنية للتربة ، والواقع ان القطن من أخف المحاصيل على التربة اذا قسنا مقدار الغذاء النباتي الذي يستهلكه منها فان انتاج مائة رطل قطن وبيعها لا يستنزف اكثر من رطل واحد من الغــذاء النباتي المتركب من ازوت وفصفور وبوتاس . وهذه خسارة لا يؤبه لها لا سيما وان بذرة القطن غنية بهذه الجواهر إذ ان كل مائة رطل من بذرة القطن تحوي نحو ثلاثة ارطال من الازوت ورطل وربع رطل من الفصفور وقدر ذلك ايضاً من البوتاس اي ½ ٥ رطل في المجموع . وليس كل هذا الغذاء يحويه زيت البذرة بل ان معظمه في بقايا البذرة بعد عصر الزيت منها . ومما يؤسف له ان هذه البقايا تباع الآن رخيصة للاجانب من صانعي الالبان الذين يربحون من اطعام هذه البقايا «الكسب» للبهائم

ثم يضيفون الى ذلك ربحهم من فضلات البهائم «الروث» التي تحوي كثيراً من هذه الاغذية باستعمالها كسماد يبنون به تربة ارضهم

قررنا ان القطن محصول لا يفقر التربة كثيراً الاّ انهُ من المعروف انمواصلة انتاج القطن سنة بعد سنة في بقعة واحدة من الارض ينهك قواها ويكاد يقضي على انتاجها مما اكتشفه زراع القطن بالولايات المتحدة بعد فوات الفرصة . وسبب ذلك لا يرجع الى كثرة ما يأخذه القطن بل الى قلة مايتركه من المادة العضوية في التربة لتغذية جراثيمها لان جذور القطن ضعيفة وقليلة ، اضف الى ذلك سرعة تأكسد المخلفات النباتية في ارض الاقاليم الحارة التي يلزمها تجدُّد المادة العضوية لتغذية البكتيريا التي اسلفنا الاشارة الى ضرورتها في الانتاج الزراعي

وهناك نباتات تمد التربة بقسط وافر من المادة العضوية لكثرة ما تخلف من الجذور ، منها البرسيم وخصوصاً « الالفلفا » البرسيم الحجازي الذي تكون جذوره ، عادة ، أكثر تفرعاً واكبر حجماً من النبات الظاهر على سطح الارض . وعند ما تنحلُّ هذه الجذور ترجع كل مادتها العضوية الى التربة . ومع ان نباتات العلف هذه تستهلك من قوة التربة اكثر مما يستهلك القطن الاّ انهُ متى اكلتها الحيوانات فان معظم المادة الغذائية التي تكون في الظاهرة من النبات تعود الى التربة في شكل سماد . فمن كليهما — الجزء الخفي والجزء الظاهر — تستفيد التربة من نباتات العلف هذه

وغير ذلك هناك نفع اكبر يعود على التربة من البرسيم وغيره من الفصيلة البقلية وهو ان مقادير كبيرة من الازوت ، تستخلصها مباشرة من الهواء ، بواسطة عقد صغيرة تكثر في جذور هذه الفصيلة ، ثم تضيفها تواً للمواد العضوية التي تغذي التربة . فان النباتات لا تجد الازوت خالصاً وان كان الازوت في شكل املاح او نترات من الزم اغذيتها . والنترات هي الجزء الذي ينقص تربة مصر نقصاً عظيماً وهذا النقص يكلف البلاد اكثر من ٣ ملايين جنيه كل سنة لشراء هذا العنصر الجوهري . ومع ذلك فان ⅘ الهواء الذي يحيط بنا هي من الازوت . فلم لا نوفر الفرصة للبكتيريا فنضيف مقداراً اوفر من هذا الازوت المجاني لتربتنا وهي في أشد الحاجة اليه ? لِمَ نفرط في أموالنا ونبقى تحت رحمة شيلي والنرويج بينما نحن ابداً ودائماً نسبح في في بحر من الازوت لا شواطىء له ? حقاً ان العقل يقضي بان النظام الامثل للزراعة في مصر يجب ان يحوي الاكثار من انتاج الفصيلة البقلية في توقيت محاصيلنا

هذا من الجانب النظري ، فماذا يمكن ان يقال عن الجانب العملي ?? هاك تجربة : — لقسم صناعة الالبان بكلية أسيوط ، وقد اسلفنا الاشارة اليه ، خمسة عشرة فداناً من ارض الحياض قسمت الى ثلاثة أقسام تقريباً واتبع في زراعتها مدة الخمس السنوات الماضية نظام دوري ثلاثي وهذا النظام هو : في السنة الاولى فول يعقبهُ اذرة او شامي ، والسنة الثانية ربيع خليط

من البرسيم المسقاوي والحجازي (ويحش اثنتي عشرة مرة او يزيد في الزرعية) ، والسنة الثالثة برسيم ترعاه البهائم في الحقل يعقبه قطن

ولقد القي على الارض بعض الروث قبيل زراعة الشامي وبعضهُ غُطّي بهِ البرسيم الحجازي بعد حشّة من الحشات. وفي هذه الدورة يلاحظ ان محصولاً بقلياً يزرع كل سنة. وفي الوقت الحاضر نستعمل مقداراً من السماد الكيماوي اقل من السابق فقليل منهُ يرمى للفول وقد نوقف ذلك عند ما يقدم العهد على التجربة ، وقليل ايضاً يرمى للقطن اذ يكون صغيراً والطقس ابرد من ان يهيج البكتيريا للعمل

واذا قسنا النتيجة بالمحصول وجدنا انها تستحق الاعتبار لاسيما وان الدورة حديثة العهد، اذ انه مع قلة استعمال السماد الكيماوي وتوفير ثمنه تبعاً لذلك ، فان المحصول يزيد نحو الثلث عما كان قبل الخمس السنوات الفائتة وبعبارة اخرى إن ثلاثة افدنة الآن تنتج فولاً او شامياً أو قطناً قدر ما كانت تنتجهُ اربعة افدنة سابقاً . مع العلم ان هذه الارض لم تكن رديئة منذ البدء ولا كانت منهكة القوى بل من ارض الحياض الجيدة . وبعد استعمال هذه الدورة بضعة سنوات اخرى يزداد مقدار الازوت في التربة ولا يبعد ان يكون محصول عشرة افدنة مساوياً لمحصول الخمسة عشر كلها قبل ذلك . وبعبارة اخرى اذا صرفنا النظر عن الاثنتي عشرة حشة من البرسيم التي هي السند الاكبر لمعمل الالبان، زادت ثروة التربة زيادة كبيرة بهذه الدورة الثلاثية المنتظمة . فنظام كهذا يحتفظ بخصوبة التربة بل يبنيها وينميها باستمرار هو ضمان لاستمرار الثروة الزراعية

٤ — مستلزمات النجاح

قدمنا ان من أهم مزايا صناعة الالبان انها تقدم عملاً متواصلاً وايراداً منتظماً وانها أقل عرضة من غيرها لتقلبات الاسواق وللازمات وانه بها يسهل الاحتفاظ بخصب الارض بل زيادتهُ . وفي هذه الاعتبارات نجد القطن ضعيفاً اذا زرع منفرداً فانه لا يقدم عملاً متواصلاً على مدار السنة ولا ايراداً ثابتاً فضلاً عن انه محصول معرض لتقلبات السوق ويستنفد خصوبة التربة بسرعة . فحيث صناعة اللبن قوية تجد القطن ضعيفاً ولذا فانها أصلح ما يمكن لتكميل زراعة القطن

وسنحاول الآن ان نبين الشروط التي يجب توافرها حتى تنشأ صناعة الالبان قوية ثابتة في مصر . ومن الواضح انه قبلما تدرّ هذه الصناعة الخير على مصر يجب ان توجد لها أسواق اجنبية ولا يكون ذلك الاّ بانتاج صنف له جودة كالتي تتطلبها الاسواق الاجنبية . اما المنتجات الحاضرة فلا تستدعي عناية ما في ايٍّ من هذه الاسواق . فلابدّ من انشاء نظام تفتيش

وتصنيف دقيقين ويظل هذا النظام مرعيًّا باستمرار . ثم يجب نشر دعاية متسعة النطاق لارشاد الناس في كل شيء من الحلب الى بيع المنتجات اللبنية . وفي كل هذه الخطوات يجب تنفيذ أدق الشروط الصحية والتنبيه على تحسين الصنف . ولا يظن احد ان المستقبل مظلم والرجاء في كل ذلك ضعيف فان هذا ما كان على الصانع الاجنبي ان يراعيهُ منذ ثلاثين سنة . ترك اصطبله المظلم غير الصحي بارضه الطينية او الخشبية وما يرافقه من الروائح الكريهة لانه وجد ان اللبن المنتج في هذا الوسط لا يمكن بيعه . ولولا أنه يخشى زيارات المفتش الكثيرة وغير المتوقعة لما واظب على تنظيف ارض اصطبله المرصوفة بالاسمنت . وما كان ليشتري أفضل انواع الاواني ويغسلها ويطهرها جيداً بعد كل مرة تستعمل فيها لولا انه يؤمل ان يزداد ايراده بسبب قلة البكتيريا التي توجد في اللبن عند الفحص . فتصبح النظافة والمحافظة على الشروط الصحية ضروريتين لتقدم العمل ورواجهِ

وليس المزارع هو الوحيد الذي يجب ان يدرَّب تدريباً كافياً ويشجع على انتاج اللبن النظيف ونقله بل ايضاً العامل في المعمل يجب ان يكون حاذقاً لصناعته ويكافأ ليتشجع فيأتي بأحسن ما عنده . فانه من الواضح ان منتجات الالبان ذات الصنف الجيد لا يمكن صنعها إلاَّ في معامل خاصة وبمقادير وافرة تسوغ توظيف اخصائيين واستعمال أحسن الآلات واحدثها . ويمكن ان تتضافر المعامل المتنوعة معاً في توزيع منتجاتها وبيعها . ويجب وضع كل المنتجات المعدة للتصدير تحت رعاية وتفتيش مفتش اما من قبل جمعية المعامل العمومية او من قبل الحكومة فتكون ماركة الجمعية او المعمل ضمانة لجودة الصنف

ولاعداد هذا العدد من المفتشين ومن الاخصائيين ومديري المعامل يلزم ان ينشأ قسم جديد للتهذيب والتدريب . وقد يمكن توجيه فكرة كثيرين من الشبان النابهين الذين يتمون دراساتهم الثانوية ثم ينزوون في قراهم بسبب قلة أبواب العمل ، الى هذا الجانب الجديد من الحياة الزراعية فيستعدون لهذه الصناعة

ويتوقف النجاح على امر آخر ضروري وذلك ان مصر يجب ان تربي او تجلب نوعاً أفضل من بهائم الألبان — بهائم لها قدرة على درِّ لبن أكثر ولها مزاج صالح لذلك فتدر لبنها دون حاجة لاحضار عجولها تحتها كل مرة تحلب فيها . فان ضرورة حفظ العجول معظم السنة لهذا الغرض عقبة كأداء في سبيل تقدم الصناعة . وربما يكون من المتيسر انتقاء جواميس مصرية تمتاز بكثرة الادرار . ولكن ربما يقوم اعتراض في الاسواق الاجنبية على صنف المنتجات من اللبن الجاموسي

واستيراد مواشٍ اصيلة اجنبية معروفة بكثرة الادرار لا يخلو من صعوبات . اذ من الواضح انهُ ليس في المستطاع استيراد عدد كافٍ من الابقار الاصيلة لحلب ما يلزم من اللبن لهذه

الصناعة لما في ذلك من نفقات ومجازفة لا تسوغها التجربة . على انهُ لا بدَّ من استيراد عدد محدود من اضمن وأحسن الاصناف حتى يكون توالدها سبيلاً لاستمرار الصنف الاصيل. إلا انهُ اذا ادخلت فحول اصيلة مستوردة من مزرعة مضمونة يمكن تحسين النسل بها لدرجة فائقة واذا استمرَّ الحال زمناً يمكن تكوين قطعان نقية الاصل وعظيمة الادرار . ولا يخفى ان استيراد اصناف اصيلة او توليدها مع الاصناف البلدية امر لا يمكن ان يتم في يوم وليلة . اذ ان مثل ذلك العمل يستلزم خطة رشيدة محدودة تتبع بعناية ودقة ولذلك يحسن بالجمعية الزراعية الملكية اوبالحكومة نفسها ان تبدأ هذه التجارب. وهناك امور كثيرة يجب على الفلاح المصري ان يتعلمها في توليد وتربية المواشي المدرة بل وفي العناية بالمواشي وطريقة اطعامها ، فانهُ ، على وجه الاجمال ، لا يحذق العناية بالمواشي كما يحذق العناية بالحاصلات

واول ما يجب ان يعرفه الفلاح هو ان البقرة الكثيرة الادرار حيوان اختصاصي في ذلك ويعمل بكد فيه ولاجله ، وانهُ اذا قسنا ما يلزم من المجهود في هضم الطعام وتحويله الى لبن نجد انهُ يفوق المجهود اللازم لجر المحراث . ولذلك فلا ينتظر منها جر المحراث او القيام بمثله من الاعمال بدون خسارة شيء من الكفاءة في ادرار اللبن

وثانياً على من يبغي النجاح في العناية بمواشي اللبن ان يعرف قيمة انواع الغذاء. فان مجرد ملء معدة الحيوان ليس تغذية بالمعنى المعروف فان العلف لا يكفي ان يكون بحسب الاصول في المقادير التي يمكن هضمها بل ايضاً يجب ان تتوافر فيه النسبة الغذائية الواجبة. فالفلاح الاجنبي ، عادة ، تعترضه صعوبة من هذا القبيل لان العلف الذي يزرعه ينقصه المقدار اللازم من البروتين . وحتى يكمل هذا النقص فان عليه ان يبتاع اطعمة عالية الثمن ولكن مع وفرة البرسيم والالفلفا فان الفلاح المصري يتمتع بامتياز كبير اذ ان نسبة البروتين في هذه المأكولات هي النسبة المطلوبة تماماً. كذلك الفيتامينات والمعادن الضرورية متوافرة فيها . وكلما رغب الفلاح المصري ان يستعمل علفاً آخر كتبن الفول او زعازع الشامي عليه ان يعوض عن نقص هذه في البروتين بالزيادة في مواد الطعام الاخرى

ان بقرة الحليب لا تخلق شيئاً . هي ليست سوى معمل لتحويل المواد الخام الى المادة التامة الصنع . فكل غذاء يظهر في اللبن يجب ان يكون في طعام البقرة بل يجب ان يطعم البقرة اكثر مما يلزم للبن لان جانباً منه تستهلكه في الاحتفاظ بحياتها هي ، وما تحوله لبناً هو الجانب الذي يزيد عن حاجتها في اعالة نفسها . ان الفلاح المصري لا يملك الطعام بغير حساب بل ان عنده نظريات خاصة من جهة الاقتصاد في اطعام مواشيه. ويغلب على الظن ان اكبر درس يجب عليه تعلمه هو ان نجاحه يتوقف ليس على «ما هو اقل مقدار» بل « على ما هو اكبر مقدار » يمكن اطعامه للحيوانات المدرة بدون الحاق الضرر بها . فلا يكون جل امله

«ان يبقي على حيواناته حية» بل بالحري يعمل على زيادة موادها الغذائية بحيث تبلغ صغارها حد النمو الكامل بسرعة وتواظب كبارها على كثرة الادرار . فكل ربحه هو في زيادة الغذاء الذي يتبقى بعد ان تستهلك البهائم ما تحتاج اليه لحياتها

سبق وقلنا ان البرسيم طعام موزون كاف لحيوانات الادرار . ولكن يجب التنبيه انه اذا كانت البقرة عظيمة الادرار فلا يكفيها البرسيم وحده لانها لا تستطيع ان تلتهم وتهضم مقداراً منه كافياً لبقائها صحيحة والمقدار الوافر من اللبن الذي تدره . لذلك يلزم ان تعطى مقادير اخرى من الحبوب المركزة القوى والتي تحوي عناصر الغذاء بوفرة ، مع البرسيم . وبالجملة يلزم صبر عظيم وخبرة كافية لمن يبغي النجاح في صناعة الالبان اكثر مما يلزم منها لمن يبغي فلاحة الارض

حقاً هناك صعوبات في طريق التسليم بفكرة صناعة الالبان ، صعوبات لا يمكن اغفالها او نقص خطورتها ولكنها صعوبات ليس مستحيلاً التغلب عليها بل انها ، في طبيعتها ، سطحية ووقتية . ومن الوجهة الاخرى ان امتيازات صناعة الالبان في مصر وضرورتها الاساسية للنظام الاقتصادي — هذه الامتيازات — في طبيعتها : مهمة ومستديمة

منذ ٦٠ سنة ، وجدت الدانمارك نفسها تعاني صعوبات عظيمة — والدانمارك بلد لا يزيد في المساحة عن الجزء الخصب في مصر . وكمصر هي بلد اهم موارد ثروته الزراعة . فخصوبة ارضها كانت تنحط بسبب تكرر انتاج الحنطة منها وحنطتها انحط ثمنها بسبب اغراق الاسواق بالحنطة الواردة من سهول امريكا وروسيا الواسعة . واستمرت الدانمارك تكافح مكافحة المغلوب على امره الى ان اتيح لها ان تتجه نحو صناعة الالبان وعندئذٍ استعادت خصوبة ارضها فصار انتاجها ونظام اسواقها موضوع حسد تلك الممالك التي كانت السبب في اخراجها من سوق الحنطة . وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم »

وكما ان الجزء الاكبر من صادرات مصر ينحصر في القطن صار الآن الجزء الاكبر من صادرات الدانمارك منحصراً في مستخرجات الالبان . والمطلع على الكتاب الاقتصادي السنة Statesman's Year book يجد موازنات هامة نذكر منها ان صادرات الدانمارك في سنة ١٩١٣ او سنة ١٩٢٦ افضل سني الرخاء وفي سنة ١٩٣١ سنة الازمة كانت على التوالي ٤٠ مليون جنيه ثم ٨٣ ½ مليون ثم ٧٣ مليوناً . وكان ما يقابل ذلك في مصر ٣٢ ½ مليون ثم ٤٤ مليوناً ثم ٢٩ مليوناً . فكان نقص مجمل صادرات الدانمارك في سنة ١٩٣١ عنهُ في سنة الرخاء سنة ١٩٢٦ بنسبة ١٢ ٪ لا غير بينما كان في مصر بنسبة ٣٤ ٪

ومع ذلك فالامتيازات الطبيعية المغرية بادخال صناعة الالبان في مصر تفوق تلك في الدانمارك بمراحل . ولا يتبع ادخال هذه الصناعة في مصر ان تُهجر زراعة القطن بل انها

تسيران معاً على اوفق سبل التعاون . فان حاجة العالم الى مستخرجات الالبان ، حتى في سني الازمة ، في ازدياد متواصل. فلا زال هناك متسع في سوقها ولمصر باب مفتوح واسع — باب يزيد رغد الفلاح، ويدبر عملاً رابحاً مستديماً لشبابها الناهض ، ويؤدي الى اتزان في ثروتها القومية ، هو باب لزراعة أسمى وأبقى — افتدخل مصر هذا الباب ؟

تسمين الماشية للذبح

يقول الاستاذ مكفيترز في مقالته صناعة الالبان بمقتطف مايو ان اقتراح «زيادة اهتمام مصر بتربية الماشية حتى تتمكن من سد كل حاجتها الى اللحوم وربما يصدّر بعضها الى الخارج يحملها على منافسة ارض ارخص جداً من ارضها هي ارض المراعي بالارجنتين وكذا اوستراليا — الى ان يقول — وبين كل هذه الاقتراحات التي يقصد بها تخفيف الضغط عن الزراعة بمصر لم تذكر صناعة الالبان سوى همساً وعلى ذلك فان الالبان وما يصنع منها هي موضوع اقتراحنا الذي نريد التوصية به كمصدر دخل لمصر مكمل للقطن»

ومعلوم ان صناعة الالبان تقوم بتربية مواشي اللبن وهي كتربية مواشي اللحم تقوم على زراعة زروع العلف وما يجوز على احد المثلين يجوز على الآخر واذاً فترجيح الاستاذ فائدة صناعة الالبان على انتاج اللحوم ترجيح بلا مرجح

المشاهد عملياً ان انتاج اللحوم صار الآن بعد رخص اثمان الحاصلات الزراعية اربح من انتاجها هي فقد انحطت اثمانها عما كانت عليه قبل هذا الرخص من ٦٠—٧٠ ٪ حالة ان ثمن اللحوم لم يرخص الا بنسبة ٢٠—٢٥ ٪

في العام الماضي كانت نتيجة تربية العجول عند احد الزراع كما يلي ٢٧٠ قرشاً متوسط ثمن العجل الواحد ١٥٠ قرشاً كلفته في ٦ شهور وكسور من مؤونة وخدمة . نتج منهُ سماد بـ ٢٥ قرشاً وبيع العجل بـ ٥٥٠ قرشاً فالربح ١٥٥ قرشاً او ٥٧٫٥ ٪ من ثمنه

يزيد على هذا الربح (١) تصريفنا جانباً من محصول ارضنا وهو هنا البرسيم والدريس تصريفاً سهلاً رابحاً (٢) تخصيب ارضنا بزراعة البرسيم وبالسماد الناتج من العجول تخصيباً يغنينا او يقلل حاجتنا الى استيراد الاسمدة المعدنية من الخارج

ولا شبهة في انهُ مع الاكثار من تربية العجول يرخص ثمن اللحم فتقل نسبة الربح عما ذكرنا آنفاً ولو قلت الى ٦ ٪ (ستة) لكانت افيد من سائر منتجاتنا الزراعية خصوصاً انها تكون مع تصريف المحصول وتخصيب الارض كما اشرنا قبلاً وايضاً توفير اللحوم للجمهور بثمن رخيص فيكثر من استهلاكها والاستفادة بالتغذية منها

احمد الالفي

مكتبة المقتطف

العرض عند عرب الجاهلية

L'Honneur chez les Arabes avant L'Islam
Edition Adrien Maisonneuve Paris.

بحث اجتماعي فلسفي — للدكتور بشر فارس

هذا الكتاب مؤلف فلسفي وبحث عربيٌّ معاً . عالج فيه المؤلف عرب الجاهلية فخرج ببحث اجتماعي من الطبقة الاولى . ففي مقدمتهِ بيَّن الطريقة التي اتخذها في تأليف الكتاب وهي طريقة البحث الاجتماعي ولكنه لم يجرِ على طريقة المقابلة اي انهُ لم يتخذ موضوع العرض وقابل بين مظاهرهِ وعناصرهِ في مدنيات مختلفة ، وانما اكتفى بأن يحصر بحثهُ في عرب الجاهلية ، لان لكل مدنية ، او لكل امة ، ميزات خاصة في اوضاعها الاجتماعية ، تتجلى فيها نفسيتها . ثم هو بعد ذلك عيَّن الشعب الذي يعالجهُ ، اي عرب الجاهلية ، في الزمان فبين ما هو عصرهم ، وفي المكان فبسط ماهي البيئة المادية التي كانت تحيط بهم. ثم تحرَّى عن المصادر التي استقى منها كل ريبة في صحتها ، لانها بعضها لا ينظر اليه المستشرقون نظر ثقةٍ . وناقش الدكتور طه حسين في قوله انهُ لا يمكن الاستناد الى الشعر الجاهلي في معرفة قوام الحياة الجاهلية ، فأثبت انهُ يصح الاعتماد على معظم الشعر الجاهلي ، سواء اصحيحاً كان ام منتحلاً ، لان الذين انتحلوا الشعر وضعوهُ مقلدين الشعراء الجاهليين التقليد التام

اما الفصل الاول فيعرض فيهِ المؤلف لتحديد معنى العرض عند العرب ، مفرّقاً بين العرض وبين الفروسية ، ثمَّ بينهُ وبين المروءة . وبحث بعد ذلك في الصفات الخارجية التي يتصف بها العرض ، مستنداً الى الاصول ، وخرج من بحثهِ بأن صفات العرض الخارجية هي الذم والمدح

وفي الفصل الثاني . حلَّل عناصر العِرض معتمداً على صفتيهِ الخارجيتين اللتين ذكرنا . فكل ما يجلب المدح هو عنصر من عناصر العِرض . وكل ما يبعث على الذم هو عنصر من عناصر الفضيحة . وتبدو عناصر العِرض في الجماعة اذ تفاخر بعددها وشاعرها وخطيبها ، وفي الاسرة اذ تباهي بابنائها وفي الفرد اذ يتفاخر بالانتساب الى جماعتهِ . وثمة عناصر اخرى كاباء الضيم والشجاعة والحرية والاخذ بالثأر وعفة المرأة والسخاء وغيرها ، وهي من عناصر العرض التي تشترك فيها الجماعة والاسرة والفرد جميعاً او بعضها دون البعض الآخر

وفي الفصل الثالث علل عناصر العرض كما بسطها . ولـكي يتمكن من ذلك عني بدرس حياة العرب الاجتماعية ، قبل الاسلام ، والحرب من اظهر مظاهرها فخرج بالنتيجة التالية وهي ان كل مجلى من مجالي الخيبة في الحرب او كل مظهر من مظاهر الاستعباد ، يذل العربي ويفضحه ، فالذل نقيض العزة ، لانهُ يتضمن معنى الضعف . واذن فالذل شريطة الفضيحة ، حالة ان العزة ركن العِرض . واذن فكل ما يعتبر باعثاً من بواعث الذل يصبح عنصراً من عناصر الفضيحة . وكل ما يتخذ أساساً للعزة يحسب عنصراً من عناصر العرض . والخلاصة ان عناصر العِرض هي اركان العزّة — المادية والمعنوية — حالة ان عناصر الفضيحة تفتُّ في العزة وتوهنها . وبعد وصول المؤلف الى هذه النتيجة المدعمة بالأسانيد، بيَّن عناصر العرض المتصلة بالعزة المعنوية من ناحية وبالعزة المادية او القوة كعدد القبيلة وشدة ارتباطها الاجتماعي من ناحيةٍ اخرى

وبعد ان حلّل المؤلف العِرض هذا التحليل البديع،وارجعهُ الى أصلهِ ، بيَّن وظيفتهُ الاجتماعية . فهو في رأيهِ كان يحلُّ عند عرب الجاهلية محلَّ الدين اذ يبعث فيهم في فترات متعاقبة ، ذلك الاحساس القويّ بالحياة المليئة اذ تتسامى العواطف ويشتدُّ الشعور . وهو يثبت قبل ذلك ان الدين عند عرب الجاهلية عجز عن استثارة هذه الناحية من الحياة الاجتماعية . واحصى أسباب ذلك . فالدين في رأيهِ — عند عرب الجاهلية — وبحسب النصوص التي اوردها كان ضئيل المنزلة ولا شأن لهُ بالاجمال ، في حين ان العرض كان مقدساً عنيفاً ولهُ نتائج خطيرة الاثر في الحياة الاجتماعية . وعلى كلٍّ فالعِرض لم يحلَّ محلَّ الدين الاّ في وظيفتهِ الاجتماعية — اي ان العِرض كان باعثاً على اجتماع العرب حيناً بعد حينٍ، فيحيون بأثرهِ تلك الحياة الاجتماعية المليئة التي لم تعهد في الاجتماعات الدينية

وقد اثبت المؤلف في خاتمة الكتاب اموراً تحسب جديدة عن المستشرقين . فبين (اولاً) انالعرب ما كانوا يعيشون معيشة الفوضى لانهم كانوا خاضعين في حياتهم لمبدإ معنويّ هو مبدأ العِرض . وبين (ثانياً) ان العرب في خضوعهم للمبدإ المتقدم لم يكونوا شعباً ماديًّا . و (ثالثاً) انهم لم يكونوا شعباً فطريًّا ، مع ان حضارتهم لم تتميز بادواتها ومستنبطاتها ، بل تميزت في ناحية الاوضاع الاجتماعية . و (رابعاً) ان العِرض ، كمبدإ معنوي ، كانت لهُ آثار عظيمة ، فهو مردُّ الصفات الذهنية والادبية التي اتصف بها العرب ، والاوضاع الاجتماعية مثل « العقود » و « الملك الخاص » و « احترام الحياة الانسانية »

هذا هو موضوع الرسالة التي تقدم بها بشر فارس الى جامعة السوربون ففاز بلقب دكتور في الآداب . وقد عمد في تأليفها الى مراجعة نحو مائتي مجلّد اكثرها من الاصول العربية نفسها ، في الشعر الجاهلي والخضرمي والاخبار المتعلقة بالجاهلية وصدر الاسلام والامثال

والقرآن الكريم والحديث والسير وكتب التاريخ والمعاجم ، وبعضها للمستشرقين او لعلماء الاجتماع . واما المستشرقون فقد ذكرهم لكي يبين من منهم يتفق معهُ في الرأي ومن منهم يخالفهُ فيناقشهُ في الرأي وأسانيدهِ

والرسالة حافلة بالاقوال والاحكام المتعلقة بحياة العرب الاجتماعية في الجاهلية . وفي كثير منها مناظرات طريفة . فهو يناقش ، والاسانيد في يدهِ ، آراء بعض المستشرقين الذين يقولون بالنزعة الفردية عند العرب ويقيم ازاءها نزعة التكاتف الاجتماعي . وثمة اكثر من مسألة واحدة لا يتفق فيها المؤلف مع المستشرقين . ولعلَّ مخالفتهُ لآراء الأب لامنس من أشهرها . فهو يناقش أدلتهم الفلسفية ، ودروسهم اللغوية ، وبعض آرائهم في العرب

والخلاصة ان الدكتور بشر فارس قد اخرج مؤلفاً جديد المنحى في المباحث الشرقية لانهُ دخلها من باب علم الاجتماع . ويسرنا ان المؤلف يعنى الآن بنقل كتابهِ الى العربية

فن الصحة

الجزء الاول في الصحة العامة والبدنية تأليف الطبيب الجراثيمي احمد حمدي الخياط
استاذ فن الجراثيم وعلم الصحة — في المعهد الطبي العربي بدمشق

صحة الامة ، في المقام الاول بين مصادر ثروتها الطبيعية والروحية . لان الامة التي تملك المناجم الغنية ، والسهول الخصبة ، والانهار الجارية ، لا تستطيع ان تستغل هذه المواد إلا اذا صح ابناؤها اجساماً وعقولاً . فاذا كانت الامة مصابة بأمراض متوطنة في بلادها ، او اذا اهملت ابسط اسباب العناية بصحة الجسم ، استنزف ذلك من نشاط ابنائها وبلد من عقولهم فلا هم يستطيعون استنباط الوسائل اللازمة لاستغلال ثروة بلادهم ولا هم يستطيعون الصبر على تطبيق الوسائل اذا نقلوها عن غيرهم من الامم

وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان حضارة امة باكملها بادت ، لان جراثيم البرداء (الملاريا) رتعت في دماء ابنائها زماناً طويلاً . ولو انها عرفت ابسط قواعد الصحة العامة لنزحت المستنقعات التي يتولد فيها البعوض الناقل للبرداء ولنجت من الوهن والاضمحلال

لذلك رحبنا بهذا الكتاب النفيس الذي وضعهُ الطبيب احمد حمدي الخياط . وفصل فيهِ قواعد الصحة العامة البدنية ابلغ تفصيل . فابوابهُ منسقة ، وفقراته مبسطة المعاني موضحة الاغراض بالصور الكثيرة التي يشتمل عليها الكتاب . ثم ان اسلوبهُ العربيَّ دقيق المنهج ، بليغ العبارة ، قريب التناول ، عمد فيهِ المؤلف الى المصطلحات الطبية العربية بدلاً من تعريب المصطلحات الغربية . فقد اطلق على « الفيتامينات » لفظ « المحرّضات الحيوية » او « الحيويات » وعلى « البكتيريولوجي » لفظ « الجراثيمي » وعلى « الديسنطاريا » لفظ « الزحار

التحولي » واطلق «المضمون» على « الببتون » . ولكن الالفاظ الفنية التي من هذا القبيل قليلة لا ترهق الرجل — او السيدة — الذي لم يتعمق في أصول الطب في خلال مطالعة الكتاب بل على الضد من ذلك نقول ان القارىء يستمتع في مطالعتهِ بما يجده في فصولهِ من الارشادات العملية في شؤون حياتهِ اليومية . وهذا الجزء قسمان فالاول للصحة العامة وهو يتناول الارض والهواء والماء والغذاء والمسكن والملبس . والثاني للصحة البدنية ومدارهُ صحة الاجهزة البدنية ، كصحة الجلد والنظافة والاستحمام والملابس ، وصحة اعضاء الحركة وما يرتبط بذلك من الرياضة ، وصحة جهاز التنفس — الأنف والحنجرة والرئة ، وصحة أجهزة الدوران والهضم والدماغ والاعصاب بوجهٍ عام

في التربية والتعليم

تأليف احمد فهمي العمروسي بك — صفحاته ٣١٨ قطع المقتطف — ثمنه ٤٠ قرشا

الاستاذ احمد فهمي العمروسي بك من اكبر رجال التربية الذين اعدوا هذه النهضة العلمية في مصر وهو من اشهر رجال وزارة المعارف في هذا العصر فقد تخرج من مدرسة المعلمين التوفيقية عام ١٨٩١ ومن ذلك التاريخ وهو يعمل في سلك المربين آنا مدرساً وآناً ناظراً او مديراً اداريًا حتى هذا العام ١٩٣٣ فلا عجب اذا كانت آراؤه في التربية تعد من أسدّ الآراء التي يجدر بكل مرب ان يطالعها وأن يستعين بها . لذلك لا يسعنا الاّ إطراء مجلة « المعرفة » على اهتمامها بجمع محاضرات الاستاذ العمروسي ورسائله واذاعتها في كتاب تقدمه لقرائها هدية سنوية عن عامها الثاني . وقد توج هذا الكتاب بكلمة غالية من كلمات صاحب الجلالة الملك كما حلي برسم جلالته ورسم ولي العهد وصورة وزير المعارف. وقد كتب صاحب المعرفة مقدمة لهذا الكتاب لخص فيها ترجمة حياة المؤلف ونوه فيها بفضله تنويهاً يقرهُ عليه كل مثقف ولا يكاد ينكره احد . وعدا هذه المقدمة المفيدة ففي الكتاب اربعة عشرة محاضرة في اهم الموضوعات والاغراض التي يحتاج اليها المربون وقد زينت اكثر هذه المحاضرات بالرسوم التي توضح اغراضها وتساعد على فهمها مما جعل هذا الكتاب اشبه بالمتحف الجميل

شرح التكميل لخاتمة التسهيل

نظم العلامة الجليل الشيخ محمد بن محمد بن احمد بن عبد الغفار باكثير الحضرمي منظومة في فن الخط العربي ورسم الكلمات وجاء الاستاذ الجليل السيد عبد الله بن محمد بن حامد السقاف العلوي مفتي حضرموت فوضع لها شرحاً وافياً بين به غامضها ، واستدرك ما شذّ فاستوفى بذلك اغراض الناظم وزاد عليها

الفلسفة في كل العصور

وفلاسفة الادهار

تأليف حنا خباز — صفحات الاول ٣٠٠ صفحة — صفحات الثاني ١٠٠ صفحة

نشرنا في مقتطف يونيو فصلاً في ديكارت ، اقتطفت فقراتهُ من هذين الكتابين . وذكرنا الطريقة التي جرى عليها المؤلف في تأليف الكتاب . ذلك انهُ اختار أشهر الكتب التي وضعت في تاريخ الفلسفة مثل مؤلفات لوز ومارفن وروجرز ودرايبر وتلي واردمن وغيرهم . واختار من هذه المؤلفات الفقرات التي تدور حول موضوع واحدٍ وتجلوهُ . وترجمها او لخصها واسندها الى صاحبها . فكتابهُ ، اذا كان النقل اميناً والاختيار صائباً ، خلاصة طيبة لهذه المؤلفات النفيسة . ونحن لا نملك كلَّ هذه المؤلفات ، ولا الوقت لمراجعة ما نقل وكيف نقلهُ . وانما نعلم ان طائفة من ثقات المشتغلين بالفلسفة في مصر راجعوا فصول الكتاب وامدّوا المؤلف بآرائهم ، وهذا جلُّ ما يستطيعهُ مؤلف لتأدية الامانة العلمية حقّها

والكتاب جزآن فالاول يشتمل في قسمهِ الاول على تاريخ الفلسفة من بدءِ ظهورها الى نهاية المدرسة الفلسفية باثينا في سنة ٥٢٩ ب . م . اما القسم الثاني فيتناول الفلسفة في القرون الوسطى . والجزءُ الثاني افرد لتاريخ الفلسفة في العصور الحديثة

ولهذا الكتاب ميزتان ظاهرتان . الاولى عدم الدعوى . فالمؤلف يعترف في مقدمتهِ بأن ليس لهُ في هذا الكتاب الاّ الاغلاط . وبعضهم يعمد الى هذه الحيلة ليجرّد الناقد من سلاحهِ ولكننا نعلم حقًّا ان المؤلف يعترف بانهُ طالب علم ، فقولهُ المذكور في مقدمتهِ صادر من صميم نفسهِ . والصفة الثانية انهُ مجرّد في تصنيف كتابه عن النعرات القومية والجنسية والسياسية والدينية بل عن النعرات الفلسفية فانهُ لم يرجح رأياً ولم ينتسب الى مدرسة فلسفية بعينها . فالقارىء يطالع اقوال الفلاسفة وآراء اشهر مؤرخي الفلسفة فيها

وليس الكتاب تراجم الفلاسفة بل تاريخ الفِكَر الفلسفية . فقد اوجز في سير الفلاسفة واسهب في شرح مذاهبهم وآرائهم ، ولاسيما كبارهم الذي دعاهم فلاسفة الادهار فهم ثمانية ضمَّ اليهم فيلسوفين من فلاسفة الاسلام هما ابن سينا وابن رشد ، وجمع ما كتبهُ عنهم في كتاب على حدة في نحو مائة صفحة

فالكتاب محاولة طيبة لوضع تاريخ للفلسفة باللغة العربيـة . وما زلنا لا نجد من المشتغلين بالفلسفة من يتصدّى لتأليف مثل هذا الكتاب وبسط المذاهب الفلسفية وتطورها وتلاقحها فلعلَّ خير سبيل الى الفوز بما نريد هو السبيل الذي سلكه الاستاذ خباز

فنحن نحث الخاصة من متأدبي العالم العربي على اقتناء هذا الكتاب النفيس . فالفلسفة اساس لكل نهضة فكرية صحيحة و « الامة — قال ڤولتير — متى بدأت تفكر فقد بدأت تحيا »

كتاب الفلاحة لابن العوام

وضع هذا الكتاب الشيخ الفاضل ابن زكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الاشبيلي في القرن الثاني عشر عن مختلف المباحث الزراعية (من زراعة وبساتين وحيوان) ورغم قدمهِ فانهُ ما زال حجة في كثير من الامور وبلغ من تقدير العلماء لهُ أن اهتمت الحكومة الاسبانية بطبعهِ على نفقة المكتبة الملكية بمدريد عام ١٨٥١ باللغة العربية مع ترجمته الاسبانيولية كما ترجم الى اللغة الفرنسية وطبع مع النص العربي سنة ١٨٦٤ ونشر لهُ تلخيص بالالمانية

وقد جاء عن هذا الكتاب في قاموس لاروس الشهير ما ترجمتهُ : « هذا الكتاب شيق عظيم الخطر ويحتوي على احسن المعلومات الزراعية المعروفة عن مختلف الشعوب في العصر القديم والقرون الوسطى وفيهِ اسانيد من أكثر من مائة كاتب يوناني ولاتيني وكلداني وفارسي ومغربي وعربي اسباني »

ويقع الكتاب المذكور في جزئين من الحجم الكبير وتبلغ صفحاته ١٤٥٤ صحيفة بما فيها الفهرست

ولما كان هذا الكتاب في الواقع ذخيرة تاريخية عظيمة القيمة فضلاً عن قيمته من الوجهة العلمية خصوصاً من وجهة المصطلحات الفنية التي يتخبط الكثير في استنباطها مع انها موجودة في مثل هذا الكتاب فان من واجب مصر بصفة كونها بلاداً زراعية وبحكم مركزها في زعامة العالم العربي أن تعمل على اعادة طبع هذا الكتاب القيم النادر الوجود

وقد أخذت جمعية خريجي مدرسة الزراعة بالجيزة على عاتقها هذا العمل وعضدتها الجمعية الزراعية الملكية في مهمتها هذه فتبرعت لهذا الغرض بمبلغ مائة جنيه وان هذه المنحة من الجمعية الزراعية وعلى رأسها سمو الامير الجليل عمر طوسون لدليل قوي على مثابرتها في تعضيد النهضات الزراعية للبلاد ايًّا كانت مناحيها. وان اعانتها في طبع هذا الكتاب تقدير قيم للمباحث النفيسة التي احتواها وللكاتب العربي الذائع الصيت الذي وضعه في عصر كان فيهِ العالم الغربي ما زال مغموراً في جهالتهِ

وتود جمعية خريجي مدرسة الزراعة الوقوف من حضرات الباحثين فيما ترك لنا السلف هل كان لهذا الكتاب نسخ خطية في مصر وهل ترجم الى لغات اخرى غير الاسبانيولية والى اي اللغات ترجم . ويهم الجمعية ايضاً استيفاء المعلومات الخاصة بمؤلف هذا الكتاب حتى يمكن الاشارة الى هذه الموضوعات في مقدمة الكتاب

وللجمعية كبير الامل في ان يتفضل من كان عنده معلومات في هذا الموضوع بموافاتها بها او نشرها على صفحات الجرائد حتى يمكن الرجوع اليها

الورد الابيض

مجموعة اقاصيص مصرية وصور من الفن القصصي الحديث بقلم محمد امين حسونة
٢٣٥ صفحة من القطع المتوسط

تفضل المستر باكستون الاستاذ بالجامعة المصرية بالتمهيد لهذه المجموعة من الاقاصيص المصرية فاشار في اول مقدمته الى اقصوصة « في الواحة » فكان اول ما اتجه نظري الى هذه القصة فقرأتها بشغف ولذة لانها في الواقع قصة مصرية كاملة تظهرنا على اوجه عديدة من الانقلاب الفكري الحديث في مصر . فبطلها عربي صميم تعلم في انجلترا وفتاةٌ أمريكية نشأت في الدنيا الجديدة . وفي هذا فكرة طريفة في ان الشرق والغرب قد يلتقيان ان لم يكن في عالم العمل ، فعلى الاقل في عالم الانسانية التي تشترك احاسيسها ومراميها النفسية العليا التي لا يمكن ان يفرق بينها اعتبار من الاعتبارات التي اقامها الغربيون بين الشرق والغرب في العصر الاستعماري الحديث خدمة لمآرب التجارة والسياسة الانتاجية

ولقد رأيت في هذه القصة ترابطاً بين حوادثها وتسلسلاً في فكرتها لم اشهده في قصة اخرى من قصص الكتاب . فالقصة الاولى « الورد الابيض » تحتاج الى كثير من حسن التخلص في مواقف كثيرة . فان القارىء يشعر بكثير من التمحل في الانتقال من حادثة الى اخرى ومن موقف الى آخر ، كان من الممكن ان يتلافاه المؤلف بقليل من الاسترسال في الوصف ، او الاستطراد في التعبير عن الحالات النفسية التي تلابس ابطاله

اما الظاهرة الغريبة التي لحظتها في هذه القصص فغرام المؤلف بقتل بطلاته . فترك كوثر في قصة الورد الابيض في قرافة الامام الشافعي . وترك ماري في قصة « الواحة » دفينة بين الرمال لا يعرف لها احد مقراً . وترك « فيفي » على فراش الموت . وهو ليس اقل غراماً بقتل ابطاله . فقتل منهم عدداً لا يستهان بهِ . وكم شعرت بكثير من الاسف والاسى على قتل ماري في قصة الواحة ، وكم كنت ارغب في ان يعود عدنان من رحلتهِ فيلتقيا ويعيشا عيشة سعيدة تحت النخيل وفي ظلال السرو والحور ، وبين غدران الواحة الخصيبة . ولا اعلم لماذا يقتل الاستاذ حسونة هذه الفتاة الغضة الاهاب من غير ان يكون في حاجة الى قتلها . والحياة فيها كثير من خيبة الامل ، وما كل خيبة امل تفضي الى نبذ الحياة وصرم حبلها والا فأيّ وزن يقام لمعاني الرجولة والارادة والامل التي يسمو بها فوق سخرية الحياة وجورها

ولو عني المؤلف قليلاً باسلوبه لاضاف الى قصصه روعة جديدة . فقوله مثلاً « واخذت دقات قلبه تثب في عنف وقوة » ص ١٩ ، وقوله « وقد اظلمت في وجهها غياهب الكون كله » ص ٥٠ وقوله « يتبع كل منهم اثنان او اكثر من الخدم النوبيون » ص ٥٦ وغير ذلك ، يدل على افراط في عدم العناية بالدقائق اللغوية والنحوية والبيانية ، كان من الممكن ان يتلافاه المؤلف بقليل من العناية

***

الشعلة

مجموعة قصائد — للدكتور احمد زكي ابي شادي صفحاته ١٣٦ حجم ابولو — طبع بمطبعتها وثمنه ٥ قروش

ذكر الدكتور ابو شادي في تصدير طريقتهُ في نظم الشعر قال : « ... وكل ما اعرفهُ ان العاطفة تجيش في نفسي ... لاثر او كائن يغالبني فلا البث بعد زمن طويل او قصير ان اردّد صدى وقعهِ في قلبي بنغمة من النغمات ارتجالاً او رويَّاً ، بسرعةٍ او ببطءٍ ، حسب فيضهِ وقوة ذلك الفيض . وربما كان الوقت الفاصل بين عامل التأثير وقرض الشعر من اثر ذلك الايحاء مديداً . وربما كان وجيزاً ، وكذلك وقت النظم ذاتهُ . وعندي انهُ لا يعني الفن شيءٌ من ذلك وانما يعنيهِ قيمة الاثر الفنّي وحدهُ الذي يخرجهُ الفنّان . واذا كنت سريع النظم اعتياداً فالحقيقة ان الزمن الذي أصبّ فيهِ هذا الشعر قد يتفق او لا يتفق والزمن الذي يخلق فيهِ الشعر في نفسي ، وليس لي حولٌ في صدّه باية صورة من الصور ، فما تزال العاطفة تلحّ بنفسي ثم تلحّ حتى اعبّر عنها والاّ استولى عليّ الضيق والكمد . فهذه هي انفاسٌ وفلذات من صميم وجداني لا يجوز ان اسأل عن صورة خلقها ولا عن ظروفهِ ، وانما اقدمها في هيكل الفن قرابين وصلوات »

والواقع ان انطوني ترولوب كان سريع الانتاج في تأليف الروايات ، فأخذ ذلك عليهِ ، ولكننا نذكر ان ارنولد بنت ، وقد كان ناقداً ادبيًّا حصيفاً ، الى كونهِ روائيًّا ممتازاً ، ردّ على نقد ترولوب بما هو من قبيل قول أبي شادي « انهُ لا يعني الفنّ شيءٌ من ذلك وانما يعنيه قيمة الاثر الفني وحده » . ثم ان التعليل الذي اضافهُ أبو شادي معقول ، اذ ليس الوقت الذي يقضيهِ الشاعر في نظم قصيدة هو كلُّ الوقت الذي ينفقهُ عليها . فذهن الشاعر يحتضن المعاني والصور احتضاناً لاشعوريًّا (unconscious) فاذا سنحت الفرصة للنظم تسلسلت المعاني وتتابعت الصور كأنها بنت ساعتها . وليس المجال متسعاً لايراد الامثلة من القصائد التي أجاد فيها الدكتور ابو شادي فنكتفي بذكر بعض ما اختاره الدكتور ناجي في ما كتبهُ من نقد وملاحظات على هذا الديوان

قال استمع الى عابد الجمال في هذا الشعر الجميل

وانا العبد الذي ناجى الاله ورأى رؤيا عيانٍ منتهاه
ورأى ألف ذنوب وعذاب ورأى الغفران من بعد الحساب
ورأى المعبد في رقعة ارض ورأى الجنة في لمحة غمض

(على ان كلمة رؤيا تفيد ما يرى في المنام والصواب رؤية ولكن الوزن يختلُّ بها فلو قال مرأى عيانٍ لصلح الشطر لفظاً ووزناً)

وقال الدكتور ناجي

وان نفسهُ الصافية لمرآة للكون وصورة للطبيعة فحين يراها نائمة في يوم مطير ينشد هذين البيتين الرائعين

فيا غمام أطلْ سحـًا على زمنٍ الحسن والنور بعض من خواطره
انت الحريُّ بسكب الدمع في شجنٍ فقد صحبتَ قديماً غرس ساحرهِ

وفجأة يترك كل هذا ليطرق باباً آخر ، ليريك لوناً من الفلسفة العالية العميقة

حرام ان تعدَّ الطرس ذخراً وان تعتزَّ من ملك القريض
مقاييس الزمان قد استحالت فما ادنى الحبيب الى البغيض

حقـًا ان كلمة «الشعلة» تجمع حياة ابي شادي في سبعة حروف

عنوان الاريب

عمن نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب

المطبعه التونسية — نهج سوق البلاط — نمرة ٥٧ بتونس

تقاطعت ارحامُ البلادِ العربية زمناً ليس بالقصير حتى استعجمت آثار هذه البلاد ، واتسعت شقة الخلاف في الرأي والمذهب بينها . وقد كان العهد الاول الى اواخر القرن الحادي عشر للهجرة عهد اتصالٍ وتوادٍّ بين الامم العربية ، مع ما ألمَّ بها من ظلمات الجهل ، وسكرات الموت ، وانطفاء نور نجوم الهدى من العلماءِ والادباءِ والساسة . وكانت الصلة قائمة بالرحلة من بلد الى بلد ، واستنساخ كتب تراجم العلماء ، وتداولها في كلّ بلدٍ من البلاد ، فتعارف القومُ وإن لم يتلاقوا ، وتسامع الناس بأسماء العلماء في بلد بينهم وبينه عرض المشرق فتشوق العلماءُ بعضهم الى بعض وتراسلوا وأجاز بعضهم بعضاً واستحكمت الصلة بين أُمم العربية. والتراجم اهم ما يولّد في النفس الحنين الى معرفة آثار العلماء او لقائهم او الاتصال بهم ، وبهذا الاتصال يتسرب في دماء الامم الاحساس بالقرابة العلمية والادبية والدينية الى غير ذلك ، وهنالك تكون النصرة حين يستنجد المظلوم والغضبة حين يغضب المتألم ، والعون حين تفرق الاعوان

وتونس بلد عربيٌّ قد ضرب فيهِ الاستعمار مضاربَ ، وقتل فيهِ من ابناء العربية طائفة عزيزة علينا كنا نرجوها لريب الزمان ، واستبد بها استبداد الظالم الغشوم المتقحم الذي لا يلتفت الى الحق ، ولا يبالي بالعاقبة ، ولا يعرف يوماً تتقلب فيهِ النفوس والاقدار . وقد شعَّب الاستعمار علماءه وأدباءه ، وضرب بهم وجهِ الآفاق مطردين لا يجدون ملجاً الا العربية يحتمون بها ، ويستظلون بظلها ، ومن بقي منهم بتونس بقي مغموراً لا يستطيع لنفسهِ صرفاً ولا عدلاً

ففي هذا الكتاب « عنوان الاريب » الذي اصدره جزءين الاستاذ العلامة الشيخ «محمد النيفر » وجمع فيهِ تراجم أدباء تونس وعلمائها ، نجد رغبةً في انفسنا تتحقق في اتصالنا بأخبار علماء هذا البلد وادبائه وشعرائه من اول عهده الى الآن . ونرجو ان يوفق الاستاذ النيفر الى كتابة تاريخ تونس كتابة مستفيضة تذيع بين امم العربية في وقت قد تداعت فيه الامور الى التضافر والتناصر والتعارف من قريب وبعيد

شاهنامه نوبخت

او بهلوى نامه

طبع بمطبعة المجلس البارلمان بطهران صفحاته ٢١٥ من الحجم الكبير وعدد رسومه ٣٠

اصدر الشاعر « ميرزا حبيب الله خان نوبخت» ديواناً شعريًّا بهذا الاسم يحتوي على تاريخ ايران ابتداء من انقراض اسرة الملوك الساسانيين حتى بزوغ الكوكب النير السلطان رضا شاه بهلوى شاهنشاه ايران وبلغت ابيات هذا الديوان النفيس ثلاثين الف بيت من الشعر الفارسي الحماسي الوطني وزينهُ بثلاثين رسماً خياليًّا

ولا يخفى ان الشاعر الفارسي الكبير الحكيم أبو القاسم حسن الفردوسي الطوسي «نظم» تاريخ ايران القديم — حتى ظهور الاسلام — في ستين ألف بيت من الشعر وذلك على عهد السلطان محمود غزنوى احد ملوك الاسرة الغزنوية المتوفي سنة ٤٢١ هجرية وقد سبق للمقتطف وغيره من الصحف الشرقية والغربية ان نشرت نبذاً من تاريخ الفردوسي مع الاشارة الى ديوانه

ويقول العارفون ان ديوانه الجديد الذي نحن بصدده وهو شاهنامه نوبخت يجاري ديوان الفردوسي في حسن سبكه وقوة تعبيره ومتانة نظمه وهو يقع في ثلاثة مجلدات صدر منها الجزء الاول فاذا تمَّ وضع الجزءين الباقيين بلغت أبيات الاجزاء الثلاثة مائة ألف بيت . وكان اكبر حافز للشاعر ومشجع له في السير في عملهِ الادبي ما رآه من تشجيع حضرة صاحب الجلالة رضا شاه بهلوى للكتّاب والمؤلفين والمؤرخين وقد زين المؤلف صدر الكتاب بصورة جلالته وبديباجة في مآثره

رحلة الى الثغرين

الشحر والمكلا

تأليف الاستاذ السيد محمد بن هاشم بن عبد الرحمن العلوي الحضرمي

مؤلف هذا الكتاب رجل من رجال العرب الناهضين الذين يبتغون اصلاح شؤون امهم الذاهلة عن القوة الظالمة التي تريد ان تجتاحهم من سبيلها عدواناً وضغينة ، وقد رحل الى اليمن فمر بالثغرين العظيمين لتجارة بحر الهند وهما «الشحر» و «المكلا» فطُلب اليهِ ان يلقي محاضرة عن رحلته فألقاها وطبعها ، وهي وصف جميل لبلاد من بلاد العربية يجهلها كثير من الناس . وذكر فيها كثيراً من عادات القوم هناك وما يعملون للنهضة على فقرهم وقلة ذات يدهم ، وذكر حالة اجتماعهم ، واسلوب حكمهم وسياستهم ، وعدد بعض رجالهم ، وعرّف بمجهول ، واوضح مستغلقاً من امر هذه البلاد

الرسالة والثقافة

البلاد العربية الآن حبلى تتمخض ، فهي من آلام الوضع في حالات موسومة بتحاسين الحياة وتهاويل الموت . وأهل العربية مثلها بين شباب الرأي وتورده وجماله ، وبين هرم الفكرة وكلوحها ومحقها ، وبينهما « حيٌّ المخافة ميتٌ غير موؤود » . وستبقى هذه البلاد المسكينة الى أجل مسلوبة الطمأنينة ، محرومة من الاستقرار ، خائفة تتوجس في ميدان من المخافة لا اطمئنان فيه ، وأرض من التزلزل والاضطراب لا استقرار عليها ، حتى يحين يومها الذي تضع فيه أملها وفلذة كبدها ، وتلقي معهُ بأسباب آلامها وأوجاعها ، ومخافتها وفزعها ، ثم تتعهده بالرعاية حتى يشب ممتلئاً بحياة الشباب وشباب الحياة

واهل هذا العصر من بلاد العربية بمنزلة القوابل يتكفلونها ويمرضونها بالراحة والدواء في حينه ووقته . وكل عمل لا تكون هذه نيتهُ فهو عمل أبتر لا يفيد ان لم يستجلب المضرة وقد كان بمنجاة منها . وصدرت « مجلة الرسالة » في مصر وتلتها « مجلة الثقافة » في دمشق فجعلتا من أمرها القيام على بعض شؤون هذه البلاد العربية في ثقافتها وأدبها . ونحن لا نشك في أمر هاتين المجلتين فان القائمين عليهما رجال من جلة أدباء الامة العربية عرفوا بالفكر الجميل والادب الحر والخلق العظيم وهذه الثلاثة هي الرجولة الجريئة في غير تهور ، السامية في غير تعال ، الناهضة في غير عجل . وتوفر هذه الثلاثة في مجلتي الرسالة والثقافة أسٌّ قويٌّ لا ينهار يبشر بتعالي البناء وقوته على مر الأيام

القراءة الفريدة — جزآن

جمعهُ وشرح غريبهُ شريف النشاشيبي مساعد مفتش المعارف في لواء الجنوب بيافا . وهو مختارات ادبية بين حكاية ونادرة وقطعة شعر ، وتتدرج صعوبةً لتماشي تقدم الطالب في فهم الالفاظ والعبارات . والكتاب تامُّ الشكل . وصفحات الجزئين معاً ٢٢٥ صفحة قطع وسط

بحث طريف في السلّ

للدكتور فيليب كفوري مباحث طريفة في مرض السلّ . وقد عني بالفحص عن اعراضه والتنقيب عن علاجه مدة طويلة يرجع مبدؤها الى عهد بعيد . واتصل بنا انه يلقي محاضرات وينشر تصانيف في هذا الباب . وآخر مصنف له يبحث في كيفية تشخيص مرض السلّ

جريدة جهره نماء

دخلت جريدة جهره نماء الفارسية الغراء في عامها الثلاثين سائرة على الخطة الرشيدة التي رسمتها لنفسها منذ نشأتها وهي توثيق صلات المودة والآخاء بين الفرس والشرقيين وجريدة جهره نماء من ارقى الجرائد الفارسية التي تصدر في ايران وخارجها لما تنشره من المقالات النفيسة في العلم والادب والتاريخ والسياسة المزدانة بالصور ولا غرو فصاحبها العلامة الحاج ميرزا عبد المحمد خان ايراني مؤدب السلطان ، واننا نتمنى لها سعة الانتشار واطراد الرقي

باب الاخبار العلمية

مغامرات العلماء

كنا في صحب من الادباء والعلماء نتحدث في الحماسة التي يندفع بها العالم الحقيقي الى الكشف عن الحقيقة وانهُ لا يضنّ بحياته يبذلها في هذه السبيل . وكان احدنا طبيباً بكتريولوجيًّا بارعاً هو الدكتور جورج قصيري . فقصّ علينا الحوادث التالية من تاريخ البحث الطبي ، فرأينا أن نثبتها هنا

بعد ما اكتشف كوخ ضمّات الكوليرا في سنة ١٨٨٣ كثر الجدل حولها بين الباحثين وهل هي حقيقة سبب الكوليرا او هي ميكروب لا صلة لهُ بالمرض . ولبيان الحقيقة شرب بيتنكوفر Pettenkofer وامريك Emmerich ماء ملوثاً بضمات الكوليرا فاصيب كلاهما اصابة حادة كادت تودي بحياة احدهما

وبعد ما اثبت بروس Bruce واعوانهُ ان التريبانوزوم هو سبب مرض النوم الافريقي وان هذه الجراثيم توجد في دماء بعض حيوانات القنص على الاخص في دماء الظباء والثيران والماعز والغنم كان الرأي السائد ان جراثيم هذه الفصيلة توجد كذلك في دماء الكلاب والبغال والخيل . ولكن عارض بعض الباحثين هذا الرأي الاخير ولاثبات صحة معتقدهم حقن توت Taute وزملاؤه أنفسهم و ١٢٩ من الحمالين بدم مأخوذ من الكلاب والبغال وحافل بهذه الجراثيم فلم يصب أحدهم بشيء

وبعد ما اكتشف لافران Laveran سبب الملاريا وأثبت رونالد روس طريقة انتقال عدواها بواسطة البعوض ارادت مدرسة لندن لامراض البلاد الحارة ان تتثبت عمليًّا من هاتين الدعويين فتطوع اثنان من أطبائها وأحد المساعدين بالذهاب الى احدى بقاع ايطاليا (Campagna) الموبوءة جدًّا بهذا المرض . وفعلاً ذهب الثلاثة وبنوا كوخاً في وسط الغيطان حتى لا يدخله البعوض ، وكانوا يأوون الى هذا الكوخ قبل غروب الشمس ويخرجون للتريُّض وللاختلاط مع الاهالي في النهار اذ المعلوم ان بعوض الملاريا لا يلسع الانسان إلا ليلاً . ومع انهم مكثوا اكثر من ثلاثة أشهر فانهم لم يصابوا بالملاريا حالة ان الفلاحين المحيطين بهم كانوا فريسة لها . فلم يكتفوا بذلك بل ارسلوا الى لندن حيث لا توجد الملاريا طائفة من البعوض المأخوذ من هذه المقاطعة وحين وصوله الى لندن تطوع طبيب وهو المرحوم الدكتور مانسون ابن العلامة السر باتريك مانسون Manson رئيس المدرسة وأحد المساعدين لكي يلسعهم هذا البعوض فأصيبا بالملاريا وكاد الطبيب ان يفقد حياته

في سنة ١٩٢١ حضر الى القاهرة إثنان من أطباء معهد لستر في لندن للبحث عن

بسبب التيفوس وهذان الباحثان هما المرحوم الدكتور باكت Bacot والدكتور اركريت Arkwright فكانا يجمعان القمل (وهو الوسيلة لانتقال العدوى الى الانسان) ويربيانه ويجريان تجاربهما بواسطته ومن حرص الدكتور باكت على هذا القمل كان يضعه في علبة ويضع هذه العلبة تحت إبطه ليكفل له الحرارة اللازمة . ويظهر انهُ تسرب هذا القمل اليهما فمرضا بالتيفوس ومات المرحوم الدكتور باكت شهيد غيرته على العلم . ويقال انه وهو في النزع الاخير كان شديد العناية بمصير مجموعة القمل التي جمعها ، فأوصى من حوله خيراً بها

الامواج القصيرة والراديو

ليست الامواج القصيرة — الكهربائية المغناطيسية — بالشيء الجديد ، في ميدان المواصلات الكهربائية . انها ترتدُّ الى العهد الذي كشفَ فيه عن الامواج الكهربائية ، بواسطة تلك التجربة العلمية العظيمة التي قام بها هرتز الالماني سنة ١٨٨٦ . ثم ان مركوني نفسه استعمل أمواجاً قصيرة جدًّا في تجاربه الاولى ، ولكنه كف عن التجربة بها ، لانه تبين له ان التقدم في استعمال الأمواج الطويلة اسرع جدًّا ، اذا استعملت الآلات التي كانت سائدة في العقد الاخير من القرن التاسع عشر . فلما تقدمت المواصلات اللاسلكية ، بالامواج الطويلة التقدم المشهود في سعة انتشار الراديو وآلاته ، عمد مركوني ، وهو شديد الثقة بفائدة الامواج القصيرة ، الى تجربة التجارب بها

والحاجة شديدة الى معرفة كل ما يمكن أن يعرف عن الامواج القصيرة ، اذا أريد للتلفزة ان ترتقي . فالامواج القصيرة لا تؤثر فيها العوامل الجوية الاَّ قليلاً ولا تصاب بما يضعفها وهي سائرة في الفضاء (fading) ثم ان آلة اطلاقها صغيرة ورخيصة والقوة الكهربائية اللازمة لارسالها في الفضاء قليلة جدًّا

وقد فسر ماركوني استعمال الأمواج اللاسلكية القصيرة فقال : « ان الأمواج اللاسلكية — اي الكهربائية المغنطيسية — التي يقل طولها عن متر ، تعرف عادة بالأمواج نصف الضوئية . ويظن انها لا تصلح للمخاطبة بين اثنين الا اذا كانا على مرمى النظر احدهما من الآخر ، واذن ففائدة هذه الامواج محصورة محدودة

ولكن خبرتي الطويلة قد علمتني ان لا أصدق دائماً الحدود التي تفرضها المعرفة النظرية — لأن المعرفة النظرية مبنية في الغالب ، على معرفة ناقصة لم تستتم كل العوامل التي لها دخل في الموضوع . ولذلك أجرب دائماً ابتداع طرق جديدة للتجربة ولو قال اصحاب المعرفة النظرية بعدم فائدتها

والواقع أنه لو اصغى ماركوني الى كل الطبيعيين سنة ١٩٠١ الذين اثبتوا أن الامواج اللاسلكية لا تستطيع أن تنحني مع انحناء الارض بل تنطلق الى الفضاء في خط مماس للارض لما أتم تجربته المشهورة التي أثبت فيها إمكان نقل

الحرف S من انكلترا الى اميركا نقلاً لاسلكياً

ولذلك شرع من نحو ١٨ شهراً في البحث المنظم في موضوع الامواج القصيرة ليعرف خواصها وميزاتها ، فاستنبط انابيب جديدة تولد امواجاً طولها اقل من نصف متر ، صنع مقياساً جديداً لقياس طول الامواج الى ان يصبح طولها ملليمتراً واحداً . وبدأ تجاربه في الاحوال التي لابد منها عند استعمال هذه الامواج ، وجعل مكان هذه التجارب على شواطىء ايطاليا . واستعمل عاكساً يعكس الأمواج اللاسلكية ويوجهها ، كالعاكس الذي يعكس الامواج الضوئية ويوجهها فيتكون « النور الكشاف » المعروف

وكانت التجربة الاولى في سنة ١٩٣١ بين مكانين على مقربة من جنوى المسافة بينهما ١٢ ميلاً . وقد اسفرت التجربة عن نجاح عظيم فقررت السلطات العليا في الفاتيكان استعمال هذه الطريقة بين مدينة الفاتيكان وقصر البابا بيوس الحادي عشر على مقربة من روما. وكان طول الموجة في مخاطبات الفاتيكان متراً واحداً

وفي يوليو الماضي خرج مركوني على يخته « الترا » وجعل يبعد عن محطة معينة على الشاطىء رويداً رويداً فلما صار على بعد ٢٩ ميلاً ظلت رسائل المحطة تلتقط ، مع ان مدى النظر بالنسبة الى تحدب الارض لايزيد على ٢٤ ميلاً . ثم جرب تجربة اخرى كانت المسافة بين المحطتين فيها ١٦٨ ميلاً فالتقطت الاشارات واضحة . والبحث ماضٍ الآن في هذا الميدان اللاسلكي الجديد

التحليق في الجوّ

يشتمل برنامج القسم العلمي في معرض شيكاغو على محاولة التحليق في الجو ببالون خاص الى احد عشر ميلاً او اثني عشر ميلاً فوق سطح الارض وينتظر ان تتم هذه المحاولة في يوم رائق في اواخر يونيو او اوائل يوليو

اما الكرة التي يجلس فيها الربان والعالم فقطرها سبع اقدام وهي مدلاة من كيس يحتوي عند انتفاخه على ٦٠٠ الف قدم مكعبة من الغاز . وينتظر ان يعين الكومندر ستل احد طياري البحرية الاميركية في منصب الربان . اما منصب العالم فيرجَّح ان يختار له الاستاذ بيكار نفسهُ . وقد صنع الاستاذ كومتن عدّاداً دقيقاً ليستعملهُ الاستاذ بيكار ، او اي عالم آخر يحل محلّهُ ، في قياس الاشعة الكونية

والمعدن الذي تصنع منهُ الكرة ، هو خليط خاص يعرف بالدومتل Dowmetal — او معدن دَوْ لان شركة دَوْ الاميركية صنعتهُ — فهو اخف من الالومنيوم نحو ٢٠ في المائة . ولما كان الكيس الذي يحتوي على الغاز اكبر من كيس بلون الاستاذ بيكار ، فالوصول الى علو ١٢ ميلاً فوق سطح البحر مرجَّح او هو محتمل . وقد تمت المعدات التي تمكن الطيارين من ارسال انبائهم من الجو دقيقة دقيقة الى محطة لاسلكية على سطح الارض ومنها تذاع الى المحطات اللاسلكية الكبرى فتعيد هذه اذاعتها في اقطار المعمورة

الجزء الثاني من المجلد الثالث والثمانين

هدية المقتطف السنوية

يحتجب المقتطف في اول اغسطس واول سبتمبر . ثم يعود الى الظهور في اول اكتوبر . وقد اعد قلم التحرير هدية نفيسة لتهدى الى المشتركين المسددين بدلاً من عددي الشهرين اللذين يحتجب فيهما

والهدية كتابان نفيسان

اما الاول فكتاب في

الراديو او الفنون اللاسلكية

وهو بحث علمي تاريخي موضح بالصور الكثيرة . ولا ريب ان ذيوع الفنون اللاسلكية وآلاتها في بلدان الشرق العربي يجعل هذا الكتاب هدية جزيلة الفائدة من الناحيتين، النظرية للمتعلم ، والعملية لصاحب الآلة او للراغب في اقتنائها

اما الكتاب الثاني فهو

رجال المال والاعمال

وهو سيَر طائفة من الرجال الذين يصح أن يكونوا في اجتهادهم ومثابرتهم وحبهم للعمل ونظرهم الى المال نظرهم الى اداة للعمل والانشاء ، لا نظرهم الى وسيلة للهو والترف — قدوة للشرق الناهض ، يقتدي بها رجال الاعمال ، وتلقى مغازيها وفوائدها على الاطفال في البيوت والطلاب في المدارس

ولا ترسل الهديتان الا الى المشترك الذي سدد ما عليه

Al-Muktataf

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها ادارة المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

صندوق بوستة ٩٥٤ مصر تليفون رقم ٥٩٧٣٦

م

٣٥ القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠ القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثالثة)
٣٥ القاموس العصري عربي انكليزي (طبعة اولى)
٧٠ القاموس العصري عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥ القاموس المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ قاموس الجيب عربي انكليزي فقط
١٥ قاموس الجيب انكليزي عربي فقط
٧٠ « سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠ « سقراط سبيرو انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠ « سقراط انكليزي عربي وبالعكس
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠ عشرة ايام في السودان « « « «
١٢ مراجعات في الادب والفنون (للاستاذ عباس العقاد
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد زعيتر)
١٥ روح السياسة « « «
١٠ الآراء والمعتقدات « « « «
١٠ اصول الحقوق الدستورية « « «
٢٠ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
٨ مقدمة الحضارات الاولى « «
١٠ الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥ ماقي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
١٠ اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠ مختارات سلامه موسى
٨ نظرية التطور وأصل الانسان « «
٢٠ اناتول فرانس في مباذله (الامير شكيب ارسلان)
١٥ الدنيا في امريكا (للاستاذ امير بقطر)
١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (حسين عبدالله)
١ حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني)
٨ قبض الريح « « « « « «
٥ نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠ رسائل غرام جديدة (الاستاذ سليم عبدالواحد)
١ الغربال في الادب العصري (للاستاذ ميخائيل نعيمة)
٥ حكايات للاطفال ، اول (مصور بالالوان)
٥ « « ثان « « «

م

١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥ خواطر حمار (للاستاذ الجمل)
٥ التعليم والصحة
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران) « «
١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات (للدكتور فخري)
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها « «
١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي)
١٠ تاييس « « « «
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠ رواية فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨ رواية الانتقام المذب (اسعد خليل داغر)
٥ فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢ رواية باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥ رواية روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥ رواية ام روكامبول ، ٥ اجزاء «
٢٠ رواية باردليان ، ٣ اجزاء «
٢٠ رواية الملكة ايزابو ٤ اجزاء «
٢٠ رواية الاميرة فوستا ، جزآن «
٢٠ رواية عشاق فنيسيا ، جزآن «
١٦ رواية كابيتان ، جزآن «
١٦ رواية الوصية الحمراء ، جزآن «
١٢ رواية فلمبرج ، جزآن «
١٠ رواية فارس الملك «
١٠ رواية ضحايا الانتقام «
٥ رواية المتنكرة الحسناء «
٥ رواية مروضة الاسود «
٥ رواية شهداء الاخلاص «
٨ رواية المرأة المفترسة «
١٦ رواية بائعة الخبز «
١٦ رواية دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ « فرنسوا الاول « «
٨ رواية حورية « «



المغفور له جلالة الملك فيصل

المقتطف
مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الثالث من المجلد الثالث والثمانين

١ اكتوبر سنة ١٩٣٣ — ١١ جماد الثاني سنة ١٣٥٢

الايدروجين الثقيل

هل يكون سبيل العلماءِ الى اسرار بناءِ المادة

منذ نحو سنة ونصف سنة، كشف ثلاثة من علماءِ الاميركيين ضرباً جديداً من الايدروجين فاشتدَّت عناية الدوائر الكيماوية والطبيعية بهِ، بل انصرفت المعامل العلمية في خمس جامعات اميركية أو ستّ، الى درس خواصّهِ واعدّت احدى الشركات الصناعية المعدات اللازمة لاستخراجه. ولا يمكن ان نبيّن للقارىء مكانة هذا الصنف الجديد من عنصر الأيدروجين في علمي الكيمياء والطبيعة الحديثين، الاَّ اذا تتبعنا تقدُّم هذين العلمين من الناحية التاريخية

اطلق على الضرب القديم المعهود من الايدروجين اسم ايدروجين١، وعلى الضرب الجديد اسم ايدروجين٢. والرقمان يشيران الى وزن الضربين، او الى الوزن النسبي لذرتيهما بالمقابلة مع وزن الاكسجين او وزن ذرّتهِ. فقرّاءُ المقتطف يعلمون ان الايدروجين اخفُّ المواد المعروفة على الاطلاق، وان ثقلهُ واحد، اي اذا اتخذنا الاكسجين اساساً المقابلة، وجعل وزنهُ الذري ١٦ فوزن الايدروجين الذري على هذا القياس واحد. وهذا الايدروجين هو الضرب الاول المعروف الآن بايدروجين١. اما الايدروجين٢ فثقلهُ اثنان بالمقابلة مع ثقل الاكسجين. فاذا فرضنا ان ذرة الاكسجين ثقلها ١٦ فذرة الصنف الاول من الايدروجين ثقلها ١ وذرة الصنف الثاني ثقلها ٢. وقد اقترح المكتشفون اطلاق اسمين يونانيين على هذين الضربين من الايدروجين، يعنيان ١ و٢ وهما بروتيوم وديوتيريوم

لا يخفى ان المواد التي تحيط بنا ، المنوعة في اشكالها واوزانها والوانها وروائحها وقساوتها ولينها ، انما هي مركَّبة اصلاً من مواد اولية تدعى عناصر وعددها اثنان وتسعون عنصراً. فالعنصر في عرف الكيمياء هو المادة التي لا نستطيع ان نحلّها بما نملكهُ من الوسائل الكيمائية من دون ان تفقد خواصها

وفي سنة ١٨٠٢ قال دلتن الكيماوي الانكليزي ان المادة مركبة من دقائق صغيرة دعاها ذرّات Atoms وكان المفروض في نظريته ان ذرات كل عنصر متشابهة جرماً ووزناً وتصرفاً كيمائيًّا. ثم كشف علماء الكيمياء وسائل مكنهم من معرفة اوزان هذه الذرّات بالمقابلة بينها. وفي سنة ١٨١٥ بيّن الطبيب بروت Prout الانكليزي ان الاوزان الذرية ليست الاَّ اضعافاً مختلفة لوزن ذرة الايدروجين فوزن الكلسيوم ٤٠ مثلاً وهو ٤٠ ضعف وزن الايدروجين . فاذا سلّمنا بهذا القول وجب ان تكون الاوزان الذرّية كلها اعداداً صحيحة، لان وزن الايدروجين عدد صحيح . واقترح حينئذٍ نظرية عجيبة مؤداها ان ذرات العناصر انما هي مركبة من ذرات ايدروجين محشوكة معاً. ولكن لدى وزن ذرات العناصر بالاساليب المعروفة، تبين ان اوزان كثير منها ليس بالعدد الصحيح واذاً فلا يمكن ان تكون اضعافاً لوزن ذرّة الايدروجين . فصرف النظر عن مذهب بروت في اواخر القرن التاسع عشر . ولكنه بعث من مرقده الآن. والقول بأن ذرات العناصر مبنية من ذرات الايدروجين ، له صلة دقيقة بما للايدروجين الثقيل (الايدروجين٢) من المكانة عند علماء الكيمياء والطبيعة

***

لنلتفت الآن الى ناحية اخرى من هذا البحث جديرة بالاهتمام . ففي اواخر القرن التاسع عشر ، كشف الباحثون عن ظواهر الاشعاع . فوجدوا ان هنالك عناصر تتحول من تلقاء نفسها من عنصر الى آخر . فالراديوم يتحول بعد زمن طويل ينقضي عليه الى رصاص. وكانت النتيجة التي اسفر عنها البحث في تحول العناصر بعضها الى بعض، ان بعض العناصر التي تنتهي اليها العناصر المشعة — كالرصاص مثلاً — تشبه عناصر اخرى في خواصها الكيمائية ولكنها تختلف عنها في وزنها الذري . فالرصاص الطبيعي يشبه الرصاص الناشيء من تحوُّل الراديوم بالاشعاع ولكن احدهما يختلف عن الآخر في وزنه الذرّي . كذلك الراديوم والميزوثوريوم١ لا يمكن ان يفصل احدهما عن الآخر من ناحية الخواص الكيمائية ، ولكن الرايوم يحتاج الى ١٨٠٠ سنة لكي يتحول الى عنصر آخر واما الميزوثوريوم١ فيحتاج الى سبع سنوات فقط ليتحوَّل التحوُّل نفسه . ثم ان وزن الراديوم الذري ٢٢٦ واما وزن الميزوثوريوم١ الذري فـ ٢٢٨ والذرات التي تتشابه من حيث خواصها الكيمائية ولكنها تختلف من حيث وزنها تعرف بالنظائر Isotopes وقد عثر بين العناصر المشعة على امثلة عديدة من النظائر

والخطوة التالية في تطوُّر هذا البحث انما تمّت لما ثبت ان العناصر العادية كالنيون والكلور وغيرهما مؤلفة من ذرات متشابهة في صفاتها الكيمائية وانما تختلف في اوزانها . ولعلَّ اشهر الباحثين في هذا الموضوع هو الاستاذ استن Aston الانكليزي الذي اثبت ان اكثر العناصر مؤلفة من نظائر . وقد اقتفى الباحثون الاميركيون خطوات استن فأثبتوا ان للاكسجين والنتروجين والكربون نظائر كذلك . وقد ظهر ان اوزان ذرات النظائر تكاد تكون اعداداً صحيحة مما يعيد الى الذهن نظرية پروت ، وهي ان ذرات العناصر مبنية من ذرات الايدروجين وقد حشكت معاً

واذا كان هذا صحيحاً فيجب ان يعثر الباحثون على ذرة مؤلفة من ذرتي ايدروجين فتكون ابسط الذرات المركبة بحسب نظرية پروت وحلقة بين ذرة الايدروجين وذرات العناصر الاخرى المركبة منها

وعني بدرس هذا الموضوع الاستاذ برج Birge احد اساتذة جامعة كاليفورنيا والدكتور منزل Menzel احد علماء مرصد هارڤرد . فأقاما الادلة على ان ايدروجين٢ يوجد في الايدروجين العادي بنسبة ١ الى ٤٥٠٠ . واذا بلغت ندرة احد النظائر هذه المرتبة (١ : ٤٥٠٠) تعذَّر الكشف عنهُ الاّ اذا امكن تركيزهُ . لذلك عمد الدكتور بريكود Brickwedde الى تقطير الايدروجين السائل على درجة واطية جدًّا من البرودة — ٤٦٦ بميزان فارنهيت تحت درجة الجمد . وبذلك زادت نسبة ايدروجين٢ الى ايدروجين١ حتى بلغت ١ : ١١٠٠ فتمكن الدكتور هارولد يوري Urey احد أساتذة الكيمياء في جامعة كولومبيا ومعاونهُ مرفي من كشفه بواسطة طيفهِ . ثم كشفت طرق اخرى لاستحضاره منها طريقة الحلّ الكهربائي . والمتوقع ان يكون هذا الضرب من الايدروجين مداراً لمباحث خطيرة في الكيمياء والطبيعة ، لذلك نذكر في ما يلي اشهر ما يعرف عن خواصهِ وما قد يفضي اليهِ درسهُ من النتائج العلمية

***

لقد تبحّر العلماء في درس بناء الذرات في العهد الحديث فوصلوا الى ان الذرة مبنية من جزئين . اولاً من كتلة مركزية مشحونة شحنة كهربائية موجبة . وحولها دقائق من الكهربائية السالبة تعرف بالكهارب او الالكترونات . فاذا تعيَّن لدينا عدد الالكترونات في ذرة من الذرّات ، تعيّنت كذلك خواصها الكيمائية . فاذا كان في الذرة الكترون واحد فهي ذرة ايدروجين . واذا كان فيها الكترونان فهي ذرة هليوم . واذا كان فيها ثلاثة الكترونات فهي ذرة ليثيوم . او اربعة فهي ذرة بريليوم . او خمسة فهي ذرة بورون . او ستة فهي ذرة كربون . او سبعة فهي ذرة نتروجين . او ثمانية فهي ذرة اكسجين . او اثنان وتسعون فهي

ذرة اورانيوم وهو آخر سلسلة العناصر . والعناصر الباقية متوسطة بين الاكسجين والاورانيوم تزيد ذرة كلٍّ منها الكتروناً واحداً عن ذرة العنصر السابق

ولكن كتلة الذرة مركَّزة في النواة المركزية ، ووزنها يختلف باختلاف عدد الدقائق التي تتركب منها النواة . فنواة ذرة الايدروجين او البروتيوم تحتوي على دقيقة واحدة ، تعرف بالبروتون . اما ذرة الايدروجين٢ او الديوتيريوم فمؤلفة من بروتون ونيوترون — والنيوترون دقيقة وزنها وزن البروتون ومتعادلة الكهربائية — فذرة الايدروجين الذي وزنهُ الذرّي٢ هي بعد ذرة الايدروجين١ أبسط الذرات المعروفة . واذا شاء العلماء ان ينفذوا الى سر تركيب النوى في الذرات وجب عليهم ان يقفوا على ترتيب ابسط الذرات وأبسط النوى ثم مايليها فما يلي ذلك . ودرس نواتي البروتيوم والديوتيريوم انما هو خطوة اولى في هذه الناحية

ثم ان الليثيوم الذي وزنهُ الذري ٧ يتفاعل مع البروتيوم لتوليد الهليوم . والليثيوم الذي وزنهُ الذري ٦ يتفاعل مع الديوتيريوم لتوليد الهليوم كذلك . وهذا النوع من التفاعل يفيض طاقة عظيمة تفوق مليون ضعف الطاقة التي تسفر عنها التفاعلات الكيمائية العادية. هذا أهم ما يقال عن البروتيوم والديوتيريوم من حيث مكانتهما في علمي الطبيعة والكيمياء

***

أما من ناحية خواصهما الكيمائية فتوجد فروق بينهما . فعالم الكيمياء يهمه ان يعرف لماذا تتصرف العناصر الكيمائية تصرفها المعروف . كيف يحترق الايدروجين وكيف تحصل التفاعلات الكيمائية في أجسادنا ؟ ونحن نعلم ان الجواب الشافي عن هذه الاسئلة وأشباهها يتناول عوامل كثيرة منوّعة . ولكنا نعلم كذلك ان لوزن الذرات في المواد المتفاعلة شأناً كبيراً . اونحسّ كأنَّ ذلك يجب أن يكون . والظاهر ان احساسنا هذا صعب التحقيق . فالعلماء يقولون ان وزن الذرات . اذا كان له أثر في التفاعلات الكيمائية فانه أثر لا يكاد يكشف بالكواشف المعروفة . ولكن الفرق الكيمائي بين تفاعل ذرة البروتيوم وذرة الديوتيريوم يسهل كشفهُ بنسبته اما وزنيْ الذرتين . فالماء الذي يصنع من الايدروجين١ يختلف في درجة غليانهِ عن الماء المصنوع من ايدروجين٢ . ثم ان تفاعلاً كيمائيًّا يدخل فيه أحد الصنفين يختلف سرعةً عن نفس التفاعل اذا ابدل فيهِ احد الصنفين بنظيره . وقد يكون هناك فروق بيولوجية ناجمة عنهما . فالفئران التي تحتوي على مواد يكثر فيها ايدورجين٢ في تركيبها قد لا تستطيع الاَّ ان تكون بطيئة او لا تستطيع ان تعيش قط فهو في جسمها بمثابة السم . فهذا الايدروجين الثقيل كأكثر المكتشفات العلمية في استهلالها لا يمكن ان نحكم عليه حتى يتعمق العلماء في درسهِ وكشف أحواله وخواصه

فيصل بن الحسين

آثار مبعثرة تدل المنقبين على القصر الشامخ

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

وزير خارجيته في دمشق

رآني صديق لي في الاسكندرية في مساء الجمعة الواقع في اليوم الثامن من ايلول (سبتمبر) الماضي والجزع آخذ مني مأخذه للنبأ المفاجيء الذي انتشر في الثغر ينعى فيصل بن الحسين فأخذ يعزيني قائلاً «هوّن عليك فالراحل سيعرف الناس فضله بعد مماته»، ولكن كلامه هذا وما فيه من الاشارة الى الدعايات الباطلة التي كانت تثار على الراحل العظيم زاد في جزعي وفي ألمي لانني اعتقد انها طعنة في صميم الرجل ألاّ يعرف الناس فضله الاّ بعد مماته، وان الطموح المبني فقط على التقدير بعد الموت هو طموح مقعد وان صاحبه عيّ في القول كلّ في العمل تنقصه الكياسه والحكمة والشجاعة . ولكن فيصلاً لم يكن من هذا النوع من الرجال فقد شقّ طريقه الى المجد في صخر من العداوات الجنسية والدعايات الوهمية والعقبات الاستعمارية حتى رأى نفسه على قمة قضية سيكون لها في تاريخ العالم الحديث اخطر الآثار، وما زال يعلو وينبسط حتى اصبح الذين كانوا يملأون الصحف بتسويد صحيفته يحبرون اطول المقالات في التغني ببياض جبينه الناصع

هذا هو فيصل بن الحسين الذي نعاه الناعون بسكتة قلبية في مدينة (برن) من سويسرا في الصباح المبكر من ذلك اليوم المشؤوم، فكان لنبئهم هذا صدًى يتراجع انينه بين شواطيء المحيطين — المحيط الهندي والمحيط الاطلنطي — ذلك لان في تلك الاصقاع المترامية الاطراف اممًا متعبة تنظر اليه والى الافذاذ من امثاله «نظر الغرقى الى الساحل». وليس في قصدي ان اتناول بالبحث حياته الواسعة فأحصرها في بضع صفحات لأنه من الظلم الفاحش الذي تأباه الطباع الحرة ان يحصر المرء الاسدَ المصور في السجن الضيق، وانما اريد ان اكتب عنه من الشذرات ما يلقي نوراً على دخيلته خصوصاً ما عرفته منها بنفسي . والآثار الصحيحة ولو كانت قليلة ومبعثرة تدل المنقبين على البناء الشامخ الذي ينشدونه بين الانقاض

تفسر لنا البيئة التي نشأ فيها معظم خصاله خير تفسير، فالبداوة التي قضى في احضانها شطراً من صغره تعلل لنا البساطة التي لازمته من خندق الثورة حتى عرش الملك والتي كانت مثار الاعجاب به، لان بساطة العظيم ضرب من العظمة لما تتضمنه من احتقار الدنيا، والذين

تنقصهم العظمة الحقة يطلبونها عادةً في الابهة والدبدبة، فقد ولد المليك الراحل في مكة في سنة ١٨٨٣، وفي نحو السادسة من عمره ارسل الى قرية (رحاب) بالقرب من (الطائف) حيث قضى ست سنوات يتخلق بأخلاق البدو من شظف عيش ومواجهة طبيعة ومقارعة انسان، وفي الثانية عشرة من عمره سافر الى (الاستانة) مع والده فاتصل هناك بالحلقات العظامية التركية وتلقى العلوم على اساتذة خصوصيين، وظلَّ فيها الى ان رأى بعينيه الانقلاب العثماني في سنة ١٩٠٨ والحملة الشعواء المغرضة التي حملها بعض فتيان الترك على الموظفين العرب في العهد الحميدي

ومن اهم ما نعنى به ان نحيط بالروح التي كانت متجلية في البيت الذي ترعرع فيه، لان الالفاظ التي ينطق بها الآباء في احاديثهم البيتية متى كانت صادرةً عن عقيدة في النفس تركت اثرها في الابناء مهما كانت طباعهم، وقد اتيح لي في الاشهر التي اعقبت الانقلاب العثماني ان اطلع بصورة خاصة على نزعة رب البيت الهاشمي الشريف حسين بن علي والد الفقيد، فقد كنت في الهيئة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي في سورية، وكان معنا من الاعضاء المرحوم عبد الرحمن باشا اليوسفي امير الحج، فلما جاءنا الخبر من المركز العام في سلانيك بأن النية متجهة الى نقل الشريف حسين باشا من مجلس الشورى في الاستانة الى مكة ليكون شريفاً على الحجاز حمل الباشا اليوسفي عليه حملة منكرة فذكر طموحه الذي لا حدَّ له، ومما قاله انني لا اخشى اذا صار اليه الامر ان ينسلخ الحجاز عن المملكة العثمانية وتصاب خلافة آل عثمان في الصميم.

ودلت الحوادث التي اعقبت هذا الكلام على شيءٍ من هذا الطموح، وقد عثرت مع احد الموظفين السابقين في احدى الدول العربية على وثائق انكليزية سرية تشير الى هذا الامر وتشرح زيارة سمو الامير عبد الله الى القاهرة قبل الحرب والاسباب الداعية الى هذه الزيارة وما جرى فيها من الاحاديث. فهل كان في الامكان يا ترى ظهور هذا الطموح على مسارح السياسة العملية لولا تلك النزعة الطورانية العنيفة التي ظهرت في الترك من بعد الانقلاب في سنة ١٩٠٨؟ ولو لم يجد هذا الطموح من اضطهاد الترك للقومية العربية منبهاً وحافزاً لما استطاع ان يجد الانصار الكافين لبروزه الى حيز الوجود، وقد ذكر الحسين بن علي في المنشور الذي اعلن فيه الثورة العربية في حزيران (يونيه) من سنة ١٩١٦ ان في مقدمة الاسباب التي حملته على الانتقاض المشانق العالية التي نصبها جمال باشا في سورية — فطموح البيت الهاشمي والمظالم الاتحادية تحلل لنا الجوَّ الذي نشأ فيه المليك الراحل

ثم لما اعلنت الحرب العالمية عدَّها الاتحاديون فرصة سانحة لتطبيق منهاجهم السياسي فكشروا عن نابهم وهاجمونا مهاجمة عنيفة في عقر دارنا مهدوا لها السبيل بالدعايات التي تجوز على اهل العقائد الوهمية. حينئذ اتخذ الطموح في البيت الهاشمي وجهة قومية صريحة لا مواربة فيها، وقد تجلت لي على اتم مظاهرها يوم قابلت المليك الفقيد في بيت المرحوم عطا باشا البكري

في دمشق الشام في صيف سنة ١٩١٥ ، ويجب ان تكون هذه المقابلة قد تمت عقيب اول رسالة دارت بين الحسين بن علي وبين السير هنري مكماهون للاتفاق بين بريطانيا والعرب وتاريخها شهر تموز — يوليو — سنة ١٩١٥ ، ودار الحديث بيننا حول القضية العربية ومظالم الاتحاديين والعلاج الشافي من تلك الاوصاب ، وقد بدت لجميع من اختلوا به من العاملين روح الثورة على وجهه. ولكن الضغط يومئذ كان يتطلب منتهى الحذر في المتكلمين والمستمعين لان اقل بادرة تبدر من المرء تكفي لجره الى المشنقة ، وقد اشار الى هذه الاجتماعات في خطاب القاه في دمشق بعد عودته من مؤتمر الصلح بقوله «قام والدي بهذه الثورة بعد ان اتيت الى سورية وواجهت بعض الرجال وعلمت من مجيئي الى دمشق ان الافكار السورية بأجمعها متجهة نحو الاستقلال». هذه نبذة مختصرة تدلنا كيف نشأت في نفسه الميول الثورية وتدرّجت تدرجاً عمليًّا ، فلنتساءل كيف استطاع ان ينجو بنفسه من طاغية الاتحاديين احمد جمال باشا ويمثل اخطر ادوار الثورة ولا سيما بعد ما جاءت التقارير الرسمية السرية من بصرى باشا حاكم (المدينة) وفيها ايقاظ الحكومة من غفلتها وتنبيهها الى الطوارىء الخطيرة المتوقعة من الحجاز

وفي الجواب عن هذا السؤال ما يدل على ناحية اخرى من نواحي الفقيد وهي مقدرته السياسية وحنكته وغزارة حيلته ، فقد اتفق مع والده على ان يجيء الى دمشق بمهمة ظاهرها تقديم جيش من متطوعة الحجاز لمساعدة الجيش العثماني الرابع في هجومه الثاني على مصر وباطنها درس الاحوال في سوريا عن كثب والاطلاع على خطط الحكومة الاتحادية نحو العرب والاتصال بالعاملين من ابناء البلاد . فلما اشتدت المظالم الاتحادية واصبحت لا تطيقها الانفس الابية ابتكر طريقة للنجاة من ايدي الطغاة فاقترح على جمال باشا ان يرسل وفداً لاستقبال الجيش الحجازي وان يكون هو — فيصل — على رأسه فقبل الطاغية اقتراحه ، فلما بلغ الوفد المدينة واتصل فيصل بالجيش الذي اوفده والده اليها اشار على الاعضاء الترك ان يعودوا الى جمال باشا ليتفقوا معهُ على طريقة نقل الجنود الى سورية ، واتخذ هو هذه الفترة فارسل الى دمشق رجالاً من السوريين لينقذوا من بقي فيها من ابناء عمه الحجازيين واصدقائهم من الوطنيين. اما انا فكنت وصديقي المرحوم توفيق الحلبي قد سبقنا الى معرفة الخطر المداهم فنجونا بانفسنا بطريق البادية الى العراق وبقينا حيناً في مصر قبلما اعلنت الثورة العربية في مكة والمدينة

اخذ المليك الراحل على عاتقه قيادة جيش الثورة الشمالي فسار على ساحل البحر الاحمر وغادر (المدينة) محصورة يحيطها اخواه الملك علي والامير عبد الله، وما زال يسير موفقاً بين القبائل والمدن حتى دخل دمشق الشام في اليوم الاول من شهر اكتوبر — تشرين الاول — سنة ١٩١٨ ، وسيكون تاريخ هذا الجيش بداءة تنظيم النهضة العربية تنظيماً عمليًّا حديثاً لان نخبة منتخبة ممن مثلوا اخطر الادوار في الاقطار العربية الشمالية فيما بعد تدربوا على الثورة في وحداته

وعملوا تحت لواء قائده. فمنهم جعفر باشا العسكري مثلاً فان رواية انضمامهِ الى الجيش العربي الفاتح يجوز ان تتخذ نموذجاً للبواعث التي كانت تدفع بعض العاملين الى التطوع ، فقد خدم جعفر باشا الدولة العثمانية في طرابلس الغرب وبرقه ابرّ خدمة الى ان وقع اسيراً بيد الانكليز على حدود السلوم فسجن في قلعة (محمد علي) في القاهرة حيث حاول الفرار من النافذة لاجل العودة الى القتال الاّ انهُ سقط فكسر بعض اطرافه فنقل الى مستشفى الاسرى في (المعادي) . هنالك اتيح لي ان اراه فاطلعهُ على جرائم احمد جمال باشا وزبانيته وكيف شنق النخبة المنتخبة من الرجال في اليوم السادس من مايو سنة ١٩١٦ فتحول جعفر باشا لهذه الانباء فجأة واقسم بشرفهِ العسكري ان ينتقم لاخوانهِ الشهداء وفي مقدمتهم سليم بك الجزائري ، وقد برَّ بيمينهِ وبعد حين كان بين القواد البارزين في الجيش العربي الشمالي . ففي هذا الخبر الشخصي البسيط ما يكم افواه الذين قالوا ان الجيش العربي مجموعة افراد من المرتزقة

وفي هذا الجيش وما لابد فيهِ من الاختبارات المتنوعة والحاجات الشديدة الى المزايا العامة تكاملت خصال الراحل الكريم وانجلت نواحيهِ فكان القائد البارز الذي لم يفكر احد في منافستهِ تفكيراً جديًّا ، وان حدثت شبه حادثة من هذا النوع فلا يؤبه لها ، ويرجع الى هذا الجيش الفضل الاكبر في تخفيف المظالم الاتحادية في سورية واخراج طاغية الاتحاديين من تلك الانحاء وتطهيرها من زبانيته وعماله . لا جرم انهُ لما دخل الشام استقبله اهل البلاد استقبال المنقذ وعدوه منحة من السماء جادت بهِ عليهم لتحقيق امانيهم القومية والانتقال بهم من ضيق الترح الى بحبوبة الفرح

ولما عقد مؤتمر السلام في (فرساي) انتدبهُ والدهُ ليمثل الحجاز فيهِ فغادر سورية في اوائل سنة ١٩١٩ والتقى هناك باعاظم الرجال وظهرت لهم مواهبه اذ كان يدافع عن حقوق العرب ويطالب بالعهود التي قطعها الحلفاء لوالده ، وقد سئل يومئذٍ عن رجال السياسة والاثر الذي تركوه في نفسه فقال انهم مثل الصور البراقة المعلقة في الدهاليز يجب ألاّ ترى الاَّ من بعيد ، وكان الدكتور ولسن وعقيلته يكثران من النظر اليه وكثيراً ما قال الدكتور ان طلعته تشبه طلعة المسيح

ولما عاد الى سورية استقبل استقبالاً فخماً لم تعهد الشام مثله منذ زيارة الامبراطور غليوم وكان مما فعله ان نشر بياناً في الصحف قال فيه ان مبدأ الاستقلال قد تقرر وان لجنة دولية لاستفتاء الاهالي في مصيرهم ستؤم البلاد ، وفي شهر اكتوبر (تشرين الاول) من تلك السنة تلقى دعوة من الحكومة البريطانية للبحث معهُ في الشؤون السياسية التي استجدت وذلك لان الانكليز والفرنسيين كانوا قد اتفقوا في منتصف شهر سبتمبر — ايلول — السابق على ان تنسحب بريطانيا بجيوشها من المنطقة الشرقية وتبقى الجيوش الفرنسية حيث هي في المنطقة الغربية

وعين الجنرال غورو يومئذٍ مندوباً سامياً على لبنان وسورية والسير هربرت صموئيل على فلسطين . فركب الفقيد نسافة بريطانية اقلته الى اوربا فتأخرت على الطريق لعطل طرأ عليها قيل انهُ مفتعل بقصد التأخير حتى اذا وصل الى لندن يكون كل شيءٍ من التفاهم قد تمّ بين الحليفتين. وكذلك كان الامر لان الدلائل دلت على ان الفرنسيين والانكليز وجدوا طريقة لاقتسام الاسلاب فلم يبق امامهم الاّ تبليغ المنهوبين القرارات المتخذة بحقهم ، ويؤيد ذلك ما ذكره لي المستر تشارلس كرين رئيس اللجنة الاميركية التي أمَّت سوريةفي صيفسنة ١٩١٩ لاستفتاء اهلها في تقرير مصيرهم بقوله (اننا لما خرجنا من اوربا فيمهمتنا كنا كلنا آمالاً كباراً فلما عدنا اليها كانت نفوسنا طافحة بالخيبة ، ذلك لاننا رأينا سورية قد بيعت في اثناء غيبتنا بيع السماح ... بيعت بآبار الموصل) ، وهذه الصفقة تمَّت في مؤتمر ايلول (سبتمبر) المذكور الذي قرر ان تكون الموصل في منطقة الانتداب البريطاني ، وقد باعتها حكومة المسيو كلمنصو من غير ان تتنبه الى الثروة التي تفيض من احشائها فكان من نتيجة الغبن الذي اصابها تلك الحملة القاسية التي نزلت بالمسيو كلمنصو ورجاله

افهم الانكليز فيصلاً بصورة صريحة ان فرنسا اصبحت الآن صاحبة الشأن في سورية فعليهِ ان يتفق معها مباشرة وانهم لا يحجمون ان يكونوا وسطاء خير ،فسافر الى باريز حيث اجتمع بالمسيو كلمنصو ودخل معهُ في مباحثات بسط له فيها حرص الامة السورية على وحدتها واستقلالها فكان من نتيجة هذه المباحثات وضع اسس الاتفاق (في ٦ يناير سنة ١٩٢٠) الذي اطلق عليهِ اسم « اتفاق كلمنصو — فيصل » وخلاصة هذا الاتفاق الوحدة الشاملة للعلويين وجبل الدروز، وجعل بيروت والاسكندرونة مدينتين حرتين ،وسحب الجيوش الفرنسية من سورية الى كليكيا فاذا اقتضى الامر استدعاء هذه الجيوش مرَّة ثانية فلا يكون ذلك الاَّ بطلب رئيس الدولة السورية واتفاقه مع المفوض السامي ، اما المستشارون الفنيون فيوضعون تحت تصرف الحكومة السورية ومنها يتسلمون وظائفهم ويستمدّون قوتهم التنفيذية بموجب عقود واذا حدث بينهم وبين الحكومة خلاف فقد اصرَّ الفقيد على ان يحل ذلك في مجلس الوزراء السوري لا في فرنسا كما اصرَّ المسيو كلمنصو، وتكون دمشق عاصمة البلاد وحلب مقر المندوب السامي واللغة العربية لغة البلاد الرسمية

***

لقد اوردنا هذه الخلاصة لبيان الاسباب التي حملت الامير فيصلاً على قبول هذا الاتفاق وامضائهِ بالحروف الاولى من اسمه كما امضاه المسيو كلمنصو وكيف كان راضياً بهِ لكن دعاية شنيعة بثت عليه عند عودته فتراجع من غير نظام لانه كان لايزال حديث عهد

بالشؤون السياسية والحملات المدبرة بالرغم من جميع تلك الاختبارات البالغة التي مرّت عليهِ، ولو أنه وقف موقفاً ثابتاً ودافع عن آرائهِ بمثل الطريقة المدبرة الحاذقة التي سلكها في العراق فيما بعد لوجد من المعتدلين انصاراً يؤيدونه ويقفون في وجه مناوئيهِ. ولا يدري احد ما عسى ان يكون التدرج في ديار الشام لو تم هذا الاتفاق وبقي فيصل السياسي الممتاز مليكاً على سورية. ومما لا شك فيه مطلقاً انه كان في نفسه راضياً عن هذا الاتفاق ولم يظهر لي ذلك منه في ابان وزارتنا فقط بل في بغداد أيضاً في سنة ١٩٢٦ فقد ذكره لي بشيءٍ من الاسف الصريح وزاد أسفه للحالة المنكرة التي وصلت اليها سورية. ومما قاله المسيو كلمنصو لفيصل عند البحث في هذا الاتفاق « ان هذا الشعر الشائب الذي تراه في شاربيَّ وفوديَّ قد ابيضَّ من معاناة السياسة في هذه البلاد، وانا لست استعماريًّا ولا اعتقد بالاستعمار. وانني اعرض عليك معاهدة لن تجد سياسيًّا فرنسيًّا مسؤولاً من بعدي يعرض مثلها، ففكر في الامر مليًّا وانا انتظر جوابك »

وفي عقيدتي ان هذه الحادثة واضرابها من الحوادث التي جرت في سورية فتقت ذهن النابغة الكبير وايقظت مواهبه ودلته على الطريقة التي يستعين بها لتأييد مذهبه، والنابغة مثل الدليل الحاذق يحتاج الى شيء من التمرين العملي قبل ان يصير رائد القوم

لا جرم ان يقول ابناء سورية عن فيصل بن الحسين انه درس في الاستانة وتمرن في الشام وطبَّق في العراق

وفي هذه الاثناء ارتأى بعض الوطنيين ان يواجهوا فرنسا بالامر الواقع فاشاروا عليه ان يعلن استقلال البلاد تحت لوائه وبتأييد صولجانه فوافقهم على ذلك، وفي اليوم السابع من آذار (مارس) سنة ١٩٢٠ اتخذ المؤتمر السوري قراراً باعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية وتمليك الامير فيصل عليها، فاحتفلت الامة في اليوم التالي في دار البلدية بدمشق احتفالاً عظيماً باعلان هذا القرار ومبايعة جلالته، وان انس لا أنس وقفته على الدكة يصافح المبايعين من « أهل الحل والعقد » واحداً واحداً، ولولا كسوة الملك البراقة على جسمه النحيف وهو امام العرش لم تكن هيئته يومئذٍ لتختلف كثيراً عن هيئته لما رآه الكولونل لورانس لاول مرة في (وادي الصفراء) على طريق المدينة فقال عنه متنبئاً:—« وعلى الجانب الابعد من ساحة الدار الداخلية . . . . وقف شبح أبيض ينتظرني بلهفة وشوق، ولما وقعت عيني عليه شعرت بانه الرجل الذي قدمت الجزيرة العربية في طلبه — شعرت بالزعيم الذي يستطيع تتويج الثورة العربية باكليل الظفر، وظهر لي وهو بكسائه الحريري الابيض وكوفيته المعقودة بعقال ذهبي قرمزي لامع طويلاً جدًّا كالعمود ونحيفاً للغاية، وكانت عيناه الذابلتان ولحيته السوداء ووجهه الشاحب اشبه بالقناع مسدولاً على جسمه المنتبه انتباهاً ساكناً عجيباً، وكان متكتفاً

ويداه على خنجره فسألني : هل احببت مكاننا هنا في وادي الصفراء ؟ فأجبته نعم ، الا انه بعيد عن دمشق الشام ! (١)

وفي اليوم الاول من مايو (إيار) سنة ١٩٢٠ دعيت للاشتراك في الوزارة الاتاسية فقبلت وزارة الخارجية فيها فاتيح لي ان ارى جلالته يعمل في أعصب الاوقات وقد كان على اتصال تام بعلائق الدولة الخارجية الآخذة في النمو ، واذكر هنا حادثة تدل على ما تحلّى به من الموهبة السياسية وكيف كان سبّاقاً الى رؤية الخطر المداهم ومحيطاً بالقواعد الاساسية التي تسير بموجبها الشؤون من غير ان يغرق في التفاصيل ويرتبك بالشؤون العرضية الثانوية مشغولاً بها عن الامور الجوهرية الاولية. فقد كنا ذات يوم في مجلس الوزراء نعالج مشاكلنا مع الفرنسيس كالعادة ونسعى بكل ما اوتينا لدفع كارثتهم عن البلاد ولم يكن في الافق السياسي حدث جديد يدعو الى الاضطراب فدخل علينا الملك وعليه علائم الاضطراب والقلق كأنه يتوقع بلاء ثم قال انني لاخشى ان تسير أمور الدولة من الآن فصاعداً في الوعر وان تتكوّم العقبات أمامنا فقلنا ما الذي حدث فقال ان الفرنسيين عقدوا اليوم أسس اتفاق مع الترك وسيتفرغون لمعالجة القضية السورية لان اتفاقهم مع الترك يعني توفير جيوشهم في الشمال لمحاربتنا في الجنوب . وقد صدق ظنه وجاءت النتائج طبق ماتوقع لان الجنرال غورو حالما حصل على هذه الراحة في الحدود الشمالية تنمر وكشر عن نابه . ولو أوتي المليك الخالد حزماً على قدر فطنته وبعد نظره لتمكن من استغلال ضعف الفرنسيين لمصلحة سورية عند ما كان يعصرهم الترك عصراً يقطع الانفاس في جهات اورفة وماردين وعينتاب

ولما تنفس الفرنسيون الصعداء من بعد هذه الراحة اسرعوا فارسلوا انذارهم العدائي المشهور الذي قدموه يوم عيد جمهوريتهم ، ومن البواعث الكبرى التي حملتهم على هذا الطيش السياسي وما جرّ لسمعتهم الادبية من ضرر ، اعتقادهم ان فيصلاً عامل انكليزي وان وجوده في الشرق على رأس حكومة سورية هو اخفاق لسياستهم وانتصار للسياسة البريطانية. ولكن الشيء الذي لم يروه ورأيناه بعيوننا ولم يلمسوه ولمسناه بايدينا انه من بعد عودته من اوربا في المرة الثانية وخيبته من حلفائه السابقين كان اقرب الى الكولونل كوس والكولونل طولا ممثلي فرنسا في دمشق منه الى الكولونل ايستن ممثل بريطانيا ؛ وكانت النقمة في نفسه وفي نفس كل واحد منا على انكلترا لانكارها عهودها الصريحة في ساعة الشدة اضعاف ما كانت على فرنسا. والذي فات الفرنسيين ان فيصلاً هو وطني اولاً وسياسي ثانياً وقد اوضح هذا المعنى ايضاحاً ينم على ما في قلبه يوم قال لمحرر جريدة (الانفور ماسيون) بتاريخ ١٢ شباط — فبراير — سنة ١٩١٩ «يجب الاّ تكون الاعانات التي تناولتها من انكلترا المحاربة الى جانبها والى جانبكم

(١) Revolt in the Desert, p. 18.

حجة تتخذ عليَّ لتصويري بصورة داعية انكليزي . . . يمكنكم ان تصرّحوا على رؤوس الاشهاد بأنني لا أعمل ابداً لا لانكلترا ولا لفرنسا بل للعرب وللعرب فقط »

وكان المليك شديد التأثر بكل ما عليه مسحة من الوطنية او يظن انه من عقيدة الوطنيين الصميمة الى ان حلّت الكوارث آخذة بعضها برقاب بعض فتمرّن على التفريق في الوطنيات بين الاصلي والمقلَّد والصحيح والباطل والنافع والضار حتى اذ صار ملكاً على العراق كان ثمرةً يانعةً . فمن دروس تلك الايام العملية ان الجنرال اللنبي ابلغه برسالة تاريخها ٢٧ نيسان — ابريل — سنة ١٩٢٠ باسم الحلفاء انهم اجتمعوا في (سان ريمو) وقرروا اعطاء الفرنسيين الوصاية على سورية والانكليز الوصاية على العراق باعتبارهما دولتين مستقلتين وطلب فيها الى الراحل الكريم بالحاح المجيء الى اوربا ليتمكن من بسط قضيته وقضية البلاد وخصوصاً حقوق ملكيته لانها لا تتقرر الاّ في مؤتمر الصلح وكانت الفوضى بين الحلفاء تفسح مجالاً كبيراً لظهور كياسته ومقدرته السياسية لو لبّى الطلب من غير تردد لكن دعاية عنيفة بثت عليه في المؤتمر السوري حالت دون اقدامه على السفر في الوقت الموافق ومضمون هذه الدعاية ان الملك مسافر لتنفيذ معاهدة سرية بينه وبين فرنسا !

***

وليس في المليك الراحل قابلية الاستبداد الاوتوقراطي بل ميزته البارزة هي الكياسة والسياسة وحسن التخرج، ولولا هذه الميزة ما استطاع العراق ان يسير الى الامام بمثل هذه السهولة ، والواجب الاّ يعزب عن بالنا ان البطولة في الرجال هي صفة نسبية تتعلق بالزمان والمكان ، فلو احللنا المليك الراحل محلّ موسوليني او احللنا موسوليني محلّه لكانت النتيجة هلاكاً محتماً ، ففيصل بطل في البيئة التي تتطلب مرونة ولباقة ودهاء وغاندي بطل في البيئة التي تتطلب اندثاراً وروحاً وفداءً، ولو كان غاندي في سوريا او في مصر او في العراق واراد ان ينجي هذه البلاد بطريقته الروحانية من صلاة واعتكاف واندثار وعدم المقاومة الايجابية لباء بالاخفاق المريع . والدليل على بعد الفقيد يومئذ عن الاوتوقراطية الموقف اللين الذي وقفهُ أمام هجمات المرحوم يوسف بك العظمة وزير الحربية، فقد توترت العلائق بينهما قليلاً في اواخر عهد الحكومة العربية لان يوسف بك كان يتوسل بالشدة والمليك كعادته كان يتوسل بالكياسة خصوصاً بعد ما تلقى من بعض الامراء العسكريين إحصاءً بالبنادق والمدافع والعتاد في الجيش العربي دهشنا جميعاً للنقص الذي يدل عليه . فبقينا مدة مشغولين باصلاح ذات البين لنحول دون استقالة وزير الحربية لان استقالته في تلك الايام العصيبة تدل الاعداء على عوراتنا وموضع الضعف منا

وأخيراً قضي الامر ووقعت الحرب — ان صح أن تدعى حرباً — بين فلول جيشنا المسرّح وبين الآلاف المؤلفة من الجنود البيض والسود التي جمعها غورو ممثل أعظم دولة حربية لسحق أحدث دولة سلمية. وبعد ما خرقوا الجبهة حيث استشهد البطل يوسف بك العظمة في الصف الأول طوعاً واختياراً ، وقتل القومندان ارلابوس الاسرى العرب من فرقة مرزوق بك التخيمي في (ميسلون) ، دخلوا دمشق الشام في عصر الاحد الواقع في السادس والعشرين من شهر تموز — يوليو — سنة ١٩٢٠ أما الملك فكان في اليوم السابق قد غادر دمشق على سيارته الى قرية قريبة تدعى الكسوة ونحن تبعناه اليها في القطار ولم يتخلف من الوزراء إلاّ واحد أو إثنان، وعند ما قاربت الشمس أن تغيب هبَّ نسيم عليل يحمل رائحة الشيح والقيسوم فأعاد ذكريات الثورة العربية الكبرى في نفس الملك وكان مستنداً الى الاحجار السود فقام ونزل الى خندق في الارض طبيعي وصار يتمرن على بندقيته كأنه جندي بسيط يستعد للطوارىء. ولما اظلم الليل قمنا الى المركبات التي أقلتنا وكانت واقفة في المحطة فتناولنا عشاءنا من خبز وكعك وتفاح معفن ! — منظر غريب ملك ورجاله وحاشيته يبيتون على الطوى وهم على أميال من عاصمة ملكهم وعاصمة البلدان العربية ! أين تلك المهرجانات أين تلك الاعياد أين تلك الاحتفالات أين رمضان بلياليه والبلاط بمدعويه ، أين تلك الاهازيج والزغاريد للفاتح العظيم منقذ سورية ؟ ومن حسن حظ الملك أنه «ديموقراطي» حتى بين « الديموقراطيين » تستوي في نظره الوسائد والاحجار وقطع اللحم وكسر الخبز والركوب في السيارة والمشي على الاقدام، وقد تعوَّد في الثورة شظف العيش والمبيت على الطوى لادراك آمال وتحقيق أحلام

***

كانت في تلك الايام ثورة في العراق شغلت بال الانكليز ودلتهم على ان ادارتهم العسكرية القاسية في تلك الربوع محفوفة بالأخطار فقرروا ان يستفيدوا من المواهب العظيمة التي يتحلى بها من أخرجته فرنسا من أحنّ البلاد اليه «بالحديد والنار» فعرضوا عليه تاج العراق، وكان الفضل الاكبر للمستشرقة « الخاتون » او المس «جرترود بل» في توجيه أنظار الانكليز اليه فسافر الى القطر الشقيق ونزل على الرحب والسعة بين أهله وإخوانه . واذا أردت ان اوجز سلوكه في بلاد الرافدين باعتباره ملكاً عربيًّا سياسيًّا نابغاً فاوجزه بالجملة الآتية: (لقد اتخذ فيصل على عاتقه في بغداد ان يخدم القضية الوطنية بمنعه قطع الحبل بين الوطنيين والبريطانيين الى ان يصير العراق قادراً على الدفاع عن نفسه). وقد نجح في هذه الخطة نجاحاً أثار الاعجاب ، ونظرة واحدة الى العراق وما حوله من الأقطار الشقيقة تكفي لجعل أبعد الناس شكًّا أقربهم الى الايمان . ولم يكن فيصل من الملوك الذين يلتفتون الى اكتناز المال او يعنون بجمع الثروة، فلما زرت العراق في سنة ١٩٢٦ علمت من المصادر الخاصة ان راتبهُ واظنهُ يبلغ يومئذٍ خمسةً وسبعين الف ربية

في الشهر يوزع نحو نصفهُ على المحتاجين من اهل وغرباء . ولما ذهب يوسف بك العظمة الى الجبهة للشهادة في سبيل الوطن استودع الملك فيصلاً ابنته الصغيرة فقام بخدمتها والعناية بشؤونها الى ان استقلت في معيشتها . وكان ممتازاً بين الملوك الشرقيين بقابليته للتجدد الصحيح والاخذ بمقتضيات النظريات الثابتة، وقد نشر قبيل وفاته حديثاً عن المرأة طريفاً تناقلتهُ الصحف وكان مثار اعجاب الاخصائيين من النقَّاد الاجتماعيين

آخر جلسة بيننا وختام جلساته في الشرق

وفي مساء الجمعة الواقع في اول الشهر المنصرم (سبتمبر) تناولت بطاقة من القنصلية العراقية في الاسكندرية تقول ان صاحب الجلالة الهاشمية قادم في قطار الليل من القاهرة متنكراً وهو في طريقه الى اوربا ويريد مقابلتك . فلما اجتمعنا رأيت وجههُ شاحباً وجسمهُ هازلاً فساورني القلق عليهِ لكن نوري باشا السعيد وزير خارجية العراق اخبرني ان جلالته لم ينم في الليلة السابقة سوى ثلاث ساعات وانهُ جاءَ على متن الطيارة الى القاهرة من غير راحة فركب القطار الى الاسكندرية وانهُ سيستقل الطيارة ايضاً الى اوربا بعيد الفجر، فخفف هذا الحديث شيئاً من قلقي ورجوت ان يكون فيه التعليل الكافي للتعب البادي على محياه والشحوب الظاهر في لونهِ. وفي الخلاصة الآتية للحديث الذي جرى بيننا وهو ويا للاسف آخر احاديثنا مايدل ايضاً على شيءٍ من التدرج الحيوي في الفقيد وعلى قابليته للاخذ بما تمليهِ التجارب وتقتضيه سياسة الدولة

جرى ذكر الفتنة الاشورية الاخيرة وكيف اذكى نارها الذين يسوءهم من المجاورين ان يسير العراق الى الامام وكيف بقيت الدول الاستعمارية حتى السنين الاخيرة تعتمد على الاقليات الدينية والنعرات المذهبية لاثارة الفتن فقال «ان مسألة تدعى المسألة الاشورية لم تعد من مسائل العراق » فقلت اريد ان احصل على جواب اطمئن اليهِ عما ذاع عن مظالم الجيش العراقي فطمأنني بما لم يدع شكًّا في نفسي حتى اذا حدث شيء من هذا القبيل يكون قد جرى على رغمه ، وتقاليد العرب في هذا الشأن لا تزال مقدسة مرعية الجانب . اما الذين حملوا السلاح وهددوا سلامة الامة فقال انهم لاقوا جزاءهم ، ثم رأيت من واجبي ان أؤيد الموقف وأُظهر شعوري وشعور اخواني بما يدعم جلالته فقلت «ولئن جاز لاهل البسطة السياسية والتوسع الاقتصادي ان يتوسلوا بمثل هذه الوسائل الجنائية — من تحريك الاقليات الدينية — لتحقيق غاياتهم المادية فمن دواعي الحزن والاسى ان ترضى بعض تلك الاقليات ان تكون مطايا المنافع الاستعمارية الحقيرة ، ومن عادة اوربا ان تعترف بالامر الواقع متى كانت هنالك قوة تدعمه ، وان جواب مصطفى كمال باشا للورد كرزن في مؤتمر لوزان عن الاقلية اليونانية في الاناضول معروف لدى جلالتكم . ولنا عبرة بالغة من سيرة الملك امانـ الله فهو مصلح ومجدد وطافح بالاخلاص

ولكنه بدأ عمله معكوساً فبدلاً من ان يبدأ بالقوة ليباشر الاصلاح باشر الاصلاح من غير قوة فاخفق اخفاقاً مريعاً». هنا استوقفني المليك العظيم قائلاً ويكاد كل عضو في وجهه ينطق «كن مطمئنًّا فسترى جيشنا في العام المقبل مؤلفاً من اربع . . . . (وذكر كلمة لم تبق في بالي) وهو على اتم نظام واحسن عتاد واهل لتحقيق الغاية الكبرى التي وضعناها نصب عيوننا». وقد سرّني هذا الجواب منه كثيراً لانه دلّني على ان هذه الاختبارات المديدة الأليمة اقنعته ان القوة ولو لم تستعمل هي شرط — في اكثر الأحيان جوهري — لنجاح السياسة والكياسة. ثم ذكر فلسطين فقال انها قلب البلدان العربية وموضع حرمتها واجلالها وذكر سورية بتلهف شديد ثم بدت على وجهه ابتسامة شرحت لي ما في اعماق نفسه وقال «لقد اعطتنا فرنسا بما اقدمت عليه في الفتنة الأشورية فرصة لفتح القضية السورية على مصراعيها وسيسمع العالم في الشهر الحاضر حجة العراق في الدفاع عن مصالحه ومصالحها المشتركة فهما قطران يتمم الواحد منهما الآخر» فقلت بل العراق من غير سورية قصر بلا باب وسوريا من غير العراق باب بلا قصر

ولما انتصف الليل قمنا وتصافحنا وكلنا أمل، ولم يدر في خلدي ان تلك الجلسة كانت آخر جلساتنا وختام جلساته في الشرق

ومما لاشك فيه مطلقاً ان اطفاء الفتنة الاشورية بهذه السرعة وهذا الحزم زاده مقاماً في أعين اهل العراق وسائر البلدان العربية وقوّى الروابط بينه وبين رعيته فلما نزل به القضاء المبرم كان بالغاً ذروة المجد فلا عجب ان تصعق البلاد لنعيه المفاجىء وان يعد فقده كارثة عربية قومية من الطبقة الأولى

ان آخر جملة نطق بها وهو يجود بنفسه على فراش الموت قوله «أنا مرتاح. قمت بواجبي خدمت الامة بكل قواي، ليسر الشعب بعدي بقوة واتحاد» اما نحن فلسنا مرتاحين لأننا دفنا في اللحد الذي توارى فيه حلماً ذهبيًّا عظيماً عشنا على امل تحقيقه كل هذه السنين الطوال

للشاعر على محمود طه

قلبي !

كالنجم في خفق وفي ومض　　متفرداً بعوالم السدم
حيران يتبع حيرة الارض　　ومصارع الايام والامم

مستوحشاً في الافق منفردا　　وكأنه في سامر الشهب
هذا الزحام حياله احتشدا　　هو عنه ناء جدُّ مغترب

مترنحاً كالشارب الثمل　　ريان من بهج ومن حزن
نشوان من الم ومن امل　　مستهزئاً بالكون والزمن

تلك السماء على جوانبه　　بحرُ الحياة الفائر الزبد
كم راح يلتمس القرار به　　هيمان بين شواطىء الابد

تهفو على الامواج صورته　　وشعاعه اللماح في الغور
نفذت الى الاعماق نظرته　　فاذا الحياة جليةُ السر

ويمر بالاحداث مبتسما　　كالشمس حين يلفها الغيم
زادته علماً بالذي علما　　دنيا تناهى عندها الوهم

بلغ الروائع من حقائقها … السعادة توأم الجهل
هتف … زيسة الليل

يا قلب　　لا يحسونا
لولا ا…　　لا يطلونا
فاصفح　　الآدميينا
اتريدهم　　النبيينا !

هم عالم في غيه يمضي مستغرقاً في الحمأة الدنيا
نزلوا قرارة هذه الارض وسموت انت القمة العليا

عبّاد اوهام وما عبدوا إلاّ حقير منى وغايات
ومناك ليس يحدّها الابدُ دنيا وراء اللانهايات

ولك الحياة دنىً وأكوان عزّت معارجها على الراقي
تحيا بها وتبيد ازمان وشبابها المتجدد الباقي

يا قلب: كم من رائع الحلك القاك في بحر من الرعب
كم عذت منه بقبة الفلك وصرخت وحدك فيه يا قلبي!

ومضيت تضرب في غياهبه وترد عنك المائج الصخبا
تترقب البرق المطيف به وتسائل الانواء والسحبا

وخفقت تحت دجاه من وجل كالطير تحت الخنجر الصلت
وعرفت بين اليأس والامل صحو الحياة وسكرة الموت

يا قلب: عندك اي اسرار ما زلن في نشر وفي طيّ
يا ثورة مشبوبة النار اقلقت جسم الكائن الحي

حملته العبء الذي فرقت منه الجبال واشفقت رهبا
وأثرت منه الروح فانطلقت تحسو الحميم وتأكل اللهبا

وملأت سفر المجد من عجب وخلقت ابطالاً من العدم
وعلى حديثك في فم الحقب سمة الخلود ونفحة القدم

كم من عجائب فيكَ للبشر اخذتهمو منها الفجاءات
متنبئاً بالغيب والقدر وعجيبة تلك النبوءات

وعجبت منك ومن ابائك في   اسر الجمال وربقة الحب
وتلفُّت المتكبر الصلف   عن ذلة المقهور في الحرب

يا حرُّ : كيف قبلت شرعته   وقنعت منه براد مأسور
آثرت في الاغلال طلعته   وأبيت منه فكاك مهجور

فاذا جفاك الهاجر الناسي   وقسا عليك المشفق الحدب
فاضت بدمعك فورة الكاس   وهفت بكفك وهي تضطرب

وفزعت للاحلام والذكر   تبكي وتنشد رجعة الامس
ووددت لو حكّمت في القدر   لتعيد سيرتها من الرمس

ووهمت ناراً ذات اومضاض   فبسطت كفك نحوها فزعا
مرت بعينك لمحة الماضي   فوثبت تمسك بارقاً لمعا

وصحوت من وهم ومن خبل   فاذا جراحك كلهن دم
لجّت عليك مرارة الفشل   ومشى يحزُّ وتينك الالم

والارض ضاق فضاؤها الرحب   وخلت ، فلا اهل ولا سكن
حال الهوى ، وتفرق الصحب   وبقيت وحدك انت والزمن

وصرخت حين اجنَّك الليل   متمرداً تجتاحك النار
وبدا صراعك انت والعقل   ولأنتما بحر وإعصار

ما بين سلمكما وحربكما   كونٌ يبين ويختفي كونُ
وبنيتما الدنيا وحسبكما   دنيا يقيم بناءها الفنُّ

مصطلحات علم النفس

ومشكلة تعريبها ونقلها الى العربية

للدكتور مظهر سعيد
استاذ علم النفس في معهد التربية وكلية اصول الدين

مقدمة في نشأة علم النفس وتطوره

لو نظر الانسان بعين الانصاف الى كل علم من العلوم الانسانية . من حيث نشأتهِ وتطوره وتقدمهِ في ميدانه . وما وصل اليهِ في حاضره وما يرجى لهُ في مستقبله . ثم مبلغ اثره في الحياة وتقدم العالم . وقابل بينهُ وبين سائر العلوم . وحدد لهُ قيمتهُ النسبية ليحلَّهُ بينها محله اللائق له وسعهُ الاَّ ان ينظر الى علم النفس الحديث غير نظرته اليها جميعها . فهو على حداثة عهده وصغر سنه من اجلّها شأناً واقدمها تاريخاً واعرقها اصلاً واسرعها سيراً نحو الرقي واعمقها اثراً في حياة الافراد والجماعات واكثرها انتاجاً — الاَّ انهُ على الرغم مما وصل اليه في مادته وموضوعاته ومباحثه من الدقة والنظام فهو من حيث اساليبه وتراكيبهِ ومصطلحاتهِ لايزال اقلها دقةً ونظاماً وتحديداً للمعنى وربطاً للفظ . واصعبها في النقل ليس من اللغات الاجنبية الى اللغات الشرقية — وخاصة العربية التي لم تعرف شيئاً عن هذا العلم الحديث قبل القرن العشرين — فحسب بل ومن لغة اجنبية حية الى لغة اجنبية اخرى . حتى دعت الحال في اوربا الى عقد مؤتمر عام منذ سنين قلائل للنظر في تحديد مصطلحاته او وضع مصطلحات لاتينية ثابتة تعمم في كل اللغات اسوةً بالطب وغيره من العلوم ذات المصطلحات المضبوطة . ذلك لانهُ نشأ في فجر التاريخ مع الانسان الاول بين احضان امه الفلسفة . وقضى طفولته سابحاً في سماء الخيال مخترقاً حجاب المادة . فكان يحدّثنا عن الروح والنفس وملكاتها والعقل ودرجاته والالهام والوحي والفطرة . وغيرهذه من الامور التي شغلت عقول الفلاسفة وافهام جبابرة المفكرين حيناً من الدهر ثم ثبت بطلانها وعفت آثارها ولم يبق لها شبر واحد في ارض العلم الحديث . وظلَّ في حداثته يتبع اثرها اينما سارت في ميدان الدين والاخلاق والمنطق والجمال والمعرفة تارةً . والطبيعة وما وراءها تارةً أخرى : وكان طبيعيًّا أن يستخدم في لغته التي يعبر بها المشتغلون فيهِ من الاقدمين عن آرائهم بنفس ما لهذه العلوم من أساليب وتراكيب ومصطلحات . وان تبقى لهذه المصطلحات معانيها الفلسفية وصيغها القديمة ما دام قاصراً في كنف الفلسفة .

وما وافى القرن التاسع عشر على تمامهِ حتى كان قد بلغ أشده . وظهرت شخصيته وتحرر من نير امه الفلسفة الكلاسيكية واتخذ لنفسه طريقاً خاصة للبحث . ووسائل للتنقيب والتحليل . وتناول مصطلحاته القديمة بين التهذيب فاحتفظ بمدلولات بعضها ومعانيها وحوّل البعض الآخر تحويلاً اخرجها عن معناها القديم . وأخذ يتبوأ مكانته من العلوم الاخرى على مهل في اسلوبه الجديد . واذا به يطفر في القرن العشرين طفرة واحدة يزاحم فيها الطبيعة والكيمياء وعلوم الحياة يأخذ منها مبضعها وجهازها وآلتها . ومن الرياضة طرقها وأساليبها واقيستها ومعادلاتها . وامتدت يده الى التجارة والصناعة والفن والعلم والطب والادب والاجتماع والتقدم والاختراع . وحلَّ ضيفاً على موائدها يتخير من ألفاظها ومصطلحاتها وأساليبها ما يوافقه فيضمه الى قاموسه وموسوعته . وكثر الباحثون وتعددت المدارس وتشعبت نواحي البحث وظهرت الى عالم الوجود مظاهر جديدة للعقل لم تكن معروفة من قبل . بادر العلماء الى وضع مصطلحات جديدة لها لم توضع في قواميس اللغة بعد . حتى صار لكل عالم وكل مدرسة مصطلحات جديدة لا يفهمها غير الدارس لمباحث هذه المدارس . المتتبع لتطورات العلم . وكذلك صارت لغة هذا العلم خليطاً غريباً من كل صنف من فلسفي قديم ينوء تحت عظمة مجده وتاريخه القديم . الى دخيل من علوم اخرى لم ترد عاريته بعد . الى حديث لم يجف مداده

وغرضنا في العجالة الآتية ان نعرض نماذج تخيرناها من ألوف مصطلحات هذا العلم في اللغة الانكليزية ومثلها كثير في كل لغة من اللغات الاوربية . يصعب تحديد معناها بكلمة عربية واحدة . ويشق نقلها وتعريبها على المترجم الذي يعتمد على قواميس اللغة ومعاجمها والفاظها المثبتة فيها من غير ان يدرس كل فروع علم النفس دراسة محكمة مستفيضة ويتتبع تطور مصطلحاته . وأنا مدين بالفضل كل الفضل لزوجتي السيدة نظلة الحكيم سعيد في تحضير هذه النماذج ووضع القاموس التي سنتناول بعضاً منها في المقالات المقبلة ان شاء الله

اللغة

١ — كلمات تعطيها قواميس اللغة معاني متعددة . ويستخدمها الكتاب والادباء وكذلك علماء النفس بطريقة مضطربة غير محدودة تجعل فهمها وتحديد معناها عسيراً على الطالب المبتدىء والقارىء العادي والمترجم حتى اضطرَّ الكثير من العلماء المحدثين الى اغفالها بتاتاً في كتاباتهم او تحديد معناها تحديداً يجعلهُ واضحاً كلَّ الوضوح اذا اضطرتهم الضرورة لاستعمالها فكلمة Feeling مثلاً تطلق على الاحساس (اللمسي وغيره) والشعور الداخلي وما يتوقع حصوله والتأثر والانفعال والاعتقاد . وقد قصرها المحدثون على الوجدان او الشعور الباطن بالانفعال وهم مع هذا التحديد يفضلون عليها كلمة affection

٢ — كلمات لها علاوة على معناها اللغوي العام في علم النفس معنى آخر خاص بمدرسة

من المدارس تفهم به في جميع مباحثها ومؤلفاتها لا غير . فكلمة insight تفيد على وجه العموم وفي معظم مؤلفات علم النفس التعليمي معنى التبصر في عواقب الامور (اوكما يقال القراءة بين السطور) والمعرفة عن طريق الالهام والوحي كمرادف لكلمة intuition — وبعد النظر — ولكنها في مدرسة جشتالت الالمانية الحديثة وحدها تفيد ادراك العقل لمعنى الموقف او التشكيلة Pattern التي تواجه الانسان من عناصرها التي تتكوّن منها — وبعبارة اخرى انتزاع المعنى النفسي من العناصر الشيئية حتى اصبحت هذه المدرسة تعرف باسم Insight School او Gestalt

٣ — كلمات معناها اللغوي العام لا يدل على معناها السيكولوجي الخاص بوجه من الوجوه فكلمة Complex معناها العام معقد او مركب اما في علم النفس فتدل على مجموعة الانفعالات المكبوتة او التجارب المؤلمة والحوادث المنسية التي تنحدر الى اللاشعور فتكوّن هناك عقدة نفسية خطيرة تهدد كيان التوازن العصبي

٤ — كلمات بين معناها العام والخاص وجه شبه ولكنهُ ضعيف جدًّا لا يكفي لتوضيح معناها في علم النفس فكلمة Affection معناها العام مؤثر او فعّال . وتطلق بالمعنى الخاص على الامور الوجدانية (التأثر الوجداني)

٥ — كلمات لها في علم النفس معناها العام اذا ذكرت وحدها اما اذا ارتبطت بكلمة اخرى لها هي الأخرى معنى عام اصبح لهما معنى خاص يدل على شيء معين بالذات فكلمتا Analytic تحليلي و Scale مقياس معناها مجتمعتين Analytic scale مقياس خاص من المقاييس المقننة في علم النفس لتحليل الخط والكتابة فقط

٦ — كلمات تعتبر مترادفات في قواميس اللغة ولكن لكل منها في علم النفس معنى خاصًّا دقيقاً فكلمات Tendency و Disposition, و Aptitude, ومعناها كلها نزعة او استعداد. اما في علم النفس فكل منها يدل على استعداد خاص له ميزاته عن باقي الاستعدادات

٣ — الفلسفة

٧ — كلمات انحدرت الى علم النفس من الفلسفة ثم تغير معناها بتغير وجهة نظر علم النفس في الشيء الذي كانت تطلق عليه سابقاً . فكلمة abulia او aboulia تفيد الآن معنى ضعف النفس او تشتت الانتباه وكانت اصلاً في الفلسفة ضعف النفس وقت ان كان علماء النفس لا ينكرون وجود النفس

٨ — كلمات لها في علم النفس معناها الفلسفي واضيف اليها معنى آخر يكمل ما كشفهُ علم النفس من النقص في وجهة النظر الاولى فكلمة aesthetic بعد ان تغيرت وجهة النظر من الناحية الموضوعية او الشيئية في ادراك الأشياء الى الناحية النفسية الفاعلية على اعتبار ان

العقل لا الشيء ذاته هو الاصل في الادراك اصبحت تفيد : التقدير النفساني للجمال . او ما تراه النفس في الشيء من جمال بحسب تقديرها هي . لا جمال الشيء في ذاته بصرف النظر عن الناحية النفسية المتغيرة كما هو الحال في الفلسفة وعلم الجمال

٣ — المنطق

٩ — كلمات أخذت اصلاً من المنطق واحتفظت بمعناها ثم استخدمت في معنى آخر جديد لا صلة له بالمعنى المنطقي Anomalous معناها في المنطق : كل ما هو غير قياسي او خارج على القاعدة او شاذ . ثم من ناحية اخرى تطلق في علم النفس على الاشخاص الذين لا يتأثرون باللونين الأخضر والأحمر بالذات من مجموعة الالوان بنسبة واحدة . وكذلك على نفس الالوان على اعتبار انها عرضة لهذا النوع من الخطإ في التمييز

١٠ — كلمات تشير الى عمليات عقلية لها في العلمين على وجه العموم اعتبار واحد . ثم تعدلت في رأي مدرسة من المدارس السيكولوجية . فكلمة Judgment كانت ولا تزال في معظم مدارس علم النفس تدل على الحكم بمعناه المنطقي (اثبات شيء لشيء او نفيه عنه) ولكنها في تعاليم مدرسة ديوى الحديثة لاتطلق الاّ على آخر مرحلة في التفكير او التعليل. فلا يكون هناك حكم الاّ اذا تضاربت الآراء في مسألة وفوضل بينها ثم اختير اصلحها . فجملة (الشمس طالعة) هي حكم في المنطق ولكنها لا تكون كذلك في رأي ديوى الاّ اذا كان فيها خلاف ثم ثبت طلوعها

٤ — الطبيعة

١١ — كلمات اخذت من الطبيعة والعلوم الفيزيقية . ثم حدّد معناها لمناسبة جديدة او اعتبار لا تراعيه الطبيعة فكلمتا accoumeter , andiometer تدلان في الطبيعة على جهاز قياس حدة الصوت او السمع على حد سواء . ولكن في علم النفس التجريبي يقصر الاول على حدة السمع والثاني على حدة الصوت للتمييز بينهما

٥ — الطب ووظائف الأعضاء

١٢ — كلمات اخذت من الطب وتحولت الى معنى خاص ولا تزال تستخدم في الطب بالمعنى الاصلي الذي لا يحدد ما يقصده علم النفس الحديث . بل قد تتطور فيه من طريق آخر فيصبح لهـا معنى طبيّ جديد يخالف المعنى السيكولوجي . فكلمة acatalepsis او acatalepsia يقصد بها عامة نقصان العقل او عدم الفهم والارتياب — ومعناها الطبي الخاص التردد في تشخيص المرض . اما معناها السيكولوجي فاساءة الفهم او تشويش الادراك الذي يكون سببه الوظيفي سوء الظن والتشكك وضعف الاستعداد لقبول القضايا على علاتها والتسليم بالبديهيات

۱۳ — كلمات تدل على عاهات عقلية او بدنية . اغفل معناها الطبي العنصر العقلي منها ولم يميزه عن العنصر الفزيولوجي او العضوي مع عظم شأنه . ولما كشفت المباحث النفسية الحديثة عن طبيعتها وردتها الى الظواهر العقلية او طبيعة الاسباب النفسية (لا الموضوعية) تغير معناها فأصبح مخالفاً للمعنى الطبي . Accousmatognosis يقصد بها الطب عدم تمييز الاصوات ذاتها اي المؤثرات الصوتية الفيزيقية من الناحية الحسية العرفية . من حيث الاصوات ذاتها او مسبباتها . أما معناها الدقيق في علم النفس فهو عدم القدرة على تمييز المدركات الصوتية مع سماعها وتمييزها بعضها عن بعض كمجرد اصوات . اي ان الصوت يسمع ويميز ولكن لا يفهم معناه ان كان جملة او كلمة فهو ضعف ادراك المعنى لا ضعف احساس بصوت

١٤ — اسماء الامراض العصبية التي تسببها احوال البيئة والمدنية المتغيرة ويبقى معناها الطبي كما وضع اول مرة مشيراً الى سبب المرض كما شخصه وعرفه الاطباء قديماً . وكان هذا السبب صحيحاً في ذاته او كان هو السبب الوحيد وقتئذ ثم قلّ اجتهاد الاطباء في درسه وانتقل البحث الى ميدان علم النفس فوجد علماؤه من تطور اسباب هذا المرض ان السبب القديم قد زال وانقرض وحلّ محله سبب جديد من دواعي المدنية الحاضرة يستدعي تغييراً جوهريًّا في ترجمته او نقله الى العربية . والرجوع فيه الى التفسير الطبي او الكتب التي لم يدرس واضعوها علم النفس لا يفيد . فكلمة — amaxaphobia — معناها الاصلي عند بدء اشتقاقها ونحتها — الخوف من ركوب العربات (ذات الخيل مثلاً) . أما الآن فتفيد الخوف من ركوب وسائل النقل الميكانيكية التي يخشى سائقها ان تفلت قيادة الآلة من يده لسبب ما فيعرض نفسهُ للهلاك . او ادارة الماكنات والآلات التي يكون الانسان تحت رحمتها

١٥ — مأخوذة من علم وظائف الاعضاء وقد يقبل معناها العام كما هو ولكن يستحسن المحدثون ان يقصر معناها في علم النفس على ناحية خاصة . فكلمة aesthesia تطلق على جميع الاحساسات التي يقوم بها سطح الجلد . وتقصر الآن على الاحساس اللمسي الصرف (لا احساس الحرارة والثقل والألم)

٦ — اللغات الاجنبية

١٦ — كلمات من لغة اجنبية (هي في الغالب الالمانية) عمَّ استعمالها في سائر اللغات الاوربية لانها تفيد معنىً دقيقاً يراد الاحتفاظ بهِ . فكلمة anschaung مثلاً استخدمها بستالوتزى للدلالة على الادراك الحسي المباشر او معرفة الانسان للامور بنفسه مباشرة وبنى عليها طريقته في التعليم المباشر ومثلها Aussage تطلق على شهادة الشهود وتقرير الوقائع والتجارب التي تجري فيها

١٧ — كلمة من لغة اجنبية لها مقابلتها في لغة اخرى ولكنها تدل على معنى أدق من وجهة النظر السيكولوجية فتستخدم الاجنبية بدلاً من الاصلية فكلمة anxiety الانكليزية تستخدم عند الاشارة الى مجرد القلق النفسي او الحيرة فاذا قصد القلق الشديد المشوب بالخوف او توقع الضرر والاذى استخدمت كلمة angst الالمانية

١٨ — كلمات موجودة بذاتها في اكثر من لغة واحدة ولكنها لا تدل على نفس المعنى المحدود او تكون لها معانٍ مختلفة فكلمة Sentiment معناها بالفرنسية عاطفة وشعور ووجدان وميل واحساس . أما في الانجليزية فمعناها عاطفة لا غير

٧ — علم النفس

١٩ — كلمات كانت اصيلة في علم النفس لها معناها اللغوي العام ولكنها الآن اصبحت في حكم المقتصرة على معنى خاص عرفت بهِ او اصطلح عليهِ او كثر استعمالها فيهِ فتدل عليهِ ولو ذكرت وحدها من دون تمييز. فكلمة achievement تفيد على وجه العموم : التحصيل او القيام بأي عمل تحصل منه نتيجة ويتحقق الغرض الذي قصد منه ولكنها أصبحت منذ زمن قصير وقفاً على التحصيل المدرسي او ما يحصله التلميذ ويتلقاه في المدرسة من العلوم كمرادف لكلمة Scholastic attainment . وكذلك الكثير من مركباتها تفهم منها الأُمور المدرسية الخاصة ولو لم تذكر معها كلمة scholastic فعبارة achievement tests يفهم منها اختبارات التحصيل المدرسي — لقياس مقدار ماحصله كل تلميذ في سن خاصة أو فرقة دراسية على أساس المتوسط المقنن المقدر لهذه الفرقة او التلاميذ الذين يكونون في هذا السن — لا مطلق التحصيل . وكذلك كلمة Eduction معناها العام انتزاع شيء من اشياء او استنباط رأي من مقدمات . ولكنها أصبحت الآن اذا ذكرت من غير تمييز تطلق على عملية استنباط العلاقات بين الاشياء والمواقف بناء على قوانين العلامة الانجليزي سپيرمان في الادراك

٢٠ — كلمات تختلف المدارس السيكولوجية في تحديد معناها وماتشير اليه . وقد تختلف كل معانيها السيكولوجية عن المعنى اللغوي العام. فكلمة affection تفيد لغةً الحنو او العطف الذي هو مظهر من مظاهر عاطفة الحب. وعند المدارس القديمة كانها المظهر الوجداني للوجود بكل حالاته من انفعال وعاطفة وتأثر وشعور باطني وتعبير خارجي. والمدارس الحديثة تقصرها على الشعور النفساني الداخلي بالانفعال لا على المظهر الخارجي الذي يبدو على الانسان وهو منفعل

٢١ — كلمات سيكولوجية لها معنيان عام وخاص قد لا يكون بينهما وجه شبه كبير فكلمة Presentation بالمعنى العام تفيد مطلق وجود الأشياء او المؤثرات او ايجادها امام الانسان حتى يتعلق شعوره بها . وبالمعنى الخاص في عبارة Presentation Theory تدل على

نظرية الادراك القائلة بأن حضور المؤثرات امام العقل يدفعه الى ادراكها اي ان الوجود الشيئي هو اساس الادراك — المعارضة لنظرية Descartes النفسية

٢٢ — كلمات سيكولوجية بحتة ولكنها قليلة الاستعمال ولا توجد في قواميس اللغة ولذلك يحار الانسان في فهم معناها ان لم يكن قد تتبعها في البحوث الخاصة بها . فكلمة Perseveration تدل على ظاهرة رجوع العادة القديمة وظهور اثرها فجأة وفي فترات متقطعة غير منتظمة في العادة الجديدة التي يكتسبها الانسان كوسيلة للخروج عن العادة الاولى . لانّ النزعات والعادات القديمة اذا بطل استعمالها تحاول ان تثبت وجودها في قرارة النفس . وهذا المعنى فيه وجه شبه ضعيف بينها وبين الكلمة العادية القريبة منها وهي Perseverance أي المثابرة

٢٣ — كلمات متعددة وضعها علماء مختلفون في عصر واحد للدلالة على شيء واحد ولم يتفقوا بعد على تعميم واحدة منها . فالعلامة فرويد يستخدم كلمة libido وبرجسون كلمة élan vital وماكدوجل كلمة hormé للدلالة على النشاط الغريزي الحيوي الذي يدفع الانسان الى كافة التصرفات الغريزية وان كان فرويد قد بدأ يقصرها على الغرائز الجنسية sexual

٢٤ — كلمات شائعة الاستعمال جدًّا في علم النفس والفلسفة والتربية ولكنها مع هذا ليس لها معنى واحد ثابت يمكن نقله الى العربية في كلمة واحدة لان كل مدرسة من مدارس علم النفس الحديث والقديم على السواء تفسرها تفسيراً خاصًّا قد لا يتفق مع الأصل الذي اشتقت منه الكلمة لو اريد استخدامه عند الترجمة . فكلمة apperception استخدمها ليبنتز باديء ذي بدء للدلالة على الادراك الحسي الشعوري conscious perception وبعبارة أخرى ادراك الحقائق الاولية والضرورية (كذا) والافكار الواضحة في مجال الشعور — والفيلسوف كانت للدلالة على النشاط الذاتي او النفسي الذي هو في رأيه اكبر محدد للعمليات العقلية وخصوصاً عملية الادراك — وهربارت لتحديد الامور الشعورية الحاضرة عن طريق الشعور ذاته ، والعوامل الكائنة بالفعل التي تحدد ما يدخل الذهن من المواقف الجديدة — وفنط الالماني يجمع بين الرأيين فيعتبرها العملية التي بمقتضاها توضح لنا مدركاتنا القديمة مواقفنا الحاضرة الجديدة — وستاوت الانكليزي يضيف الى ذلك تنظيم معلوماتنا القديمة في مجموعات تسيطر على كل اعمالنا العقلية — والمحدثون وعلى رأسهم ماكدوجل يطلقونها على تثبيت المدركات الجديدة بعد اعطائها معنىً محدوداً بأدماجها عن طريق التمثيل assimilation فيما يماثلها او يمت اليها بصلة من اجزاء كتلة المدركات القديمة

٢٥ — كلمات لها في علم النفس عدة معان خاصة كل منها يخالف المعاني الاخرى واستعماله

صحيح في كل حالة ويفهم معناهُ بما يشير اليهِ فكلمة induction تطلق في التفكير على الاستقراء، وفي الاحساس البصري على امتصاص مناطق الالوان في العين كلٌّ للون الذي يخصها وطرد الباقي وفي الجهاز العصبي على توصيل المجامع العصبية لبعض الرسائل، وفي المشاركة الوجدانية على انتقال الشعور من فرد لآخر بطريقة غير محسوسة

٨ — كلمات جديدة

٢٦ — كلمات وضعها بعض العلماء حديثاً ولم تثبت في القواميس بعد . ولا يفهم معناها مباشرةً من اصولها اللاتينية او اليونانية التي اشتقت منها. فكلمة abience مثلاً وضعها هولت للدلالة على النزعة الطبيعية لتجنب زيادة التهيج العصبي الى اكثر من الدرجة المحتملة التي اذا تخطاها الانسان اختلَّ نظام اعصابهِ . ولا شأن لها بالكلمتين abeiance او abeyance اللتين تفيدان حالة الانتظار او الايقاف والوقف والعمل الموقوف

٢٧ — كلمات مركبة تدل على معنى خاص لا يفهم من منطوقها العام او من ترجمة اجزائها فكلمة actograph تدل على جهاز قياس النشاط الحيواني(للحيوان فقط وليس للانسان)— ولا تدل على تدوين الفعل او تسجيله كما يفهم من كلمتي acto و graph كل على حدة

٢٨ — كلمات جديدة اشتقت من كلمات قديمة معروفة باضافة مقطع اليها. وتركيبها لا يفهم منهُ معناها الدقيق الذي وضعت الكلمة من أجله . فكلمة abreaction وضعها فرويد للدلالة على عملية انطلاق الطاقة الانفعالية المكبوتة للتنفيس عنها والتخلص من العناصر المصاحبة للتجربة المكبوتة السابقة التي تسبب قلقاً عصبيًّا لا شعوريًّا. ولا يقصد بها التصرف الشعوري الذي يكون الغرض منهُ الابتعاد عن الموقف الحاضر كما يفهم من الكلمة الاصلية reaction والمقطع الذي اضيف اليها ab

٢٩ — كلمات وضعت لتدل على طريقة خاصة او جهاز او تجربة وكان لا يفهم معناها من منطوقها وانما بدراسة موضوعها الخاص . فكلمة Foot-Rule تطلق على معادلة خاصة من معادلات سبيرمان الرياضية لقياس معامل الارتباط بين متغيرين . وكذلك كلمة Affect وضعها العلامة الالماني فنط للدلالة على الانفعالات التي يصحبها تهيج بدني كبير واضطراب في العمليات العقلية

٣٠ — كلمات وضعت حديثاً نسبة الى علماء مخصوصين لتدل على طرق خاصة بهم فلا يفهم معناها الاَّ بدراسة هذه الطرق فكلمة Freudism نسبة الى Freud تدل على طريقة هذا العالم الخاصة في معالجة الاضطرابات العصبية بالتحليل النفساني

أنشودة الفجر

لبشر فارس

أذَّن الديكُ فهُبّي يا حبيبي من رُقادِكْ
واجمعي بالَكِ للكوْنِ وأصغي بفؤادِكْ
إنَّ للكوْنِ صلاةً لم تقمْ عند اعتقادِكْ

***

رنَّم الجدْوَلُ فامتدَّ م الصدى حتى حجابِكْ
همهمت ريح الصبا ثمَّ توارت خلف بابِكْ
سقسق العصفورُ ما سَقسقَ همساً في وسادِكْ

***

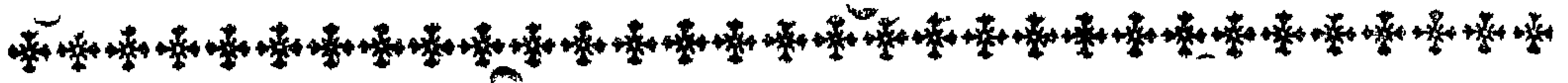
بَثَّت الزهرُ شذاها فاستوى طيّ إزارِكْ
ذرّت الشمسُ فأغضى قرنها دون ستارِكْ[1]
نوَّر الوادي فجلَّ وحشة حول انفرادِكْ

***

أومأ الفجرُ أنِ الحسنُ انتهى عند دلالِكْ
ردَّد الكونُ صلاةً سرُّها سرّ جلالِكْ
يا حبيبي كلُّ ما في الكونِ من بعض عبادِكْ

---

(١) ذرت الشمس ذروراً : بدا قرنها



رسالة الاشعة الكونية

وهل هي ذرات او امواج



قيل ان درس الاشعة الكونية متفرد في علم الطبيعة الحديث بدقة مشاهداته، وعظمة نتائجه . فعلماء الطبيعة يعتقدون انهذه الاشعة تنقل اليهم رسالة خطيرة . تكون حاملة في طياتها انباء نشوء العالم او اسرار بناء المادة في نواة الذرة . فهم لذلك معنيون الآن بحل الرموزالتي كتبت بها هذه الرسالة الخطيرة

كيف يكشف عن الاشعة الكونية وكيف تقاس ؟ الطريقة الاولى هي قياس مقدرة الهواء على ايصال الكهربائية . ففي التجارب التي يجربها الاستاذ كمطن — وعنهُ لخصنا هذا المقال — تستعمل كرة من الصلب ، قطرها بضع بوصات يملأها غاز الارغون مضغوطاً ضغطاً عالياً . فالاشعة الكونية اذ تخترق هذا الغاز تجعله قابلاً بعض الشيء لايصال الكهربائية . والتيار الكهربائي الضئيل الذي يخترقه يقاس بالكترومتر electrometer شديد الاحساس . ولكن الاشعة المنطلقة من الراديوم وغيره من العناصر المشعة، تفعل بالغاز فعل الاشعة الكونية لذلك تحاط كرة الصلب ، بغلاف كثيف من الرصاص لانه يحجب اشعة الراديوم واشباهها

فاذا اخذت هذه الكرة ، يحيط بها غلاف رصاصي، الى نفق عميق ، فالغاز الذي فيها لا يوصل الكهربائية قط . ولكن اذا ظلت الكرة على سطح الارض ، لوحظ ان تياراً ضئيلاً يخترقه ، ويمكن قياس هذا التيار . وسبب ذلك الاشعة الكونية . فاذا نقلت الكرة كما هي الى قمة جبلٍ ، او رفعت في الجو بمنطادٍ ، زاد التيار الذي يخترق الغاز،وهذا يثبت انالاشعة الكونية التي تفعل بالغاز فتجعله قابلاً لايصال الكهربائية اقوى في الجو منها على سطح الارض

وفي شهر يوليو سنة ١٩٣٢ ذهب الاستاذ كمطن واعوانه الى بلاد بيرو لان فيها سكة حديدية تخترق الجبال. وعند اعلى نقطة تبلغها السكة الحديدية ، حفر نفق يخترق الجبل ويبلغ ارتفاعه ثلاثة اميال عن سطح البحر . فلما نقلت الكرة المصنوعة خاصة لقياس الاشعة الكونية بالطريقة المتقدمة ، الى داخل النفق كاد اثرالاشعة الكونيةفي غازالارغون لايدرك حتى بأدق الآلات واشدها احساساً . فلما خرجوا بها الى خارج النفق بدا اثر الاشعة الكونية جليّاً في التيار الذي يخترق غاز الارغون

***

وثمة طريقة اخرى لكشف الاشعة الكونية تعرف بطريقة «انبوب الاحصاء» . وهذا

الانبوب كرة زجاجية — وقد تكون مستطيلة — يملأها غاز لا يوصل الكهربائية في حالته السويّة، فاذا فعلت به الاشعة الكونية اصبح موصلاً للتيار الكهربائي . ولكن بدلاً من ان يقاس التيار الذي يخترق الغاز بالالكترومتر ، يقوّى التيار مليون مليون ضعف ثم يمرّ في مكبر للصوت ، فكلما اخترقت الانبوب شعاعة من الاشعة الكونية سمعت نبرة معينة في مكبّر الصوت . والغالب انه اذا جربّت هذه الطريقة في احد المعامل الطبيعية العادية ، كان عدد النبرات التي تسمع في البوق تتباين من ١٠ نبرات الى ١٥ نبرة في الدقيقة الواحدة . واكثر هذه النبرات سببها الاشعة الكونية ، القادمة الينا من خارج كرة الارض، بل ليس يعلم احد عدد سني الضوء التي قطعتها في اجتيازها رحاب الكون

ومن اهم الصفات التي تتصف بها هذه الاشعة العجيبة قدرتها على نفوذ الأجسام . فنحن نعلم ان الاشعة السينية (اشعة اكس) تستطيع اختراق الاجسام المادية ، فتخترق كف الانسان او جسمهُ ، ولا تخترق عظامه فيبدو الهيكل العظمي في صورة للجسم صوّرت بالاشعة السينية . ولكن طبقة من الماء سمكها بوصة واحدة تحجب نصف شعاعة من اشعة اكس ، فلا تستطيع ان تخترق طبقة من الماء سمكها بوصةً مثلاً . ثم ان طبقة من الماء سمكها قدم واحدة تستطيع ان تحجب نصف شعاعة من اشعة غمّا . ولكننا نحتاج الى طبقة من الماء سمكها عشرون قدماً لكي نحجب نصف شعاعة من الاشعة الكونية . وهذه القدرة على نفوذ الاجسام المادية تمكنها من اختراق غلاف الارض الهوائي ، وسقوف المباني وجدرانها ، وتؤثر في الآلات المعدّة لقياسها ، مع ان هذه الآلات مغلفة باغشية كثيفة من الرصاص

***

وقد اتجهت انظار العلماء والعامة ، الى خطورة البحث في هذه الاشعة ، لما اقترح الاستاذ ملكن نظريته الخاصة بتعليل اصلها ، من نحو سبع سنوات . فقد بنى الاستاذ ملكن على ان الاشعة الكونية تنشا او تتولد في رحاب الفضاء بين النجوم اذ تتكون ذرات العناصر الثقيلة من ذرات العناصر الخفيفة . واتى بادلة تشير الى ان هذا التولد انما هو مرحلة واحدة من مراحل التكوّن والفناء في الكون ، سائرين في حلقة مفرغة

فيجدر بنا ان نقف هنيهة عند هذا الرأي ثم نتخطاه الى البحث في الآراء الاخرى التي اقترحت لتعليل نشأة هذه الاشعة

فقد بنى ملكن نظريتهُ على ان الاشعة الكونية هي اشعاعات كهرطيسية ، او فوتونات، من قبيل الاشعة السينية واشعة غمّا ، انما هي اقصر من هؤلاء امواجاً واشدُّ نفوذاً للاجسام. وكان هذا الفرض طبيعيًّا لشدة نفوذ الاشعة كما قدمنا . ثم عمد ملكن الى الرياضة والطبيعة معاً

فقال ان اشعةً لها نفس قدرة النفوذ التي في اضعف الاشعة الكونية ، يمكن ان تتولد اذا اجتمعت اربع ذرات من الايدروجين واتحدت فتكوّن من اتحادها ذرة من الهليوم. فالطاقة التي تنطلق من هذا الفعل هي في قوتها ونفوذها من رتبة الاشعة الكونية. لذلك اشار ملكن الى شعاعة من الاشعة الكونية بقولهِ ، انها « صراخ ذرة عند ولادتها» في رحاب الفضاء

وعلى هذا القياس ، قيل ان تولّد ذرات العناصر التي تفوق الهليوم في وزنها الذري — كالاكسجين والسليكون والحديد — ينشئ أشعة كونية من درجات متفاوتة في قدرتها على اختراق الاجسام المادية وان هذه الذرات ، بفعل قوى الجاذبية ، تتقارب فتتكون منها السدُم ثم النجوم . ثم ان السدم والنجوم تشع مادتها بتحولها الى ضوءٍ وحرارة . وتنطلق الطاقة الشاعّة من السدُم والنجوم في رحاب الفضاءِ ، فتتحول في خلال رحلتها الطويلة ، الى بروتونات والكترونات ومن هذه الدقائق تتألف ذرات الايدروجين ، اذ لا يخفى ان ذرة الايدروجين بروتون واحد والكترون واحد. وكذلك ترى ان الكون بحسب نظرية ملكن يبتدىء من حيث ينتهي . فهو ازليٌّ ابديٌّ

***

فلما اخرج الاستاذ ملكن هذه النظرية ، قال السر جيمز جينز برأي يخالفها . قال ان الاشعة الكونية ، رسائل تنبئ بفناءِ المادة وتلاشيها ، لا بتولدها . واشار جينز في مباحثهِ ، الى انهُ اذا كانت الأشعة الكونية مؤلفة من فوتونات كالضوءِ والاشعة السينية ، وجب ان تكون اشد الاشعة الكونية نفوذاً ، مقابلة للطاقة التي تنطلق من اتحاد الكترون ببروتون لتوليد ذرة ايدروجين . ويذكر القارىء ان حساب ملكن اشار ، الى ان اضعف الأشعة الكونية نفوذاً يوافق الطاقة التي تنطلق من اتحاد اربع ذرات الايدروجين لتوليد ذرة هليوم . وهذا فرق كبير ، حمل جينز على ان يقول ويؤيد قولهُ بالحساب كذلك ، بأن اقوى الاشعة الكونية نفوذاً ، يقابل الطاقة التي تنطلق عند فناءِ ذرات الايدروجين نفسها . وعلى ذلك اتخذ جينز هذا الرأي دليلاً على ان الكون يتدرج انحطاطاً في مقدار الطاقة التي فيهِ ، الى حيث لا رجعى

ثم ان الطبيعي الفرنسي الشاب دوفيليه Dauvillier اقترح نظرية اخرى لتفسير اصل الاشعة الكونية . ولكن الاساس الذي تقوم عليهِ نظريتهُ ، هو ان الاشعة الكونية ليست مؤلفة من فوتونات ، بل انها الكترونات تنطلق من الشمس نحو الارض . فنظريتهُ قريبة بعض القرب من نظرية ستورمر Stormer الذي يعلل بها الشفق القطبي بالكترونات تدخل جوّ الارض من الفضاءِ خارجهُ. فدوفيليه يرى ان مناطق شديدة الكهربائية تنشأ على سطح الشمس ضغطها الكهربائي الوف الملايين من الفولتات . وهذه المناطق الشديدة الكهربائية ، تطلق

كهارب في كل النواحي . فيقترب بعضها من جوّ الارض ، فيؤثر في جوّ الارض المغناطيسي ويحدث الاضواء القطبية الباهرة ، التي تتركز عادة حول القطبين المغناطيسيين

ولعلّ أعجب الآراء التي اقترحها العلماء لتعليل نشأة الاشعة الكونية ، هو رأي الأب لمِتر الطبيعي البلجيكي المشهور . فلا يخفى على قراء المقتطف ان الارصاد في مرصد جبل ولسن باميركا اثبتت ان السدم اللولبية البعيدة ، تبتعد عن الأرض ، وتبتعد بعضها عن بعض بسرعات تبعث على الدهشة . فتناول الاب لمتر هذه الحقيقة المشاهدة — اذا صحّ القول ان الحيود نحو الاحمر في طيوف السدم لا يفسر الاّ هذا التفسير — ونسج منها نظرية لتعليل الكون فقال ان الكون كان من ألوف الملايين من السنين ، مركّزاً في حيز ضيق ، ثم انفجر فجأة ، فانتثرت منهُ السدم ، فاخذت تبعد بعضها عن بعض ، وما زالت تبعد حتى الآن . ثم هو يقول ان الاجزاء التي انتثرت من الكون عند انفجارهِ ، لم تكن سدماً ونجوماً فقط . بل كان منها دقائق صغيرة جدًّا ، ذرات وكهارب وفوتونات وعندهُ ان هذه الدقائق المتناهية في الصغر ، التي ما زالت تجوب رحاب الفضاء من بداية الكون ، هي هي الاشعة الكونية

***

وقبل ان نتمكن من اختيار اصلح هذه النظريات لتعليل أصل الأشعة الكونية يتحتم علينا ان نعلم ، هل الاشعة الكونية فوتونات — من قبيل الاشعة السينية واشعة غمَّا — كما يقول ملكن وجينز ، او هي الكترونات كما يقول دوفيليه او هي مزيج من اشعة ودقائق مختلفة كما يقول لمتر

فمن نحو خمس سنوات جرّب العالمان الطبيعيان الالمانيان بوث Bothe وكولهرستر Kolhorster تجربة بطريقة « انبوب الاحصاء » اقنعتهما نتائجها بأن الأشعة الكونية هي دقائق مكهربة كهربائية سالبة . فاذا كانت هذه النتيجة صحيحة ، وجب ان نجد اختلافاً في قوة الأشعة الكونية في مناطق مختلفة على سطح الارض . لان الارض تفعل فعل مغناطيسٍ كبير ، وهذا المغناطيس الكبير يجب ان يحرف الدقائق المكهربة اذ تنطلق نحو الارض . فالانحراف يجب ان يكون على أقلهِ في المناطق المجاورة للقطبين المغناطيسيين وعلى اكثرهِ في المناطق البعيدة عنهما أي المناطق الاستوائية . وعلى ذلك فقوة الاشعة يجب ان تكون على اقلّها في المناطق الاستوائية لان الدقائق تنحرف نحو القطبين ، وعلى أشدّها قرب القطبين . وقد وضعت لامتحان هذه المسألة تجارب مختلفة فاسفرت عن نتائج لا يصحُّ السكوت عليها . فمعظم الباحثين لم يجد فروقاً حيث يقتضي البحث النظري فروقاً معيَّنة . ولكن البحاثة كلاي الهولندي قال انهُ وجد فرقاً في قوة الاشعة بين هولندا وجاوى

وكان من المهمّ ان يعرف هل ثمة اختلاف في قوة الاشعة الكونية في مناطق الأرض المغناطيسية المختلفة . فاذا لم يوجد اختلاف ما ، فالنتيجة التي وصل اليها بوث وكولهرستر

الالمانيان ، نتيجة خاطئة ، ولكن اذا وجد الاختلاف المتوقع ، دلَّ ذلك على ان جانباً كبيراً من الاشعة الكونية على الاقل ، مؤلف من دقائق مكهربة كهربائية سالبة

***

هنا دخل الاستاذ كمطن الميدان . امدَّهُ معهد كارنجي بالمال اللازم، فانشأ هو واعوانهُ تسعة بعوث في خلال السنتين الماضيتين ، رحلت الى مواقع مختلفة على سطح الكرة الارضية لقياس قوة الاشعة الكونية . وكانت هذه البعوث تضمُّ في ادوارها المختلفة نحو ستين عالماً من علماء الطبيعة ، جابوا القارات جميعاً الاَّ القارة المتجمدة الجنوبية ، وينتظر ان يرحلوا اليها في الرحلات المعدَّة لما بقي من هذه السنة — فقد رحلوا الى المناطق الاستوائية والعالمين القديم والجديد وجنوب افريقية وزيلندا الجديدة . وفي رحلاتهم هذه توقلوا قمم الجبال العالية ، جبال الاندس في جنوب اميركا ، وحمالايا في اسيا ، وقمة مكنلي في الاسكا ، حيث قتل الباحثان كارب وكوفن ، ولكنهما قبل مصرعهما كان قد حصلا على الارصاد الخاصة بهذه الاشعة على اعلى جبل بلغهُ الباحثون

فلما جمعت الحقائق التي اسفرت عنها مباحث هذه البعوث ، وبوبت ، وجد ان قوة الاشعة الكونية قرب القطبين تزيد ١٥ في المائة عن قوتها في المناطق الاستوائية . ثم ثبت كذلك ان قوتها تختلف باختلاف خطوط العرض كما توقع القائلون بانها دقائق مكهربة . فلما نشرت هذه النتائج ، قال الاستاذ ملكن ان بعض ما فيها يختلف عن نتائج الارصاد التي قام بها هو واعوانهُ ولكنهُ عند اعادة النظر فيهِ ، سلَّم بأن ليس هناك فرق جوهريٌّ بين نتائج الفريقين

فيتضح مما تقدم ، ان جانباً من الاشعة الكونية على الاقل ، مؤلف من دقائق مكهربة . ولكن بعض الأشعة الكونية ، لا يتأثر بفعل الأرض المغناطيسي . ثم ان مقاييس بيكار ورجنر، التي قاما بها بواسطة بلونات حلَّقت الى مرتفعات عالية جدًّا ، ومقاييس بوث وكولهرستر بواسطة « انبوب الاحصاء » ، تحملنا على الاعتقاد بأن جانباً يسيراً جدًّا من الاشعة الكونية مؤلف من فوتونات ، او هو والضوء سواء . ولكن قد يكون جانب منها مؤلف من ذرات ونوى ذرات العناصر الخفيفة

هذه النتيجة التي وصل اليها الباحثون بالمشاهدة والقياس الموضعي، تتفق ونظرية الاب لميتر وهي ان الاشعة مؤلفة من أنواع مختلفة من الدقائق والاشعاعات . ولكن ذلك لا يفرض علينا ان نسلم معه بانه مازالت تجوب رحاب الفضاء من ازل الكون . وقد ذكر العالمان الاميركيان سوان وجني طرقاً تستطيع الشموس ان تولد بها هذه الدقائق الاشعاعات . وعليه فالوقت لم يئن بعد لكي نبني نتائج فلسفية عامة على مقام هذه الاشعة في الكون ومعنى الرسالة التي تحملها

الوراثة والمحيط

وأثرهما في العقل والخلق

للدكتور شريف عسيران

لنستعرض الآن آراء المفكرين في ما للاختبارات الماضية من الأثر في عقلية المرء وشخصيته. يقول شكسبير « تكاد العادة تغير طابع الطبيعة » ويقول باكون قولاً يشبهه « ان العادة وحدها تغير الطبيعة وتخضعها » اما بعض علماء السلوك الحديثين وفي طليعتهم وطسن فيذهبون الى ابعد من ذلك ويقولون ان كل الفروق العقلية والمزاجية ناشئة عن اختلاف اختبارات الناس والظروف التي مرت بهم ويقيمون للمؤثرات التي مرّت بالطفل قبل الشهر الثامن عشر من عمره وزناً كبيراً في نشأته . وقد بنوا اسسهم التهذيبية على نظرية تأثر الفرد بالمؤثرات الخارجية. فما هي التغيرات العقلية والشخصية والمزاجية التي تتولد من اختبارات المرء الماضية ابان نشأته الاولى ؟ وهل من الممكن احداث عدة تغيرات سلبية من هذه الوجهة

ان ضربة على الرأس تجعل الذكي ابله احياناً . والمرض يضعف القويّ ويساويه بأضعف الناس . والعلل التي تصيب المفرزات الداخلية بسبب كارثة او مرض تحط من همة الفرد وتغيره من حسن الى سيء ومن سيء الى اسوأ . فهل يحدث المحيط تبدلات ايجابية غير متولدة من مرض او عاهة او كارثة ؟ ولسهولة حل هذه المعضلة نفرض وجود جماعة من الناس متشابهين في عواملهم الوراثية مشابهة التوأمين وفي كل فرد منهم نفس العوامل التي في الآخر (ومن الممكن وجود فئة كهذه في الحيوانات السفلى فقط) فما تأثير المحيط في عقليتهم وشخصيتهم وطباعهم الخ ؟ ليس الانسان اداة محدودة بل هو شخصية نامية فيها قابليات وميول وفيها استعداد لملائمة المحيط والتأثر به فيتأثر قسم من الجماعة التي افترضنا وجودها حالاً تأثراً دائماً وبعضها لا يتأثر فأيهما يتأثر وأيهما لا يتأثر يتوقف على الصدف لان منهم من يتعرض للمحيط فيتكيف وفقاً للتأثر ومنهم من لا يتعرض فيفلت من التأثير . فيختلف الافراد الذين يتعرضون للمحيط يتكيفون بتكيفه فكما ان صيرورة جرو الحرذون حيواناً مائيًّا او ارضيًّا يتوقف على الاحوال كذلك يتوقف تطور الفرد على المحيط الذي يعيش فيه . ويصدق حكم وطسن على جماعة كهذه فيها عوامل متشابهة. وهاك قوله : كِلْ اليَّ تربية اثني عشر طفلاً اصحاء الاجسام حسني التكوين وأوجد لي عالمي الخاص وأنا الكفيل بأن اتعهد ايًّا منهم دون تعمد اختياره واصيّره اخصائيًّا كما اشاء طبيباً او محامياً او فناناً او تاجراً او زعيماً حتى متسوّلاً او لصًّا الخ »

ان كل فرد من افراد الجماعة التي تصورناها يصدق عليه قول وطسن لان عواملهم متشابهة

فتتكيف شخصيته بتكيف المؤثرات وتتلخص نظرية وطسن بهذه الجملة ان كل الفروق ناشئة عن اختلاف المحيط لا اختلاف العوامل الوراثية . ان بعض السلوكيين والمربين وعلماء الدين والمصلحين يذهبون هذا المذهب ولكن هناك ما يضعف قيمة نظريتهم. فقد كان من الممكن ان يكون لها شأن لو ان البشر متشابهون في عواملهم الوراثية ولكن اختلاف العوامل يجعل تأثير المحيط مختلفاً كما بيَّنا. وقد شرحنا تأثير المحيط في التوائم واثبتنا انهُ لا يمكننا الجزم في امور كهذه . فما هي الصفات التي تتأثر بالمحيط وما هو مدى تأثيرها ؟ تلك امور ترجع الى التسليم المبني على الاختبار فاختلاف المحيط يؤثر مثلاً في افراز الغدد الصم والافراز يؤثر في طباع المرء وسلوكه. فهل المحيط يولد الولد العاق والبار وينشئ الاعتماد على النفس او روح الاتكال. يقول علماء الوراثة ان العوامل الوراثية هي منشأ هذه الفروق والسلوكيون ينسبونها الى المحيط فهل المحيط هو الذي يخلق الرياضي والموسيقي والاديب والفنان ؟ هذا ما حير العلماء . ومما لا ريب فيه ان في بعض الاشخاص عوامل متنوعة فيها استعداد للرياضيات والموسيقى والادب وغير ذلك فالتي تتعرَّض منها للمحيط الملائم لها يظهر اثرها في الشخص . وهناك فئة خالية من مثل هذه العوامل فتعرُّض افرادها للمحيط لا يجديهم نفعاً فلا يخلق فيهم الرياضي والفنَّان والاديب رغماً عن وجودهم في محيط توافرت فيه هذه الفنون . ونتساءل الآن هل ميزة الملاءمة للمحيط نفسها تحت تأثير المحيط اي هل اختلاف المحيط يجعل افراداً يتأثرون بهِ وآخرين لا يتأثرون او من يتأثر قليلاً او من لا يتأثر على الاطلاق وهل هذا هو السبب في صيرورة الفرد نبيهاً او خاملاً والفرق بين من يتعلم سريعاً تعلماً جيداً ومن يتعلم ببطء تعلماً ناقصاً وهل محصل امور كهذه من اختلاف التهذيب والتدريب والاختبار ؟ وهل قول دوي Dewey «من الممكن للانسان اثناء تعلمه العادات ان يتعلم عادة التعلم» صحيح ؟ لا شك ان البشر يختلفون في مقدرتهم على ملاءمة المحيط والتكيُّف به باختلاف العوامل الكامنة فيهم غير ان ذلك لا ينفي ان في بعضها قابلية التأثر بالمحيط ولا نستطيع ان نصدر حكماً جازماً في هذه القضية فلكل من عوامل الوراثة والمحيط مقدار من التأثير ، فسرعة التعلم وبطؤها ، والفرق بين الذكي والبليد والقابل للتكيُّف وغير القابل له تتوقف على اختلاف القوى الطبيعية الكامنة في المرء

﴿اشتراك العوامل والمحيط﴾ تكلمنا فيما سبق عن اثر المحيط في جماعة عواملهم الوراثية متشابهة ورديئة وغير قابلة للتأثر فمن البديهي ان يكون تأثير المحيط في جماعة كهذه اقل كثيراً منه في جماعة ارقى منها . ان الشعوب البليدة هي التي تتأثر بالمحيط قليلاً فسلطة العوامل في مثل هؤلاء اقوى من سلطة المحيط . ولما كان عدم التأثر بالمحيط خلقة فيهم فتكون نتيجة مساعينا لتقويم اعوجاج فئة كهذه ضئيلة . يقول كارليل « يحاول الآلهة انفسهم عبثاً تحسين البلداء » ويقول سليمان الحكيم « اذا سحقت الاحمق في الهاون بمدقة فلا يمكنك ان تزيل الحماقة منه » ولكن يوجد لبعض انواع البلادة دواء يستطب به فالبله الناشيء مثلاً عن

اعتلال الغدة الدرقية يداوى باستعمال خلاصة هذه الغدة فيصير المصاب صحيحاً ذا موهبة سويّة . وليس فعل خلاصة هذه الغدد كفعل العوامل الطبيعية التي ترقع هذا الخرق دون واسطة . فالوسائط الخارجية تؤثر في الفرد مباشرة ولا تؤثر في نسله . ونستطيع ان نقول بوجه عام ان مختلف الكائنات تختلف اختلافاً كبيراً في تأثرها بالمحيط . فعقل الدودة يتكيف تكيفاً محدود وفقاً للظروف التي تحيط به وعقل الخنزير الهندي اكثر تكيفاً منها . ويكيف الكلب والهر نفسيهما لاعقد انواع المحيط . ومما لا شك فيه ان الانسان هو اقدر المخلوقات على هذا التكيف باختلاف انواعه ودرجاته فأكثر الحيوانات فهماً كالقرود والذئاب والثعالب والفيلة لا تجاري الانسان في هذه الموهبة موهبة اخضاع المحيط ولكن تختلف درجات هذا التكيف بين البشر انفسهم باختلاف عواملهم فالبليد من تكون فيه ملكة التكيف ضعيفة والعكس بالعكس . فمن كانت عواملهم ضعيفة يقل فيهم تنوع الصفات والشخصيات بخلاف من كانت عواملهم متفوّقة فيكثر تنوّع صفاتهم وشخصياتهم . فالمجتمع الموبوء بالعوامل الضعيفة ينشىء مدنية جامدة والعكس بالعكس . ان النوع البشري الحاضر مزيج من هذه العوامل الجيدة الحساسة التي تتأثر سريعاً والرديئة التي تتأثر قليلاً ومن هذه الفروق نشأت اختلافات البشر ومظاهرهم الاجتماعية . وينطبق المثال الذي ذكرناه سابقاً عن تلون النباتات الحمر والخضر وفقاً للمحيط وعن المناعة وعلاقتها بالمحيط ، على مثل هؤلاء فلا حاجة الى التكرار . يظهر لاول وهلة ان المعارف المنوّعة والبراعة في الفنون والحرف غير خاضعة لهذا القانون ومع اننا ننظر اليها كامور لا علاقة لها بالعوامل الوراثية والمحيط وانها تتوقف على التعليم والتدريب فان للمحيط والعوامل الوراثية تأثيراً كبيراً فيها . ان سبب الفرق بين شخصين احدهما يتكلم الافرنسية مثلاً والآخر لا يتكلمها وبين فردين الواحد يجيد العزف على البيانو والآخر يجهله ناشىء عن التعليم والتدريب ولكن لو ساوينا بين شخصين في التعليم والتدريب لرأينا فرقاً عظيماً في مقدرتهما . فهذا الفرق ناشىء عن اختلاف عواملهما الوراثية فالعوامل الكامنة في الواحدة حركته الى الاستفادة من الاختبارات والتجارب التي مرت به وعوامل الآخر لم تتأثر بهذه المؤثرات . فالفرق يسند حينئذٍ الى العوامل الوراثية . ان كثيراً من الفروق بين البشر الذين يثقّفون ثقافة واحدة يعزى الى اختلاف هذه العوامل وهي السبب في وجود مختلف انواع الحيط والاختبارات التي ينشأ منها تنوع الصفات

اما الفرق في المعرفة والبراعة في الاشغال بين الذين يثقّفون ثقافة مختلفة او في عصور تاريخية متفاوتة فيتوقف بوجه التقريب توقفاً كليًّا على اختلاف المحيط فلا يستطيع احد ان يتكلم اللغة الفرنسية قبل وجودها ولا يستطيع العزف على البيانو قبل اكتشافه . ان الفروق الناشئة عن اختلاف انواع الثقافات العامة التي يتعرض لها البشر كبيرة جدًّا وقد أغفل علماء التناسل شأنها الخطير . ان الفرق الكلي بين الناس في القرن العشرين بعد المسيح وبين اسلافهم في القرن العشرين قبله غير ناشىء حسبما نرى عن اختلاف عواملهم الارثية

اذ لا دليل ان هذه العوامل تغيرت في النوع البشري فاختلاف مدنيتنا الحاضرة عن مدنية اسلافنا قبل عشرة آلاف سنة سواء أحسناً كان او سيئاً لم ينشأ عن اختلاف العوامل التناسلية بل عن اختلاف المحيط وكل فرق كبير في الثقافة كالفروق الموجودة بين مختلف الشعوب في العصر الحاضر منشؤه المحيط ومن الممكن تغييره دون ان تتغير العوامل الوراثية. ونفس الشيء ينطبق على التغيرات التي نشعر بها في مدنيتنا وانظمتنا الاجتماعية. ان المدنية بما فيها من علم واختراع وتقاليد وليدة العوامل الوراثية والمحيط وقد نشأ في الماضي فروق عظيمة في الثقافة باختلاف هذه العوامل. واختلاف المحيط يولد فروقاً عظيمة في الثقافة وستتغير نظمها في المستقبل ايضاً لانها ليست وليدة العوامل الوراثية فقط بل وليدة الوراثة مع المحيط. فلو اخذنا شعباً معروفاً بتاريخه وبلاده كالولايات المتحدة مثلاً فاننا نجد اختلافاً في درجات طبقات سكانها فهم يختلفون بمواهبهم واذواقهم وميولهم ونزعاتهم. فالعوامل الوراثية في شعب كهذا لا تحسب من النوع العاطل وهي قابلة التكييف بالظروف ونستطيع ان نطبق على شعب كهذا نظرية وطسن بأن ننشيء منه الطبيب والمحامي والفنان والمخترع والزعيم الى غير ذلك ولا يناقض هذا المذهب علم البيولوجيا بل يتفق معه كلَّ الاتفاق. ولكن وطسن لا يستثني من حكمه الذين ليس عندهم قابلية التكييف وعلم البيولوجيا لا يقف هنا موقف الجازم وجل مايقرره اننا اذا تعهدنا الشخص السليم منذ نشأته استطعنا ان نصيره طبيباً او محامياً او سياسيًّا الخ ويختلف الحكم باختلاف الاشخاص فبينا نرى البعض في المؤخرة نرى غيرهم في المقدمة فلو تعمدنا جعل الشخص طبيباً ومواهبه الطبيعية اميل الى التجارة فاننا نعدم التجار الماهرين واذا تعمدنا جعل المحامي طبيباً فقدنا الأطباء الحاذقين فعلينا ان نراعي الأشخاص ونترك لكل فرد ما خلق له. ولا يجب ان ننسب كل شيء الى الوراثة فان نسبتنا كل الصفات اليها اكثر ضرراً من نسبتها الى المحيط ويحمل الناس على ان يقللوا اهتمامهم بالتربية والعناية بالاشخاص لان الاحتكاك بالمحيط يظهر جوهر من فيهم عوامل جيدة فنسبة الصفات الى المحيط اخف ضرراً واكثر نفعاً لانها مشجعة للكثيرين ومثيرة لعزائمهم وتشجع الوالدين والمعلمين والمربين على التفاءل بالتربية والتهذيب

﴿درجة تأثير العوامل والمحيط﴾ هل اكثر الفروق العقلية والسلوكية ناشئة عن العوامل او المحيط. وهل هي وليدة التهذيب والظروف الاجتماعية من ثقافة وتقاليد وعادات وغيرها. مع اننا لا نستطيع ان نصدر حكماً عامًّا لان الحكم يختلف باختلاف الاحوال فاختلاف عقلية العائلة الواحدة ومزاجها يتوقف على العوامل التناسلية اكثر منهُ على المحيط. وكذلك بين جماعة قليلة من الناس تحيط بها عوامل ثقافية واحدة كطلاَّب الكليات مثلاً. اما في الأمة الواحدة كالامة الاميركية فللعاملين تأثير بيّن عامل الوراثة وعامل المحيط. والعامل الثاني أشد تأثيراً في الشعوب التي تختلف بثقافتها وتقاليدها اما الفروق بين عصر وعصر فالمحيط بما فيه من علم وثقافة وتقاليد واختراعات اعظم فعلاً من العوامل الوراثية

ان الصفات العقلية خاضعة لنظام الوراثة فالفرد مزيج من شطر الام وشطر الاب وفي كلا الشطرين

عوامل صالحة وطالحة فاذا اتحدت العوامل الجيدة خرج الفرد سليماً عبقريًّا واذا اتحدت الرديئة نشأ معتلاً ابله وقد يكون في الجيد بعض الرديء والعكس بالعكس فنشوء الفرد يتوقف على الصدف. وفي كل امرىء صفات غالبة وكامنة فالغالبة هي الجيدة على الأغلب والكامنة هي العاطلة فقد ينبغ رجل من ابوين دون الوسط لان في كل شطر من عوامله الجيد والعاطل ويتفق ان تتحد عوامل الام الجيدة بصنوها من عوامل الاب فينشأ الفرد عبقريًّا . وهذا هو سر نبوغ بعض الشخصيات المنحدرة من عائلات متوسطة كلنكان وشكسبير وغيرهما وهذه الحقيقة تتفق مع النظام الوراثي فان خروج الخاملين من نوابغ الآباء والنوابغ من الآباء الخاملين يؤيد مذهب الوراثة

والسر في ان الابناء يشابهون آباءهم اكثر من غيرهم والأقارب يشابه بعضهم بعضاً اكثر من الاباعد ناشىء عن الحقيقة الآتية : وهي ان عواملهم الوراثية متقاربة اكثر من الغرباء ولهذا تتشابه صفاتهم العقلية وامزجتهم وغيرها وفضلاً عن ذلك فانهم يعيشون في محيط واحد . فالابناء يشابهون آباءهم غالباً اكثر من البعيدين عنهم لان عواملهم الوراثية المنتقلة اليهم من والديهم متشابهة والاخوة يشابهون اخوانهم اكثر مما يشابهون ابناء اسرة بعيدة عنهم لان عواملهم الوراثية متقاربة فالوراثة تجعل بتمادي الايام شبهاً بين الآباء والابناء والاخوان والاعمام الخ وقد ايدت ابحاث غلتن Galton وپيرسون Pearson وترمن Terman هذه الحقيقة وهي ان الشبه في الصفات العقلية والمزاجية متقارب بين العائلات التي يمتّ بعضها الى بعض بنسب اكثر من العائلات المتباعدة . ويطول بنا المقام اذا اردنا سرد الاحصاءات الكثيرة التي تؤيد هذا الرأي . ومن اراد التوسع في هذا الموضوع فليراجع كتاب غلتون النبوغ الوراثي Hereditary Genius وابحاث تيرمان وودس وبرمهول في الوراثة البشرية Human Heredity ففيها الخبر اليقين وارواء الغليل . ولا يغرب عن بالنا ان العوامل الوراثية متساوية بين العائلات ولكن المحيط يختلف فلكل عائلة تقاليدها وعاداتها وميولها وغير ذلك من العوامل التي تكوّن لها محيطاً خاصًّا. ومما لا ريب فيه ان المحيط عامل فعال في امور كهذه فالمحيط يختلف ولكن العوامل الوراثية تبقى متشابهة وتختفي احياناً بتأثير المحيط والاختبار . ولكن لا بد من ظهورها على مرّ الايام . فيتفق ان يخرج من الآباء المتفوقين بمواهبهم العقلية اولاد منحطون والعكس بالعكس ولكن المتفوقين يتغلبون بتمادي الايام فلو اخذنا مليون من المتفوقين ومثله من المنحطين فالاول يخرج عدداً من المتفوقين اكثر من الثاني ولما كان عدد الآباء المتوسطين بدرجتهم العقلية يفوق عدد العبقريين بمراتب نرى نسبة العبقريين المنحدرين من الدرجة الوسطى اكثر من المنحدرين من الآباء النابغين لان عدد هؤلاء قليل نسبة الى اولئك . اما اذا اخذنا النسبة المائوية فيزيد تفوق الفئة الاولى اي المتولدة من آباء عبقريين فاذا انقطع نسل هذا العدد المتفوق فان نسبة المبرزين تقل ونفس الشيء يصدق على ضعاف العقول فكلما زاد عددهم زاد انتشار صفاتهم وكلما نقص تنقص نسبتهم في الجيل الثاني

مصر فى الادب الالمانى

« الموت الذهبي »

« في مئات من القصص الالمـانية . صورت مصر صوراً كلها ابهام وغموض . يغمر »
« قارئها نوع من الشعور بالرهبة امام لغز غير واضح . تتراءى له مناظر القصة كما يتراءى »
« له حلم من الاحلام . وتتابع وقائعها أمام عينيه متحدة بشعوره . آخذة بعواطفه ، متلاعبة »
« بروحه شتى أنواع التلاعب . فمصر ما زالت عند الالمان مهد السحر . ومنبع الوحي . »
« ومنشأ الخيال — أخذت عليهم منها قصص الف ليلة وليلة كل مأخذ . فهم يحاولون التمشي »
« مع روح هذه القصص . فكل تفكيرهم عن مصر لا يخرج عن مجال الف ليلة وليلة . »
« وكل ما يكتبونه عنها ، لا أعتبره الا تقليداً لهذه القصص . وها أنا أقدم ترجمة أول هذه »
« التآليف . وضعها احد مشاهير كتابهم الفطاحل . ريشارد فوس Richard Voss »
« في كتابه المسمى قصص مصرية Agyptische Geschichten » «المترجم»

١

تحركت القافلة ببطءٍ تخترق الصحراء النوبية على الجانب الشرقي من النيل . وسارت يحوطها منظر الرمال بشكلهِ الذي لا يتبدّل منذ زمن طويل استغرق مسير عدة ايام . ذلك المنظر الذي تمتزج فيه رؤية قطع الصوان اللامعة البياض . والجرانيت الحجرية الأرجوانية اللون . مع المحيط الأصفر الزاخر من الرمال الوعرة والبراح الفسيح . تلك التي تتقد وتتوهج حتى حدود البحر الأحمر مكوّنة جبالاً رأسية الجوانب . وقمماً بنّية القباب تحملق في فضاء الكون الرحيب

كان ذلك الفضاء فضاء محيط . ولكنه محيط خلو من أية قطرة من قطرات تلك العناصر الحية التي يحبها الانسان . بل اتخذ الجبال الشاهقة عاملاً على اغراء الأحجار الأبدية اليبوسة من الطموح لرؤية بريق لمعان المياه . ولم يكن أبدى القحول من النبات . بل كانت لديه أعشابه الدكن التي تغمرها عفرة رمال الصحراء تحت تلك السماء العديمة الأمطار اللامعة عند بريق الشمس الحامية الجهنمية

ولم تكن السماء والارض غير لمعان ولهب . لمعان ولهب ثابتان لا يتغيران . وكان من

المستحيل وسط هذا السعير المعمى امكان التفكير في ارتقاء سحابة ظليلة . سحابة شفوقة ترسل ظلاً على هذا الاتون

وكانت تلك الصورة الأبدية الشديدة الضياء هي هي لا تتبدل ولا تتغير . فكأنما ريح الصحراء من هذا العالم اللامع قد جاءت في زي شبح رهيب . أفسح الطريق وأذبل الزرع وأتلف ما قابله وبعث فيه الموت الصموت

ولم تلمح القافلة الصغيرة منذ عدة أيام في اثناء سيرها هذا وسط الصحراء معنى من معاني الحياة أو نسمة من نسماته . ولم تعد بنات آوى مرة اخرى من رحلاتها التي قطعتها فوق ذلك السطح اللامع . بل كانت هنالك آثار دقيقة فقط لخطوط تركتها الافاعي أثناء زحفها فوق فيضان الرمال الساكن كأنها خطوط زخرفية دقيقة . ذلك الفيضان الذي لعبت فيه ريح السموم لتملأ كل حفرة من حفراته بأعاصير اسطوانية عالية سريعة التحرك ، تحجب بلونها الأحمر المصفرّ وجه الشمس

وكانت القافلة مؤلفة من اربعة وعشرين جملاً واثني عشر راحلاً يصحبهم بعض البدو من قبيلة بجا . وكانت تبدو على الجميع « ما عدا واحداً فقط » سيماء الرجال الذين يحاولون تذليل بحر الرمال الرهيب — لو صحّ وصفه كذلك — بسفن الصحراء

ولم يكن من بينهم الاّ هذا الفرد المختلف عنهم . وهو شاب ممتلىء بدماء الطفولة مفرط الجمال ذو قوام جذاب مائل الى الليونة ووجه قريب الملامح الى أوجه النساء . ولو أن على فمه ونظراته معنى البؤس والشظف اللذين ذاقهما بكل قسوة ومرارة . .

كان هذا الشاب صقليًّا يسمى جيوردانو بالاتينو Giordano Palatino . وهو الابن الوحيد لابويه المدقعي الفقر ، اللذين باعاه في سنته العاشرة لمناجم الكبريت — وفي جوف هذه الحفر العميقة اكتسب الشاب ملامح الشظف والبؤس على فمه وانطبعت في نظراته . . وكان جيوردانو هذا نديماً وصديقاً لقائد هذه القافلة الذي كان في الوقت نفسه عبارة عن رئيس البعثة كلها . . ولم يكن هذا الرئيس رجلاً عاديًّا بل كان رجلاً متعلماً مثقفاً عالماً بالحفريات . مخترعاً . بل وكان خياليًّا كذلك . . وكان فرنسي المولد يسمى جاستون لاتور Gaston Latour نال حظًّا وافراً وصيتاً عريضاً في عالم الآثار والعلوم . وكانت ضالته هي البحث عن مناجم ذهب طمرتها الصحراء منذ آلاف السنين . وأخفت معالمها عن الوجود

ولم تكن رغبته في الحقيقة من وراء هذه البعثة الصحراوية الامل في الاستحواذ على الذهب لنفسه بل كانت رغبته اكتشاف ينبوع الذهب للجنس الانساني لعله يفيض عليه ثانياً من جديد . اي ان كل لذته ما كانت تنحصر الاّ في قيمة الفكرة الاستكشافية ليس الاّ . .

ولقد اضطرّ بطبيعة الحال ان يلتجيء الى غاية مادية بحتة للوصول الى بغيته هذه . حتى

ان جميع من رافقه في هذه الرحلة المحفوفة بالاخطار لم يعقد العزم الاّ على البحث عن الذهب دون أي عزم آخر يغريه بمرافقته ..

وانفجرت الرغبة في الحصول على الذهب في نفس الشاب الصقلي واستحوذت عليه. فراح يخفيها بكل الطرق المستطاعة . وكانت مكانته لدى العالم الفرنسي مكانة الابن العزيز . فلقد اتفق ان رأى هذا العالم في احدى رحلاته الى مناجم الكبريت بصقلية ذلك الطفل الناعم في حالته المتناهية البؤس فاشتراه لنفسه ورباه وعلمه وأحبه . الاّ ان روح هذا الشاب لم تتأثر بذكاء هذا العالم ولا بتعاليمه الجدية . اذ كانت هذه الروح متسممة بهموم الحياة وويلاتها وبالبغض والكره لكل تشيع ؛ وبالطمع في الحصول والاستيلاء على مباهيج الوجود

ولقد رفضت الحكومة بذل أية مساعدة او اعانة لتحقيق فكرة باحث الذهب الخيالية . ولو أنها في الوقت نفسه لم تضع أمامه أية عقبة من العقبات او صعوبة من الصعاب . فاشترى لنفسه بجانب كبير من ماله جمالاً وخيماً وأطعمة وآلات للعمل حتى يتمكن بها من تحقيق غاية بعثته الغريبة . وتزويدها بما تحتاج اليه . وأحضر فوق كل شيء مدخراً كافياً من الماء الذي هو اكسير الحياة في الصحراء . . وقبل البدو أنفسهم مرافقة القافلة في رحلتها . لا في الاماكن المعلومة لديهم فقط بل وفي الاماكن التي يجهلونها كذلك على شريطة استيلائهم على جانب من الذهب المكتشف . .

ولقد ذعر جاستون لاتور عند ما ادرك القوة العظيمة التي توجد في مجرد الفكرة الظاهرة للكنز المطمور

وكذلك سار الاثنا عشر اوروبيًّا من اسوان لا تحت قيادة فتىً من ابناء الصحراء . بل تحت قيادة انسان متمدين وعالم مثقف

— ٣ —

لقد أسلم حتى ابناء الصحراء أنفسهم زمام امورهم لقيادة الرجل الغريب بوجوه غاية في الجد . وكيان معقود العزم وتكلم رعيمهم بثقة قوية وتعيين ثابت فقال « لسوف تصل الى هدفك . بل ولا بد انك واصل اليهِ . ان هو الاّجهاد ونضال ما انت معلنه على الصحراء عدوة الانسانية اللدودة . بل وعدوة كل مدنية وحضارة . انما يلزمك الثبات في نضالك . حيث تود ان تستطلع . وتحاول ان تكتشف . وتريد ان تستحوذ على اغلى ما تملكهُ الحياة وأثمن ما تهبهُ . . نعم أثمن ما تهبه وا أسفاه »

وجعل جاستون لاتور يعيّن الاتجاهات والطرق كأنما قد شبَّ وترعرع بين أحضان تلك

الاقطار الوحشية . واستحوذ عليه (لثقته بوصوله الى بغيته) نوع من التصوّف . وجعل يحكم بقوة وارادة خضع لها البدو انفسهم بكل احترام واجلال .. الاَّ روحاً واحدة لم يتمالك بسط قوته وسلطانه عليها . وتلك كانت روح الشاب التي ودَّ لو انهُ اقتطعها له من روحه القوية نفسها . اذ لم يخطر له مرة واحدة ولا جال بخلده أن ذلك الذي نجّاه من انياب البؤس وخلّصهُ من براثن الذل ثم احبه بكل نفسه قد تخلّى عنهُ وحسب نفسه بالنسبة اليهِ غريباً كل الغربة

واهتمَّ العالم المنقب (الذي يكاد يشتعل في سبيل واجبهِ الخيالي اشتعالاً) بكل صغيرة وكبيرة وأخذ يسأل عن كل شيءٍ . ويقرر أماكن الراحة الليلية وزمن البدء في استئناف السير كل صباح مبكر . ويوزع بنفسه الاكل والشرب. ويحرس بكل عناية — وبنوع خاص — توزيع الماء العزيز . الذي جلبوه في صناديق كبيرة من الصفيح المحكم الغلق . ولم يخطر على بال احد بطبيعة الحال فكرة نفاد المخزون لكثرته . . فلسوف يحتفرون الارض للبحث عنهُ . . ويجب ان يأملوا في العثور عليهِ على عمق معين . يصل اليهِ من ماء النيل نفسه او من ماء البحر الاحمر مرشحاً بين طبقات الرمال العديدة . .

وكذلك ساروا فوق الصخور والقفار وعلى لجج الرمال الحمراء الملتهبة وتحت السماء العارية من كل سحابة ، الجاهلة بكل معنى من معاني الرحمة والاشفاق المزرقة بلون القتام والتجهم المخيف . متوغلين في اعماق مجاهل اللانهاية الخالية من الحياة . وتلك هي المأساة المحزنة في رواية الخلق والانشاء . لم يقابلوا منذ أيام وجه عربي من الاعراب المتناثرين فوق بساط الصحراء . انما ظهرت لهم الدنيا كأنها خلو من الحياة . وكأنما الخلق قد أبيد منها ونفد .. ولم تبق الاَّ هي الصحراء القاحلة الجرداء بعد هذا الخراب . منبوذة مجهولة حتى من الموت الذي افنى سكانها الاقدمين

وأخذت القشعريرة بأجساد هؤلاء العزّل المنقطعين وسرت بينهم رعدة رهيبة عند ما بدا لهم فجأة أثر من آثار الانسانية واصطدموا بعلامة من علامات الحياة . . تلك التي ظلت هنا . وفي ذلك المكان ما يزيد على أربعة آلاف من السنين . وكانت عظيمة تبعث على الدهشة . تدل على مكانة الخلق والقوم الذين لم يسمع عنهم خبر من الاخبار منذ آلاف السنين ...

كانت تلك نقوشاً هيروغليفية على صخور من الجرانيت . شامخة الى العلاء فوق هضاب الوعر وبراح الرمال ..

وكانت في مكنة قائد البعثة قراءة هذه الاحرف كأنما يقرأ في كتاب مفتوح . ثم افضى بخلاصتها الى قومهِ . الاّ انهُ لم يجد فيها ضالتهُ المنشودة من هدي لنواحي الطريق . ودليل على وجود المكان الذي يتحرّق شوقاً اليهِ .. الاَّ انهُ بالرغم من ذلك لم يفقد ثقته في الوصول

اليهِ . ولم يحد قيد أنملة عن الاعتقاد في نجاح تأدية مهمة بعثته .. كذلك كان الآخرون الذين وثقوا بهِ كل الثقة . واثرت فيهم عزيمتهُ القوية كل التأثير . هؤلاءِ الطبيعيون الذين ما كانوا يعتقدون في الانسانية ولا الالوهية

غير ان جاستون لاتور نطق بكلمة واحدة فعلت فيهم فعل السحر . فقال « الذهب »... ولو انهُ قال — ماء الحياة — او الحظ والمسرة — أو دواء كل داء — أو — منبع السعادة — أو — العفو عن كل الخطايا والذنوب — أو — البقاء والابدية — أو — القرب الابديّ لله — لما كان لكل هذه العبارات التي تمثل أعلى رغبة لأمانينا الحيوية ، اقل تأثير يعادل هذه الكلمة الصغيرة . « الذهب ». الذهب . الذهب ...

أن لغات الارض كلها لا تملك كلمة ثانية تساوي هذه الكلمة في القوة والتأثير . ليس الملوك ولا القياصرة هم الذين يتحكمون في الشعوب . ليست الفنون ولا العلوم هي المثيرة لاهتمام الانسانية . ليس الحب ولا الغرام ولا الصداقة ولا التضحية ولا الايثار والخير هي أدق وقعاً في احساس ابن آدم . انما الطمع بالذهب والشراهة للاستحواذ عليه

ألا لو ان الله سيد السموات والارض وعد الناس بجنة من الذهب لكانت الارض اسعد الاكوان جميعاً . ولو أن عيسى عليهِ السلام صاح من فوق صليبه يوم عذّب فقال « ليست آلام موتي هي التي ستنجيكم من الشر وتخلصكم . ولكنني سأفتح لكم السماء يوم ابعث ثانياً واصب على رؤوسكم الذهب والنضار ».. اذاً لتجنب كل آدمي ظل الشر وتنحى عنهُ جهده ..

وكذلك سار العالم المثقف يحمل مثل هذا التعطش نحو الذهب للبحث في الصحراء النوبية عن فردوسهِ المفقود — وكان اشد هؤلاءِ الجميع شراهةً وطمعاً في طلب عبادة العجل الذهبي هو ذلك الطفل الدن اللين ذو الوجه الناعم والملامح الرقيقة . ولكنهُ ذو النظرات المخيفة المرعبة الشرسة كذلك .. ذلك الذي اعتقد في طهارة روحه جاستون لاتور اعتقاده في وجود الخير على الارض

— ٣ —

وأصبح محبوب الجميع . الذين لم يبق الضعف في قلوبهم اية محبة حقيقية ولا احساس رقيق . والذين ما كانوا يمتلكون الآَّ فكرة واحدة ليس الآَّ — متى نصل؟ .. اواه لو اننا نصل

غير ان الغلام الذي كانت لهُ دائماً سيماء الطفولة . تمكن من امتلاك هذه القلوب المحترقة بلهب الشوق الى امتلاك الذهب الخياليّ يوماً من الايام .. وحتى البدو أنفسهم اظهروا اهتماماً عظيماً به . كانما هو ابنهم المحبوب . . . وكأنما تقع عليهم تبعة حمايتهِ ، فأصبحوا يخفرونهُ ويحافظون عليهِ . وبذا اصبح أكثرهم عناية ورعاية واعظمهم مقاومة وتحمل . فلم يظهر

عليهِ تعب او كلل . ولم يشعر بجوع او عطش ... واذا ما تكاثر القوم في اماكن الراحة وزاحم بعضهم بعضاً عند توزيع الماء يغترفون منهُ كأنما يغترفون من منابع الذهب ؛ وقف بعيداً عنهم يبدي شيئاً من التقزز . ويطل بريق الاحتقار من نظرات عينيهِ الزرقاوين كزرقة الحديد والصلبتين صلابة الفولاذ . . .

غير انهُ حالما يهتم احد بانتقاء افضل محل من اماكن الراحة الليلية لذلك الغلام الذي تبدو عليهِ سيماء النعومة والليونة . او يقدم له اية مساعدة او عناية . ينفجر بضحكة عالية . ثم يغرق فيها

كانت ضحكاته ضحكات طفولة ساذجة ضحكات قلب غمره السرور وطفح منه . لا تتفق وتلك النظرات الغريبة وكأنما هي صادرة من شخص يغايره كل التغاير . ويخالفه كل الاختلاف . وكأنما كان صوت تلك الضحكات في سكون ذلك القبر كغناء القنبرة او تغريد الطيور . أثرت فيهم جميعاً على الاقل تأثير الفرح الربيعي كلما سمعوها . اذ كانوا يحسون في انفسهم الحاجة الى روح مرحة وشعور مبهج . يستحث فيهم الهمة والنشاط . ويبعد عنهم اليأس والفتور . ففي مثل اقاليم الموت هذه تنقرض الاصوات كلها وتزول

ولقد استمع العالم الى كل ضحكة من ضحكات الغلام . ومرت على وجهه الجامد الجدي سحابة سعادة ونعيم كلما طرقت سمعه فانصت لها بانتباه وهي ترن رنينها المستحب لديه . وتأخذ في الارتفاع والاتساع . ولئن استطاع المرء ملاحظة الرجل في مثل هذه اللحظة . لرأى كيف ان ضحكات هذا الغلام لدى العالم البحاثة الغارق في لجج وحدته والتائه في مسالك تفكيره . كانما هي صوت الامل والسعادة بل صوت الحياة نفسها والنعيم

ساق جيوردانو بعيره الى جانب بعير صديقه الابوي ثم قال له بصوت مكبوح مبحوح «ان هذا اليوم لهو الثاني عشر . لقد بدأ اليأس يدب في نفوس القوم . وبدأوا يشكون. ها قد تعبت الجمال ايضاً وسينفد الماء عن قريب . ولكنك تظل هكذا هادئاً مطمئناً . او تبدو على الاقل كذلك

— اني لكذلك ! — متى سنصل ؟ — قد يتم ذلك غداً ! !

— قد يتم ؟؟ . وماذا يحدث اذا لم نصل مطلقاً ابداً ؟ — بل سنصل ! !

— الا قل لي ماذا يحدث اذاً ؟ اذاً ! ! ! . .

وهنا تهدج صوت جيوردانو وارتعش ثم صرخ في وجه العالم يقول « انا لا اود الفناء في مثل هذه الارض المخيفة . انني اود الحياة — الحياة — الحياة . واود ان اتمتع بحياتي التي يجب ان تبدأ من الآن

— من الآن فقط ؟

وصدر هذا السؤال من العالم كأنما يحمل نغمة الاتهام الضعيف . والاتهام الحائر المتردد . الاَّ ان الغلام لم يحترمه ولم يفهمه على الاطلاق . اذ أجابه بعواطف مكبوحة يبدو التعب في كبحها فقال « اي نعم الآن فقط . والآن لا غير . حيث تود الاستيلاء على الثروة . انهُ ليبدو منك جد تبذير .وجد خطإٍ . بل وجدٌ ... تخيّـل واعتباط اذا لم تجعل نفسك غنيًّا . فهل سنصل بالفعل... . وسنجد حقًّا ؟... انلك مطلق الحق في ذلك. وانهُ لمن الواجب عليك ان تأخذ لنفسك من الذهب اكبر نصيب . وسوف لا يعترضك في ذلك اي معترض . حتى ولا ضباع الذهب أنفسهم

— واجبي ؟ انك تعلم علم اليقين ما قيمة الذهب لديّ

يجب عليك بالرغم من كل ذلك ان تأخذ . فاذا لم يكن حتى من اجلك . فليكن من اجلي

— من اجلك ؟ — نعم . انني اود ان اعيش . ان اعيش . ومن الآن فقط اود ان اعيش...انك لتعلم... علم اليقين ماذا كانت حياتي من قبل ... جوع وفاقة . اي نعم جوع وفاقة . . . لقد تركني ابواي للجوع لعلي اظل صغيراً وحقيراً بقدر المستطاع من لقيمات مناجم الكبريت الضئيلة . انني لأُكره هذين الابوين . وانني لألعنهما اشد اللعنات . انني ابغض كل من آلمني صغيراً .ونغص عليَّ طفولتي ليرتزق من حولي . انني لامقت الخلق اجمعين

— حتى انا ؟ — « وحتى انت — انك لتعلم حقًّا عمَّ نتحدث ؟ ولكن يجب ان نصل سريعاً . ويجب ان نجد سريعاً . والاَّ ...» ثم توقف فجأة عن الكلام . — « والاَّ فانك تكرهني » .... ثم ابتسم العالم عند تصوره امكان بغض غلامه المحبوب له وهو الذي يود من اجله اخذ جانب من الذهب يكون كثيراً بقدر المستطاع . اكراماً لهُ فقط. اذ انهُ يود « الحياة — الحياة — الحياة »

— ٤ —

وساروا بعد ذلك وسط الاكوام واعالي الجبال والمنحنيات الملتوية في بحر رمال الصحراء النوبية . وكان غرق السفن التالفة في وسط البحار العالية احسن منهم حالاً . حسناً لا يحتاج الى مقابلة . اذ انهم يجدون في ارتفاع الماء اليهم شبح الموت الرحيم . اما راكبو الصحراء فكانوا على الضدّ من ذلك

وكانوا اذ يسيرون الساعات بعد الساعات بين امواج الجبال الحمر . ويقضون الساعات بعد الساعات وسط اثير الضياء الارضي الذي تبعثه ملكة السماء العتية الجبارة على القوم حتى تميل بسيرها المتلف الى الغروب تاركة مُلْـك قدماء المصريين في حلة ارجوانية اللون. فيقفون عن السير متعبين مسغبين ليأخذوا قسطهم بعد ذلك من الراحة . ويخلّصون سفنهم الحية من احمالها الثقيلة . ويضربون خيامهم فوق الارض حيث تبدو فجأة كازهار ناصعة البياض جميلة

نامية على تربة شديدة الاحمرار . اذ يمسي كل هذا العالم الموحش ساعة الغروب غارقاً في لجج من الظلام . مستوراً بستر من السكون . وحيث لا يوجد على وجه الارض كلها رهبة تعادل رهبة الصحراء صاحبة الاسرار والالغاز في فترة الليل وساعة الهجوع . وفي احد الايام وقد اجهد القوم انفسهم بتعب المسير الحثيث تحت شمس تلهب الارض مرسلة لظاها الابيض من سماء مغطاة بغشاء اشهب . وصلت قافلة الباحثين عن الذهب الى ميدان فسيح الارجاء من تلك الميادين المكشوفة الواضحة . حيث شاهدوا فيه عن بعد مرتفعاً من صخر الجرانيت . وكان هذا المرتفع العالي النحيف المدبب القمة كأنهُ من المسلات الطبيعية يتوسط بحر الفضاء كأنهُ مرشد او دليل

واسترعى الفتى الصقلي اول الامر رجال القافلة اليه وخاطب العالِم بوجه كأنه مصبوب من الشمع ترك في نفسهِ اثراً لم يشعر بهِ في حياتهِ من قبل . فقال له منفعلاً اشد الانفعال « ان ذلك الاثر الصخري لدليل من احد اصدقائك المنقبين السابقين تركه ليكون علامة على موضع ينتظر فيهِ منذ زمن طويل . والآن فلسوف نبتّ في امرنا ونحصل على العزيز الحصول »
وركب القوم بكل عجلة مستطاعة الى هذا الاثر الواضح . وبقي القائد وحده في النهاية يتبعهم ببطءٍ كأنما يلزمه كسب الوقت لاخماد نار الهياج . ولم تطلب منهُ القافلة اكثر من تركه لزمامها تجدّ الخطى حيثما تريد

وكان على هذا الاثر الصخري صورة محفورة لاحد الفراعنة الاقدمين بشكل اكبر من الطبيعة بكثير . وحملت الصورة الجانبية للوجه ملامح الملك الحازم . بوجنة واضحة العرض وعلى ركبته عصا ذات اهداب منسدلة طويلة طولاً غريباً ودقيقة كذلك . وكانت العينان بشكل لوزي تحتهما شفتان مسحوبتان سحباً جميل الصنعة والانسجام . وكان الصدر الرفيع مرسوماً من الامام . الا أن مقاييس الاعضاء كانت تبدي بالعكس موقفاً يظهر فيه منظر الرأس يحمل التاج المزدوج . ولم يكن هنالك غير قميص كثير التجعد والطي على جسم جلالة صاحب ارض النيل العليا والسفلى . .

وكانت هنالك كتابة محفورة على الصخر فوق لوحة طويلة رفيعة بجوار رسم الملك . . .
والتفّ القوم حول تمثال الملك محملقين في الصورة والكتابة متوقعين دلالة عظمى منهما . وصرخوا في القائد بكل قوة يدعونه اليهم . حيث يجب ان يقرأ . ويجب ان يخبرهم . . .
وملك العالم كل شعوره وهو واقف أمام التمثال يتفرس فيه ويطل في عينيه بريق النصر اللامع . ولو انه لم يتمالك قيد شعرة ولم يخالط صوته أي تهدج يفضح عليه شعوره الذي خالطه لاعظم حادث في تاريخ حياته . ولم يظهر عليهِ أنه انما يقف أمام اللحظة التي هي فصل الخطاب في حياته المقبلة . . .

— ألا فلتقرأ ! ؟ . . ألا فلتتكلم ! !

وزلزل صوت الغلام وهو ينطق بتلك العبارة التي قالها وهو أبيض اللون . . وقرأ جاستون لاتور . . في عهد الملك مينس Menes الحاكم الاكبر للاقليمين المتحدين ابن آمون المحبوب والاله الطيب . أمكن اكتشاف مناجم الذهب في السنة السابعة من حكم جلالته بصحراء الكوش . ووضعت كنوزها البرّاقة تحت أقدام الآلهة . اعلاء لتاج مينس الابيض في الجنوب . واعلاء لتاج مينس الاحمر في الشمال » . .

عمَّ أول الامر سكون رهيب. أعقبته حركة فهياج كهياج الثورة . وأحاط الكل هذا التمثال بوجوه شرسة وصرخات صحراوية . باسطٌ كلٌّ ذراعيهِ كأنما يحمل الصخر صورة رب مقدس أو اله معبود . . العجل الذهبي في الصحراء . . . وكأنما هم يصلون لهُ ويبتهلون . . وهزّت روح رجل العلم احساساتُ خوف مبرح من جديد . وكأنما كانت تعنفه بقسوة وغلظة وتحاسبه بدقة وتأنيب « ألا ماذا أنت فاعله ؟؟ لقد أردت جلب الخير فما جلبت (كما يبدو) غير الشر فقط . لقد أملت في استخلاص الشفاء — اذ يمكن استخلاصه من الذهب — ولكنك تتعب هذه الأرواح بمالا يشفى منه ولا يطاب . . ألا ماذا أنت فاعله ؟ ثم نظر الى الغلام بقوة خارجة عن ارادته . ذلك الذي كان محبباً اليه كل الحب . وذلك الذي وقف الآن فاقد الحركة كأنه شلَّ في مكانه او صعق . أبيض الوجه كالأموات . ينظر زائغاً حائراً متردداً لا يستقر على قرار . وكأنما يرى رؤيا غير منظورة أو حلماً من الاحلام . . .

كان عقل جيوردانو قد تزحزح . . ووجدانه قد تزعزع . وشعر هو نفسهُ بنفسهِ . وكأنما أصبح تائه الفكر . يستحم في فيضان جارف من البريق . . وكان ما يطفو على روحه هو الذهب — الذهب — الذهب . . ثم أحسَّ بنفسه وقد اندفع الى تياره اللامع المضيء فسقط فيه . وتركه يحيط بكل نواحي جسمه ويغمره . ثم أخذ يعبُّ من ذلك العنصر البراق بريق الشرر . ويجرع منه كما يجرع الخمر الذهبية . . شرب ثم شرب . ونهل بكل شراهة وفظاعة وطمع . . شرب . وشرب . ولكنه لم يرتو ولم يشبع . . انه في حاجة اليه احتياجاً جعله فاقد الرشد كمن به ثملٌ من شراب أو كأنما حلّت به روح من الارواح . .

— جيوردانو . . ! !

كان هذا هو صديقه الذي ناداه بصوت عال كله خوف . فلم يقدره هذا الاخير . إذ أن ما أحسَّ به العالم من الشعور المفاجيء الادهى من الاحتقار هو « الاشمئزاز » . . .

وبدا كأنما من يناديه يغفو من حلمه : وسأله بمثل تلك النظرة الجامدة جمود الجرانيت الملقى منذ عدة آلاف من السنين رمزاً حيًّا على حماقة ذهب صاحبه فقال :

— ماذا هنالك ؟ ؟ . لمَ تناديني ؟ ؟ — انك لترعبني

— لماذا ؟ — لانه يبدو لي خروجك عن انسانيتك ! — ماذا ؟
— الذهب !! — اننا لم نمتلكه بعد .. — لسوف نمتلكه !!
— والآن ماذا هنالك ؟؟ — تروَّ وحاول ألاَّ تهلك نفسك به ..
— ماذا تعني بذلك ؟؟ — أعني أنك ترى في الذهب ألوهية حقيقية .
ولسوف تلزمني ان ألعن هذه الساعة ألف لعنة

وخاطب جيوردانو صديقه قائلاً « ألوهية ؟؟ » ثم سكت برهة وعاد يقول .. « انه لألوهية. وكان ألوهية منذ البدء . وسوف يظل ألوهية الى النهاية . انه هو الألوهية الوحيدة البحتة . الألوهية الخالقة للأرواح ليس الاَّ .. كلما عجزت الآلهة أوكلت وملّت .. ظلَّ هذا الاله القادر الأبدي الذي لايحتل عرشه السماء . ولكنهُ يحتكم بالارض .. ألا فاخبرني ماذا تعيبهُ عليَّ من معرفتي بتلك القوة أيها الرجل الذي لايهيم بغير العلوم »

وعاد العالم صموتاً من حيث جاء ..

وسار رجال القافلة من جديد . وكأنما كانت كتل الجرانيت الصخرية من هذه الجبال أشبه بالقوة التي بعثتها حمى الرغبة في نفوس قاطعي البيد من هذه الصحراء . يتبعون دليلهم كجيش حالفه النصر . يستبق الى اقتطاف المجد وكسب الاكاليل .. غير انه بدا على وجه جاستون لاتور طابع لا ينم على شيء من الانتصار .. كما انه رأى في هذه الساعة . [التي يسميها هو نفسه بالساعة الكبرى من حياته] شيئاً جديداً لم يكن بالحق وحي ألوهية على الاطلاق

ووصل الجميع في الأيام التالية بعد ان رحمت صخور الصحراء مفتقدي الذهب . بل مفتقدي الاله ..

— ٥ —

كان جبل من الصوان يرتفع عالياً في المكان الذي يحتوي على كنز الصحراء من المعدن الالهي . وفي وسط الغبار الاقتم المتعالي كأنه الهضاب يعلو بريق أصفر كأنه البحر المتحجر بسحر ساحر قدير . وحينما تحطم عاصفة الصحراء صخرة من الجبل لتقذف بها كجلمود تحطه من عل يبرق موضع القطع بريق البرَد الابيض في الشتاء . وتسلط عليه شمس البيداء نار لهيبها فتحميه وتتركه يتقد اتقاد الأتون ... وساروا بعدئذٍ بانحدار رأسي . وتعددت المنعطفات والالتواءات في طريق الباحثين عن الذهب واختفت الصحراء فجأة من كل ناحية . ولم يبدُ لهم غير منظر القبة السماوية بلونها الفيروزي وامواج الضوء النوراني المرتفع من البلورات البرَّاقة التي تعكسها الشمس من جوانبها المصقولة. حتى لكأنها جبال الماس الخيالية القديمة ...

الاَّ ان العجائب لاحدَّ لها.. فمنذ ثلاثة آلاف واربعمائة سنة قبل المسيح حكم مصر الملك مينو — وفي هذا الوقت اكتشفت مناجم الذهب في « ارض كوش » واستولى عليها . ثم

اختفت عقب ذلك بقليل من ارض مصر ومن افكار الخلق والشعوب كما لو أنها لم تكن قط. ثم هو ذا اليوم — بعد ستة آلاف سنة تقريباً — من يعرف خبرها ويمكنهُ الالمام بقصتها

في هذا المكان عاش الانسان من قديم الزمان. وفي هذه النواحي قامت مدنية من المدنيات القديمة . هذا المكان . مكان عالم الموت الرهيب

وأمر جاستون لاتور بضرب الخيام في احدى الامكنة الفسيحة . وارتفعت اكوام الرمال العالية كالعمد الحمر فوق درجات الصخور المترامية هنالك . تظهر بحالها هذه نتيجة مجهود عواصف السنين الالف الاربعة . وكأنما شاءت الطبيعة ان تبدي جسارتها وجهدها في ستر كنزها وطمره . غير انهُ كان هنالك كثير من النواحي العارية في الاماكن المختلفة تحمل آثار التنقيب والتكسير ... وكذلك وصل الجميع في النهاية

وكان اهم واجب عليهم قبل كل شيءٍ . لا البحث عن باب الاله الذهبي المطمور وفتحه بل البحث عن عين من عيون الماء. فلابدَّ انهُ كان هنالك عين يومذاك . ولابدَّ من ان تكون هنا حتى اليوم . الاَّ أنهم — بالرغم من عدم بقاء غير القليل من مدخر الماء لديهم — احسوا بالعطش القاتل نحو الذهب يلهب أفئدتهم ويحرق ارواحهم . فلم يذهب منهم مع العالم غير نفر قليل من الرجال للبحث عن الماء — وحمل الرجل بنفسه المجرف في يمينه ليكون قدوة لهم وامثولة لديهم . الاَّ ان معظمهم جرى مسرعاً ينبش الارض بغير قائد أو مرشد تلهبهُ حمى الفضول وجنون الرغبة في البحث عن الذهب المقدَّس في جوفها العميق . وكان (من هؤلاء الاخيرين) الغلام ذو الضحكات الواضحة الصبيانية .. فمنذ تلك الساعة التي ابدى فيها لصديقه (الذي انقذه من الذل واسبغ عليه يسره ورخاءه) أفكار اعتقاده الالهي وجحده الشنيع . لم تفارق وجه العالم أمارات الجد والتفكير .. الاَّ ان محبته للغلام المسكين كانت ما تزال تلوح هافية . حنونة . والدية . .

ولقد كان الحظ حليف رجال البعثة — اذ عثر الباحثون عن الماء بسرعة على بئر قديمة وكانت مغطاة بقطع كبيرة من الصخور الحجرية التي دحرجها ولا بدَّ زلزال قديم يحميها من الردم والانطمار (تلك ولا شك اعجوبة) . . واذ ازيحت الصخور وابعدت بدا عمق اسود مستدير يثير العجب من اهل هذا الزمن الذين رمموه وسوَّروه كما سوَّروا معابدهم وقبورهم الابدية

ورضي جاستون لاتور بنفسه ان يربط بحبل ويدلى به الى القاع . . وبعد برهة طويلة رهيبة. زأر من التفَّ حول البئر زئير الاسود في الفلاة وصاحوا معلنين وجود « الماء . » . . .

واندفع من جوف صميم الارض تهليل مبحوح شق ضوء النهار يحمل معهُ لفظ « الذهب » . . فلقد عثر الآخرون كذلك . وها هم ينادون معلنين الاسم الالهي . ولم يكن تهليلهم صراخاً فقط . بل كان عويلاً ونباحاً . رددت صدى اصواتهم العالية ارجاء الصحراء الصموتة . كأنما

ارادوا بذلك بعثرة الصخور او دك الجبال . او كانما ودُّوا قذف صراخهم فوق المنبسط غير المنظور حتى يصل كالرعد الى اللانهاية غير المحدودة .. وكانوا يكررون من حين الى حين قول « الذهب الذهب الذهب » وكانت تمتد عروق هذا المعدن الاصفر المحبوب امتداداً عريضاً وتظهر بوضوح وجلاء منابع بهجة الحياة وسعادتها امام اعين الباحثين عن الذهب الذين كانوا في استطاعتهم الاغتراف منهُ كيفما يشاءون .. — ولقد عثر الآخرون ايضاً على الماء الذي يستطيع الانسان الاستفادة بهِ . وهل يستفيد بهِ الانسان حقاً ؟؟ عند ما يرى فيضان الذهب في صخور الصحراء امام عينيهِ . انهُ يستطيع التفكير في جوع او عطش غير الجوع والعطش نحو الذهب . . . نعم لقد كان هنالك جوع مؤلم ولكنهُ جوع لا يشبع . وكان هنالك عطش ولكنهُ عطش لا يروي على الاطلاق

ومن هذا الجوع والعطش تشكو الانسانية في كل حين

ولم يبق هنالك احترام ولا اعتبار مذ اخذت النشوة عليهم ارواحهم لمجرد رؤية الذهب ولم يبق لديهم عطف أو وحدة . بل تفانى الكل في الانغماس بكل وجدانهِ بين لجج الخيال والذهول — ليس في العالم كله لذة تعادل لذة استخلاص هذا الكنز العزيز من جوف مناجمهِ . وقد ارادوا تحميل جمالهم بقدر ما تستطيع . حتى ولو نفقت تلك الحيوانات القوية . ثم يحملون هم انفسهم بقدر كبير . . وأصبحت قواهم متضاعفة تضاعفاً غريباً . وأصبحوا هم جبابرة عتاة لهم فوق ما لطاقة البشر الآخرين . . وكان كل همهم حمل الذهب ونقله من وسط الصحراء النوبية حتى ولو كلفهم ذلك السير في كل مفاوزها ومخاوفها ومرعباتها . بل في لهيب الشمس وعواصف الرمال . في تهديد الموت ووعيد الهلاك اياماً واسابيع طويلة . . انهم في كفاح مع الموت يدافعونهُ بكل قواهم كأنما يحملون حرزاً او طلسماً ضده . .

وبينما هم يقطعون بحر الرمال بحمية ونشاط عثروا على بقايا عظام انسان بشري . الاَّ انهم ألقوا بها جانباً بغير مبالاة . وأخذوا يحتفرون الارض متوغلين في احتفارهم

ألا كيف مات اولئك القوم الذين عاشوا هنا منذ آلاف السنين ؟ وماذا كان سبب موتهم ؟ ان الجميع لا يودون غير الحياة — الحياة — الحياة . كما يتطلبها الغلام الملتهب بحمى الرغبة للحصول عليها . .

ولقد رفع هذا بيده جمجمة احد الموتى الذين مضى عليهم ما يقرب من الستة آلاف من السنين ووجَّه اليها خطاباً كله تهكم وسخرية ثم صاح اخيراً يقول

ألا فلتحيا الحياة . . . . . . ألا فلتحيا الحياة

حسن رشيد نور
مدرس
بمدرسة الفنون التطبيقية بالجيزة

« لها تتمة »

قيمة العجز

في المتسولين والضعفاء

سيصدمك هذا العنوان ايها القارىء كائناً ما كان نوع الثقافة التي ثقّفتها والمحيط الذي درجت فيه . فان كنت من الواقفين على النظريات الاقتصادية يتبادر الى ذهنك مقدار الخسارة التي تتحملها الامة في قوة الانتاج من جراء وجود هذه الفئة العاطلة التي بدل ان تزيد ثروة الامة تنقصها . وان كنت من رجال الامن تذكر ما لاقيته وما قصّه عليك الرفاق من وقائع المتسولين واخبارهم وما يأتونهُ من ضروب الحيل وصروف المكر ليتجنبوا مطارديهم من رجال الامن الذين يجدّون في تنفيرهم من الشوارع وذودهم عن الامكنة العامّة لانهم يعتبرونهم قذًى في عين المدنية يجب الاّ تراه اعين المارّة . وان كنت من قراء الروايات يحضرك عدد من المؤامرات التي يحوك خيوطها في سواد الليل اناس زريّو الملبس قبيحو المنظر يجولون نهاراً مقوّسي الظهور دامعي الاعين معصوبي الرؤوس يستنشدون الاكف من اجل بلغة من الطعام او نهلة من الشراب . وان كنت ممن يلذ لهم حديث العجائز تتذكر ما كانت تقصه عليك جدتك من احاديث الشطّار من المتسوّلين الذين يفرغون عصيّهم ليودعوها ما جمعوه من القطع الذهبية ، او يضعون الخرق البالية على ظهورهم لتظهر حدباء وبذلك يستدرّون جود الناس وينالون عطفهم . وان كنت من قراء الصحف فسيتبادر الى ذهنك اسماء كثير من المتسولين الذين كانوا يعيشون عيشة الفاقة والتقتير ولكن حينما ماتوا وُجدت وراءهم بدر الاموال فكأنهم كانوا مصارف للتوفير يحشدون الاموال بكل حرص لتوزع كلها في النهاية على مستحقيها . سوف تذكر هذا وغيره مما علق بذهنك او وقع تحت شهودك من اخبار المتسولين ووقائعهم ، ولكن على فرض ان ذلك صحيح لا شية عليهِ ولا ريب فيهِ ألا يبقى للمتسولين والضعفاء ما يشفع لهم ويجعل لوجودهم معنًى في الحياة ؟

***

انت متوسط الحال او غني ايها القارىء ولذا فأنت آمن على مستقبلك ومستقبل بنيك الى حدٍّ ما . ولكن الم يخطر لك ببال ان تقف يوماً وتسأل الى اي حدٍّ انت مدين للمتسولين بغناك ورفاهك سؤال غريب ؟ ولكن ما كل غريب من الاسئلة يستحق الاهمال . لا اود ان اناقشك في كيف حصّلت غناك واي المسالك سلكت حتى اثريت ، ولا اود ان اذكرك بان كل

صحفة تزاد على خوانك قد يقابلها نقص في عدد الصحاف على خوان غيرك ، وانك قد تكون صعدت سلّم الثراء ونلت ما نلتهُ من توفيق على اشلاء الكثيرين ممن دستهم في سيرك السريع كالحوت الذي يربي سمنته الفاحشة على التغذي بصغار السمك --- لا اود ان اناقشك في هذا فان الله وحده يعلم ذلك وسيكون لهُ معك شأن في اليوم الاخير . انما اود ان اسألك الى اي مدى انت مدين، في الاستمتاع بثروتك الراهنة — لا في جمعها ، الى المعوزين وقارعي عتبات البيوت ؟

***

يعرّف علماء الاقتصاد الثروة بانها مجموعة من المتع واللذائذ . فاذا كان هذا معنى الثروة فهل يزيدها او ينقصها المعوزون والمتسولون ؟

الليل قرٌّ والعواصف تزمجر في الخارج والرياح تعوي كأنها الذئاب تروم طعاماً والمطر يهمي والرعود تقصف وانت جالس بين بنيك امام موقدٍ مشبوب فتحمد الباري ان لك مثل هذا الموقد ومثل ما يظلّهُ من مسكن . ولكن يعجزك ان تتخيل حال من يتعرّض لهذه العناصر الهوج كيف يكون الاّ انك ، وانت في هذا ، يطرق سمعك عواء الكلب فتطلّ واذا شبح في الظلام يعالجهُ كلبك من ناحية والريح من ناحية اخرى وكلاهما يود ان يكون لهُ الحظ الاوفر مما ابقته عليه الكلاب والريح والزمن من بقية رداء. تراهُ فاذا هو يقاتل قتال المستميت ليخلّص رداءهُ من ذينك الوحشين ،لانهُ يعلم ان بين تخليصه الرداء منهما وتسليمه لهما الحياة والموت . ويتخطّى عتبة بيتك دون استئذان ، لان شراسة الكلب وعنف الريح وقساوة البرد لم تدع لهُ ليستأذن. هو داخلٌ عليك شئت ام أبيت

هوذا مقياس صحيح للشقاء ايها الغني يقف امامك لتقيس عليهِ مقدار سعادتك . هذه هي درجة الصفر فانظر الى اية درجة ترتفع انت عنها . هوذا جسمٌ يرتعش ارتعاش الخرق البالية في مهب الريح — جسمٌ عارٍ يكسوه البرد الحمرة كما تكسو النار وجوه بنيك الحمرة ،ولكن ثمة فرق بين الحمرتين .هوذا نفس مضطربة مشردة ترنو اليك متوسلة ضارعة فاما ان تعيدها الى قبضة مطارديها او ان ترأف فتدنيها من موقدك فتهدأ اعصابها المرتعشة وتذوق لذة الاطمئنان بعد الابتعاد عن الخطر . انك لا تستطيع ان تتصوّر معنى الدفء تصوراً صحيحاً قويًّا ولا تستطيع ان تتصوّر معنى الاطمئنان بالابتعاد عن مصادر الهلاك الاّ متى تنظر الى مخلوق كهذا تجدُّ جميع العناصر في طلابهِ كأن لها ثأراً عنده. اوتضن عليهِ بعد هذا بقليل من عطفك وحنانك ؟ انهُ دفع ثمن ذلك من جسمهِ ونفسهِ

ولا يعجزك ايها القارىء — اذا شئت وكنت ممن يعنيهم وقع الحوادث اليومية ان ينظروا

الى غير نفوسهم — ان تحضر لنفسك غير هذه الصورة من صور الشقاء العديدة

وقد تسأل : هل هذا صحيح ؟ هل نحن نعطف — او يجب ان نعطف — على الحرمان والضعف لأنهما يضخمان لنا قوتنا النسبية ويبرزان لنا ما نحن متمتعون به من متع ولذات ابرازاً قويًّا ؟ هل نحن نعطف على الجياع لاننا شباع ونعطف على المرضى لاننا أصحاء ونعطف على العارين لاننا كاسين ونعطف على الصغار لاننا كبار ونعطف على الحيوانات عديمة الأذى لاننا نستطيع ان نؤذي ونعطف على مكفوفي البصر لاننا مبصرون ؟؟ هذه أسئلة تدير الرأس حقـًا اذا حاول المرء ان يجيب عنها اجابة ترضي جميع نواحي العقل وتصدُّ كل اعتراض.ولكننا نودُّ ان نسأل القارىء بدورنا بضعة أسئلة وليجب هو نفسه عنها كما يشاء

***

لماذا لا يعطف السقيم على السقيم عطف الصحيح على السقيم ؟ لماذا لايعطف الاعرج على الاعرج عطف السليم على الأعرج ؟ لماذا نعطف على ابنائنا الصغار ويقلُّ هذا العطف كلما كبروا وازدادوا قوة الى ان يجيء يوم يصبح نظرنا اليهم نظر الند للند ؟ لماذا يلذُّ لنا لذة يخالطها شيءٌ من العطف والأسى ان نرى ذا القوة وذا الأذى مسلوب وسائل القوة والأذى ؟ لماذا تنبسط اكفنا للمتسول الصموت المنكسر النظر أكثر مما تنبسط للسائل الملحاح شديد النبرات ؟

قد تقول ان فلسفتك هذه أيها الكاتب — ان صحَّ ان ندعوها فلسفة — لا تصدق الاَّ على اوساط الناس ممن تربي الانانية فيهم على عواطف الايثار ، فهم حتى في ممارستهم للفضيلة لا ينظرون الاَّ الى نفعهم الخاص سواءٌ شعروا بذلك ام لم يشعروا . ولست احاول ان اردَّ هذا الاعتراض فيكفيني ان تسلم معي ان كلامي ينطبق على اوساط الناس (واوساط الناس هم الأكثرية دائماً) . الاَّ انني اود أن انبهك تنبيهاً يسيراً — وارجو ان لا يزعزع ايمانك — وهو ان تنظر من الآن وصاعداً الى فضائلنا البشرية الراهنة نظراً غير الذي تعوَّدت . لا تنظر الى الاب الذي يحرم نفسه لذة العيش ليرسل ابنه الى المدرسة كأبٍ همُّه الأوحد نفع ابنهُ . ان هذا الاب بالطبع يحب ابنه ولكنهُ يحب الخلود ايضاً .ولا تنظر الى اعمال روكفلر واضرابه كاعمال للبر وخدمة البشرية المتألمة فقط . ان روكفلر — مثلك ومثلي — يحب الذكر الحسن مثل حبّه للبشر . والجندي الذي يستقبل بثغر باسم وصدر رحب رصاص البنادق وأطراف الحراب ليس همُّه الوحيد خدمة الوطن والذب عن حياضه . انه يحب وطنه ولكنه يحب ان يميز نفسهُ أيضاً . لا تقل ان هذا الجندي لا يأمل شيئاً من الشهرة بالاستبسال لان ما يحدثهُ من امواج صغيرة في سير المعركة يتلاشى في موجة النصر العام . ان جندينا يكفيه ان يراهُ

اثنان أو ثلاثة من رفاقه بين فكي الموت في مقدمة الصفوف . لا تنظر الى هذه الامور نظراً مادياً بل فكر بما يكون وراءها من نوازع واميال قد تكون خافية حتى على أصحابها

والآن لست ادري اذا كنت اقنعتك بقيمة الضعفاء العافين والمتسولين — مهما ضؤلت هذه القيمة — من هذه الناحية — ناحية ابرازهم ما نحن عليه من قوة وما نحن متمتعون به من لذة ابرازاً جلياً . انك لاتستطيع ان تتخيل لذةالصحة كما لو مرضت او شاهدت مايفعله المرض في غيرك ومن يدري كيف تكون لذة التمتع بالراحة — مهما اوتي من سعة الخيال — اذا لم يذق ألم التعب او يشاهد آثاره على غيره ؟ ان الضد يظهر حسنه او قبحه الضد . ومن هنا قال الحكماء لا سعادة بدون شقاء

***

ولا ننسى ما يفعله منظر الشقاء والعازة في الآخرين من الايحاء لنا بالقناعة واحساس الرضى باحوالنا الراهنة . ففي سنوات الجوع يشعر من يحصل على الكفاف بمقدار من السعادة لا يشعر به متوسط الحال في سني الرخاء.وما هذا الاّ لأن الناس لا يهمهم في الغالب قيمة ثرواتهم المطلقة بل قيمتها النسبية—أي كم تزيد ثرواتهم عن ثروات غيرهم . وهذا في الغالب يجعل الناس يقتنون أشياء لا حاجة لهم بها . انما يقتنونها ليتميزوا بها عن غيرهم . فالتنافس هو رائد الناس في حشدهم للأموال لا الحاجة . ومن هنا لا يشبع المثرون من جمع الأموال مهما زادت عن الحد الذي ييسر لهم التمتع بكل ما يشتهون

ولكن هل كل قيمة الضعف — انسلمت معي ان للضعف قيمة — هي في هذه الناحية الضيقة فقط ؟ اليس لوجود الضعفاء القهري بيننا غير هذا النفع المادي الذي اذا احببنا ان نجزيهم عليه جردنا فضيلة الرحمة مما يميزها من حب الخير لاجل الخير ؟

قد تكون ايها القارىء من تلاميذ نيتشه ، ولذا فأنت تعتقد ان العطف على الضعيف جريمة لا تغتفر . فاذا كنت من هذه الفئة فلا شأن لنا معك من الآن ولك ان تطوي الصحيفة حيث انت فلا تفت على نفسك.ولكني على فرض انك من الفئة الاخرى التي لاتزال تقيم وزناً لفضيلة الرأفة نسوق اليك بقية هذا الحديث الذي نرغب ان نظهر فيه ما للضعفاء من فضل في تغذية هذه العاطفة الشريفة

***

اجتمعت بشاب عاد حديثاً من اميركا بعد ان قضى هناك سبعة عشر عاماً . فكان مما حدثنا به موضوع الازمة التجارية وضيق الحال وركود الاعمال مدللاً على ذلك بأن عشرة ملايين او تزيد من العمال بلا عمل في الولايات المتحدة . ولكن ليس هذا المهم في حديثه فان مثل هذا يحدث في كل بلدٍ صناعي . انما المهم ان هذا الشاب كان يتكلم بصيغة قوية من الجزم

والتوكيد ان المرء قد يجوع في اميركا ويضطر الى طرق الابواب ، ولكن قد يأتي على قائمة طويلة من اسماء القديسين والاولياء ويتوسل بكل الملائكة والانبياء دون ان تناله بلغة من الطعام. واذا اعتاد الحيل لينال ما يسد بهِ الرمق يعمد الى حيلة يعرفها جيداً متشردو الاميركان وهي ان يتشاجر واحد الناس في الشارع او يضرب بقبضة يده على زجاج احد المحلات فلا يعدم عندها ليلة او ليلتين او اسبوعاً. وان عظم الذنب شهراً ، يقضيها في السجن حيث ينال طعاماً لم يكن ليحصل عليه بغير هذه الطريقة

قصَّ عليَّ هذا الشاب ما قصَّ فخامرني الشك في حديثه . فرحت اسأل غيره ممن عادوا حديثاً من اميركا . فكان مجمل كلامهم مطابقاً لكلامه على العموم . فلم يسعني عندها الاَّ التفكير في منشأ هذه الظاهرة الغريبة . الشعب الاميركي الذي اشتهر بالبذل وعمت عطاياه المشرق والمغرب يضن على ابنائه بما يقصي عنهم آلام الجوع ؟ ! ما معنى هذا التناقض ، قلت ان الشعب الاميركي شعب عملي يكره ان يضيع اقل جهد على غير الانتاج. ولذا فالمتسولون عندهم طبقة مكروهة لا تثير عطفهم. ولكني ما كدت اظفر بهذا القليل حتى اخذت تتزاحم عليَّ الاعتراضات ، ووجدت اخيراً انهُ تعليل ضعيف وان هناك نواحي اخرى لهذه المسألة لا تخضع له . فحينما يفتتح اكتتاب لاعالة الاطفال الفقراء في روسيا او في الصين لا يحجم الاميركي ان يبسط كفه للمساعدة . فهل يخرج الروس والصينيون عن حد كونهم مسترفدين بالجملة بينما المتسول الاميركي لا يستعطي الاَّ مفرداً ؟

التعليل هو هذا ، وقد يقنعك وقد لا يقنعك

***

في اميركا مستشفيات كثيرة تضم اليها المرضى ودور لايواء العجزة وملاجئ خيرية للاطفال الفقراء . ولذا فهؤلاء الناس الذين تقع عيوننا عليهم في شوارعنا الشرقية — ذلك الذي سُلَّت رجلاه فاضطر الى الزحف على يديه ليدنو منك فينال بعض ما تجود به ، وتلك الأُم المنكرة النظرات التي تحمل طفلاً قد عصر آخر نقطة من الحليب في صدرها ، وذلك الشيخ الفاني يحمله بقية رجلين وعصاً اذا استعملها لينوب الكلام بها عن نفسه تحمله رجلاه . فهو لذلك يفضل احياناً ان يدع الكلاب تنال منه من ان يعتمد على رجليه وحدها — هؤلاء وامثالهم تراهم في شوارعنا الشرقية . ولكنهم ليسوا من الكثرة بحيث يصبح منظرهم عاديًّا لدينا فلا نعود نتأثر بمنظر البؤس والشقاء وقد لا تقع عينك على امثال هؤلاء مرة في الاسبوع او في الشهر فيكون منظرهم باعثاً في اذكاء ما كمن فينا من رأفة وحنان . انك لا تستطيع ان تكون رئيفاً اذا لم تجد من ترأف به ولا تعرف معنى البذل اذا لم تجد من تبذل له العطاء . فابناء

البؤس — بما يقدمونه من ميولهم ونفوسهم على مذبح البشرية العام — مدرسة نتعلم فيها معنى الرأفة والعطف

وقد تتهمني ايها القارىء بالعاطفية الشديدة وبأنني احاول ان اصنع من الامر الصغير شيئاً كبيراً

لك ان تفعل ذلك ، ولكن أود منك ان تصوّر لنفسك كيف يكون حال العالم فيما لو انتزعت من صدور الناس الاحساس بالتعاطف والشعور بشقاء الغير . اذا كان خيالك بحيث لا يساعدك على ذلك فما عليك الاّ ان ترجع ببصرك الى سنوات الحرب الكبرى لترى ماذا كان يعني تجرّد الناس من عاطفة الرحمة

ولك ان تعترض اعتراضاً آخر وهو : لماذا يشعر الاميركي بالعطف على الغير حينما يصله صدى صراخه ولا يشعر بصراخ الضعف في بلاده ، ان جانباً من الرد على هذا الاعتراض قد تقدّم وهو ان الضعف والشقاء في اميركا يخفيان بقدر المستطاع عن عيون الناس في المستشفيات والملاجىء ودور العجزة ، فلا يجد الاميركى ما يزخر نفسه بالألم ، وهو ليس له من الوقت ما يستعمل فيه خياله في استحضار صور الشقاء

اما الجانب الآخر من الرد على هذا الاعتراض فهو — في معتقدنا — ان الذين يقومون بجمع الاكتتابات يُختارون في الغالب من النساء والخطباء الملاسن الذين يستطيعون ان يتلاعبوا بسهولة بعواطف الجمهور تدعمهم في ذلك الصحافة العامة . ولذا فالاميركي له ما يجعله يتصور الشقاء في البلدان الاجنبية بوضوح بينما هو لا يجد ما يعينه على مثل ذلك في بلاده. ذلك انهم هناك يعالجون مشاكلهم معالجة محلية ، فلاتقام الحملات الخطابية العامة ولاتتواطأ الصحف على تغذية هذه الحملات الاّ في الحوادث الكبيرة التي تستدعي تضافر الامة جمعاء كما حدث لما فاض المسسبي منذ سنوات

***

هذه سوانح من الافكار املاها منظر الشقاء في الضعفاء والمتسولين وغيرهم ممن خدعهم العالم والطبيعة عن نصيبهم في الحياة

وأخيراً ارجو الاّ يخامرك ايها القارىء انني استحسن وجود الضعف والشقاء لانهما يميزان لنا القوة والسعادة ولانهما يوحيان لنا باحساس الرضى والقناعة ويعلماننا معنى التعاطف والرأفة انني اول من يتمنى ان لا يبقى في العالم شقي واحد . ولكن ما دام ابناء الضعف والشقاء بيننا وما دمنا عاجزين عن مداواة آلامهم فيخلق بنا ان نعرف لهم قدرهم وقيمتهم في الحياة

شرقي الاردن اديب عباسي



في جزيرة العرب

مناحي العمران الاجتماعية

لفؤاد حمزه بك

وكيل خارجية الحجاز (١)



ليس من شك في ان العادات المحلية تختلف باختلاف البيئات والمواضع فالذي اصطلح عليهِ اهل البادية وتعارفوا على اتباعهِ قد يكون غير مؤتلف مع حالة اهل الحواضر والامصار. وللبداوة عادات بعضها انتقل بالتسلسل من الآباء الى الاحفاد وحوفظ عليهِ كما لو كان شرعة لا يصح الاخلال بها . وبعضها نشأ بحكم الضرورة القاهرة من شظف العيش وضيقه ، وقساوة البادية ومرارة المعاش فيها كما ان للحواضر عادات تستوجبها ضرورات الحياة الهادئة المرفهة من تنعم في المأكل والمشرب وتبرج وزينة في الملبس والمظهر ، ومن اشادة الآطام والقصور والاكثار من الفرش والخرثي وتنويع أسباب الراحة المادية بكل ما توصل الانسان الى ايجادهِ. ومع اننا عممنا استعمال لفظة عادات اهل الحاضرة على جميع السكان الحضر فانهُ من الواجب أن لا يند عن البال انهُ توجد اختلافات موضعية واقليمية عديدة بين مختلف الحواضر والبلدان .وكما أن هذا الاختلاف يشاهد على اتمه بين المدن المختلفة فانهُ يشاهد ايضاً في مختلف الطبقات في المدينة الواحدة . خذ لك مثلاً : احدى مدن الاقطار المقدسة الحجازية فانك لا تستطيع ان تجد عادة او عرفاً عاماً ينطبق على جميع أهل تلك المدينة بسبب اختلاف اطوارهم الناشيء عن اختلاط أجناسهم ولغاتهم وعروقهم وعوائدهم . فمكة المكرمة تتألف من خليط غير متجانس من الشعوب والامم الاسلامية التي وفدت اليها في أزمان وادوار متعددة وجاء كل واحد بعادات بلاده وعنعنات قومه فاكتسب من محيطهِ شيئاً جديداً لم يمحُ ما انغرس في قلبهِ من عادات ألفها ونشأ عليها هو وقومهُ في بلادهم الاصلية

ان اختلاط الوافدين الى الاقطار المقدسة من سائر انحاء العالم الاسلامي قد نشأ عنهُ مزيج لهُ الآن ميزات خاصة لا تشبه المزايا التي كانت للوافدين في بلادهم الاصلية ولا هي تشبه المزايا التي كانت لاهل الحجاز قبل مجيء هؤلاء الناس اليهم .وقلّ ان يستطيع المرء في مكة المكرمة وجدة ان يجد عائلات قديمة بل جل العائلات فيهما ممن هاجر اليها واستوطنها منذ زمان قد يطول ويقصر واختلط الدم الهندي بالعربي والمغربي بالاعجمي واليماني بالاسود

(١) من فصل في كتابه « قلب جزيرة العرب»

المآكل

يتناول الطعام في الحواضر على ثلاث دفعات في اليوم الواحد وتسمى واحدتها (وَجْبة) الاولى في الصباح المبكر وتسمى في نجد (الرَّيُّوق) وفي الحجاز (فُكوك الرِّيق) والثانية في الضحى وتسمى (غداء) والثالثة بين العصر والمغرب أو بعد المغرب وتسمى (عشاء)

أما في البوادي فالعمدة في عدد الوجبات ومواقيتها على الظروف والتقادير ووجود الطعام وحالة الانسان الشخصية . إلاَّ ان الغالب ان يكون العشاء أهم الوجبات وأترفها

ويتألف الريوق في نجد من اللبن الرائب والعسل والتمر والزبدة في الغالب وأما في الحجاز فيختلف عن ذلك وبعضهم يتناولون الطعام المطبوخ في الريوق ايضاً

واما الغداء في نجد فيتألف من الارز المطبوخ باللحم او الجريش وهو نوع من البر المجروش يطهى بالحليب والمرق او من المرقوق وهو نوع من الثريد او من القرصان وهو نوع آخر من الثريد او الشواء من اللحم

ويتألف طعام العشاء من نفس الانواع الاَّ انهُ يعتنى به اكثر من الغداء وقد يزاد على الانواع الواردة في العشاء انواع من الحلوى المعمولة بالنشاء والحليب . وتوجد انواع اخرى من الاطعمة النجدية الاَّ ان ما ذكرنا هو أهمها واكثرها شيوعاً واستعمالاً . ومن الضروري إضافة الحنينة وهي نوع من عصيد التمر والدقيق والسمن المطبوخ معاً الى المآكل النجدية الفاخرة

وقد يتفنن أهل الحواضر النجدية في طهي انواع أخرى من المآكل لا سيما البقول والخضر الاَّ ان الاصناف التي أوردناها هي عمدة المعيشة المرفهة . فالبر والرز واللحم واللبن والتمر والسمن هي المواد الاساسية في المعيشة النجدية سواء منها معيشة الحاضرة أو معيشة البادية . وليس في معيشة الاخيرة ما يستحق أن يذكر لعدم عناية البادية بمآكلها من جهة ولعدم تمكنها من الزيادة عن الكفاف الضئيل من العيش من جهة أخرى

ويختلف طراز المآكل في الحجاز عنه في نجد من حيث تنويعها والعناية بطهيها . ولا يوجد طراز مخصوص يمكن تعميمه بل هنالك أنواع المآكل العربية الاصل أو المستعارة من الطراز التركي او الهندي او الجاوي . ويعتنى في الحجاز بالخضر اكثر مما يعتنى بها في نجد ولهم في طهي الخضر طرق عديدة وصنعة متقنة

ويكثر استعمال الافاويه والابازير في الاطعمة النجدية والحجازية ، مثل الهيل والزعفران والعصفر والفلفل الاسود والكمون وغير ذلك من أنواع البهارات . ولكل اكلة خليطة مخصوصة بها تطلب من باعتها جاهزة

وطعام أهل القرى الحجازية والبادية أبسط كثيراً من أطعمة أهل المدن . فقد شاهدت أشخاصاً ذكروا لي انهم قبل وصولهم الى المدن لم يشاهدوا الارز ولم يذوقوه ومآكلهم هي

في الاكثر من محصول ديرتهم وعوضاً عن دقيق البر يستعملون دقيق الدُّخْن والذرة ويصنعون من ذلك أرغفة كبيرة تشوى على الحجر أو في الطابون (١) وتوضع بعد نضجها في إناء وتمزج بالعسل والسمن وتؤكل على هذه الكيفية

المشرب

المشروب الوطني في البلاد بأجمعها هو القهوة العربية وتطبخ بعد حمص حبوبها وسحقها في دلال من النحاس ويمزج بها نوع من البهار المعروف بالهيل . وبعضهم يستعمل القهوة بالزعفران أو بالقرنفل . وعلى كل فانها لا تمزج بالسكر بل تستعمل مُرَّة . وفي الجهات الجنوبية من البلاد في المنطقة المجاورة لليمن يستعمل الاهالي قشر القهوة مغليًّا وممزوجاً بالسكر كما أنهم يخلطون الزنجبيل بالقهوة

وقد شاع في الازمنة المتأخرة استعمال الشاي شيوعاً عظيماً يكاد ان يكون عامًّا في البادية والحاضرة وان دام الامر على هذا المنوال فقد لا يستغرب ان يحل محلها . ولا توجد أوقات معينة لاستعماله على نحو ما هو متبع في البلدان الاجنبية ، وانما جرت عادة اهل الحجاز ان يستعملوه بعد الطعام . وقد يستعملون النوع الاخضر منه بعد الطعام خاصة وفي الاوقات الاخرى يستعملون الشاي الاحمر المعتاد

ومما يكثر شربهُ في البادية وفي نجد على الاخص الحليب واللبن . وحليب الابل من أهم مواد الغذاء الرئيسية في البادية . فالابل تشرب المياه التي تعافها نفس الانسان وتصفيها في جوفها ثم تدرها للانسان حليباً لذيذ الطعم كثير الغذاء . ولا يستعمل حليب الابل الاَّ للشرب مع انه قد يوجد بين البوادي من يخرج من دسمه نوعاً من السمن يسمى الودك . واما حليب البقر والماعز والغنم فانه يخمر ويستخرج منه السمن ويشرب الباقي منه باسم مخيض او شنينه . وجميع السمن يستخرج من اللبن الرائب (٢) ولا يوجد من يستخرجه رأساً من الحليب . وأما الجبن فغير مستعمل في نجد على الضدّ من الحجاز فان اكثر الحليب يترك في الآنية الى ان تتجمع على سطحه طبقة الدسم فتؤخذ ثم يستعمل الحليب لاستخراج الجبن منهُ . ويوجد من يشرب حليب البقر والغنم والماعز قبل تخدره ممزوجاً بالزنجبيل واستعمال هذا يكثر في جهات عسير . هذه هي المواد المستعملة للشرب غير الماء القراح

أما المياه فانها تختلف عذوبة وملوحة وصفاء بالنسبة الى المواقع المختلفة . ومنها ما هو محصول الينابيع والآبار ومنها ما هو من مياه الامطار او الآلات المقطرة . وماء الشرب في ينبع وجدة انما هو من الماء المستقطر من مياه البحر المالح

---

(١) فرن بسيط معمول من اناء كبير من الخزف يحمى جيداً وتلصق الارغفة على جدرانه ويسمى في بعض البلاد العربية باسم تنور (٢) يسمى اهل نجد اللبن الحامض «رَوْبا»

ويوضع الماء في المدن الحجازية في أواني خزفية يدعونها (أزياراً) لتصفيتها وتبريدها . وأما نجد والبادية فان الماء فيهما يوضع في القُرَب على الغالب

الملبس

مع ان الملابس المستعملة في انحاء البلاد هي الملابس العربية ، فانهُ من الصعب ان نحصر أشكالها في طراز واحد عام

فلباس الرأس في نجد وفي البادية بأجمعها هو الغُتْرَة (١) والعقال . وفي الحجاز هو العمامة او الغترة فقط وتسمى في الحجاز صِمادة . وتوضع الغترة على الغالب فوق طاقية صغيرة تعمل في نجد من قماش الصوف وتحشى بقليل من القطن وفي الحجاز من قماش القطن الابيض . والعقال على أنواع : فمنه عقال الصوف الأسود او الأبيض ومنه عقال الصوف المقصب او الحرير المقصب . وقد يستعمل البدوي قطعة من الحبل او الجلد المفتول بمثابة العقال. ومشايخ الدين في نجد وكافة الاخوان يضعون الغترة بدون عقال أو يعصبون على الغترة عصابة من قماش الشاش الرقيق . وأما في بادية الحجاز وعسير فان العقال قليل الاستعمال وكذلك الطاقية وتستعمل الغترة كغترة وعصابة في آن واحد . وفي مدن الحجاز تستعمل الغترة بأن تلف فوق كوفية من قماش القطن المنشّى . وأما العمامة الحجازية فانها تتألف من قسم يشبه الطربوش بشكله الا انها تعمل اما من الخصف واما من القماش المطرز بألوان زاهية من اخضر واحمر واسود وابيض وتعصب العمامة البيضاء فوق هذه الاسطوانة من أسفلها ويترك اعلاها بارزاً لتظهر الالوان . وتكون الغتر اما من الصوف واما من قماش القطن الملون او المرقط او من قماش الحرير المطرز . ولباس الجسم عموماً يتألف من ثوب من قماش القطن وقد يكون الثوب ذا أردان تنتشر من المرفق او بدون الاردان كما انه قد يكون الثوب طويلاً حتى كاحل الرجل او قصيراً حتى الركبة او دونها بقليل . وقد يستعمل حزام من القماش او الجلد فوق متوسط الثوب كما هي الحالة بين بادية الحجاز وعسير او بدون ذلك كما هي الحالة في نجد وبادية شمال الحجاز. واستعمال السراويل تحت الثوب محصور في طبقة مخصوصة بين البادية وحواضر نجد . وفي ما عدا ذلك فالثوب يستعمل من دون السراويل

اما العباءة فانها الشعار العربي البين ، وهي من قماش الصوف الرفيع او المتين توضع على المناكب فوق الاثواب . ومنها انواع عديدة من حيث اللون والقماش والخفّة والثقل . وهي من المصنوعات المحلية لها أنوال ومغازل مختلفة ومنها شيء يجلب من خارج البلاد

ذكرنا ان الثوب هو اللباس العام وليس معنى هذا انه لا يوجد ما يستعمل سواه. وانما خصصناه بالذكر لانه أعم انواع الملابس استعمالاً بل يمكن القول انه هو الاساس والانواع

(١) قطعة من القماش مربعة تطوى طيتين على شكل مثلث قاعدته تكون في مقدمة الرأس فوق الجبين

الاخرى هي تبع له . وقد يلبس فوق الثوب نوع آخر من الملابس يسمى زَبون [١] وقد يزاد فوق كل ذلك وتحت العباءة معطف صوفي او حريري او قطني

ويستعمل فوق الثوب في مدن الحجاز والحسا غير الزبون والمعطف نوع آخر هندي الاصل يسمى «شايَة» وهي مثل الزبون الاَّ انها تختلف عنه بأنها أقصر من الزبون ولها ازرار فوق الصدر . ولا يفوتنا اذنذكر الجُبَّة الحجازية أيضاً فانها تلبس فوق الشاية عوضاً عن العباءة . وتعمل الجبب من جميع أنواع الأقمشة الصوفية والقطنية والحريرية الأبيض منها أو الملون . اما لباس الاقدام فهو النعال الوطنية المعمولة من الجلد المدبوغ في البلاد بألوان مختلفة زاهية ولا تدخل المسامير في صنعها بل تخاط بالخيطان او السبوت. واكثر البادية لا يستعمل النعال مطلقاً بل يسير البدوي حافي القدمين . وملابس النساء تختلف بالطبع عن ملابس الرجال بحسب أحوالهنَّ مع ان الأساس في الاثنين واحد

الزينة والتبرج

يطلق الرجال شعر الرأس كالنساء في اكثر انحاء البلاد . ويضفر الشعر غدائر تتدلى على المنكب والاكتاف وتُضَمَّخ بالطيوب المختلفة . واما المتقدمون في السن من الرجال او مشايخ الدين فانهم يقصون شعر الرأس . وفي الحجاز يحلقونه او يقصرونه كثيراً ، واما النساء فمن البديهي انهن يحتفظن بشعرهنَّ كما هو ، ولم تدخل بينهنَّ عادة قص الشعر

ويطلق عموم السكان لحاهم ولا يحلقون منها الاَّ ما كان تحت الذقن او ما نبت من الشعر على كراسي الخدود . واما الشاربان فيتركان على حالها وانما يقصران عملاً بالحديث المأثور « حفوا الشاربين واطلقوا اللحى »

ولا يلبس الرجال الحلي الذهبية ولا غيرها . كما انهم لا يلبسون الملابس الحريرية الاَّ فيما ندر في بعض المدن الحجازية . واما النساء فليس عليهنَّ حرج في هذا الباب

وعادة الاكتحال والتضمخ عادة فاشية عموماً بين النساء والرجال في نجد والبادية كلها . واحسن انواع الطيب عود الند وعطر الورد وعطر العود والزباد [٢] ولا توجد بين النساء عادة استعمال المساحيق . ويتختم اكثر الرجال في نجد بخاتم فضي فصُّه من العقيق يحفر عليه اسم حامله ويلبس في خنصر اليد اليمنى

ويحمل الرجال بعض انواع الاسلحة كالجَنبيَّات او المسدسات او السيوف وقد شاهدنا ان كثيرين في البادية يحملون عوض الجنبيات مدى عادية يستعملونها في احتياجاتهم اليومية العديدة . واكثر البدو يحملون علاوة على ذلك منقاشاً وملقطاً شعريًّا وموسى صغيرة لاقتلاع الشوك من الايدي والارجل

(١) يسمى في الخارج قنبازاً (٢) عطر يستخرج من غدد بعض الحيوانات المائية

وعادات الاستياك بسواك من جذور شجر الاراك عادة عامة تقريباً . وهي مستحبة قبيل الصلاة مباشرة . والنساء يستعملن الحِنَّاء لطلاء اليدين والرجلين وتلوينها بها

الأفراح والمآتم

أصبحت العادات المتبعة في الافراح والمآتم خلاف ما كانت عليه قبيل قيام الحكومة الحاضرة التي حملت الناس على عدم الخروج عن حدود الشرع فيما يتعلق بذلك . فقد أبطلت عادة إحياء الموالد وحلقات الذكر المشهورة في الامصار. ولم يعد في الامكان استعمال آلات الطرب التي كان استعمالها مباحاً من قبل.وجل ما يمكن السماح بهِ استعمال النقارة والحداء

ففي حفلات الزفاف لا يتعدى الامر اجتماع الناس للتهنئة واجراء العقد وحضور الوليمة في مدن الحجاز يسير العريس في الليل الى منزل العروس بين المشاعل وسط لفيف من اقرانهِ واصدقائهِ . ولا يكتب عقد الزواج بصك كما هي العادة في سائر الامصار إلاَّ في حالات قليلة جدًّا . وقد ابطلت عادات الندب على الموتى واللطم في الجنائز. وا كرام الميت دفنهُ بعد غسله والصلاة عليهِ فوراً . ومن الحفلات التي كان لها أهمية كبيرة فيما سبق حفلات الختان وحفلات ختم القرآن . وبالنسبة الى أهل مكة فان حفلة السلام على من يعود من زيارة المدينة المنورة من أبهى الحفلات واجلها . وعلى ذكرنا للختان لا نرى بدًّا من ذكر عادة سيئة من اقبح عادات بدو الحجاز وعسير وهي عادة سلخ الشاب المراهق في حفلة تتجلى فيها كافة الوان الفظاعة والوحشية على ملأ من الناس ومشهد من اتراب المسلوخ واقرانهِ. والويل والعار لكل شاب يظهر ألماً او تململاً بينما تعمل موسى السالخ في جلده وقد أبطلت هذه العادة القبيحة بعد ان كانت عامة بين كثير من قبائل الحجاز وعسير مثل هذيل وغامد ورجال ألمع وفهم وغيرهم

تربية الاطفال

وعناية البدو بأطفالهم قليلة جدًّا . فالطفل منذ ولادتهِ رفيق والدته تحمله معها في اليومية او تتركه في الخيمة ان كان عملها فيها . وحينما يصبح الولد قادراً على السير تسة امهُ او اخوته معهم اثناء العناية بالانعام ورعيها . ولا يعتنى بالطفل من الوجهة ا والنظافة كما انهُ لا يعتنى بتعليمه وتدريبه . ومتى اصبح قادراً على رعي الحيوانات بمفرد بها وعهد اليهِ بحراستها والعناية بأمرها . واما في الحواضر فالحالة تختلف بالطبع عما هي عليهِ في البادية . فتربية الاطفال والعناية بهم من الوجهتين الصحية والدينية ثم تعليمهم امر من اوامر الدين التي يراعيها الكثيرون . ولا يوجد حد معين لبقاء الطفل مع امهِ وانما الغالب انهُ بمجرد صيرورتهِ قادراً على تدبير شؤون نفسه يتعلق بأبيهِ او باخوتهِ، واذا راهق زُوّج وبعد الزواج قد يبقى مع والديهِ ولكنهُ في الغالب ينفصل عنهما

وسن الزواج ليس لها حدّ معين . وعادة تزويج القاصرين ما تزال جارية الى يومنا هذا

معاملة الابل

لا تقل عناية العرب بالابل عن عنايتهم بالخيول وتزيد حاجتهم اليها عن كل ما عداها،فانها ضرورية في انتقالهم وفيحروبهم وغزواتهم ومن اجل حليبها ولحمها ووبرها . وفي البادية كثيرون لايملكون من حطام الدنيا الاَّ ناقة تدر عليهم منخيرها فيقتاتون بهفيحياتهم القاسية وتملك هذه البلاد اكبر عدد من الجمال كما انها تملك أجود الانواع واحسنها

ولأجواد الابل انساب تحفظ ويعتنى بها مثل ما يعتنى بنسب الخيول الأصيلة وهذه الاجناس يمكن حصرها فيما يلي :

الابل العمانية وهي أسلس الانواع قياداً واكثرها راحة

الابل الحرة وهي اقوى من العمانية واكثر جلداً وصبراً

الابل الباطنية وهي مثل العمانية

الابل الدرعية وهي مثل العمانية من حيث سهولة ركوبها ومثل الحرة من حيث قوتها

الابل الخوارة وهي سهلة الركوب الاَّ أنها دون الاجناس الاخرى

الابل الجرْميّة وهي أدنى اصناف الابل

ويجمل بنا في هذا المقام ان نذكر الاسماء الاصطلاحيةالتي تطلق علىالابل فينجد وهي: —

الجمال : تفيد النوع مطلقاً

الابل : تطلق على الاناث التي لا تركب وهي التي تلد وترضع صغارها ولكنها لا تحلب

الناقة : واحدة من الابل سواء اكانت تحلب ام لا

المسح : الابل التي يستدرُّ حليبها وهي غير التي يرضعها ولدها

الجيش : انثى الجمل التي تستعمل للركوب فقط

الذلول : واحدة من الجيش

الزَّمَل : الذكور من الجمال اجمالاً

البعير : لا يستعمل الاَّ للذكور

الهجين : لا تستعمل فينجد ولكنها تعني الذلول

وتسمى الناقة الحبلى اللقحاء والتي تجر وراءها ولدها الخلفة والتي يصحبها ولدها الذي لا يزيد عمره عن عشرة اشهر عشرة

ولصغار الابل أسماء مختلفة بحسب السن التي تبلغها .فيقال للذي عمرهُ أقل من سنةحوار وتمام السنة مفرودة ، وتمام سنتين حقَّة ، وتمام ثلاث سنين لقيَّة، وتمام اربع سنين جذعة ، وما فوق ذلك الى خمس سنين ثنيَّة ، وما فوقخمس سنين رباع

والانثى من جميع هذه تسمى بَكْرَة والذكر قعُوداً

الفيتامين

للدكتور محسن كمال

يطلق هذا الاسم على عدة مواد مجهولة التركيب توجد عادة ضمن المواد الغذائية في مقادير صغيرة وينشأ عن نقصها عدة حالات مرضية متباينة

وربما كان Lunin لونان اول من اجرى تجارب عديدة باطعام حيوانات اغذية لا فيتامين فيها وذلك عام ١٨٨١ . ثم اتضح بعد ذلك في بلاد الانكليز عام ١٩٠٦ — ١٩١٢ بواسطة هوبكنز Hopkins ان الحيوانات التي تطعم هذا الغذاء يقل وزنها ثم تموت ولكن اذا اضيف الى هذا الغذاء شيء من اللبن تحسنت صحتها وزاد وزنها . وفي المدة الواقعة بين سنتي ١٩٠٩ و١٩١٢ اثبت الاستاذ ستپ Stepp صحة تجارب كل من لونان وهوبكنس بأن الغذاء الحيواني يلزم له مواد حيوية تعرف بالفيتامين بخلاف مواده الاخرى كالزلالية والسكرية والنشوية

ثم ثبتت صحة هذه المباحث بعد ذلك على وجه قاطع في بلاد الانكليز والولايات المتحدة لكن لم يتوصل الباحثون الى معرفة هذه المواد حتى عام ١٩١٣ لما اثبت كل من مككُلُم McCullum وداڤيس Davis ان بعض الاغذية العديمة الفيتامين يمكن ان يُسَدّ عجزها باضافة بعض مواد من البيض والزبدة المذابة في الاثير. لكن هذا العجز لم يتيسر سدُّه في كل غذاء وبقيت عدة اغذية اخرى ناقصة الفيتامين لم يتمكن القوم من معرفة السر في نقصها حتى عام ١٩١٥ لما تمكن كل من الاستاذين الاخيرين من حل هذه العقدة . ففي تلك السنة اثبتا ان هذه المواد تقسم الى نوعين نوع يذوب في الدهن واطلقوا عليه حرف ا ــ A ونوع يذوب في الماء واطلقوا عليه حرف ب ــ B

﴿الامراض الناجمة عن نقص الاغذية﴾ لكن قبل الزمن المذكور اعلاه اعتقد الناس ان هناك امراضاً تنشأ عن انعدام بعض المواد في الاغذية وان هذه الامراض يمكن اتقاؤها باضافة هذه المواد الى الاغذية . فمرض البرى بري Beri—beri مثلاً كان معروفاً انه ناجم عن اكل الارزّ دون قشره الخارجي . وفي عام ١٨٩٧ اثبت الاستاذ ايكمان Eijkman ان الدجاج الذي يغذى بمثل هذا الارز يصاب بالمرض ايضاً

وكانت نتيجة هذا الاكتشاف ان انتقل ميدان البحث في الفيتامين الى المعامل الكيماوية حيث صادف من النجاح نصيباً كبيراً . واتضح وقتئذ ان هذا المرض المعروف باسم (برى بري) هو نتيجة فصل قشور الارز من الغذاء وان الدجاج او الطير الذي يصاب بهذا المرض يشفى منه

اذا غذّي بهذه القشور او نقوعها . ثم امتدَّ البحث العلمي بعد ذلك وتناول انواع الفيتامين الاخرى من حيث كنهها والمقادير اللازمة منها واثر ارتفاع الحرارة فيها وكذلك تأكسدها

واتخذ البحث في كنه مرض الاسقربوط نفس السير الذي اتخذه في مرض البرى بري ففي عام ١٩٠٧ اثبت كل من هولست Holst وفروليخ Frohlich ان خنازير الهند اذا غذّيت بالحبوب والماء فقط دون الكرنب الحاوي للمواد الخضراوية اصيبت بداء الاسقربوط . وان هذه الخنازير تشفى من المرض اذا غذيت بالكرنب الاخضر وبعض الفواكه . ثم اتضح بعد ذلك ان القردة تصاب بالمرض . وتمكن الباحثون من معرفة نوع المواد الفيتامينية اللازمة للوقاية من داء الاسقربوط والمقدار اللازم منها

واتى الاستاذ فونك Funk عام ١٩١٢ واطلق اسم (فيتامين) على هذه المواد . وازداد العلماء بحثاً فيها الى ان توصلوا الى معرفة عدة انواع منها اطلقوا عليها الاحرف الابجدية وهي ا ــ A ، ب[١] B_1 ، ب[٢] B_2 ، ج C ، د D و هـ E فنعمد الآن الى شرح كل نوع على حدة:—

الفيتامين A ــ ا : — يكثر في كبد الحيوانات ذوات الثديين والاسماك وفي بعض الاحيان (كما هو الحال في كبد الحوت) يوجد هذا الفيتامين مصحوباً بالفيتامين د (D) وفي الاخرى لا يوجد الا بمفرده (كما هو الحال في كبد الغنم والبقر) . ويوجد الفيتامين ا (A) ايضاً بكثرة في النباتات الخضرة وان مقدارهُ هناك يكثر كلما طال تعرّض هذه النباتات للشمس . وهذه النباتات هي المنبع الذي تستمدُّ منه الاسماك والحيوانات ذوات الثدي ما فيها من الفيتامين (A) . وهو قليل في الزبدة والفواكه وبعض الخضروات ولا يتأثر هذا الفيتامين بسرعة اذا تعرض للهواء او ارتفاع الحرارة . وقد اثبت كل من جرين Green وملانبي Mellanby ان هذه المادة تمنع الالتهاب وتقي الجسم من الامراض المعدية المصحوبة بالتهاب وتلف الاغشية المخاطية دون ان تزيد في حصانة الجسم العامة . واثبتت التجارب ايضاً ان هذا الفيتامين لا تأثير له في سير الدرن في الجسم او غيرهِ من الامراض المعدية الاّ اذا اعطيت منهُ مقادير كبيرة . لكن ملانبي Mellanby وجرين Green بيّنا ان هذا الفيتامين يلطف كثيراً من حدة التسمم النفاسي بل ويقلل من وفياته . واستنتج ملانبي بعدئذٍ ان قلة فيتامين ا - A بالجسم تساعد على اصابتهِ بالنزلات الانفية الحلقية والروماتزم الحاد والدرن والنزلات الشعبية والالتهابات الرئوية والتهاب الاذن الوسطى وتقرحات الفم والعين والانف . لكن المباحث التي تلت ذلك اثبتت ان تعاطي فيتامين ا — A لم يحدث حصانة ضد امراض الجهاز التنفسي والنزلات الانفية في الاطفال والاصابة بالامراض المعدية عموماً والتهاب ذات الرئة. ويدعي اليسون Ellison انهُ تمكن من نقص نسبة الوفيات بالحصبة بوصف فيتامين ا ــ A و د ــ D للمصابين بها . وهو يقول كذلك ان هذا النقص هو نتيجة تحصين الجسم ضد المضاعفات الرئوية القتالة

والثابت ان قلة فيتامين ا — A في الجسم يحدث فيهِ حالات مرضية مثل جفاف الملتحمة Xerophthalmia والعشى Night—blindness والنزلات الرئوية . وقدثبت ان اقطاراً كثيرة لا يتعاطى سكانها المقدار اللازم من فيتامين ا — A ومن هذه البقاع بلاد الانكليز والولايات المتحدة وهولاندا

واوضح المستر دان W. J. Dann ان الاجنة والاطفال لاتتناول مقداراً كافية من فيتامين ا — A في ارحام امهاتها وفي الالبان التي تشربها . وان الاكثار من تعاطي هذا الفيتامين وقت الفطام من الزم ما يكون للصحة . ويكثر فيتامين ا — A في دهن الحيوان وزيوت الاسماك

﴿ الفيتامين (ب١) او (B^1) ﴾ اطلق الاستاذ ايكمان Eijkman هذا الاسم على الفيتامين الذي يقي جسم الانسان من مرض البرى بري ويشفيهِ منهُ كما يقي الحمام من مرض التهاب الاعصاب العام ويشفيهِ منهُ وهو قابل للذوبان في الماء ولا يتأثر اذا أغلي هذا المحلول بضع ساعات لكنهُ ينعدم بسرعة اذا كان هذا الغليان تحت ضغط متزايد ودرجة حرارة ١٢٠ سنتجراد

وقد توصل القوم الى عزل الفيتامين ب١ (B^1) هذا وتمكنوا من شفاء الحمام المصاب بالتهاب الاعصاب العام باعطائه مقداراً يتراوح بين ١/٢٠٠ مليجرام يومياً

ومرض البرى بري الذي يشفى بهذا الفيتامين يكثر في بلدان مختلفة

﴿ الفيتامين (ب٢) (B2) ﴾ : اذا غذّي فأرٌ بغذاء قليل مقدار الفيتامين ب٢ امتنع جسمه عن النموّ بدون ان ينحف او يقل وزنه وبعد بضعة أسابيع تظهر على جسمه لطخ جلدية التهابية واعراض مرض البلاجرا بشكل واضح . ومن ثمَّ ثبت ان داء (البلاجرا) هو نتيجة قلة تعاطي الفيتامين ب٢ في الغذاء

وفي عام ١٩٢٧ اثبت جولدبرج (Goldberg) ان هذا الفيتامين يكثر في الخميرة (Yeast) واللحم الاعجف (Lean meat) ومقاديرهُ متوسطة في اللبن والبيض والقمح والطماطم

واثبتت التجارب في الولايات المتحدة ان تعاطي مقادير كبيرة من فيتامين ب١ وب٢ يحدث في الاطفال زيادة في النمو والوزن بشكل واضح للغاية

﴿ الفيتامين (ج) (C) ﴾ هذا الفيتامين يقي الجسم من مرض الاسقربوط ويكثر في اوراق النباتات الخضرة وعلى الاخص الكرنب وكذلك عصير الليمون والبرتقال والعنب والطماطم وبعض اللفت . وهو قليل في اللحوم والالبان والبطاطس والخضروات والفواكه

وهذا الفيتامين يفقد فائدته في العلاج بالتأكسد بسرعة وعلى الاخص اذا ارتفعت درجة حرارته . وهذا هو السر في زوال مقادير كبيرة منه في الغذاء المطهي او المجفف

والمعتاد الآن ان كل طفل يغذى غذاءً اصطناعيًّا يعطى عصير الفواكه شراباً وذلك بقصد منعه من الاصابة باسقربوط الاطفال لان لبن البقر قليل مقدار الفيتامين (ج) (C)

ولوحظ في بلاد الانكليز (مانشستر وجلاسجو ونيوكاسل عام ١٩١٧) ان الاسقربوط ظهر بين الاهالي هناك نتيجة عدم وجود مقادير كافية من البطاطس في اغذيتهم ويفضل بعض الاطباء الاكثار من الخضراوات وانواع السلطة والفواكه . وقال بعضهم ان الانسان يجب ان يأكل خضراوات وفواكه بمقدار ما يأكل من اللحم وان يتناول لبناً بما يعادل نفس القيمة ايضاً (وهذا طبعاً فيما يختص بالاطفال والبالغين دون الرضّع)

واظهر البحث ايضاً ان قلة تناول فيتامين (ج) (C) يمنع نمو الاسنان جيداً وتكوين طبقاتها كالمعتاد ولا يبعد ان تكون قلة هذا الفيتامين سبباً من اسباب نخر الاسنان كما هي الحال ايضاً مع الفيتامين (د — D)

﴿ الفيتامين د — D ﴾ اكتشف الاستاذ هولدشنسكي Holdschinsky عام ١٩١٩ ان تعرّض المصاب بالكساح للاشعة فوق البنفسجية المنبعثة من نور الزئبق يشفيهِ من هذا الداء . ثم اتى بعده كلٌّ من هس Hess وأونجر Unger عام ١٩٢١ واثبتا ان هذه الاشعة بعينها موجودة في ضوء الشمس وان التعرض لاشعة الشمس يسفر عن النتيجة نفسها

ثم اتى ستينبُك Steenbock وبلاك Black عام ١٩٢٤ واثبتا ان غذاء الفيران اذا عرّض للاشعة فوق البنفسجية تولّد فيهِ فيتامين د — D وهو الذي يمنع الاصابة بداء الكساح عند هذه الحيوانات ويشفيها منهُ ايضاً . ثم اتضح بعد ذلك ان الزيوت النباتية اذا تعرضت لنفس الاشعة تتولد فيها مقادير كبيرة من هذا الفيتامين ايضاً . وفي عام ١٩٢٤ اثبت الباحثون ان مادة الكولسترول Cholestrol التي في اغلب الزيوت الحيوانية وما يماثلها من المواد في الزيوت النباتية اذا تعرضت للاشعة فوق البنفسجية انقلبت الى مادة قوية شافية للكساح

ومضى العلماء بحثاً في الموضوع فاتضح ان المادة التي تتأثر بالاشعة ليست هي الكولسترول وانما هي مادة اخرى في الكولسترول تعرف باسم ارجوسترول ergosterol وهي تكثر في الخميرة Yeast وفي « أرجوت» الجويدار ergot of rye . والظاهر ان تأثير الأشعة فوق البنفسجية في جسم الحيوان انما يتلخص في كثرة تكون فيتامين د - D في الجلد بفعل الاشعة المذكورة في مادة الارجوسترول التي في الجلد . ثم يمتص الدم هذا الفيتامين ويدخل الجسم كما يدخله عن طريق الفم والامعاء

ومن ثمَّ يتضح ان الفيتامين د — D يمكن التداوي به عن طريق الفم او عن تعريض الجسم للاشعة. والكساح الآدمي سرعان ما يشفى بتناول مقدار يتراوح بين ٢ و ٤ ملليجرام من الارجوسترول المعرّض للاشعة

وفيتامين د — D قليل في الاغذية العادية انما يكثر في زيت كبد بعض الاسماك وزيوت الاسماك الاخرى. وهو قليل في اللبن والزبدة ولكن مقداره هناك يختلف بحسب الفصول

أو بعبارة اخرى بمقدار تعرّض الحيوان لأشعة الشمس في تلك الاوقات

وتوصل البعض الى اطعام الابقار زيت كبد الحوت ووجدوا أثر ذلك ان البان هذه الابقار حوت مقادير كبيرة من فيتامين ا و د (A & D)(١)

﴿ الفيتامين (هـ — E) ﴾ اكتشف كل من ايفانس Evans وسكوت Scott عام ١٩٢٢ ان العقم في ذكور الفيران واناثها انما هو نتيجة قلة تناول الفيتامين هـ الذي يذوب في الايثر ويمكن بهذه الطريقة استخراجه من الخضروات

ويكثر هذا الفيتامين في القمح النابت وأوراق الخس، ولكن مقاديره متوسطة في كل الحبوب وفي الزيوت المستخرجة منها، وفي الاوراق الخضر النباتية جافة كانت او رطبة وكذا في الفواكه . وهو يوجد أيضاً في اللحوم والدهن الحيواني وصفار البيض واللبن . وهو يكاد يكون معدوماً في الخصيتين والكبد والكليتين والمخ وزيت كبد الحوت والخميرة والدقيق والارز المقشور ولا يتأثر هذا الفيتامين بالطهي . وقد تمكن القوم من استحضار هذا الفيتامين بشكل مركّز حتى ان تعاطي مقدار يسير منهُ يبعث على الحمل

﴿ الفيتامين والغذاء ﴾ ان تناول انواع الفيتامين في الغذاء امر ضروري لكل شخص وعلى الاخص الاطفال والنساء الحوامل والمرضعات لان قلة تعاطي الفيتامين في الرضاعة والطفولة يحدث تأثيراً سيئاً في دور البلوغ . فالاطفال الذين لا يتناولون المقادير الكافية من الفيتامين يتعرضون للاصابة بالاسقربوط والبريبري والبلاجرا والكساح وجفاف الملتحمة وتلف الاسنان الخ

ولما كان غذاء الجنين والرضيع هو عن طريق امه وجب عليها ان يكون غذاؤها حاوياً لكل انواع الفيتامين بمقادير كافية . ولا يبعد مطلقاً ان تكون هناك حالات مرضية اخرى لا نزال نجهلها ناجمة عن قلة تعاطي انواع اخرى من الفيتامين

ويرى الباحث في الجدول التالي بياناً بأهم منابع الفيتامين في الاغذية المعتادة . لكن مقادير هذه الانواع من الفيتامين غير ثابتة . ويتضح من الجدول ايضاً ضرورة تنوع الغذاء وعدم قصره على انواع مخصوصة فان الحالة الاولى تمكن الشخص من تناول انواع الفيتامين المتعددة بينما الحالة الثانية لا تمكنهُ الاَّ من تناول بعض انواع الفيتامين فقط دون الانواع الاخرى

﴿ طريقة تفاعل الفيتامين في الجسم ﴾ لاتزال هذه الطريقة مجهولة. ولكن ضرورة هذه المواد للجسم ونتيجة استعمالها يجعلانها كثيرة الشبه بمفرزات الغدد الصم كالادرنالين . ويظهر ان جسم الانسان والحيوان في حاجة الى بعض العقاقير التي لا يمكنهُ ان يصنعها بواسطة احشائه وان من هذه العقاقير انواع الفيتامين المذكورة . والابحاث المقبلة كفيلة باظهار الحقيقة

(١) راجع مباحث Zilos, Drummond, Golding

منابع الفيتامين في الأغذية العادية

الاسم	ا	ب١	ب٢	ج	د	هـ
اللحم		+	++			+
كبد ذوات الثدي	+++	++				
السمك						
زيت كبد السمك	+++				+++	
اللبن	+	+	+	+	+	+
الزبدة	+				+	+
الجبن	+				+	
السلق النباتي						+
خضراوات غير مطبوخة	++	++		+++		+++
خضراوات مطبوخة	++	++		+		+++

الاسم	ا	ب١	ب٢	ج	د	هـ
الحبوب		+++	+			+
البطاطس		+		+		
اللفت		++		+++		
فواكه غير مطبوخة				+++		
دقيق أبيض		+				
دقيق أسمر	+++	+++	+			+++
بيض	+++	+++	+			+++
خميرة		+++	+++			

رافائيل

لألفونس دي لامرتين

تكاد تكون رواية رافائيل أبلغ ما جادت به قريحة لامرتين المبدعة لانه أودع فيها كل عواطف نفسه وخوالج فؤاده . فقد عشق وتدله . وكان عشقه وتدلهه أشبه بأشعة الوحي التي لا تنير ما حولها فقط بل تخلق جواً يمتد مع الزمن فيستضيء به كل الذين يغمرهم . لان تتيمه كان عفافاً وهيامه طاهراً نقيا . وهذا الضرب من الحب هو قيثارة للعواطف السامية ، وشعلة تلهب الروح وترفعها كدخان البخور الى السماء التي هبطت منها . وتسمو بها الى الخلود الذي منه مبتداها واليه معادها

ولما كانت هذه الرواية تحت الترجمة رأينا ان ننقل من أوائلها نبذة يصف بها لامرتين حبيبته جوليا التي صادفها في الفندق ولم يكن بعد قد تعرف اليها ولا خاطبها بكلمة . قال :

كانت جالسة وعلى رأسها ركن من الشال ليقيه رطوبة الليل ، وهي متهالكة على نفسها قد أمالت عنقها على كتفها اليسرى ، وأغمضت عينيها . فشحب وجهها وتنكرت أساريرها ، وغاصت في فكرة صامتة ، فبدت كأنها تمثال الموت، ولكن الموت الذي يجذب ويبعد النفس عن مشاعر الآلام البشرية ، ويحملها الى ربوع الضياء ، تحت أشعة الحياة الحقيقية

وقد احدثت قدماي صوتاً على اوراق الكرم اليابسة ، ففتحت عينيها اللتين كانتا بلون البحر الصافي . وهما لوزيتا الشكل ، ذابلتان من ضعف الجفون . تحيط بهما أهداب حريرية سود طويلة الكحل الطبيعي . الذي تعمد الشرقيات الى تقليده بتكحيل عيونهنّ ، ليزدنَ في شدة سحرها ، وليمنحن فتورها قوةً وذبولها مضاءً

وكانت نظرات هاتين العينين كأنها منبعثة من مكان سحيق ، لم ارَ لها مثيلاً في عين انسانية اخرى ، فتُشبه تماماً نيران الكواكب التي تسعى اليك لتمسّك في لياليك ، والتي تُقبل من السماء من بعد شاسع لا يُدرَك له مدَى

ويتوسط وجهها انف يوناني، يتصل بخط لا إلتواء فيه بجبهة مرتفعة منكمشة، كأنها مضغوطة بفكرة قوية، وكانت شفتاها رقيقتين منخفضتين قليلاً من طرفيهما بثني ، تحفره عادةً يدُ الحزن ، واسنانها من عروق اللؤلؤ لا من العاج ، تماثل اسنان فتيات الشواطىء البحرية الرطبة ووجهها بيَضي قد تناولهُ الهُزال حول الصُدغين وتحت الفم ، فهو والحالة هذه ، اشبه بهيئة مجسمة للفكر، لا مُحيّاً لمخلوق بشري ، يعبرّ عن ذبول خفيّ ، يتراوح بين فتور الالم وفتور الهُيام ، فلا يتسنى للنظر ان ينحرف عنهُ ، دون ان يحمل صورته في سوْدائه

وكانت هذه المخلوقة رؤية لداعٍ نفسيّ مُسْعِدٍ تحت مظهر ابدع جمال حلِم بهِ انسان رقيق العواطف دقيق الشعور

ألقيتُ عليها السلام باحترام كليّ ، واسرعت الخطاء في الممرّ الممتدّ امامها ، وكأن هيئتي الرزينة وعينيّ المطرقتين تسألها العفو والمغفرة ، لإزعاجي اياها عن غير عَمْدٍ

فلما وقع نظرها عليَّ ، ورأتني مقترباً منها ، انصبغت وجنتاها الشاحبتان بلونٍ احمر خفيف فدخلت غرفتي وقد اصابتني رِعدة لا ادري ماهيتها

وبعد دقائق قليلة نهضت من مكانها ، ودخلت النزل وهي تلقي على نافذتي نظرة لامبالاة فيها ولا اكتراث . وفي الايام التالية كنت اشاهدها في الحديقة وفي الفناء ، وفي السهول والجبال والوديان وعلى صفحات البحيرة . لكن محادثتها لم تخطر لي ببال ، بل لم تدفعني الجرأة الى الافضاء اليها بكلمة سوى السلام ، فكانت ترده اليَّ بذهول محزن وتعاود سيرها ، كما اداوم انا طريقي ، دون ان يفكر احدنا بالآخر

ومع ذلك كنت أشعر في مساء اليوم الذي لا اراها فيهِ ، بأني حائر النفس حزين القلب ، فكنت انحدر الى الحديقة دون قصْد ولا غاية ، فأمكث فيها على الرغم من المطر وبرد الليل ، وعيناي معلَّقتان بنافذتها ، وكان يشقُّ عليَّ ان اعود الى غرفتي دون ان يكتحل ناظريَّ برؤية خيالها يموج بين السُتُر ، او ان تشنّف أُذُني نغمةٌ من التي توقعها على البيانو ، او ان اسمع رنة صوتها العذب الممزوج بلحنٍ غريب ساب

وكانت الغرفة التي تقضي فيها ساعات المساء ملاصقة لغرفتي ، لا يفصلها عنها سوى باب ضخم من خشب البلّوط مقفلٍ بمزلاجين ، فكان يتسنى لي سماع وقع اقدامها وحفيف ثوبها ، وحركة صفحات الكتاب التي تقلبها اناملها ، وكان يخيَّل اليَّ في بعض الاحيان اني اسمع صوت تنفسها

وقد وضعتُ في بادىء الامر ، الطاولة التي كنت اكتب عليها بِلصْق ذلك الباب ، دون ان يكون لي مأرب من ذلك فشعرت بعدئذٍ بأني اقل وَحْدة من ذي قبل ، لا سيما عند ما طفقتُ أُنصت الى تلك الحركات الخفيفة التي تكتنفني ، فكنت اتصور اني اعيش برفقة عشير ، مع تلك الشخصية التي كانت تملأ ايامي كلها من غير ان اشعر

وصفوة القول : لقد كان لي كل افكار الحب ومشاغله ، ومبادراته واستدقاقاته ، قبل ان يخطر لي ببال اني حبٌّ مستهام ، فلم يكن العشق يبدو لي في اشارة معينة ، او في نظرة خاصة ، او في اقرار بيّنٍ ، او في ظرف خارجي ، ليتسنى لي والحالة هذه التوقي والتحرُّز ، بل كان شبيهاً بتلك الابخرة الوبائية غير المنظورة ، المتصاعدة من الآجام ، فتملأ الفضاء الذي يحيط بي ، وتَعمُّ الضياءَ الذي يكتنفني ، والفصل المحتضر الذي اجتازه ، وتنتشر في وَحْدة حياتي ، وفي التقرُّب الخفيّ بيني وبين تلك الشخصية ، التي تبدو لي وحيدة ايضاً ، وفي تلك التَّجوالات

الطويلة المدى ، التي لا تبعدني عنها ، الاَّ لكي تجعلني اشعر بشكل اوضح ، بتلك الجاذبية الطائشة التي تقرّبني منها ، وفي ثوبها الابيض الذي كنت ألمحهُ من بعد بين اشجار الجبال ، وفي شعرها الاسود الذي كان هواءُ البحيرة ينشرهُ على حافة الزورق ، وفي وقع خطواتها على الدرج ، وفي الضياء المنبعث من نافذتها ، وفي أنين أرضية غرفتها الخشبية الخفيف عند ما تطأها اقدامها ، وفي صرير قلمها على القرطاس عند ما تكتب ، وفي سكون ليالي الخريف الطويلة التي تحييها وحيدة بالقراءة او بالكتابة او بالتأمل ، وهي على قيد خطوات مني ، واخيراً في سحر ذلك الجمال الخيالي ، الذي تأملته طويلاً دون ان اراه ، والذي استبينه عند ما أغمض عينيَّ ، فيظهر لي من وراء الجدران ماثلاً أمامي كانه شفاف قد خرج من مادّته ، ليبدو لبصيرتي وباصرتي في آنٍ واحدٍ .ولم تكن هذه العاطفة التي أشعر بها لتمتزج بعجلة مجازفة ، ولا بفضول يحملني على اختراق سترْ تلك العزلة ، وازالة ذلك السدّ الواهي الذي يحول بيني وبينها ، فقد خاطبت نفسي قائلاً : «ماذا يعنيني من أمر هذه المرأة المريضة القلب او الجسم ، التي جمعتني بها الصُدف في جبال بلاد غريبةٍ ؟ »

وبعد ذلك اعتقدت على الاقل ، بأني نفضت غبار قدميَّ ، لأني لم أكن اريد ان ارتبط في الحياة بأدنى صلة للروح او للشعور ، لاسيما جنوح القلب واستسلامه ، فكان مقتي للحب شديداً ، لاني لم أعرف تحت هذا الاسم سوى تقلّبه وتلوّنه . وطيشه ونزقه ، ودنسه ورجسه ، ذلك اذا استثنيتُ حبي لانطونين ، الذي لم يكن الاَّ عاطفة أخّاذة ، فاتنة ،سريعة الزوال ، وزهرة سقطت من غصنها قبل ان يتضوّع أريجها ويفوح طيبها

ومع ذلك من تكون هذه المرأة ؟ هل هي كائن مثلي ام شهاب من الشهب الحية التي تخترق سماء تصوراتنا ، دون ان تترك اثراً سوى ما تخلّفهُ في العين من انخطاف سريع للبصر؟ وهل هي من وطني او من وطن ناءٍ ، من احدى جزائر الشرق او خط الاستواء ، حيث لا يمكنني اللحاق بها ؟ فاكون قد عبدتها اياماً لأبكيها دواماً ، وهل قلبها خالٍ ليجيب عن خفقان قلبي ؟ وهل مما يسلّم بهِ العقل ان هذا الجمال قد قطع مراحل الحياة ، ووصل الى هذا النضوج الذي يمسّ الافول ، دون ان يضرم في طريقهِ نار الحب في قلبٍ وقعت عليهِ انظاره؟ وهل لها ابٌ او امٌّ او اخوات او اخوة ؟ وهل هي متزوجة ؟ وهل لا يوجد في العالم رجل قد نأى عنها غاضباً لاسباب غامضة ، لكنهُ يحيا في فؤادها كما تحيا في فؤاده ؟

كنت اردد كل هذه الاسئلة على نفسي،لأبعد عنها هذا الاستهواء القهري المثبط للعزيمة الذي كنت اجده عذباً لذيذاً ، فاترفع عن الاستنباء عنها لاني كنت اربأ بنفسي عن استطلاع طلع الغير ، فكنت اجد أليق بي ان اترك روحي تهيم في المجهول ، لانها تستشعر من ذلك راحة وهناءً

القاهرة جورج نيقولاوس



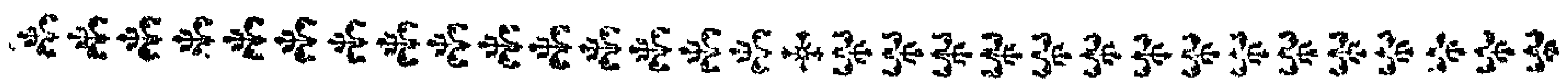
التواقت

أجمل نظريات النسبية وأفكهها

Simultan i :

الحادثان الواقعان في وقت واحد بالنسبة اليك
يسبق احدهما الآخر بالنسبة الى غيرك

انقولا الحداد



يراد بكلمة «التواقت» حدوث حادثين متباعدين في وقت واحد كقولك مات فلان في الهند وولد آخر في الصين في وقت واحد ، اي في نفس الثانية والدقيقة الخ . فيقال ان هذين الحادثين متواقتان . او كقولك ان القمر خسف في الدقيقة الفلانية لان خسوفهُ حادث ووقوف عقرب الساعة عند الدقيقة المذكورة حادث آخر . فهما متواقتان . فهل يمكن ان يعدّا متواقتين في نظر كل من الناس ام ان التواقت أمر نسبي يختلف باختلاف المراقبين المتباعدين احدهما عن الآخر وعن الحوادث انفسها ؟ لعلك تستهجن القول ان حادثين معينين متباعدين يكونان بالنسبة الى زيد من الناس متواقتين وبالنسبة الى عمرو احدهما حدث قبل الآخر . ولكن التمثيل يجلو لك حقيقة ناصعة لم يكن ليفطن لها احد قبل اكتشاف ناموس النسبية . ولعلّ قضية التواقت هذه أغرب قضايا النسبية وأعجبها وأفكهها

لقد فهم القارىء من مقالاتي السابقة ان نظرية النسبية لا شأن لها بالمادة المجردة من الحركة بل شأنها خاص بحركة المادة. فأي حركة مادية (غير عقلية) مهما كان نوعها او قدرها او اتجاهها او تأثيرها تعد حادثاً . والنسبية « ناموس الحوادث » في المكان والزمان معاً (لا في أحدهما دون الآخر) بالنسبة الى المراقبين المتباعدين مسافةً . فاذا كان مراقبان في مكان واحد شهدا معاً حادثين متواقتين . ولكن اذا كان احدهما بعيداً عن الآخر ومتحركاً بالنسبة الى الآخر اختلف وقت المشاهدة بينهما لان تباعدهما في المكان يستوجب تباعدهما في الزمان (١)

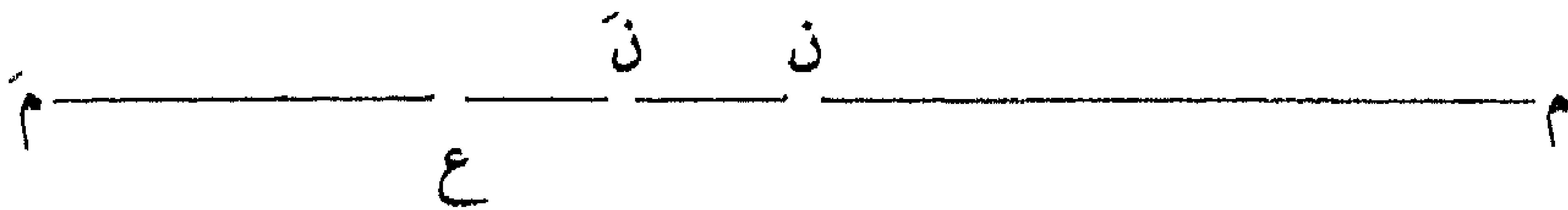
وهنا وجه الغرابة . ولكن اذا فطن القارىء الى ان خبر الحادث لا يصل الى المراقب الاَّ

---

(١) من أبسط الشواهد على ان تباعد المكانين يستلزم تباعد الزمانين انه لما كنت في نيويورك قرأت في احدى الصحف الساعة الحادية عشرة قبل الظهر تلغرافاً فحواه ان ملكة اسبانيا ولدت صبياً في الساعة الثانية بعد الظهر من ذلك النهار . فكأني قرأت خبر الحادث قبل حدوث الحادث نفسه

عن طريقي بصره او سمعه بواسطة امواج النور (او الاشعاع المغنطيسي الكهربائي الذي يعد النور من انواعه العديدة — كاللاسلكي) او امواج الصوت الهوائية تمهد له السبيل الى فهم كيف ان تباعد المكانين يستوجب اختلاف الزمانين

ان النور الذي ينقل خبر الحادث المنظور الى بصرك يسير بسرعة ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية (في الفراغ) ، والصوت الذي ينقل خبر الحادث المسموع الى اذنيك يسير بسرعة ٣٣١ متراً في الثانية . فسرعة النور نحو مليون مرة كسرعة الصوت تقريباً . ولذلك يرى المشاهد ومض البرق قبل ان يسمع رعدهُ . كما انه يشاهد لهبة المدفع قبل ان يسمع دويه. ويسمع رجع الصدى بعد صدور الصوت بوقت طويل او قصير بحسب بعد المكان الذي يرجع الصدى . فنحن اذن نميز بسهولة استغراق الصوت للوقت . ويتعذر علينا ان نميز استغراق النور للوقت ولهذا نبدأ بالتمثيل على قضية التواقت بمثلٍ صوتي لكي نقرب النظرية لفهم القارىء ما امكن. وثم ننتقل الى التمثيل بالنور بالنيابة عما يؤاخيه من انواع الاشعاع التي تنقل اخبار الحوادث بواسطتها كاللاسلكي والراديو



التواقت الصوتي

لو كنت واقفاً امام خط سكة حديدية مستقيم عند ن مثلاً وامامك مرآتان ظهراهما متعامدان وهما مائلتان الى الخط كما ترى في الرسم بحيث ترى فيهما في وقت واحد لمعتين صادرتين من جانبي الخط م←→ مَ. ثم شاهدت اللمعتين . وبعد هنيهة سمعت طلقتي مدفعين موجودين عند م . و . مَ في وقت واحد معاً . فاذا سألتك : هل انطلق المدفعان في وقتٍ واحد معاً ، فماذا تجيب ؟

قد تقول : لا ريب عندي انهما انطلقا معاً لاني سمعت الطلقين في نفس اللحظة

قد يتراءى هذا القول مقنعاً أو مفحماً . ولكن لنفرض ان شخصاً آخر واقف عن يسارك عند ع مثلاً وسألناه فقال سمعت صوت المدفع مَ قبل صوت المدفع م . ولذلك اعتقد ان ذاك انطلق قبل هذا فهل ترفض حكمه ؟

لعلك تتردد هنا برهة في الجواب ثم تقول . لا يخفى عليك ان انتقال الصوت يستغرق نحو ٣٣١ متراً في الثانية . فاذا كان هو قد سمع مَ قبل م فلأنه اقرب الى ذاك منه الى هذا — حسن. اذاً للمسافة تأثير في الوقت بين السامع ومصدر الصوت لان المسافة تساوي حاصل

السرعة مضروبة بالوقت . فلو فرضنا فرضاً آخر وهو انك قست المسافة بينك وبين كل من المدفعين ووجدت ان موقفك كان اقرب قليلاً الى مَ منه الى م. عند نَ مثلاً . ولكن موقع ع اكثر قرباً منك الى مَ . وهو سمع مَ قبل م وانت سمعت الطلقتين معاً في وقت واحد فهل تحكم ان المدفعين انطلقا معاً ؟

لعلك تجاوب على الفور قائلاً : لا . لا بد ان يكون م قد انطلق قبل مَ بمقدار مسافة الفرق بين مسافتي بعدي عن المدفعين . وهذا الفرق في المسافة يستغرق مدة الفرق بين وقتي الطلقتين تماماً . ولذلك بلغت الطلقتان اليَّ في وقت واحد

— حسن جدًّا . وهنا يترتب عليك ان تحدّد لي ماذا تعنيه « بالتواقت » اي بحدوث الطلقتين في وقت واحدٍ معاً بحيث استطيع ان اطبقه على كل حادث . لانك في الفرض الأول حكمت ان المدفعين انطلقا في وقت واحد لانك سمعت طلقتيهما في وقت واحد . وفي الفرض الثاني حكمت ان م انطلق قبل مَ مع انك سمعت الطلقتين في وقت واحد . فظرف السمع هنا لم يتغير . فلماذا اختلف الحكمان؟

تقول قول المنتصر في المناقشة: ولكن ظرف موقفي بالنسبة الى مسافتي المدفعين عني تغير في الفرض الثاني عنه في الفرض الاول . فلا بدّ اذن من اختلاف الحكمين

— حسن . وحسن . فماذا تعني اذاً بالتواقت ؟ اتعني ان سمعك للمدفعين في وقت واحد بصرف النظر عن وقت انطلاقهما يدعى تواقتاً ! ام ان انطلاقهما في وقت واحد بصرف النظر عن سمعك لهما يدعى تواقتاً . انبهك . هل ميّزت الفرق بين السؤالين ؟

— ميّزتهُ جيداً. الاول صوتان بلغا اليَّ معاً. والثاني صدورهما البعيدان عني حدثا معاً

— حسن . فاي الامرين تعنيه تواقتاً ؟

— اعني تطابق الامرين معاً اي يجب ان يكون المدفعان قد انطلقا في وقت واحد كما اني سمعتهما في وقت واحد فيكون هذا التطابق تواقتاً بكل معنى الكلمة . ولكن اذا سمعتهما في وقت واحد مع ان احدهما انطلق قبل الآخر كما فرضت في الفرض الثاني فلا يسمى هذا « تواقتاً »

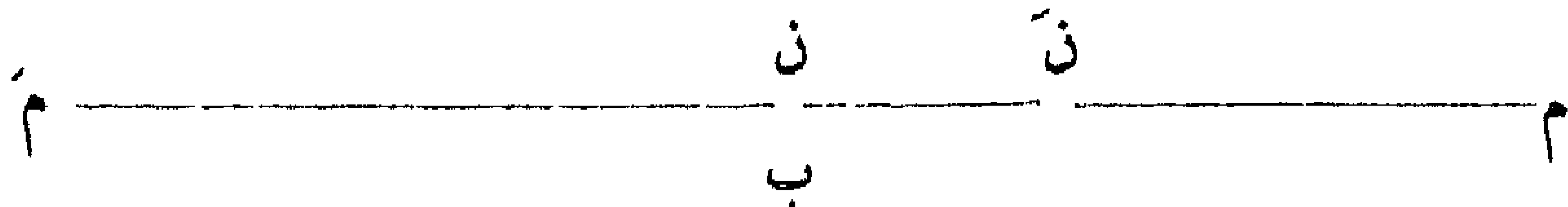
— كيف تعرف ان الانطلاق والسمع متطابقان في التواقت ؟ بل كيف تعرف ان المدفعين انطلقا في وقت واحد

وهنا وجمت وبعد قليل قلت : — اذا سمعت الطلقتين في وقت واحد اقيس المسافة بيني وبين كل من المدفعين فان وجدت المسافتين متساويتين اي اني في وسط المسافة بين المدفعين افهم انهُ لابد ان تكون مدتا انتقال الصوتين متساويتين ايضاً وبالتالي لابد ان يكون المدفعان قد انطلقا في وقت واحد . لذلك احدّد لك معنى « التواقت » هكذا : اذا كان السامع في وسط المسافة بين مصدري صوتين فسمع الصوتين في وقت واحد فلا بد ان يكون انطلاق المدفعين

قد حدث في وقت واحد ايضاً . فان لم يكن السامع في وسط المسافة فلا اعتبار لسماعهِ سواء كان متواقتاً او متفاوتاً

حسن . فلنرَ : هل هذا التعريف يصح ان يُطلَق على كل حادث ؟ الى هنا فرضنا انك ثابت عند الخط ، وان المدفعين ثابتان ايضاً ، وان الهواء الذي تنتقل بهِ امواج الصوت ثابت ايضاً . كلكم ثابتون بالنسبة الى الارض (ولكنكم لستم ثابتين بالنسبة الى الشمس وسائر الاجرام . وبالاجمال لستم ثابتين بالنسبة الى الفضاء المطلق)

فلنغضّ الطرف عن تحرُّك الهواء والارض والنظام الشمسي الخ ونقتصر على النظر الى الحركة على خط السكة الحديدية فقط . ولنفرض ان قطاراً يسير على الخط الحديدي بسرعة ٣٣ متراً في الثانية (عُشر سرعة الصوت) من جهة مَ الى جهة م وان ن موجود في القطار . ولنفرض ان ب واقف امام الخط في منتصف المسافة بين م . و . مَ وان عندهُ جهازاً كهربائيًّا



يمتد منهُ سلكان الى المدفعين بحيث انهُ اذا ضغط على زرّ ينطلق المدفعان . فبالطبع يلتقي صوتا الطلقتين في اذنيهِ في وقت واحد . ولنفرض انهُ ضغط على الزر حينما مرَّ ن امامه . فما قول القارىء : هل تكون الطلقتان متواقتتين لكل من ب . و . ن لان كلاًّ منهما كان في منتصف المسافة حين ضغط ب على الزر ؟

اذا فكَّر القارىء قليلاً يكتشف ان ب سمع الطلقتين في وقت واحد بلا شك . ولكن ن سمع م قبل ان سمع مَ . لماذا ؟ لانهُ لما وصل صوتا م ومَ الى موقف ب كان ن قد اجتاز مسافة (قل) ٣٣٠ متراً في مدة عشر ثوانٍ (١٠ + ٣٣) فبلغ الى نَ مستقبلاً صوت م قبل ان يدركه صوت مَ فيسمع ذاك قبل هذا في عشر ثوانٍ

فترى مما تقدَّم ان وجود المراقب في وسط المسافة بين مصدري الصوتين لا يضمن التواقت له اذا كان متحركاً بالنسبة الى ب . ففي هذا المثل كان كلٌّ من ب . و . ن في منتصف المسافة بين المدفعين ومع ذلك تواقتت الطلقتان للرقيب ب ولم تتواقتا للرقيب ن . ولو تواقتت الطلقتان للرقيب ن لسبقت احداهما الاخرى في مسمع ب

اذن لا بد من التسليم بنظرية النسبية وهي ان التواقت نسبيٌّ ايضاً . فما كان متواقتاً لزيد لا يكون متواقتاً لعمرو اذا كان الاثنان متباعدين واحدهما متحركاً بالنسبة الى الآخر

ينتج من ذلك ايضاً ان لكل جسمٍ منسوبٍ اليهِ كالخط الحديدي او القطار او من كان مقيماً عندهما وقتهُ الخاص مختلفاً عن وقت جسم آخر او رقيب آخر اذا كان احدهما متحركاً بالنسبة الى الآخر . واذا لم يذكر جسم (او رقيب) منسوبٌ الحادثُ اليهِ فلا معنى للقول

ان الحادث حدث في وقت كذا . فاذا قلنا ان الطلقتين صدرتا في وقت واحد او ان احداها صدرت قبل الاخرى وجب ان نقول بالنسبة لمن كان وقت الحدوث هذا ، لان فلان سمع في الثانية الفلانية وفلاناً آخر سمع في ثانية اخرى

قد تعترض قائلاً ان شرط التواقت كما علمنا آنفاً هو ان يكون المراقب للطلقتين في وسط المسافة بين مصدريهما تماماً . وهذا الشرط لم يتم للشخص الذي في القطار لانهُ لما بلغت الطلقتان اليه لم يكن باقياً في منتصف المسافة المذكورة بل صار اقرب الى م منه الى مَ فلذلك لم يسمع الطلقتين معاً : اذن لا يكفي للتواقت ان يكون الشخص في منتصف المسافة حين صدور الطلقتين كما حددت معنى «التواقت» سابقاً بل يجب ان يبقى في منتصفها حين يصل الصوتان اليه ايضاً . واذا بقي ن عند ب كانا في ظرف واحد فكأَنهما شخص واحد وكان التواقت هذا منحصراً في موقف واحد لا يختلف فيهِ السماع مهما تعدد الرقباء . فلا نسبية هنا . وانما اذا كان ن متحركاً وب ثابتاً صار التواقت نسبيًّا لكل منهما يختلف للواحد عنهُ للآخر

التواقت النوري

الى هنا قصرنا التمثيل على الحوادث الصوتية اي التي تنتقل اخبارها بواسطة الصوت ، لسبب اننا نستطيع ان نميز الفرق في المدة بين صوت وصوت اذا اختلفت مسافة مصدريهما عنا . فاذا رمنا ان نمثل بالنور بدل الصوت ، اي اذا شئنا ان نراقب لمعتي المدفعين بدل صوتيهما وجب اما ان تكون لنا قوة احساس نظري تميز الفرق بين اللمعتين في جزء من مليون من الثانية — والحس البصري لا يستطيع هذا التمييز — او ان تكون المسافة بين مصدرين للنور ملايين الكيلومترات . وهذا ما يتعذر علينا قياسه كما نقيس المسافة بين المدفعين . وانما تقاس هذه المسافات العظيمة بوسائل اخرى يمارسها علماء الطبيعة والفلك ولا محل لشرحها هنا . ولان هذه الوسائل ينحصر اجراؤُنا لها في ارضنا فقط اي على جرم واحد من اجرام الكون فهي تجعل نسبية التواقت امراً محتوماً لا مناص منه ، لاننا نحسب كل حركة من حركات الاجرام بالنسبة الينا فقط . وهي تختلف بالنسبة الى اي جرم آخر

ثم ان الفرق العظيم بين طبيعة النور وطبيعة الصوت تجعل «نسبية التواقت» اشد حتمية كما سترى . الصوت ينتقل امواجاً هوائية والهواء لا يكون على وتيرة واحدة . فتارة يكون ساكناً واخرى متحركاً وتارة كثيفاً واُخرى لطيفاً او بارداً او حارًّا . وكل ذلك يجعل سرعة الصوت مختلفة باختلاف هذه الاعتبارات . اما النور (وكل اشعاع كهربائي مغنطيسي) فله سرعة واحدة في الفضاء لا تتغير . ثم ان الصوت يكتسب مع سرعته سرعة الارض التي

يسير في هوائها . ولهذا تختلف سرعتهُ بالنسبة الى الفضاء . فاذا كانت سرعته على الارض ٣٣١ متراً بالثانية فهي في الفضاء بالنسبة الى الشمس ٣٠ كيلو متراً مع ٣٣٠ متراً في الثانية لان الارض تسير بهاتيك السرعة . واما النور فلا يكتسب سرعة الجسم الذي يصدر منه او الذي يمر عليه . فأينما سار والى اي جهة اتجه تكون سرعته واحدة بالنسبة الى الفضاء. فسرعته في الفضاء تعد «سرعة مطلقة» تنسب اليها سائر السرعات وتقاس بها . اقول ان سرعته مطلقة بالنسبة الى الفضاء على اعتبار ان الفضاء ساكن ولكن كيف نعلم ان كان الحيز الفضائي الذي تجول فيه الاجرام ساكناً او متحركاً . فلا مناص من النسبية اذاً . ولذلك سيرى القارىء ان نسبية التواقت النوري ابعد غوراً وأعظم شأناً وأكثر تعقداً من نسبية التواقت الصوتي وهي التي تتمشى مع ناموس النسبية

للتمثيل على نسبية التواقت النوري في الابعاد السحيقة اضرب مثلاً ضربه الاستاذ تيرينغ النمساوي في كتابه «النسبية بلغة بسيطة»

في ٢١ فبراير سنة ١٩٠١ ظهر للفلكيين نجم جديد في كوكبة برساوس Perseus فسماه الفلكيون نوفا برساي Nova Persei اي جديد برساوس . هذا النجم الذي كان قبلاً مظلماً او خفياً لسبب مجهول ضاء بغتة لسبب مجهول ايضاً واصبح منظوراً

ولا يخفى عليك ان سطوع هذا النجم استغرق وقتاً قبل ان ظهر للفلكيين . فتأخر وصوله الى الارض يساوي المدة التي قضاها النور في رحلته من النجم الى الارض. وقد حسب الفلكيون مسافة بعده عنا فاذا هي ثلاثون سنة نورية . اي ان النور يقضي ٣٠ سنة منذ صدوره عنه الى ان يصل الينا . وهذه المسافة تساوي نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٠٠ ٨١٦ ٨٣٩ ٢٨ كيلو متر = سرعة النور مضروبة بعدد ثواني الثلاثين سنة

ولذلك تساءل الفلكيون وعلماء النسبية منهم : اي تاريخ في ارضنا يطابق اول سطوع لذلك النجم ؟ بحسب حساب الفلكيين لبعد ذلك النجم (٣٠ سنة) يكون اول سطوعه قد حدث في ٢١ فبراير سنة ١٨٧١ اي ان مولد ذلك النجم واليوم الحادي والعشرين من فبراير سنة ١٨٧١ يعتبران حادثين متواقتين . فهل هذا الاعتبار صحيح في نظر علماء النسبية ؟

بحسب رأي علماء الفلك الطبيعي الرياضي هذا الاعتبار صحيح لان ناموس سرعة النور لا يتغير في زمان ولا في مكان والرصد دقيق ومضبوط والحساب مضبوط ايضاً. ولكنّ لعلماء النسبية رأياً آخر . لانهم ينظرون الى اعتبارات اخرى تجعل شكًّا في هذا الاعتبار . هؤلاء يسلمون بحساب الفلكيين ولكن الفرق بين الفريقين ان الفلكيين اعتبروا النظام الشمسي (الذي ارضنا ضلع منه) وذلك النجم ثابتين كلاًّ في موقعه ،اوعلى الاقل ان المسافة بينهما ثابتة . وبناء على هذا الاعتبار يتموا حسابهم . ولكن علماء النسبية اذا سلموا بأن المسافة بين

النجم والارض ثابتة لا تتغير فلا يسلمون ان خط هذه المسافة الثابت الطول لا يختلف موقعه بالنسبة الى سائر الاجرام

ل ← ع* → د

ر* .... *ن

*غ

لنفرض ان ر الارض (او النظام الشمسي) و ن النجم نوفا برساي وع العيوق . ولنفرض ان خط المسافة بين ر ←→ ن ثابت (٣٠ سنة نورية) غير متغير اي ان الارض والنجم يسيران في اتجاه واحد وبسرعة واحدة بحيث تبقى المسافة بينهما كما هي . ولكن خط المسافة هذا بالنسبة الى ع وغيره من الاجرام العديدة (التي انبئنا العيوق عنها) متحرك او هي متحركة بالنسبة اليه او كلاهما متحركان الواحد بالنسبة الى الآخر حركات مختلفة السرعة والاتجاه. ففي حين من الزمان يصبح النجم ع عند غ مثلاً . فاذن كل من ر. و. ن. يتغير موضعه في الحيز الكوني وان لم تقصر المسافة بينهما او تطول. ولكن هذا التغير في وضعهما لا يؤثر شيئاً في مسير النور وسرعته

فمتى صدر النور من النجم ن اصبح حرًّا في سرعته وانتشاره الى جميع الجهات. ولذلك يصل الى ر بعد ان يتم رحلته بمعدل ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية . فكم استغرقت رحلته ؟ هل استغرقت ٣٠ سنة ؟ فلنر اذا كان خط المسافة ر ←→ ن يسير في اتجاه السهم د من جهة ن الى ر بسرعة س (قل ١٠ كيلومترات بالثانية) فالنور الصادر من ن يصل قبل ٣٠ سنة بمدة تساوي $\frac{س}{ن}$ × ثواني ٣٠ سنة تقريباً باعتبار ان ن ترمز سرعة النور . وان كان الخط المذكور يسير في اتجاه السهم ل بسرعة س اي بعكس الفرض الاول تأخر وصوله بذلك القدر لان الارض (مع النظام الشمسي) تقرب الى النور القادم اليها فتختصر المسافة والمدة في الفرض الاول وتبتعد عنه في الفرض الثاني فتطول المسافة والمدة

لو كان في الامكان ان نكتشف سرعة ذلك الخط (المسافة بين الارض والنجم) بالنسبة الى الحيز الفضائي لاستطعنا ان نعلم بالضبط المسافة التي قطعها النور بين الجرمين . ولكن من يستطيع ان يكتشف هذا الاكتشاف المستحيل ؟ لانه ليس في الفضاء جرم ثابت تنسب اليه مواقع الاجرام وحركاتها لنعلم كم ميل يبعد ذلك الخط عن الجرم الثابت او يقرب اليه ، فاذا اكتشفنا سرعة هذا الخط بالنسبة الى ع العيوق او غ نبقى جاهلين سرعته الحقيقية بالنسبة الى الفضاء المطلق . لان العيوق نفسه سائر ايضاً بسرعة خاصة .لقد عرف الفلكيون ان النظام

الشمسي يسير بسرعة ٢٠٠ الى ٤٠٠ ميل في الثانية بالنسبة الى مركز المجرة. ولكن المجرة نفسها غير ثابتة بل هي متحركة في الكون مع سائر مجراته المتحركة بسرعات مختلفة . اذاً يستحيل ان نعرف سرعة تحرك الخط بين ر و ن بالنسبة الى الفضاء . ولذلك يستحيل ان نعرف في كم سنة يقضي النور رحلته بينهما . فاذا قال الفلكيون ان بيننا وبين النجم الذي نحن بصدده ٣٠ سنة نورية فان هذا القول يصدق على المراقب الارضي فقط وفي حين الرصد فقط. فلو امكن ان ينتقلوا بغتةً الى ذلك النجم ويرصدوا الارض منه لاختلفت نتيجة حسابهم اختلافاً كبيراً . فتقرير يوم مولد النجم المذكور انما هو نسبي ، اي بالنسبة الى الارض فقط

التواقت المتحرك

ذلك على افتراض ان المسافة بين النجم والارض تبقى واحدة مدة طويلة من الزمان او على الاقل لا تزال كما هي منذ سطع نور النجم الى ان وصل نوره الى الارض . ولكن هناك احتمالات اخرى تقصر مدة رحلة النور او تطيلها

اولاً . يحتمل ان النجم والأرض (او بالاحرى النظام الشمسي) يتقاربان ميلاً واحد (او اكثر اذا شئت) كل ثانية . وهذا الاحتمال يتضمن احتمالين آخرين : الاول ان النظام الشمسي يسير بسرعة س (قدّر ما شئت من الأرقام) نحو النجم والنجم نفسهُ يسير في نفس الاتجاه ولكن بسرعة (س — ١) . وباختلاف هذا التقدير يختلف طول خط المسافة التي يقطعها النور لكي يبلغ الى الارض اذ يقصر في كل ثانية ميلاً . ولكن رحلة النور تقصر ليس بقدر هذه المسافة بل بقدر نسبة سرعة النظام الشمسي المطلقة في الفضاء الى سرعة النور لانهُ مقبل على النور اي بقيمة $\frac{س}{ن}$ من الاميال كل ثانية . فاذا فرضنا ان سرعة النظام الشمسي في الفضاء ٣٠٠ كيلو متر في الثانية (وهو فرض يستحيل تحقيقهُ او تستحيل معرفة السرعة المطلقة في الفضاء . وانما نفرض فرضاً لعمل الحساب) فتقصر رحلة النور بقيمة $\frac{٣٠٠}{٣٠٠٠٠٠} = \frac{١}{١٠٠٠}$ من الميل كل ثانية . الاحتمال الثاني بالعكس اي ان النجم يسير بسرعة (س — ١) فيتقاربان ويقصر خط المسافة بينهما كل ثانية ميلاً . ولكن رحلة النور تطول بنسبة سرعة النظام الشمسي المطلقة س الى سرعة النور ن كما تقدم حسابها لان النظام الشمسي مبتعد عن النور الوارد اليه من النجم . ولكن من يستطيع ان يكتشف قيمة س

ثانياً يحتمل ايضاً ان النظام الشمسي وذلك النجم يتباعدان (لا يتقاربان كما فرضنا سابقاً) ولنفرض انهما يتباعدان بسرعة ميل (وان شئت فاكثر) . وهذا الاحتمال يتضمن احتمالين

آخرين ايضاً . الاول : قد يكون النجم والنظام الشمسي سائرين في اتجاه واحد معاً كس لاتجا نور النجم كاتجاه السهم د وانما سرعة النجم تزيد على سرعة النظام الشمسي ميلاً (او اكثر) في الثانية وبذلك تطول المسافة ميلاً كل ثانية. ولكن رحلة النور تقصر بقدر سرعة النظام الشمسي س نحوها (قدّرها ما شئت). لانهُ متى تركت لمعة النور النجم لا يبقى لسرعة النجم شأن فيها سواء كانت بطيئة او سريعة وسواء كان النجم متجهاً الى هنا او هناك . الثاني قد يكون اتجاه سير النظام الشمسي والنجم كاتجاه السهم ل المساير لاتجاه النور وانما سرعة النظام الشمسي تزيد على سرعة النجم ميلاً (او اكثر) وفي هذه الحالة يتباعدان كل ثانية ميلاً وانما رحلة نور النجم تطول لان النظام الشمسي مبتعد امامها — تطول كنسبة س الى ن (رمز سرعة ... ن ثانية اي $\frac{س}{ن}$ من الميل

***

نرى مما تقدّم ان مدة رحلة النور بين النجم والنظام الشمسي لا تتوقف على تطاول خط المسافة بينهما او تقاصره بل على مقدار سرعة النظام الشمسي المطلقة في الفضاء ان كان مقبلاً نحو نور النجم او مدبراً عنهُ . ولكن من يستطيع ان يعلم كم هي سرعة الشمس او اي جرم في الفضاء المطلق ؟ اذا استطعنا ان نكتشف سرعة الشمس بالنسبة الى سرعة النجم او الى مركز المجرة فلا نستطيع ان نتحقق ان كانت هذه السرعة هي نفس سرعة الشمس المطلقة في الفضاء فقد تكون اكثر او اقل . ولذلك يستحيل ان نعلم ان النور قد قضى ٣٠ سنة في رحلتهِ من النجم الى الارض او كثر او اقل، لاننا ما دمنا نجهل اين كان موقع النجم حين رحلت اول لمعة منه الينا واين كان موقع الارض حينئذٍ واين صار موقعهُ وموقع ارضنا حين وصلت اللمعة اليها فيستحيل ان نستطيع تقرير المدة لرحلة مسافة النور والمسافة بين الجرمين . فالمدة التي حسبها الفلكيون لرحلة النور بينهما انما هي نسبية بحسب حساب سرعة النور على الارض

***

ولعلَّ النظرية تنجلي للقارىء اكثر اذا ضربنا المثل التالي: — نتصور ان ملاكاً سماويًّا يستطيع الاجتماع بنا ويروي لنا معلوماته. ونتصور انه امتطى لمعة نور حين صدرت من النجم وسارت به بسرعتها المعلومة الى ان وصل الى ارضنا . فنسألهُ : كم قضيت من الوقت في رحلتك بحسب حساب الوقت الارضي على فرض انه كان يحمل ساعة مضبوطة كساعاتنا ! ولنفرض انه اجاب : قضيت ٣٠ سنة بالضبط وبحسابنا لسرعة النور نعلم انه قطع نحو ٢٩ بليون بليون ميل

واذا سألناه : هل تعتقد ان هذه المسافة هي نفس المسافة بيننا وبين النجم ؟ يجيب لا ادري

— لماذا

— لأني لم أعلم اين كان موقع الأرض حين رحلت عن النجم . ولا أدري الآن وقد وصلت الى الارض اين صار موقع النجم . فهما سائران بسرعة اجهلها ويستحيل عليَّ ان اقيسها

لذلك نضطر ان نسلم بان ما ننسبه الى أي جرم من بعد المسافة واتجاه الحركة وسرعتها وصدور اي ظاهرة فيه وبلوغ خبرها الينا انما هو نسبي الى ارضنا فقط او بالاكثر الى نظامنا الشمسي . ولما كان النور الذي ينقل الينا أخبار حركات الاجرام لا يتأثر في اتجاهه وسرعته باي مؤثر . فلا نستطيع ان نقرر مدة حقيقية بين سطوع ومضة من نجم ووصولها الينا. وانما نقرر ما نقرره بحسب ما ينبئنا بهِ النور حال وصولهِ الينا لا حال صدوره من مصدره . وتقرير ما نقرره عن وقت صدوره انما هو بحسب وقتنا وبالنسبة الينا فقط

فالتواقت بين مولد ذلك النجم والتاريخ المطابق له في حسابنا انما هو نسبي لنا يختلف عن التاريخ الذي يراه أهل ذلك النجم لو كانوا في ظروف كظروفنا وظهرت لهم ومضة من نظامنا الشمسي

لا ريب ان الموضوع دقيق يحتاج الى سعة التصور وعمق التبحر . ولا يمكن ان يبسط بابسط مما تقدم . فاذا كان للقارىء شيء من الصبر على التصور والتبحر فلا بدَّ ان ينجلي له الموضوع جيداً

***

وحاصل القول انك لا تستطيع ان تقول ان الحادث الفلاني واقت حادثاً آخراً او تاريخاً معيناً الاَّ اذا قرنت قولك بالقول انهُ حدث بالنسبة الى الموقع الفلاني . واما ان تقول على الاطلاق من غير ان تعين موقعاً تنسبهُ اليهِ فالقول لغوٌ لا معنى لهُ . اجل لا معنى للقول (على الاطلاق) ان حادثين حدثا في وقت واحد الاَّ اذا ذكر في هذا القول من قاله واين هو يقيم لكي ينسب التواقت اليهِ

ليس لاي كائن على الارض او في المريخ او في نوفا برساي او في السديم الاقرب او الابعد ان يقول ان حادثين حدثا معاً في وقت واحد على الاطلاق الاَّ اذا كان هذا الكائن مستقلاًّ عن الكون الاعظم ومشرفاً على حوادثهِ ويرى كل حادث حين يحدث توًّا بغير واسطة النور. فكائن كهذا يستطيع ان يضبط تواريخ حوادث الكون المتباعدة المتتابعة بالنسبة الى نفسهِ وبنسبة كل حادثة في جرم الى حادثة في جرم آخر . واما اذا كان هذا الكائن لا يشعر بحوادث الكون الاَّ بواسطة النور فيكون قوله بتواقت حوادث الكون نسبيًّا كقولنا

شبرا نقولا الحداد

حصاد الزمان

لهارولد بلسيفر

هارلد بلسيفر (Harold T. T. Pulsifer) احد شعراء اميركا المشهورين ارسل ديوان شعره الاخير «حصاد الزمان» (Harvest of Time) الى صديقه امين الريحاني بالفريكة لبنان — وقد عارض القصيدة الاولى فيه بقصيدة من نظمه . والقصيدتان نشرتا في الجريدة الاسبوعية النيويوركية The Saturday Review of Literature في العدد الاول من شهر نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٣ ونقلتها عدة صحف ومجلات اميركية وقد ترجم الريحاني القصيدتين شعراً منثوراً لمجلة المقتطف

ان الزمان لَيَذْري الجمالَ بريح السموم ،
فينبذ من بين حيِّ الحَبِّ اليابسَ الهشيم.
وسيجيء الغدُ بسنابل للحصد ذهبية ،
فتعود الى الارض البهجة والبهاء ،
وترتفع اصوات وحيدة لها صولاتٌ طائلات ،
وتُسمَع مرة اخرى الكلمات البليغات الخالدات.
غداً — وان كان لا يعرف لفجرهِ آن .
غداً — وان جُهل الزارع ، وجُهل المكان .

وقد تكون الارض الرائدة حتى اليوم دَرِيَّة .
فترفع الى ذروة المجد امة منسيّة ،
وهي تلمس براعم الجمال في قلبها النَّديّ ،
وقد زرعت غصنَه يدٌ خفية.
الجمال ! — كل ملك اثيلٍ يزول ، والجمال يدوم ،
فعجّل بذْري الهشيم ، وعجل بكشف الغيوم .

في هذا الشرق

لامين الريحاني

ايه اخا العرب ، ان قولك الذهبي
ليبعث في ارز جبالي الحبور ،
وهو يسمع في الاودية ، حول عشّهِ الصخري ،
صوتاً قديماً يعاد ، صوت تموز ،
ويرى في ظلال الزمان شفاهاً عقيقية ،
تنطق بالبعث ، وتبشر بعود الجمال .
اجل ، ستزرع غداً كما زرعت احسن تلك «اليد الخفية».
ولا تزال التربة في الوادي القديم طيبةً نديّة

لا في جبالي ؟ — في الهند اذن او في الصين ،
في ارضٍ تختلج شوقاً تحت الثلوج ، وتبتلج املاً بين المروج ،
في ما وراء الكنج ، وفي اعالي اللّدَق —
جَير ، في هذا الشرق سيهتف كوكب الصباح :
هللوا لليوم السعيد ، حيوا على الفلاح.
لا ينكر ان لا يزال ها هنا شقاقٌ وعداء ،
ولكنَّ ها هنا كذلك مهد الانبياء .

من القاهرة الى انقرة

مشاهدات في تركيا الجديدة

— ١ —

كنت اجهل تركيا الجديدة ، وهي جارتنا ، فرأيت منها في الرحلة الاخيرة لمحات تستوقف البصر . وكنت ارتاب في صحة ما يقال عنها حتى شهدت بعيني

***

كانت الدولة العثمانية في عهدها الاخير، امبراطورية مفككة الاوصال خاضعة لنفوذ الاجانب، فيها مرتع لاصحاب المغامرة والوشاية ، فلما خرجت من الحرب الكبرى مغلوبة على امرها ، ونزل قواد الحلفاء على ضفات البوسفور ، قيل ان «مريض اوربا» قد قضى

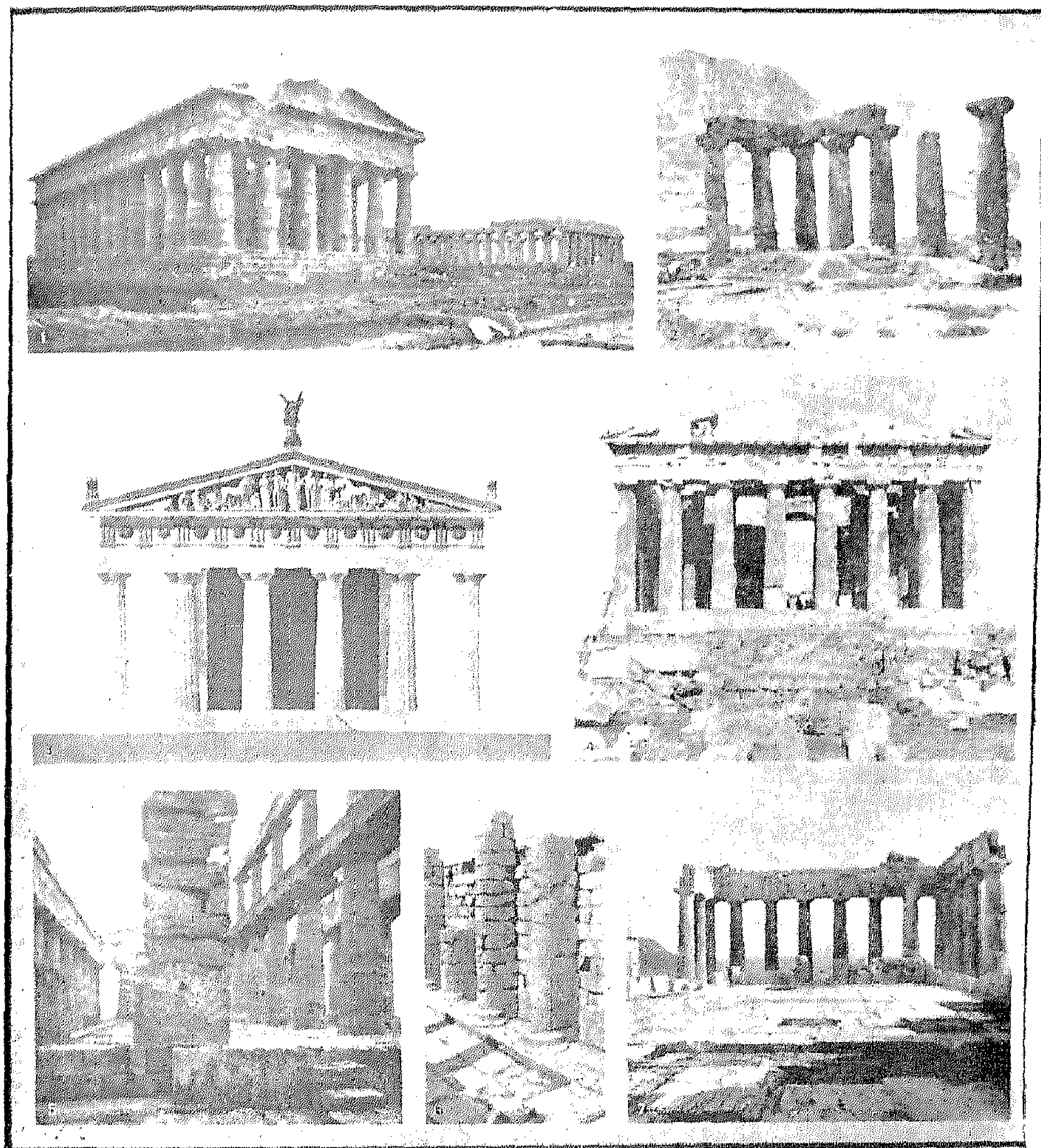
ولكن شرارة الحياة كانت كامنة في النفوس، ورغم الرماد الكثيف الذي كان يغطيها — رماد الحرمان والخذلان — كفت نفخة واحدة من روح تقدح الشرر ، وطنيةً وعزيمةً ماضية ، فتطاير الرماد ، وبدت الشرارة ، وما لبثت ان اصبحت جمرة تتأجج

فالانقلاب الخطير الذي انتقل بتلك البلاد من الامبراطورية العثمانية المريضة المشفية ، الى تركيا الجديدة التي تتقد حياة ونزوعاً الى العلى ، لهو من انقلابات التاريخ الخطيرة ، ولولا شدة قربنا اليهِ ، والقرب يحير البصر ، لبدا لنا في كمال روعته وجلاله

ما بالك بقوم يكسرون بفلول جيش مهزوم ، جيشاً اوربيًّا منظماً تؤيده جيوش الحلفاء واساطيلهم ، بل ما بالك بقوم يتحدون الحلفاء ويخترقون مناطق الحياد التي عينها قواد الحلفاء على ضفات الدردنيل ، بل ما بالك بقوم يصمدون لكبار رجال السياسة في لوزان ولا يخرجون من هنالك الاّ والمشيئة القومية التي اعرب عنها الميثاق القومي قد تحققت ، بل ما بالك بقوم يكسرون كل قيد ، ويدرسون كل حاجز يعيقهم عن التقدم ، فيسيرون ، رؤسهم مرفوعة ، وعيونهم شاخصة الى العلى

ليس لنا ان نحكم على هذه القيود والحواجز — فهذا شأنهم هم ، ولكن لنا ان نتفهم الروح العنيفة التي انطلقت من شعب منهوك مخذول ، فأتت بالمعجزات

ان الذين يهمهم تحول الاجتماع ، فيدرسونه في الكتب ، عليهم بزيارة تركيا ، فليس في



امثلة على عمارة الهياكل اليونانية

التاريخ ما هو ابعث على الدهشة والاعجاب من هذا التحول السريع المتسق القائم على اساس . ان ما فعله بطرس الاكبر في روسيا ، وما احدثه زعماء اليابان الحديثة من التحول ، ليس الا ظلاً باهتاً من ظلال الانقلاب الذي شمل الامة التركية في كل ناحية من نواحي حياتها العامة والخاصة

بل ان الذين تخلبهم سير الرجال المبدعين امامهم سيرة الغازي يدونونها . انهُ بعد كل الوان الظفر التي اجتمعت له ، عرف اين يقف . وهذا سر التسلط على نوازع النفس واهوائها

في تركيا ، آثار خالدة تعرض لنا مشاهد التاريخ الحافلة ، وعلى ضفات البوسفور خمائل وحدائق وجزائر كأنها قطع من الجنان . وفي جوار استانبول وقلب الاناضول مدن مياه تصلح للاستشفاء . وريادة هذه الاماكن، تمهد السبيل لاستئناف الصلة الوثيقة التي كانت تربطنا بتركيا . غير اننا يجب الا نكتفي بريادة المتاحف والخمائل ومدن المياه ، بل علينا ان ندرس منشآت تركيا، واتجاه روحها ، وان نجتمع بادبائها وكتابها . لان هذه الامور تحكم صلات الفهم والتعاطف بين الشعبين

***

كان موعد سفر الباخرة التركية «ايجه» في الساعة الثالثة بعد ظهر الاثنين (١٤ اغسطس ١٩٣٣) فاممناها في الساعة الثانية والنصف ، فاذا الرفاق كلهم هناك وكلهم طبيب نابغ وصحافي اديب وعلى رأسهم الدكتور علي باشا ابراهيم . وكان اول ما استرعى نظري في الباخرة انها لا تفرق عن السفن الاوربية في شيء ، نظافة وادارة وحسن ترتيب وتنسيق. ثم خبرنا دقتها المتناهية في حفظ المواعيد في القيام والوصول . رجال السفينة كلهم اتراك ، غاية في الادب واللطف ورعاية المسافرين . والقبطان سعيد بك تركي ، وضابطه الاول تركي كذلك ، والباخرة في ايديهما كانها في ايدي ابرع الملاحين. رحم الله اياماً كان يقال فيها ان ربان مدمرة تركية لم يستطع الوصول الى بور سعيد ، لانها لم تكن قد كتبت على الخريطة ! اننا اليوم في هذه السفينة ، التي تفضل كثيراً من السفن الاوربية التي تمخر اليم بين شواطىء البحر المتوسط، نحس في كل دقيقة من دقائق السفر ، ان الاكف التي تتولى مسيرها ومصيرها في هذا العباب الخضم ، اكف يصح الاعتماد عليها

بعد مسير نهار وليلتين من الاسكندرية ، وصلنا الى بيريه مرفأ اثينا عاصمة اليونان. وليس في بيريه ما يستحق الذكر ، الا ما رأيناه من حقارة مقاهيها ، وكثرة الحفر في الشوارع التي مررنا بها ولا بدع فهي مرفأ صغير ، ومواردها قليلة ، وكل الحكومات تشكو شدة الضائقة ، وحتى مرسيليا نفسها أكبر مرفإ على بحر الروم ، لا تخرج في الحي المحاذي للشاطىء عما تقدم الا ان شوارعها اوسع ومبانيها ومستودعاتها اكبر . وأردنا استئجار سيارات تنقلنا الى اثينا وتسير بنا فيها الى حيث نشاء من المتاحف والآثار ثم تعود بنا الى بيريه مساء فطلب

السائق ٦٠٠ دراخمة (وهي نحو جنيه مصري) ولكن الاستاذ رمزي (منظم الرحلة) رفض التسليم بهذا السعر لجدٍّ في المساومة بلهجة الاتراك الاسياد، فتمكن بعد ربع ساعة او تزيد ، من استئجار ثلاث سيارات بثمانمائة دراخمة

وركبنا السيارات الثلاث الى اثينا ، فما كدنا نخرج من حي المرفإ ونستدبر بيريه حتى انفسحت امامنا طريق رحبة واسعة مرصوفة أحسن رصف ، تقوم على جانبيها الاشجار الظليلة . فبلغنا العاصمة في اقل من ثلث ساعة

***

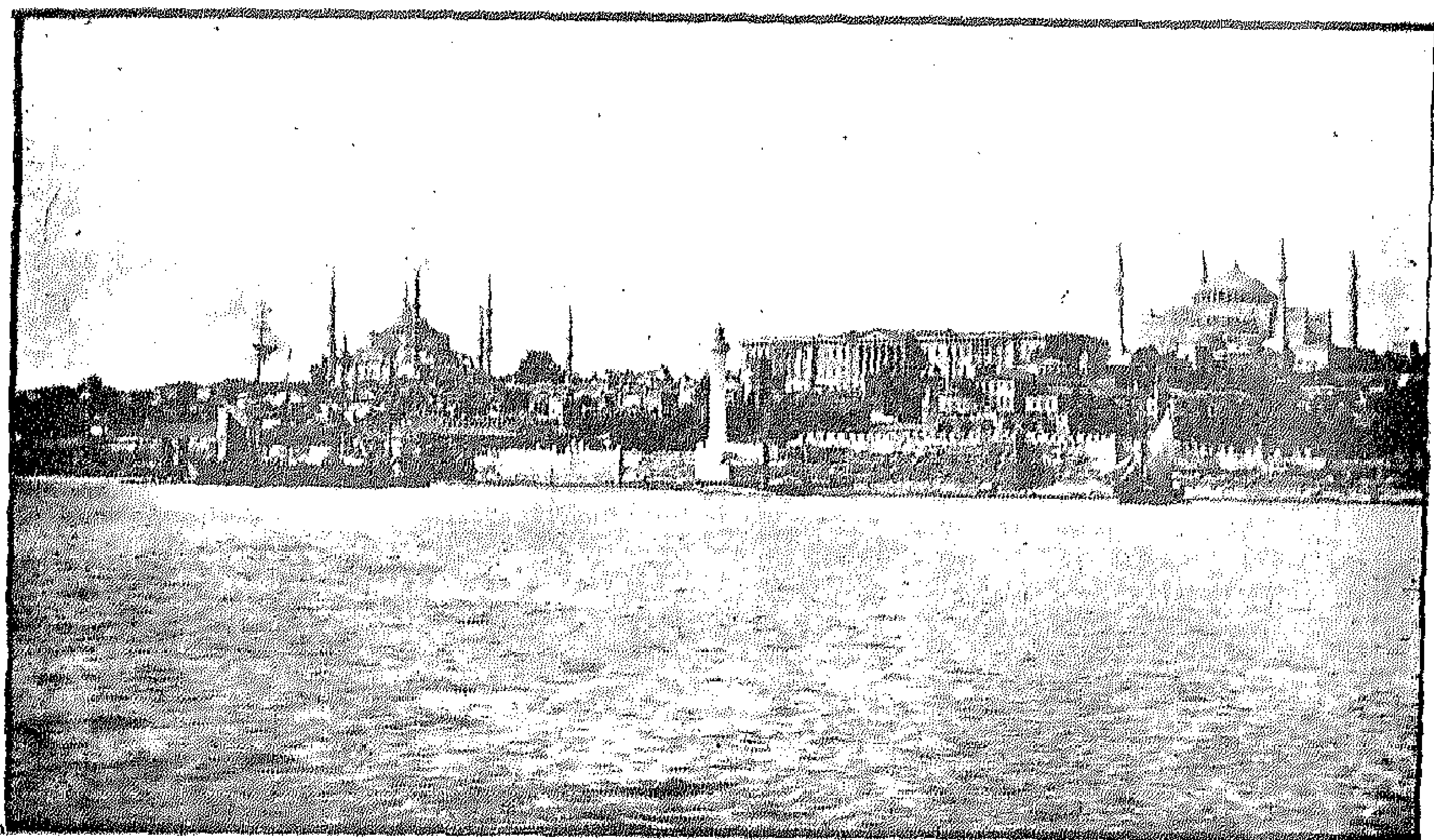
هذه اثينا ! ام الحضارة الاوربية ، ومهد فنها ، وأدبها ، وحكمتها ، وفلسفتها . هذه مدينة پركليس وسقراط وصولون وافلاطون وارسطوطاليس وفيدياس واسخيلس وصفوقليس! اية مدينة في شرق الارض وغربها ، تستطيع ان تباهي بكوكبة ، من العبقريين تضاهي هذه الكوكبة ؟ اية مدينة في قديم التاريخ وحديثهِ تستطيع ان تطاول اثينا في ما اخرجته للعالم من اصول الفن ، ومبادىء العلوم ، ومذاهب الفلسفة ، وروائع الادب

انك لاتكاد تفيق من التأمل في ما توحيه اليك هذه الاسماء ، ومن الروعة تستولي عليك اذ تحس أن ارواحهم تطل عليك ، حتى تكون السيارة قد توقلت بك الى سفح اكمة الاكروبول

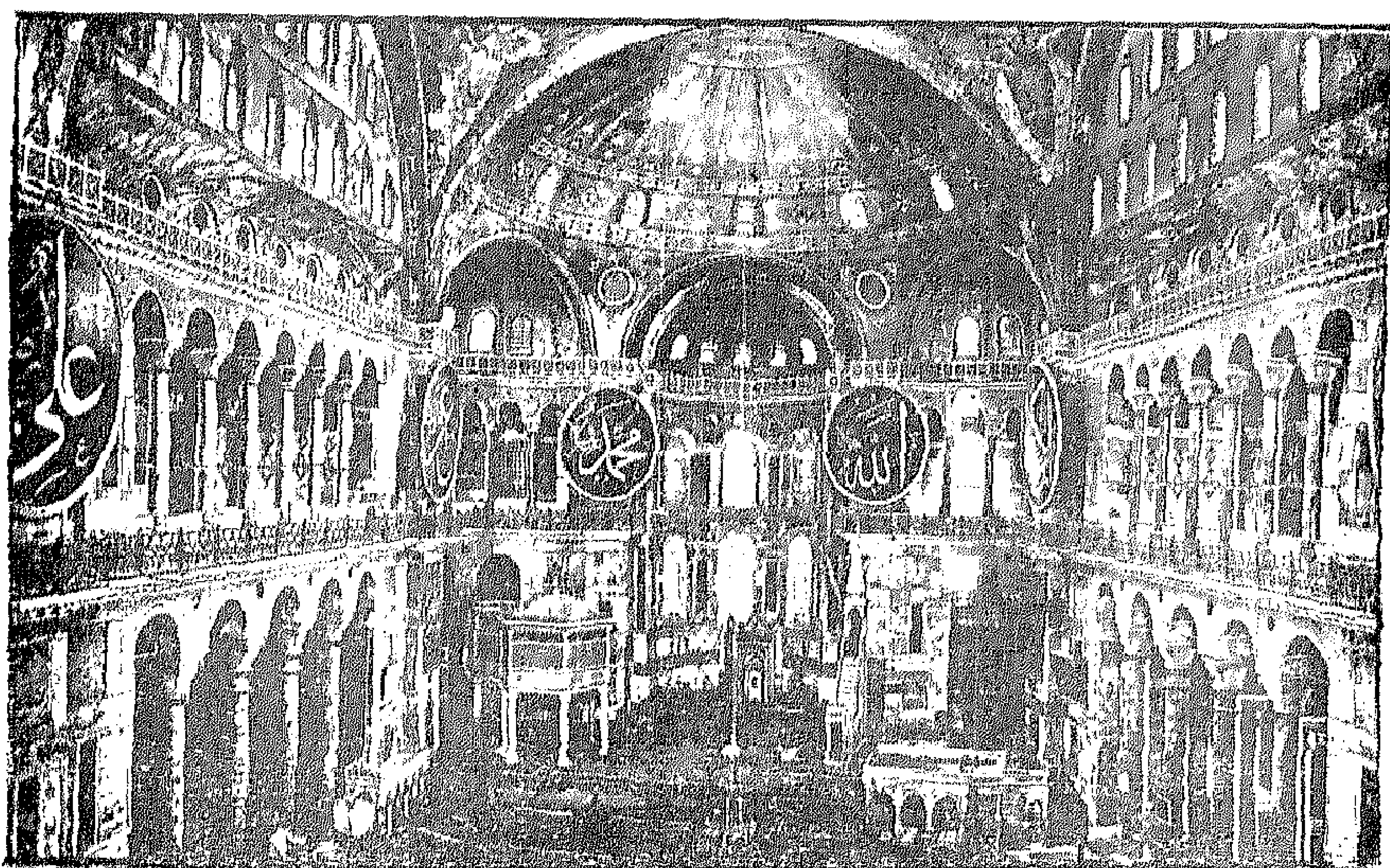
***

الاكروبول ! انك في اثينا تنتقل من أثرخالد الى أثر خالد! هذا هيكل المشتري . وهذه قوس طريانوس. تراها الى يمينك وانت ذاهب من بيريه الى اثينا . وهذه قمة الاكروبول تطل منها على السهول التي تحيط بسفحها وتشرف على البحر الذي رأى في العصر القديم سفن الفرس تلتحم امام جزيرة سلاميس بسفن اليونان . خفف الوطء ! ان كل قدم مربعة تدوسها أرض يقدسها الفن والعبقرية . أتذكر ما يقصهُ التاريخ كيف قضى اكتينوس ومنسكليس تسع سنوات يشرفان على تشييد هيكل البارثنون ، المتسق في جميع اجزائهِ ، المهندم في كل خط من خطوطهِ . أتذكر كيف قضى فيدياس واعوانه تسع سنوات ينقشون تماثيل الافريز في الرخام ، تماثيل رجال لا يقع عليها نظر انسان الآن وتسمو في نظره معاني الرجولة الجسدية. تماثيل آلهة تبدو في جلالها ووقارها آيات فلا يصدق رائيها ان آلهة الاقدمين كانت تقتتل وتعذب. لقد ظلَّ هذا الهيكل — البارثنون — يتوّج اكمة الاكروبوليس قروناً عدة ، تلمع ألوانهُ الزاهية في نور الشمس، فلا يسمو اليهِ نظر جيل من الناس الآن ويشعرون بان في هذا الهيكل بلغ الرجال أعلى مراتب الابداع ورأوا لمحات من عروش الآلهة

فاذا بلغت القمة ، رأيت بقايا من الرواق المعمد ، كأنها تنتظر زلزلة او مدفعاً ليكمل تدميرها . الف قطعة وقطعة من الحجر معفرة بالتراب تحت قدميك !



استانبول تحييك بقبابها ومآذنها



داخل مسجد آيا صوفيا

مقتطف اكتوبر ١٩٣٣
امام صفحة ٣٣٩

أشح بنظرك عن هيكل البارثنون . هذه بقايا تمثال للزهرة . وهذه انقاض هيكل النصر غير المجنح (اشارة الى اثينا التي حبت اليونان نصرهم وكانت ربة من دون اجنحة) . وعند المنحدر الجنوبي الشرقي متحف صغير ، ولكنهُ يضم امثلة جبسية في الغالب من نقش الافريز.. كل اوضاع الجسم الانساني ذكراً وانثى في حالتي الراحة والحركة ، تراها ممثلة أدق تمثيل ، منقوشة أبرع نقش ، في هذه الحجارة الصم ، فتكاد ترتعش وتتكلم

اما الاحياء الحديثة في اثينا ففخمة واسعة الشوارع ، فيها ميادين رحاب فساح ، ولكنني لحظت في زيارتي الاولى لها ان على القوم الذين يسيرون في الشوارع مسحة من الكآبة ، ولعله وهمٌ وهمتهُ ، لانني ذكرت من دون وعي ، اننا ذاهبون في ضيافة الامة التركية ، التي غلبت اليونان وطردتهم من آسيا الصغرى وتراقية الشرقية ، في ذل وخذلان ، بعد ما وعدهم معظم الحلفاء بالتأييد فتخلوا عنهم

والمعيشة في اليونان رخيصة . فالجنيه المصري يعدل نحو ٥٧٠ دراخمة . ذهبنا وكنا في الركب ، اربعة عشر شخصاً ، الى مطعم من اكبر المطاعم في اثينا مشهور بطهيهِ الممتاز وطبقة القوم التي تؤمه وتناولنا الغداء هناك . وكانت زيارة الآثار والمتاحف قد ارهفت القابلية فاكلنا بشهية اصنافاً مختلفة من الطعام والحلوى والفاكهة وشرب بعضنا الجعة او المياه المعدنية فلما جمع حساب الركب فاذا بهِ ٦٥٠ دراخمة او اكثر من جنيه واحد قليلاً (وكان الجنيه يومها يعدل ٥٩٠ دراخمة). وفي عودتنا زرنا اثينا ثانية وتنازلنا عن ارستقراطية الجنيه المصري — بالمقابلة مع الدراخمة — فركبنا اتوبيساً الى اثينا فكانت اجرة الفرد خمس درخمات او اقل قليلاً من قرش صاغ وتغدينا في المطعم نفســه وعدنا بقطار المترو وهو من انظف ما رأيت من القطارات التي من قبيله بالاجرة نفسها . وقد أيَّـد المصطافون هناك من المصريين ما تقدم

— ٣ —

البحر رهوٌ والجو معتدل والهواء عليل والسفينة تمخر بنا بحر مرمرة والركب شديد الحماسة لان أصحاب النظارات منه تبينوا عند الافق مآذن ايا صوفيا والسلطان احمد . هوذا ربان الباخرة سعيد بك والنظارة بيده يتجه الى الاستاذ رمزي قائلاً : « غازي اسطنبولده » اي ان الغازي في استانبول

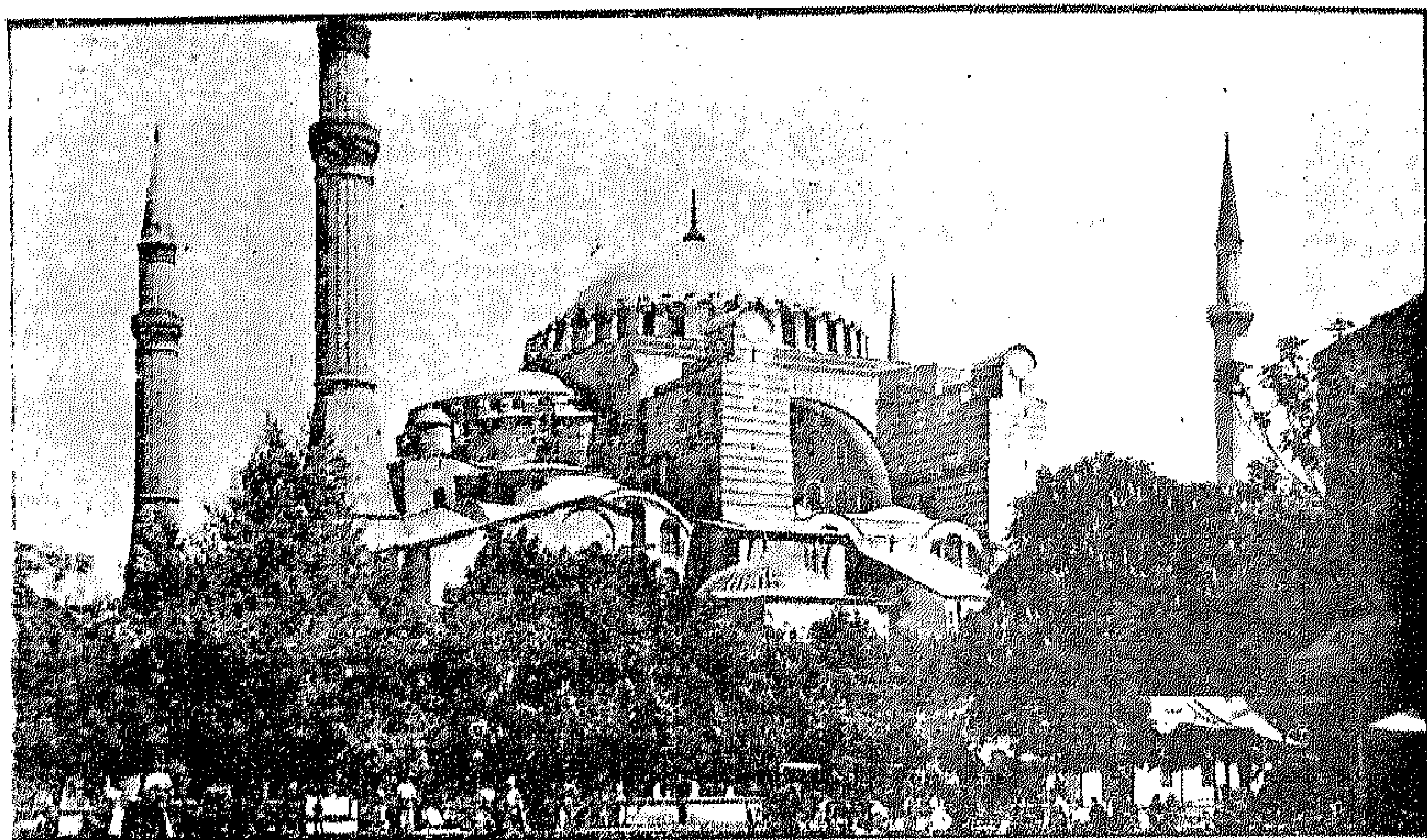
لقد بلغنا استانبول مدينة القياصرة احد عشر قرناً من قسطنطين الكبير الى قسطنطين باليولوغوس وهو الذي قتل في حصارها الأخير . استانبول مدينة السلاطين من ايام محمد الفاتح الى وحيد الدين . مدينة الخلفاء من ايام سليمان القانوني الى عبد المجيد . ها هي ذي تحيينا بقبابها الفخمة ومآذنها اللدنة الذاهبة في الجو كأنها صلوات المؤمنين مرتفعة الى السماء . انروعة موقعها الطبيعي تأخذ البصر فتنة واعجاباً . فبحر مرمرة يغسل قدميها بمياهه اللازوردية

ومضيق البوسفور والقرن الذهبي يمنطقان حقويها بنطاق من الزمرد او الياقوت الأزرق . تراها قائمة على آكام متتالية فتدرك الحكمة في اطلاق اسم « روما الجديدة » عليها . وتذكر ما كان لها من مكانة في شؤون التاريخ العالمي فتضعها مع اثينا وروما في مقام واحد . كانت مثابة لعلماء اليونان وحلقة بين حضارتهم القديمة وحضارة القرون الوسطى التي نشأت منها المدنية الأوربية الحديثة وبنيت عليها . تذكر كل ذلك فيخفق قلبك لأنك سوف تطأ شوارعها وتزور آثارها واطلالها . ثم يبدر ذهنك انها كانت سيدة العالم ايام عز السلاطين تأتيها الشعوب من الشرق ومن الغرب خاضعة خانعة . هنا الباب العالي وباب السعادة في طوب قبو وسراي يلدز وقصر بيلر باي . انك تتحسر على هذا الماضي المجيد يكون مآله زول استانبول عن العرش وقيام انقرة مكانها. ولكن استانبول كانت عاصمة الامبراطورية العثمانية وأما انقرة فعاصمة الجمهورية التركية . ولهذا حديث آخر

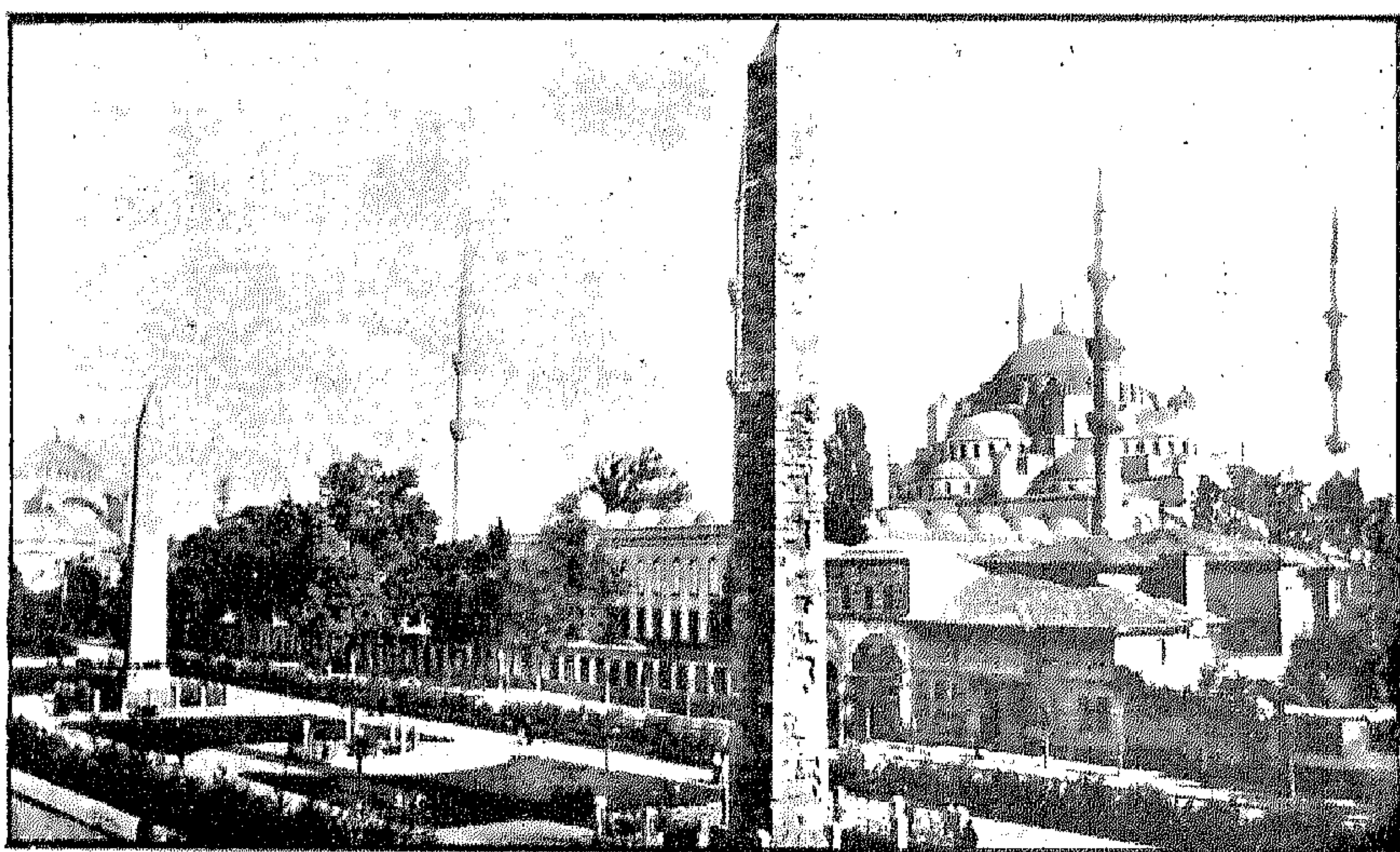
ثم تنحدر الشمس من كبد السماء ، ويخبو النور المتوهج فتعود لا تتبين من استانبول الاَّ القباب والمآذن وقد ذهبها الاصيل فتبدو عليها تلك الجلالة الضافية التي لا تبدو عند الغروب الاَّ على العمارة الدينية. فتحسب ان كل هذه المدينة دوراً وقصوراً (وما أقل قصورها) انما انشئت لتكون لهذه الجوامع ، اماء وجواري

***

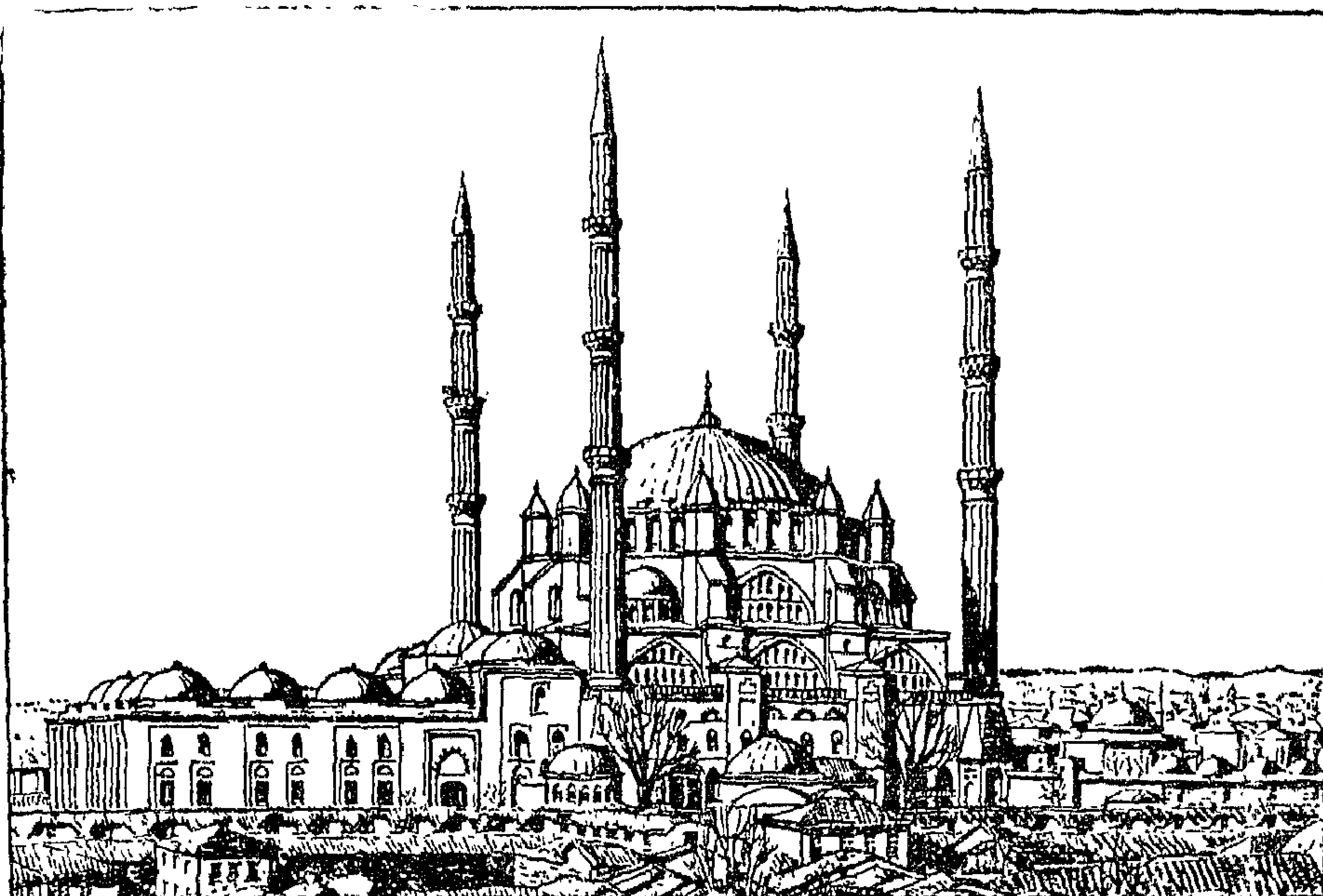
السراي القديمة أو « طوب قبو » واقعة على ربوة تشرف على البوسفور وهي في الغالب قصور السلاطين القدماء وفيها كنوزهم وآثارهم وملابسهم المزركشة بالجواهر . ولكنك لست تجد بينها قصراً واحداً يستوقف النظر في فخامة بنائه ، بل انك لتحار كيف رضي السلاطين، وهم أصحاب الحول والطول ، وثروة الامبراطورية العثمانية تحت مطلق تصرفهم ان يعيشوا في تلك القصور ورهن اشارتهم مهندسون شيدوا تلك الجوامع الفخمة . ثم تزداد حيرتك ودهشتك اذ ترى هذه القصور المطلة على البوسفور منكمشة عنه تفصل بينها وبينه اسوار متهدمة وبقعة من الارض نبتت فيها الحشائش والاعشاب وقامت في جوانبها اكواخ متداعية الجوانب ، بدلاً من ان تصلها بذلك الشاطىء الساحر ، حدائق غناء تسبغ على جمال الموقع الطبيعي الذي اغدقته راحة المبدع عليها ، جمال الأثر الفني اخرجته يد صَنَعٍ ماهر . وانك لتحس هذا الاحساس في معظم حيي اسطنبول وبيرا . روعة من الجمال اغدقتها الطبيعة على استانبول فامتنعت يد الانسان عن تعهدها بل انها في الغالب امعنت في تشويه الصورة . فاغلب الأحياء المحاذية للبحر في اسطنبول وبيرا — ما عدا المنطقة التي تحيط بقصر ضولمة بغجه وهو مقر الغازي الصيفي في الغالب — حقيرة تبعث في النفس القتام بدلاً من ان تكون قطعة من الجنان تدخل على النفس البهجة والمرَح



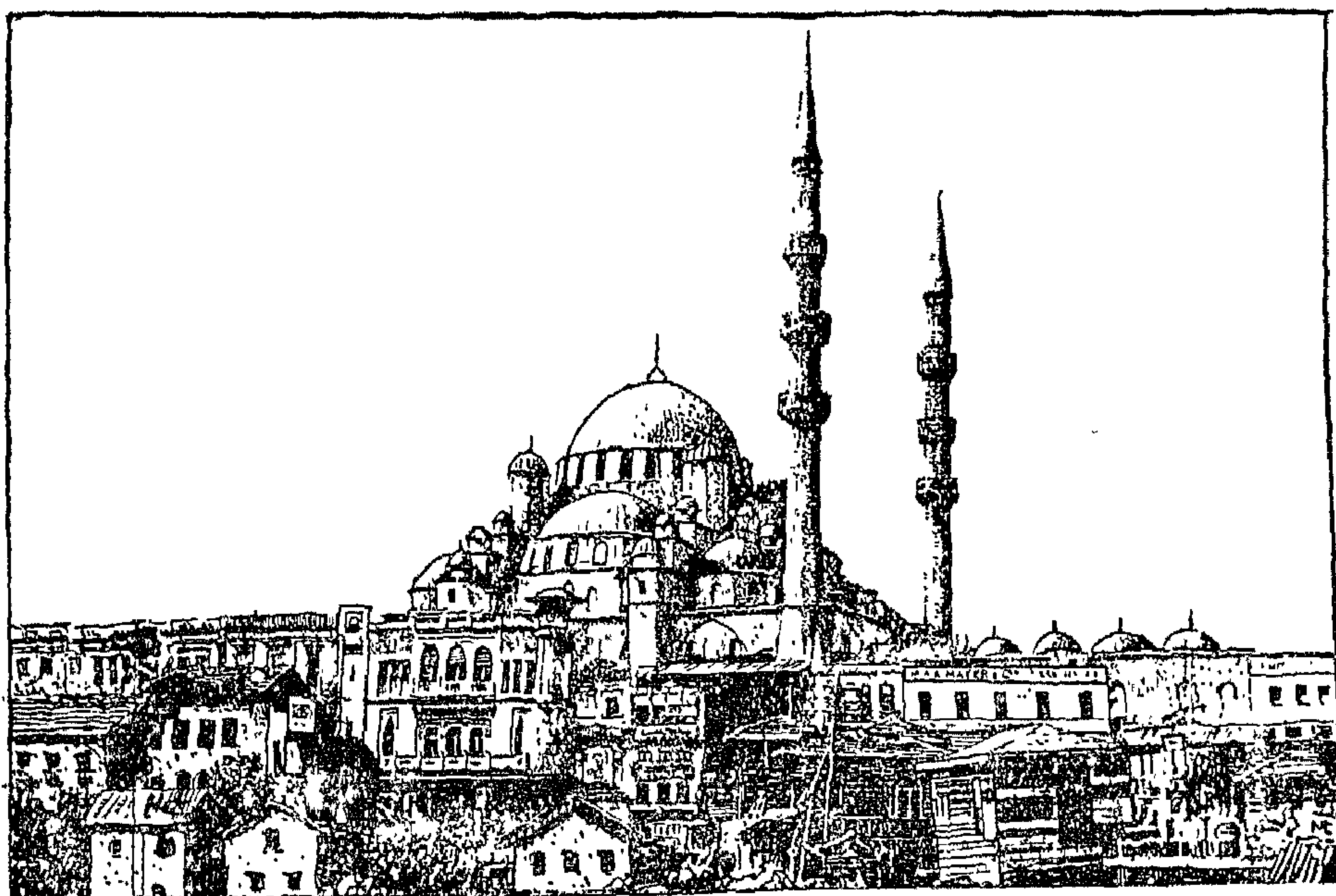
جامع آيا صوفيا



جامع السلطان احمد وامامهُ المسلة المصرية



جامع السلطان سليم بادرنه



جامع ينى والدى

اما الآثار النفيسة التي تحتوي عليها مباني السراي القديمة فيعجز القلم عن ادائها حقها من الوصف . ففي نواحٍ منها من القاشاني القديم المصنوع في ازهى العصور التي ازدهرت فيها تلك الصناعة ما لا يدرك قيمته الصحيحة الاّ رجال الفن . وكان الدكتور علي باشا ابراهيم وهو الخبير بشؤونها يقف امامها وقفة الذاهل المأخوذ بجمالها وقيمتها . فكنا نقف معه ثم نسألهُ رأيه فيها ، فلا نفوز الاّ بكلمات الاعجاب ، أو بسرد قصير دقيق لمزاياها الفنية والتاريخية فاذا ألحفنا في السؤال عن قيمتها ، ذكر الملايين وانتقل من تحفة الى اختها

وفي ناحية اخرى مجموعة فريدة من الصيني ، كان امبراطرة الصين قد اهدوها في الغالب الى السلطان عبد الحميد فظلت مدفونة في اقبية القصر ، الى ان اتيح لها في هذا العصر ، من عني بها فاستنقذها من مخبآتها وعلقها على الجدران فاكتست بها من الارض الى السقف. وانك لتنظر الى قطعة الخزف وتعلم انها من الصنف الثمين النادر ثم تدير بصرك في نواحي « المتحف الخزفي » فتجد من صنفها خمسمائة قطعة او تزيد

واذا تحولتَ الى «الخزينة» حيث عرضت كنوز آل عثمان بهرك الماس والزمرد والياقوت الاحمر والازرق واللؤلؤ والفيروز وغيرها من الحجارة الكريمة ، عروش وسيوف وخناجر وملابس ، كلها مرصعة بالحجارة الكريمة . فانك لاتكاد تجيل البصر في ما احتوت عليه خزانة او خزانتان منها ، حتى تمر بالماس والزمرد مرورك بالشيء المألوف

واذا قلتُ ان هذه الحجارة الكريمة تحصى بالآلاف فانني وايم الحق لاأبالغ. فلا يكاد الانسان يصدق ما يقال عنها حتى يراها بعينيه

ومن الآثار التي في الخزينة ديوان تركي الصنعة مصفح بالذهب ومرصع بالحجارة الكريمة تتدلى من فوقه زمردة كبيرة . وثمة الزرد الذي ارتداه السلطان مراد الرابع يوم افتتح بغداد سنة ١٦٣٨ ب . م . وثمة كأس ذهب كبيرة مرصعة بنحو الفي حجر من الماس المسطح. وكأس أخرى منزلة بالفضة على الطريقة العربية تحمل اسم قايتباي من سلاطين المماليك (١٤٨٦ — ١٤٩٦) بمصر . ومجموعات نادرة من النقود الرومانية والبزنطية والعربية والتركية . وملابس السلاطين والامراء الرسمية وأدوات زينتهم

وفي ناحية اخري من «السراي القديمة» بناء صغير أنيق يدعى كشك بغداد بناهُ السلطان مراد الرابع فاتح بغداد على مثال كشك في تلك المدينة وجدرانه مغطاة من الداخل والخارج بألواح القاشاني الازرق وهو من اندر أنواع القاشاني واغلاها ثمناً

اما المتحف الوطني فيحتوي على امثلة نادرة من الآثار القديمة . تجول في ردهاتهِ يستوقفك هنا تمثال « الضاحك الباكي » وهو تمثال فتى روماني اذا نظرت اليهِ من اليسار

الفيته كئيباً حزيناً واذ نظرت اليهِ من اليمين رأيت ثغره يفترُّ عن بسمة لطيفة . وهناك قطعة من الحجر تعرف بشاهد بيت المقدس وجدت سنة ١٨٧١ على مقربة من جامع الصخرة وعليها كتابة يونانية . وفي غرفة اخرى اسطوانة عليها كتابة تصف حصار بيت المقدس على يد سنحاريب الملك الاشوري وقد وجدت هذه الاسطوانة في نينوى ، ونقلت الى المتحف البريطاني ثم اهدتها الملكة فكتوريا الى متحف استانبول

وكان مرشدنا داهية ، عالماً باسرار النفس ، فانهُ بعد ما سار بنا من حجرة الى حجرة ، ومن ردهة الى ردهة ، وهو يصف هذا الاثر ويبين لنا محاسن ذلك التمثال ، اذا بهِ هبط بنا الى جناح خاص من الدور الارضي ، وقد بدأنا نملُّ لكثرة ما رأينا ، ودخل بنا غرفة ، وقفنا أمامها فيها مشدوهين . وجلسنا على المقاعد الوثيرة التي وجدناها هناك نحدق في ما أمامنا ولا نشبع تحديقاً

هنا نواويس عثر عليها في صيداء ، منقوشة في الرخام الازهر ، وهي سليمة تكاد تحسبها خارجة من يد الصانع بالامس او كما قال شوقي

ونقــوش كأنمــا نفض الـــصانع منها اليدين بالامس نفضا

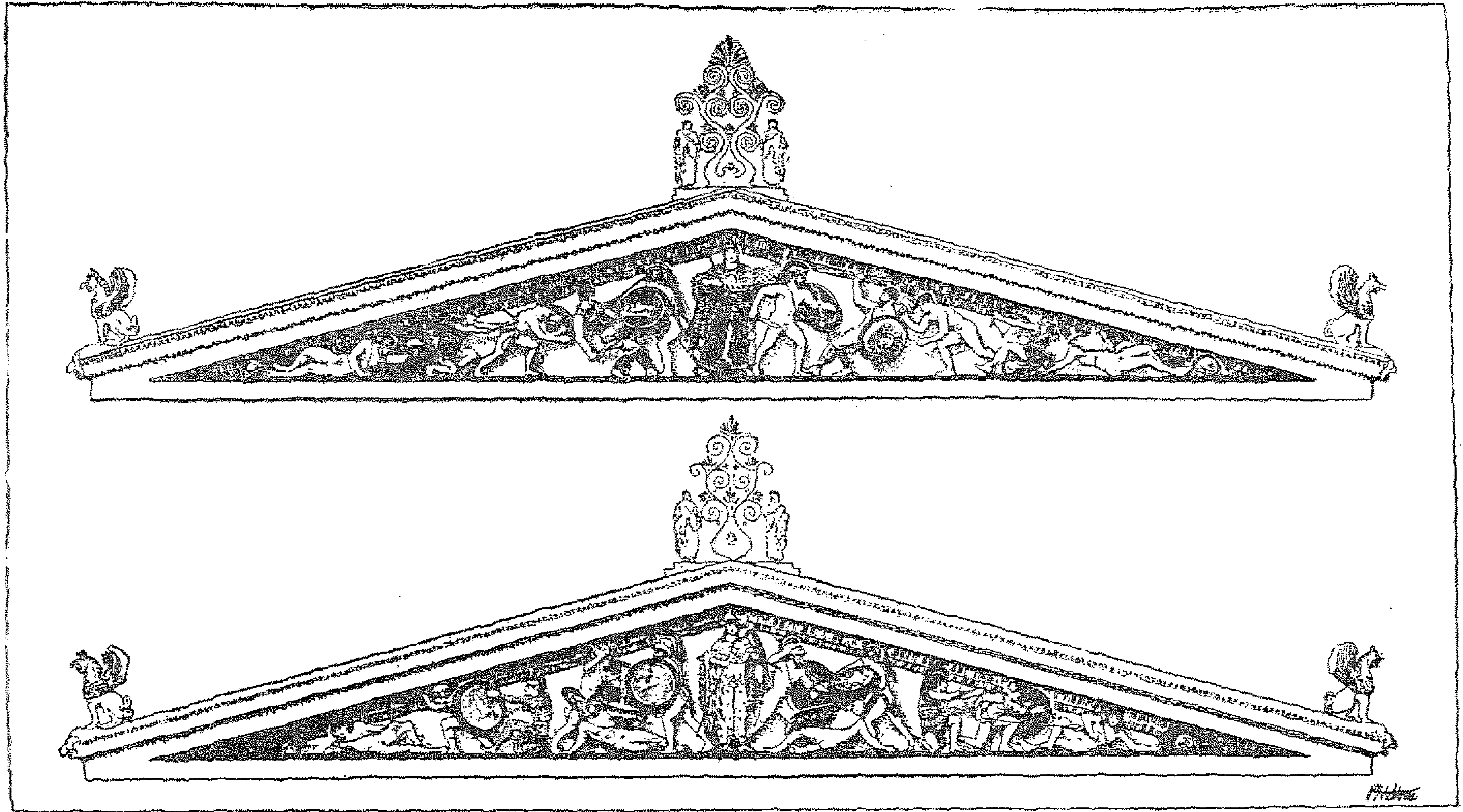
وأهم هذه النواويس ناووسان : ناووس النادبات في قطعة فردة من الرخام وجدرانه الاربعة مقسمة الى ١٨ لوحة على كل لوحة منها تمثال امرأة في موقف من مواقف الحزن والتفجع ، يختلف عن موقف جارتها وجارة جارتها والتمثال منقوش نقشاً بارزاً وعلى الافريز مشهد صيد وعلى حافة الغطاء مشهد جنازة . والمرجح انهُ صنع لستراتون ملك صيداء (نحو ٣٨٠ ق.م)

واجمل منهُ الناووس المنسوب الى اسكندر المكدوني . ويرجح البعض انهُ صنع ليدفن فيهِ ولكن پرسي جاردنر العالم الاثري يرى غير ذلك ، مع ان نقوشه تمثل معارك الاسكندر. فعلى احد جوانب الناووس ترى الى اليسار الاسكندر راكباً طاعناً فارساً فارسيًّا وفي وسطهِ قائد وجنود يونانيون ومكدونيون من المشاة يقابلون جنود الفرس . وفي يمينهِ تمثال بارمنيو من قواد الاسكندر . وعلى الجانب المقابل صورة الاسكندر مع احد امراء الفرس في صيد الاسد . وعلى جانبي المقدمة والمؤخرة نقوش اخرى من هذا القبيل فنقوش الواحدة تمثل معركة ونقوش الاخرى مشهد قنص وصيد . والواقع ان النقش في هذا الناووس من أفخر وابدع ما رأيت فان نقوشه جمعت بين الحقيقة والخيال والذوق المبدع ، جمعاً لا تفوقها فيه نقوش اخرى على ما اعلم . وصور الاسكندر أدق صور عرفت لهُ حتى الآن . ففي هذه النقوش من دقة القياس وسهولة التمثيل ومهارة الدلالة ، ما يذهل البصر ويبهج النفس ، بل ان في الوجوه من المعاني التي تساور النفس في ساحات القتال وميادين الصيد ، مما يدل على ان ناقشهِ كان عالماً نفسيًّا علاوة على كونهِ مثَّالاً بارعاً . وانهُ ليسوءنا ان ناقش الناووس لا يزال مجهول الاسم ولكن يرجح ان عهده يرجع الى منتصف القرن الاول قبل الهجرة



لوحتان تمثلان بعض النقش على ناووس الاسكندر

امام صفحة ٣٤٢



كل اوضاع الجسم البشري في حالتى الحركة والسكون

— ٣ —

ليس في الاسفار ما هو اوقع في النفس من ان تزور المدن القديمة المتصلة باقدم حوادث التاريخ وامجاده فتشاهد آثارها واطلالها مستعرضاً صفحات من تاريخها المجيد الحافل بذكريات الحرب والفن ، والحضارة ما زالت في مهدها ، ثم تلتفت يمنة ويسرة فترى اهل تلك المدن يستوحون هذه المنشآت لكي تكون امجادها حافزاً لهم في بناء مجد جديد على اطلال المجد القديم

ففي بورسه تجد آثاراً ترتدُّ في التاريخ الى عهد هنيبال . وحمامات تستعيد لك عهد طريانوس واباطرة الرومان . وجوامع تشهد فيها صفحة من امجد الصفحات في تاريخ الفن التركي والعمارة الاسلامية . وفي يالوفا مياه حارة عرف الاقدمون كيف يستفيدون بها يقال ان حماماتها بنيت في حكم قسطنطين الكبير وزهت في ايام يوستنيانوس وزوجه تيودورا . وفي ازمير او على مقربة منها جدول يقال انهُ نهر ميليس الذي ولد هوميروس على ضفاته واسوار ومقابر ترجع بها الى عهد استعمار الاغريقيين في فجر حضارتهم المجيدة

ولكنك الى جنب هذا كله ترى في ازمير مدرسة للصناعات يتعلم فيها فتيان الترك مبادىء الحضارة الميكانيكية وأساليبها . هنا يصنعون اجزاء الادوات الميكانيكية المختلفة في ورشها ويبنون المولدات الكهربائية — نعم هم يبنونها اي انهم يصنعون كل جزء من اجزائها ولا يكتفون باستحضار الاجزاء وتركيبها . وترى فيها داراً للمعلمين فيها ردهة بديعة لالقاء المحاضرات وحُجَر للتدريس حسنة التهوية تكثر فيها الخارطات والصور ووسائل التجربة والامتحان لان الطابع التجريبي العملي هو الطابع الغالب على التعليم في تركيا الجديدة . وفيها كذلك مكتبة ليست بالغنية ولكن فيها مئات من المجلدات التركية المطبوعة بالحروف اللاتينية في مختلف العلوم والفنون تنبيء بالجهد العظيم الذي بذل من سنة ١٩٢٨ الى الآن في وضع المؤلفات بالحروف الجديدة وطبعها . وفيها كذلك تمثال فخم للغازي في اكبر ميادينها تراه ممتطياً جواده ومشيراً بيده الى البحر . وعلى القاعدة نقش بارز في البرونز يمثل مشاهد القتال في حرب الاستقلال وفي مقدمتها فتاة بالسراويلات التركية القديمة يقدح الشرر من عينيها وفي يدها علم يخفق . وعلى هذه القاعدة نقش كذلك الامر الذي اصدره الغازي الى جنوده في ٢٦ اغسطس سنة ١٩٢٢ يوم بدأ الزحف على الجيش اليوناني قال : امامكم البحر المتوسط ! وقد فسر لنا والي ازمير كاظم باشا هذا الامر ، فقال ان المقصود بهِ لا ينحصر في طرد اليونان من آسيا الصغرى الى البحر ، بل يتعداه الى ان لتركيا في البحر المتوسط مكانة يجب ان تحتلَّها . وفي ازمير كذلك رأينا اول دلائل النهضة النسوية في تركيا ، فقد استقبلنا على الباخرة وفدٌ فيهِ سيدة مهذبة ، ظنناها زوج رئيس البلدية ، الدكتور بهجت صالح ، ولكن لم نلبث ان عرفنا انها مستشار في البلدية ، ولها شأن في لجنة حزب الأمة التي تتولى شؤون الثقافة العامة . وفي محكمة الجنايات رأينا

سيدة غضة الاهاب ، تتقلد منصب عضو اليسار ، وهي مع حداثة سنها وبهاء طلعتها ترى الكرامة والوقار في كل حركة من حركاتها ، وفي كل كلمة تفوه بها


وأزمير عاصمة ولاية «آيدن» وهي اكبر مدينة في آسيا الصغرى (بلغ سكانها في احصاء ١٩٢٧ نحو مائتي الف) ومن أهم مرافىء البلاد ، تصدر التين والتبغ والعنب الغض والمجفف والسجاد والحرير . وكان الحلفاء قد قطعوا هذه المنطقة لايطاليا ، في اتفاق سري لم يعض لاعتراض روسيا عليه فلما اجتمع مؤتمر الصلح في فرساي ، طلب فنزيلوس ان تمنح أزمير والمنطقة المجاورة لها لليونان . وكان الايطاليون قد خرجوا حردين من مؤتمر فرساي ، فاذن لليونان في احتلال المنطقة فنزل فيها الجيش اليوناني في ١٥ مايو سنة ١٩١٩

فلما وضعت معاهدة سيفر ، نُصَّ فيها على ان تظل مدينة ازمير والمنطقة التي تحيط بها في ادارة اليونان خمس سنوات ، أما باقي الحكاية فاشهر من ان يذكر. ذلك ان مصطفى كمال ، ما زال ينفخ في الشعب التركي من وطنيته وعزمه الصلب حتى طرد اليونان من آسيا الصغرى ، فلقيت ازمير في الحالين اهوال الحريق والعدوان والتدمير . ولكنك اليوم اذ تطلّ عليها من البحر ، ترى المباني الجديدة تحييك وكأنها تقول لك ، ان الجروح القديمة قد اندملت وها نحن نقيم مدينة جديدة تتجلى فيها الروح التركية الجديدة . والواقع ان روح تركيا الجديدة ، أشد جلاء في ازمير ، منها في اية مدينة اخرى زرناها الاَّ انقره . ولا غرو فواليها كاظم باشا من رفاق الغازي في الجهاد الوطني ، وهو رجل يأخذ بمجامع قلبك اذ ترى فوق وجه يفيض بنضارة الشباب ، تاجَ الشيب الوقور . ويؤيده في أعمال الاصلاح رئيس البلدية الدكتور بهجت صالح ، وهو شاب لا أظنه تخطى الخامسة والثلاثين يتقد نشاطاً وحماسة وقد سمعناه يخطب فسحرنا ، على جهلنا باللغة التركية ، بفصاحته وحسن ادائه

***

اما بورسة فعاصمة ولاية بورسة ، وهي واقعة على سفح سلسلة من الجبال تغطيها حراج السنديان والدلب والصنوبر ، أعلى قممها جبل يعرف باسم جبل أولمبوس الأسيوي وبالتركية « اولو داغ » أي الجبل الكبير وقد بني عند سفحه على ارتفاع ٢٠٥٠ متراً فندق حديث للاصطياف وليكون مثابة للذين يمارسون رياضة الشتاء على الثلج

وبورسة تبعد نحو ساعة عن البحر في سكة الحديد او السيارة ، ومرفأها قرية مودانية التي عقدت فيها الهدنة بين الاتراك والحلفاء بعد ما طرد الاتراك الجيش اليوناني من آسيا الصغرى . ويقال ان فرقة الفرسان التركية كانت قد تقدمت نحو صفوف الجيش البريطاني المرابط هنالك للدفاع عن مناطق الحياد التي عينها الحلفاء على شاطىء الدردنيل فسحبت فرنسا وايطاليا جنودها منها وبقي الجيش الانكليزي واقفاً بالمرصاد . وكان يكفي ان تطلق رصاصة



مقتطف اكتوبر ١٩٣٣

صورة الاسكندر في صيد الاسد

انظر صفحة ٣٤٢

واحدة من احد الجانبين لكي يشتبك الفريقان . ولكن الجنرال هرنجتن القائد الانكليزي أبدى من الحكمة والحزم والرغبة الاكيدة في الصلح ما مكنهُ من اجتناب الاشتباك مع الاتراك ، فلما تأكد الحلفاء أن نصر الاتراك في آسيا الصغرى قد تمَّ ، دعيت حكومة انقرة الى مؤتمر لعقد الصلح على اساس استرداد تركيا لسيادتها التامة وتعهدها بأن تحافظ في خلال المفاوضات على حرمة مناطق الحياد حول الدردنيل والبوسفور

وقد دلونا على البيت الذي عقدت فيه هدنة مودانية . فاذا به صغير لا يمتاز بشيء خاص من حيث المنظر الخارجي ولكن لا بدَّ ان يبقى علماً تاريخيًّا، لانه يرمز الى اليوم الذي اعترف فيه الحلفاء لتركيا الجديدة بمطالبها الوطنية ، وقد انتزعتها انتزاعاً بحد السيف

وبورسة مدينة قديمة لها مكانة كبيرة في تاريخ آل عثمان ولولا قربها الى البحر لكان الغازي اختارها عاصمة لتركيا الجديدة في بدء الحركة الوطنية في الغالب . تاريخ تأسيسها مجهول ولكن المؤرخ الروماني بلينيوس يشير الى ان هنيبال ، القائد القرطاجني العظيم أنشأها بعد خذلانه في معركة زاما بافريقية والتجائه الى ملك بروسياس في هذه المنطقة. وقد بلغت المدينة اوج عزها في عهد الامبراطور طريانوس الروماني، وكان بلينيوس الصغير حاكماً لها وله رسائل بعث بها الى الامبراطور يشير فيها الى انشاء حمامات لان فيها ينابيع مياه حارة تفيد في معالجة بعض الامراض . ثم تقلبت عليها الدول والحكام الى ان حاصرها عثمان بن ارطغرل سنة ١٣٠٧ ب.م وبعد مادام الحصار عشر سنوات دخلها اورخان ابنه وأصبحت عاصمة للعثمانيين . وقد ادخل اليها اورخان صناعة القاشاني ونسج الحرير وبنى فيها مراد الأول قصراً فخماً وأنشأ حولها بايزيد الأول المعروف بيلديرم (الصاعقة) اسواراً لما ارتقى عرش آل عثمان سنة ١٢٨٩ ثم فتحها تيمور لنك بعد ما هزم بايزيد في معركة انقرة ونهب جوامعها ثم اشعل فيها النار . وظلت ككرة الصولجان بين ايدي الفاتحين والغزاة الى ان استقرَّ فيها ملك بني عثمان . وقد لجأ اليها الأمير عبد القادر الجزائري سنة ١٨٥٢ — ١٨٥٥ ثم احتلها ابراهيم باشا نجل عزيز مصر محمد علي باشا سنة ١٨٨٣ . ولكن الاحداث الطبيعية وما منيت به المدينة من نار ونهب محت معالمها القديمة في الغالب

وحول المدينة الآن مزارع توت يربى فيها دود الحرير ، ومصانع حديثة لحلّ الحرير ونسجه وقد زرنا احد هذه المعامل فاذا فيه نحو ٣٠٠ فتاة تحلُّ الحرير وتغزله وتنسجه بالآلات الحديثة قماشاً جيداً . وكان حول المدينة بطائح يزرع فيها الارز ، ولكنها جففت الآن فابيد داء الملاريا الذي كان فاشياً فيها

اما ينابيع المياه المعدنية فيها فغزيرة وهي على نوعين . مياه كبريتية ، ومياه حديدية ، وحرارتها في الغالب عند انبجاسها من الارض نحو ٤٤ درجة بميزان سنتغراد . وقد بني فيها

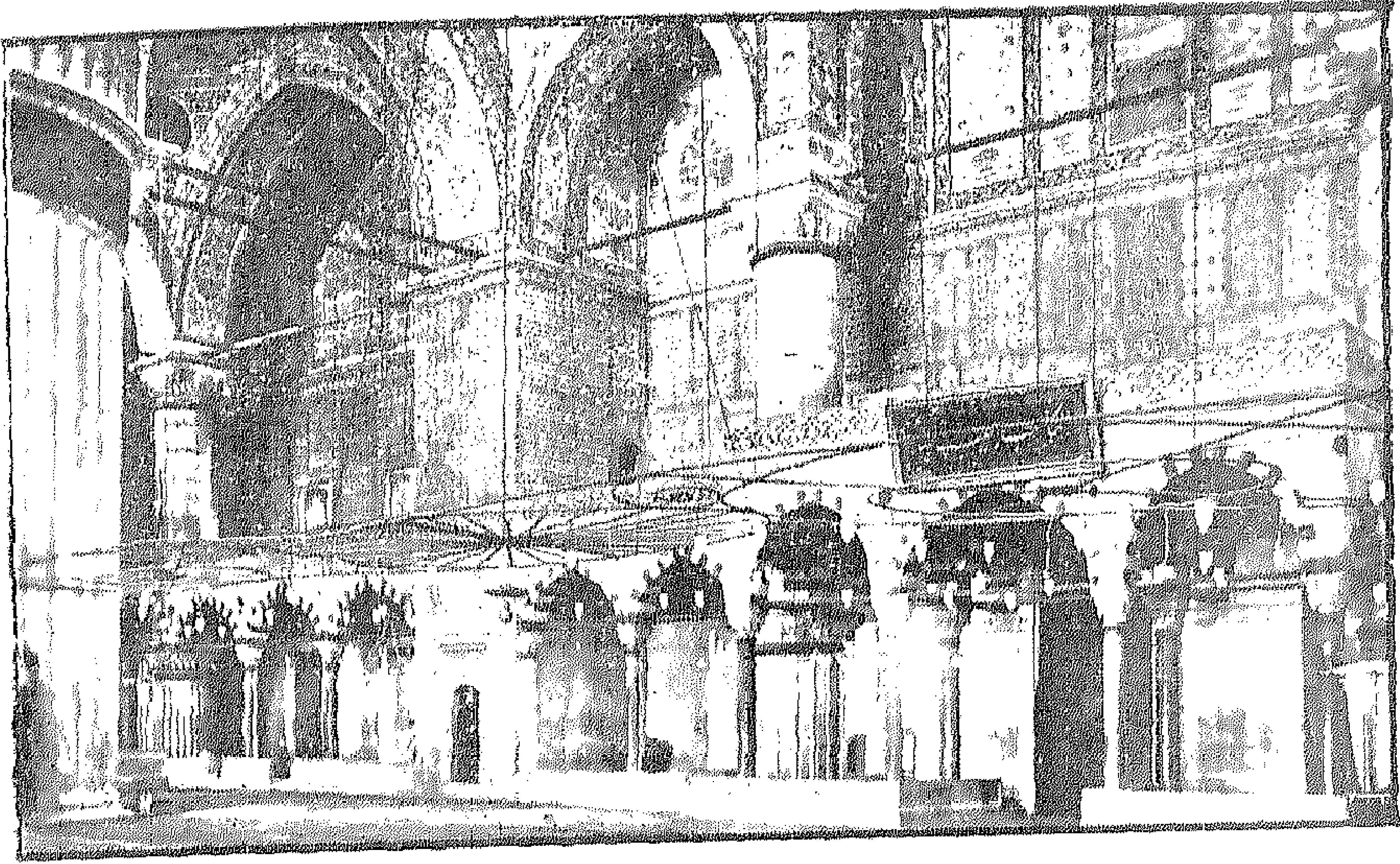
فندق على احدث طراز ردهاً وغرفاً وحمامات ، وشيد كذلك الى جانبه حمام فخم ، مرصوف من داخله بالرخام وفيه حوض متسع تظلله قبة كبيرة ، وقد قال لنا الذين يعرفون اكس ليبان انه شبيه بحمامها . وينتظر ان تفتح ابواب الفندق والحمام للزوار في السنة القادمة

اما الجامع الاخضر ، فمن ابدع ما تقع عليه عينك من آثار العمارة الاسلامية . بني في عهد محمد الاول (١٤١٣ — ١٤٢٣ ب. م.) ومع ما اصيب به من التلف بفعل الزلازل، لا يزال محرابه وما يحيط بالمحراب من القاشاني الاخضر ، آية من آيات الفن الجميل . ويقال انهُ كانت له منائر ، غشيت كذلك بهذا القاشاني البديع النادر ، ولكن الزلازل هدمتها. ويحيط بجدران الجامع من داخله ، منطقة عرضها نحو قدم ، على علو مترين او مترين ونصف متر ، كلها بالقاشاني وقد رسمت فيها آيات من القرآن الكريم بخط ثلث جميل ، وفي اعلى المنطقة كتابة بالحروف الكوفية ، تصعب قراءتها ، ولم نعلم هل هي نفس الآيات المكتوبة بالخط الثلث او آيات غيرها . وعلى مقربة من الجامع تربة محمد الاول باني الجامع الاخضر ، وتعرف بالتربة الخضراء ، لتغلب القاشاني الاخضر على نقوشها، وقد نزع معظم القاشاني الذي غطيت به الجدران من الخارج، اما القاشاني الذي يغطي الجدران من الداخل فمن النوع المعشَّق وهو من اندر انواعها واثمنها . وفي نوافذ التربة بقايا من الزجاج الملون

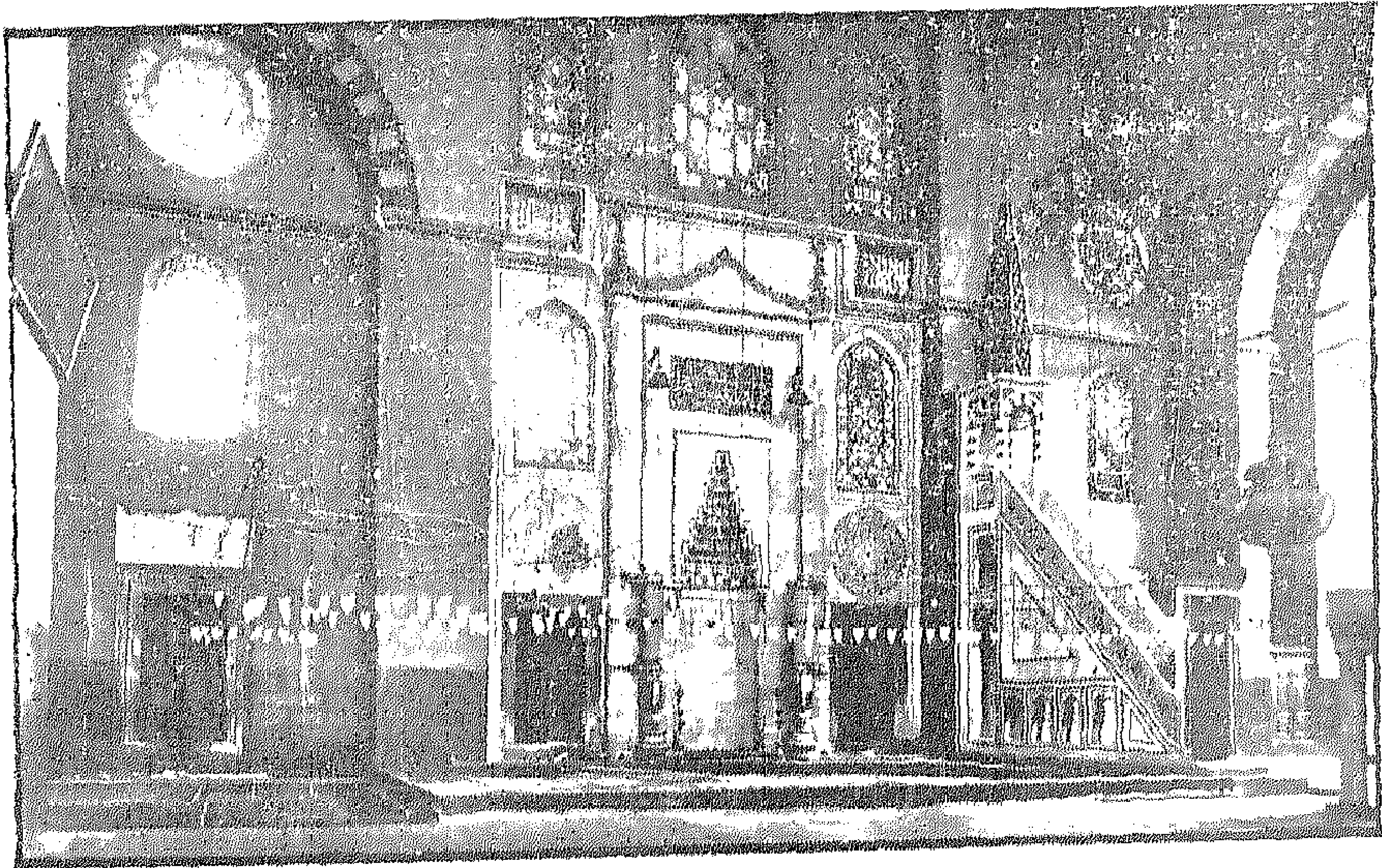
***

سبقني مكاتب المقطم في استانبول الى وصف يالوفا ، وقد قابلته فيها يستشفي من اصابته بعرق النسا فألفيته يثني ولا يضن ، فأكتفي بأن اقول ان الحمامات التي ازدهرت في ايام قسطنطين ويوستنيانوس ثم طغت عليها الاجمة ، قد وجهت اليها عناية خاصة في هذا العهد (بدئت العناية بها سنة ١٩٢٩) فبنيت النزل والحمامات على احدث طراز مألوف في مدن الحمامات في اوربا ويتعهدها اطباء بارعون من الترك . وحرارة مياهها الكبريتية تبلغ ٦٦ درجة بميزان سنتغراد عند انبثاقها من الارض وللغازي فيها دار يؤمها في فصل الصيف احياناً وفيها كذلك دار لعصمت باشا . وقد حدثنا الدكتور سليمان عزمي عما خبره من فائدتها في سيدة كانت مصابة بالروماتزم ، فوصف لها الذهاب الى داكس بفرنسا ، فذهبت وعادت ولم تصب من العلاج هناك الا فائدة يسيرة . وفي السنة التالية ذهبت الى استانبول ، فحدثتها اصدقاؤها اتفاقاً عن مياه يالوفا . فتعالجت بها ، ويشهد الدكتور عزمي — وهو الخبير الذي يزن الكلام بميزان الدر — انها اصابت في يالوفا من الفائدة ما لم تصبه في داكس وانها بعد علاج آخر في السنة التالية شفيت مما الم بها

والمسافة من استانبول الى يالوفا تستغرق نحو ساعتين ونصف ساعة من السفر بحراً ونحو ثلث ساعة بالسيارة . والطريق اليها من الفرضة البحرية ممهد مرصوف



مدخل جامع السلطان احمد



المحراب والقبلة في جامع السليمانية

وهي واقعة في وادٍ يرتفع نحو مائة متر او تزيد عن سطح البحر ، تحيط بها الجبال وقد كستها الحراج كساءً سندسيًّا يأخذ البصر ، ونسقت في جوانبها الحدائق ، وبنيت السلالم لكي يسهل على نُزّالها الصعود من الوادي الى قمة الاكمة التي بني عليها الفندق الكبير. وكان المنتظر ان نبيت فيها ليلتنا ، ولكن الفندق الكبير والنزل الاخرى كانت مزدحمة بالزوّار . فغادرناها بالسيارة الى بورسة

— ٤ —

شاهدنا في استانبول نصباً قائماً على ربوة تشرف على البوسفور يمثل نضال تركيا لاسترداد حريتها بزعامة رجل لعله في مقدمة زعماء الامم في هذا العصر او هو معهم في المقدمة . فعلى الجهة الواحدة ترى الغازي مرتدياً لباسه العسكري يقود اتباعه الى ساحة القتال . وعلى الجهة المقابلة الغازي كذلك والى يمينه عصمت باشا والى يساره فوزي باشا ومن ورائهم رجال الحركة الوطنية وكلهم بلباس السهرة الاوربي . هنا يلمع في عيني الغازي نور البهجة لان النصر قد تمّ وها هو يقدم لشعبه الحرية التي انتزعها لهم وبهم من براثن الاسد

ثم ان كل صورة تراها للغازي حتى طوابع البريد تراهُ فيها مرتدياً ثياب السهرة الاوربية في الغالب . ولو ان الزائر بقي في استانبول لاحسّ ان كلّ ما قيل وردد عن الانقلاب التركي انما يشير الى تغلب الازياء الاوربية على الازياء الشرقية القديمة ويقتصر عليها . فالرجال يلبسون القبعات والنساء يسرنَ سوافر في الشوارع . أكان من الضروري ان تثار حرب دامية ويقع انقلاب عظيم لتحقيق هذا ؟

والواقع انك اذا شئت ان تلمح طرفاً من تركيا الجديدة يجب ان تزور انقره العاصمة . ان مشهدها ابعث المشاهد على الاعجاب والدهشة . فهي تفسر لك كثيراً مما تراهُ من المتناقضات في حياة تركيا الجديدة . يصرُّ الاتراك على ارتداء الملابس الاوربية ولكنهم ينقلون عاصمتهم من اوربا الى آسيا . لقد اخرجوا الارمن واليونان من كل نواحي الجمهورية الاّ استانبول . ومع توجسهم من الاجنبي الناشيء عن رغبتهم في استكمال عناصر استقلالهم التام في بدء الحركة الوطنية ، ترى المهندسين الالمان والنمسويين يشيّدون في انقره آخر طراز من «الفيلات» الاوربية

ولكن انقرة رمز للروح الجديدة . هي على ما قال احدهم في باريس جوّ تتنمسهُ . ففي عيون سكانها شباباً وكهولاً رجالاً ونساءً ترى ذلك الالق المنبيء عن يقظة الروح. وفي حديثهم تتبين ارادة الحياة حاسمة قاطعة كالسيف المصقول . هي رمز لتحرر تركيا من قيود الامتيازات ونفوذ الاجانب وربقة الاستعباد لرؤوس الاموال الاجنبية . هي رمز للجلاد بين الامة التركية المتجددة والطبيعة الجافية حيث اقيمت معالم المدينة الجديدة


تبدأ الرحلة الى انقره باجتياز مدخل البوسفور من جسر غلطة الى حيدر باشا بباخرة

من البواخر الكثيرة التي تنقل الناس بين استانبول وضواحيها الاسيوية في اشقودار وحيدر باشا وجزائر الامراء . وتنزل من السفينة فيستقبلك بناء محطة فخمة تخترقهُ فاذا انت امام ارصفة واسعة نظيفة وعلى الخط الحديدي قطار الحقت بهِ ثلاث مركبات نوم . كانت الساعة السادسة لما قام القطار من حيدر باشا مخترقاً سهول الاناضول الشرقي فاذا هي من اخصب البلدان التي رأيناها، حراج غضة وحدائق غناء تكثر فيها اشجار الاثمار وبيوت لا بأس بها في الغالب . ولكنك لست تجد بينها قصوراً ريفية كالتي تنتظر ان تراهُ في مثل هذا الريف الجميل

وسار بنا القطار يقطع السهول والجبال فتناولنا في عربة الاكل طعام العشاء وطعام الافطار ومررنا باسكي شهر التي كان لها شأن خطير في حرب الاستقلال في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل . فلما اصبح الصباح كان القطار يجتاز نجداً علوهُ نحو الف متر عن سطح البحر تدل تربتهُ على انهُ شديد الخصب . ولكنهُ أجرد قاحل في الغالب لقلة اليد العاملة . ولكن الاستاذ رمزي كان يوجه انظارنا من حين الى حين الى الاشجار الكثيرة التي تغرس الآن بامر الغازي. والى المزارع المثالية التي تبنى لتكون بيوتها الصغيرة المهندمة النظيفة التي استوفيت فيها شروط المعيشة الصحية نماذج لفلاحي البلاد ينسجون عليها . فلما مررنا امام مزرعة الغازي وهي على خمسة كيلو مترات من انقره استرعى بصرنا منطقة واسعة من الارض خضراء اللون تغطي أكمة وسفحها والسهل الذي عند اقدامها . فقيل لنا ان هذه المنطقة كانت قفراً يباباً قبل بضع سنوات لا تزيد على العشر ولكنها اليوم تحوي عشرة ملايين شجرة ستة ملايين منها اشجار فاكهة واربعة ملايين اشجار زينة . والغازي شديد العناية بتشجير النجد المحيط بانقرة لان انقره في نظره وفي نظر الشبيبة التركية رمز الفوز في حرب الاستقلال بل هي رمز ايضاً كما قدمنا للفوز في الحرب التي تثيرها الامة التركية الآن على جفاء الطبيعة حول عاصمتها الجديدة

وانقرة منطقتان — القرية القديمة — وهي قائمة على اكمة صخرية ترتفع نحو ٥٠٠ قدم فوق النجد الذي يحيط بها، على الضفة اليسرى من نهر «انكوري سو» وهو احد روافد نهر سقاريا الشهير . وتبعد عن استانبول نحو ٥٧٠ كيلو متراً على خط السكة الحديدية . تتوج الاكمة قلعة قديمة ، ولكن القرية نفسها حقيرة كل الحقارة ، بيوت صغيرة متراكم بعضها فوق بعض مبنية بالطوب المجفف بالشمس ، وطرقات ضيقة مظلمة مرصوفة بالحجارة الكبيرة فيصعب المشي فيها ، بل ان اجتياز السيارات لها من العجائب . وتجد بين البيوت آثاراً قديمة بعضها فخم، لان انقرة تمتُّ الى الحضارات القديمة بصلة متينة . فقد كانت في عهد الرومان عاصمة لاحدى ولايات الامبراطورية الرومانية . وقد فتحها الفرس والعرب . ثم تعاقب عليها الترك السلاجقة فالصليبيون فالعثمانيون ومن أشهر الآثار الباقية فيها انقاض هيكل لاوغسطس

اما المدينة الجديدة فقائمة في النجد الذي تشرف عليهِ الاكمة والقلعة . وهو كالح جافٍ كان



ناووس النادبات

انظر صفحة ٣٤٢

فيه مستنقعات يكثر فيها بعوض الانوفيليس الناقل للملاريا وكان السكان مصابين بها، فأورثهم الضعف والسقم . ولكن المستنقع جفف ، والبعوض أبيد . وقد اكد لنا رجال الصحة، انك لن ترى بعوضة واحدة في دائرة تبعد عن انقرة عشرين كيلو متراً من كل ناحية بل ان قطار استانبول لايلبث ان يصل الى محطة انقرة وينزل منهُ المسافرون حتى يصعد اليهِ رجال الصحة لتبخيره

ترى المدينة ممتدة أمامك من سفح الاكمة الى رحاب النجد ، كانها بشوارعها الفسيحة وبيوتها النضرة صفوف جيش يغزو . وليس امامه الاَّ الطبيعة الجافية يغزوها . وليس لهُ الاَّ سلاح الارادة الماضية والايمان بزعامة الغازي سلاح يغزوها به . وأي سلاح أقوى من هذا السلاح

فدورها العامة والخاصة ، مبنية على احدث طراز . حتى قال احد الكتَّاب انه رأى في انقرة افضل امثلة على العمارة الاوربية الحديثة . فانك اذا اخذت أُنفر احياء هايوبوليس وبسطته فوق متسع من الأرض كانت لك صورة لانقرة عاصمة الجمهورية التركية

تخرج من المحطة في سيارات (تاكسي) كأنها لفخامتها ونظافتها سيارات خاصة فتجتاز شارعاً عريضاً ترى على يمينه فندقاً حديثاً فخماً ، هو فندق انقرة بالاس ، وفيه يقيم الغازي بعض الحفلات العامة خلال فصل الشتاء . وامام الفندق الى اليسار بناء مجلس الامة وامامه حديقة عامة غناء وامام الحديقة ميدان فسيح لعرض الجيش . ثم تجتاز الشوارع الأخرى : هنا بنك ايش وهو مبني بالحجر السماقي أسسه الغازي من نحو عشر سنوات وقد احتفل بانقضاء عشر سنوات عليه ونحن في انقرة يوم ٢٦ اغسطس . وهناك وزارة الصحة وهي بناء أنيق ووراءها مستشفى نموذجي وعلى مقربة منها دار الهلال الاحمر وهناك ثكنة الجيش ومقر أركان الحرب ومدرسة التجارة. ثم تصعد في شارع بديع الى الاكمة المناوحة لاكمة انقرة القديمة فتمر بسفارات الدول وبيوت الوزراء ، فاذا وصلت الى القمة فانت امام « تشان كايا » وهو مقر الغازي ومنه ادار حرب الاستقلال. هنا البناء القديم الذي كان يجلس فيها الغازي في الايام السود ، يدخن لفافة من التبغ اثر لفافة ، وانباء السوء في بعض الليالي تأتيه تترى ولكن نور الامل في نفسه لايخبو وايمانه بقوة الامة التركية لايضعف وحد عزمهِ الماضي لاتفله الاحداث

لذلك اشار احد شعراء تركيا الشبان الى ذلك ، وقد تمثل ظفر الأمة التركية كأنه المطمح الاعلى ، فقال : « ان الطريق الصاعد الى تشان كايا هو الطريق نحو السماء» . وعلى مقربة من البناء القديم اقيم بناء جديد للغازي بالحجر السماقي على طراز حديث يجمع بين البساطة وسلامة الذوق

أما منشآت انقرة الصحية والتهذيبية والاجتماعية فكثيرة، وبها يباهي الاتراك ويفاخرون . ففي معهد عصمت وهو بناء فخم ، تجد خمسمائة فتاة تتعلمن فنون تفصيل الملابس وصنع القبعات والعناية بالاطفال ومبادىء التمريض واصول الطبخ وصنع الحلوى . زرناه فقابلتنا وكيلته ، وهي سيدة تركية بهية الطلعة ذكية الفؤاد شديدة الغيرة على عملها . فذهبت بنا من

قسم الى قسم وهي تشرح لنا ونحن نحس في بسمتها ونبرة كلامها معنى المباهاة بما يقوم به هذا المعهد وما له من اثر في تثقيف الفتاة التركية تثقيفاً يعدها للحياة العصرية الحافلة بالتبعات . والتعليم في هذا المعهد من دون لقاء . فلما سألتها كيف تختارين الطالبات قالت اننا لا نختار فكل فتاة تطلب الانضمام اليه تقبل فيه . فقلت واذا ضاق البناء عن الاتساع لهن جميعاً ، فاشارت من الشرفة وفي اشارتها بلاغة وفخر ، اننا نوسع البناء وها هو جناح جديد نبنيه

وثمة معهد آخر ، يدعى معهد الغازي ، وهو دار المعلمين ، شيّدت على ربوة الى جنوب المدينة كاملة المعدات . غرفها واسعة حسنة التهوية كثيرة الضوء . جدرانها نظيفة وابوابها نظيفة وارضها نظيفة . دخلنا معامل الطبيعة والكيمياء فالفيناها جامعة لكل الادوات الحديثة التي لا بد منها في تعليم هذين العلمين . ولقينا استاذ الادب التركي فيه ، فدلنا من شرفة المعهد ، على جبل قال ان فيه مدفن امرؤ القيس ، ولعله عسيب الذي اشار امرؤ القيس اليه في بيتيه المشهورين

اجارتنا ان الخطوب تنيب　　واني مقيم ما أقام عسيب
اجارتنا انا غريبان هاهنا　　وكل غريب للغريب نسيب

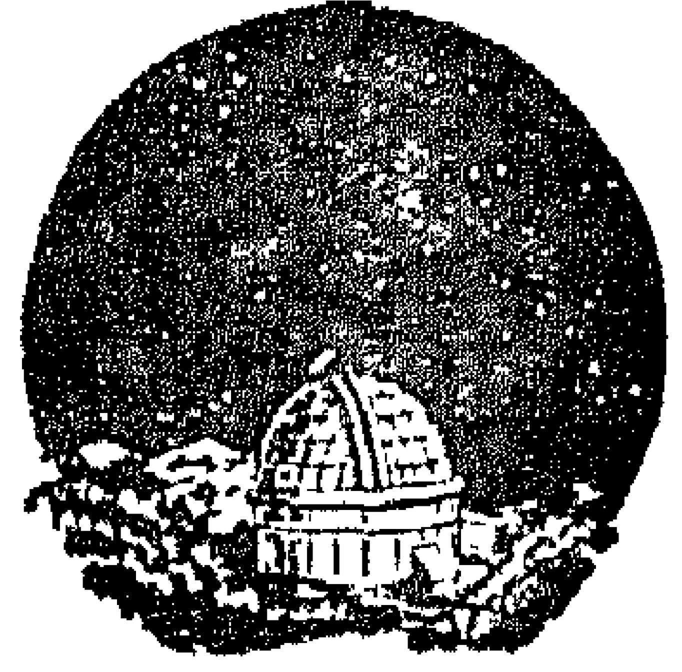
وثمة معهد للموسيقى : والغازي شديد العناية بالفنون ، لذلك بعث بطائفة من الشبان الى اوربا لدرس اصول الموسيقى حتى يعودوا الى بلادهم وينشئوا فيها بالاساليب الاوربية موسيقى مطبوعة بالطابع التركي . والتعليم بالمعهد مجاني كذلك ولكن الطلاب يجب ان يجوزوا امتحانات معينة لكي ينتخب منهم من فيه استعداد خاص للتفوق في الموسيقى

والمنشآت الصحية كالمستوصفات والمستشفيات وملاجىء الفقراء كثيرة . والعناية بها كبيرة وقد ندب لادارتها والعمل فيها طائفة من خيرة الاتراك رجالاً ونساء . هنا تجد من النساء المعلمة والمديرة والممرضة والطبيبة وطبيبة الاسنان . ولولا ضيق المقام لتوسعت في وصفها ولكنني سوف افرد لها وللتعليم فصلاً خاصاً

والاحساس الذي تخرج به من زيارة هذه المعاهد جميعاً هو ان الشعب التركي يشعر الآن ان له كياناً وان له تنشىء الحكومة ما تنشىء . حالة ان الشعب كان في العصور الساحقة كالمحو ازاء الحاكم الفرد . فتركيا رغم ما يعرف بالدكتاتورية فيها وعدم قيام حزب امام حزب الشعب سائرة في طريق الدمقراطية الصحيحة . ولكن هذا الطريق وعر وطويل ويحتاج الى عهد طويل من المرانة والتثقيف

اما مقام انقرة في حياة الجمهورية التركية فيلخص في قول النائب والكاتب البليغ روشان اشرف حيث يقول « لقد انفطرت نفسي اذ تركت استانبول ولكن الطريق الى انقرة كانت طريق الكرامة »

فؤاد صروف



كلف زحل

ظاهرة فلكية تهم علماء الهيئة

في اليوم الثالث من شهر اغسطس الماضي ظهرت على زحل كلفٌ، كان للكشف عنها اثر في دوائر العلم . ولعلَّ جانباً كبيراً من العناية بها سببهُ ان ممثلاً هزليًّا مشهوراً -- ول. هاي -- كان اول من كشف عنها . ولكننا اذا تجاوزنا عناية الصحف اليومية بهذه الكلف، الى اهتمام الاندية العلمية ، وجدنا ان ما يعرف عن زحل نزر يسير ، فكلُّ ظاهرة جديدة ، قد تكون سبيلاً الى توسيع معارف العلماءِ بهذا السيَّار الفذّ ، فهي لذلك تسترعي انتباههم واهتمامهم. ولولا ظهور هذه الكلف على سطوح السيَّارات ، لظلَّت معرفة علماءِ الفلك بالاحوال الطبيعية عليها ، يسيرة وغامضة . فالكلف في نظر علماءِ الفلك اشبه شيء بالكلمات المطبوعة التي تحوّل صفحات النظام الشمسي الى كتابٍ مقروءٍ

ويطلق لفظ «كلفة» اطلاقاً عامًّا على ظاهرات طبيعية منوّعة، اذا راقبها الفلكي عرف هل هي صفة دائمة من صفات السيَّار ، او هي ظاهرة تبدو ثم تختفي . فالبقع التي تبدو على سطح المريخ صفات دائمة من صفات سطحهِ ، يراها الراصد كلَّ يوم في نفس المكان ، وبها يستطيع ان يقيس طول اليوم على سطح المريخ ، قياساً دقيقاً . اما الكلف التي تظهر على وجه الشمس فتلبث حيناً من الزمن ثم تزول وبها يستدلُّ الراصد على ان الشمس جسم غازيٌّ وان سرعة دورانها على محورها اكبر عند محيطها الاستوائي منها عند القطبين. اما المشتري وهو اضخم السيارات فكلفهُ ليست دائمة وتختلف حجماً وشكلاً . والراجح انها ليست على سطح المشتري بل في جوّهِ . وقد دلّت الارصاد الدقيقة ، ان المشتري كالشمس تختلف سرعة دورانه عند محيطهِ الاستوائي عنها عند قطبيهِ وهذا يشير الى ان السيار ليس كتلة جامدة في الغالب. ثم ان الاضطراب في حركة بعض الكلف يدلُّ على حدوث تيارات عنيفة في جوّ الجرم الذي تظهر الكلف عليهِ

ولا يخفى ان الحلقات التي تحيط بالسيار زحل تجعله فذًّا بين السيارات ، بل بين الاجرام التي كشفت عنها المراصد لعين الانسان . ولكنها لغرابتها قد تسترعي عناية الباحث فيصرف نظره بعض الشيء عن جرم السيار نفسهِ . والواقع ان جرم زحل لم ينل من العلماءِ ما هو جدير بهِ من العناية . فكرة زحل تشبه المشتري شبهاً عامًّا، ولكنها اصغر منهُ فعلاً ، ثم ان بعدها العظيم يجعلها اقلَّ وضوحاً في عيون مراصدنا . والكرة كثيرة التسطيح عند قطبيها وهذا يدلُّ على ان دورانها على محورها سريع جدًّا . ثم انك تجد على سطحها . كما تجد على سطح

المشتري ، مناطق متتالية قاتمة وباهرة ، موازية لخط استوائهِ . اما سطح الكرة فعاكس قوي للضوء ، بل ان بعض مناطقه ابيض كالثلج او يكاد يكون كذلك . فهذه الظاهرات اذا اضيفت الى مشهده في التلسكوب ، تحمل العلماء على القول بأن كرة زحل يحيط بها جوٌّ غائم . واذاً فلا يستطيع الباحث ان يتوصل الى كشف كل ما يريد ان يكشفه من حالة سطح زحل ، بالرصد المباشر . لانَّ الجوّ الغائم يحول بين السطح والراصد ، فيكتفي بالوقوف على ما يقع في سطح الجوّ من الحوادث . فالمشتري اقرب الينا من زحل . واكبر حجماً . لذلك يستطيع الراصد ان يتبين بالتلسكوب وغيره حركة الرياح والتيارات على سطحه ، ولكن مثل هذه الارصاد على سطح زحل ليس بالامر اليسير

ويحدث في فترات متباعدة ان تظهر بقع او كلف في اماكن متباينة على سطح زحل . فاذا حدث ذلك عني الفلكيون بتعيين الوقت الذي تمرُّ فيه الكلفة امام خط معين في التلسكوب . وكل رصد من هذا القبيل معرَّض لخطإٍ بسيط يزال بتعديد الارصاد وأخذ متوسط الوقت الذي تقتضيه البعثة بين مرور ومرور — اي مدة دوران كتلة زحل على محورها . ولو كانت البقع باقية في مكانها ، لكان ضبط دوران زحل ميسوراً . ولكن هذا لا يمكن ان يقع لان البقع على ما قلنا ظاهرات في جوّ زحل لا غير . والظاهرات في الجوّ لا تقيم طويلاً . وقد دلت الارصاد التي تمَّت في خلال المائة والاربعين السنة الماضية ان سرعة دوران زحل عند خط الاستواء تبلغ عشر ساعات وربع ساعة وان السرعة ابطأ قليلاً عند خط العرض ٣٦° اذ تبلغ عشر ساعات و٤٠ دقيقة . يقابل ذلك على سطح المشتري ٩ ساعات وخمسون دقيقة عند خط الاستواء وعشر ساعات عند خط العرض المقابل لخط ٣٦ على زحل . فالفرق بين السرعتين على زحل ٢٥ دقيقة ولكنه على سطح المشتري عشر دقائق فقط . واذاً فالبواعث على حركات الرياح وتياراتها على زحل اعظم منها على المشتري

***

لم تظهر كلفة على سطح زحل منذ ما ظهرت كلفة عند خط العرض ٣٦° سنة ١٩٠٣ اما الكلفة التي كشفها المستر ول هاي في ٣ اغسطس الماضي فواقعة على خط الاستواء . وآخر مرة ظهرت بقعة او علامة ما على خط الاستواء كانت سنة ١٨٧٦ فاستنتج منها ان مدة دوران السيار على محوره تبلغ عند خط الاستواء ١٠ ساعات و١٤ دقيقة و ٢٤ ثانية . ولسنا نعلم ما السرعة التي يفضي اليها رصد البقعة التي ظهرت حديثاً . ولكن الارصاد التي تمت حتى الآن تنبيء بأن مدة الدوران عند خط الاستواء قد تكون نحو ١٠ ساعات و ١٥ او ١٦ دقيقة اي انها اطول من المدة التي عينت سنة ١٨٧٦ بنحو دقيقة الى دقيقتين . ومما يؤسف له ان الكلفة لم تحتفظ بشكلها ، فقد استطالت منذ كشفت الى الآن ، وهذا يجعل ضبط الارصاد متعذراً

باب الزراعة والاقتصاد

تجربة اجتماعية خطيرة

تجمع بين النزعتين : الفردية والسيطرة العامة
لانعاش الحياة الاقتصادية الاميركية

يرتاب بعض المفكرين في نجاح المشروع الذي وضعه الرئيس روزفلت واعوانه لانعاش الصناعة الاميركية. ولكن ليس يرتاب احد في انتعاش الروح الاميركية. هذا الانتعاش هو اعظم المآثر التي تذكر بها حكومة روزفلت في الثلث الاول من حياتها . من المتعذر قياس الانتعاش الروحي ، فهو لا يوزن ولا يقاس، لكن لا يسع احداً انكاره. ان الذين يذكرون سمة القنوط واليأس تعلو وجوه الناس في آخر عهد هوفر، وينظر الى الوجوه نفسها الآن مشرقة بنور الامل والثقة بالنفس، يعرف اي انقلاب احدثه روزفلت في الامة الاميركية. في امكان معارضيه ان يأتوا بالاحصاءات التي تثبت ان الخطط التي اتخذها لم تحقق كل ما علق بها من الامل. ولكن ليس في امكان الرياضي ان يقدر الروح الجديدة التي نفخها في الامة الاميركية . انه يتغلب على المصاعب بعزم صلب ، ويفوز بتأييد الجمهور بزعامة قوامها الاقدام والاخلاص والذهن المستنير والبسمة الاخاذة. والشعب الاميركي من ورائه يؤيده في مشروعاته فقد روى لنا صديق قادم حديثاً من اميركا ان الاميركيين لا يريدون ان يسمعوا كلمة الخيبة . ويقال ان اميركياً قال لروزفلت اذا نجحت فأنت اعظم رئيس انجبته هذه البلاد واذ اخفقت فأنت اقلهم شأناً فرد الرئيس عليه «بل اذا أخفقت كنت آخر الرؤساء» وفي ذلك اشارة الى ما قد تصير اليه شؤون تلك البلاد اذا اخفقت مشروعاته العظيمة

كان اليوم (٤ مارس ١٩٣٣) الذي تقلد فيهِ المستر فرنكلن روزفلت منصب الرآسة الاميركية يوماً جاهماً عصيباً . واجهت فيهِ البلاد الاميركية ازمة خطيرة في منشآتها المالية . فتذرع الرئيس بالشجاعة والحزم وعالج الحالة الطارئة حتى سكنت العاصفة واطمأنت النفوس قليلاً ، فاقبل على اصل الشر يعالجهُ وفقاً لمبادىء الحزب الذي رشحهُ وايدهُ في الانتخاب ، ومجاراة لآراء مستشاريهِ من علماءِ الاقتصاد ورجال السياسة والمال . ولو انهُ سأل اقتصاديي المدرسة الحرّة رأيهم في الامر لقالوا له : — « لننتظر فعل الطبيعة وتحسن الاحوال وانقضاء الازمة وعودة حياة الصناعة والتجارة الى مجاريها » ولكن هذا الرأي ليس رأي روزفلت ، ولا رأي الاساتذة الذين يعاونونهُ . قال احدهم « الانتظار » وهز كتفيهِ . ثم اضاف : « اننا لا نستطيع ان ننتظر . فقد يبلغ عدد العمال العاطلين قبل تحسن الاحوال مبلغاً لا تفلح معهُ اية محاولة ثم انهُ ليس من الثابت انهُ اذا تحسنت الاحوال تمكنت الصناعات من تشغيل كل العمال العاطلين » . وسواءٌ أأخطأوا ام اصابوا في تفكيرهم هذا فهم يرون انهُ لا بدَّ من العمل . وقد اقدموا عليهِ

وغرضهم تنظيم الصناعة واعانة الفلاّح والشروع في اعمال عامة واسعة النطاق كتشجير الجبال وبناء المباني والطرق وما اشبه ذلك

وقد منح الكنغرس الاميركيّ ، المستر روزفلت في خلال الشهور التي تلت ذلك اليوم التاريخيّ ، سلطة واسعة النطاق ، يقال انهُ قلما منح مثلها رئيس اميركي ، بموجب قوانين خاصة اقرّها رجاله اولها خاصٌّ بموازنة الميزانية وخفض اموال معاشات الحرب ، وثانيها بمعالجة الحالة الزراعية ، وثالثها باعباءِ الديون الاصلية وابتداع الوسائل لتخفيفها عن كواهل الفلاحين وصغار الملاّك وبوجهٍ خاص ملاّك البيوت والدور الصغيرة ورابعها يمنح الرئيس الحق في نقص مقدار الذهب في الريال الاميركي ، اذا رأى ان ذلك لازم لرفع الاسعار بنقص قيمة النقد ، وخامسها وهو قفل العَقْد وواسطة العَقْد ، هو مشروع الانعاش الصناعي ، والغرض منهُ ايجاد عمل للعاطلين من العمال وتنبيه الاعمال والاشغال بوجهٍ عام

كان خروج الولايات المتحدة الاميركية من قاعدة الذهب ، حدثاً ذا شأن في تنبيه الكيان الاقتصادي الاميركي لرفع اسعار العروض في اميركا . فهبوط قيمة الدولار بالمقابلة مع الجنيه مثلاً ، يعني زيادة قيمة الجنيه بالمقابلة مع الدولار . فالجنيه على ذلك اقدر على شراءِ البضائع الاميركية . وهذا يشجع الانكليز ، ومن يجري مجراهم من ناحية العملة والنقد ، على زيادة ما يطلبونهُ ويبتاعونهُ من العروض والمصنوعات الاميركية . فهذا يدفع باسعار البضائع الاميركية الصادرة منها الى الارتفاع . ثم ان البضائع التي تستوردها اميركا من الخارج تميل الى الارتفاع كذلك ، فالمستورد الاميركي للبضائع الانكليزية مثلاً ، يميل الى رفع اسعارهِ ، لانهُ يعلم انهُ سوف يقبض من زُبنهِ الاميركيين دولارات ناقصة القيمة

فالخروج عن قاعدة الذهب في اميركا ، يميل بالاسعار الى الارتفاع بوجه عام

ولكن القارىء يسأل عما يحدث للبضائع التي تصنع وتباع في اميركا نفسها . ان هذه لا تتأثر بسعر الكمبيو وعلاقة الدولار بالجنيه . والواقع انهُ اذا ظلّ الكساد سائداً السوق الاميركية أثّر هذا الكساد في ارتفاع اسعار البضائع الصادرة والواردة رغم خفض سعر الدولار كما قدمنا . وتأييداً لذلك نذكر ان انكلترا خرجت عن قاعدة الذهب في سبتمبر سنة ١٩٣١ ، فارتفعت الاسعار نحو ٦ في المائة في بضعة الشهور الاولى التي تلت الخروج عن قاعدة الذهب . ولكن عادت الاسعار فسقطت بمقدار ما ارتفعت ، لان الحالة العامة لم تتحسن حينئذٍ

فكل ما يستطيعهُ خفض سير العملة هو رفع الاسعار في ناحية واحدة من نواحي الحياة الاقتصادية الواسعة النطاق . ولكن الارتفاع العام في اسعار العروض يتوقف على عوامل متعددة . والغرض من مشروعي رفع اسعار المحصولات الزراعية والانعاش الصناعي هو جمع هذه العوامل الباعثة على رفع الاسعار بوجه عام . اما في المشروع الاول — اي الزراعي — فقد توسلت

الحكومة الى رفع اسعار الحاصلات الزراعية بتقييد المساحات المزروعة ، وفرض ضريبة على صناعات الاطعمة وهذه الضريبة ينتظر ان تزيد اسعار الاطعمة المستهلك ، فترتفع اسعار الحاصلات الزراعية بوجه عام

اما مشروع الانعاش الصناعي Industrial Recovery Act فالغرض منهُ رفع الاسعار بازالة الوسائل التي تتوسل بها البيوتات الصناعية للمنافسة الحادة فيما بينها ، وبزيادة العمال العاملين ، وتوسيع نطاق المقدرة على الشراء في كتلة الشعب. اما زيادة العمال العاملين فينتظر ان تتم (اولاً) بواسطة مشروعات واسعة للاعمال العامة — الطرق والمباني والاسطول — رصد لها مبلغ ٣٣٠٠ مليون ريال و(ثانياً) بحمل أصحاب الصناعات الكبرى على وضع أنظمة للمنافسة العادلة وتنسيق برامج الانتاج فيها ، حتى لا يزيد الانتاج على الطلب

فاذا أزيلت الوسائل التي تتوسل بها الدور الصناعية للمنافسة الحادة في خفض الاسعار وقضاء كل مصنع على مصنع يزاحمه ، تمكنت دور الصناعة والبيوتات التجارية من تحديد أدنى الاسعار التي يمكن أن تباع بها العروض من دون أن يخشى سقوطها الى ما هو دون ذلك الحد . وهذا ينشىء بدوره ثقة أو هو يجددها، ويشجع أصحاب الصناعات على التوسع في أعمالهم

ولكن هذا وحده لا يكفي. لانه اذا اتفق أصحاب الصناعات على دستور للمنافسة العادلة، ووضعوا الحد الادنى لاسعار العروض ، وتجددت الثقة التجارية ، لم يستطيعوا أن يمضوا طويلاً في هذا الميدان إلاَّ إذا رأوا إقبالاً من ناحية الجمهور على شراء ما ينتجون

وهذا الاقبال مرهون بتشغيل العمال العاطلين عن العمل حتى تتداول أيديهم النقود فيبتاعوا ما يحتاجون اليه . فمشروع الاشغال العامة الذي رصد له نحو ٣٣٠٠ مليون ريال ، جزء متمم لمشروع تنظيم الصناعة. والدلائل تدل على ان هذا الانتعاش سائر في طريقه الطبيعي، فالعمال الذين تحولوا من البطالة الى العمل ، في بضعة الاشهر الاخيرة يزيدون على مليوني عامل، وأجور العمال آخذة في الارتفاع وكذلك ما تخرجهُ المصانع من البضائع آخذة في الزيادة شهراً إثر شهر

خذ مثلاً صناعة المنسوجات القطنية وما يتصل بها . فقد وضع لها دستور وافق عليهِ أكثر أصحاب هذه الصناعة ومندوبو هيئات العمَّال، وبمقتضاهُ عين الأجر الأدنى للعامل ١٢ ريالاً في الاسبوع في الولايات الجنوبية و١٣ ريالاً في الأسبوع في الولايات الشمالية، وجعلت ساعات العمل ٤٠ ساعة في الاسبوع وحظر تشغيل الاحداث الذين دون السادسة عشرة من العمر

وقد تعاون مندوبو أصحاب الصناعات ومندوبو هيئات العمَّال، مع الجنرال هيوجنصن مدير مشروع انعاش الصناعة على وضع هذا الدستور . وكان مندوبو العمال قد طلبوا ان يكون الاجر الادنى ١٤ ريالاً في الجنوب و١٦ ريالاً في الشمال وان تكون ساعات العمل ٣٠ ساعة في الاسبوع ، وان يحظر تشغيل الاحداث الذين دون السادسة عشرة من العمر

فانت ترى ان الدستور الذي تمَّ الاتفاق عليهِ هو نتيجة مساومة . تنازل فيهِ العمال عن بعض مطالبهم لبلوغ الاتفاق المنشود بينهم وبين أصحاب الصناعة وممثلي الحكومة . ولعلَّ أصحاب الصناعات تنازلوا كذلك قليلاً عن مطالبهم بغية الاتفاق لأن المعروف ان اجور عمال المنسوجات كانت ادنى من الاجور التي عيّنت في الدستور الجديد

وقد يقال ان جعل مقدار الاجر الاسبوعي الادنى ١٢ ريالاً أو ١٣ ريالاً ليس بالعمل الذي يبهج قلوب العمال . والواقع انهُ ليس شيئاً يذكر اذا قيس بالاجور التي كان يدفعها فورد حتى بضع سنوات خلت — وكانت ٦ ريالات في اليوم للعامل وهو يدفع الآن نحو ٤ ريالات في اليوم للعامل الواحد — ولكن يجب ان نتذكر ، ان البلاد ما تزال تعاني ازمة عصيبة في صناعتها وزراعتها ومنشآتها المالية ، وان هذا هو الحد الأدنى للأجور ، وان متوسطها لا بدّ ان يكون فوق هذا المستوى . وان الدستور الجديد اذا تمَّ تنفيذهُ فسح المجال لنحو نصف مليون من العمال العاطلين في هذه الصناعة . وما تمَّ في صناعة المنسوجات القطنية تمّ في صناعة الحديد والصلب ، وصناعة المنسوجات الصوفية وغيرها

هذا من ناحية الصناعة . اما من ناحية الحكومة فقد رصدت مائة مليون جنيه لتوزعها الحكومة في وشنطن على حكومات الولايات . ثم انهُ وضعت خطة لارسال ٢٧٥ الف شاب الى الحراج وهم منظمون تنظيم الجند ، يتلقى كلٌّ منهم ريالاً في اليوم ويمنح السكن والغذاء مجاناً وعليهِ ان يبعث بثلثي مرتبهِ الى اهلهِ . وغرضهم شق طرق واسعةٍ في الحراج لتمكن رجال مكافحة الحرائق فيها من التغلب عليها لأن خسارة اميركا السنوية من هذه الحرائق جسيمة جداً . ثم ان عليهم ان يغرسوا ملايين من فسائل الاشجار في الوهاد والبطائح والجبال الجرد. ثم عليهم ان يبنوا السدود لمنع حدوث الفيضانات التي تخسر بها اميركا كلّ سنة خسائر فادحة

وكذلك يلتقي الجهدان ، جهد الصناعة الذي يقصد بهِ رفع الاسعار وتشغيل جانبٍ من العمال العاطلين ، وجهد الحكومة والغرض منهُ زيادة مقدرة الشعب على الشراء والاَّ باءت الصناعات بالخسائر الفادحة

هذا من ناحية النظر الداخلية . فهل انصباب جهد الاميركيين على انعاش الصناعة والتجارة داخل البلاد يتعارض والنزعة الدولية . ان النظرة العجلى تسفر عن القول ان الانعاش الداخلي يتعارض فعلاً مع التعاون الدولي لانهُ اذا افلح المشروع وزادت اجور العمال ونفقات الانتاج وارتفعت اسعار البضائع اضطرت اميركا الى زيادة تعريفتها الجمركية لكي تمنع البضائع الاوربية مثلاً من منافسة البضائع الاميركية في اميركا ، لان الاولى ارخص من الثانية . فاذا رفعت التعريفة الجمركية افضى ذلك من الناحية الاقتصادية الى انكماش تجارة اميركا الخارجية ومن الناحية النفسية الى رد فعلٍ عنيف تتبعهُ رغبة في اخذ الثأر من اميركا فترفع التعريفات

الجمركية الاوربية وزيادة الحوائل التي تعوق التبادل التجاري العالمي ، وكل ذلك قاضٍ على نزعة التعاون الدولي . ولكن إذا دققنا النظر وجدنا ان هذا إذا وقع ، يكون ذا أثر سيء في انتعاش أميركا نفسها . لانه اذا تقلص مقدار التجارة الاميركية الخارجية ، ارتدت البضائع المصنوعة بقصد التصدير ، الى السوق الاميركية فتغرقها ، وتنزع بالاسعار الى الهبوط فهي إذاً تتعارض مع الغرض الذي من أجله أنشئ مشروع الانعاش . وهذا يصح بوجه خاص على صادرات التبغ والقمح والقطن وهي التي تعتمد الى حد بعيد على تجارة الصادر فاذا نقص ما تصدره ، انشلّت هي بدورها ، من حيث مقدرتها على الشراء ، وكذلك يسري الداء من ناحية في كيان اميركا الاقتصادي الى ناحية أخرى

فيتحتم على أميركا ، لكي تفلح في تحقيق أغراض المشروع ، ان ترقب بعين حذرة سير الاسعار في البلدان الاخرى وان لا تسمح لاسعار عروضها بالارتفاع ارتفاعاً كبيراً عن مستوى الاسعار في البلدان الاخرى وعند ذلك لا يلزم قط ، أن ترتفع التعريفة الجمركية لصد العروض الاوربية الرخيصة ، ويزول المحذور ، الذي أشرنا اليه قبلاً

بل ان هنالك ما يدل على ان انتعاش اميركا ، يسير كما سار الانهيار فيها من دولة الى دولة حتى يعم العالم . وإحصاءات المرافئ الاميركية في العهد الاخير ، تدل على أن ما استوردته أميركا من البضائع — وهي خام في الغالب — زاد زيادة تذكر في الاسابيع الاخيرة

فاذا مضى مشروع الانعاش الاميركي في سبيله ، متدرجاً في رفع الاسعار رويداً رويداً ، فالراجح أن النزعة القومية الاقتصادية في اميركا لن تتعارض مع التعاون الدولي

والخلاصة التي نخرج بها من هذه التجربة ان الأمة الأميركية تتجه الى نظام اجتماعي جديد ، ليس هو بالفاشستية ولا بالاشتراكية ، وانما هو يستمد من النظامين أهم مبادئهما . فقد كانت اميركا الى عهد قريب تؤمن بمبدإ الفردية الخشنة Rugged Individualism كما دعاه الرئيس هوفر وبفلسفة الاقتصاديين الاحرار القائمة على ترك الامور تسير في اعنتها Laissez-Faire فكان أصحاب الصناعات احراراً في استنباط ثروة البلاد وتثمير مواردها ، والتعاقد مع العمال تعاقداً تغلب عليهِ صفة السيطرة الرأسمالية ، ويستعملون في منافسة بعضهم بعضاً أساليب تعود على المنافِس والمنافَس والعمال والمجتمع بوجهٍ عام بالخسارة والاضطراب . وقد افلس النظام القائم على هذا الاساس ، لتبدُّل الاحوال ، ولنشوء نزعة التماسك بين العمال — ومن ينكر عليهم حقوقهم الانسانية — واتساع نطاق الصناعة وزيادة المنتج المتكدّس ولسوء توزيع الثروة

لذلك اقدم روزفلت ورجالهُ على محاولة تنظيم الجهد الاقتصادي ، حتى يكون تنظيماً ، لا نشوز فيهِ ولا تنافر . وطريقتهم في ذلك بدعة تحتفظ بمزايا مبدإ الفردية ، ولكنها تحقق نوعاً من السيطرة الحكومية تجعل الكيان الاقتصادي متناسق الاجزاء

مكتبة المقتطف

تلخيص كتاب المقولات لابن رشد

(المطبعة الكاثوليكية ببيروت)

عوّدنا الاب (بويج) ان يبرز مصنفات فلاسفة العرب ابرازاً لا غبار عليه . وها هو يذيع فينا «تلخيص كتاب المقولات». وليس هذا الكتاب الاّ شرحاً لمصنف ارسطو الموسوم بكتاب المقولات المنقول الى العربية بقلم اسحق بن حنين. ولقد راج ذلك التلخيص في العصور الوسطى ونقل الى اللاطينية ثم طبع بها غير مرة في القرن الخامس عشر والسادس عشر

على انهُ قد خطر للاب (بويج) ان ينشر في الحاشية كتاب المقولات نفسه ليعارضه القارىء بشرح ابن رشد ، وقد اصاب فيما صنع لان تلخيص ابن رشد ينهض على نصّ ارسطو بل يلازمه

ثم ان الاب (بويج) الف مقدمة للتلخيص عرض فيها لمباحث شتى منها : صحة الكتاب ، فاستدل عليها بالنقد الباطن والظاهر — وتاريخ تأليفه ، فجعله حول شهر رجب سنة ثلاث وستين وخمسمائة استناداً الى ما نعرفه عن سيرة ابن رشد واخبار مصنفاتهِ — وعنوانهُ ، فبيّن كيف اراد ابن رشد الشرحَ المجمل بلفظ «التلخيص». بقي ان في تلك المقدمة تعيين المخطوطات التي عوّل عليها الاب (بويج) في ابراز الكتاب : فمخطوطات عربية في (فلورانس) من اعمال ايطاليا وليون والقاهرة ، وأُخر عبرية مخزونة في دار الكتب الباريسية ، وأُخر لاطينية مطبوعة بعضها في ليون وبعضها في البندقية. غير ان الاب (بويج) لم يحبس همهُ على مخطوطات التلخيص في سبيل تحقيقهِ بل انصرف الى المصنفات التي اشارت اليهِ او نحت نحوه في المنطق

هذا واني استأذن الاب (بويج) في ان آخذه بشيئين . ذلك انهُ اتفق لي حين نقدت «تهافت التهافت» في هذا المكان ان ارغب الى الاب الجليل ألاّ يقصر عناوين الفصول المُدرجة في اعلى كل صفحة على اللغة اللاطينية ثم رغبت اليهِ ان يثبت في جدول الاصطلاحات اللفظ الافرنجي المرادف للفظ العربي . الاّ انهُ لم يصنع شيئاً وهأنا ذا اقول في «التلخيص» ما قلتهُ في « تهافت التهافت » . ومما لا يخفى على احد ان تدوين عناوين الفصول باللغة العربية تفيد القارىء الذي يجهل اللاطينية ، ثم ان بنا حاجة اليوم الى تحقيق اصطلاحات العرب الفلسفية ولا كلفة على الاب في اثبات ما يرادفها من اصطلاحات الافرنج ذلك انهُ عالم بفلسفة العرب ومتضلع من فلسفة الغرب

بشر فارس

مقاليد الكتب

حاضر العالم الاسلامي

تأليف «لوثروب ستودارد الاميركي» ترجمة الاستاذ «عجاج نويهض» وعليه حواشي امير البيان شكيب ارسلان . مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٣٥٢

اوكس الامم اليوم حظًّا في التعارف والتآلف ، الامة الاسلامية التي ألّف الله بين قلوبها وألسنتها بالقرآن حين انزله على رسوله وأيده ونصره ، وجمع المؤمنين من بعده اطراف الارض تجبي اليهم ثمراتها وارزاقها، وجعلهم ائمة يهدون الى الحق وبه يحكمون . وانت اذا نظرت الى العالم الاسلامي اليوم ورجعت الى تاريخ هذا العالم فيما تصرّم من ايامه لوجدت تخالفاً عظيماً بيننا وبين اولئك السلف الذين هداهم الله الى اسباب السعادة فاستمسكوا بها واعتصموا بحبلها فجمعهم الله على قلب رجل واحد . فكان الرجل في اقصى الصين تمتد اخوّته الى اخيه المسلم فيما تطوّح عنه من بلاد المغرب الاقصى ، فكان الصينيّ المسلم ينزل اي امة من الامم التي تدين بالاسلام فلا يجد الجنسية تفصل بينه وبين العربي او المصري او الشامي او المغربي بل كانوا جميعاً اخواناً في الله وكانت الدولة في اي امة من امم الاسلام تتلقى هؤلاء الناس وتقوم عليهم وتفسح لهم كما تفسح للذين تربوا في ظلها ونشأوا في ارضها ، فكان المسلم من اهل الشام يتولى في بلاد مثل المغرب التدريسَ والوزارةَ وكثيراً من مرافق الدولة او يقوم عليها . ولا يفرق بينه وبينهم هذه الفتنة السوداء التي ظهرت حديثاً — فتنة الجنسيات. وكانت اخبار كلّ امة من الامم الاسلامية معروفة عند جاراتها وغير جاراتها فيما تقاذف من الارض هذا مع بطء المواصلات في ذلك العصر ، وقلة اسباب الاتصال والتعارف ، اذا قيست بما في هذا العصر من بريد وطباعة وطائرات وبرقيات سلكية ولاسلكية وغير ذلك من اسباب الاتصال التي جعلت العالم كله كأنه امة واحدة . اما اليوم فان الكثير من شباب العالم الاسلامي لا يكاد يعرف عن اقرب جاراته اليه الاّ نتفاً من الاخبار لا تفي بفائدة، ولا يجتمع من مجموعها ما يمكن ان يسمى علماً او معرفة ، وليس ذلك من شيء الاّ هذه النزعات الفردية التي مزقت العالم الاسلامي، وهذه الجنسيات البغيضة التي قضت على الحياة السعيدة بين امم الشرق الاسلامي. وإنك لترى كثيراً من شباب الشرق يعرف اخبار فرنسا وانجلترا والمانيا واميركا وغيرها من بلاد لا يربطهُ بها دم ولا لغة ولا دين ، فاذا ذكرت الامم التي تربطهُ بها الدم وتجذبهُ اليها اللغة ويميل بهِ اليها الدين والعقيدة وقف من ذكرها موقف الغريب الذي اخذته الدهشة واذهلتهُ الحيرة

والسبب في هذا التدابر العجيب — بعد الاتصال والاخاء — هو ما اشرنا اليهِ من ظهور فتنة الجنسيات ، ثم انصراف الشباب منا عن تتبع اخبار الامم الشرقية عامة والاسلامية خاصة، ثم

قلة عناية الصحف بأخبار هذه الامم ، ثم هذا الكسل الذي اعترى اهل الشرق فصرفهم عن التزاور والتعارف ، هذا مع ان الرحلة هي اهم اسباب المحبة بين الناس واحسن طرق المعرفة واجلُّ الاعمال خطراً في بسط النفس والفكر والامتداد بهما الى طلب السعادة والخير والمنفعة التي تعمُّ ولا تقف عند الحدود الضيقة التي نصبتها الشهوات المدنية

***

ظهر كتاب «حاضر العالم الاسلامي» للمرة الاولى سنة ١٣٤٣ من الهجرة ، وكان الشباب يغلي في دمي غليان المرجل ، وكنت احب ان اتسقط اخبار الامم الاسلامية ما استطعت ، وكنت اؤمل آمالاً كثيرة يمدها خيالي وتزينها احلامي ، وكان يقوم على تهذيب نفسي وتشذيب آمالي واحلامي رجل احب ان اعترف بفضله عليَّ ، وهو الاستاذ «محب الدين الخطيب» الذي طبع كتاب «حاضر العالم الاسلامي» بمطبعتهِ للمرة الاولى . فكان هذا الاستاذ الجليل اول من هداني الى قراءة هذا الكتاب ، وما عليهِ من تعليقات شيخ الكتَّاب الامير شكيب ارسلان ، واستفدت من تعليقاته عليهِ اكثر مما استفدت من كلّ كتاب قرأتهُ الى هذا اليوم ، فلما ظهرت هذه المطبوعة الثانية ورجعت الى قراءتهِ مرة اخرى انفسح لي مجال الفكر فيهِ اكثر من ذي قبل وكأني ما قرأت منهُ حرفاً قبل هذه المرة وذلك لان الامير شكيب استوفى ابوابه وحشد لها علماً كثيراً لا يقوم بهِ غيره ، ولا غرو ، فان هذا الرجل قد سلخ من عمره خمسين عاماً او تزيد في تتبع الحركات السياسية والدينية والعلمية والادبية والتجارية التي نشأت وترعرعت في العالم الاسلامي وبثَّ فيها قلمه روحاً عظيمة تركت آثاراً في كل بلد اسلامي . وهذا الكتاب الذي بين يدي هو — فيما اعتقد — أجل ما عمل الامير وما ترك من اثر ، ولا نزال في حاجة الى قراءته وتدبره والرجوع اليه إذ هو الكتاب الوحيد في العربية الذي يجمع بين دفتيه اخبار العالم الاسلامي وما ألمَّ به وعمل السياسة في ارهاقهِ وتحطيمه وتمزيقه . وليس احوج الى قراءة هذا الكتاب من شباب العالم الاسلامي الذين انصرفوا عن دراسة شؤون الدول الاسلامية والشرقية ، ولم توافهم الصحف بأخبار وافية صحيحة عن هذا العالم . وانا في كلمتي هذه لا أميز بين مسلم ومسيحي ، فان الاسلام قد أظلَّ النصرانية واليهودية في الشرق بظله الرطب زمناً طويلاً وكانوا جميعاً في امنٍ وعزّة لا يلحقهم حيف ولا تمسهم الذلة وكان امن الاسلام امنهم وعزّه عزّهم ، ولم يكن هناك استعمار يجعل الاقليات في بلاد الاسلام زناد بندقيته التي يرمي بها الجامعة العربية الاسلامية . ان التاريخ لا ينسى ان الجيوش الاسلامية التي قاتلت الصليبيين من اهل الغرب كانت تجمع تحت لوائها المقاتلة من النصارى واليهود وغيرهم ، وان التاريخ لا يستطيع ان يذكرنا بشكوى كانت لنصارى الشرق

من المسلمين واحكامهم، ألاَ وإنّ موقف الاقلية المسيحية في سوريا لخير مثل مضروب لذلك العهد المضيء بالعدل والمساواة والحق

ليس للعالم الاسلامي معلمة (دائرة معارف) يوثق بها في هذا العصر الاّ هذا الكتاب. ولم نأخذ على هذه المطبوعة شيئاً من النقص الاّ أشياء قليلة، فالمطبوعة الاولى من الكتاب كان التخالف فيها بين حروف الاصل المترجم وتعليقات الامير واضحاً بيّناً. اما في هذه المطبوعة فالاصل والتعليقات كلها من حرف واحد. وايضاً، كان في المطبوعة الاولى فهرس دقيق للاعلام والمواضيع خلت منهُ هذه المطبوعة وكان صواب الرأي ان يكون الفهرس في هذه اوفى منهُ في الاولى واوسع، على ان هذا لا يقلل من قدر هذا الكتاب الذي لا يستغنى عنه شرقي يريد ان يشعر يوماً ما بالعزة والكرامة والعلو في ظلال الحرية والاستقلال

ذكرى الشاعرين

جمعها ورتبها «أحمد عبيد» صاحب المكتبة العربية بدمشق — مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٥٢

كان في عصور الحكومة العربية التي اقامها الاسلام في الشرق واظلّ بها ما ترامى بين مشرق الشمس ومغربها من أمم الّف بين قلوبها وألسنتها وثقافتها وعلمها، قومٌ قد اتخذوا الورقَ والكتبَ تجارة درّت عليهم رزقاً مباركاً، وسمى الناس هؤلاء القوم «الورّاقين». فكانت دكاكين هؤلاء الوراقين مجامع تضمُّ صفوةً من العلماء والشعراء والمحدثين والفقهاء والنساخين والادباء لا يزالون يردون عليها ويصدرون منها ما بين طرفي النهار في طلب الكتب أو بيعها أو نسخها. وكانت مجالس هؤلاء المثقفين في هذه الدكاكين لا تخلو من مناظرةٍ أو مطارحةٍ أو جدلٍ، أو ذكر خبر، أو رواية حديث، او إظهار حكمة. فنشأ من بين هؤلاء الورّاقين رجال من اهل العلم ألّفوا وقعدوا للدروس وقالوا الشعر الجيد وبذّوا كثيراً من اهل العلوم التي فرّغوا قلوبهم لها مع تجارتهم. والاديب «احمد عبيد» هو خلف من اولئك السلف الذين جمعوا الى التجارة بالكتب علم ما في هذه الكتب، وله آثار جيدة وشعر طيب ولا يزال يطالعنا كل عام او عامين بكتاب مما ألّف أو جمع أو اختار

وآخر كتبه «ذكرى الشاعرين» حافظ وشوقي، جمع فيهِ اكثر ما كتب الادباء في مصر والشام والعراق والمغرب عن هذين الشاعرين قبل وفاتهما وبعدها وجمع اكثر المراثي التي قيلت فيهما وأضاف الى بابي الكتاب مختاراً من شعر حافظ وشوقي اكثره لم ينشر. وفي هذا الكتاب ترى كيف اهتزّ العالم العربي لموت هذين العلمين، وكيف افاض الكتّاب والشعراء في ذكر آثارهما ومناقبهما وكيف انطقت الفجيعة كل صامت وأوهت كل بليغ. ولا يشك احد في انهُ لم يكن الوفاء للشاعرين في جمع ما كتب عنهما وحسب، بل الوفاء في تتبع ما احدثا في

الشعر العربي من جديد ، وأقاما من بنيان كان قد تهدَّم في عصور اللكنة والنبطية المريضة التي كانت لسان الشعراء في القرون الاربعة قبلهم ، غير ان هذا العالم العربيَّ قد ابتلي بالتقصير في تاريخ دوله وآدابه ، وبالنكول عن الاغراض السامية التي كان آباؤهم يتبادرون اليها تبادر الجياد الكريمة في حلبة السباق . ومع هذا فشكرنا للاخ « عبيد » — الذي جمع ما كتب عن هذين الفحلين العظيمين — لا يقدَّرُ اذا قيس بأسفنا لهذا الصمت الذي عقب وفاتهما . وعمل الاخ « عبيد » قد جعلنا نشعر بان الامة العربية التي مزَّق الاستعمار أوصالها بدسيسة العصبيات من فرعونية واشورية وبربرية وفينيقية قد بقي فيها ذلك الوفاء الذي امتازت به على تطاول العصور . وأملنا ان يكون عمله هذا فاتحة لدراسة هذين الشاعرين دراسةً وافيةً يقوم بها من يجد في نفسه القدرة على تتبع بيانهما وسحرهما وفنهما واظهار ما كان لهما من الفضل على البيان والفكر والفنّ

ماضي الحجاز وحاضره

الجزء الاول : تأليف « حسين بن محمد نصيف » بجدة الحجاز مطبعة خضير

كان غيري احقُّ بالكتابة عن هذا الكتاب ، فان للاخ « حسين » ووالده عندي نعماً مشكورةً ما بقيت ، وانَّ الصداقة التي بيني وبينهُ لتجعل بعض اخطائهِ في نفسي بمنزلة من الصواب . وكان كتابهُ هذا تامًّا ايام ان كنت في الحجاز وقد عرضهُ عليَّ وحال بيني وبين تمام قراءتهِ او التثبت عند النظر فيهِ حوائل جمَّة

وهذا الجزء من الكتاب وثيقة تاريخية عظيمة القدر في تاريخ الحجاز من ولاية الحسين بن علي بن محمد بن عون الرفيق في شوال سنة ١٣٢٦ إلى دخول عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل السعود (ملك الحجاز ونجد) جدة في صباح الخميس ٨ جمادي الآخرة سنة ١٣٤٤ ، ويزيد قدر هذا الكتاب حين يصل الى تاريخ المعركة التي كانت قائمة بين الاسدين العربيين ، والتي انتهت بانهزام الحسين وخروجهِ من بلاده الى حيث عاجلته منيته رحمهُ الله وعفى عنهُ . ولولا هذا الكتاب الذي بين ايدينا اليوم لكان من الصعب على احد من اهل البلاد العربية النائية ان يصل الى اخبار صحيحة عن الحرب الحجازية الاخيرة ، أو أن يصل بين تاريخ الحجاز قبل عهد الحسين وتاريخه بعد حكم ابن سعود . وقد اتّبع صاحب الكتاب طريقة جمع الوثائق التاريخية كلها — الاَّ قليلاً مما لم تصل اليهِ اليد أو ما طوتهُ الضرورة . ولعل الطبعة الثانية لهذا الكتاب ستكون ان شاء الله أوفى واتمّ واوسعَ فان نقص القليل من وثائق التاريخ يلدُ خطأً كثيراً في التاريخ ، وبخاصة في تاريخ الحجاز الذي لم نجد احداً من أهله دوَّن عن عصوره القريبة شيئاً يعتمد عليهِ أو يرجع اليهِ مع انهُ مناط آمال كثير من دعاة الجامعة العربية ، وموئل

من موائل الحرية ، ومشعر من مشاعر الله التي تضم اشتات الامم واخياف الناس فتؤلف بين ابدانهم كما الّف الله بين قلوبهم بالإيمان

ونحن نقدّر جمع الوثائق التاريخية تقديراً اكبر من غيره مما يكتب في التاريخ، وذلك لان تصرُّف المعاصرين لعهد من العهود يوجّه التاريخ الى وجوه ملتوية اذ يكون العامل المؤثر فيها هو الهوى والعصبية والميل الى فئة من الفئات ، وهذا عمل غير صالح يضع الخلف في مضطرب واسع لا يستطيعون فيهِ تحقيق التاريخ على وجه الصواب. ولذلك كان التاريخ العربيّ القديم على كثرة الرواية فيهِ واضطرابها أحفل التواريخ بالمادة التي تهدي الى الحقيقة في تاريخ عصر من عصوره . وليس يعتمد التاريخ على فصاحة المؤرخ وبلاغتهِ وحسن ادائهِ بل العمدة فيهِ المادة التي يحشدها المؤرخ في بيانهِ عن عصر يؤرخهُ ، ثم قدرة هذا المؤرخ على حسن الأداء ، ودقة الوضع التي يؤلف بها بين الروايات بعد تصحيح ما صحّ منها وتزييف ما زُيف

و« ماضي الحجاز وحاضره» سيكون مادة عظيمة المؤرخ الذي ينزع الهمة يوماً ما لتاريخ الجزيرة العربية في عصر النزاع بين الحسين وابن سعود ، ذلك العصر الذي كان فاصلاً بين شكلين من الحياة والفكر ، لا يزال الناس في شكٍّ من ترجيح احدهما على الآخر

الوحي المحمدي

تأليف الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار — مطبعة المنار سنة ١٣٥٢

من اجلّ النعم التي انعم الله بها على الانسان نعمة العقل ، واجل ما ينعم بهِ على هذا العقل بساطة التفكير والرجوع فيه الى الحرية والانصاف والاعتدال والسماحة، واسوأ ما يعتري هذا العقل من الادواءِ التي تزيد في شقاء الانسان، هذا التعقيد الذي يسمونهُ فلسفةً تدليساً على العقل نفسه . والحقيقة التي يجب على كل انسان ان يعتقدها في نفسه وقلبه ان التفكير البسيط الواضح الهادىء الجرىء المتثبّت هو اعلى درجات الفلسفة وأشرف منازل الحكمة. وكانت حكمة الاولين وفلسفتهم تعتمد في مجموعها على هذه البساطة ، وذلك لصفاء القلوب وتفرُّغها لطلب الحقيقة من ناحية، ثم لقلة العلوم وانضمامها من ناحية اخرى . فلما اتسع العالم في الحضارة ونهض العلم واستبحر حتى وصل الى الحالة التي نراها اليوم ، اتسعت الشهوات وغلبت على القلوب وشغلتها عن طلب الحقيقة والتفرُّغ لها والتوت بها في مسالك الضلال والغيّ ، وصعب على عامة الناس الاحاطة بالعلوم كلها . ثم لما ظهرت اشباه المعجزات في العلم الحديث استكبر الانسان واخطأ الرأي في نسبة هذه العجائب الى قدرة العقل وحده دون توفيق الله ومشيئتهِ ، فزاغ كثير من الناس وضلوا واستفتحوا أبواباً من الزندقة والجحود والشبهات قلّ ان يجدي في اغلاقها جدال او خصومة

واذا نظرت الى الارض وجدت الاضطراب والتقلقل والحيرة مقرونة بالتهتك والفجور والبغي ووجدت سيلاً من الفتن يزأر ويخور في كل مكان ووجدت الناس من ههنا وههنا يجرون ويدبّون ويتلفّتون كأن ليس منهم الاَّ لصٌّ او مسلوب أو مجنون. ونعوذ بالله ، فانَّ هذا بلاءٌ عظيم لا يدرى معهُ كيف المخرج ولا اين المفرّ. ألا وان الايدي موضوعة على مفاتيح العلوم ، وكلما أُدير مفتاح في بابهِ ثم فتح الباب وبدت العجائب لعيون الناس جدَّدت هذه العجائب فينا رغبات وشهوات تمنع القلوب من الاطمئنان والاستقرار. وكيف يطمئنُّ امرؤٌ لا يزال قلبهُ معلقاً في مدرجة الرياح الهوج ولا يزال تتناوحهُ تلك الرياح بالقوة الطاغية التي تعصف بالعالم فما تفتأ تدوي القنابل والرصاص والرعود والبروق في كل زاوية من هذه الارض التي يقولون عنها متمدنة حرة. ان العالم ليغلي بشروره وحسناتهِ على كثرة الشرور وقلة الحسنات . أفينكر هذا حيٌّ على ظهر الارض في ايامنا هذه ؟ اينكر احد أننا على حافة ميدان قد حشدت له الامم والعقول من كل مكان ؟ او ينكر احد ان هذا الميدان لا يحدُّ بحدود سياسية او حربية ؟ ألا وان القتال قد وقع في كل مكان حتى البيوت التي هي موضع الامن في عرف الانسانية ، او ينكر احد ان العلم الحديث على جلالة قدره وعظم ما آتى من النعم لم يستطع ان يؤتي قلباً واحداً نعمة الراحة والاطمئنان ؟

أخذت الارض زخرفها وازَّينت وظن اهلها انهم قادرون عليها فلم يبق بعد الآن الاَّ ان يعرف الانسان انهُ — مع قدرته على الارض وتصريف قواها واستخراج كنوزها — غير قادر على ان يستجلب لقلبهِ ساعة من الامن يرضى فيها عن نفسه وترضى نفسهُ عنهُ . ألا وان اهل الارض جميعاً في هذه الحيرة لينظرون الى الغيب نظرة اليائس الذي كان لهُ أمل ثم قطع بهِ ، ولماذا قطع بهذا الامل ؟ ذلك لان الناس حكّموا في قلوبهم كل شهوة من شهوات المال والنساء والغلبة والفوز ولم يضبطوها بشيءٍ من ضوابط الحياة ، فاصبحت الحياة كلها عدوان وتقاتل وتنابذ وشهوة ، وليس للحق وحدوده بين الناس قدر تقف كل هذه الشهوات دونه ، ثم ها نحن نفقد الامام الذي يقودُ العالم الى الخير والسعادة والراحة ، ولا يستطاع ان يكون في كل عصر امام يقود الناس ، فكان العقل ان يكون كل امرىءٍ على نفسه اماماً يهديها الى الخيرات ، وليس يوجد هذا في امرىءٍ الا ان يكون عنده كتاب يهديهِ ، يستجيب لامره ، ويقف مع نواهيه ، ويمشي مع اوامره . ويكون هذا الكتاب هو الحق المبين الذي ميّز للانسانية خيرها وشرها وصرَّفها على قدر من الحكمة والصواب يؤول بها الى المحبة والرضا والحرية والسعادة والاطمئنان

وهنا يختلف الناس بين الكتاب الوضعي الذي لا يعرف أول الرأي فيه من آخره ، وذلك هو كتاب العقول الانسانية بفلسفتها وحكمتها وضعفها واختلافها ، وبين الكتاب الذي يقول

عنه من يؤمن به انه وحي من رب العالمين يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم . وليس يقع هذا الخلاف الاَّ من غموض أمر هذا الوحي الى بشر من الناس تلقى اليه من ربه كلمات يبلغها للناس حتى يكونوا مؤمنين . ولا يفضُّ هذا الخلاف بين الناس الاَّ ان يستقرَّ في القلوب صدق الوحي وصدق وقوعه لمن اختير من بين البشر ليكون نبيًّا أو رسولاً يهدي الى الحق ويدعو الى صراط مستقيم . ولمثل هذا قام الاستاذ الجليل الشيخ محمد رشيد رضا فأخرج للناس كتابه هذا الذي بين أيدينا عن الوحي ، وعن الوحي الذي نزل على « محمد » رسول الله صلى الله علية وسلم خاصة ليثبت ان الوحي صدق لايشك فيه وان القرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

واحبُّ ان ألقي القلم من يدي لان الاسترسال في نقد هذا الكتاب واظهار حسناته وتعقب بعض كلماته التي سبق بها قلم المؤلف تغري بالافاضة حتى يبلغ ما نكتب عنهُ مثل الكتاب الذي أمامنا ، وانه لمن الخير لكل من يطلب الحقيقة ان يدرس الوحي في هذا الكتاب فلعله يجد الحق فيقتنع به ويتعلق بآياته

جبران حياً وميتاً

مجموعة تشمل على مختارات من كتابات جبران ورسومه وما قيل فيه
جمعها ونشرها حبيب مسعود — سان باولو برازيل — صفحاته ٥٦٧ وثمنه ٤ دولارات

في العالم الذي تغرب الشمس عن افقنا لتشرق في أفقه البعيد يعيش شعب شرقي مهاجر لم تطغ مادية الحياة على روحانيته ولم تقطع الايام بينه وبين أمجاد ماضيه في الشرق العظيم

وكأنما يحيا للفن ويعيش للأدب فهو رسالة القديم الى الجديد ولكنه فن وأدب يتمازان بطابع العالم الذي يعيش فيه هذا الشعب المهاجر

وكأنما تحمل اليه الشمس في هودجها الذهبيّ كل صباح ما يهفو بخاطره ويعلق بناظره من أرض الميلاد فملء سمعه منها خرير ماء النبع المنحدر على الصخور وأغرودة الشحرور في أعالي السنديانة وزقزقة العصفور بين عرائش الكروم وملء عينيه رسوم الحضارات الاولى من خرائب بعلبك ومفاتن الطبيعة بين الماء والسحاب فالثلج المؤتلق على ذؤابة الجبل وظلال الارز الساجية في محاني الوادي تحت غلائل الشفق الوردية . ومن صفحات هذا الكتاب الخالد استمدَّ المعلوف وجبران وأبو ماضي ومخائيل نعيمة والقروي وغيرهم من ادباء المهجر إلهام فنهم ووحي أدبهم . وهي ذكريات كلما هزت نفوسهم اليها تباريح الحنين أمتعنا منها بأجل رسالة وأسمى مثال من النثر والشعر والتصوير وكلها ميراث خالد من نتاج القلب والعقل زاد به هؤلاء الأفذاذ أمجاد العربية فمدوا من رواقها ووسعوا من آفاقها وتحدوا منطق الناعين عليها جمودها والمعيريها بعقم العاطفة وسقم التفكير

ولعلي مبادرك -- وقد خلصت اليك من هذه الكلمة -- بالتحدث عن شاعر (بشري) وكاتبها وفنانها . وبين يدينا كتاب عن (جبران حيًّا وميتاً) يجمع في دفتيه صوراً متعددة من آثار قلمه وريشته وحسب هذه العبقرية ان تجمع بين فنون ثلاثة النثر والشعر والتصوير ثم تصل فيها جميعاً الى شأو بعيد وتفوُّق غير محدود

ولقد قال الفن كلمته في آثار ريشته على لسان المثال الفرنسي الاشهر (اوغست روذان) حيث قال . . . ان العالم لينتظر كثيراً من هذا النابغة اللبناني فهو وليم بلايك القرن العشرين

أما كلمة الفن في نثره وشعره فحسبه أنه شق فيهما طريقاً لم يسبقه اليه أديب عربي قبله ولا يضير جبران ان اخرج بالانجليزية بعض قصصه وكلماته فقد ربحنا من ذلك وقوف الغربيين على صور صادقة من روحانية الشرق وصفحات رائعة من ادبه وفنه لم يشوهها جهل الناقلين

وجبران كاتب وشاعر يترسل نثره في الفلسفة والاجتماع والادب وقصصه تجمع بين الفكرات العالية نتيجة الاطلاع الواسع في ادب الغرب وبين الخيال الشرقي المحلق ولقد مال في آخر ايامه الى القصص الديني فأخرج لنا يسوع بن الانسان والنبي وغيرها . كل ذلك في نثر فني خالص من شوائب الصناعة والتقليد كان له أثره في اللغة العربية في الوقت الذي لم تكن قد زايلتها فيه طريقة المقامات والاسجاع المملولة

أما روحه الثائرة المتمردة على الظلم والفساد الباكية على الشرق ولبنان فتقرأ لها في كلماته (نحن وانتم) (لكم لبنانكم ولي لبناني) وغيرها من الكلمات التي احدثت في حينها دوياً هائلاً في الشرق العربي وكانت مثاراً للحملة عليه حتى قال كلمته المأثورة (أنا اقول كلمتي واسكت تاركاً الناس ليقولوا عني ما يريدون. ان الواجب عليَّ هو ان اقول الحق باخلاص رضي الناس ام غضبوا)

وجبران من شعراء المعاني وشعره مزيج من العاطفة والعقل كما ان له كثيراً من نماذج الشعر الرمزي ولعل اروعها المواكب والبلاد المحجوبة . وقصيدته في (انشودة الليل) مثال راقٍ مما يجب ان يكون عليه الشعر الغنائي في الشرق

ويتماز شعره بالموسيقى العالية واللفظ الرقيق

والذين يقرأون لجبران يشعرون بتلك الكآبة التي تظلل روحه دائماً شاعراً ومصوراً وناثراً ولعلها نتيجة حزنه واهتمامه بوطنه المعذب كما تقرأ ذلك في كلمته (مات اهلي) او في كلمة (نحن وانتم) التي بدأها بقوله (نحن ابناء الكآبة . . .) ولعلها قبل ذلك ترجع الى طفولته كما ذكر الاستاذ حبيب مسعود في مقدمة الكتاب الذي بين يدينا عنه

وأرى ان هذا الكتاب جدير بأن يقتنى وأن يكون موضع الاهتمام والعناية من الشعراء والكاتبين عامة وخاصة المثقفين من ناشئة الشرق العربي

رحم الله جبراناً والمعلوف وأمد لنا في حياة الباقين من ادباء المهجر علي محمود طه

« نار موسى وقصائد اخرى »

مجموعة من شعر عبد اللطيف النشار مذيلة بالطبعة الثانية من ديوانه «جنة فرعون»
في ١٢٨ صحيفة متوسطة وبه مقدمتان لخليل وصديق شيبوب — طبع المطبعة المصرية بالاسكندرية

مرت على الشعر العربي منذ فجره أدوارٌ مختلفة من الضعف طوراً والقوة طوراً آخر، من الصحة تارة والسقم تارة اخرى، من النور مرة والظلمة مرة، من التعبير حيناً والتقليد حيناً آخر

وكان ان مرَّ عليه دور انحطّ فيه في مصر وبلغ غاية انحطاطه في عصر الاحتلال الفرنسي فأصبح لا معنى فيه ولا لفظ جميل حتى قيض الله له البارودي فأعاد اليه جزالته وقوة سبكه، وتأسست من بعده مدرسة تعني باللفظ والموسيقى، حتى نهض في العصر الحديث نهضته الجديدة واستيقظ على أشعة عهد حيّ. غير ان مقاييس النقد المعكوسة في مصر وفهم الناقدين للشعر فهماً لم يختلف باختلاف نظرة الشعر كانا سببين قويين في ايجاد الحيرة في نفوس بعض الشعراء فوقفوا يرتعشون كالسكارى يريدون ان يستندوا الى ناحية فما يهتدون

وجد هؤلاء الحائرون الشعراء المحافظين تزين رؤوسهم اكاليل الغار يضفرها لهم نقّاد الشعر لأنهم متساوون معهم في النظرة وفي الذي تترامى الى مداهُ تلك النظرة. وجد هؤلاء الشعراء تلك المظاهر فراحوا يتبعون نظرة المحافظين ليظفروا بما ظفروا به

ثم يلتفتون فيرون المجدّدين الناهضين تنصت الآفاق لترنيماتهم، وتعجب الاجيال الجديدة بهم فيأسرهم ذلك الاعجاب فيبتغون حظهم ويخطون وراءهم

وننظر نحن الى آثارهم بين حيرتهم فلا نرى الاَّ صوراً عجيبة نحار عندها ونعجب من ان هذه الصور لشاعر واحد، ونعجب من ذلك الصدى المختلفة المتباينة أنغامه والتي لا تؤلف بينها وحدة ولا تنظمها روح

ولقد قرأت في ديوان الشاعر عبد اللطيف النشار « نار موسى » المذيل بديوانه « جنة فرعون » فوجدت صوراً قديمة في تشبيهاتها ومعانيها مثل:

يا غصن بانٍ تهادى في خمائله ... وروضة أنفاً في الروضة الأُنفِ
حلفتُ بالله اني في محبتكم ... وافٍ واني أخشى الله في حلفي

وقوله: والضحى والليل ليلاً وضحىً ... أقسم الله تعالى بهما
ما وداعاً كان ما كان قِلىً ... صدق الله النبيّ القسما

ووجدت الى جانب هذه الصور صوراً معبرة عن نفس شاعرة تخفُّ عن جسمها الماديّ فتعلو ثم تتلاشى في أنغام وأصداء، ونسمع شاعرنا يهتف بنا من حيث حلّق في قصيدته «جناح الشباب»:

حرارةَ حبي الماضي أعيدي الى قلبي تباريح التصابي
ولجَّ مشاعري المهتاجَ من لي ولو بالموت في هـذا لعبابِ
وجوَّ تخيُّلاتي اعصف بنفسي ونقّلها على قلل السحابِ

وفي قصيدته «حرس الجنة» :

يحمي الفراديس رضوان وزمرته من اي مقتحم رضوانُ تحميها ؟
شاكي السلاح على ابواب جنته وليس في غيرها شر ولا فيها
الاّ ضعافاً بدنيا لا اتّصال لها بجنة الخلد الاّ في تمنّيها
عمر البسيطة جسر دون موعدها وسكرة الموت من ادنى أمانيها
وفي الحبوس من الاجداث آملها ففيم يخشى على الجنات راجيها

بين الصور الصامتة التي لا تعبر عن شيء والتي ليس فيها نغمة من الشعر وبين هذه الصور الناطقة التي تفوح منها النغمة الشعرية نرى تأثير الحيرة الادبية في شعر اذا خلص من ابهامه العميق ورغبته في ارضاء بعض النقّاد والجماهير كان النشار وتراً من اوتار القيثارة الجميلة التي يعزف عليها الشعر العربي الحديث اجمل أنغامه ، ولنا في ديوانه المقبل امل ورغبة قوية في ان يكون اكثر حرية واوسع نظرة واصفى ديباجة واوضح معنى حسن كامل الصيرفي

باريس

احمد الصاوي محمد

لا نظن انهُ يوجد شرقي لا يحنّ الى باريس او لا يصبو لزيارتها . فقد كانت ثقافة الشرق منذ بزوغ فجر نهضته الحالية فرنسية . ومن تعلم لغة احب اهلها . فاذا كان اصحاب هذه اللغة امثال الفرنسيين الذين بلغوا من الرقي والحضارة ما جعلهم في طليعة امم الارض اصبح ذلك الحب مزدوجاً. وهذا ما يعلل الرواج العظيم الذي ناله كتاب باريس لجامعه وطابعه الكاتب الاديب احمد الصاوي محمد. ولاغرو فقد ضمّ نفثات اقلام نخبة رجال الادب الذين زاروا باريس او درسوا فيها . فشاهدوا معالمها ورأوا بهاءها ورواءها وتبينوا ما فيها من سحر وقوة وجمال ، فبرز الكتاب اشبه بباقة من الازهار المختلفة الانواع المتعددة الاشكال وهي منسقة تنسيقاً بديعاً يستهوي القلوب ويأخذ بمجامع الالباب

قرأناه بلذة لان فيه تفكير اعاظم كتابنا الذين اودعوا فيه تأثيراتهم وعواطفهم ونزعات نفوسهم . فبدا قطعة مجلوة من الشعور النفسي والبيان العاطفي. وكنا ننتظر ان يكون الكتاب جامعاً بين الوصف الادبي الخيالي ، والبحث العمراني. ولكنهُ اقتصر على الناحية الاولى في الغالب فجاءت الكتابات التي استدل عليها قطعاً فنية شعرية لا مثيل لها. لكنها تكاد تكون

خالية من وصف ما تحتوي عليه مدينة عظيمة من آثار تاريخية ومشاهد عصرية ورقي اجتماعي واخلاق وعادات واميال ونزعات

فالقارىء لا يفوز بمطالعة الكتاب الاّ بالنزر اليسير من هذا وهو مبعثر هنا وهناك بين طيات المقالات التي يوجد في بعضها ما لا يمتّ الى باريس بشيء. فأين عظمة عاصمة الفرنسيس الماثلة في قصورها التاريخية وصروحها الأثرية ؟ واين اللوفر العظيم ومتحفه الذي يضم من الآثار الفنية ما لا مثيل له في العالم اجمع ؟ واين البانثيون مثوى العظماء والشعراء والادباء الذي ترتفع قبته ثمانين متراً في الفضاء . وتحلي جدرانهُ من الداخل رسوم آية في الابداع وتماثيل هي معجزات الفن ؟ وأين قصر فرساي — ولو انهُ في ضاحية باريس — وما يحويه من تحف ورسوم وتماثيل هي سلسلة متصلة الحلقات لتاريخ فرنسا المجيد؟ واين المكتبة الاهلية وهي تضم فقط من الكتب العربية والمخطوطات الاسلامية ما ليس له نظير في مكتبتنا الملكية ؟ واين ؟ وأين ؟ سائر الآثار الناطقة بجلائل الاعمال ؟ بل اين تراث باريس الذي خلفه السلف؟ اين نظام المجتمع عندها ؟ وأين قوى باريس المالية والصناعية والتجارية ؟

هذا غيض من فيض مما كنا ننتظر ان يزدان بهِ الكتاب ليصبح تامًّا من جميع الوجوه . لكن نقصه هذا لا يسقط من قيمته التي لها اثرها ولها مكانتها. فهو مؤلف نفيس جم الفائدة عظيم النفع . واثر خالد اشتركت فيه قرائح كل ادبائنا البارزين . ولعلّ الاستاذ الصاوي يعد جزءًا ثانياً خاصًّا بالناحية العمرانية فيصدق عليه قول الشاعر «لعلّ له عذراً وانت تلوم»

وقد نهج الصاوي في طبع هذا الكتاب نهجاً جديداً فانهُ ابى ان يعطيه لطابع ، لما يصيب المؤلف من اجحاف الطابع . فان هذا يعرض عليهِ بضع مئات من النسخ قد يوزعها على أصحابه هدايا ويفوز من الغنيمة بانه مؤلف الكتاب . فتمرّد الصاوي على هذا النظام ، وجرى على طريقة الاشتراك قبل النشر ، فأخرج كتابهُ من حيث الطبع والصور والورق واناقة الغلاف كأجمل ما يمكن ان يخرج كتاب عربي . فبرّ بوعده لمشتركيه وفاز بربح لا بأس بهِ ، وألقى على طابعي الكتب درساً ، لعلّهم يعونهُ

الحياة النسائية في المزاب

La Vie féminine au Mazab, 2 vol. Editions Geuthner, Paris

ان «المزاب» تلك القرية الكائنة في صحراء المغرب مما يحير العقول ، ذلك ان اهلها من سلالة الاباضيين وان لهم عادات شاذة . واغرب ما فيهم ما بين عيشة الرجال وعيشة النساء من التباين كأن كلتيهما تجري في عالم منفرد بنفسه . وكان الغربيون قد فطنوا الى غرائب عادات هذه القرية فبحثوا عنها والفوا فيها . الاّ ان اهل المزاب لا يبرزون نساءهم للرجال فترى ابحاث الغربيين ناقصة من جراء ذلك . ولكن سيدة غربية (Mme Goichon)

تداركت الامر فرحلت الى «المزاب» وأقامت فيها واستمالت النساء هنالك واستقصتهن اخبارهن فوقفت على جلائلها ودقائقها. وانها تسرد لنا كل ما يتعلق بالمرأة فتفحص عن مركزها في الهيئة الاجتماعية وعن واجباتها وعن لزومها قريتها ثم عن حملها ووضعها ورعايتها ابنها وتربيتها له ثم عن زواجها وما يلحق بهِ من المظاهر ثم عن تدبيرها المنزل وعن ملبسها ثم عن اعمالها ثم عن حزنها وسرورها وعن تقواها وورعها . ولولا ضيق المقام لسقنا هنا كثيراً من تلك العادات. على اننا نقول ان جلها قائم على العقلية الفطرية تلك العقلية التي تعتمد على السحر وتقيم له وزناً عظيماً

وما اكثر ما تعمد المرأة المزابية الى اساليب الرقية وضرب السحر حتى تقع من زوجها وتتوقى الطلاق وتحافظ على ابنها وتنجو من الموت . واما الدين فانهُ على جانب عظيم من الشأن . والمرأة مضطرة على ان تعيش عيشة ورع وان تكون عفيفة تصلي وتصوم وتتصدق وتحج مقامات الاولياء

على انهُ كان الاولى بصاحبة الكتاب ان تعنى بلهجة المرأة المزابية اكثر مما عنيت بها . فانها تدون الحين بعد الحين الفاظاً تتراوح بين العربية والمزابية . ولكنها لم تحلل اللهجة التحليل الدقيق ولربما اعجزها عن ذلك ما في تلك اللهجة من رطانة البربر . وعلى كلٍ فان صاحبة هذا الكتاب لم تصنف رسالة في اللهجة وانما في العادات والاحوال ولقد اتت من هذه الناحية بشيء حسن

رسالة الغفران

Le Menage du Pardon. Edition, Geuthner, Paris

عند ما برزت رسالة الغفران منذ ثلاثين سنة اقبل المستشرقون عليها في ولع . والسبب في ذلك انهم اصابوا فيها ادباً جديداً عدّوه اقرب الى التأليف الافرنجي منه الى التأليف العربي . وقد زادهم ولعاً بالرسالة انهم فطنوا الى ما وصل منها الى ملحمة « دانتي » المعروفة بالمضحكة الألهية . وبالجملة فان رسالة الغفران رفيعة المكان عند المستشرقين ويقول بعضهم ان محاسن الرسالة لم تبرز بكليتها حتى اليوم وان فيها من فنون البراعة في التأليف والتعبير ما سوف نشير اليهِ بعد القراءة المتواصلة

هذا وان واحداً ممن يشتغل باللغة العربية في الجزائر M. S. Meisse قد صرف همّه الى ترجمة (رسالة الغفران) وقد اغفل الابحاث اللغوية فراراً من التحذلق والتطويل . وقد تصفحنا هذه الترجمة فأوقفنا فيها عدة فصول قابلناها بالأصل العربي فوجدناها صحيحة مع مع شيء من الايجاز الحين بعد الحين . الاَّ ان ترجمة مثل هذه الرسالة تدل على علم واسع

باسرار اللغة العربية وبمقدرة على النقل منها الى اللغة الفرنسية. ومما يذكر ان اشعار الرسالة قد ترجمت في دقة ولربما أضرَّ بها هذه الدقة من حيث ان الشعر العربي القديم اذا نقل الى لغة افرنجية اضاع روعته لاختلاف اسلوبه عن أسلوب شعر الفرنجة

الاَّ اننا لا يسعنا الاَّ ان نحسن القول في ترجمة هذا الكتاب ولا سيما ان صاحبها اذاع في قرَّاء اللغة الفرنسية مصنفاً عربيًّا يدلُّ على ذكاء العنصر العربي ونبوغه

العروبة في الميزان

لم يثر كتاب في العراق بعد كتاب انيس النصولي في «معاوية» ما اثاره كتاب العروبة في الميزان من ضجيج فانهُ ما كاد ينتشر في الايدي حتى تواردت الاحتجاجات عليهِ فتدخلت الحكومة على الاثر وأحالت مؤلفه الى القضاء فحوكم امام محكمة بغداد وحكم عليه بالحبس لمدة اربعة اشهر وغرامة ٥٠ جنيهاً او حبس ستة اشهر في مقابلها وصدقت المحكمة العليا الحكم لما رفع اليها فصار مبرماً. والقي المؤلف في غياهب السجن

والكتاب في ١١٦ صفحة من القطع المتوسط ومؤلفه شاب عراقي اسمه عبد الرزاق الحصان وموضوعه البحث في تاريخ العراق السياسي وهو مقدم الى « فتى العراق » ومصدَّر بكلمة مأثورة للمثنى بن حارثة الشيباني قالها يوماً وهو يتعهد جيوش العرب « اني لارجو ان لا نواتي العرب اليوم من قبلكم. والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء الاَّ وهو يسرني لعامتكم ». وقد انتحى المؤلف في كتابه ناحية جديدة بهذا البحث واداره حول انتقاد رجال العهد الحاضر فوصفهم بعدم الوفاء للقومية العربية. انظر ما قاله في الصفحة الخامسة « قامت دولتنا الفتية بعد ان مرَّ على العراق ادوار ودخلنا عصبة الامم لكي نتخلص من دور الانتداب الممقوت ولكي نقيم عهداً جديداً لحمته الاستقلال وسداه العروبة ولكن هل قمنا بواجبنا كما تقضيه الجهود وهل عملنا لقوميتنا كما يتطلبه سعينا الحثيث

«اننا لا نزال نرى تأخراً في الاعمال وانحطاطاً في الاخلاق وخوراً في العزائم وفتوراً في الهمم ويمكن ان نلخص رأينا فيما يأتي :

١ — عدم قيام معظم الموظفين بواجبهم كموظفين يرون السعادة بقضاء الواجب

٢ — تدهور الآداب العامة

٣ — فتور في الروح القومية التي كانت تتأجج في الصدور زمن الاحتلال والانتداب »

ويلوح لنا ان لحملة المؤلف على الاعاجم صلة بالضجة التي ثارت عليهِ فقد جاء في الصفحة الثامنة ما نصه «اصبح العرب عموماً والعراق خصوصاً بسبب تسلط الاعاجم عليه في مامضى وكسبهم النفوذ بالقوة والوراثة في حالة يرثى لها من الافكار السقيمة والانحطاط في الذوق

والذي زاد الطين بلة النقص العظيم في تربية القائمين بالنهضة العربية حتى كأنا فيهِ غير عرب وكأن غيرنا في العراق وكأنا لم ندخل عصبة الامم»

ولقد كنا نفضل ان ينبري كتاب العراق وفضلاؤه لتفنيد ما فيهِ من آراء وأقوال يرون انها ضارة ويدحضون الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان بدلاً من الالتجاء الى هذا الاسلوب من مناهضة حرية الرأي ونخاف ان يؤدي الاستمرار فيه الى القضاء على الروح الحرة — لاسيما والعراق في مستهل نهضة علمية قومية — او الى قطع الطريق على الباحثين المفكرين فتحرم البلاد من ثمار قرائحهم

فطريقة محاكمة المؤلفين وسجنهم من بقايا العصور القديمة وقد عدلت عنها الشعوب الحرة وحبذا لو اخذ العراق وغيرهُ بها فلا تشوب نهضته امثال هذه الشوائب

على طريق الهند

كتاب اخرجه للناس الاستاذ جميل عبد الوهاب المحامي في بغداد وطبعهُ في مطبعة الاهالي البغدادية وعدد صفحاته ١٧٦ بالقطع المتوسط وورقهُ جيد ولهُ ملحقان الاول للمصادر التي استمدَّ منها والثاني لاسماء الاعلام الواردة فيهِ ومكانها. ومداره البحث في سياسة انكلترا في العراق وتحليلها وبيان تاريخها ومكانتها

وهو في اربعة ابواب : فالباب الاول خاص بالكلام عن الخليج الفارسي : والباب الثاني يتناول مطامع المانيا الاستعمارية في الشرق الادنى : والثالث يبحث مصالح انكلترا الاقتصادية في العراق : والرابع يعالج حالة الشرقين الادنى والاوسط بعد الحرب

والكتاب من الكتب النافعة التي تصح ان تكون مرجعاً للمشتغلين بالشؤون السياسية وما يحتاج اليهِ العرب في نهضتهم الحاضرة . ولو عني مؤلفهُ باتقان لغته ، ونقاه من الاغلاط النحوية والصرفية واللغوية — وهي غير قليلة — كما عني بتبويبهِ واتقان طبعه وانتقاء ورقه لجاءَ اتقن واكمل. فمن الضروري ان تراعى اصول اللغة وقواعدها في تأليف الكتب العلمية النافعة لانها باقية ومجال التدقيق متسع لاصحابها فلا يستطيعون ان يعتذروا بضيق الوقت . وانتقادنا هذا لا يجرده من مزاياه الاخرى فهو جم الفوائد غزير المادة طافح بالابحاث التاريخية المفيدة ولعل مؤلفه يستدرك ملاحظاتنا في الطبعة الثانية ان شاءَ الله فيأتي كتابهُ مستوفياً لجميع الشروط المطلوبة ووافياً بالغرض سواء من جهة الشكل او من جهة الموضوع كما يقول المحامون في تعبيرهم

باب الأخبار العلمية

آثار العراق

عثرت بعثة المعهد الشرقي الاميركي على آثار نفيسة في العراق في مكان يدعى « التل الاسمر » يقع بين نهر دجلة وفرعه الديالا عند سفح الجبال الايرانية . واهم هذه الآثار دور يحسبها المنقبون جديرة بالعناية لأنهم لم يعثروا قبل ذلك على دور خاصة في العراق ، يرتد تاريخها الى نحو ٢٢٠٠ سنة قبل المسيح . بل ليس بالأمر اليسير العثور على مثل هذه الدور . لانها مبنية بالطوب المجفف بالشمس ، فتهدمت وتفتتت الطوب . وقد تجد احياناً مصرفاً او حماماً كان مبنيًّا بالطوب المشوي شيئًا كاملاً او بعض شيءٍ فبقيت منه آثار ومعالم

ولكن بعض الدور ما يزال محفوظاً في حالة لا بأس بها ، ففي احداها كانت انقاض الجدران ترتفع الى علو اربع أقدام . يدخلها الانسان من الشارع الى فسحة صغيرة ، تفضي من اليسار الى مساكن الخدم . ومن اليمين الى ردهة صغيرة فيها موقد . هنا تجد باباً يفتح الى الغرفة الوسطى . وفي جدار الردهة شباك سليم ، وهو اول شباك عثر عليه في حفريات بابلية . مساحته صغيرة لا تزيد على قدم مربعة ، ويرتفع عن مستوى ارض الغرفة نحو ست اقدام ، ولما كان مستوى ارض الغرفة يعلو نحو قدم عن مستوى الشارع خارج الدار فالشباك يعلو عن مستوى الشارع سبع أقدام . فالذي يريد أن يطل منه الى الداخل لا يستطيع ان يفعل ذلك من دون ان يقف على شيء يعلو قدماً او يزيد . ثم ان ارتفاعه سبع اقدام عن مستوى الشارع يمنع الرجل خارج الدار من ان يسدد الى محدثه من الداخل سهماً او خنجراً او أية اداة حادة

اما الغرفة الوسطى ، فتحتوي على مقعد يواجه الباب . وفي وسطها موقد وجد فيه رماد قديم ، وفي الغرفة الوسطى توجد ثلاثة ابواب مقنطرة ، وقناطرها محفوظة سليمة الى الآن ، تفضي الى الغرفة المحيطة بها . اما الباب الذي قرب المقعد ، فيؤدي الى غرفة فيها فرنان لصنع الخبز يشبهان افران اليوم

والقناطر التي في هذه الدار جديرة بالعناية ومن الظاهر للباحث انها بنيت من دون « صقالة » خشبية ، ووجود القناطر في هذا العصر حقيقة جديدة ، تضيفها هذه المباحث الى التاريخ ، فاكتشافها واكتشاف الشباك من الامور التي لم يتوقعها المنقبون

ومن أبعث المكتشفات على الدهشة في انقاض هذه البلدة التدبيرات الصحية المتخذة في مساكن النساء بوجه خاص ، وفي البلدة نفسها بوجه عام . فقد عثروا على

مراحيض مبنية بالطوب المشوي، ولها مصارف تتصل كلها بعضها ببعض حتى تصل الى البئر الكبيرة وهي بناء ضخم علوه متر وطوله ٥٠ متراً . اما ماء الحمامات فتتصل كذلك بهذه المصارف ، وفي كل مرحاض تقريباً إناء للماء مبني في أرض المرحاض

اما في غرفة الاستقبال فتجد دكة واطية فيها جرة تستعمل كمصرف او كاناء للماء الذي تغسل به ايدي الضيوف قبل تناول الطعام . وقد عثر تحت ارض الغرفة على خزانة للجواهر فيها قرص قطره خمس بوصات ، مصنوع من الفضة المخرمة ، ومجموعة كبيرة من خرز العقيق واللازورد والجزع . ثم هنالك مجموعة من اقراص الفضة والأقراص تشبه في صنعها القرص الكبير ولكنها أصغر منه . وطوق لعنق كلب ، مصنوع من الفضة واللازورد . ومجموعة من التعليقات في أشكال حيوانات صغيرة مصنوعة من اللازورد ورؤوسها من الفضة وقد عثر أحد العمال ، اتفاقاً ، على جرة من الخزف تحتوي ٦٠ اناء من النحاس مختلفة الاشكال ، وزجاجتين ، واربعة مصابيح . واربعة مصافٍ واربعة خناجر ، وانبوباً عجيباً من النحاس ، طوله ٢٨ بوصة وقطره نصف بوصة ، وفيه ثقوب كثيرة في احد طرفيه ، والظاهر انه كان يستعمل لحسو شراب شمري (نسبة الى أهل شمر) يظن المنقبون انه البيرا او ضرب منها ، وتأييداً لذلك وجد على بعض الاختام الاسطوانية الشمرية القديمة صور تمثل الناس يحتسون هذا الشراب بالانابيب المذكورة

تعاون النبات والحيوان

الخصام والوئام ناموسان تخضع لهما الاحياء فتراها تتزاحم وتتخاصم يسلب بعضها بعضاً ويعيش بعضها بقتل البعض الآخر . او قد تتآلف وتتحالف ويعاون بعضها بعضاً على مبدإ الاخذ والعطاء والاشتراك في المنفعة. وقد يظن لاول وهلة انهُ ان كان في الطبيعة هجوم ودفاع واقتناص وافتراس فهو بين طوائف الحيوان . واما النبات فلا يعتدى عليهِ ولا يعتدي على احد ، وليس لهُ معيشة الاَّ من عناصر التراب التي لا تشعر بالالم ولا تشكو من مصاب . لكن هذا الحكم لا يؤخذ على اطلاقهِ . فقد بيَّن داروِن ان بعض انواع النبات ينصب الشباك للحيوانات ويصطادها ويغتذي بها . وبديهيٌّ انهُ لا يحاول افتراس الوحوش بل الحشرات الصغيرة لكنَّ من النبات انواعاً اصغر من كل صغير ، لا تراها العين ، وتعرف بالبكتيريا وهي التي تسبب الطاعون والهواء الاصفر والسلَّ وغيرها وتفتك بالالوف من الناس والبهائم كلَّ عام

ثم ان العقل يدهش من رؤية نبات كبير يبسط اوراقهُ كأنها بسط وثيرة موشاة بالديباج حتى اذا لمستها ذبابة مجذوبة اليها بجمال منظرها انطبقت الاوراق عليها وضيقت خناقها الى ان تميتها ثم تمتصُّ دمها وتغتذي بلحمها، او من رؤية زهرة بديعة المنظر تنشر شذاها الطيب او ريحها الخبيث حتى تراها الحشرات وتغرى بمنظرها اوتشمُّ رائحتها وتنخدع بها وتظن فيها اريًا طيبًا او لحمًا منتنًا فتقع عليها ولا تعود

تقوم بل تسكر سكرة الموت ويمسي الاكل اكلاً والمفترس فريسة

وظاهر الامر ان كل النباتات التي تصطاد الحشرات انما تصطادها لمنفعتها لكي تغتذي بها لا لغرض آخر . ولكن من النبات ما يفعل ذلك مسخَّراً للحيوان اي انهُ يصطاد الحشرات لا لكي يغتذي بها هو بل لكي يغتذي بها الحيوان . مثال ذلك نبات صغير ينبت في بلاد الرأس في جنوب افريقية وهو يعلو اربع اقدام ولهُ اوراق دقيقة متشعبة مغطاة بهلبٍ عليهِ مادة لزجة اذا وقع الذباب عليها التصق بها فيستعمله الاهالي هناك لمسك الذبّان ولا ترى نباتاً منهُ الاَّ والحشرات الصغيرة من البعوض ونحوهِ لاصقة باوراقهِ . وهناك نوع من العناكب ابطل نسيج البيوت واعتاض منها هذا النبات حاسباً انهُ نشأ لاجلهِ . والمادة الدبقة التي تلصق بها الحشرات لا تلصق بها هذه العناكب فتبني لها أعشاشاً صغيرة بين اوراق النبات تبيض فيها وتربي صغارها وتأوي اليها فترصد فراشها كأنَّ اوراق النبات خيوط البيوت التي تنصبها العنكبوت مصائد للذبان حتى اذا ساق ذبابة حتفها الى الوقوع على هذه الاوراق فلصقت بها هجمت العنكبوت عليها وافترستها غنيمة باردة

الفيتامين والأنيميا الخبيثة

يؤخذ من المباحث الطبية الحديثة ان فيتامين ب٢ قد يكون في المعدة ، ولكن عجزها عن هضمهِ يفضي الى الاصابة بالانيميا الخبيثة . وفيتامين ب٢ يوجد في اللحم والبيض واللبن (الحليب) والكبد وقشر الرز الخارجي والخميرة وسويداء حبة القمح . وقد يفقد الانسان العنصر اللازم لهضم هذا الفيتامين في عصارتهِ المعدية ، من دون ان يحسَّ بألمٍ او اي انذار آخر ، فتنشأ عن ذلك الاصابة بالانيميا الخبيثة . وهذا العنصر الضروري لهضم فيتامين ب٢ ليس من حوامض العصارة المعدية ولا من خمائرها وفقده لا يمكن ان يدرك الاَّ بكواشف بيولوجية دقيقة . وقد تفقد العصارة المعدية عناصرها الهاضمة العادية ، ولكن هذا العنصر الخاص يبقى ، فيهضم فيتامين ب٢ ولا يصاب صاحبهُ بالانيميا الخبيثة

فاذا كان هذا العنصر مفقوداً من العصارة المعدية ، فأكل الاطعمة الغنية بالفيتامين ب٢ لا يجدي نفعاً في منع الانيميا الخبيثة ، ولكن اذا شرب المصاب اوقيتين او ثلاث اواقٍ من عصارة معدية سويّة ، بعد ما يأكل الاطعمة الغنية بفيتامين ب٢ يشفى من اصابتهِ

***

اما المرأة فتفقد هذا العنصر من عصارتها المعدية في الغالب في خلال الحمل . فتصاب بانيميا الحمل . وتعود العصارة المعدية الى حالتها السوية بعد الولادة فتشفى من اصابتها ثم هنالك نساء يرغبن في الاحتفاظ برشاقة القد خلال الحمل فيمتنعن عن أكل الاطعمة الغنية بفيتامين ب٢ فتصبن بالانيميا ولو كانت العصارة المعدية سويّة

الجزء الثالث من المجلد الثالث والثمانين

هديتا المقتطف السنويتان

كتابان نفيسان

اصدرت مجلة المقتطف كتابين نفيسين كل النفاسة . احدهما في موضوع « اللاسلكي » وهو بحث علمي عملي مزين بما لا يقل عن مائتي صورة ورسم يتناول هذا الموضوع من وجوهه المختلفة ففيه نبذ عن تاريخ الفنون اللاسلكية .وفيه فصول تبسط مبادىء الكهربائية التي بني عليها اللاسلكي . وفيهِ ارشادات عملية لالتقاط اذاعات المحطات واصلاح الاجهزة . وفيهِ بحث في التلفزة (الرؤية عن بعد) والعين الكهربائية والفنون اللاسلكية الجديدة المختلفة

وقد كتب الكتاب بلغة سهلة واختيرت للالفاظ الاجنبية الفاظ عربية . وللكتاب معجم يشتمل على الالفاظ العلمية والفنية اللاسلكية باللغة الانكليزية وما يقابلها باللغة العربية وتفسير لمعانيها

واما الكتاب الثاني فهو كتاب «رجال المال والاعمال » .وهو سفر نفيس يضم سير طائفة من اكبر رجال الصناعة والعمل والمال في هذا العصر . هنا تجد اسماء فورد وركفلر وروتشيلد وستنس وروتر وتشمبرلين وكروب وغيرهم من الرجال الذين يجد الشبان في سيرهم قدوة وعبرة . والكتاب مزين بصور اعظم الرجال الذين ترجم لهم فيهِ

والكتابان لا يرسلان الا الى المشترك الذي يسدد المتأخر عليه لادارة المقتطف وثمن الكتابين معاً لمن يريد شراءهما ٤٠ قرشا صاغاً . اما كتاب اللاسلكي على حدة فثمنه ٢٥ قرشاً . وكتاب « رجال المال والاعمال » فثمنه ٢٥ قرشاً صاغاً

Al-Muktataf

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها ادارة المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

صندوق بوستة ٩٠٤ مصر تليفون رقم ٥٩٧٣٦

ص

٣٠ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثالثة)
٣٠ القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة اولى)
٧٠ القاموس المصري عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥ القاموس المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ قاموس الجيب عربي انكليزي فقط
١٥ قاموس الجيب انكليزي عربي فقط
٧٠ « سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠ « سقراط سبيرو انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠ « سقراط انكليزي عربي وبالعكس
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠ عشرة ايام في السودان « « « «
١٢ مراجعات في الادب والفنون (للاستاذ عباس العقاد)
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة
(الاستاذ محمد زعيتر)
١٥ روح السياسة « « «
١٠ الآراء والمعتقدات « « « «
١٠ اصول الحقوق الدستورية « « « «
٢٠ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
٨ مقدمة الحضارات الاولى « «
١٠ الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥ ماقي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
١٨ اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠ مختارات سلامه موسى
٢٠ نظرية التطور واصل الانسان « «
١٠ اناتول فرانس في مباذله (الامير شكيب ارسلان)
١٥ الدنيا في أميركا (للاستاذ امين بقطر)
٥ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (حسين عبدالله)
١ حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني)
٨ قبض الريح « « « « « «
٥ نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠ رسائل غرام جديدة (للاستاذ سليم عبد الواحد)
١ الغربال في الادب العصري (للاستاذ ميخائيل نعيمة)
٥ حكايات الاطفال ، اول (مصور بالالوان)
٥ « ثان « « «

ص

١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فري)
٥ خواطر حمار (الاستاذ الجمل)
٥ التعليم والصحة
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكرا وانثى خلقهم « « «
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران) « «
١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات (للدكتور فخري)
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها « «
١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي)
١٠ تاييس « « « «
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠ رواية فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨ رواية الانتقام المذب (اسعد خليل داغر)
٥ فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢ رواية باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥ رواية روكامبول ، ١٧ جزءا (طانيوس عبده)
٢٥ رواية ام روكامبول ، ٥ اجزاء «
٢٠ رواية باردليان ، ٣ اجزاء «
٢٠ رواية الملكة ايزابو ٤ اجزاء «
٢٠ رواية الاميرة فوستا ، جزآن «
٢٠ رواية عشاق فنيسيا ، جزآن «
١٦ رواية كابيتان ، جزآن «
١٦ رواية الوصية الحمراء ، جزآن «
١٢ رواية المبرج ، جزآن «
١٠ رواية فارس الملك «
١٠ رواية ضحايا الانتقام «
٥ رواية المتنكرة الحسناء «
٥ رواية مروضة الاسود «
٥ رواية شهداء الاخلاص «
٨ رواية المرأة المفترسة «
١٦ رواية بائعة الخبز «
١٦ رواية دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ « فرنسوا الاول « «
٨ رواية حورية « «

مجلة المجلات

بيان الى قراء المقتطف ومريديه

وضع قلم تحرير المقتطف خطة جديدة للسنة القادمة يأمل ان تكون سبيلاً الى جعل المقتطف رفيقاً لا يستغني عنهُ شرقيٌّ مثقف او شرقية مثقفة

﴿ مملكة المرأة ﴾ فالعالم العربي تنقصهُ الآن مجلة نسائية تكون للمرأة جليساً أنيساً ومرشداً اميناً ولذلك رأينا ان نخصص جانباً من مقتطف كل شهر لهذه المجلة. على ان نتوسع فيها اكثر مما كانت تسمح لنا صفحات باب «شؤون المرأة وتدبير المنزل»، في هذا الباب تجد المرأة كل شهر مقالات في الصحة والجمال، في التربية ونفسية الاطفال، سير النساء العاملات، وتقدم الحركة النسوية في العالم، في ترتيب الدار وشؤون المنزل العملية

﴿ سير الزمان ﴾ ثم ان شؤون العالم تسير سراعاً. ففي الحياة الاقتصادية محاولات لا ندري مدى اثرها في الاجتماع البشري الآن. وفي الحياة السياسية، نظم جديدة ومذاهب جديدة. كالشيوعية والفاشستية وتجربة روزفلت. وفي علاقات الدول والامم بعضها ببعض تحوُّل سريع في ما يتعلق بالسلاح والحرب والديون الدولية والتعاون والنقد والمواصلات. لذلك قرَّرنا ان نفتح في المقتطف باباً ندعوه «سير الزمان» ننشر فيهِ كل شهر مقالتين او ثلاثاً، تمكن المطالع من مماشاة التطور الحثيث في شؤون الامم

﴿ حديقة المقتطف ﴾ وللأدب حقٌّ علينا. الادب العربي والادب الغربي. وفي باب «حديقة المقتطف» الجديد يجد القارىء كلَّ شهر قطعة او اكثر من روائع الادب العربي. كما يختارها كبار الأدباء. ومنتخبات مترجمة من الأدب الغربي لتكون بمثابة اللقاح للخيال العربي والبيان العربي

فاذا أضفت هذه الأبواب، الى ما اشتهر بهِ المقتطف في خلال حياة طويلة حافلة، من عناية بتتبع التقدُّم العلمي والادبي في الشرق والغرب، عرفت ان المقتطف (في سنة ١٩٣٤) مجلة عربية في روحها واسلوبها، عالمية في اتساع افقها وتعدُّد مناحيها

الى الشعراء

اعلى الشعر وأصدقه ما يتفجّر به الشعور الانساني النبيل ، وأنبل ما يتفجر به الشعور ، ذلك الماء الدافق الذي تتطهر بهِ الاوطان لتخرج الى الحياة نقية ناضرة قوية مشبوبة ، وذلك هو « شعر الوطن »

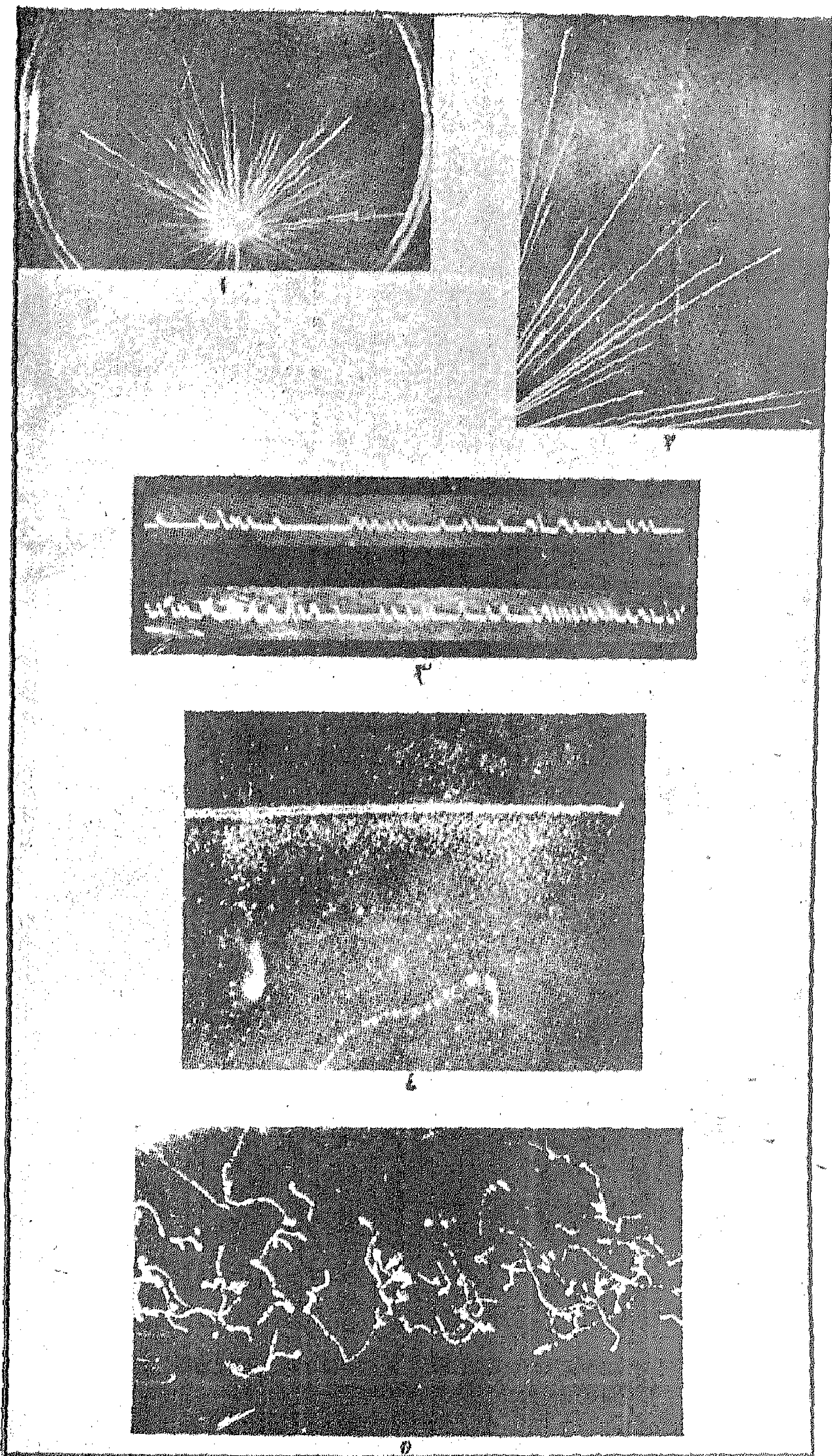
وقد كان هذا الشعر في العصر الاخير طَهور الحركات الوطنية وغذاءها وحافزها وموجد القوة في عضلاتها التي طال على سكونها الامد ، بيد انَّ ما يؤسف له ان اكثر ذلك الشعر الحيّ قد طوى مع تلك الحركات لاسباب كثيرة فصار مضيّعاً بين سائر الشعر ،... وهو الذي غيّر القلوب وبدَّل الانفس وبعث في الامم حياة تتنزَّي لتثب ، ثم ها هو ملقيً في زاوية من التاريخ والأدب مع انهُ هو اناشيد الوطن وأغاني الشعب ... وأصدق العواطف التي منحها الشعراء اممهم مهيبين ومنذرين وموقظين ومصلحين . وقد رأينا برأي محرر المقتطف ان ننفث في هذا الشعر روح الحياة لنبعثه ، ثم لنوقظ قلوب الشعراء حتى تمدنا بآيات منه تتلوها الشعوب العربية لتستشعر العزة والكرامة والاباء

وأخيراً رغبت ادارة المقتطف قياماً بما فرض عليها للامم العربية والشعر العربي ان تنتزع الهمة لدراسة هذا الشعر ونقده وتفصيل اغراضه واظهار روائعه للناس ليكون نبراساً في هذه الظلمات التي ارخت سدولها على العالم العربي . ورجاء المقتطف ورجاؤنا ... ان ينتزع شعراؤنا — في مصر والسودان والشام والعراق وجزيرة العرب وبلاد المغرب والمهجر — هممهم في ارسال ما طوي من شعر الوطن والحرية والاستقلال ، وان لا يبخل شاعر بارسال شعره او ديوانه مع ذكر الظرف الذي قيل فيه ، والاشارة الى مواضع هذا الشعر من الديوان ان كان مطبوعاً ... واملنا ان لا تكون شهرة شاعر او قدرته بما نعته من ان يرسل الينا شعره ، فان الذي حملنا انفسنا على تجشمه والاضطلاع به امر عظيم له ما بعده

ان الاوطان العربية المسكينة تنادي شعراءها ليوقظوا فيها روح الحماسة والطموح والحرية والشرف والمجد والاستقلال « فليستجب الشعراء »

نرجو ان تكون المراسلات الخاصة بهذا الموضوع

باسم محمود محمد شاكر ادارة « المقتطف بمصر »



معمل الذرَّة — اللوحة الاولى

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الرابع من المجلد الثالث والثمانين

١ نوفمبر سنة ١٩٣٣ — ١٣ رجب سنة ١٣٥٢

معقل الذرَّة

العلم يعدُّ الحملة لفتحهِ عنوةً

ما هي العناصر التي تدخل في بناء الذرة (Atom) ? وكيف تنتظم في هذا البناء ? وما هي القوى التي تربط بينها ? وما هو مقدار الطاقة في الذرَّة واين موقعهُ منها ? انها اسئلة خطيرة في نظر من يهمه النفوذ الى اسرار الكون المادي ، وعلماء الطبيعة في انكلترا والمانيا وفرنسا واميركا وغيرها ، مكبّون على البحث يحاولون الاجابة عنها

الذرَّة في نظرهم كالمعقل المنيع ، وهم جنود الجيش المهاجم وقواده ، يبغون ان يفتتحوه عنوةً . حملوا على القلاع الخارجية (الالكترونات) فخطموها وثبتوا اقدامهم في ميدانها . وها هم اليوم يجمعون مدافعهم الضخمة ، وقذائفهم الفتاكة للحملة على قلب الحصن (النواة) حيث تستقرُّ الكنوز التي يبحثون عنها . لقد اطلقوا قذائفهم فأحدثوا ثغرات في الجدار . ولكنهم لا ينون عن الاستنجاد بمدافع جديدة ووسائل مبتكرة للحرب . وليس في امكان احد ان يعيّن اليوم الذي يظفر فيهِ الجيش ، ويدخل الحصن عنوة . ولكن سواء اطالت الحرب عشر سنوات او مائة سنة فلا بدَّ ان يمضي الجيش في حصاره حتى يحرز النصر . فالعلم لا يحسب حساباً للنفقة ، ولا يُحجم عن بذل اي ثمن في سبيل الفوز

من نحو ٢٥٠٠ سنة عرض طاليس ، اول عالم حقيقي انجبته بلاد اليونان ، لحل اللغز الذي يدور حول بناء الكون المادي ، وقد مضى عليهِ مائة جيل الآن ، واللغز لا يزال لغزاً ظنَّ ديموقريطس واتباعه انهم وجدوا الحل المطلوب . قالوا ان كل شيء في الكون المادي

مبنيٌّ من جواهر فردة . فقالوا «حقّاً هناك جواهر فردة وفراغ» فالجبال والبحار والاشجار والناس ، بل والحياة نفسها ، مبنيةٌ ، في رأيهم من جواهر وفراغ . ولكن سقراط وافلاطون تجهما لهم ولم يسلمّا بجواهرهم . فقالوا ان التسليم بها يجرّد الانسان من « شخصيته » ويدكُّ الاسس التي يقوم عليها ادب النفس . هناك في اثينا قامت المعركة الاولى بين العلم والدين . فانتصر ابيقوروس ولقريطوس للجوهريين . ولكنّ افلاطون باء بالنصر . فأسدل ستار النسيان على القول بالجواهر الفردة حتى عهد الاحياء . ومع ان نظرياتنا الذرية الحديثة قائمة على اركان ارسخ من الاركان التي قام عليها مذهب ديموقريطس ومريدوه ، فلا ريب في ان اصول نظرياتنا ترتدُّ اليهِ ، محمولة على اجنحة الرواية والتدوين خلال العصور

طريقة الغرفة الغائمة

اذا ذهبت في نزهة خلوية واقمت في مضرب على سفح جبل او سلسلة من الجبال استرعت نظرك ظاهرة طبيعية عجيبة . ذلك ان الهواء الدافئ على السهول يبرد اذ يرتفع ، فيشبع بالرطوبة فيتقلص البخار على دقائق الهباء المنثور في الهواء فتتكوّن الغيوم

والراجح ان الاستاذ ولسن (C. T. R.) الانكليزي كان يشاهد مثل هذه الظاهرة في بلاده اسكتلندا ، اذ خطر له استنباط وسيلة علمية قائمة على مبدإ تكوُّن الغيم ليستعملها في مباحث الطبيعة الجديدة . فأخذ اسطوانة من الزجاج ليستطيع ان يرى ما يجري داخلها . ووضع فيها هواء ثم ضغطه وتركه مضغوطاً حتى تشبع بالرطوبة من ماء مجاور ثم رفع الضغط فتمدد الهواء فبرد في اثناء تمدّدهِ . فتكونت غيمة في داخل الاسطوانة

ذلك انهُ في اثناء تكوّن الغيمة في الطبيعة لا بدَّ للبخار المائي في الهواء من ان يتقلَّص على دقائق الغبار او الهباء في الهواء . فاذا سقط المطر ، سقطت قطيرات الماء مع الدقائق التي تكوّنت عليها ، رأيت الهواء بعد المطر صافياً كل الصفاء . ولكن متى سقطت دقائق الغبار فعلى ماذا يتقلَّص البخار ؟ اننا نجد في الهواء دائماً قطعاً من ذرات وجزيئات تعرف بالايونات تحدثها اشعة منطلقة من مواد مشعة او من مصادر اخرى . كذلك اختار المستر ولسن ان يضع في اسطوانته دقيقة من الراديوم في احد طرفي الاسطوانة ليرى اي نوع من الغيوم يتكون فيها . فوجد خطوطاً بيضاً تشعُّ من المكان الذي فيه دقيقة الراديوم . ذلك ان الاشعة المنطلقة من الراديوم تمزق ذرات العناصر الهوائية فتترك في مسارها ايونات يتقلص عليها البخار الذي في الهواء . فكل خط ابيض شاعّ من دقيقة الراديوم هو في الواقع غيمة

واذاً فلا مشاحة في ان ذريراتٍ ما تنطلق من دقيقة الراديوم فتمزق ذرات العناصر الهوائية ، فما هي هذه الذريرات ؟

اذا صوَّرنا ما هو حادث داخل الانبوب استطعنا ان نتبيَّنه . فالصورة رقم ١ في اللوحة الاولى تمثل جدران الاسطوانة (الخطين المنحنيين) ودقيقة الراديوم تشعُّ منها الخطوط البيض ؛ وهذه الخطوط كما ذكرنا هي غيوم وفي الواقع سلسلة من قطرات الماء المتقلص على الايونات التي تركتها مقذوفات الراديوم في طريقها

فما هي هذه المقذوفات المنطلقة من دقيقة الراديوم ؟ لندعها دقائق الفا حتى لا يكون الاسم دليلاً على اية صفة من صفاتها لاننا لا نعلم عن صفاتها شيئاً ما . فاذا نظرت ايها القارىء الى الصورة رقم ٢ في اللوحة الاولى وجدت الخطوط البيض نفسها وهي اجلى لنا منها في الصورة السابقة . وكلٌّ منها يمثل مسار دقيقة من دقائق الفا . وقد كان اللورد رذرفورد (السر ارنست رذرفورد سابقاً) اول من جمع كمية من هذه الدقائق لكي يدرس خواصها. فاخذ « النيتون » وهو غاز مشعٌّ اقوى من الراديوم نحو مائة الف مرَّة . وحفظ مقداراً من هذا الغاز في انبوب زجاجي ، رقيق الجدران ، بحيث تخترقها دقائق الفا . وبعد بضعة ايام ، اخذ الغاز المتجمع خارج الانبوب ، في انبوب آخر يحيط بهِ ، فلما امرَّ فيهِ شرارة كهربائية رأى بآلة الحل الطيفي (السبكترسكوب) طيفاً كالطيف الخاص بغاز الهليوم

الهليوم ودقائق الفا

اذاً هذه الدقائق — دقائق الفا — المنطلقة من الراديوم او النيتون هي ذرات الهليوم وقارىء المقتطف يذكر هذا الغاز وكيف كشف في الشمس قبل كشفهِ على الارض : لاحظهُ اولاً السر نورمن لكيرَ في طيف الشمس ، وظلَّ مجهولاً على الارض الى ان دقَّق راليه ورمزي الانكليزيان في دراسة كثافة النتروجين الهوائي فوجداها تختلف عن كثافة النتروجين المحضَّر في المعمل . فبحثا عن سبب الفرق وقادها بحثهما الى العثور على خمسة غازات في الهواء كانت مجهولة من قبل ، احدها غاز الهليوم . هذه الغازات هي غازات الارغون الذي تملأ بهِ المصابيح الكهربائية ليزيد تألقها ، وغاز النيون المستعمل في اعداد الاعلانات الكهربائية الحمرا ، وغاز الهليوم الذي تملأ بهِ اكياس البلونات لخفتهِ وعدم قابليتهِ للالتهاب ، وغازان آخران هما الكربتون والزينون ولهما شأن كبير في التجارب العلمية

وفي امكان الباحث ان يحصي عدد هذه الدقائق. فقد تحصى الخطوط البيض لان كلَّ خطّ انما هو مسار دقيقة منها . وقد تحصى بطريقة كهربائية دقيقة اذ تحمَّل كل دقيقة على تدوين اثرها على فلم متحرك . والصورة الثالثة في اللوحة الاولى تبين ذلك . فكل تعريج في الخطين المصورين هناك يمثل دقيقة اثر واحدة من دقائق الفا

ولنفترض الآن اننا احصينا كل دقائق الفا التي اخترقت جدار الانبوب المحتوي على غاز

النيتون الذي استعمله رذرفورد .فما هو عددها ؟ اننا اذا اخذنا انبوباً زجاجيًّا بحجم الحمصة وملأناه هليوماً (الهليوم ودقائق الفا سواء او هما شيءٌ واحد) كان عدد الذرَّات في الانبوب ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ذرة

ولكي ندرك معنى هذا الرقم الضخم دعنا نرسم لك صورة اخرى . لفظ يوليوس قيصر نفسهُ الاخير منذ نحو الفي سنة . فذرات الهواء وجزيئاتهُ التي زفرها يوليوس قيصر في اخرى زفراتهِ تبدَّدت في الجوّ وانتشرت مع الرياح والاعاصير والزوابع في اربعة اقطار المعمور. والامر الذي نرتاب فيهِ ان منها دقائق في هذه الغرفة التي نكتب فيها هذا المقال . ولكن علماء الاحتمال الرياضي يقولون ، اننا اذ نستنشق الهواء ، نستنشق ما لا يقل عن ست دقائق منها كلَّما تنفَّسنا

ويروى عن لورد كلفن ، العالم الطبيعي المشهور، انهُ بعد ما القى خطبة في الذرَّات والجزيئات وقف احد تلاميذه وقال «ما رأيك يااستاذ في بناءِ الذرّة » فقال كلفن متهكماً : « بناء الذرّة؟ الاَّ تعلم ان اللفظ الذرّة اي « Atom » من اصل يوناني معناه « لاينقسم » فكيف يكون لها بناءٌ» فيردُّ العالم العصري متهكماً على كلفن « هذا الضلال نتيجة معرفة كلفن للغة اليونانية »

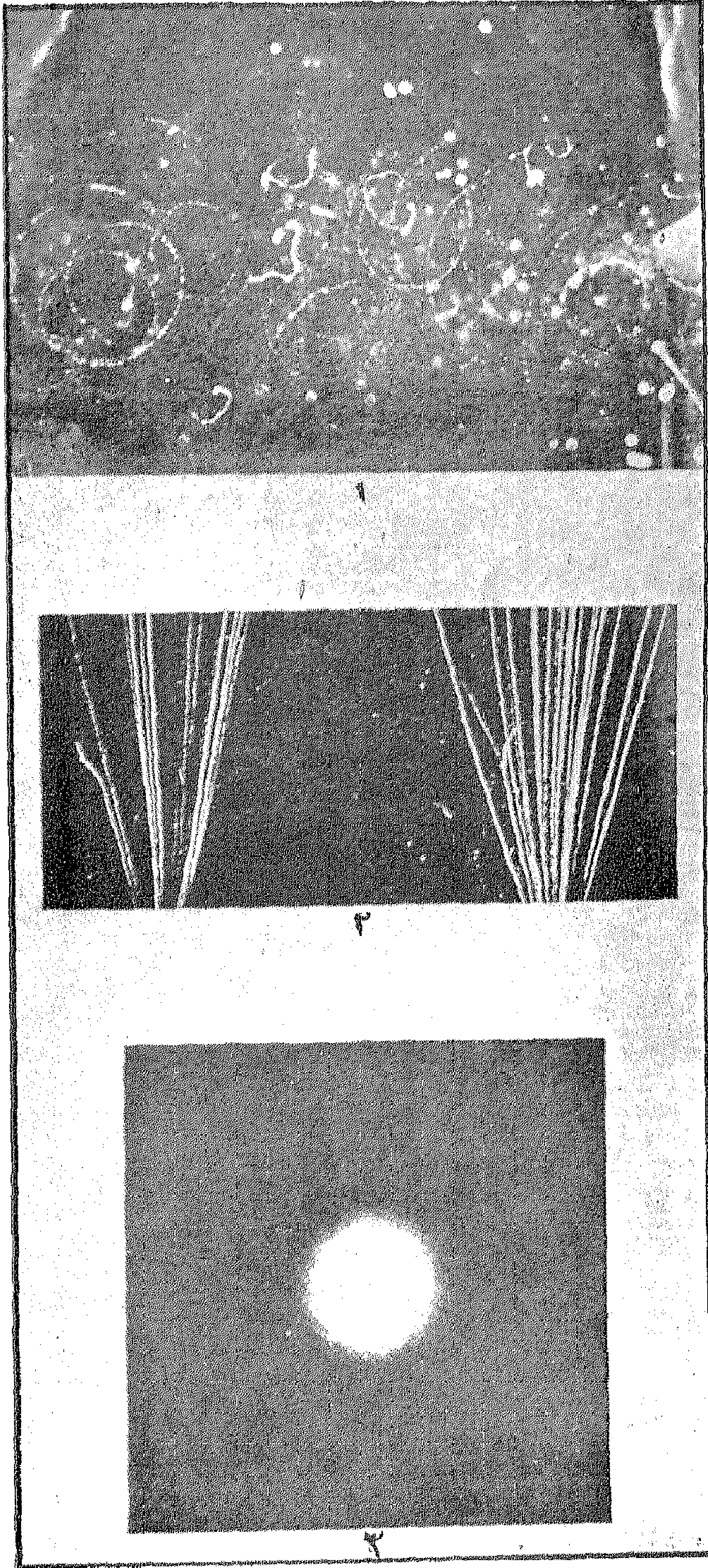
فهل للذرة اقسامٌ ؟

الالكترون

انظر الى الصورة الرابعة من اللوحة الاُولى ، ترى في اسفلها مساراً متمعجاً ضئيلاً من النور، فيبدو لك ان سبب هذا الخط قد يكون دقيقةً اصغر من الدقيقة التي احدثت الخط المستعرض في اعلى الصورة . فاذا دعونا الدقيقة الثانية دقيقة الفا — كما فعلنا — فلندعُ الاُولى دقيقة بيتا ، ولنحاول ان نعرف ما هي

في الصورة الخامسة من اللوحة الاولى يرى القارىء طائفة كبيرة من دقائق بيتا انطلقت من جزيئات الهواء بوقوع الاشعة السينية عليها

اننا نعلم ان كل عنصر لهُ ذرّات خاصة بهِ . فذرات الحديد تختلف عن ذرات الاكسجين وذرات هذين العنصرين تختلف عن ذرات الكربون او الايدروجين او الزرنيخ او الذهب . ولكن دقائق بيتا التي ترى صورها (في ص ٥ لوحة ١) متماثلة سواءٌ اكانت منطلقة من ذرات الاكسجين او من ذرات الحديد او من ذرات الزئبق . ولو ان الاشعة السينية وجّهت الى بيض مقلوٍ او ساعة من البلاتين لاطارت من ذراتها دقائق بيتا وكانت الدقائق في الحالين متماثلة . واذاً فدقائق بيتا تدخل في بناء كل اصناف المادة . وهي اقرب الى سرّ البناء المادي من الذرّات



معقل الذرَّة — اللوحة الثانية

ولكن ما هي دقائق بيتا هذه؟ انها تحمل شحنة كهربائية . انظر الصورة الأولى في اللوحة الثانية ترَ مساراتها مستديرة ولولبية ، وذلك بفعل مغناطيس قرّب من الآلة التي ولّدت فيها . ولو لم تكن حاملة لشحنة كهربائية لما فعل المغناطيس بها هذا الفعل

وقد قضى الأستاذ ملكن بضع سنوات يحاول ان يقيس الشحنة الكهربائية التي تحملها كل دقيقة من هذه الدقائق (راجع وصف التجربة في مقتطف يناير سنة ١٩٣٢ الصفحة ٦) فوجد ان شحنات كل الدقائق متساوية . وان الشحنة على الدقيقة الواحدة تعدل الشحنة التي يحملها ايون الايدروجين اذ ينحلُّ الماءُ الى ايدروجين واكسجين بامرار تيار كهربائي فيهِ . ولما كانت دقيقة بيتا تحمل هذه الشحنة الكهربائية التي لا تتجزأ على ما نعلم دعيت الكتروناً ، فاشتهرت بهِ ، وقد ترجمهُ المقتطف « كهرباً » ونحن الآن نستعمل اللفظين متبادلين

وقد وزن الالكترون فوجد ان وزنهُ صغيرٌ جدًّا ، فاذا قيس بوزن ذرة الايدروجين وهي اخف الذرات المادية المعروفة ، كانت نسبة الواحد الى الآخر كنسبة ١ : ١٨٤٥ واذاً فالحزر الذي حزرناه بان دقيقة بيتا هي اصغر من دقيقة الفا ، مطابق للواقع

والحقيقة ان الالكترون هو احد الاجزاء التي تدخل في بناء الذرّة . بل ان العلماء يستطيعون ان يحصوا عدد الالكترونات التي تحيط بقلب كل ذرّة ، فذرة الايدروجين لها الكترون واحد وذرة « الهليوم » لها الكترونان والليثيوم ثلاثة الكترونات والاكسجين ثمانية والحديد ستة وعشرون والاورانيوم اثقل العناصر وزناً اثنان وتسعون الكتروناً

النواة والبروتون

ولكن قصة الالكترون ليست الاَّ نصف قصة الذرة . فالالكترونات انما هي دقائق الكهربائية السالبة . على ان كهربائية الذرّة متعادلة ، فلا هي سالبة ولا هي موجبة بل السالب فيها يعدّل الموجب . واذاً فيجب ان يكون فيها دقائق كهربائية موجبة تعدّل دقائق الكهربائية السالبة — اي الالكترونات . وقد اثبت رذرفورد واستن Aston في جامعة كمبردج ، ودمستر في جامعة شيكاغو وغيرهم ، ان الكهربائية الموجبة مركّزة في نواة صغيرة جدًّا في قلب الذرة . وان النواة مع صغر جرمها فيها كل وزن الذرة تقريباً

ثم ان تجارب استنْ ودمستر اثبتت ان وزن النواة ، في ذرات عناصر مختلفة ، كعناصر الاكسجين والنتروجين والصوديوم وغيرها ، انما هي اضعاف كاملة من وزن نواة الايدروجين . وهذا حملهم على الاعتقاد بأن الشحنة الكهربائية التي على نواة كل ذرة انما هي مضاعف تام للشحنة التي تحملها نواة ذرة الايدروجين

وقد حاول الباحثون محاولات مختلفة لصنع عنصر ما من عنصر آخر ، اي لتحويل

العناصر بعضها لبعض . والواقع ان هذه المشكلة هي مشكلة الكيماويين الاقدمين الذين حاولوا صنع الذهب من الرصاص . وكان اول من نجح في هذا التحويل رذرفورد ولكنهُ لم يصنع الذهب من الرصاص وانما استخرج الايدروجين من النتروجين ومن الالومنيوم ومن غيرها من العناصر

وقد استعملت دقائق الفا في اطلاقها على نوى الذرّات من العناصر المختلفة ، فكان يخرج منها دقائق تماثل الالكترونات في تشابهها . وكانت كلها مثل نواة ذرة الايدروجين. فعرف انها من اللبنات الاساسية في بناء المادة . ودعيت بالبروتونات

فمن الالكترونات والبروتونات تبنى العناصر الاثنان والتسعون

بناء الذرة

كان بطلميوس يعلم ان في السماء شمساً وقمراً وارضاً وسيارات . ولكنهُ لم يكن يعرف ماهو النظام الشمسي فلما اثبت كوبرنيكوس وغاليليو ان هناك شمساً تدور حولها السيارات في افلاك محدودة ، احسَّ الناس بانهم اصبحوا يعرفون شيئاً عن عالمهم . ونحن كذلك ، قد كشفنا الالكترونات والبروتونات التي منها تبنى الذرات . ولكننا لانعلم بحقيقة الذرّة الاّ اذا عرفنا كيف تنتظم الالكترونات والبروتونات في بناء الذرّات . ولعلَّ افعل الوسائل للالمام بأمر هي مشاهدته . فاذا كان كساعة اليد ، كانت المشاهدة ميسورة . وأما اذا كان كخلايا النسيج العضلي وجب ان ننظر اليهِ بالمكرسكوب . ولكن من الاجسام ما لا يرى بالمكرسكوب. فتستعمل طريقة التصوير بالاشعة التي فوق البنفسجي ، وهي اقصر امواجاً من اشعة الضوء. كذلك تظهر الجراثيم المعروفة بباشلس الحمى التيفودية . ولكن الذرات اصغر من كل هؤلاء . فلا المكرسكوب يظهرها ولا التصوير بالاشعة التي فوق البنفسجي

بيد ان الاشعة السينية (اكس) قصيرة الامواج جدًّا . فموجتها اقصر نحو عشرة آلاف مرة من موجة الضوء . فاذا استعملت في مكرسكوب امكن ان نرى الذرات بها [1] ولكننا لا نستطيع ان نصنع عدسات تكسر اشعة اكس لقصرها ، ولا عيوننا حساسة بها . حتى اذا انعكست عن جسم دقيق لم نستطع ان نراهُ بها. وعلى ذلك يبدو لنا كأننا لن نتمكن من رؤية الذرات على الاطلاق

ولكن العلماء كشفوا عن طرق تمكنهم من الحصول على الحقائق التي يبغونها — كأنهم شاهدوا الذرات مشاهدة العين

(١) لرؤية جسم ما يجب ان تنعكس عن سطحه امواج الضوء . فاذا كان اصغر منها لم تنعكس عنه ولم تمكن رؤيته . ولذلك كلما صغر الجسم المراد رؤيته استعملت امواج قصيرة

قال الاستاذ كمطن [١] انهُ كان يقضي عطلة الصيف في شمال ولاية مشيغن ، فلاحظ في ذات ليلة هالة شعثاء حول القمر . وبعد نصف ساعة لاحظ ان الهالة قد صغرت . وبعيد نصف ساعة اخرى سقط المطر . وتعليل ذلك ان اشعة القمر تكسرت على قطيرات الماء التي في الفضاء ، وكانت قد بدأت تتحول الى غيمة . فقطر الهالة يتوقف على اقطار القطيرات . فاذا كانت القطيرات صغيرة كانت الهالة كبيرة . واذا كانت القطيرات كبيرة كانت الهالة صغيرة . لذلك لما بدأت الهالة تصغر ، عرف الاستاذ كمطن ان القطيرات آخذة في الكبر ، وان المطر لا بدّ ساقط بعد قليل . وقد ايد الواقع ظنه

فطريقة العلماء في درس الذرات شبيهة بالطريقة المستعملة لمعرفة حجوم قطيرات الماء في غيمة من الغيوم . فبدل القمر يستعمل انبوب الاشعة السينية . وبدل قطيرات الماء في الغيمة تستعمل ذرات عناصر الهواء او ذرات الهليوم . لان النسبة بين موجة الاشعة السينية وحجم ذرة الهليوم ، كالنسبة بين موجة الضوء وحجم القطيرات في الغيمة . فاذا وقعت الاشعة السينية على ذرة الهليوم فرقتها فتتكون هالة حولها كما تفعل قطيرة الماء بأشعة القمر . فالهالة حول ذرة الهليوم تماثل الهالة حول القمر . فاذا قسنا قطر الهالة ، امكن ان يستنتج قطيرات الماء ، او قطر ذرات الهليوم

في الصورة الثالثة من اللوحة الثانية صورة تمثل شكل الذرة كما ترى اذا شوهدت بمكرسكوب تستعمل فيهِ الاشعة السينية . والصورة مبنية على المعلومات التي جمعها العلماء من درس الذرة الهالة . وهي لا شك مكبرة كثيراً — نحو الف مليون مرة . وعلى هذا القياس تصبح حبة الحمص ككرة الارض

ففي قلب هذه الكرة الشعثاء نواة الذرة ، المحتوية على البروتونات . والجوّ الاشعث حولها سببهُ الكترونات . وذرة الهليوم لها الكترونان . فيقول القارىء عجباً ، كيف يمكن ان يولّد الكترونان دقيقان جدًّا هذا الجوّ الاشعث حول هذه الكرة . والواقع انك اذا اخذت مشعالاً بيدك وادرتهُ رأى الواقف امامك هالة تامة من النور . والالكترونات تدور حول النواة دوراناً سريعاً فنحن لا نستطيع ان نرى الالكترونات بحدّ ذاتها ، او نعيّن مواقعها ، حتى ولو تمكنا من مشاهدة الذرة

وقد ذهب العلماء نحو ٥٧ مذهباً في شكل الذرة وطريقة بنائها . فلورد كلفن حسبها شبيهة بحلقة من الدخان . والسر جوزف طمسن بكرة من الهلام . ورذرفورد بالنظام الشمسي وحدّد بور وسمرفلد بالحساب الرياضي افلاك الالكترونات حول النواة . واعترض لوس ولنغميور

(١) الكتاب السنوي للمعهد السمثصوني سنة ١٩٣١ صفحة ٢٩٣ وهذه المقالة ملخصة بتصرف قليل عن محاضرة له في الكتاب

الاميركيان على ذلك فقالا ان الذرة بناءٌ مكعّب . وقال لند Lande بل انها جسم لهُ اربعة سطوح مثلثة Tetrahedron وقال شرويدنغر انها جوّ اشعث من الكهربائية حول نواة مركزية وقال هيزنبرج بل جوُّها الكترونات تسير آناً هنا وآناً هناك من دون ضابط

كل نظرية من هذه النظريات لقيت من التأييد بقدر ما عللتهُ من خواص الذرّات الطبيعية والكيمائية والطيفية . وكل نظرية لاحقة كانت تفوق النظرية السابقة ، لانها كانت تعلّل كل ما تعللهُ سابقتها وعلاوة على ذلك تعلّل ظواهر جديدة لم تعلّلها النظرية السابقة. وقد نكون شديديَ التفاؤل اذا قلنا ان احدث هذه النظريات — نظرية هيزنبرج — هي النظرية النهائية ولكنها على كل حال تجمع ما نراه بعيون الاشعة السينية كما بسطناه

فهل يعني ما تقدم اننا حللنا مشكلة بناء الذرَّة ؟ كلاَّ . اننا لا نعلم الآنَ شيئاً تامًّا عن الجوّ الكهربائي الذي يحيط بنواتها

اما النواة فما هو بناؤها ؟

وقد يقول القارىء ولماذا تقيمون وزناً كبيراً للنواة الصغيرة ؟ والجواب على ذلك ان دقائق الفا تنطلق من نواة ذرَّة الراديوم . فهل خطر لك ان طاقة هذه الدقائق عظيمة جدًّا ؟ ان طاقتها تفوق مليون مرة الطاقة التي تنطلق من انفجار جزيء من المادة المفرقعة المعروفة بـ (T. N. T.) ونحن لا نحس بهذه الطاقة العظيمة ، لأن الدقائق تنطلق من النواة ، واحدة بعد أخرى ، بل ان حرارة النجوم ، والطاقة العظيمة التي تطلقها ، يسندها العلماء الى هذه الطاقة المخزونة في نوى الذرات

فهل يستطيع الانسان ان يطلق الطاقة من مخازن النوى ؟ ليس الحكم الآن بالأمر الميسور وإنما نعلم ان هناك طاقة عظيمة وان الادلة تشير الى انطلاقها في الشمس والنجوم ، في أحوال خاصة من الحرارة والضغط ، قد لا نستطيع تحقيقها على سطح الارض . وعلى كل حال ان العبء الواقع على كواهل علماء الطبيعة هو ان يكشفوا لنا هل في الامكان استعمال هذه الطاقة ، وكيف يمكن ذلك . فاذا شاء علماء الطبيعة ان يعرفوا الأحوال التي يمكن فيها ، اطلاق الطاقة من نوى الذرات وجب ان يزيدوا علماً ببناء النوى نفسها لان الطاقة مخزونة فيها

***

لقد اسفرت المعارك الاولى حول معقل الذرة عن تحطيم الحصون الخارجية . فالعلماء يعرفون الآن على وجهٍ من الدقة ما تهمهم معرفتهُ من الجوّ الالكتروني الذي يحيط بالذرة ، وبنائهِ وخواصهِ . وقد تمكنوا من معرفة شيءٍ يسير جدًّا عن النواة . ولكن حصنها ما يزال منيعاً واخذه عنوة ، هو غرض الحملة التي ينظمها علماء الطبيعة في انحاء العالم

النسر العربي (١)

حلق النسر في الفضاء بعيدا ،
رجع النسر في الفضاء شهيدا ، —
شهيداً يكفنه السحاب ،
شهيداً تشيعه النجوم ،
شهيداً نعته شمس الضحى ،
شهيداً حملته أكف السماء ،
فكان عليًّا ، وكان وحيدا .

***

نسر العروبة مَدرجَهُ البطحاء ، ومشحذ جناحِه جبالُ الرسول .
نسر العروبة حبيبُ الحرَم ، وربيب البوادي .
ان البادية مرضعته ، والخيام مأواه ، والرمل فراشه وملعب صباه .
نسر العروبة في حمى الحريّة —
طليقٌ جريءٌ ، وديعٌ ابيٌّ ، انيسٌ وفيٌّ .
نسر العروبة في ظلالٍ قدسية —
شفيق كريمٌ ، طهيرٌ حليمٌ ، قويٌّ تقي .
تبارك الحمى ، وتباركت المرابع والرمال .
تبارك الارث ، وتباركت السجايا .
فمن جبل النور نورُهُ ، ومن المضارب شعورُهُ .

---

(١) تليت في حفلات الاربعين لفقيد العرب وكبيرهم الملك فيصل التي اقيمت في بغداد ودمشق والقدس

من قمم الهَدى (١) شَمَمُه ، ومن ربيع الطائف زهوره .

***

وقد كتبت له الهجرة ليتمَّ الله خلقه فيه.
فكان من العُرْب، وكان من السراة .
بل كان في الصروح الفخمة مثله في بيوت الوبَر .
وكان في المجالس المهيبة مثله في فسيح العَراء .
فمن بساتين يلدز سوسن مبسمه ،
ومن مياه آسية (٢) حلو شمائله ،
ومن بلوج الفجر على ضفاف البسفور بهاء طلعته.
ومن ذهب الشفق على حواشي مرمرة ذهبُ نطقه .
ومن ظلال السرو في جوار ايوب تلك الوداعة فيه وتلك السكينه .

***

نسر العروبة ربيب العاصمتين ، عاصمة الرسول ، وعاصمة الخلافة.
عاصمة الحق والهدى ، وعاصمة السياسة والدهاء .
فزجت يد الاقدار شرابه ، وفتحت للنبوغ ابوابَه .
ثم همست في اذن النسر تقول :
ان وراءك ثلاثمائة والف سنة من النُبل، وامامك ابدية من الآمال.
ان وراءك امةَ الكهف وقد هجعت ستمائة سنة ، وامامك اعلام اليقظة والجهاد .
سمع النسر ووعى ، وراح يغذي الاماني ، ويستنهض الهمم .
ثم عاد الى وطنه ، ليجاهد في سبيل قومه
فامتشق الحسام باسم الله ، وباسم العرب .
ونادى المنادي : الثورةُ ، الثوره
فهبت في البوادي رياح السموم .
وفزع الى فيصل البدو والحضر ،

(١) جبل الهدى قرب الطائف
(٢) اشارة الى الينابيع التي تدعى مياه آسية الحلوة في بحر مرمره

وهللت للحسين ابيه المدن والواحات .
وكان الجهاد ، وكان النصر ، وكان الفتح الجديد .

***

امة الكهف — ها كها ، بعد ستمائة سنة ، تدهش المستيقظين .
وهالك فيصلها ، وقد كتب لاعلامه الفوز المبين .
ها كه بجيشه الظافر في العاصمة الاموية ،
بل في قلبها ، وقلب ابنائها ، عزيزاً كريما .
هو العيد .
واجمل ما فيه دمشق تغرد الاغاريد .
هوذا المُلك العربي الجديد ،
وهي ذي ربة التاريخ تنبيء بالبعث والخلود .
ولكن هناك ، على ضفاف التيمس ، شهوداً يذبذبون .
وهناك ، على ضفاف السين ، الخصوم.
راح فيصل يستأنف الجهاد في بلاد المهيمنين على مقدرات الامم .
فوقف في باريس ، في مجلس المستهزئين ، ونطق بالحق المبين .
فكان كالحَمَل بين النمر والاسد[1].
بل كان ، والحق حليفه ، كالاسد المصفد بين الثعالب والذئاب .
فعاد وحليفه الوحيد يقول : الاستقلال يؤخذ ولا يعطى .
فنشطت الامة ، واخذت حقها .
فكان الاستقلال، وكان التاج ، وكانت ميسلون.
حلق النسر في الفضاء بعيدا .
رجع النسر في الفضاء شهيدا .

***

ليس في حقائق الوجود كلها انصع من حقيقة البعث والخلود .
ليس في مظاهر الكون جمعاء اروع من مظهر الاستمرار والتجدد .
تهمس الطبيعة في قلب السنين فتحيي في فصولها الراحلة املاً ابديًّا .

(١) أي كليمنصو ولويد جورج

يضع الله في حقيبة الربيع المودّع حفنةً من بذوره الخالدة .
يكفن الله الشتاءَ الراحلَ بكفن من الثلج المبطن بالازهار النائمة حول القبور .
يمر سرب القطا راحلاً راجعاً بين فصلي القنوط والرجاء .
تغرد القُبَّرة على غصنها الطري وتذهب ، ثم تعود الى التغريد .
رحلة يتبعها أوبة ، وأوبة يتلوها رحيل .
ومثل الربيع ، ومثل القُبّره ، ومثل عواصف الشتاء ، ما لبث النسر أن عادَ الى الجهاد

***

عاد فيصل ينشد في العراق الامل الاعلى — املَ الامة المنكوبة بالانتدابات وبالجهل[1] — املاً ضاع وما اضمحل .
عاد يشيد على ضفاف الرافدين ملكاً عربيًّا جديدا .
عاد يجدد في عاصمة الرشيد والمأمون عصر العلم والهدى ، عصر المدنية والفلاح ، عصر الثقافة والنور .
ولقد شيد ، الملك وجاهد اثنتي عشرة سنة ليوطد اركانه .
وما جاهد هاهنا بسيفه ، بل بما هو امضى وأعزّ واغلى .
جاهد بعقله ، جاهد بقلبه — وجاد بعد ذلك بروحه .
جاهد بكل ما استطاع ان يحشد وينظم من جيش السلم والولاء —
من العلم والحكمة ، من الحلم والكياسة ، من ثبات يمده اليقين ، من دهاء يبرره الحق المغلوب ، ومن حزم تتناوبه الصلابة واللين .
وكانت محجته واحدةً في كل حال من احواله — واحدةً ناصعةً بارزه ، لا تغيرها الاحداث ، ولا تحول دونها قوى المسيطرين .
وحدة العراق وحرية العراق واستقلاله ، تلك هي المحجة العليا .
وكانت الطريق اليها كدرب الصليب الى الجلجُله .
لله انت يافيصل العرب ويارب الوئام ، ياسليل بيت الرسول ويا صفي المسيح .
فقد حملت صليب العراق والانكليز اثنتي عشرة سنة كامله .
وقد اجتزت المراحل المضنية المخزية كلها ، وانت تبتسم وتكظم وتمشي —
تمشي سامد الرأس ، عالي الجبين ، شديد اليقين ، وطيد الامل .

---

(١) اشارة الى نصف البلاد العربية الشمالي ونصفها الجنوبي

قلت : تمشي ، وما قلت : تطير .
فكم مرة طرت لاغراضك العالية وأمعنت .
كم مرة تحديت ، على نحول جسمك ، العواصف والانواء .
لقد كنت حقاً نسر العروبة بين العاصمتين ، عاصمة الرشيد وعاصمة ابناء العمل الصامت اولي الوجوه المشرقة والقلوب المغلقه .
وقلت إنه حمل الصليب اثنتي عشرة سنة وهو يبسم ويكظم على الدوام .
عفوك ايتها الروح الزكيه ، اذا انا قلت الحقيقة كلها .
فقد بكى فيصل ، ايها الناس ، نعم بكى . وما رأت الأمة ، عين قلبه الدامعه ، وما سمعت جهش قلبه الاليم .

حلق النسر في الفضاء بعيدا .
رجع النسر في الفضاء شهيدا .

***

سيدي فيصل ، قد زرعت بستاناً في العراق ، ورحلت قبل ان تراه مثمرا .
قد زرعت بذوراً في البلاد العربية ، ورحلت قبل ان تراها في ازدهار .
زارعٌ يزرعُ ، وحاصدٌ يحصدُ ، وقدرٌ يسخر ولايستقيم .
ولكنك اليوم وغداً رمز هذه الامة وشعارها ، وقلبها وعقلها ومنارها .
وان في نور هداك ليسلك السالكون والمجاهدون .
وان فرخ النسر لفي مقدمة المجاهدين .
فهو الغازي ، وهو للعهد ضمين
ولما كنت عليه الخلف الكريم
فقد كنت في الحرب فيصلاً فاصلا ، وفي السلم الوديعَ الجريء الصفي .
كنت في السياسة عينها الباصره ، وميزانها السوي .
كنت في الكياسة طلعتها الساحرة ، ونطقها الذهبي .
كنت في الحذق عنوانه ، وفي الحزم برهانه ، وفي الشدة واللين المثل العليّ .
كنت في الدهاء معاوية ، وفي الصبر والاباء الشريف الرضي .
كنت في الحلم صُنْو الرسول ، وكنت في الوداعة اخا الناصري .
لقد انرت قلوب المهيمنين هناك على ضفاف التيمس والسين .

فصاروا يرون ما تراه حقًّا، ويكبرون جهادك في سبيله .
ولكنهم اعداء انفسهم ، فلا يرعوون ولا يعدلون .
بل هم عبيدٌ للبعل ، وبمشيئته هم مسيَّرون .
اننا محبون لاخواننا هناك ، فنريد لهم الخلاص من البعل .
نريد لقوتهم شيئاً من الحق ، ولا يريدون لحقنا شيئاً من القوَّة .
وهم مع ذلك يبسمون ويجاملون .
اولو الوجوه المشرقة والقلوب المغلقة انهم المبلبلون .
او هي الاقدار الباسمة الساخره .
تفرش لفيصل الرمال الذهبية في مدينة الضباب ، (1) وتغدر بامة فيصل يوم تكريمه واجلاله —
تطعنها ، يوم عيده ، في الصميم .
عاد فيصل طائراً مؤاسيا .
ضمد فيصل جروح الامة ، وانعش قلبها .
ثم عاد المؤاسي ينشد في جبال الالب بلسماً لقلبه ، مرهماً لجروحه .
طار مجاهداً — طار مستشفياً — طار مستشهداً — جاد بروحه.

***

حلق النسر في الفضاء بعيدا
رجع النسر في الفضاء شهيدا —
شهيداً يكفنه السحاب ،
شهيداً تشيعه النجوم
شهيداً نعته شمس الضحى ،
شهيداً حملته اكف السماء ،
فكان عليًّا، وكان وحيدا .

الفريكة لبنان في ٢٠ (سبتمبر) سنة ١٩٣٣

امين الريحاني

(1) عندما وصل الملك فيصل الى لندن في زيارته الاخيرة ، فرشت له الطريق من المحطة الى القصر بالرمل الاحمر رمزاً للبلاد العربية واكراماً للملك العربي العظيم.

الهموم

للاستاذ مصطفى صادق الرافعي

[تتدفق حياة الانسان بين شاطئين يمتدان من غياهب الماضي الى غيب المستقبل . . . احدهما شاطيء من الانسانية والآخر شاطيء من رحمة الله وبينهما تجري الحياة الى غايتها متغيرة متجددة متدافعة لا تثبت قطرة منها على قطرة . متى قرر الانسان ذلك في قلبه عرف ان ما يلم به من اكدار الحياة انما هو من اسباب الحياة وان هذه الاكدار يحملها النهر عنه فيما يحمل]

ترى النهرَ ينسابُ عن شاطئٍ ليُجريَه الشاطىء المستقرُّ
كذا يتدافعُ بحرُ الحياةِ فإنَّ له رحمةَ الله برُّ
لآمنتُ يا ربِّ مثلَ الصغيرِ وراءَ الوجودِ ابوه الابرُّ
نَفِرُّ من الهمِّ في زعمنا ولكنَّهُ هو منا يَفِرُّ
ومنذا رأى في السماء الغيومَ تقيم بها ابداً لا تمرُّ ؟

***

وهل في الوجودِ سوى سائرٍ تدافعَ : شيءٌ لشيءٍ يجُرُّ ؟
فمن عرف الكونَ عرفانَهُ ففي كل حالٍ له ما يَسرُّ
تعيشُ على الارض جُرذانها فكيف تعيش وفي الارض هرُّ ؟
لَعَمْرُكَ ما تستقرُّ الهمومُ على مؤمنٍ رُوحُه فيهِ حُرُّ
ومنذا رأى في السماء الغيومَ تقيم بها ابداً لا تمرُّ ؟

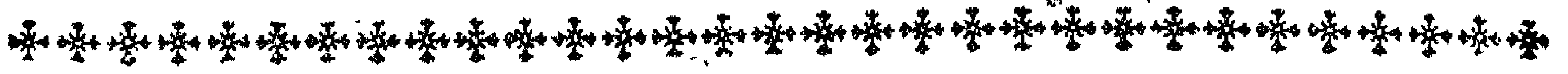
وفي الدهر يسرٌ وفي الدهر عسرٌ وفي العمر حلوٌ وفي العمر مرٌّ
ولكنها حركات الحيا ة منها الحياة لنا تستمرُّ
ويأتي الشتا اغبراً كالحاً لأن الربيعَ بهِ مُستسرٌّ
فلا دام في نفعهِ نافعٌ ولا دام في ضرّه ما يضرُّ
ومنذا رأى في السماء الغيومَ تقيم بها ابداً لا تمرُّ ؟

***

فكن مرحاً لا تقرُّ الأسى فعادةُ كلّ امرىءٍ ما يُقرُّ
وما سرُّ حظك إلاّ لديك بلى فرحُ القلبِ للحظّ سرُّ
تعودُ الحياة هلاكاً لمن ارادَ الحياة على ما يُصرُّ
نخذها حصىً إن تكن من حصىً ودُرّاً اذا كان في الحظّ درُّ
ومنذا رأى في السماء الغيومَ تُقيم بها ابداً لا تمرُّ ؟

***

ولا تزدِ الشرَّ في وهمه بوهمكَ ، ذانكَ شرٌّ وشرُّ
خفافُ السحابِ تطيرُ البروقَ وترمي الصواعقَ إذ تكفهرُّ
وهذي الهمومُ كمثلِ النساءِ يضاعفُهنَّ خيالٌ يغرُّ
حصاةٌ ويثقلُ بالقلب مِنْ توهمها جبَلٌ مُشمخرُّ
ومَنذا رأى في السماء الغيومَ تقيمُ بها ابداً لا تمرُّ ؟



السلاح والحرب والعمران

بحث ضاف في موضوع نزع السلاح

بعد الحرب الكبرى



وعود وعهود

اشتبكت دول الأرض في الفترة بين سنتي ١٩١٤ و١٩١٨ في حرب قيل انها سوف تكون القاضية على الحرب . وتعهدت كل أمة لابنائها بانهم اذا سلّموا معها وحاربوا حتى تفوز بالظفر، كان ظفرها اذا أحرزته، محرراً للعالم من حروب اخرى ، تهددهم في حياتهم وارزاقهم. وقد قطع مثل هذا العهد في الغالب ، في دول الحلفاء على ان ينفّذ في حالة انتصارهم على المانيا وحلفائها . ذلك ان دول الحلفاء ادّعت انها ترمي الى عقد صلح خال من أثر المصلحة الخاصة ، وانها لن تدخر وسعاً في اتخاذ كل الوسائل اللازمة لتوطيد أواصر الصداقة والتعاون بين كل الأمم على السواء . فغداة النصر العظيم ، قدّمت جمعية الأمم ، هدية للعالم ، على انها الوسيلة التي تحقق العهود التي قطعوها . ومن السخرية ان ترى في معاهدات الصلح المحتوية على بنود تنطوي على الاقتصاص من الدول المقهورة وتوقيع الجزاء عليها ، بنوداً اخرى يتعهد فيها الحلفاء بنقص السلاح او الغائه في عالم ، قد أنقذ من خطر الحرب ! ! وفي الوقت عينه فرض تخفيض السلاح — في الذخائر والرجال — تخفيضاً كبيراً على الدول المقهورة ، في معاهدات الصلح وسهر على تنفيذه تنفيذاً دقيقاً . على ان الحلفاء المنتصرين تعهدوا بنزع سلاحهم نزعاً سريعاً. وكان من الامور المفهومة، والمعترف بها، ان فرض تخفيض السلاح على المانيا وحلفائها، يجب ألاّ يضعها في مقام ثانوي دائم ازاء الدول الظافرة في شؤون التسليح بل يجب ان يكون خطوة اولى ، او توطئة لنزع السلاح العام القائم على ضمانات السلام كما هي ممثلة في جمعية الامم

***

وقد ادعى بعضهم ، ان نزع السلاح الذي فرضته معاهدات الصلح على المانيا واحلافها السابقين، له اساس شرعي. ولكن عهود الامم الظافرة قطعوها من تلقاء ذواتهم لم يرغمهم أحد عليها ، وكانت قائمة على شروط يجب ان تتم قبل ان تنفذ. اي ان عهود الحلفاء ليس لها اساس

شرعي قانوني يوجب تنفيذها واذن فلا يمكن ان تتخذ الوسائل لارغام الحلفاء على تنفيذها. ثم انه يشترط في تنفيذها تحقيق امور اخرى لابد من تحقيقها لضمان السلام . فبحسب رأي هؤلاء ان جمعية الامم ، رغماً عن معاهدات عدم الاعتداء التي عقدت سنة ١٩١٩ الى الآن، لا تكفي لتحقيق الشروط التي لا بد من تحقيقها قبل ان يقدم الحلفاء الظافرون على نزع السلاح بحسب ما تعهدوا في معاهدات الصلح

وهذا سفسطة ومداورة ممن يريد ان يتملص من العهود التي قطعها على نفسه

ذلك ان بنود معاهدات الصلح ودستور جمعية الامم لا تحتمل مثل هذا التأويل . فقد كان المقصود المفهوم عند الرئيس ولسن سنة ١٩١٩ وعند شعوب العالم — وبوجه خاص عند شعوب الدول المركزية ، اي المانيا واحلافها حينئذٍ — ان دول الحلفاء ، بفرض نزع السلاح في الحال على الدول المقهورة ، انما كانت تقطع عهداً خشوعاً ، بانها تقدم على نزع السلاح في بلدانها . وكل تأويل غير هذا التأويل ، يجعل النظام الذي بني او اقترح بناؤه لضمان السلام ، كأنه قائم على رمل السخافة المنهار . لانك اذا جعلت ضمان السلامة أساساً لنزع السلاح ، فقد ناقضت نفسك بنفسك ، لانه ما زالت الامم كلها شاكية السلاح ، فمن يستطيع ان يضمن سلامته ؟ وإذن فمن وجهة الضرورة التاريخية ، كان يجب على دول الحلفاء ان تنزع سلاحها رويداً رويداً حتى تفضي بها الحال في النهاية الى المساواة بالمانيا

ونحن نفهم ان العملين يجب ان يسيرا جنباً الى جنب ، وانه في الوقت الذي تتوسل فيه الامم بكل الوسائل لنقص سلاحها، يجب ان تتوسل كذلك بكل الوسائل لبناء نظام من التعاون وضمان السلامة المتبادلة ، من ناحيتيها الايجابية والسلبية، بالاتفاق على التعاون في حرب ضد دولة معتدية من ناحية ، وبالاتفاق على ازالة كل بواعث التصادم من ناحية اخرى

ولكن القول بوجوب تقديم ضمان السلامة على نزع السلاح ، قول لا يقوم على اساس وتغلّبهُ في النهاية ، كان سبب الحبوط الذي مني بهِ مؤتمر نزع السلاح

ارقام واحصاءات

وقد مضت الآن خمس عشرة سنة على نهاية الحرب الكبرى ، وفي خلال هذه السنين كلها ، كانت الدول تتناقش ، وتدور في مناقشاتها في جمعية الامم والمؤتمرات الدولية ، حول موضوعي السلامة ونزع السلاح، «دوران الحمار حول التوتة» . ففي سنة ١٩٢٠ انشأت جمعية الامم لجنة استشارية دائمة للبحث في موضوع نزع السلاح . واجتمعت دولة السوفييت مع دول البلطيق في مؤتمر خاص بها للبحث في الموضوع سنة ١٩٢٢ ثم عقدت معاهدة وشنطن البحرية في السنة نفسها بين الولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية البريطانية وفرنسا

وايطاليا واليابان ، وكان الغرض منها ان تكون الخطوة الاولى في برنامج واسع النطاق لنزع السلاح البحري في العالم قاطبةً . ثم عينت اللجنة التمهيدية للبحث في شؤون نزع السلاح توطئةً لعقد مؤتمره

***

فما هي حالة الجيوش والأسلحة العالمية الآن ؟ لنبدأ بذكر بعض الحقائق الظاهرة ، المرتبطة بهذا الموضوع

قدرت اللجنة الخاصة في جمعية الامم ان ما انفقته الدول سنة ١٩٢٤ على التسليح ، بلغ نحو ٣٥٠٠ مليون ريال (نحو ٧٠٠ مليون جنيه) وانه بلغ سنة ١٩٣٠ — ٤١٢٨ مليون ريال اي اكثر من ٨٠٠ مليون جنيه . وقد وصلت اللجنة الى هذه الأرقام ، بجمع نفقات التسلُّح المنصوص عليها في ميزانيات ٦٢ دولة . واللجنة لا تدعي في تقديرها انها بلغت حد الدقة . ولكن التقدير قريب من الواقع قرباً يصور للمطلع عليه ، مدى الاستعداد الحربي في تلك الدول . وهذا يدلك على ان الامم رغماً عن كل المؤتمرات التي عقدت ، والعهود التي قطعت ، والتصريحات التي نشرت ، لم تتقدم كثيراً نحو تحقيق الهدف الذي نصبته امام عيونها في معاهدات الصلح ، اي نحو نزع السلاح العالمي او نقصه . ذلك ان نفقات صنع الاسلحة ، كانت سنة ١٩٣٠ أعلى منها في سنة ١٩١٣ ، ولكنها كانت أقل منها في سنة ١٩٢٥ ، فالزيادة في مجموع ما أنفق على التسلُّح سنة ١٩٣٠ بالمقابلة مع سنة ١٩٢٥ كانت في الواقع اكبر من الفرق الذي يطالعك به الرقمان

وليست المقابلة بين نفقات التسلُّح في سنة ١٩٣٠ و١٩١٣ مستطاعة الآن وانما المستطاع المقابلة بينهما فيما يخص بعض الدول الكبرى . فنحن اذا أخذنا سنة ١٩١٣ أساساً للمقابلة ، — وكانت نفقات التسليح عالية جداً ، لاستعداد الدول الكبرى للحرب ، وتوقعهم لها — وجدنا أن ثلاث دول من الدول الكبرى — اي بريطانيا وفرنسا وايطاليا — انفقت في سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ نحو ٩٠٠ مليون ريال في حين أن هذه الدول نفسها ، أنفقت سنة ١٩٣٠ — ١٩٣١ رغم ظفرها التام في الحرب الكبرى نحو ١٢٥٠ مليون ريال ، وهي زيادة تقدر بنحو ٤٠ في المائة

ثم ان الولايات المتحدة الاميركية أنفقت ٢٤٥ مليون ريال على التسليح سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ فزادت هذه النفقات في سنة ١٩٣٠ — ١٩٣١ الى ٧٢٨ مليون ريال والزيادة تبلغ نحو ٢٠٠ في المائة

أما اليابان فزادت نفقاتها من ٩٦ مليون ريال الى ٢٣٢ مليوناً وهي زيادة نحو ١٥٠ في المائة . وزادت دولة السوفييت نفقاتها من ٤٤٨ مليون ريال الى ٥٧٩ مليوناً اي نحو ٣٠ في المائة . يقابل ذلك أن ارتفاع اسعار النقود يجعل الزيادة اقل قليلاً مما تبدو في الارقام

اما المانيا ، التي فرض عليها نزع السلاح ، في معاهدة الصلح فقد نقصت نفقاتها من ٤٦٣ مليون ريال سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ الى ١٧٠ مليون سنة ١٩٣٠ — ١٩٣١ وتلخص المقابلة في الانفاق على التسليح في الجدول التالي :

	نفقات التسليح ١٩١٣ — ١٩١٤	نفقات التسليح ١٩٣٠ — ١٩٣١	النسبة المئوية زيادة او نقصاً
بريطانيا وفرنسا وايطاليا	٩٠٠ مليون ريال	١٢٥٠	٤٠ ./. زيادة
الولايات المتحدة	٢٤٥ « «	٧٢٨	٢٠٠ ./. زيادة
اليابان	٩٦ « «	٢٣٢	١٥٠ ./. زيادة
روسيا	٤٤٨ « «	٥٧٩	٣٠ ./. زيادة
المانيا	٤٦٣ « «	١٧٠	٦٢ ./. نقصاً

او أنظر الى المسألة من ناحية اخرى . كانت المانيا تنفق سنة ١٩٣٠ — ١٩٣١ نحو ٥ في المائة فقط من ميزانيتها على التسليح ، بفضل ما فرض عليها من نزع السلاح في معاهدة الصلح . أما نفقات بريطانيا فكانت في السنة نفسها ١٤ في المائة من ميزانيتها والولايات المتحدة ١٧ في المائة وفرنسا ٢٢ في المائة وايطاليا ٢٤ في المائة . واذا وزعت نفقات التسليح ، على عدد السكان في كل دولة بلغ ما أنفق سنة ١٩٣٠ في فرنسا ١٣ ريالاً لكل نسمة من السكان ، وفي بريطانيا ١١ ريالاً لكل نسمة من السكان ، وفي ايطاليا ٨ ريالات لكل نسمة من السكان ، وفي هولندا ٨ ريالات لكل نسمة من السكان ، وفي الولايات المتحدة الاميركية ٧ ريالات لكل نسمة من السكان ، وفي روسيا ٤ ريالات ، وفي المانيا ٣ ريالات ، وفي النمسا ريالين ، وفي المجر ريالين ، وفي بلغاريا ريالاً واحداً

جيوش واساطيل

وقد تكون مقابلة النفقات باعثاً على الضلال في فهم موضوع نزع السلاح . لانهُ يهمنا ان نعلم نوع الاسلحة ، التي أنفقت هذه الاموال الطائلة عليها . فنفقات التسليح البحري مثلاً أعلى بالمقابلة من نفقات التسليح الحربي ، ومستوى المعيشة والاسعار يجعل المقابلة بين مبالغ المال المنفقة على التسليح منحرفة ولو تساوت المبالغ . فاذا كانت دولتان تنفقان مبلغاً واحداً من المال على تسلحهما ، وكان مستوى المعيشة في احداها اعلى من مستوى المعيشة في الاخرى ، كان مدى تسليح الاولى اقل من مدى تسليح الثانية ، ولو كان المبلغ المنفق واحداً

واذاً يجب ألاَّ نعتمد في المقابلة على الاموال التي تنفقها الدول على التسلح بل يجب ان نقابل بين القوى المسلحة نفسها

نشر الجنرال السر فردريك موريس في ديسمبر سنة ١٩٢٩ مقالاً في مجلة جمعية الامم (هدواي Headway) فيه هذه المقابلة مبنية على الوثائق والنشرات التي أذاعتها جمعية الامم. والاحصاءات التي ذكرها تبين لنا ان الامم في غرب اوربا لم تتقدم نحو نزع السلاح خطوة واحدة ،بل اننا اذا استثنينا بريطانيا، وجدنا زيادة او نقصاً قليلاً في قوات معظم الدول . فقبل الحرب كان جيشا السلام في فرنسا وايطاليا يبلغان مليوناً وخمسين الفاً ، يقابلهما في سنة ١٩٢٩ أقل من مليون قليلاً ، وهذا النقص اليسير لا يحمل على الاقتناع بأن الدول سائرة سيراً جديًّا نحو نقص السلاح ، بعد انقضاء عشر سنوات على الحرب التي اثيرت للقضاء على الحرب . واذا اخذنا اوربا جملة واحدة ، وجدنا انهُ رغماً عن نزع السلاح في المانيا وأحلافها السابقين لم تنقص جيوش اوربا الا مليوناً واحداً من نحو ٣،٥٧٠،٠٠٠ قبل الحرب (١٩١٣) فقد كان في اوربا سنة ١٩٢٩ نحو ثلاثة ملايين رجل تحت السلاح عدا قوى السلاح البحري وهذه القوى زادت في سنة ١٩٣٠ — ١٩٣١

واليك جدولاً يبين تفاصيل القوى البرية المسلحة في اوربا سنة ١٩٣١

البلاد	الجيش النظامي	الجندرمة	قوى مسلحة اخرى
فرنسا	٤٩٧٠٠٠ (٦٦٣٠٠٠ اذا اضفنا جنود المستعمرات)	٣٧٠٠٠	١٨٠٠٠
روسيا	٥٦٢٠٠٠	—	؟؟
ايطاليا	٤٩١٠٠٠	٩٠٠٠٠	—
بولونيا	٢٦٦٠٠٠	—	٦٤٠٠٠
رومانيا	٢٥٠٠٠٠	—	٦٣٠٠٠
تشكوسلوفاكيا	١٣٩٠٠٠	—	١٣٠٠٠
بريطانيا	١٣٧٠٠٠	—	١٥٣٠٠٠
المانيا	١٠٠٠٠٠	—	؟؟

أما الاساطيل في يناير سنة ١٩٣٢ فكانت كما يلي

فلبريطانيا ١٥ بارجة و٥٣ طراداً و٧ طرادات في دور البناء و١٣٤ مدمرة وقارب طوربيد و٢٠ مدمرة وقارب طوربيد في دور البناء و٥٢ غواصة وعشر غواصات في دور البناء و١٠٧ قطع أخرى مختلفة و١٣ قطعة مختلفة في دور البناء

يقابل ذلك في أميركا ١٥ بارجة و١٩ طراداً و٧ طرادات في دور البناء و٢٥١ مدمرة

وقارب طوربيد و٥ مدمرات وقوارب طوربيد في دور البناء و٨١ غواصة و٣ غواصات في دور البناء و٦٧ قطعة أخرى

أما اليابان فعندها ١٠ بوارج و٣١ طراداً و٧ طرادات في دور البناء و١١٠ مدمرات وقوارب طوربيد و١٠ مدمرات وقوارب طوربيد في دور البناء و٦٧ غواصة و٥ غواصات في دور البناء و٣١ قطعة أخرى

وأسطول فرنسا مؤلف من ٩ بوارج و٢٢ طراداً وخمس طرادات في دور البناء و٦٥ مدمرة وقارب طوربيد و٦٥ غواصة و٤٥ غواصة في دور البناء و١٤٩ قطعة اخرى مبنية او في دور البناء

واسطول ايطاليا مؤلف من ٤ بوارج و١٧ طراداً و٩ طرادات في دور البناء و٩٩ مدمرة وقارب طوربيد و١١ مدمرة وقارب طوربيد في دور البناء و٤٦ غواصة و٢٩ غواصة في دور البناء و١٤٢ قطعة أخرى

***

والاساطيل البحرية تقتضي نفقات طائلة لا تستطيع بذلها الاَّ الامم الغنية . ولكنَّ كلَّ بلادٍ كبيرة لها منفذ على البحر ترمي الى انشاء اسطول قويّ . ومع ان المعاهدات البحرية التي عقدت في وشنطن سنة ١٩٢٢ وفي لندن سنة ١٩٣٠ حدَّدت نسبة اساطيل الدول البحرية الكبرى بعضها الى بعض، لا تزال المنافسة بينها شديدة وبوجهٍ خاص في السفن التي لم تشملها المعاهدتان المذكورتان — كالغوَّاصات مثلاً — . فالمعاهدتان المذكورتان عيَّنتا الحدود التي يجب الاَّ تتعداها الدول البحرية الكبرى — بريطانيا واميركا واليابان — في التسلح البحري ولكنها لم تنقص قوى الاساطيل ولا منعت استبدال السفن القديمة فيها بسفن جديدة

ويقال ان اليابان تستعدُّ الآن لطلب المساواة ببريطانيا واميركا في سنة ١٩٣٥ اذ تنقضي مدة معاهدة لندن . يضاف الى ذلك ان المنافسة البحرية بين فرنسا وايطاليا شديدة، لم يخفت ذكرها الاَّ بعد ما اضطربت الحالة في اوربا الوسطى وتقرَّبت فرنسا قليلاً من ايطاليا، لانهما تقاومان معاً محاولة المانيا بسط نفوذها على النمسا وبلدان الدانيوب . فايطاليا تقول انها ترضى باي مشروع لتحديد الاساطيل البحرية اذا سمح لها بان تبني اسطولاً من قوة اسطول فرنسا او اذا سلَّم لها بهذا المبدإ على الاقل . وعلى صخرة هذا الطلب تحطَّم المؤتمر البحري الذي عقد سنة ١٩٢٧ ولولاهُ لما اقتصرت معاهدة لندن البحرية (١٩٣٠) على بريطانيا واميركا واليابان . والارقام التي ذكرناها عن اساطيل الدول الحالية تبيّن لك ان نزع السلاح البحري لم يتقدَّم في خلال الفترة التي انقضت على معاهدة فرساي تقدماً يذكر

ثم ان الجيوش والاساطيل الحديثة لا تستغني عن الطيارات في الاستكشاف والقاء القنابل

على المراكز الصناعية — كمراكز صنع الاسلحة والمفرقعات — التي تحسب بمثابة الاعضاء الرئيسية في جسم الامة المحاربة . وقد اصبحت اساطيل الدول الجوية كبيرة جداً ، والباعث على العناية بها انها سريعة وفعّالة ورخيصة اذا قيست نفقاتها بنفقات الاساطيل البحرية . ثم ان الطيارات التجارية يمكن في ساعة الحاجة اليها ان تحوّل الى طيارات حربية . ومما لا ريب فيه ان اكثر شركات الطيران التجاري لا تستطيع المضيّ في عملها لولا اعتمادها على المساعدة المالية التي تصيبها من حكوماتها . ولو لم تكن الحكومات تتوقع ان تستعملها في الحرب ، اذا اقتضت الحاجة ، لما كانت في الراجح تمدها بالمال . والى القارىء احصاء تقريبيًّا لاساطيل الطيارات الحربية في اوربا واميركا واليابان في سنة ١٩٣٢

البلاد	عدد الطيارات	طيارات حربية لا تصلح للحرب الآن
فرنسا	٢٣٧٥	٥٩٩
الولايات المتحدة	١٧٥٢	١٢٧
بريطانيا	١٤٣٤	
اليابان	١٦٣٩	
رومانيا	٧٩٩	٧٥٠
روسيا	٧٥٠	
بولونيا	٧٠٠	٢٦٣
يوجوسلافيا	٦٢٧	١٤١
تشكوسلوفاكيا	٥٤٦	١٨٧
اسبانيا	٤٦٢	
هولندا	٣٢١	
سويسرا	٣٠٠	

اما الدول الباقية فاساطيلها الجوية دون ذلك

مؤتمر نزع السلاح

بعد سنوات من الاستعداد لعقد مؤتمر نزع السلاح ، التأم المؤتمر في ٢ فبراير سنة ١٩٣٢

برآسة المستر آرثر هندرسن ، وزير خارجية بريطانيا في وزارة العمال ، وكان المؤتمر قد عرض عليه الرآسة بصفته الشخصية ، فلم يضره ، ان وزارة العمال كانت قد سقطت لما آذن المؤتمر بالانعقاد ، وانهُ خاب في الانتخاب البريطاني الذي جرى في سبتمبر سنة ١٩٣١

ولم يطل المطال بعيد افتتاح المؤتمر ، حتى ثبت ان بين آراء الدول اختلافاً بل تنافراً في الموضوع ، رغم المباحث الطويلة والدقيقة التي قامت بها اللجنة التمهيدية لتقريب وجهات النظر بعضها من بعض

ومع ان الدول الصغيرة ، التي كانت تتكلم بلسان الدكتور بنش وزير خارجية تشكوسلوفاكيا ومقرر المؤتمر ، اشتركت في المؤتمر ، وكان لها نصيب كبير في مباحثاته احياناً ، الاَّ ان العناية اتجهت من البدء ، الى التنافر الكائن بين آراء الدول الكبرى — بريطانيا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة الاميركية والمانيا وروسيا — ومحاولة التوفيق بينها . وكان الغالب ان تصرّ كل دولة منها ، على نزع ذلك النوع من السلاح ، الذي يتفوق فيهِ خصمها ، او تحديده ُ . فبريطانيا مثلاً تطلب الغاء الغواصات لان فرنسا متفوقة فيها . وغير بريطانيا يطلب الغاء الدبابات لأن بريطانيا متفوقة فيها. ولكن الاختلاف لم يقتصر على ذلك ، بل تناول النظرة الخاصة الى افضل وسائل النزع او التحديد وعلاقة نزع السلاح بضمان السلامة وما الى ذلك من المسائل الاساسية

روسيا

ففي الناحية الواحدة كانت روسيا التي اقترحت نزع السلاح نزعاً تامًّا شاملاً . وقد قيل ان روسيا اقترحت هذا الاقتراح لانها تعلم انهُ لا توجد دولة ما مستعدة للاخذ به ، وانها بهِ تستطيع ان تستميل دعاة السلام الى تأييدها ، فيكون اقتراحها من قبيل الدعاية ، يمكّنها من توثيق صلاتها بالامم ، بعد ما كانت منبوذة من مجامعها بعيد الحرب الكبرى . ولكن الامر الذي لا يداخله الريب ، ان روسيا ، يهمها ان يستتبّ السلام ، وان يتفرغ رجال الحكم فيها الى انشاء النظام الاشتراكي التام . وهم لا يستطيعون ذلك ، اذا كان شبح الحرب يهددهم . واذن فلا نستطيع أن نرتاب في رغبة روسيا الحقيقية في ان تسير الى اقصى مدًى من نزع السلاح يمكن الاتفاق عليهِ اتفاقاً عامًّا . ثم انها مستعدة لالغاء اصناف معينة من الاسلحة الغاءً تامًّا

يضاف الى ذلك ان روسيا ، كانت زعيمة الدول التي طالبت المؤتمر ، بتحديد جلي دقيق ، لمعنى لفظة الاعتداء « Agression » لانها تعلم انهُ اذا حدد هذا اللفظ ، صار لعهاد Pacts عدم الاعتداء معنى حقيقي في تنظيم السلاح الدولي . ثم انها في صيف ١٩٣٣ عقدت سلسلة من عهاد عدم الاعتداء مع جاراتها دول البلطيق وبولونيا ودول الاتفاق الصغير ، وتركيا وغيرها

الولايات المتحدة الاميركية

فلننظر الآن في موقف الولايات المتحدة الأميركية . وهنا لسنا نجد دليلاً واحداً يبعث في النفس الريبة في صحة عزيمة هذه البلاد، على بلوغ مدى بعيد في نزع السلاح، وعدم الاكتفاء بتحديد بسيط يترك الامم المسلحة حيث هي الآن، بل يمكنها متى شاءت ان تزيد أسلحتها الى اي حدّ تريد . لذلك اقترح الرئيس هوفر ان ينقص سلاح الدول بمقدار الثلث في كل اصنافه وفئاته، الاَّ في بعض الاحوال حيث السلاح قليل ونقصه الى الثلثين يترك البلاد غير قادرة على القيام باعباء حفظ الامن . فكان هذا الاقتراح ينطوي على خلوص النية من جهة اميركا . وازورار العين له في المؤتمر ، وبوجه خاص من ناحية الوفد البريطاني ، كان من اكبر الضربات التي مني بها المؤتمر . ثم ان الاميركيين كانوا مستعدين ان يتساهلوا في سبيل الاتفاق . فقد كانوا مثلاً ، لا يساومون على الاطلاق بجعل الطريقة لتحديد السـلاح قائمة على تحديد النفقات المرصودة في ميزانيات الدول لان تكاليف صنع الأسلحة في اميركا أعلى منهـا في البلدان الاخرى . واذن فالتحديد المالي مجحف بحقوقهم من هذا القبيل . ومع ذلك فقد ابدوا رغبتهم بعد بحث ، في قبول مبدأ التحديد في نفقات الميزانية ، جنباً الى جنب مع تحديد الأسلحة وعدد الجيش على منوال ما اقترحهُ الرئيس هوفر . ثم ان الاميركيين كانوا راغبين عن التسليم بمبدإ الرقابة الدولية المستمرة على صناعة الاسلحة ثم سلَّموا بهِ وحثّوا بريطانيا على التسليم بهِ كذلك . فلا ريب في انهم كانوا يبذلون وسعهم للوصول بالمؤتمر الى نتيجة تبعث على الرضا

ايطاليا

كانت ايطاليا، بعد روسيا، الدولة التي اقترحت أشد الاقتراحات تطرفاً في مؤتمر نزع السلاح . فقد كانت ايطاليا مستعدة ، بحسب اقوال ممثليها ، ان تذهب في ناحية نزع السلاح ، الى اقصى مدًى تذهبه الدول الاخرى سواء أكان التحديد مقداراً او نوعاً . ولكنها كانت تشترط شرطاً واحداً ، لم تصرح به وانما كان مضمناً في اقوال مندوبيها ، وهذا الشرط هو ان نزع سلاح فرنسا يجب ان يسبق نزع سلاح ايطاليا . وان يكون اسرع منه وبوجهٍ خاص في الغاء الاسلحة التي تتفوق فيها فرنسا على ايطاليا . فمثلاً كانت ايطاليا مستعدة ان تلغي البوارج ، لانه اذا الغت كل من فرنسا وايطاليا بوارجها ، تمكنت ايطاليا بما عندها من السفن الحربية الأخرى ، ان تقترب من مرتبة المساواة البحرية بفرنسا ، التي تنشدها — وعلى صخرتها تحطم مؤتمر نزع السلاح البحري سنة ١٩٢٧ — فاذا صرفنا النظر عن هذه الناحية من الفكر ، كان لا بد لنا ان نعترف برغبة ايطاليا الصحيحة في نزع السلاح او خفضه او تحديده . ذلك ان عبء الانفاق على التسليح البري والبحري ، كان — ولا يزال — يثقل كاهلها

بريطانيا

كانت بريطانيا، في الظاهر ، وفي الباطن الى حدٍّ بعيد ، الامة التي تقاوم كل مشروع لخفض السلاح خفضاً كبيراً عامًّا . وحجة ممثلي بريطانيا في ذلك ، ان بريطانيا نفسها قد نزعت سلاحها ، وانها في ناحيتي الجيش البري ، والسلاح الجوي ، لا تملك الاّ مايكفيها — وبعض رجالها يقولون انه لا يكفي على الاطلاق — للمحافظة على سلامة المواصلات الامبراطورية ، وانها مستعدة ان تمضي في سبيل نزع السلاح ، الى حدٍّ معين ، على شريطة ان تنزع الدول الاخرى سلاحها ، وان لا يطلب منها هي ان تنقص سلاحها ، عما تحسبهُ ضرورياً لما اخذتهُ على نفسها في نواحي الامبراطورية . ثم انها كانت مستعدة كذلك ، لنقص اسطولها في ناحية البوارج، ولكنها تميل ، بسبب الامبراطورية ايضاً، الى عدم التساهل في ما يتعلق بالاصناف الاخرى من السفن الحربية . وقد كان هم ممثلي بريطانيا في كل آن ، ان يبرهنوا على ان بريطانيا ليست دولة شاكية السلاح، وان مطالبها هذه ، يجب ان ينظر اليها نظراً خاصًّا عند بحث اي مشروع شامل كمشروع الرئيس هوفر القاضي بنقص الأسلحة نقصاً عامًّا مقدار ٣٣ في المائة ، لأنه اذا نقص ما عندها من السلاح الآن ، البحري والبري والجوي، بمقدار الثلث اصبحت لا تملك من الاسلحة ما يكفيها للاغراض المتقدمة

ولكن هذا الموقف لم يكن وحده القاضي بوقوع اختلاف في مباحثات نزع السلاح . بل انها اشتركت كذلك ، مع ايطاليا والمانيا والولايات المتحدة الاميركية بالمطالبة بالغاء الغواصات ولكنها — أي بريطانيا — لم تكن مستعدة ، من ناحيتها ان تسلم بالغاء الطيارات القاذفة للقنابل ، مقابل ذلك اذا هي ارادت ان تحتفظ بحق استعمال هذه الطيارات في البلدان الجبلية النائية في المستعمرات ، ثم ان ايطاليا وروسيا والمانيا والولايات المتحدة الاميركية طالبت بالغاء الدبابات ، فرفضت بريطانيا قبول الاقتراح ، الاَّ اذا سمح لها بالاحتفاظ بالدبابات ، حتى حجم معيَّن ولدى البحث تبين ان الحجم المقترح ، يشمل جميع الدبابات التي تملكها . ثم ان ممثلي بريطانيا كانوا يصرون على وجوب حماية الاهلين من وسائل الحرب كالقنابل ، والمواد الكيمائية المهلكة ولذلك قالوا بوجوب حصر السلاح على قدر الامكان في اسلحة الدفاع والغاء الاسلحة التي تستعمل في الغالب للهجوم . فلما جاءت الدول لتحدد معنى الدفاع والهجوم اصبحت كل دولة تحدد السلاح الذي تتفوق فيهِ بانهُ سلاح دفاع ، والسلاح الذي تتفوق فيه جارتها ، او [ ] يتفوق فيهِ خصمها سلاح هجوم . فالفرنسيون يحسبون الغواصة سلاح دفاع عن شواطئهم والبريطانيون يحسبونها سلاح هجوم على شواطئهم . وبريطانيا تحسب الدبابة سلاح دفاع وغيرها [ ] يحسبها سلاح هجوم . والمبدأ نفسهُ ينطبق على مطالبة بريطانيا بوجوب نقص الاسلحة البرية ، مع ترددها هي في نقص الاسلحة البحرية

موقف المانيا

ان موقف المانيا نحو نزع السلاح كما بسط اولاً في المؤتمر وأخيراً في مذكرتها التي بعثت بها الى ايطاليا وبريطانيا يدور حول مبدأ المساواة في التسلح . فبمقتضى معاهدات الصلح نقصت الاسلحة الالمانية نقصاً كبيراً ومنعت المانيا من استعمال اصناف معينة من السلاح كالدبابات والمدافع الضخمة والطيارات الحربية . وفرضت رقابة شديدة على الطيران المدني فيها وصناعة المواد التي يمكن ان تحول الى اسلحة وذخائر . ونزع منها اسطولها الحربي ، وقيد حقها في بناء سفن حربية جديدة بقيود دقيقة تتعلق بعدد السفن وحجمها وحمولتها وقطر مدافعها

ولكن الالمان يريدون التخلص من وصمة عدم المساواة التي وصمتهم بها هذه القيود فقالوا انهم مستعدون ان يسلموا ببقاء بعض القيود ، اذا عمد الحلفاء الى تنفيذ بعض ما تتضمنه معاهدة الصلح من العهود التي قطعوها ، بتقييد تسلحهم ونقصه في بعض النواحي . اي أن الالمان لا يصرون على اعادة التسلح بالاسلحة الممنوعة ، اذا الغيت هذه الاسلحة بمقتضى اتفاق دولي . ولكن اذا كانت الدول الاخرى تنوي ان تمضي في صنع تلك الاسلحة المحرمة على المانيا ، واستعمالها ، فالالمان يدعون ان لهم الحق في ان يفعلوا هم الشيء نفسه — فلما رفض اقرار هذا الحق لهم انسحب الوفد الالماني من مؤتمر نزع السلاح في أحد ادواره (سبتمبر ١٩٣٢)

وظلت هذه الازمة الناشئة عن انسحاب الوفد الالماني مستحكمة ، حتى اتفقت بريطانيا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة الاميركية ، مع حكومة المستشار فون شليخر في ديسمبر سنة ١٩٣٢ ، وفي الاتفاق سلمت هذه الدول بمبدأ المساواة ، على ان لا يطبق بحذافيره دفعة واحدة ، بل في مراتب او مراحل ، وقيل حينئذٍ ان القيود التي قيدت بها المانيا في معاهدة الصلح لا تلغى وانما تفرض رويداً على الحلفاء بموجب اتفاق دولي يعقد في مؤتمر نزع السلاح ، وبذلك تنجو المانيا من وصمة التقيد بقيود معينة دون غيرها من الدول الكبرى

فلما ظفر الالمان بهذا التسليم ، عادوا الى المؤتمر

ولكن حكومة المستشار فون شليخر لم تلبث طويلاً في منصب الحكم فذهبت ، وحلت محلها حكومة النازي برآسة الهر هتلر ، وللحال ظهرت عقبات جديدة في سبيل المؤتمر . وليس امام الحلفاء من يلومونهُ ، على العقبات الجديدة الاَّ انفسهم ، لانهم لو تروّوا قليلاً في التسليم لالمانيا بمبدأ المساواة ، لكان من الجائز ، ان يصدّوا تيار الحركة النازية ، ولكان الاتفاق مع المانيا أسهل منهُ الآن . وليس الغرض من هذه العبارة الاخيرة ان النازي يخترعون المصاعب اختراعاً ويضعون العراقيل امام المؤتمر ، لانهم فعلاً سلموا بالمقترحات التي كانت حكومة فون شليخر قد سلمت بها . ولكن الطابع الحربي الذي تمتاز بهِ حركة النازي ، يجعل

الحلفاء وبوجه خاص ، يجعل فرنسا تتوجس من كل اتفاق ، لا تضمن لها فيه سلامتها على ما تشتهي

خطة فرنسا

تختلف خطة فرنسا ، اختلافاً اساسيًّا عن خطط سائر الدول الكبرى وموقفها نحو مشكلة نزع السلاح . فقد أصرت فرنسا في خلال المناقشات والمباحثات التي دارت حول الموضوع على وجوب ربط نزع السلاح بضمان السلامة ربطاً محكماً . فهي تسلّم بأن تنزع من سلاحها، ما تظن نزعه مسوَّغاً بنشوء وسيلة اخرى ، تضمن لها الدفاع عن بلادها وشعبها. يضاف الى ذلك ان نظرتها الى نزع السلاح لا تقتصر على نقص الاسلحة والذخائر وعدد الرجال المحاربين ، وانما يجب ان تشمل في رأيها ، انشاء قوة مسلحة دولية يلقى زمامها الى جمعية الامم ، فتستعملها اداة فعالة في حفظ سلام العالم . وأنت ترى هذا المبدأ — مبدأ القوة المسلحة الدولية — يظهر في اشكال مختلفة ، في مشروع تارديو وغيره من المشروعات التي اقترحتها فرنسا على مؤتمر نزع السلاح

ويلخص المشروع الذي عرضته فرنسا في اواخر السنة الماضية في ان العهود المقطوعة ضد الحرب ، في عهدة كلوج بريان ودستور جامعة الأمم ، يجب ان تعزَّز وتؤيد بضمانات فعالة تستعمل ضد الدولة المعتدية . ويذهب الفرنسيون ، الى ان اي نكث للعهود المقطوعة في عهدة كلوج ، او دستور جمعية الامم ، او أية معاهدة اخرى يجب ان يفضي الى قطع الصلات المالية والاقتصادية التي تربط موقعي هذه العهود ، بالدولة المعتدية

وأضافوا الى كل ذلك انه يجب انشاء عهدة بين الدول الاوربية ، ضمن نظام جمعية الامم ، تحدَّد فيها الاحوال التي يحق لدولة من الدول ان تنال من بقية موقعين العهدة ، اسباب التأييد الحربي والادبي . وكل الدول التي تنضم الى هذه العهدة الاوربية ، تقبل الاتفاق الدولي لنزع السلاح ، والضمانات التي تنص عليها العهدة يجب ان تنفذ بمجرد وقوع الاعتداء على احدى الدول الموقعة

واقترحت فرنسا ، اساساً لهذه الفكرة ، انشاء جيش اوربي ، يكون الميل في تسليحه الى تعزيز قوى الدفاع بدلاً من قوى الهجوم . اما الاسلحة والذخائر المستعملة للهجوم ، فقد اقترح الفرنسيون ، وضعها في مخازن في كل بلاد من بلدان العهدة ، ولا تفتح او يستعمل ما فيها الاَّ بأمر من جمعية الامم . ثم هم اقترحوا مبدأ الرقابة الدولية على صناعة الاسلحة ، ولكل دولة ان تمرن قوة عسكرية خاصة على استعمال اسلحة الهجوم ، وتكون هذه القوة تحت تصرف جمعية الامم ، لتستعملها ضد المعتدي . واقترحوا كذلك الغاء قذف القنابل من الطيارات

والغاء الطيارات قاذفات القنابل كذلك . ولكن هذا لا ينفذ الاّ اذا انشئت رقابة دولية صارمة على الطيران المدني ، حتى لا تتحول وحداته في الحرب الى طيارات قاذفة للقنابل

اما فيما يتعلق بالتسليح البحري فقد اقترحت فرنسا عقد هدنة بين الدول البحرية الكبيرة في البحر الابيض ، تنقص بمقتضاها الاسلحة البحرية ، مع الاحتفاظ بالنسبة الكائنة الآن بين الدول البحرية في هذا البحر ، ومآل هذا ان فرنسا رفضت طلب ايطاليا ، بأن تساويها في قوتها البحرية . يضاف الى ذلك ان كل الدول البحرية يجب — بمقتضى الخطة الفرنسية — ان تضع جانباً من قوتها البحرية تحت تصرف جمعية الامم لكي تستعملها ضد الدولة المعتدية على نحو ما اقترحت في ما يتعلق باسلحة الهجوم البرية

***

هذه الخطة الفرنسية المعقدة ، التي تربط بين ضمان السلامة ونزع السلاح ، بنيت على اصول تختلف عن الاصول التي بنيت عليها مشروعات الدول الاخرى . فانك لست تجد في مشروعات الدول الاخرى ، ما يدلّك على ان احداها فكرت في انشاء قوة دولية مسلحة او خزن انواع معينة من الاسلحة ، او انشاء صفوف خاصة من الجند ، لا تستعمل الاّ باذن وأمر من جمعية الامم في الدفاع عن امة اعتدي عليها

ولما كانت الدول الأخرى غير مستعدة للتسليم بهاتين الفكرتين ، فالاتفاق على اساس المشروع الفرنسي كان متعذراً . يقابل ذلك ان الفرنسيين لم يسلموا بخفض السلاح خفضاً كبيراً — مع انهم سلموا بشيء من ذلك في عهد هريو ودالادييه — مالم تتعهد الدول الاخرى بالمحافظة على السلام ، عن طريقة معاهدات ضمانة السلامة تعقد لهذا الغرض وتنطوي على تحتيم استعمال القوة المسلحة ضد أية دولة معتدية

***

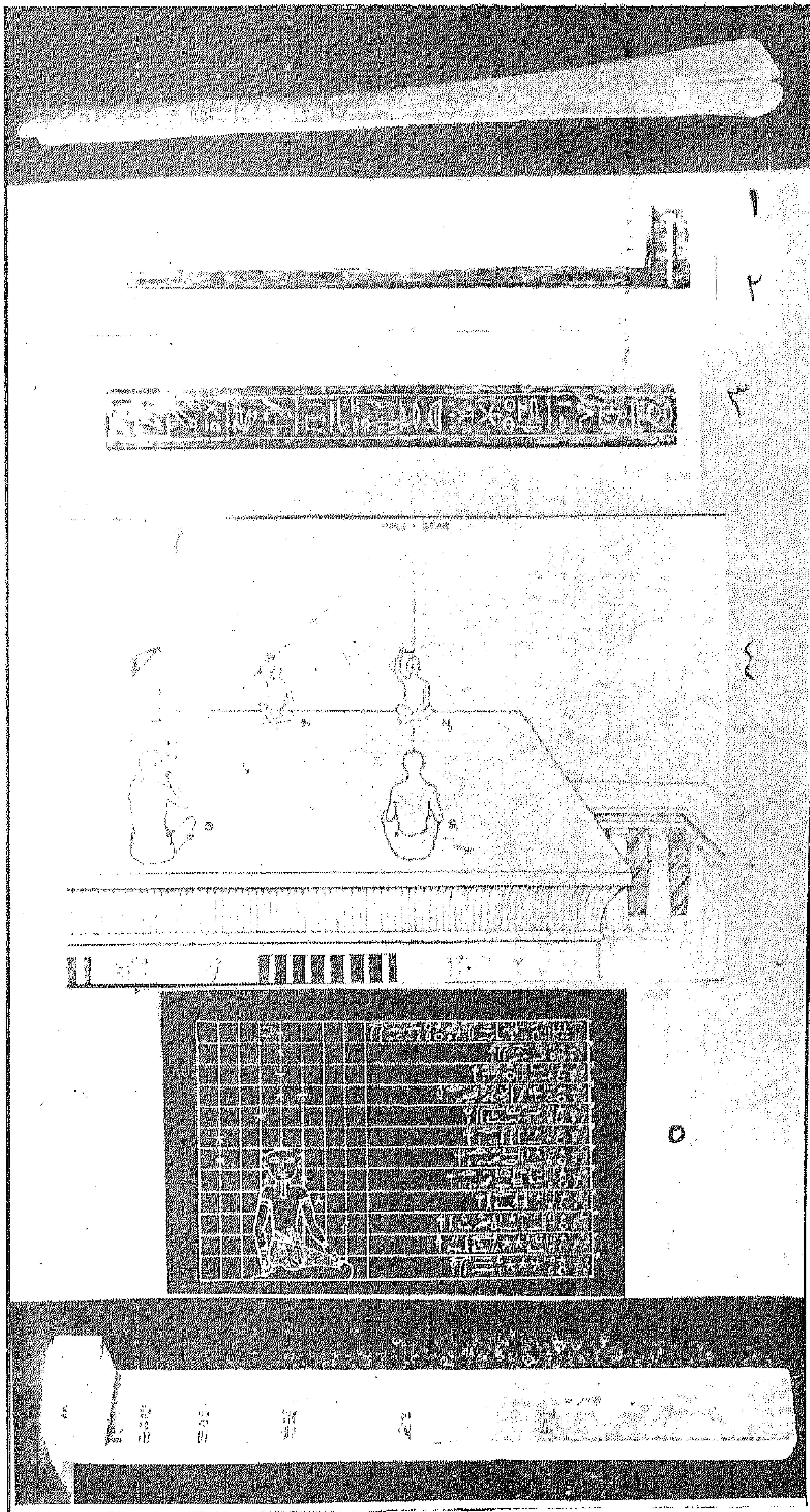
واذن ، ترى ان الموقف بين الدول الكبرى ، بلغ مأزقاً لا مخرج منه ، ولكن المحادثات ظلت جارية والمساومات بين فرنسا وبريطانيا ، وبينهما وبين المانيا ، الخ فتمكنوا من اخفاء هذا الاختلاف الكبير بين وجوه النظر الاساسية . وفي آخر سنة ١٩٣٢ ثبت انهُ رغماً عن رجوع الالمان الى حظيرة المؤتمر وزوال الحائل الاساسي دون الاتفاق ، لم يكن الواقفون على بواطن الأمور يتوقعون عقد اتفاق يكون فيه خفض السلاح إلاّ شبحاً مما كان ينتظره دعاة السلام . وكل ما كان يتوقع حينئذٍ انما كان الاتفاق على تحديد او خفض او الغاء بعض أصناف من الاسلحة ، كالغاء قاذفات القنابل في احوال خاصة ، والغاز الخانق والحرب الكيمائية وتحديد كل ما يتعلق بقذف القنابل من الطيارات

ولكن الامر الذي لا نزال نرتاب فيه ، هو ، هل تحافظ الدول على اتفاق من هذا القبيل ،

يشمل الطيارات والغازات والمواد الكيمائية اذا نشبت حرب ، ورأت ان الكفة لا تميل نحوها الاَّ اذا عمدت الى هذه الاسلحة ؟ وقد ادرك المؤتمر في خلال سنة ١٩٣٣ عجزه عن الوصول الى اتفاق عامّ شامل ، فحصر جهده في خفض السلاح النوعي ، وأقام لذلك لجنة خاصة ، لتسعى لتقريب وجوه النظر المختلفة بعضها من بعض اذ يكون المؤتمر غير ملتئم

***

في خلال جلسات المؤتمر ، كان مندبو الدول الصغيرة ، متبرمين باستئثار الدول الكبرى بالمباحثات الخطيرة ، فقد اجلت جلسات المؤتمر مرة ، ليتمكن مندوبو الدول الكبيرة من التباحث في وجوه الخلاف ، بقصد التوفيق بينها ، ومما زاد الطين بلة ، اهمال ايطاليا ، عند المناقشة في موضوع طلب المانيا لمبدأ المساواة ، اذ انحصر هذا البحث في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة . كانت ايطاليا مستعدة من البدء ان تسلم لالمانيا بمبدأ المساواة ، وفرنسا كانت معارضة ، وبريطانيا محيرة بين الاثنتين لا تريد ان تسير في طريق الاَّ اذا كانت فرنسا معها فيه . فكان من الطبيعي ان تقتصر المباحثات حول هذا الموضوع على فرنسا وبريطانيا أولاً — ولكن اهمال ايطاليا ، كاد يفضي الى توحيد الجبهة بين ايطاليا والمانيا ، لولا زيارة مكدونلد الطائرة الى روما في اوائل هذا العام ، التي نشأت منها العهدة الرباعية المعروفة بعهدة موسوليني — بين ايطاليا والمانيا وفرنسا وبريطانيا . وقد ظلَّت المباحثات دائرة في خلال سبتمبر والجانب الاول من اكتوبر فأسفرت عن الاتفاق تقريباً بين الحلفاء على ان تعين اولاً فترة مداها اربع سنوات تراقب فيها المانيا مراقبة دقيقة فاذا ثبت حسن نيتها ، فعندئذٍ يبدأ في تنفيذ المشروع الموضوع لمنحها المساواة تدريجاً . وهذا رفضتهُ المانيا وخرجت من مؤتمر نزع السلاح في ١٤ اكتوبر الماضي وهجرها لجمعية الامم فأصبحت الامم الاخرى في مأزق . فإما ان تشهر عليها حرباً دعاها بعض الفرنسيين بالحرب الواقية فتبطش بها قبل ان يشتد ساعدها ويتم تسلحها . وهذا من شأنهِ تأجيل حل المشكلة ، عشرين سنة اخرى ، لانهُ لابدّ لالمانيا من ان تنهض بعد ذلك وهي اشدُّ مرارةً واظمأ للثأر . وإما ان تتغلب الحكمة على رجال السياسة — وهو المشاهد في خلال الاسبوع الذي انقضى على خروج المانيا — فيضاعفون السعي لايجاد حلّ يرضي ولا يخلّ ، فتتمكن المانيا من العودة الى حظيرة المؤتمر ، وجمعية الامم ، وتستأنف عمل التعاون مع الدول الاخرى . وقد خرجت من قبل أمم من مؤتمرات عالمية وعادت اليها . وهجرت أمم اخرى جمعية الامم ثم عادت فانضوت تحت لوائها . فالحكمة هي ملاذ العالم في هذه الحال الدقيقة



(١) منظار من عهد الاسرة الثالثة عشرة (٢) و(٣) راجع وصفهما في صفحة ٤٩٤ س ٢٠—٢٥ (٤) جلوس الراصد على سطح المعبد (٥) رسم لمعرفة مواقع النجوم بالقياس الى اعضاء الراصد الجالس (٦) ساعة شمسية في دار متحف برلين تحت رقم ١٩٧٤٣ . عن مجلة العاديات المصرية

تقسيم الزمن

في عهد الفراعنة

السنة الى الساعة — ادوات التوقيت

للدكتور حسن كمال

يرجع تقسيم الزمن الى اصول فلسفية عديدة منها ان الانسان منذ نشأته في هذا العالم وشعوره بالوجود وتقدمه في السن ووفاته وميراثه بدأ يفكر في الوقت ويتكهن بحقيقة الزمن ويشحذ قريحته في خفايا الكون حوله. فوجّه عنايتهُ اولاً الى المكان ومساحة الاراضي وتجزئتها . ثم تعدّى ذلك الى الزمن وأجهد قريحتهُ في ايجاد وسيلة لقياس هذا الشيء المعنوي فوجد ان اسهل وسيلة لذلك هي قياسه بحادث منتظم التكرار وعثر على ضالته في الليل والنهار ثم تغيُّر اوجه القمر ثم علاقة الشمس بالارض من حيث قربها وبعدها ثم تغير مواضع النجوم وغير ذلك

ويرجع كثير من الفضل في معرفة قياس الزمن الى مجهود قدماء المصريين واهتمامهم بالكائنات وشغفهم بالفلاحة . ففي سنة ٤٢٤١ ق .م . استعمل المصريون السنة الشمسية وحدة في توقيتهم وقسّموها الى ٣٦٥ يوماً لكنهم لم يتمكنوا من معرفة ان هذا العدد ينقصهُ ربع يوم او بعبارة اخرى انهُ يجب اضافة يوم لكل سنة رابعة كي تصير ٣٦٦ يوماً وهي المعروفة عندنا بالسنة الكبيسة . وهذا التقصير في الادراك مكّن المؤرخين كثيراً من معرفة عدة عصور هامة في العهد الفرعوني كانت معرفتها متعذرة من دونهِ. هذا الخطأ الصغير يصبح بتكرار السنين سنة شمسية كل ١٤٦٠ سنة. من ذلك يتضح انه لو ذكرت عصور توافق فيها شروق نجم الشعرى اليمانية مع شروق الشمس امكننا معرفة تاريخ تلك العصور بالرجوع الى الطرق الفلكية بدقة لا يتعدّى خطؤها الاربع سنوات . ويحسن بنا ان نذكر القارىء هنا بان يوليوس قيصر هو اول من ادخل التوقيت المصري في الامبراطورية الرومانية

والمظنون ان سكان الوجه البحري الاقدمين هم الذين تنبهوا الى ان السنة الشمسية تتكوّن من ٣٦٥ يوماً وبدأوا توقيتهم بالسنة المذكورة في الوقت الذي توافق فيهِ ظهور نجم الشعرى اليمانية في الافق مع الشمس . وللشعرى اليمانية شأن خاص عند المصريين عموماً لان ظهورها

عندهم كان يدلّ على قرب فصل الفيضان النيلي وعلى ذلك اعتبرت اساساً للتقويم . ولا بدع في ذلك فالنيل هو مصر ومصر هي النيل . ويقال لنجم الشعرى اليمانية بالمصرية القديمة (سُبْـت) وباليونانية Sothis ويعرف الآن باسم Sirius ولما كان ظهور هذا النجم يشير الى قرب فيضان النيل وكانت مصر دائماً بلاداً زراعية عمدتها النيل كان لرصد هذا النجم في مرصد (منف) شأن كبير في البلاد كل سنة

***

واهتمام المصريين بالعلم كان لفائدته العملية فقط . ولم تَـتُـقْ انفسهم الى دراسة اصول الطبيعة والكون الاّ اذا اضطرتهم الضرورة الى ذلك . وهذا أمر طبيعي في من لا يميل الى البحث في الحقائق الغامضة . لذلك لم تتقدم معارفهم الاّ فيما يتعلق بمعيشتهم واعمالهم المتجدّدة كل يوم . وكانت معلوماتهم الفلكية بالرغم من ذلك كثيرة تمكن اجدادهم بها من توقيت زمنهم بالسنين قبل عهد المملكة القديمة بنحو ١٣٠٠ سنة . وقد رسموا السماء وعرفوا اهم نجومها وابتدعوا آلات تعرّفهم مراكز النجوم . لكنهم لم يهتموا بالتفكير في اصل هذه النجوم لعدم فائدته في نظرهم فلم يكلفوا انفسهم مؤونة الاجتهاد . ومع ذلك فقد قسّموا السماء الى عدة بروج . ويكاد يكون مؤكداً ان رسوم النجوم الموضوعة بشكل مناظر منفردة حلّيت بها سقوف قبري رمسيس السادس (١١٥٧ — ١١٥٢ ق . م .) ورمسيس التاسع (١١٤٢— ١١٢٣ ق . م .) كان المقصود بها الاستدلال على معرفة ساعات الليل . ويجد الباحث هناك مناظر لمواقع النجوم لكل خمسة عشر يوماً على طول السنة الشمسية . وكل منظر يتلخص في رسم شخص جالس وحوله النجوم الهامة مرسومة في مواقعها المناسبة . وهذا الشخص يمثل احد شخصين يجلسان متقابلين على طرفي خط مستقيم متجه شمالاً وجنوباً فوق سطح احد المعابد . واحد هذين الشخصين يقوم بعملية المراقب لحركات النجوم ومواقعها بالنسبة الى وضع الشخص المقابل لهُ . وبالرجوع الى مواضع هذه النجوم المدوّنة في رسوم مشابهة للمرسومة على سقوف القبرين السالفين يمكن المراقب ان يعرف ساعات الليل وينادي بها ساعةً ساعةً وقت حلولها . وهذه الطريقة لقياس ساعات الليل اشبه كثيراً بطريقة قياس ساعات النهار بواسطة المزاول من حيث عدم الدقة . لان الليل والنهار في اختلاف مستمرٍّ من حيث الزمن على طول السنة . فكأنّ القوم كانوا يستعملون وحدات صغيرة متباينة لتجزئة وحدات كبيرة متغيرة ايضاً . فينجم من ذلك ان تقسيم قدماء المصريين لليل والنهار الى ساعات متساوية كان تقسيماً نسبيًّا . لذلك بقيت معضلة تجزئة الزمن الى ساعات متساوية بلا حلّ على طول العهد الفرعوني . واهم مراصد العهد الفرعوني كان في طيبة (الاقصر) ودندرة ومنف (سقارة) وعين شمس





ساعة مائية من الكرنك يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد . منقوش عليها من الخارج رسوم فلكية متباينة تمثل النجوم والبروج وغير ذلك

وبالرجوع الى النصوص والرسوم المصرية القديمة التي وصلت الينا وفحصها من وجوهها التاريخية والعلمية والفنية امكننا ان نجزم ان قدماء المصريين لم يكلفوا انفسهم مؤونة البحث في معرفة كنه النجوم واحجامها ولا اسباب تحركها . ولم يرد فيما خلفه لنا هؤلاء القوم ما يشير الى انهم فهموا أوجه الشبه بين الشمس والقمر . لكنهم كانوا كثيراً ما يشيدون مبانيهم متوافقة مع النقط الاصلية الاربع مستعينين في ذلك بالنجمة القطبية وقتئذٍ . ويظهر ان ثبات هذا النجم الاخير استرعى نظرهم اليه كما ان مواقع بعض النجوم بالنسبة الى النجم الاخير وعدم افولها استدرج ادراكهم نحوها فسموها « النجوم التي لا تأفل »

ولعل القارىء بعد ذلك يدرك مقدار الصعوبة التي جابهها القوم اذ ارادوا تقسيم اوقاتهم. فالوحدة العظمى للقياس كانت السنة الشمسية يلي ذلك الشهر القمري ثم اليوم . ولو ان السنة الشمسية في عهدهم هي أقصر بربع يوم عن الحقيقة فان نسبة الشهور القمرية للسنة الشمسية وعدم تناسب طول الليل والنهار في فصول السنة سبب لهم مصاعب جمّة . ويظهر ان قدماء المصريين كانوا يستعملون السنة القمرية في قياس اوقاتهم في البدء . ثم اتضح لهم ان السنة الشمسية اوفق لهم بالنسبة لمعيشتهم الزراعية والاقتصادية . اما السبب الذي جعلنا نعتقد ان هؤلاء القوم بدأوا توقيتهم بالسنة القمرية فهو كتابتهم «الشهر» برسم القمر وكذلك كثرة اعيادهم الهامة في اوائل الاشهر القمرية وانصافها

ولما رأى القوم ان الاشهر القمرية لا يمكن اتخاذها وحدة لتقسيم السنة الشمسية اتفقوا عرفيًّا على ان يكون الشهر مكوناً من ثلاثين يوماً وان يضاف آخر كل اثنى عشر شهراً خمسة أيام كي تكمل السنة — ثلاث مائة وخمسة وستون يوماً . ثم قسموا السنة الى ثلاثة فصول هي في الحقيقة زراعية اكثر منها ميقاتية واطلقوا عليها الاوصاف الآتية « فصل الفيضان » و« فصل البذر» ويوافق فصل الشتاء و « فصل الحصاد » ويوافق فصل الصيف

***

ويستنتج من النصوص الدينية التي في اهرام الاسرة الخامسة والسادسة ان اضافة الايام الخمسة الى آخر الشهر الثاني عشر كانت مستعملة وقتئذٍ

ولم يستعمل المصريون وحدة لقياس الزمن اكبر من السنة الشمسية . وعلى ذلك فلم يكن في حسبانهم شيء مثل الجيل والقرن كما هي الحال في عصرنا هذا ، اما التواريخ فكانت تذكر قياساً الى حادثة مهمة كواقعة حربية او احصاء الاملاك كالبهائم (وهذا الأخير كان اكثر استعمالاً في عهد الأسرتين الخامسة والسادسة) ثم في العهد التالي لذلك بدأ القوم ينسبون تواريخ حوادثهم الى سنة تولي مليكهم عرش النيل فكانوا يقولون مثلاً «في السنة الخامسة من عهد جلالة الملك . . .» «في السنة الحادية عشرة من حكم جلالة الملك ....»

ولم نعثر حتى الآن على اسماء الأشهر في كل الآثار المصرية القديمة . وكل ما وجد هو نسبة الشهر العددية للفصل السنوي مثال ذلك « الشهر الثاني من فصل الفيضان النيلي » وأيضاً «الشهر الأول من فصل الحصاد — اي الصيف» . فلما أتى العهد الفارسي (القرن السادس ق. م.) بدأت تظهر أسماء الشهر منسوبة الى بعض الأعياد التي كانت تقع في ذلك الوقت. ولا يبعد ان يكون القوم قد اطلقوا هذه الاسماء على الاشهر قبل ذلك العصر بزمان لكنهم على اي حال لم يدوّنوا تلك الأسماء الاّ في العهد المذكور . ولا نزال نجهل الشيء الكثير عن أصل بعض هذه الاسماء بالدقة

اما الاسبوع واستعماله وحدة لقياس الزمن فلم يكن معروفاً البتة في العصور القديمة في العهد الفرعوني . والبراهين التي اوردها بعضهم لاثبات استعمال الاسبوع في العصور الأخيرة غير مقنعة ولا قاطعة

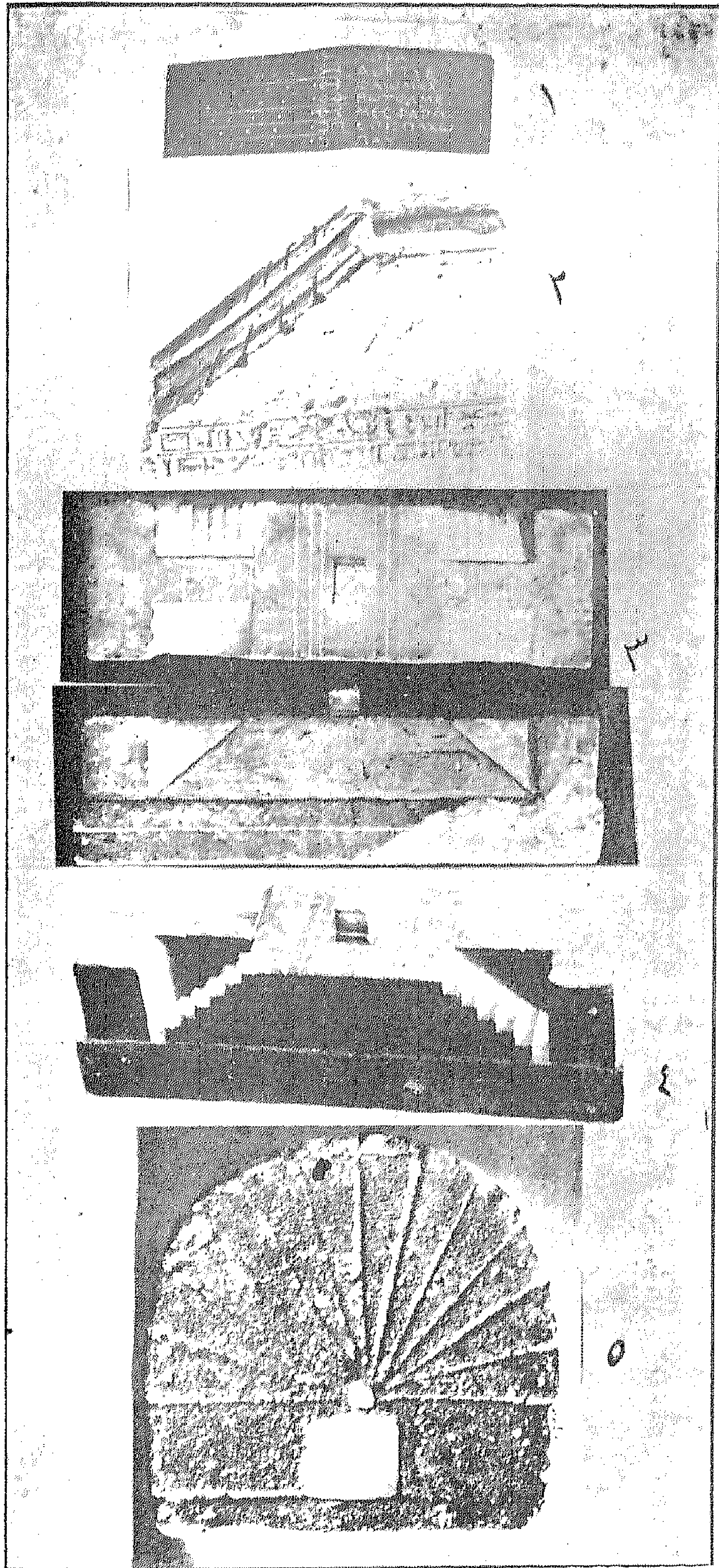
وقسم القوم كلاًّ من الليل والنهار الى اثنتي عشرة ساعة. ولكن لما كان القوم يعتبرون النهار احياناً من شروق الشمس الى غروبها وطوراً من الفجر حتى زوال الشفق كان الليل والنهار في تغيير مستمر طول السنة . وعلى ذلك لا يمكن ان يقال ان قدماء المصريين حدّدوا الساعة الزمنية واستعملوها كوحدة في التوقيت

***

وسنذكر للقارىء فيما يلي بياناً موجزاً للآلات التي كانت تستعمل في التوقيت

﴿ آلات رصد النجوم وطريقة ذلك ﴾ كان القوم يرصدون النجوم بواسطة منظار صغير يقال له (مرخت) وفي متحف برلين الآن منظار يرجع تاريخه الى الاسرة الثامنة والعشرين وهو المرموز اليه بشكل رقم ١ هنا والآلة عبارة عن قضيب خشبي من سعف النخل مشقوق في الوسط عند طرفه المستعرض ومنقوش عليه ما معناه « آلة لمعرفة مبدأ العيد وحساب مواعيد اشغال العمال وجعل كلٍّ منهم يقوم بعمله في وقته . . . . » وكان الناظر او الراصد يمسك بهذه الآلة ويضع الشق الصغير نصب عينيه محرراً اياه تجاه خيط مشدود شدًّا رأسيًّا بمثقال ومثبت في نهاية قضيب خشبي آخر محاذياً لخط رأسي فيه أيضاً . وهذه الآلة الاخيرة ذات الخيط والثقل هي المصورة في الشكلين رقم ٢ ، ٣ . ويشاهد على قضيبها نص هيرغليفي ترجمته « انا اعلم حركة الشمس والقمر والنجوم كلاً بحسب موقعه »

وكان الراصد يجلس (ومعه المنظار) قبالة زميل له (ومعه الآلة الخيطية المذكورة اعلاه) في طرفي خط متجه شمالاً وجنوباً على سطح احد المعابد شكل ٤ ويتعرفان ساعات الليل بتجاوز النجوم للخط الخيطي العمودي او بمركزها قياساً الى القلب والعين اليمنى والعين اليسرى والكتف واجزاء الجسم الباقية في الشخص المقابل للراصد. وتكتب هذه الملاحظات



(١) مزولة ذات السطح المنحني (عن بتري) (٢) ساعة شمسية ذات السطح المنحني بجامعة لندن (عن بتري) (٣) ساعتا ظل (مزولتان) محفوظتان بمتحف القاهرة تحت رقم ٣٣٤٠١ (٤) مزولة اخرى في متحف القاهرة (٥) مزولة من الاقصر محفوظة في متحف برلين عن مجلة الماديات المصرية

مقتطف نوفمبر ١٩٣٣ امام ص ٤٠٥

في شكل مقسم الى مربعات صغيرة مرسوم فيها الشخص المساعد للراصد وحوله النجوم كما يتضح للراصد. خذ مثلاً ما جاء ببعض هذه الرسوم «النجم (سارت) يقع أعلى العين اليسرى اما النجم الذي يلي الشعرى اليمانية فيقع اعلى المرفق الايسر. اما نجوم المساء فمركزها على القلب» (راجع شكل ٥)

وقد عثر على عدة رسوم من هذا القبيل في مقابر ملوك الأسرة العشرينية كما سبق ان ذكرنا وهذه الرسوم تبين مواقع النجوم في اثناء الاثنتي عشرة ساعة الليلية لمدة خمسة عشر يوماً. أما الساعات فكانت تعرف بواسطة الساعات المائية وهذه سيأتي بيانها فيما بعد

﴿آلات الظل: المزاول﴾ اجتهد قدماء المصريين في تقسيم النهار الى ساعات بواسطة الظل فلاحظوا ان طول الظل يختلف باستمرار في اوقات النهار على مدى الفصول. لكن لم يثبت للآن ان المصريين علموا ما لخطوط العرض من الشأن وقت استعمالهم آلات الظل. وأبسط آلة للظل هي الواردة في الشكل رقم ٦ وهي عبارة عن قضيب خشبي ينتهي في احد طرفيه بكتلة خشبية ومدوّن على القضيب خطوط واسماء الساعات. اما طريقة استعمالها فهو وضعها في خط شرقي غربي بحيث تكون الكتلة الخشبية في الشرق صباحاً وفي الغرب مساء وتعرف الساعة بسقوط ظل الكتلة على تقاسيم القضيب

ولما كان ظل الصباح المبكر والمساء المتأخر طويلين كثيراً ابتكر القوم في اواخر العهد الفرعوني طريقة جديدة لذلك فاستعاضوا عن القضيب الطويل الآنف الذكر بآخر سميك مائل السطح نحو الكتلة وقسَّموا السطح المائل الى عدة خطوط شهرية ذات تقاسيم متنوعة تتناسب مع تغير الظل في تلك الاوقات. ويشاهد هذا الجزء ذو السطح المائل في الشكلين رقم ٧ و٨

وفي المتحف المصري نموذج لساعة ظل (شمسية) طولها ١٥ بوصة يظهر انها مركبة من ثلاثة انواع من الساعات (شكل ٩ و١٠ و١١). النوع الاول وهو الكتلة الصغيرة التي يسقط ظلها على تقاسيم بالجهتين والنوع الثاني وهو كيفية سقوط الظل على الدرجات والنوع الثالث ويتلخص في سقوط الظل على السطح المائل او المنحني. هذا باختصار هو بيان موجز للادوات التي كانت تستعمل في العهد الفرعوني لقياس ساعات النهار واساس العمل فيها هو تباين طول الظل فقط في اوقات النهار المختلفة



وهناك نوع آخر من الساعات الشمسية اساسه تغير اتجاه الظل في اوقات النهار وعلاقته بالزمن. وهذا النوع يشير الى تقدم كبير في الفكر والواسطة. وهذه الساعات اسهل استعمالاً اذا وضعت في الموضع الموافق لها لانها في هذا الموضع يمكن تقسيمها الى تقاسيم متساوية

خلافاً للنوع السابق المختلف واقدم مثال للقسم الثاني عثر عليه في مدينة غزة بفلسطين وهو ساعة مصرية تحمل اسم الفرعون منفتاح ويرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ويلاحظ القارىء في الشكل رقم ١٢ مزولة محفوظة الآن بدار التحف ببرلين يرجع تاريخها الى العهد اليوناني والروماني كانت تثبت على حائط او عمود والثقوب الموجودة بها كان مثبتاً بها تركيب يحوي خيطاً ينتهي بثقل وهذا الخيط هو الذي يسقط ظله على التقاسيم المرسومة. وهذه التقاسيم تمثل ساعات النهار. ومنهُ يتضح ان ظل الخيط يسقط على الخط الاوسط وقت القيلولة وهذا النوع من الساعات عمَّ اوربا الغربية بسرعة

﴿ الساعات المائية ﴾ اقدم ساعة مائية معروفة للآن هي المرسومة في الشكل رقم ١٣ ويرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر .ق. م. مصنوعة من المرمر على شكل زهرة يانعة ارتفاعها حوالي ١٤ بوصة وكان العثور عليها بالكرنك بالاقصر وهي الآن بدار تحف القاهرة. مرسوم عليها من الخارج النجوم والبروج وغير ذلك. ومثل هذا النوع كان يستعمل لمعرفة ساعات الليل حيث ورد على جزءٍ منها العبارة الآتية « كل رسم هو في المحل الموافق لساعته... كي يثبت بذلك ميعاد ساعات الليل ......» وكان الراصدون بمساعدة هذه الرسوم والتقاسيم يعرفون (كما يظنُّ) مواعيد ساعات الليل. وكان هذا الاناء يملأ ماءً الى حافته وبواسطة ثقب صغير في قعرهِ كان الماء يتسرب تدريجيًّا منهُ فينخفض سطحه الى تقاسيم الساعات المنقوشة بالداخل ولما كانت التقاسيم الداخلية متساوية المسافات وكان قعر الاناء اقل كثيراً من فتحته العليا من حيث المساحة كانت مقادير المياه المتسربة في كل ساعة غير متساوية. لان الماء في اول الأمر يتدفق بسرعة لعلو سطحه وقتئذٍ ثم تدريجاً في النهاية لانخفاضه ساعتين. الاَّ انه ثبت بالمقارنة بساعاتنا الحديثة ان هذا التكافوء غير متناسب وعليه فساعات المصريين الأقدمين المائية لم تكن متساوية في الزمن. وجملة القول ان مدة الساعات الاولى بهذه الآلة اطول من الواقع كما ان الساعات الأخيرة اقصر كثيراً اما ساعات الوسط فكانت قريبة جدًّا من الصواب. وهناك نوع آخر من الساعات المائية عمَّ استعماله في العصور الاخيرة يتلخص في اسطوانة مدرجة من الداخل يقطر فيها الماء من اناء آخر أعلى منها. وكان كلما ارتفع سطح الماء داخلها ووصل الى علامة من العلامات المذكورة دلَّ ذلك على حلول ساعة معينة

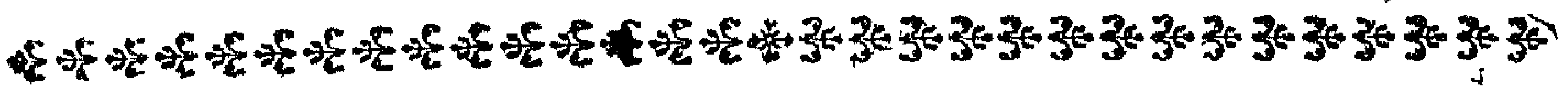
***

وقد انتشر استعمال الساعة المائيــة المصرية في قارة اوربا في العصور الاخيرة حتى اطلق عليها اليونانيون وقتئذٍ صفة « اللص المائي ». وكانت تستعمل حينذاك لقياس الزمن ليلاً ونهاراً



استدراك على معجم الحيوان

بقلم الدكتور معلوف باشا



في هذا المقال تحقيق علمي لغوي للدكتور معلوف باشا في صحة اسماء اللياء والجري والسلور والسفن والشلق وغيرها من الاسماك

بعد نشر معجم الحيوان في المقتطف سنة ١٩٠٨ وما يليها ثم على حدة في السنة الماضية علمت ان عالماً فرنسياً نشر كتاباً في سمك الشام فسألت صديقي الامير مصطفى الشهابي ان يبحث عن الكتاب فتفضل وبعث اليَّ بنسخة منهُ فاذا فيهِ شيء كثير من انواع السمك في مياه الشام العذبة وفي البحر الملح مما يلي ساحله والكتاب لعالم فرنسيّ معروف هو المسيو غريفل[1] من اساتذة متحف التاريخ الطبيعي بفرنسة فنقلت عنهُ بعض انواع السمك التي وردت فيهِ ونقلت اسماءها الفرنسية والعربية واضفت اليها الاسماء الانكليزية وجعلت ذلك تتمة لما ذكرتهُ قبلاً او استدراكاً عليهِ

ثم ان بحثي في المقتطف لم يكن في شكل معجم ولم يكن الغرض منهُ تأليف معجم حاوٍ لانواع الحيوان بل كانت الغاية تحقيق اسماء بعض الحيوانات مما ورد في كلام العرب او المولدين في مؤلفاتهم او ما وضعهُ المحدثون الذين يؤخذ باقوالهم فلما عرضت المقالة الاولى على استاذنا الدكتور صرُّوف رحمهُ الله أخذ القلم وكتب عنوانها « معجم الحيوان » فلما اعدت نشر المقالات في كتاب على حدة ابقيت اسمهُ كما كان على ما ذكرت في المقدمة

ثم كتبت هذا الاستدراك عن المسيو غريفل وارجو ان يكون فيهِ فائدة للادباء الذين يعنون بمثل هذه الامور وكتاب المسيو غريفل فريد في بابهِ وان الاسماء العلمية التي اوردها لا شبهة في انها آخر ما وصل اليهِ العلم في عصرنا . فمن الاسماك التي ذكرها ما يأتي

الأشلاق Sélaciens ou Élasmobranches. E. Selachii or Elasmobranchii

جمع شِلْق وشَلِق اسماك غضروفية الهيكل منها القِرش اي الكوسج والمنشار وابو

(١) Les États de Syrie. Richesse marine et fluviale. Par A. Gruvel, Professeur au Muséum d'Histoire Naturelle. Paris 1931

مطرقة وابو مهماز والملاك والبَـلـيّاء والشِلْـق على ما حققهُ الاب انستاس والجَلَكي على ما حققهُ كاتب هذه السطور والشلق افصح لانها واردة في كلام العرب والجلكي اعجمية

اما لفظة اشلاق فلم يذكرها المؤلف بهذا اللفظ العربي وانما ذكرتها نقلاً عن معجم الحيوان ص ٢٢٢ ايضاحاً لما سيرد من انواع الاشلاق في الشام

القروش او الكواسج واحدها قِرش وكَوسج Squales ou Requins. E. Sharks .

قال المؤلف : لم تكن القروش الحقيقية معروفة في مياه الشام قبل فتح تَرعة السويس وكان المعروف منها الانواع الصغيرة اي كلاب البحر وقد رأينا منها الانواع الآتية

كلب البحر La Roussette. E. Dogfish (Scyllium)

ذكر منهُ نوعين كلب البحر الكبير او كلب البحر المرقّط وكلب البحر الصغير او كلب البحر الملطّخ وقال ان الصيادين يسمونهُ بالعربية كلب البحر

كلب البحر L'Emissole. E. Hound or houndfish

ذكر منهُ نوعين ولم يذكر لهُ اسماً عربيًّا واظنهُ كلب البحر كالذي تقدّم

ثم ذكر انواعاً اخرى من الاشلاق منها الانواع الآتية : ابو مهماز وابو مطرقة والملاك او ملاك البحر ولم يذكر لها اسماء عربية معروفة في الشام

ثم ذكر انواعاً من اللّياء الآتي ذكره وقال ان اهل البحر في سواحل الشام يسمونهُ باره Baara ولعلهُ يريد باغه وهي عند العامة جلد السلحفاة ونحوها وربما كانت من اصل تركي فاذا اريد بها جلد السلحفاة ففصيحها الذَبْل واذا اريد بها جلد اللياء هذا ففصيحها السَفَن كما سيأتي

اللياء Raie. E. Ray or Skate

شِلْـق مفلطح يتخذ من جلده السَفَن وهو اجناس وانواع كثيرة

قلت في المقتطف ٣٩ : ٣٤٠ ان اللياء غير هذا اي انهُ نوع من السمك اسمهُ بالانكليزية Porbeagle ولا شبهة اني كنت مخطئاً فهذا النوع من الاشلاق او القروش خاص بالبحار الشمالية فلا يمكن ان يكون من سمك جزيرة تنّيس على ما نقلت عن معجم البلدان وآثار البلاد فاللّياء هو المسمى Ray بالانكليزية وقد ذكرتهُ في ص ٢٠١ من معجم الحيوان وذكرت لهُ اسماء كثيرة ولكنني لم اذكر اللياء وهذا افضلها لانهُ افصحها

وهاك بعض ما جاء عن اللياء في المؤلفات العربية . القاموس : اللّيا ككساء سمكة تتخذ منها التَرسة الجيدة

وفي حياة الحيوان : اللياء سمكة في البحر يتخذ من جلدها التَرِسة فلا يحيك فيهِ شيء

من السلاح ولا يقطع . وفي تاج العروس شيء مثل هذا . وقد ورد ذكر اللياء في وصف جزيرة تنيس كما تقدم

اما جلد اللياء فصيحهُ السَّفَن قال في تاج العروس : « السَّفَن محرَّكة جلد خشن غليظ كجلود التماسيح يجعل على قوائم السيوف كما في الصحاح والتهذيب الى ان قال « وقطعة خشناء من جلد ضب او سمكة يُسحَج بها القِدح حتى تذهب عنه آثار المبراة وقيل هو جلد السمك الذي تحكُّ به السياط والقدحان والسهام والصحاف ويكون على قائم السيف» . ثم انشد بيتاً لعدي بن زيد وآخر للاعشى وكلاهما جاهلي الى ان قال «وقيل السفن جلد الاطوم وهي سمكة تسوّى قوائم السيوف من جلدها »

فالسفن لفظ عربي فصيح سمعه فورسكال في سواحل البحر الاحمر فسمى به نوعاً من اللياء كما سيجيء وسمى نوعاً آخر اللِمَّا وسمى كلونزنجر النوع الاول السفن اي كما سماه به فورسكال وسمى هذا النوع الثاني السفن واللمَّا وعن مؤلف آخر اللمنا وسيأتي ذكر هذين النوعين

ثم ان الانكليز يسمون هذا السمك وجلده بهذا الاسم اي Sephen عن العربية كما في كتب اللغة عندهم كذلك الفرنسيون فانهم يسمون جلد هذا السمك Galuchat باسم الرجل الذي حسَّن دباغته كذلك هذا النوع من السمك فانهم يسمونه بهذا الاسم . وفي سواحل الشام يسمونه باغة كما تقدم فالسفن بالعربية يقابل اللفظ الانكليزي واللفظ الفرنسي الذي تقدم ذكرها ويقابل ايضاً ما تسميه العامة في مصر بالصنفرة والعامة في الشام بورق الزجاج او ورق السنباذج

سَفَن Galuchat. E. Sephen (Trygon (hypolophus) Sephen) Forsk.

قال المؤلف اي المسيو غريفل ان جلده يصنع منه ادوات للزينة مثل اغشية الصناديق واجفان السيوف ونحو ذلك اي ان الانكليز والفرنسيين يطلقون الاسمين اللذين تقدم ذكرهما على هذا النوع من السمك وعلى جلده . قلت وقد ذكرت في المقتطف ان هذا النوع اسمه السفن والسيفن والسيف والصواب السفن فاللفظان الاخيران خطأ

لِمَّا و لِمنا . سَفَن Taeniura (Trygon) Lymma. Forsk.

ذكر فورسكال من اسمائه لِمَّا وذكر كلونزنجر اللمّا عن فورسكال ونقل اللّمنا عن مؤلف آخر وقال اسمهُ السَفَن كالذي تقدم وقال جفروى ان اسمهُ الوطواطة في الاسكندرية على ما ذكرت في معجم الحيوان ص ٢٠٢

الورنك عن فورسكال كما ذكرت في المقتطف Trygon uarnak, Forsk.

وفي معجم الحيوان ص ٢٠٢

فيتضح مما تقدم ان اللياء هو المسمى Raia باللاتينية وRaie بالفرنسية وRay بالانكليزية وله اسماء عامية كثيرة في البلاد العربية ولكن اللياء افصحها . فهل هذه اللفظة معرب لميا اليونانية كما ذكر الاب انستاس في مجلة المشرق او انها اصلية بالعربية وانما يقابلها باللاتينية يشبهها كل الشبه فجعلت الراء لاماً بالعربية او جعلت اللام راء باللاتينية فهذا ما لا اعلمه وانما أعلم ان الراء واللام يتبادلان واعلم ان اللياء بالعربية هو هذا السمك وانهُ اصلح اسمائه وربما كان اللفظ قديماً جدًّا في البحر المتوسط فسماه العرب اللياء وسماه اللاتين رايا اي ان اللفظين من اصل واحد والله اعلم

ثم ان المسيو غريفل ذكر فصيلة اخرى من السمك في مياه الشام وهي ما يأتي وقد ذكرتها في ص ٢٢٨ من معجم الحيوان وهي من الاسماك العظمية وليست غضروفية الهيكل كالاشلاق ولما كان في بعضها شيء من الطول كالشلق التبس امرها على بعضهم وهي فصيلة السلور الآتي ذكره

فصيلة السِلَّور Silluridés ou Poissons-chats E. Siluridae or Catfishes

او السِلَّوريات . فصيلة من سمك المياه العذبة خالية من الفلوس اي الحراشف لكل منها شاربان او اكثر حول فمها ولبعضها شوك ناتئ في زعنفتها الظهرية او الصدرية . ومن امثلتها السِلَّور والجِرّي والشال والبياض والدُقْماق والقُرْموط والشلبة والفَتَرة والزِمّير . ذكرت هذه الفصيلة في ص ٢٢٨ من معجم الحيوان وذكر المسيو غريفل من انواعها ما يأتي وذلك فى ص ٣٠٧ من كتابه

Genre : Clarias

السِلَّور قال هو كثير في بحيرة انطاكية وسقي العاصي Clarias Orontis, Gunth والاهلون يسمونهُ السَلُّور

البُرْبور Clarias macracanthus, Gunth.

قال هو كثير في طبرية والحولة والاهلون يسمونهُ البَرْبور

قلت ذكرت هذا الجنس اي Clarias في ص ٦٥ من معجم الحيوان وذكرت منهُ نوعين القرموط والبربور وفاتني قرموط العاصي اي السِلَّور

ثم ذكر المسيو غريفل النوع الآتي من الفصيلة عينها ,

الجرّي قال هو كثير في الفرات ويسمونهُ الجرّي Silurus glanis, L.

قلت وقد ذكرتهُ في معجم الحيوان وذكرت من اسمائهِ السلّور والجرّي والصواب الجرّي فقط اي كما اورده المسيو غريفل . فما تقدّم صحة الاسماء العلمية للسلّور والجرّي والبُربور والقُرمُوط ولا يخفى ان هذه الاسماء تتبادل في بعض النواحي ولكنها جميعاً من فصيلة السلور التي تقدم وصفها

***

اما الجرّي في الفرات والدانوب فاسمهُ بالانكليزية Sheatfish وبالفرنسية Silure ولكن هذين الاسمين قد يطلقان على انواع اخرى من هذه الفصيلة

ثم اني قلت في المقتطف ٣٩ : ٦٨ ما يأتي : —

الزِمّير نوع من السمك له شوك ناتىء وسط ظهره وله صخب وقت صيْد الصياد اياه وقبضه عليه واكثر ما يصاد في الاوحال واصول الاشجار في المياه العذبة (تاج العروس) . ثم قلت انهذا الوصف يوافق وصف السمك المسمى Gastrosteus or Stickleback عند علماء الحيوان وذكرت في معجم الحيوان ص ٢٣٥ اني قرأت مقالة في لغة العرب للسيد محمد مهدي العلوي قال فيها الزمير محرّم أكله عند الشيعة الامامية الى آخر ما جاء في معجم الحيوان في الصفحة المشار اليها. ثم كتبت الى عالم كبير من علماء الشيعةفي جبل عامل فاشار عليّ ان اكتب الى العراق . ثم جاءني كتاب من صديقي مصطفى جواد الاديب العراقي المعروف قال فيه ما يأتي :

« الزمير ويسمى في العراق اليوم ابو الزمير يجرح الاولاد عند ما يسبحون ويضطرب كثيراً عند ما يصاد (كما وصفه صاحب التاج) ولهشاربان طويلان وشوك حادٌّ على ظهره » . فقوله له شاربان طويلان دليل قاطع على انه من السلوريات وليس هذا السمك الذي ذكرته في المقتطف لان هذا السمك الذي ذكرته لا شوارب له فالزمير بحسب قول الصديق المحقق وقول الاب انستاس على ما ذكرت في «معجم الحيوان» ص ٢٣٥ وما بعدها نوع من السلّوريات كما تقدم فهو إما الكرَفش Auchenoglanis او الشال Synodontis او مايشبههما وقد اورد بولنجه في وصف سمك النيل اسمين قال يسمى بهما الكرَفش وهما زَمَر وزَرْمَر فالكرفش والشال يوافق وصفهما ما جاء في تاج العروس تمام الموافقة ولكل منهما شاربان طويلان وشوك حاد على ظهرهما كما ذكر الصديق المحقق في كتابه وانما لا يمكن البتّ في صحة الاسم العلمي للزمير ما لم تعرف الاسماء العلمية لانواع السمك في دجلة والفرات ولكنهُ ليس هذا النوع الذي ذكرته في المقتطف للاسباب التي بيّنتها في ما تقدم

عجائب حياة النبات

نبات يزرع ويورق ويزهر ويثمر بلا تربة

مباحث طريفة

من الأمور المشهورة بين الباحثين وقرَّاء المجلات العلمية ان النباتات تنمو نموًّا طبيعيًّا اذا اشتمل غذاؤها على العناصر الاساسية . واكثر هذه العناصر توجد في الهواء والماء والاسمدة التي يستعملها الفلاحون والبستانيون وغيرهم من المشتغلين بالزراعة. فكلٌّ من هؤلاء يعرف ان النترات والفصفات والسلفات وغيرها يحتوي على عناصر لابدَّ منها في تغذية النبات وكثيرون يطلعون على أسمائها في الاعلانات التي تنشر عن تركيب الاسمدة الطبيعية والصناعية. يقابل ذلك في اغذية الحيوانات المواد الزلالية كالبيض والنشوية كالسكر والدهنية كالزيوت والادهان والاملاح على اختلافها. ولكن الباحثين في العصر الأخير كشفوا عن حقيقة جديدة كبيرة الشأن في علم الاغتذاء خلاصتها ان الانسان لا يعيش بالخبز وحده وان غذاء الحيوان الكامل يجب ان يشمل شيئاً آخر عدا الزلاليات والنشويات والادهان والاملاح والماء. وقراء المقتطف يعرفون ان هذه المواد الاضافية هي المواد المعروفة بالفيتامينات . بل قد كشف الباحثون كذلك عن أثر المفرزات التي تفرزها الغدد الصماء في تمثيل الغذاء الذي نأكله اي في استعماله في بناء الاعضاء . فقد كشفوا مثلاً عن وجود عنصر اليود في مفرزات الغدة الدرقية وعرفوا أثره في البناء والنموّ فتلا ذلك صنع مادة تشتمل على هذا الافراز الحاوي لليود يدعى ثيروكسين (وهذا الاسم منسوب الى اسم الغدة الدرقية باللغة الانكليزية Thyroid)

وهذا المثل الأخير يبين للقارىء أثر مقدار ضئيل جدًّا من بعض المواد الكيماوية في نموّ الجسم نموًّا صحيحاً . وكان من أثر الكشف عنهُ في حياة الحيوان ان علماء النبات تنبَّهوا الى ضرورة البحث بحثاً علميًّا مدققاً في مسألة اغتذاء النباتات وهل هو يعتمد فقط على العناصر الاساسية المعروفة او يجب ان يشتمل كذلك على مقادير ضئيلة جدًّا من بعض المواد الكيماوية لكي يكون نمو النباتات نموًّا صحيحاً ? وما هي تلك المواد ?

لقد كشف التحليل الكيماوي عن قائمة طويلة من العناصر تدخل في تركيب اجسام النباتات ولكن وجود هذه العناصر فيها لا يؤخذ دليلاً على ان كلاًّ منها حتمي في غذائها لا يستغنى عنهُ . فما الطريقة الى التفريق بين العناصر التي يستغنى عنها والعناصر التي لا مندوحة عنها. الطريقـة العلميـة المنطقية لمعرفة ذلك هي زرع نبتة معينة في تربة خالية من هذا العنصر

المعين ومراقبة نموّها . ثم اضافة العنصر الى تربتها ومراقبة نموّها كذلك ثم الموازنة بين نموها اولاً ونموّها ثانياً

على ان التربة كثيراً ما تحتوي على مقادير ضئيلة جدًّا من عناصر ومركبات كيماوية تتعذر ازالتها بل يتعذر الكشف عن بعضها بالكواشف الكيماوية . ولما كان الغرض من هذه التجربة ازالة كل اثر — مهما يكن ضئيلاً — لهذه المواد لكي لا يلتبس اثرها علينا باثر العنصر الذي تحت البحث فالتربة لا تصلح وسطاً لهذه التجربة

فعمد العلماء عندئذٍ الى زرع النبتة في ماء مقطر اضيفت اليه المواد اللازمة لنموها اي مركبات العناصر الاساسية مثل نترات الصودا وسلفات المغنسيوم وسلفات النشادر وغيرها فيستطيعون كذلك السيطرة على التجربة باضافة العناصر التي يريدونها بالمقادير اللازمة وازالة العناصر التي يريدونها كذلك ويضاف الى كل لتر من السائل سنتمتر مكعب من محلول طرطيرات الحديد قوتهُ نصف في المائة كل يوم ما زالت النبتة صغيرة حتى تبقى خضراء. فتمتص جذورها من المحلول الغذائي العناصر التي فيهِ وتتناول من اكسيد الكربون الثاني في الهواء ومن الماء عناصر الاكسجين والهدروجين والكربون

***

من نحو ثلاثمائة سنة جرَّب يوهان باتيستا فون هلمنتْ تجربة عجيبة في بروكسل وصفها بما يلي : « اخذت اصيصاً خزفيًّا ووضعت فيهِ مائتي رطلٍ من التربة المجفَّفة في فرن . ثم بلَلْتُ التربة بقليل من ماءِ المطر وغَرَسْتُ فيها خرعوباً من الصفصاف وزنهُ خمسة ارطال . وبعد خمس سنوات بلغ وزن الشجرة التي نشأت منهُ ١٦٩ رطلاً وثلاث اوقيات . ولكن الاصيص لم يوضع فيهِ في خلال تلك المدة شيءٌ الاّ ماءُ المطر ، او ماءٌ مقطَّر لبلّ التربة اذ يقتضي جفافها ذلك . وظلّ الاصيص ملآناً بالتربة محشوكة فيهِ . وحتى لا يسقط عليهِ غبار من الجوّ غطّي بلوح من الحديد مغشّى بالقصدير ، وفيهِ ثقوب كثيرة . ولكنني لم ازن الاوراق التي سقطت في الخريف . واخيراً اخذت التربة وجففتها ووزنتها فاذا وزنها ٢٠٠ رطل ينقصها اوقيتان فقط واذن فالمائة والاربع والستون اوقية من خشب الشجرة ولحاها وجذورها نشأت من الماء لا غير »

التجربة بسيطة كلَّ البساطة ، واللغة التي وصفت بها خالية من كل تعقيد . ولكن ذلك لا يمنع ان النتيجة التي وصل اليها فون هلمنت خاطئة. ذلك ان خشب الشجرة ولحاها وجذورها لم تنشأ من الماء وحده . فلو انهُ اخذ الشجرة وجففها ، طارداً بذلك الماء منها ، لنقص وزنها من ٤٠ الى ٥٠ في المائة ولو انهُ بعد ذلك حرق الخشب المجفف ، لما بلغ الرماد ، الباقي من الشجرة الاّ جزءًا يسيراً جدًّا من وزنها الاصلي

ذلك ان نصف وزن النبات الغض ، مردُّهُ الى الماء الذي تحتويهِ الخلايا والنُسُج النباتية. اما النصف الآخر فمؤلف في الغالب من مواد عضوية يمكن حرقها فتتحول الى ثاني اكسيد الكربون ، وهو احد غازات الهواء . فاذا كان نحو نصف وزن الشجرة ، يرتدُّ الى الهواء ، فمن المعقول ان نحسب ان هذه الغازات امتصتها الشجرة من الهواء في خلال نموّها ، واذن فقد ثبت ان فون هلمنت ، اهمل الهواء في النتيجة التي خرج بها من تجربتهِ ، كمصدر كبير من المصادر التي يستمد منها النبات غذاءهُ . وقد كشف العلماء في القرون الثلاثة التي كرَّت على تجربة فون هلمنت ، ان النباتات تمتصُّ ثاني اكسيد الكربون ، فيتحد بالماء فيها ، ويتحولان بفعل طاقة الشمس الى سكّر ونشاء. وهذا الفعل الطبيعي يعرف بفعل « التركيب الضوئي » Photosynthesis ومن السكر والنشاء تبني النباتات المواد الاخرى التي تستعملها في نموها وتناسلها

ثم اننا يجب ألاّ نصرف النظر عن الرماد الذي يبقى بعد ما يطرد الماء من النبات بالتجفيف وتتحول المادة العضوية الى غاز يذهب في الهواء . ومع ان مقدار الرماد ، ضئيل جداً ، اذا قيس بأقدار المواد الاخرى ، فانهُ يحتوي على عناصر لا غنى عنها في نموّ النبات ونشاطه . واشهر هذه العناصر ، هي الكلسيوم والفصفور والبوتاسيوم والمغنيزيوم والكبريت. وهذه هي العناصر التي تشتمل عليها اصناف الاسمدة الطبيعية والصناعية. بل قد وجد العلماء اكثر من ثلاثين عنصراً في رماد النبات ، ومقادير بعضها ، كالكلور والصوديوم والسلكيون واليود تتباين تبايناً كبيراً في اصناف مختلفة من النبات. بل قد عثر على آثار الخارصيني (الزنك) والقصدير والرصاص والفضة والنحاس ، في الرماد . والعلماء الآن لا يعلمون هل هذه العناصر كلها لازمة لنمو النباتات ، ولكنهم وجدوا ، ان مقادير ضئيلة جداً من بعض العناصر ، كالبور والمنغنيس والخارصيني لازمة للنبات لزوم العناصر التي تحتويها الاسمدة بوجه عام

***

كان الناس يعتقدون حوالي القرن السادس قبل المسيح ، ان النبات يستمد كل غذائهِ من الماء . ولكن النبات اذ يمتص الماء بواسطة جذوره ، يمتص معه المعادن المحلولة فيه . حتى في هذا العصر ترى بعض الناس لا يصدقون ان النبات لا يستطيع ان يتناول دقائق الاسمدة بواسطة جذورها . لان هذا المواد الصلبة يجب ان تنحلَّ في الماء اولاً قبل ان تستطيع ان تخترق الاغشية النباتية في الجذور . واذن نستطيع ان نحيط الجذور بمحلول مائي ، وتستطيع هذه الجذور ان تستمد منهُ كل العناصر اللازمة للنمو . واذن فالتربة ، من الناحية النظرية غير ضرورية لنمو النبات . واننا نجد هذه الحقيقة سهلة الفهم ولكنها لم تكتشف قبل سنة ١٦٩٩ اذ زرعت نباتات في الماء لاول مرة في التاريخ ، على ما نعلم من المدوّنات ، فقد زرع «ودورد» نوعاً من النعناع ، والبطاطس ، في ماء من قناة وفي ماء نهر وماء نبع وماء مقطر.

وكان غرضه ان يعرف هل الماء يحتوي على مواد محلولة فيه ، تكفي غذاء للنبات . وخرج بأن الماء يحمل «المادة الارضية اللازمة» لغذاء النبات

***

وكانت الخطوة التالية ، ان يضيف الانسان الى الماء المقطر العناصر المختلفة ـ المواد الارضية ـ حتى يعين العناصر التي يحتاج اليها النبات والعناصر التي يستغني عنها . وتلت ذلك سلسلة من التجارب قام بها علماء النبات وغرضهم تحديد المقادير المختلفة من العناصر التي تفضي الى النموّ على وجهه الاتمّ . وكانت الخبرة الزراعية العملية ، قد علمت الانسان انَّ النباتات تحتاج الى النترات والفصفات والبوتاسا في التربة . وكانوا قد عرفوا بالاختبار ، ان مقادير معيَّنة من مواد معيَّنة افضل من مقادير اخرى من المواد نفسها . والعلم الآن ، يحدد بطريقة علمية اصلح المقادير من العناصر المختلفة للنبات المختلفة ، جرياً على طريقة غرس النبات في الماءِ المقطَّر واضافة العناصر المختلفة بمقادير مختلفة لمعرفة اثره في نموّ النبات على وجهِ التدقيق

ففي اي شكل من الاشكال نستطيع ان نقدّم هذه العناصر حتى يستطيع النبات ان يغتذي بها ؟ او بالحري ما هي المركّبات الكيمائية التي تصلح غذاءً للنباتات

اشهر الاملاح التي من هذا القبيل هي نترات الكلسيوم ، وسلفات المغنيزيوم ، واول فصفات البوتاسيوم ونترات البوتاسيوم وسلفات (كبريتات) النشادر . اما الحديد فيمكن ان تستعمل طرطيراتهُ او شتراتهُ او فصفاتهُ او سلفاتهُ (كبريتاتهُ) . ثم يجب ان يضاف قليل من الحامض البوريك وعنصر المنغنيس ان كانت المواد الاخرى نقية نقاوة كيمائية . ولا ريب في ان بعض النباتات تحتاج الى قدر من بعض العناصر يفوق القدر الذي تحتاج اليهِ من العناصر الاخرى . بل ان النبتة الواحدة تحتاج الى مقادير مختلفة من عنصر واحد وفي ادوار مختلفة من نموّها

كل باحث مبتكر في غذاء النبات ، يكاد يكون لهُ محلول خاص بهِ . وهي تختلف بداهة من حيث فائدتها في تغذية النبات والغرض من هذه المحلولات تجهيز النبات بالعناصر التي يحتاج اليها ويتناولها من التراب والماء والهواءِ في شكل محلول سهل الامتصاص . فالعناصر التي يتناولها من التربة في مقادير كبيرة هي النتروجين والفصفور والبوتاسيوم والكلسيوم والمغنيزيوم . وقد صنعت محلولات مغذية للنبات ، فيها مقادير متباينة من هذه العناصر . وكان محلول «ساكس» Sachs المحلول الاول الذي دعي بالمحلول القياسي . ولكن اشهرها واكثرها استعمالاً محلول نوب Knop وهو مؤلف من ٤ اجزاءٍ من نترات الكلسيوم وجزءٍ من نترات البوتاسيوم وجزءٍ من كبريتات المغنيزيوم وجزء من اول فصفات البوتاسيوم او ثاني فصفات البوتاسيوم ، وقليل من الحديد . ثم ادخل عليهِ توتنجهام بعض التحسين لاستعمالهِ في تغذية نبات الحنطة .

ثم بسَّطه « شيف » الى محلول يحتوي على فصفات البوتاسيوم ونترات الكلسيوم وكبريتات المغنيزيوم وقليل من فصفات الحديد . واذا استعمل الماء المقطر لحلّ هذه المركبات وجب اضافة مقادير يسيرة من عناصر اخرى

***

ولكن المباحث الحديثة في تغذية النباتات، تشير الى وجوب استعمال محلولات اكثر تعقيداً من محلول نوب او توتنجهام او شيف وقد وجد المستر جونستن الباحث في المعهد السمثصوني الاميركي — وعنهُ لخصنا هذا المقال — ان المحلول المحتوي على العناصر الآتية يصلح لنموّ نبات الطماطم

العنصر	عدد الايونات في مليون جزء من الماء	العنصر	عدد الايونات في مليون جزء من
الكلسيوم	٢٠٠	الفصفات	٧٤
المغنيزيوم	٦٠	المنغنيس	١
البوتاسيوم	٧٨	البور	١
النترات (نترات الصوديوم)	٦٢٠	الحديد	(ما يكفي لحفظ النبات اخضر)
السلفات	٢٩٠		

وكلٌّ ايون من هذه الايونات له أثر فعال في تغذية نبات الطماطم ونمائهِ . فاذا فُقِد ظهر على النبات عارض خاص ، حتى لتستطيع ان تعرف العنصر الناقص من المحلول من مجرد رؤية النبات . فاذا كان المحلول ينقصه البوتاسيوم اصفرَّت الأوراق ثم تعلوها بقع بنّية اللون . واذا كان الفصفور ناقصاً تم اخضرار الأوراق ، واصبحت سطوحها السفلى قرمزية احياناً ، وضمرت الساق. واذا كان الكلسيوم ناقصاً، جفّت الاطراف النامية في الساق ثم تذوي وتموت

***

والطريقة العادية لاستنبات النباتات في المحلولات الكيمائية من دون استعمال أية تربة هي ان تؤخذ البزور وتوضع بين ورقتين مبلولتين من الورق النشَّاف ، بعد وضعهما في طبق من الزجاج والخزف وتغطيتها للاحتفاظ بالرطوبة . فاذا أفرخت البزور وبلغ طول الجذور نصف بوصة او ثلاثة ارباع البوصة نقل الفرخ الى وعاءٍ فيه ماء من حنفية ماء الشرب او الغسيل ، ويكون فوق الوعاء شبكتان احداها فوق الأخرى وتعلو عنها قليلاً فيوضع الفرخ بينهما بحيث تغمس جذوره في الماء . فاذا بلغ علو النبتة بوصة او نحوها ينقل الى المحلول المغذي. وطريقة وضعها في المحلول ان يغطى الاصيص الذي يحتوي على المحلول بقطعة من الفلين مغشاة بالشمع، وفيها ثقوب فاذا وضع ساق الفرخ في الثقب احيط بقليل من القطن لوقايتهِ. واذا كان الاصيص من الزجاج وجب ان يغطى بورق كثيف يحجب ضوء الشمس عن الجذور ، فيمنع تولد الفطريات البحرية

رجال المال والاعمال

للاستاذ عباس محمود العقاد

في جريدة الجهاد

كتب السير والتراجم من أنفع الكتب وأمتعها وأحقها بالتداول والدراسة ، وعناية «المقتطف» بهذا الباب من التأليف قديمة ملحوظة في كتاب «سر النجاح» وكتاب «الروّاد» وفي هذا الكتاب الجديد الذي جعله المقتطف هدية العام الى مشتركيه

ومن اسباب العناية بتأليف هذا الكتاب ان التراجم العربية القديمة مقصورة كما يقول محرر المقتطف الفاضل على الفقهاء والشعراء والادباء والامراء والنحاة . وهو يسأل : «اهؤلاء قوام الامة لا بغيرهم وهم عنوان مجدها وغيرهم بهل همل ؟ ان قال بذلك أبناء العصر الذي كان فيهِ ابن خلكان فهل يقول بهِ أبناء عصرنا هذا ونحن نرى أرباب الزراعة والصناعة والتجارة ملكوا الخافقين ؟ نرى الملوك يقتنون المزارع و المعامل ويشاركون الشركات التجارية في اعمالها ؟ نرى ميازيب الثروة تنهال على ابناء الصناع والتجار. نرى قصورهم وبيوتهم ومتاحفهم وسفائنهم غاصة بكل علق فاخر ثمين، ونحن نسل الامراء والفقهاء والشعراء والادباء عاكفون على التفاخر بالعظم الرميم وتفسير الآيات والاحاديث ونظم المدائح والمراثي ومن حين يشب اولادنا لا يرون امامهم مثالاً يقتفونهُ ويحيكون على منواله الاَّ ما يقرأونهُ في كتب السير عن فلان الفقيه وفلان الشاعر وفلان المحدّث . . .» . والاستاذ الفاضل محق في ملاحظتهِ مصيب في توجيه العناية الى تراجم رجال الاعمال لانهم في كل عصر — لا في العصر الحاضر وحده — عنصر قوي في حياة الامم ومعرض مزدحم بصنوف الدراسة النفسية والاجتماعية ، ولهم من الحق في التاريخ مثل ما يحق لجميع النابهين من رجال الادب والحرب والسياسة

وقد احسن الاستاذ اختيار الامثلة من عظماء الامم الغربية المختلفة فجمع في كتابه سبعاً وعشرين ترجمة بينها تراجم للانكليز والالمان والامريكيين والروس وغيرهم ، وكلها تقرأ كما تقرأ القصص وتفيد كما تفيد كتب العلوم، وحبذا لو اضيف الى الكتاب في طبعاته المقبلة طرف من تراجم الشرقيين الذين برزوا في ميدان العمل والمال في البيئات الشرقية المتفرنجة او المحافظة على عاداتنا الموروثة ، فهذه التراجم أنفع لنا واصلح لهدايتنا لانها من جهة اقرب الينا ومن جهة ادل على القدرة والبراعة لما فيها من ابتكار شخصي قد لا يشاهد في الامم التي انتظمت فيها أساليب التجارة والصناعة حتى اصبحت كالقواعد الحربية في عمومها واطرادها ، ولان تراجم الشرقيين من جهة ثالثة نمط مختلف في الموضوع. فهو تكملة صالحة لانماط التراجم الغربية المبثوثة في الكتاب

ومن راجع هذه التراجم السبع والعشرين خرج منها بحقيقة واحدة لا اختلاف فيها مع اختلاف البلدان والازمان والمقاصد ، وهي ان النجاح في الحياة العملية لا يتم بغير « قدرة وحيلة » او بغير مزيج غريب من صفتين متناقضتين في الظاهر متقاربتين في ملكات الناجحين من رجال المال والعمل، ونعني بهاتين الصفتين القدرة على موافقة البيئة والقدرة على مخالفتها في وقت واحد، واوضح من هذا ان نسميها القدرة على المسايرة والمجاراة والقدرة على التفرد والابتكار

فكل رجل من رجال العمل والمال خلا من هذا المزيج الغريب لا يفلح ولا يبلغ القمة في سباق الحياة العنيف . والفارق بين عظماء الفكر والروح وعظماء العمل والمال في كفاءة النجاح واستحقاق الغلب ان موافقة البيئة شرط لا بد منهُ في حياة الاخيرين يفوتهم فيفشلون وان غنوا بصفات الكمال الراجحة ، ويتيسر لهم فينجحون وان كان حظهم قليلاً من الصفات الانسانية العالية ومناقب الاريحية والايثار . أما عظماء الفكر والروح فلا بد لهم من السجايا التي تراد لصلاح الانسانية في جميع العصور ولا تراد لصلاح عصر واحد او إنسان واحد

ومن هنا تباينت الطريق وتفرقت المطالب فلو ان الناجحين من عظماء العمل والمال طلبوا النجاح بوسائلهم ومزاياهم في معارض الفكر والروح لفشلوا ولم تغن عنهم تلك الوسائل والمزايا ، ولا مناص من التنبيه الى ذلك لكي لا يقع في بعض الاوهام ان العمليين جمعوا أسباب النجاح كلها وفازوا في ميدانهم لأنهم اقدر من الفكريين والروحيين على الاطلاق ، إذ الحقيقة ان المطالب تختلف فتختلف الوسائل ، ولو استعدَّ العمليون بعدتهم وحدها في صراع العظمة الفكرية أو الروحية لأخفقوا كما اسلفنا أشد اخفاق . كذلك لا مناص من التنبيه الى استدراك آخر على الكتاب تشترك فيه كتب كثيرة من هذا القبيل

فالذي يقرأ هذه التراجم لا يرى أمامه من وسائل النجاح الاَّ كل وسيلة شريفة تقرها الآداب والقوانين ، ولا يحسب ان احداً من رجال العمل والمال عمد الى وسيلة تشينه او يستحي من اعلانها عن نفسه ، وليست هذه هي الحقيقة التي يعرفها كل من مارس الحياة ونفذ الى خفايا الصراع العملي في الحضارة الحديثة وفي الحضارات التاريخية المذكورة

فقد يطلع القارىء على ترجمة رجل من مؤسسي المصانع غلب المزاحمين له في صناعته واضطرهم آخر الامر الى ادماج اعمالهم في عمله ، فيخيل اليه ان هذه الصفقات تتم أبداً بوسائل الجد والصراحة والمزاحمة الشريفة، وينسى ان بعض هذه الصفقات لا يتمُّ الاَّ بحيل ودسائس تبلغ حد الخيانة في بعض الاحايين

فمدير المصنع او الشركة الذي يغلب مزاحميه كثيراً ما يلجأ الى اذاعة الاشاعات الكاذبة عن أسهم المصانع والشركات الاخرى ، أو يعمد الى شراء الضمائر ورشوة المطلعين على اسرار البيع والشراء في مكاتب مزاحميه ليلحق الخسائر بأسهمهم ومشروعاتهم ويضاربهم وهو عالم

منهم بالعيوب والمقاتل ، ومن الذين جاءت لهم سيرة في كتاب « المقتطف » من لجأ الى هذه الاساليب واستعان بها على هزيمة المزاحمين فأصاب النجاح

ان تقرير هذه الوقائع واجب على المؤلف لانها حقيقة تعرف وتنفع ، ولانها من الجانب الآخر تكشف عن عيوب الحضارة او عيوب المجتمع في ناحية من نواحيه فتعين على الاصلاح وتدعو الى اجتناب الاضرار . وما دام القصد من سرد التراجم العبرة والقدوة فالسكوت عن ذكر الحقائق كلها يحجب العبر ، ولا يتيح للمقتدي ان يعرف سبيله على هداها ، ولا يعرض لنا الصورة الكاملة لكل ما يجري في الحياة

في كتاب ه . ج ولز « العمل والثروة والسعادة بين بني الانسان » اجمال لترجمة باسيل زخاروف والفرد كروب المشهورين في عالم المال والصناعة توخى فيه الالمام والايماء دون الافصاح والافاضة فأرانا كيف يستحل الرجل ان يبيع السلاح الواحد لابناء وطنه وخصوم وطنه وكيف تجري الدماء وتشتعل الحروب في سبيل الارباح والصفقات . وقال عن باسيل زخاروف : « ولا ريب ان هذا الرجل قضى شطراً كبيراً من حياته في اعداد المجازر البشرية وتزويدها ، ولكن من الظلم والخطل ان يلام على ذلك ، إذ ليس أسهل ولا أقرب من سخط المسالمين العاطفين عليه ، ولكننا جميعاً منغمسون في تلك الدوامة التي دفعت به الى الثروة وعلينا نصيب من التبعة التي تقع عليه ، فان دواعي ضرورية لاطاقة له بمنعها هي التي عبّدت له سبيل حياته ، وكل ما في الامر انه كان من التواضع بحيث أبى ان ينصب نفسه حكماً على أساليب الدنيا المحيطة به وقنع بأن يلاحظها أميناً في ملاحظتها ذكيًّا في فهمها ، وواضح انه كان يسوّغ أعماله أبداً بما تؤدي اليه من كسب المال وهو — اي كسب المال — مما ينبغي ان يكون دليلاً على الخدمة الاجتماعية ، فان لم تجر الامور على هذا الاساس فالخطأ اولاً انما هو خطأ النظام السياسي والعملي ثم يأتي بعد ذلك خطأ الافراد الذين يجمعون المال

« ان تدبير القتل كان في قرارة أساليبنا الفكرية ، فهذا الاغريقي الاناضولي الغارق في ثروته المزدان بأرفع الالقاب المشرفة التي تستطيع فرنسا وبريطانيا العظمى واكسفورد ان تضفيها عليه ، واللاهي في أخريات ايامه بقصر فاخر يديره للمقامرة ، اذا نظرت اليه ووراءه ظهارة من الملايين التي لا تحصى مشوّهين معذّبين مجروحين مجندلين ساغ لك ان تتخذه مثالاً صحيحاً لموروثاتنا السياسية ولم يكن ذلك على وجه من الوجوه ادانة له شخصية ، فان الملايين من ابناء عصره ليودّون ان يصنعوا صنيعه لو فكروا فيه وقدروا عليه ، اذ ليس في أشخاصهم مايحول بينهم وبين هذا الصنيع ، وانما الوزر على المؤثرات التعليمية والاحوال السياسية والاقتصادية والمالية التي حرّضت اولئك الاشخاص » . وما يقال عن زخاروف قد يقال عن كثيرين غيره ، ويجب ان يقال لتنجلي الحقيقة وتتم العبرة وتحسن القدوة



مصابيح علاء الدين العصرية

العين الكهربائية ومعجزاتها العلمية الصناعية



احتشد حديثاً في مصنع باحدى الولايات الامريكية نفرٌ من الناس لمشاهدة مكبس ضخم لسحق الفولاذ تديره الكهربائية ، يبلغ ارتفاعه ٢٥ قدماً وثقله يعادل ثقل اربع قاطرات بخارية، وانيابه الضخمة تسحق ألواح الفولاذ كأنها مصنوعة من الورق

وبينما كان الحشد يرقب دوران ذلك المكبس ، زحزح العامل الفنيّ المشرف عليه ، يده قيد بضع عقد (بوصات) فجاوزت خط الأمان ودخلت منطقة الخطر ، اي دائرة الأنياب الساحقة ، فما لبث ذلك المكبس الضخم ان وقف معلقاً في الجو ، فاغر الفم ، كأنه مسحورٌ ، فلما رفع العامل كفّهُ استأنف المكبس دورانه توّاً

ثم كرّر العامل الفنيّ مداعبة المكبس امام الحضور على النمط السالف الذكر اثنتي عشر مرة فتكررت المعجزة من دون ادنى تغيير . اي انه متى استهدفت كفا العامل الفنيّ للخطر ، بطل دوران المكبس بطلاناً تامّاً حتى ترتفع كف العامل فينفك عقاله

والسرّ في ذلك ، عين خفية مصنوعة من زجاج مغشّى بطبقة معدنية من المعادن الارضية النادرة، ترقب ذلك العامل الفنيّ وهي بطارية كهربائية حساسة بالضوء يسلط عليها شعاع من النور فتعين خط الخطر ، فان قطع امرؤٌ ذلك الخط بكفه ، اعترض الشعاع ، فحجبَ الضوء المسلط على البطارية ، فيقف دوران المكبس بسرعة البرق

وهذه معجزة واحدة من ألوف المعجزات العلمية التي تقوم بها العين الكهربائية . ويتراوح حجمها بين حبة الفول السوداني وحجم اليقطينة

***

والبطاريات الكهربائية الحساسة بالنور اي العيون الكهربائية العصرية ، منافع منوّعة جمة . فتقوم بأهون الاعمال وأعسرها كتصنيف اللوبيا ، وفرز الأزرار، واشعال المصابيح الكهربائية ، وفتح الابواب المغلقة ، واستدعاء رجال المطافىء ، وتوقيت المسابقات ، ووقف المصاعد ، وقياس الكواكب الخفية التي تتعذر رؤيتها بالعيون المجردة

وقد استنبط مبدأ العين الكهربائية «وعملها يشبه السحر» عرضاً كألوف من المستنبطات من زهاء اربعين سنة . وذلك ان هينريخ هرتز Heinrich Hertz العالم الالماني الطبيعي، وهو أول من اعلن وجود الامواج الاثيرية رأى مصباحاً كهربائيًّا قوسيًّا ينبعث منه نور اقوى من نوره المعتاد حينما يتعرض للأشعة فوق البنفسجية التي تتولد من مصباح كهربائي آخر من نوعه

ثم عقبه عالم الماني آخر وهو الدكتور هلواخس Dr. Hallwachs فشرح الرأي المتقدم بقوله : ان المصباح القوسي الاول حينما يسطع نوره على المصباح الثاني يؤثر فيه فترى قضيباً من قضيبي الفحم في الأخير يشتعل سريعاً فتتناثر منه ذرات كهربائية — فكان ذلك أساس اختراع البطارية الكهربائية الحساسة بالنور التي صارت في السنين العشر الغابرة تأتي بالمعجزات في عالم الصناعة

***

وابسط شكل للبطارية الكهربائية الحساسة بالنور يشبه أنبوباً صغيراً من انابيب الراديو يتراوح ثمنه بين سبعة ريالات ونصف ريال و عشرين ريالاً ، ويتوسط الانبوب حلقة إما من البلاتين وإما من النيكل ، ويحيط بالانبوب إما من خارجه ؛ وإما من باطنه ، طبقة من معدن يؤثر فيه النور كالبوتاسيوم او السزيوم،فاذا اتصل ذلك الانبوب بدائرة كهربائية اصبحت الحلقة التي في وسطه قطباً كهربائيًّا موجباً والطبقة المعدنية المبطنة للانبوب قطباً كهربائيًّا سالباً ، وصار الفراغ الذي بينهما في باطن الانبوب بمثابة عازل يمنع مرور التيار الكهربائي ، فاذا اخترق النور ذلك الأنبوب أخذت الطبقة المعدنية المغشّى بها الانبوب تطلق ذرات من الكهرباء السلبية فتتخلل ذلك الفراغ فينشأ منها معبر من الكهارب يسهّل للتيار الكهربائي اختراق الانبوب بأسره

وقد يختلف حجم ذلك المعبر كما تختلف قوة التيار الذي يجتازه وذلك بنسبة تغير النور الذي يخترق البطارية.وبهذه الوسيلة تقطع العين الكهربائية الدائرة الكهربائية وتصلها بحسب الانوار والظلال التي تستهدف لها

ثم ان التيارات الكهربائية الضئيلة التي في البطاريات الحساسة بالنور تتقوّى بالاجهزة المجددة للتيارات ملايين المرات فتستطيع تأدية بعض الاعمال الشاقة التي تقوم بها العيون الكهربائية الآن في عالم الصناعة. ولذلك يرى المرء في منجم من مناجم الفحم في بنسلفانيا أبواباً ضخمة تفتح على مصاريعها عند دنو مركبة نقل الفحم ثم تغلق بنفسها عند ارتحالها . والذي يقوم بذلك شعاعة من النور . وفي ولاية من الولايات الواقعة في غرب المسيسيبي يوزن القمح بجهاز

اتوماتيكي بمثابة ميزان ذي ذراع وكفتين ، فاذا اعترض الذراع شعاعة من النور في النقطة المرغوبة وقف جريان القمح

وفي مصنع من مصانع الفولاذ في ولاية اوهيو ترى السبائك المعدنية التي يبلغ ثقلها عشرة اطنان تندفع وتنجذب بحسب مشيئة الصانع على اسطوانات معدنية ضخمة تتحرك بتأثير الظلال التي تلقيها هي نفسها على العين الكهربائية

ومن عهد قريب تحرَّج موقف شركة تجارية تدير متجراً كبيراً مواجهاً لصرح (امبيرستيت) في نيويورك اذ طرأت عليها مشكلة لم يسبق لها مثيل . وذلك ان مدخنة مصنع تلك الشركة كانت في غابر الزمن قبل تشييد الصروح الحالية في أرجائها ، تقذف دخانها من علٍ يفوق ارتفاع كل ما جاورها من المباني . اما الآن وقد جاورها الصرح آنف الذكر الذي يناطح السحاب ، وهو أعلى مباني العالم، أصبحت مدخنتها عند اعتدال الريح ، تقذف دخانها مباشرةً على نوافذه. وازاء ذلك لم يسع سكان الصرح السابق الذكر الاَّ ان ارسلوا الاحتجاجات تترى الى لجنة مكافحة دخان المصانع ، فقامت هذه اللجنة بانذار ارباب المصنع ، فوقعوا في حيص بيص اذ لا مندوحة لهم عن اثبات حسن نيتهم نحو المتذمرين . وهذا أمر خطير ، والاَّ ثبت عليهم سوء النية واستهدفوا للخطر . فآثر كبار موظفي الشركة أن يستشيروا جماعة من المهندسين الكهربائيين رجاء انقاذهم من ذلك المأزق . فتولى اولئك المهندسون دراسة المسألة فأسفرت عن قيامهم بتركيب رقيب صناعي يرقب سير الدخان . ويؤلف ذلك الرقيب الميكانيكي من شعاعة نور تمرُّ في المدخنة حتى تخترق بطارية حساسة بالنور ، ومتى تكاثف الدخان في المدخنة تكاثفاً يعدو الحد الذي يبيحه القانون ، رأيت الشعاعة الواقعة على تلك البطارية قد ضؤلت ، وسمعت ذلك الرقيب الاتوماتيكي يقرع جرساً منبهاً موضوعاً في حجرة المرجل ، وينير مصباحاً كهربائيـًّا في غرفة رئيس مهندسي المصنع ، ويسجل في الوقت نفسه عدد الدقائق التي يقذف فيها الدخان كثيفاً من تلك المدخنة . فأفضى تركيب ذلك الجهاز الذي يقوم بالتحذير العاجل الى تمكين الوقادين من تنظيم أفران الآلات فانقطعت الشكوى

وعلى النمط السالف الذكر توقَّى البواخر من الحرائق في البحار اذ توضع البطاريات الحساسة بالنور في عنابر البواخر حيث تعرَّض لاشعة النور ، فان شبَّ حريق في اي مكان بالباخرة ونشأ عنه دخان فأخذ يحدث اي تعتيم في أشعة النور المارة بالبطارية، انطلقت صفافير الباخرة منذرة بالخطر . وقد استخدمت آلات منبهة من هذا الطراز في الدور والمتاجر لتنذر القوم توًّا عند شبوب الحريق

وقد اخترع ميزان خاص محتوٍ على عين كهربائية تحدد كثافة الدخان وتبطل الاحتراق وتعين قوة الافران . وأُتيح من عهد قريب بجهاز من ذلك النوع لمصلحة الصحة العامة في

الولايات المتحدة تسجيل قوة الأشعة التي فوق البنفسجية التي تتخلل الهواء المشبع بالدخان فوق المدن الكبرى

واذا ما رُكّبت مرشحات خاصة في البطاريات الحساسة بالنور صارت لا تحس الآ بانواع معينة من أشعة النور . اذن سيصبح من الهنات الهيّنات تقدير نسبة الاشعة التي تحت الاحمر والاشعة التي فوق البنفسجية التي تتخلل الضوء في أي وقت من الأوقات. وسيضاف عاجلاً نهر جديد الى جداول الارصاد الجوية التي تصدرها يومياً مصلحة الطبيعيات في الولايات المتحدة . وقد اخذ العلماء في القيام بتجارب يراد بها تقدير قوة الاضاءة التي تصدر من الشمس على سطح الأرض كل يوم . وكذلك تعيين مقدار نور القمر الذي يسطع كل ليلة وهم على وشك اختراع عين كهربائية خاصة لذلك القصد

***

ومن زمن قريب أثبت احد المخترعين في مدينة نيويورك بتجربة جرّبها أمام الجمهور ، طريقة استخدام بطارية من الأشخاص الميكانيكية تتحكم فيها العين الكهربائية في القبض على اللص الذي يشرع ليلاً في كسر خزانة حديدية حيث رأى الجمهور (بعيد اعتراض شعاعة خفية من الاشعة التي فوق البنفسجية ومنعها من النفوذ الى واجهة الخزانة) تلك الاشخاص الميكانيكية تتحرك في طرفة عين فيصرخ أحدها مستغيثاً للقبض على اللص ، والثاني يشعل مصباحاً كهربائياً صغيراً متألق النور ، والثالث يفتح آلة تصوير فتلتقط صورة اللص المعتدي على حين يطلق الشخص الرابع مقداراً من الغاز المسيل للدموع فيصيب الجاني بعمى وقتي يجعله يتسكع في مكانه حتى يوافيه الشرطي فيكبله

ومن فوائد العين الكهربائية الاستعانة بها على كشف خفايا التزوير — ولذلك جعلت احدى مطابع البنكنوت في اميركا تستخدم طائفة من تلك البطاريات الحساسة بالنور لكي تبين ادنى اختلاف في لون الورق المزمع طبعه بنكنوتاً ليكون جميع البنكنوت بعد طبعهِ من لون واحد فيصبح اظهار الورق المقلد اسهل مما كان . والواقع ان كل درجة من درجات الالوان تعكس مقداراً من النور يختلف عن سواها، وهذا هو اساس الاستفادة من العيون الكهربائية في ميادين الصناعات المختلفة

وفي مدينة ديترويت يستخدم ارباب مصانع السيارات البطاريات الكهربائية الحساسة بالنور لتحديد درجات صهر المعادن، فاذا صهر قضيب من الفولاذ الى درجة معينة في الافران الكهربائية أثّر في عين كهربائية تأثيراً ينشأ عنهُ نقل ذلك القضيب من الكور الى مكان التجفيف

وقد شرعت فئة من علماء الانكليز تستعين بالعيون الكهربائية على البحث عن انواع جديدة من الفولاذ وذلك في جامعة شفيلد لان تلك العيون تسجل درجات الحرارة عند ارتفاعها وانخفاضها في افران التجارب الكهربائية وتبين بالضبط تغيرات المعادن بالالوان

***

ولما كانت القاعدة المتبعة في مصانع السيجار الفاخر ، جعل الطبقة العليا في كل علبة محتوية على سيجار من لون واحد ، وجب اختيار اوراق التبغ من لون واحد ، ويتمُّ ذلك بالبطاريات الكهربائية الحساسة بالنور لانها اسرع من البشر واتقن عملاً

وتقوم العيون الكهربائية ايضاً بعملية توفيق درجات الوان الاقمشة الدقيقة والصبغات بعضها مع بعض . وقد اخترع من عهد قريب مقياس يبين ادنى فرق مما لا يستطيع تبيانه ابرع الخبراء . ومن هذا القبيل ان احد اطباء لندن اخترع آلة بديعة قوامها العين الكهربائية تميز درجات الالوان بعضها من بعض فتفرز الدهان (البوية) او الصبغة بحسب درجات الوانها الاصلية وتبين النسب الصحيحة لكل منها. وعلى هذا الاسلوب يتسنى الحصول على مثيل لايَّةِ درجة من درجات الصبغات او الادهان المجهولة في اي وقت من دون انفاق نفقات كبيرة في التجارب

ثم ان الهيموجلوبين اي المادة الملونة للدم تقدر في المستشفيات بالعين الكهربائية . وفي ادارة احدى الجرائد بمدينة نيويورك جهاز عجيب يخيل لناظره (كأنهُ مخرطة) يقوم بحفر الصور وتلوينها بثلاثة الوان وذلك في $\frac{1}{٦٠}$ من الوقت الذي كانت تستغرقهُ الطريقة القديمة اي الحفر بالاحماض . وقوام ذلك الجهاز البطاريات الكهربائية الحساسة بالنور — ويوفر اصحاب الجريدة كل اسبوع بهذه الوسيلة الف ريال . واجرة حفر البوصة المربعة (بالمخرطة الكهربائية الحساسة بالنور) في الواح الصور التي تطبع في الجرائد — المكونة من نقط بيض وسود — $\frac{٣}{٤}$ سنت

***

وللعيون الكهربائية منافع اخرى في اصدار الجرائد اليومية ففي احدى الولايات الامريكية ترى المطابع مركباً فيها اجهزة اتوماتيكية تقف المطبعة حالاً اذا انفكت لفة ورق الطبع ، وذلك ان النور (الموجه من اسفل مستودع الورق الذي تتغذى منهُ المطبعة الى اعلاه) يخترق البطارية الكهربائية الحساسة بالنور اذا انفك شريط الورق فيتوفر بذلك مقدار كبير من الورق والوقت

وفي مدينة نيويورك صحيفة يومية يستخدم اصحابها مقياساً ركبت فيهِ عين كهربائيـة

لتقدير مبلغ شفوف لفات الورق المزمع استعماله لطبع الجريدة ويبلغ ما يفحصهُ ذلك المقياس في اليوم الواحد ٥٠٠ مثال من ورق الطبع لكي ينتقي منها افضلها للنشر اراحةً لعيون القراء

ومنذ بضعة اشهر حلّت العين الكهربائية معضلة اخرى من المعضلات الفنية في منابع النفط بولاية تكساس باميركا وذلك ان البنزين حين تقطيره يجب جعله كلهُ ذا لون واحد لان البنزين الذي يكون لونهُ أقتم من الدرجة القياسية يكون محتوياً على مقدار كبير من الكربون — ولذلك لا بدَّ من تعيين رقباء خصوصيين في مصانع التقطير ليراقبوا عن كثب انابيب الغاز التي يسري فيها البنزين — ولما كانت العيون البشرية عرضة للتعب فانهُ كثيراً ما يحدث التغير في لون البنزين دون شعور الرقيب ولذلك استبدل الرقباء البشريون بالعيون الكهربائية الحسَّاسة بالنور لانها لا يعتريها التعب وذلك ان اشعة النور تخترق الانابيب فتصل الى العيون الكهربائية فاذا كان في لون البنزين ادنى تغير احدث تغيراً في مقدار النور المتصل بالبطاريات فتحدث صوتاً منبهاً

وتستخدم العيون الكهربائية في الصور المتحركة الناطقة وفي التلفزة وفي ارسال الصور بالتلغراف وفي الراديو وذلك لان معدن السزيوم المبطن لزجاجة العين الكهربائية يتأثر بالاشعة الحمر التي يغلب وجودها في النور الصادر من المصابيح الكهربائية العادية التي تستعمل في دور السينما الناطقة والتلفزة

***

وفي المصانع التي تصنع فيها العيون الكهربائية ترى الصناع يفجرون حبيبات السزيوم في بواطن الانابيب الزجاجية فتنتشر فيها انتشار الاسمنت على واجهات البيوت المزمع تبييضها من الخارج . ويحدث انفجار تلك الحبيبات السزيومية من الحرارة التي تتولد من امواج لاسلكية تسلط على الانابيب بعد تفريغها من الهواء . ومع ذلك فان جميع المعادن تتأثر بالنور بدرجات مختلفة حتى الحديد . وقد جرَّب المخترعون تبطين انابيب العيون الكهربائية بالزنك فتحققوا ان افضل المعادن لتلك الغاية هي المعادن النادرة وهي السزيوم والتاليوم والربيديوم لانها اشد تأثراً بالضياء من غيرها

وحدث في ذات ليلة منذ بضعة اسابيع في مطار اوهيو ان ازمعت طيارة ضخمة النزول في ميدان الطيران اذ كان الظلام حالكاً . وما دنت الطيارة من الارض حتى برز بغتة سهم من نور ابيض انبثق من مصباح صغير كشاف مركب في جؤجؤها فأخذ ذلك الضوء يتفحص ميدان الطيران حتى اخترقت شعاعته بطارية كهربائية حساسة بالنور كانت موضوعة بجوار مستودعات الطيارات فأشعلت البطارية توّاً مصابيح الميدان الكهربائية استعداداً لنزول الطيارة . وقد اخترع جهاز اتوماتيكي يتمكن بهِ ربان الطيارة وهو محلق في الجو من اشعال

مصابيح ميدان الطيران ، فثبت نجاحه. واخترع جهاز آخر شبيه له يتيح للطيار اطفاء مصابيح المطار عند طيرانه وذلك بشعاعة يطلقها من الجو عند رحيله

***

وفي دار الكتب العامة في نيويورك بطارية كهربائية حساسة بالضوء تعدُّ زائري تلك المكتبة ليلاً ونهاراً . وتستعمل عشرون عيناً كهربائية لاحصاء جميع السيارات التي تجتاز قنطرة «السفير» الكائنة بين مدينتي ديترويت على بحيرة متشيغان ومدينة وندزور في كندا . وفي الارضية الخرسانية في نفق هولند الممتد تحت نهر هدسون الموصل بين مدينتي نيويورك وجرسي عيون كهربائية تحصي عدد السيارات التي تجتازه . وعند تقاطع شارع ترنتون بشارع لينكون الملكي في مدينة ويلكنسبرج بولاية بنسلفانيا يرى المرء نوراً اخضر دائماً لارشاد حركة النقل والانتقال ولكن اذا دنت سيارة من زاوية افريز الشارع حيث تقل حركة النقل والانتقال بالنسبة لباقي الشارع ترى ذلك النور قد تغير فصار احمر حتى تمر السيارة فينقلب اخضر كما كان كأنه مسحور ، وذلك متى دنت السيارة من ذلك المكان . ويحدث هذا التغير من بطاريات كهربائية حساسة بالضوء الممتد على قارعة الطريق من تلقاء نفسها

ومن اعمال البطاريات الكهربائية الحساسة بالنور ما يأتي : فتح حنفيات الشرب العامة اذا دنا منها المرء منحنياً ليروي ظمأه . واغلاق ابواب مستودعات السيارات عند الرحيل منها . وقطع القضبان الفولاذية عند خروجها من الكور ساخنة متساوية الاطوال بمعدل ١٥ ميلاً في الساعة . والكشف عن بقع الصدأ والثقوب والمواضع الرقيقة في الواح المعادن وفرز وتصنيف الرقاع في اضابيرها في كثير من دوائر الاعمال بحسب الحروف الابجدية التي تحفر في الورق المقوَّى . وربَّ سائل يسأل وماذا ينتظر ايضاً من معجزات البطاريات الحساسة بالنور؟ فنقول: بقيت معجزة المعجزات ونعني بها تحويل ضوء الشمس تياراً كهربائيًّا ! كما يعتقد كثيرون من العلماء . ولهذه الغاية يقوم فحول علماء الطبيعة في انحاء شتى من العالم بمباحث في المواد الحساسة بالنور ومنهم الدكتور برونولنج في المانيا الذي يستخدم شطائر كيماوية يتمكن بها من توليد نور كهربائي مستمر أثناء الليل واطراف النهار بتيارٍ مقتبس من الشمس (وقد فصِّلَتْ هذا المخترع في باب الاخبار العلمية في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٣١) ومع ان جميع الاجهزة التي اخترعت حتى اليوم للظفر بهذه الامنية ما تزال غير صالحة للاستعمال التجاري بيد ان كثيرين من الخبراء موقنون بأن المباحث، التي اثيرت بالاعمال المدهشة التي تؤديها البطاريات الحساسة بالنور، التي تعد اعجوبة عالم الصناعة العصرية، لا بد ان تصل يوماً من الايام الى وسيلة ممكنة لاقتباس القوة من نور الشمس

عوض جندي [عن مجلة العلم العام]

الحسناء العمياء

يا ويح كفٍّ للعمى نكراء		عبثت بهذي الطلعة السمحاء
مسَّتْ ضياءَ جمالها نخبا وهل		تُزهى السماءُ بغير ضوء ذُكاء ؟
ومحتْ بشاشتها وغشَّت بالاسى		منها مكانَ البسمةِ الغرَّاء
وكست معارفها السهوم وَجللت		قسماتِها بغمامةٍ دكناء
قدَرٌ عسير قد دهى الحسناءَ في		كبرى مفاتنها بشرّ قضاء
فأقامها دون الحياة وذادَها		عنها بأوهن حائلٍ وغشاء
جوْراً وألزمها على شرخ الصبا		صمتَ الشيوخ وسكنة الحكماء
وأحالَ عيشتها دجًى موصولةً		يا طولها من ليلةٍ ليلاء

***

نجمانِ لو مُنِحا الضياءَ تألّقا		عن فرط حسن او غريب ذكاء
طُفِئا فلا مُذكٍ لنورهما الى		يوم انطفاء الانجم الزهراء
هاجا من الاشجان بي ما لم يكن		ليهيج لحظ الاعين النجلاء
فاغرورقت لهما الجفونُ بدمعٍ		قد بات في الاحزان طوع ندائي
ليت السَّنى من مقلتيَّ وإن يكن		لم يبق منهُ اليومَ غير ذماء
كان الفدى لهما فتسعَدَ روحها ٭ من بَعد طول الهمّ والبرحاء
—لو رُدَّ حكمٌ للطبيعة جائرٌ		بجزيل بذلٍ او جليلِ فداء—
فترى الحياةَ كما تشاء وما بها		من منظر حَسَنٍ ومن نعماء

وترفُّ حالية لها الدنيا كما رفّت لكل مليحة حسناء

***

يا ربّة الحسن الاسيف أمسعدٌ لك مِن عزاءٍ ثَمّ او تأساءِ ؟
هل ثَمّ من امل يشعُّ شعاعه لك في غياهب هذه الظّلماء ؟
ماذا لقيتِ من القلوب وحالها وبلوت من حب ومن بغضاء ؟
هل ثَمّ من خِدنٍ وذود مخلص لك لم يحدْ عن صحبة ووفاء ؟
او ثَمّ صبٌّ في هواك متيم يَفديك لو وافيتِ بالحوباء ؟
او سربُ افئدة يزاحم بعضُها بعضاً عليك تزاحُم النُّظراء ؟
امسيتُ انظر لا ارى من يحتفي بك غير رهط الآلِ والأجراء
قد غبتِ عن بال الورى منسيةً فاذا ذُكرتِ دُعيتِ بالعمياء
فارضيْ بذاك فما هنالك غيره هذا نصيبك من هوى وولاء
يكفيكِ من وُدّ الورى ان تأمني منهم بوادرَ نظرة استهزاء
ما في قلوب العالمين مودّة لذوي الشقاء وشيعة البأساء
لا تبتغي ودًّا لديهم واحذري منهم ظواهرَ رحمةٍ ورثاء
شرُّ البليةِ ما ارتْ بك حاجة لرثاء هذي الانفس الصماء
والموت اشهى للابيِّ النفس من عطفِ الرُّثاةِ عليه والرحماء

***

يا ربة القلبِ الحزين همومنا لو تعلمين سُوًى وداؤك دائي
قلبي يكابد كلّ يومٍ ما ارى في سيميائِك من اسىً وعَناء
وبمهجتي قدعشت اصحبهُ ضنىً لا يُستطبُّ لمثله بدَواء

فخري ابو السعود

عناق العلم والفلسفة

على ذكر كتاب « الفلسفة في كل العصور »

لنقولا حداد

الله اعلم في اي دور من ادوار الحياة العقلية شرع الانسان يتفلسف . على ان الراجح انهُ مذ بدأ يلاحظ ظاهرات الطبيعة اخذ يحاول تفسيرها بمقابلة بعضها ببعض في مختلف المكان والزمان وموازنة تأثيراتها . ولذلك يحتمل ان تكون الفلسفة قد نشأت مع العلم ، اذا لم نجرؤ على القول انها نشأت قبله

ولا مشاحة ان الفلسفة نشأت منذ نبضت في العقل الانساني قوى الاستدلال والاستنتاج والتجريد Abs raction . ولا ريب انها بدأت تنضج قبل العلم لأن اساس العلم الاختبار عن طريق الحواس، ثم الامتحان والتجربة . والحواس وان استطاعت نقل التأثيرات الخارجية الى المراكز العقلية في الدماغ فلا تستطيع دائماً ان تنقل كنه حقائق المؤثرات ، اي حقائق الاشياء المادية التي تصدر تلك التأثيرات . فقد يتراءى الشيء بواسطة تأثيراته خلاف حقيقته التي تظهر بعد التحقيق عن كنهه

لذلك يمكننا ان نزعم ان الفلسفة والعلم جريا في فسحات التاريخ صِنْوين او فرسي رهان. بل يمكننا ان نقول انهما مشيا ممتزجين أمداً طويلاً قبل ان صار متسنياً الفصل بينهما . والغالب انهُ بعد ان تمايزا كانت الفلسفة اضخم من العلم لان آلتها المنطق وهو قائم في العقل نفسه . وآلة العلم الاختبار والامتحان وهما خارجان عن العقل فلم يتيسرا ببحبوحة للفلاسفة والعلماء القدماء كما هما متيسران الآن

وقبل ان نتمادى في مماشاة العلم والفلسفة منذ عهد تمايزهما يجب ان نعرّفهما او ان نذكر الفروق الرئيسية بينهما على الاقل

***

العلم يجمع المعلومات الناتجة عن المشاهدات والاختبارات والامتحانات العملية. والفلسفة تقابل تلك المعلومات بعضها ببعض لتكشف ما بينها من صلات وروابط عسى ان تكشف من ورائها ناموساً طبيعيًّا (او عقليًّا) او مبدأً عامًّا هو وسيلة الارتباط

العلم يبحث في الكون وفي المادة الخ وفي دقائقها وفي تأثيراتها — يبحث لا عن شيء

معين بل عن كل مجهول . فما يجده في اثناء بحثهِ يقول : هذا ما وجدناه. وأما الفلسفة فتضع نصب عينيها غرضاً معيناً تبحث عنه في الصلات والارتباطات التي بين تلك المعلومات التي وجدها العلم

فالعلم شبيه بشخص ينقب في الارض ليستخرج ما فيها وهو لا يدري ما فيها مما له قيمة كذهب او فحم او صدف الخ . فما يجده يعرضه على الخبير لكي يفرز كل صنف لصنفه . والفلسفة شبيه بشخص يبتغي شيئاً معيناً — ذهباً او فضة او اي شيء بعينهِ . وقد استدلَّ على وجوده في الاحافير التي احتفرها ذلك المنقب . فيجعل يغربل تلك الاحافير لكي يستخرج منها الذهب او الشيء الذي يبتغيه . فالعلم يقدم الغذاء للفلسفة

كثيراً ما يقرر العلم معلومات مخالفة للحقيقة وهو يجهل خطأه . ولا يندر ان تكتشف الفلسفة خطأه قبل ان يكتشفه هو بالاختبار والامتحان . مثال ذلك : كان العلماء الاقدمون يعتقدون ان الارض جسم مسطح ثابت فوقه سبع سموات مقبَّبة تتحرك فوقه حركات متفاوتة ومستدلّين على ذلك من تحرُّك السيارات التي لاحظوها . ولكن فيثاغورس وبطلميوس لم يرتاحا لهذه النظرية . وبما لهما من النظر الفلسفي قالا بكروية الارض ووجودها في مركز تجويف الكرات السماوية . وبعد نحو بضعة عشر قرناً قال كوبرنيكوس بمركزية الشمس ودوران الارض كسائر السيارات حولها . لم يقل ذلك عن اختبار وتحقيق عملي بل عن تفلسف نظري . فجاء كبلر ومن بعده واثبتوا بالاختبار العملي والرياضي صحة هذه الفلسفة

وكان الفلاسفة الاقدمون يتكهنون بأن المادة لا بد ان تكون مؤلفة من ذرات دقيقة جداً لا تقبل الانقسام. فلما نضج علم الكيمياء اكتشف الجوهر الفرد مؤيداً نظرية الفلسفة. ثم نضج علم الكهربائية فنقل نظرية الفلسفة من الجوهر الفرد الى نواته وكهربه . ويحتمل جداً ان تنقض الفلسفة تلك النظرية القائلة بعدم امكان انقسام الذريرة القصوى وتقيم بدلها نظرية امكان الانقسام الى ما لا نهاية له ، على اعتبار ان كل جسم ، مهما كان صغيراً ، لا بدّ ان يكون ذا طول وعرض وعمق والاَّ فهو عدم ، وما لهُ هذه الابعاد يحتمل التجزئة الى اجزاء لها هذه الابعاد. وكان العلم في القرنين الاخيرين يقرر نظرية الاتصال اي ان اجزاء المادة ملامسة بعضها بعضاً بحجة ان الحركة لا تنتقل من ذرة الى ذرة الاَّ لانهما متلامستان . ولكن الفلسفة كانت احياناً تقول ان نظرية الاتصال تجعل تفسير بعض الظاهرات مستحيلاً بالضغط او الانضغاط والتحول والتقلص والمرونة الخ ولذلك قالت بالانفصال واخترعت الاثير وسيلة لانتقال الحركة من ذرة الى ذرة بعيدة عنها

***

وكما ان العلم يحتمل ان يخطىء في تقرير معلوماته كحقائق فالفلسفة ايضاً يحتمل ان تخطىء في تقرير نظرياتها . بل هي اكثر عرضة للخطإ من العلم لانها لا تستند الاَّ الى المنطق وهو

محصور في قفص العقل. مثال ذلك كانت فلسفة سبنسر المبنية على ناموس التطور الدارويني (التركيبي) وعلى ناموس الجاذبيـة النيوتوني تقول ان الاجرام السماوية تتجمع رويداً بفعل الجاذبيـة الى ان يهبط بعضها على بعض وتتصادم تصادماً عنيفاً جدًّا وتلتهب ثانية وتتمدد بقوة حرارتها المستجدة الى سدم وتستأنف حياتها ثانية . ولكن اكتشاف قوة الدافعية (الكونية Cosmic expustion من جراء مباحث هبل ودي ستر وأرصادها اظهر نقيض فلسفة سبنسر اي ان الاجرام تتشتت في الفضاء ولا تتجمع ، وبحسب تقريرات العلم الحديث تذوب تشعماً

الفلسفة خلقت الاثير لتعليل انتقال الامواج النورية ولكن الاثير لم يثبت امام تحقيقات العلم الحديث بل خلع عن عرشه كحاكم لم يبق له لزوم . وسيبقى مخلوعاً الى ان يصادف العلم عقبة لا يمكن تخطيها الاَّ بواسطة الاثير فيعاد هذا الى عرشه

وبعد اكتشاف داروين تسلسل الاحياء وتنوعها نشأت فلسفة « تنازع البقاء » و« بقاء الانسب » فحاول كثير من المتفلسفين ان يطبقوا هذه النظرية على كل ضرب من ضروب الحياة حتى الحياة الاجتماعية ، فسرت في اواخر القرن التاسع عشر نظرية السوبرمان (الانسان الاعلى او الامثل) ونظرية ان الحرب سنة طبيعية . فكادت تدك هذه النظرية صروح النظم الاجتماعية الى الحضيض . ولكن ما لبث العلماء الاجتماعيون ان تداركوا هذا الخطر المهدد المجتمع الانساني بتفسير اوسع لناموس تنازع البقاء بمعنى ان هذا الناموس ليس حرباً عمياء او بالاحرى ليس تنازعاً للبقاء اعمى يمزق الجماعات ، بل هو غربلة للانواع والجماعات وفرز لمتبايناتها بعضها من بعض توطئة لتجمع المثل مع المثل وتأليف مجتمع من الجماعات اكبر

ومع ان داروين لم يدَّع الفلسفة فقد كان في كثير من مباحثهِ فيلسوفاً صائب الرأي وفي بعضها كان مخطئاً . فقد تفلسف في مسألة تعليل كيف ان المولود يقتبس من والديهِ مزاياهما او معظم خواصهما الجسدية فزعم ان جرثومتيهما (الذكر والانثى) تأخذ من كل عضو من اعضائهما ذريرات سماها Gemules وكل ذريرة منها تنشيء في كل عضو من الجنين مثل ملامح العضو الذي اخذت منهُ من الوالدين . ولكن علم البيولوجيا الحديث اثبت فساد هذه النظرية بما اكتشفهُ من بزيرات الكروموسوم في الجرثومة الاولى ومن طبائعها المختلفة التي تحدد للجنين الاتجاه الذي تتجه اليهِ في تكوين الاعضاء مماثلة بالمزايا والصفات لصفات الوالدين

***

اذن ، كلا العلم والفلسفة عرضة للضلال . ولكن العلم القديم كان اضلَّ سبيلاً من الفلسفة لفقرهِ في وسائل الاختبار والامتحان والتدقيق في المشاهدة والمراقبة. فكانت الفلسفة تدرُّ به الى الصواب ما استطاعت بقوة المنطق والاستدلال والاستنتاج

اما اليوم فقد اصبح العلم اقل ضلالاً جدًّا من قبل لانهُ استخدم من الآلات والعدد

ما يضاعف مدى حواسهِ ولاسيما بصره وسمعهُ وشعوره بالحرارة والمقاومة . واستطاع ان يدخل بواسطة تلك الآلات الى اعماق المادَّة وان يصل الى ابعد ما يمكن من اقاصيها . فاصبح يقود الفلسفة وراءه او يتأبطها لكي يستفتيها حينما تلتبس عليهِ الحقائق او تختلط ويطمس بعضها بعضاً

وحاصل ما تقدم ان العلم نشأ الى جنب الفلسفة او هي نشأت الى جنبهِ . ثم صار ضلعاً منها في بدء نضوج العقل البشري . ثم انفصلا وتمايزا عمراً طويلاً نحو ٢٠ قرناً . ثم تضخَّم العلم جدًّا وانطوت الفلسفة تحت لوائهِ كمستشار له في الازمات . ولك ان تقول ان الفلسفة اصبحت كعدَّة من جملة عدد العلم وآلاتهِ . وقد تندغم في المستقبل بالعلم وقد تتلاشى فيهِ بمعنى ان كل عالم سيصبح فيلسوفاً في علمهِ بل يجب ان يكون فيلسوفاً لكي يستطيع الاستمرار في بحوثهِ . وان بقي محلٌّ للفيلسوف المستقل عن العلم فهو الفيلسوف الذي يمكنهُ ان يحيط علماً بكل دقائق العلوم والفنون لكي يستخرج منها مبادىء فلسفية عامة . وليس بعسير على عصر العبقريات ان ينجب فلاسفة كهذا يكونون اعظم من الفلاسفة المتقدمين

***

لكل علمٍ وكل فن فلسفته الخاصة . ولكل فيلسوف بل لكل عالم نظريات خاصة في فلسفتهِ او علمهِ . فلأصل الوجود وللمادة فلسفة بل فلسفات وكذلك لكل من الحياة والعقل والآداب والاخلاق والاجتماع والسياسة والاقتصاد والفنون واللغة الخ . فلا يمكن ان تحصر الفلسفة في بحث عام شامل . بل يتعذَّر على عبقري واحد اليوم ان يتفلسف في كل شيءٍ من غير ان يضل السبيل في بعض الاشياء او يتغلب وهمه على الحقيقة ويموّه عليها في مقدماته ونتائجهِ . ولذلك تعدّدت نظريات الفلاسفة كثيراً وتضاربت وتباينت وتصادمت في مواقف كثيرة حتى صار يتعذر على دارس الفلسفة ان يستوعب فلسفة كل فيلسوف ويوازن بين الفلسفات العديدة ويستخرج منها حكماً اقرب الى الصواب . فلذلك تقلص درس الفلسفة اليوم الى ان انحصر في درس تاريخها ، وهو درس تطوُّر الذهن البشري في التفلسف منذ القديم الى اليوم في خلال درس خلاصة الفلسفات المتنوعة والمتعاقبة

وهذا ما اقدم عليهِ صديقي الاستاذ حنا خباز في تلخيصهِ الآراء الفلسفية منذ القديم الى اليوم في كتابهِ « الفلسفة في كل العصور » في ثلاثة مجلدات ظهر منها اولها حديثاً مشتملاً على الفلاسفة منذ القديم حتى القرن التاسع عشر

ولا بدَّ ان يستغرب القارىء اقدام المؤلف بل جرأته على هذا العمل العظيم الذي تهيبه نوابغ العلم والفلسفة في غير الشرق . ولكن لنوابغ الشرق اقداماً يدهش الغربيين كاقدام النابغة بطرس البستاني على انشاء « دائرة المعارف » ثم اقدام العلامة محمد فريد وجدي على انشاء دائرة اخرى بعده، واقدام افراد آخرين على اعمال اخرى لا يقوم بها في الغرب الاَّ جماعات.

ولكن لمؤلف «الفلسفة في كل العصور» جلداً ومثابرة في الدرس والتفكير يجرئانهِ على الاقدام على هذا العمل الخطير . ومع ذلك فهو حاذر ان يصوغ مواد كتابهِ صوغاً شخصيًّا تفادياً للضلال ، بل انتقى مواد كتابهِ انتقاءً دقيقاً من مؤلفات أساطين العلماء الحديثين الذين كتبوا في الفلسفة وتاريخها

***

فاذا درست هذا الكتاب ارتسمت في ذهنك سلسلة طويلة متعدّدة الحلقات ومتنوّعتها عن تدرج الفلسفة منذ نشوئها الى اليوم . ومنها تتكوّن في يقينك كيفية تطوُّر الذهن البشري في تعليل الوجود وظاهراته المختلفة وردّ الفروع الى اصولها . وربما خرج القارئ من مطالعة هذا الكتاب بالخلاصة التالية : يمكن ان تتبوَّب الفلسفات هكذا :—

١ً — فلسفة الوجود او الكون — كيف وجد وكيف يتصرف

٢ً — فلسفة المادة الشاغلة الحيز الكوني

٣ً — فلسفة الحياة

٤ً — فلسفة العقل ، والمنطق والرياضيات

٥ً — فلسفة الاجتماع } ويدخل تحتهما فلسفة الشرائع والحكومات

٦ً — فلسفة الاخلاق والآداب } وفلسفة الاقتصاد

٧ً — فلسفة الفنون

هذه الفلسفات تمشت معاً يصاحب بعضها بعضاً في سلم الرقي في العصور الاولى حتى عصر سقراط وافلاطون وارسطو حيث اندفعت الفلسفات الثلاث الاخيرة— الاجتماع والاخلاق والفنون — اندفاعاً عظيماً سابقة اخواتها شوطاً بعيداً ، وفلسفة العقل تجري وراءها بسرعة اقل من سرعتها . واما الفلسفات الاخرى الثلاث الاولى فبقيت تمشي الهوينا حتى القرن الرابع عشر اذ جعلت تسير سيراً حثيثاً . وكانت كلما تقدَّمت اسرعت حتى ادركت في القرن الاخير سابقاتها ثم تجاوزتها جامحة امامها ومحرزة قصب السبق بتفوُّق عظيم

ومعنى هذا الترتيب في السباق ان فلسفة الاجتماع والاخلاق كانت متضخمة جدًّا في الدور الثاني الذي يضم سقراط وافلاطون وارسطو حتى كادت تبلغ المثل الاعلى . وبعد ذلك العصر لم تتقدم كثيراً ، على انها لا تزال الى الآن المورد العذب الذي يستقي منه علماء العصر وفلاسفته ، ولا تزال موضوع تمجيدهم ايضاً

واما فلسفة الوجود والمادة والحياة فلا ينتظر ان تكون في اوائل عمرها البطيء الاَّ ضئيلة بل سخيفة ملأى من الاوهام والخرافات والتخرصات التى صار العقل الحديث يستهجن جوازها في العقل القديم . ففي الدور الاول كان طاليس يحسب العنصر الاول الماء مستنداً

الى مشاهدة ما للماء من خطورة الشأن عند الحيوان والنبات والاتصال بين القارات (المعروفة حينئذٍ) وكون الارض عائمة فيه . وهيرقليطس حسب النار العنصر الاول

واغرب ما في سخافات الفلسفة القديمة ان الفيثاغوريين حسبوا الاعداد اصل الأشياء لانها اصل العلوم الطبيعية ولان النغم الموسيقي مرتبط بالنسبة العددية وان بعض الاعداد تتكرّر في ظاهرات طبيعية جمة. وان شئت ان تستقصي السبب لحسبانهم الاعداد اصل الاشياء وجدته سخيفاً جداً . فقد حسبوها جوهر المعدودات. وفيلولاوس فسرها بان الاعداد في نظر الفيثاغوريين اشياء ذاتية لا رموز . ولا متسع هنا لشرح التفسير وانما لا غرابة في منحهم الاعداد هذه القيمة بجعلها اصل الاشياء لان الرياضيات كانت لعصرهم ارقى علومهم بل كانت في غاية الرقي حتى بالقياس الى عصرنا الحاضر . واذا لم يكن من ثمارها الاّ اكتشاف فيثاغوراس قضية المثلث القائم الزاوية (مربع وتره يساوي مجموع مربعي ضلعيه) فكفاهم به فخراً وكفى هذا الاكتشاف ان يعظم شأن الاعداد عندهم . لأن هذه القضية وسعت دائرة الحساب الرياضي والفلكي وصارت اساساً لعلم حساب المثلثات المبني عليها وهي الملجأ في اكثر القضايا الرياضية حتى قضايا نسبية انشطين

كذلك عبروا عن السيكولوجيا بالاعداد . فالعقل عندهم واحد والمعرفة اثنان والرأي ثلاثة والحس اربعة ومجموعها عشرة . وهي منتهى الاعداد الاولية الأصلية

ثم جاءَت فلسفة زينون فعلمت بالعناصر الاربعة الاصلية الماء والهواء والنار والتراب وبقيت هذه الفلسفة عدة قرون اساس الاصول

ومن الاوهام غير المعقولة في فلسفة هيرقليطس ان «النار هي اصل الجسد والنفس . فاذا فارقت النفس الجسد صار بارداً عقيماً . النفس هيئة محفوظة في اقدس صورة. وكلما زاد الجسد جفافاً زادت النفس حكمة. فاذا اطفأتها الشهوة تلف العقل. بالنار تتغذّى وتدخلها النار بالتنفس»

ولا متسع لسرد الأمثلة على نظريات اولئك الفلاسفة في اصل الوجود . فهي كثيرة ومختلفة ومعظمها تذهب هباءً امام علم العصر الحديث وفلسفته . ولا غرو ان تكون كذلك لانه لم يكن لاولئك العباقرة سند غير التفكير العقلي بل كانوا فقراء جداً بالوسائل الاختبارية

مع ذلك نجد في نظرياتهم كثيراً من جراثيم الحقائق التي اثبتها العلم اليوم وهي شواهد ناطقة على سعة مداركهم وعمق تصوُّراتهم وعلى عبقريتهم التي لا تفوقها عبقرية

فمن ذلك قولهم بتأليف المادة من ذريرات متماثلة، واختلاف ترتيبها سبب اختلاف صور المادة . فاريسطو يقول : اذا قلنا ان الصورة تغيرت عنينا ان المادة تلبست بصورة اخرى. ومن ذلك قوله : ان التغير في الكون موضعي في علاقة الذرات . ويرى ان المادة ساكنة منفعلة . والفضاء هو الفسحة بين كل جسمين . وكل غير محدود بالجسم فليس بفضاء. وحيث لا أجسام

فلا فضاء (ولا يخفى على المطلع ما في هذا القول من المطابقة لنظريات العلم اليوم) . فالكون محدود وهو غير متحرك . لكن بعض اقسامهِ يتحرك . ويعني بالحركة نوعاً من التغير

ومع تقدم الفلسفة القديمة في التفلسف العقلي فقد كانت تشوبها اوهام كثيرة كقول ارسطو : «مركز الشعور العام القلب حيث تجتمع الشعورات الواردة من الحواس فيحصل ادراك الشيء ونعرف اوصافه كالعدد والحجم والشكل والحركة والسكون . وفيه قوة الذكر وائتلاف الفكر . وتنسب اللذة والالم الى الحواس . . . ولا يخفى ان سبب هذا الوهم جهل القدماء الجهاز العصبي برمتهِ ولو انتبهوا اليهِ وفحصوه لعدلوا في التعليل عن القلب الى الدماغ

ومن غريب اقوال الرواقيين خلفاء سقراط وخلفائه قولهم : بما ان الاجسام فاعلة ومنفعلة فالمادة والقوة شيء واحد وكلاهما مادي (وهو ما يقوله علماء اليوم من وحدانية المادة والقوة) ثم يقولون ان القوة مادة لطيفة والمادة هيولى لا صورية (صورتها القوة) . فالكون بأجمعهِ هيولي بما فيهِ النفس والله، حتى ان الصفات نفسها هيولية مؤلفة من ذرات نارية وهوائية — فانظر ما ينطوي عليهِ هذا السخف من جراثيم الحقائق التي رجحت في هذا العصر

على ان جميع الفلاسفة انتهوا في سلسلة التعليل او تسلسل العلل Causality الى وجوب وجود الله لانهم في منتهى البحث يبلغون الى علة لا علة لها — وهي حرَّة تختار احد وجهين بلا سبب، فلابدَّ من افتراض ارادة لها. ولكن حقيقة الله تختلف بين فلسفة واخرى اختلافاً بيناً

ولا متسع لايراد الامثلة والشواهد على ما في فلسفات القدماء من جراثيم الحقائق الناصعة المخبوءة في قشور الاوهام والسخافات . على ان كتاب « الفلسفة في كل العصور » مستوفٍ في بسط مجمل كل فلسفة من الفلاسفة القدماء والحديثين وفيهِ نقع لغلة الراغب في مطالعة تاريخ الفلسفة ومذاهب الفلاسفة

ومجمل ما اود ان اقوله هنا ان فلسفة الاقدمين قاصرة جدًّا في تفسير الظواهر المادية واستكناه كنه الوجود والمادة والحياة وارقى قليلاً في استكناه قوى العقل ولكنها ناضجة جدًّا في تفسير ظاهرات الاجتماع والاخلاق والآداب والسياسة والفنون الجميلة

اما عن العصر الاخير فلك ان تقول ان ذلك التضخم الذي كان للفلسفات الاجتماعية وما اليها مما ذكرتهُ آنفاً اصبح قزماً بازاء تضخم الفلسفات المادية والحيوية والعقلية ايضاً في هذا العصر. على ان فلسفة الاخلاق والآداب لم تترقَّ كثيراً في العصر الاخير كأن شوطها انتهى في عصر بطاركة الفلسفة الثلاثة — سقراط وافلاطون وارسطو . ولا بدع في ذلك لان العالم البشري اصبح في حاجة الى العمليات اكثر منهُ الى النظريات. وفي نظريات الفلسفات الاجتماعية والادبية والاخلاقية ما يكفيهِ الآن لتطبيق العمل عليهِ . فاذا كان العالم يسير بموجب تلك النظريات تتضاعف سعادتهُ اضعافاً

شبرا — مصر

الحيرة

لحسن كامل الصيرفي

يا عالَمي أنا سارٍ في شِعابِ دجًى … يلهو بغاية رُوحي لَيْلُهُ الضافي

كأنني انا ثأرٌ ظَلَّ مشتعلاً … بين الوجود وبين المُبْهَمِ الخافي

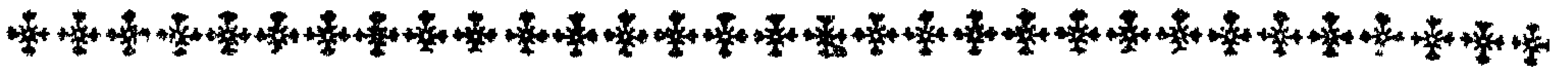
وكلَّما شاهدَتْ عيناي في أُفُقي … ذاتاً تحقَّقْتُها اطيافَ اطيافِ

كأنني والاماني فيَّ جائشةٌ … أُفْقٌ تذوب بهِ اصداءُ هُتَّافِ

حُيِّرْتُ في عالَمٍ تطغَى عجائبُهُ … على رُؤاهُ ، وخابٍ نُورُهُ الصّافي

ما أضيعَ النُّورَ في قَومٍ يحيّرهم … سِرٌّ بهيمٌ وكَونٌ حالِمٌ غافِ !

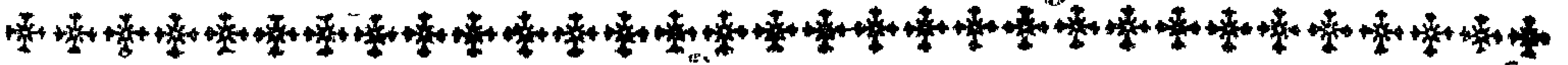




من القاهرة الى انقرة

مشاهدات في تركيا الجديدة

الزراعة والصناعة -- الصحة والتعليم — مصطفى كمال



— ٥ —

تركيا بلاد زراعية غنية اهم حاصلاتها القمح والذرة والشعير والكتان والقطن والقنب والتبغ والقطاني على انواعها والسمسم واليانسون والعنب والتين وزيت الزيتون . وهي كذلك غنية بالمعادن ففيها الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد والفحم والزئبق والبورق والكروم والزرنيخ والبترول . ومما اشتهرت به قبل الحرب انها كانت تصدر من المعادن ما قيمته نحو مليوني جنيه على ضعف وسائلها الصناعية الحديثة . فقد كانت تصدر نحو ٨ في المائة من فلز الكروم المستهلك في العالم وكانت الاناضول وحدها تصدر نحو ٣ في المائة مما يستهلك في العالم من الزئبق. ثم ان تركيا اشتهرت بصناعات دقيقة كصناعة السجاد والصحون الصينية التي عرفت بها كوتاهية وغزل الحرير في بورسه وما جاورها واستقطار عطر الورد في وادي نهر المريج في تركيا الاوربية . فما هو مقام الصناعة والزراعة في تركيا الجديدة ؟

خذ كتاب الاحصاء الرسمي الذي تصدره الحكومة التركية وقلّب صفحاته تقف على ارقام واحصاءات تدلك على ان البلاد ليست مقصرة في تثمير ثروتها الزراعية والمعدنية على ضعف وسائلها وقلة اليد العاملة واستحكام الازمة العامة

فالمساحة المزروعة فيها حنطة تبلغ نحو ٢٢ مليون دنم (الدنم نحو خمس فدان) وحاصلاتها ١٫٣٣٣٫١٥١ طناً . ويأتي بعدها الشعير والأرز والذرة من الحبوب . ومجموع الارض المزروعة حبوباً تبلغ ٣٩ مليون دنم ومحصولها ٢٫٤٠٠٫٢١٣ طناً . ثم أنهم يعنون بزرع الخضروات فترى مثلاً ان ١١ الف دنم تزرع بازلاً و ٢٧٤ الف دنم تزرع فاصوليا و ١٠٤ آلاف دنم تزرع عدساً وهلمَّ جرَّا، ومجموع الاراضي المزروعة خضراوات ١٫٤٧٠٠٠٠ دنم وحاصلاتها تبلغ ٧٠٠٢٢٤ طناً . ثم ان الماشية سواء أكانت للحرث او للذبح والاكل تنال نصيباً كبيراً من اهتمام الحكومة والامة. فيقدَّر عدد الثيران فيها بنحو مليونين ونصف مليون ثور والجواميس بنحو ربع مليون جاموس وربع مليون جاموسة والبقر بمليونين وثلث مليون بقرة والضأن بنحو عشرة ملايين ضأن والخيل بين فرس وجواد بنحو نصف مليون.

أما النباتات الصناعية فكثيرة كذلك . فالبنجر الذي يصنع منه السكر في تركيا يزرع في اطيان يبلغ مجموع مساحتها ٨٦ الف دنم ومحصولها ١٦٠ الف طن . والقطن يزرع في نحو ٩٩٠ الف دنم ومحصوله ٣٨ الف طن . والتبغ في ٧٩٠ الف دنم ومحصوله ٤٧٥٠٠ طن

فمجموع المساحات المزروعة في تركيا — بنباتات الحبوب او الخضراوات او النباتات الصناعية — يبلغ ٤٣٫٦٣٧٫٧٢٧ دنمًا ، ومحصولها جميعاً يزن ٢٫٦٦١٫٤٣١ طنًّا

يضاف الى ذلك ان الحراج في تركيا تكسو شرق الاناضول ، جبالاً وسهولاً ووهاداً ومنها ما يصلح للبناء ومنها ما يصلح للتفحيم . اما الخشب الذي يصلح للبناء فمنه الدلب وقد كان المقطوع منه سنة ١٩٣٠ نحو ٢١٧ الف متر مكعب والسنديان وكان المقطوع منه في السنة نفسها نحو ٢٣ الف متر مكعب والقطران والمقطوع السنوي منه ٣٩ الف متر مكعب والصنوبر والمقطوع السنوي منه نحو ٥٩ الف متر مكعب والكستناء والمقطوع منه ١٩ الف متر مكعب . اما الخشب الذي يقطع للتفحيم فيبلغ متوسط المقطوع منه سنويًّا ما وزنه نحو مليوني قنطار شامي تحول الى نحو ٦٦٠ الف قنطار من فحم الخشب

***

أما الصناعة فاليك شيئاً عنها :

يبلغ عدد المنشآت الصناعية المشتغلة بالاستخلاص والاستقطار كالسكر والكحول والزيت ٥٥٦٠ يشتغل بها ١٩ الف عامل والخاصة بالصناعات الزراعية وتربية الحيوانات والصيد ٢٨٤٣٩ يشتغل بها ١١٠ آلاف عامل والخاصة بالمنسوجات ٩٣٥٣ يشتغل بها ٢٤ الف عامل والخاصة بقطع الخشب واعداده ٧٨٩٦ يشتغل بها ٢٤ الف عامل والخاصة بصنع الورق والورق المقوّى (الكارتون) ٣٤٨ يشتغل بها ٢٧٩٢ عاملاً والخاصة بالتعدين وما يتصل به ١٤٧٠٢ يشتغل بها ٣٤ الف عامل والخاصة بالبناء ٢٨٠٧ يشتغل بها ١٢٣٤٥ عاملاً والصناعات الكيمائية ٦٩٧ يشتغل بها ٣١٠٠ عامل وهناك منشآت صناعية مختلفة فيبلغ مجموع المنشآت الصناعية في تركيا ٦٥ الفاً وعدد المشتغلين بها ٢٥٦ الفاً

وهذا ولا شك عدد قليل في امة يبلغ عددها نحو ١٦ مليوناً ولكن المهم انه يتناول اهم وجوه الحياة الصناعية من تعدين المناجم الى الصناعات الكيمائية الدقيقة

ثم اذا دققنا النظر قليلاً وجدنا نحو ٢٩٠٠ من هذه المنشآت الصناعية تستعمل المحركات على انواعها من محركات تسير بقوة البخار او بقوة غاز الاستصباح او بقوة الكهربائية او بقوة الزيت او البترول ومجموع المحركات كلها نحو ٥٠٠ محرك وتولد قوة ١٦٣ حصان

ويهمنا كذلك ان نعلم من يشرف على هذه المنشآت كلها ومن يعمل فيها من حيث هم اتراك او أجانب . ففي المنشآت الخاصة بصناعات النسيج ١٦٧٩ مشرفاً منهم ١٥٧٠ مشرفاً من الاتراك

و١٠٩ مشرفين من الاجانب ومجموع المشرفين في كل المنشآت الصناعية ١٠٧٨٦ مشرفاً منهم ١٠١٨٢ من الاتراك و٦٠٤ من الاجانب . وفي بعض المنشآت الصناعية مشرفات يبلغ مجموعهن ١٥٥ مشرفاً منهن ١٣٥ مشرفة تركية و٢٠ مشرفة اجنبية

اما الاجانب بين الموظفين والعمال فاقلية يسيرة جداً لا تكاد تبلغ واحد في المائة . اما الموظفات في المنشآت الصناعية فنحو ١٦٠٠ امرأة والعاملات ٨٠٠٠ فتاة (دون الرابعة عشر من العمر) و٢٩ الفاً فوق الرابعة عشرة من العمر

ولنأخذ صناعة واحدة كصناعة السكر ونذكر شيئاً من التفاصيل الخاصة بها لتكون مثالاً يوضح لنا من اجملناه .فالمستخرج من السكر في مصنعين من مصانعهِ يبلغ ٢٣ الف طن من السكر مستخلص من نحو ١٦٠ الف طن من البنجر (١٩٣١) وتقدر قيمة المباني فيهما بنحو مليوني ليرا تركية (١٩٣١) وقيمة الآلات بنحو ثلاثةملايين ليرا تركية أي نحو ٧٠٠ الف جنيه مصري وعدد العمال والموظفين فيهما الف وقد يزيدون الى الف وخمسمائة عامل . في أحدها ١٦ خبيراً أجنبيّاً وتبلغ مساحة الأرض التي تزرع بنجراً لهما ١٣٠ الف دنم. ويخرج منها عدا السكر كحول ودبس وغيرهما

أما المناجم فتخرج في السنة (١٩٣١) ٧٧٧٥ طنّاً من فحم اللجنيت و٨٤٥ طنّاً من النحاس (١٩٢٦) و٦٠٠٠ طن في المتوسط من السنباذج (الصنفرة) و٢٧٦٧ طنّاً من الرصاص و ٤٣ طناً من الانتيمون والف طن من المنغنيس و٢٥٣٨٢ طنّاً من الكروم (وهو معدن لازم لصناعة اصناف خاصة شديدة القساوة من الصلب) و٢٣٩ طنّاً من الزئبق و١٢٧٦ من الزنك و ١٠٠٠٠٠ من السمنت

هذه حقائق أولية تبين لك الى اين وصلت الصناعة التركية فيهمنا الآن ان ننظر في خطة الحكومة الاقتصادية التي تحاول بمقتضاها ان تسير بزراعة البلاد وصناعتها الى الغرض الذي يرمقهُ الغازي ورجاله

***

مما لا ريب فيهِ ان الخطة السياسية التي جرى عليها الغازي كان لها حتى الآن اثر سيء في البلاد من حيث الانتعاش الاقتصادي . ولا ريب ان الاقدار لم تكن في جانبهِ في هذا الجهاد كما كانت تواليهِ في ميادين الحرب والسياسة . فالحرب الكبرى وحرب الاستقلال نزفت نشاط البلاد ، وانضبت مواردها ثم جاءت الثورة الكردية ، وتلتها مواسم غلب فيها القحط والامحال على خصب التربة وغنى البلاد الطبيعي .فلما استفحل امر الازمة الاقتصادية العالمية كان لها في تركيا ابلغ الاثر

ان خطة الحكومة تقوم على مبدأين جعل تركيا امة منسجمة ، وتحريرها من السيطرة

الاجنبية . فتحقيقاً لهذين الغرضين طرد اليونان من شرق الاناضول وأُبيد الارمن او كادوا. فكانت النتيجة ان العناصر التي كانت عروق الامة تجري فيها دماء الحياة الاقتصادية زالت منها ، وكان الاتراك في بدء هذا العهد يعتقدون ، كما كان الرومان يعتقدون ، ان التجارة والصيرفة اعمال خليقة بالشعوب المحكومة . فلم يستطيعوا في البدء سد النقص. وسمح للارمن واليونان ان يقيموا في استانبول ويزاولوا الاعمال التي يريدون مزاولتها ، ولكن على شريطة ان يتجنسوا بالجنسية التركية ، ومعنى هذا التخلي عن لغتهم وثقافتهم القومية وهذا قد يكون متعذراً بوجه الاجمال فيما يخص الارمن واليونان. اما اليهود فاكثر مرونة وقد قال احد زعمائهم لعصمت باشا : « اذا لم نصبح اتراكاً بعد عشر سنوات فاطردونا من البلاد »

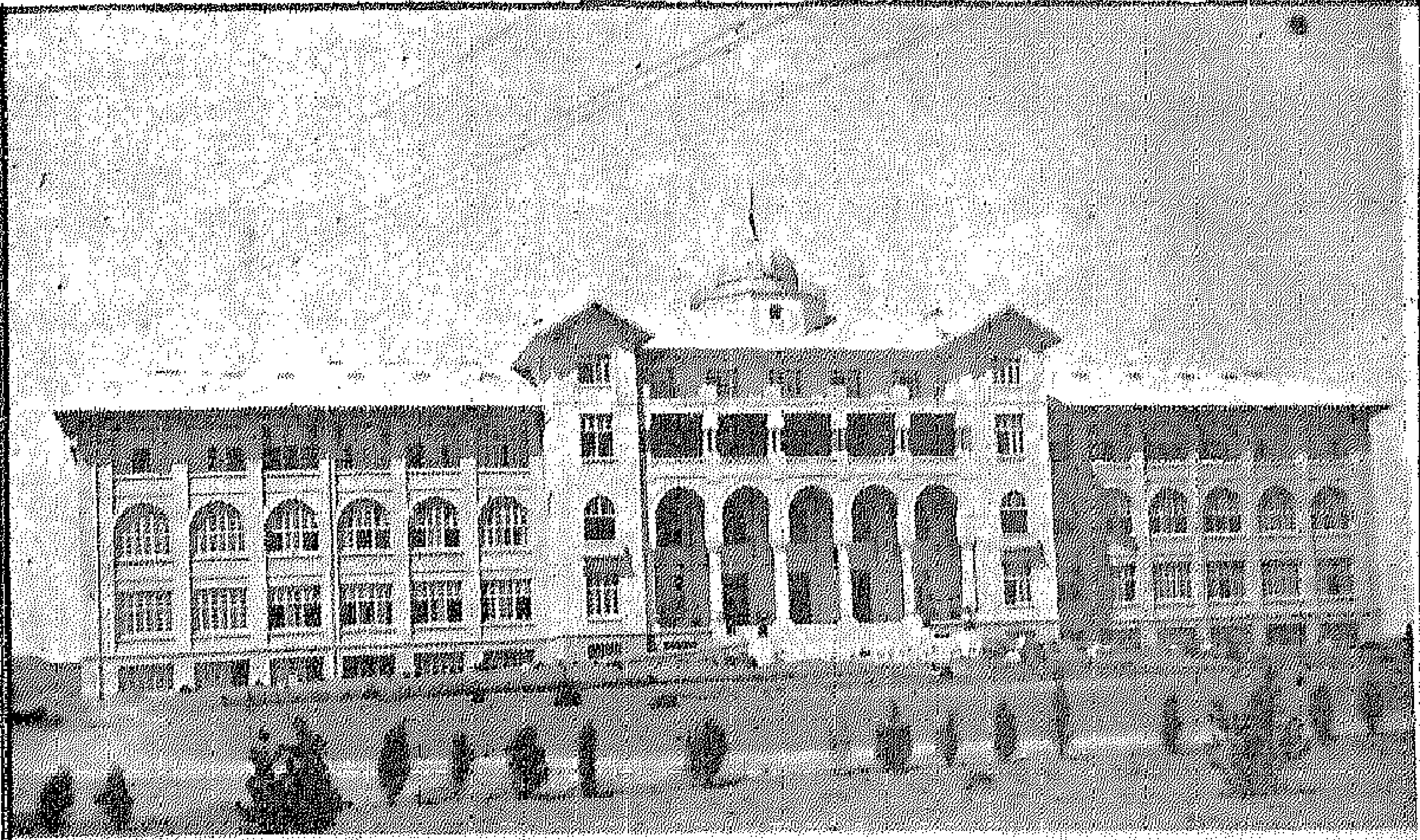
وقد عنيت الحكومة جهدها بمساعدة الترك على تسلّم ازمة التجارة في البلاد . ونحن على ما رأينا في فروع بنك ايش في الاسكندرية وازمير وانقره نشهد انهم اصابوا قسطاً كبيراً من النجاح .فقد قضت الحكومة على ان كل المحلات التجارية يجب ان تكون دفاترها باللغة التركية وان تستخدم الترك ، حتى لا يقلوا فيها عن خمسين في المائة من موظفيها

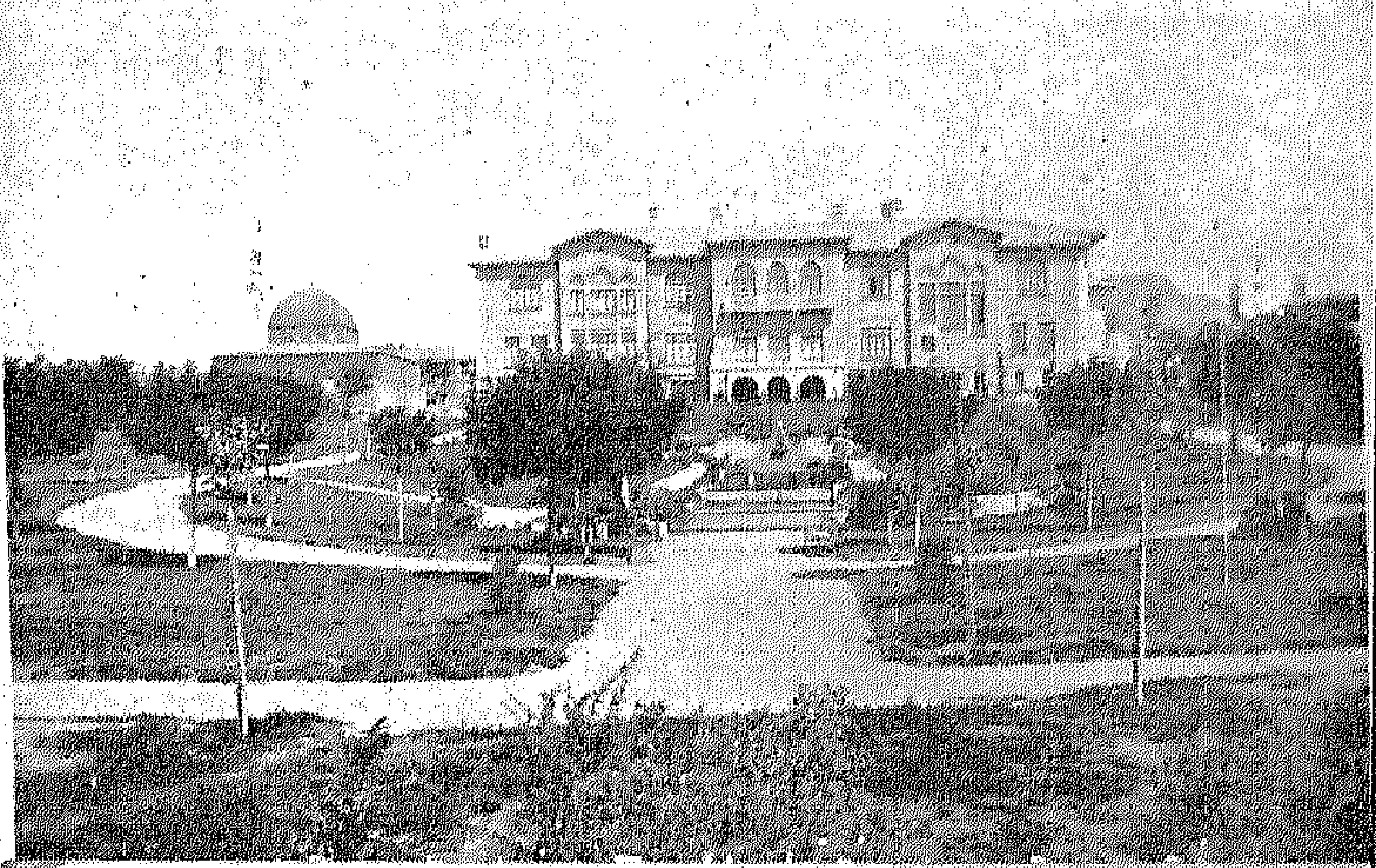
والشركات الاجنبية التي تريد ان تستثمر مورداً من موارد البلاد يجب ان يكون ٥١ في المائة على الاقل من حملة اسهمها اتراكاً . والحكومة توالي الدعاية بالخطب والصحف لكي تحمل اهل البلاد على استعمال مصنوعاتها دون المصنوعات الاجنبية التي فرضت عليها ضرائب جمركية عالية جداً

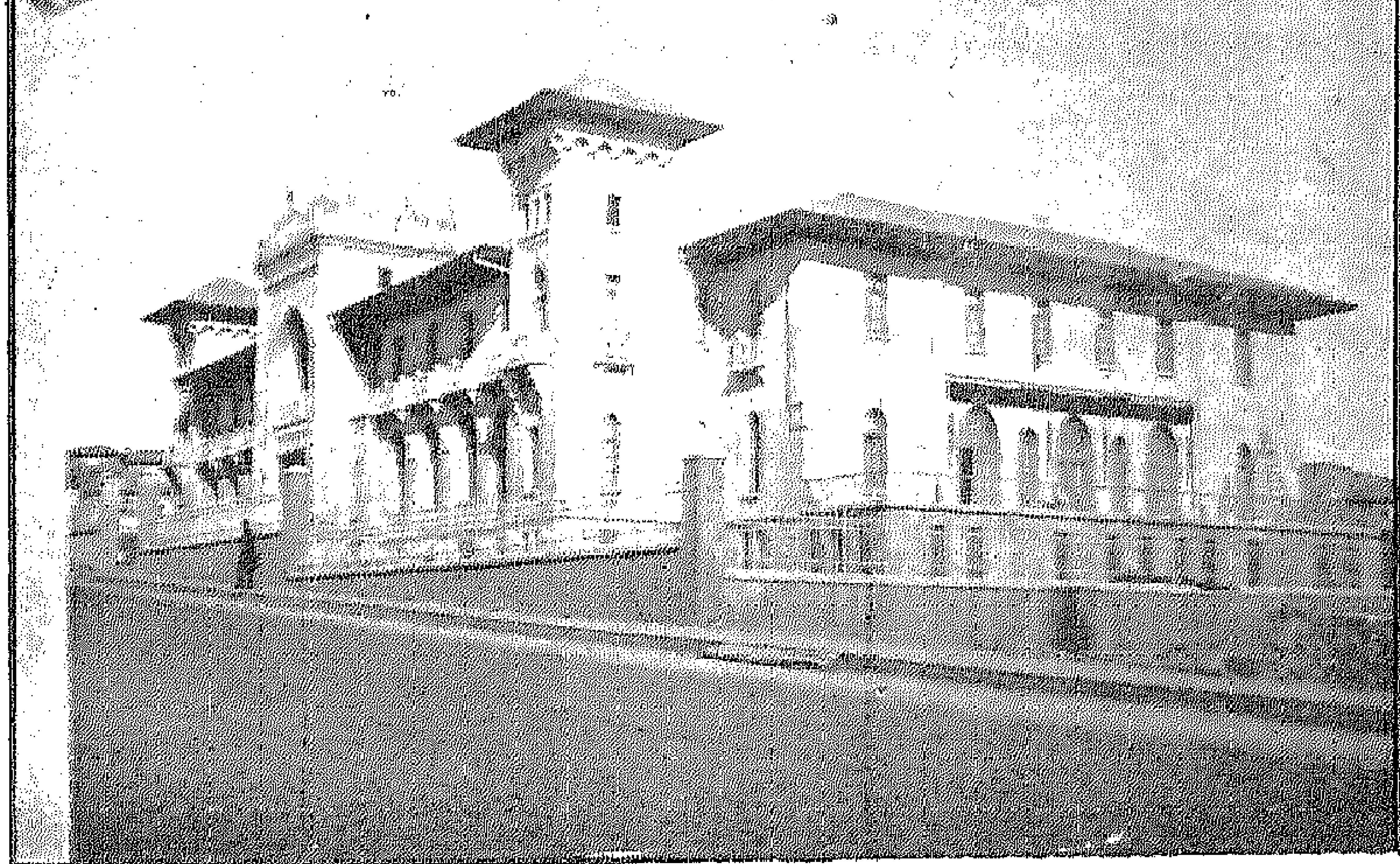
والسعي الى حفظ تركيا حرة من نفوذ الرأسمالية الاوربية او الاميركية أخَّر حتى الآن، تجديد حياة تركيا الاقتصادية . لانهُ من المتعذر ان تثمر ثروة البلاد الطبيعية من دون رأس مال وهذا يقتضي ضمانات يحسبها الغازي قيوداً تقيد بها الحرية القومية . فقد منحت بعض الامتيازات لطائفة من الاجانب السويديين لبناء سكك الحديد والبلجيكيين لصناعة عيدان الثقاب والبولونيين لصناعة الكحول ولكن معظم هذه الجماعات لم يلق النجاح المنتظر . ويقال ان سبب ذلك شدة تدخل الحكومة التركية في اعمالهم تدخلاً قائماً على سوء الظن في أصحاب الرأسمالية الدولية

ولكن مصطفى كمال واعوانه تمكنوا من مد السكك الحديدية اللازمة بمال أرصد لها في ميزانية الحكومة . وقد عنيت الحكومة كذلك بمد الطرق لتسهيل سبل المواصلات وتشجيع بعض الصناعات الوطنية

كل هذا أفضى الى قيام طائفة من الاقتصاديين الشبان ، يدعون الى فلسفة اقتصادية جديدة . وقد قضيت مع احدهم «برهان آصف» نحو ساعتين في انقرة بالاس أتحدث معه في هذه الفلسفة وهو شديد الحماسة لها ، ولا يرى للامة التركية مخرجاً الاَّ بها







مباني انقرة

(فوق) معهد الغازي : دار المعلمين (وسط) دار مجلس الامة

(تحت) فندق انقرة پالاس

قال — وكان على مقربة منا على شرفة انقرة بالاس خبراء اميركيون — ان الخبراء ينصحون لنا بأن نبقى امة زراعية ولكن البلاد من دون زراعة لا يمكن ان يطبَّق فيها العلم ، واذا لم يطبق العلم فلا فائدة منهُ . والعلم نفسهُ يعلم الدقة ، واذاً فالمعاهد العلمية لا تجدي الاَّ اذا فسح المجال في البلاد لتطبيق العلم . واذاً فلا بدَّ من الصناعة

هذا من الجهة الثقافية . ثم ان التركي الآن لا يستطيع ان ينافس الاوربي والاميركي بفعل الرأسمالية الدولية . فالتركي تاجر بسيط لا يستطيع ان ينافس الشركات العظيمة التي تبعث بمصنوعاتها ووكلائها الى قلب الاناضول مثلاً . واذا شئنا ان نمكنه من منافستها وجب ان نحميه بحواجز جمركية عالية . وهذه الطريقة ليست بالطريقة المثلى . بل انها ليست بالطريقة الطبيعية . ولا بد في النهاية من تفوُّق الصناعة القوية رغم كل انواع الحماية

وقد كانت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر تملك صناعة قومية تكفيها منتجاتها المتنوعة فقد كانت تصنع حتى الحديد والصلب والإِبَر : وكانت تستبدل منتجاتها بما تحتاج اليه من منتجات البلدان الاخرى وكان التبادل معقولاً قائماً على اسس طبيعية واقتصادية

فلما نشأت الصناعة الآلية، وشيد عليها بناء الرأسمالية الدولية ،ضعفت الصناعة التركية، واضطرت بان تسلم بالتبادل غير المعقول الذي فرضتهُ الرأسمالية الدولية على كل البلدان — اي انها كانت تأخذ المواد الخام من البلدان المختلفة ،وتصنعها ثم تعيدها الى البلاد التي اخذت منها فتبيعها هناك . وليس هذا بالأمر الطبيعي . بل الطبيعي ان لا ينفق على المواد الخام اجور النقل ذهاباً واياباً ، ونفقات اخرى ، تضاف الى سعرها النهائي ، وانما المعقول ان تصنع المواد الخام حيث تستهلك توفيراً للانفاق وترخيصاً للثمن . وأمثلة ذلك كثيرة نراها في قطن مصر وصوف طرابزون مثلاً

فلما دخلت اميركا واليابان ميدان الصناعة الدولية فقدت اوربا عملها ، وهو جمع المواد وصنعها وتجهيز العالم بها ، فاوربا بعد اليوم لن تكون « منتج » العالم ، والراجح ان كل بلاد تكتفي بعد الآن ، بالصناعات الكبيرة — اي التي تصنع من مواد البلاد ويكون ما يستهلك منها كثيراً في البلاد نفسها . وقد تختص كل بلاد بعد ذلك بضربٍ او اكثر من الصناعة الدقيقة يكون فيها مجال التبادل الدولي . فسويسرا تختص مثلاً بالساعات والمانيا بالاصباغ

فالثورة التركية في نظر هؤلاء الشبان ليست الغاء السلطنة والخلافة وانشاء الجمهورية وتحرير المرأة . والثورة التركية لا يمكن ان تكون قد تحققت الاَّ اذا امكن تحديد الاستقلال التركي بمقتضى القوانين الاقتصادية والاجتماعية السائدة في هذا القرن . اذ لا يخفى ان الاستقلال الآن غيره في القرن التاسع عشر

وتركيا لا تستطيع ان تنشيء الصناعات الكبيرة وهي عنصر اساسي من عناصر الاستقلال

في القرن العشرين بمال الاجانب لانهُ بمثابة بيع للبلاد . ولكن الافراد والجماعات التركية لا تملك رؤوس اموال تمكنهم من ذلك ولا هم يستطيعون ان يجمعوا رؤوس اموال من التجارة الخارجية لان كل بلاد تميل في الغالب الى الاكتفاء بمنتجاتها الآن . ثم انهم لا يستطيعون ان يجمعوها من التجارة الداخلية كما هو معلوم . لذلك ترى برهان آصف وصحبه يدعون بجرأة الى ان تدخل الدولة الميدان ، ميدان الصناعات الكبيرة — اي الصناعات التي موادها الخام من البلاد واستهلاكها في البلاد نفسها واسع النطاق — كصناعات النسيج والاطعمة والدباغة وما اشبه . فاذا قلت لهم هذه اشتراكية او شيوعية قالوا لك ليست هذه ولا تلك وانما هي فلسفة اقتصادية لا سبيل لنا الاَّ بها واذا نجحت فتستطيع كل البلدان الشرقية التي كانت خاضعة للرأسمالية الدولية الاخذ بها والسير عليها . والحكومة التركية لم تأخذ حتى الآن الاَّ بجانب من هذه الفلسفة ، فقد أنشأت في قيصرية مصنعاً حكومياً للغزل ، ولعلها تحاول امتحان الفكرة من ناحيتها العملية أولاً قبل الاقدام على تطبيقها بحذافيرها

— ٦ —

صحة الامة في المقام الأول بين مصادر ثروتها الطبيعية والروحية . لأن الأمة التي تملك المناجم الغنية والسهول الخصبة والانهار الجارية لا تستطيع أن تستغلَّ هذه المرافق إلاَّ إذا صحَّ أبناؤها أجساماً وعقولاً . فاذا كانت الأمة مصابة بأمراض متوطنة في بلادها أو اذا أهملت ابسط اسباب العناية بصحة الجسم استنزف ذلك من نشاط أبنائها وأضعف من مضاء عقولهم فلا هم يستطيعون استنباط الوسائل اللاَّزمة لاستغلال ثروة بلادهم ولا هم يستطيعون الصبر على تطبيق الوسائل اذا نقلوها عن غيرهم من الامم

وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان حضارة روما تقهقرت وبادت لأن جراثيم البرداء (الملاريا) رتعت في دماء أبنائها زماناً طويلاً ولو أنها عرفت أبسط قواعد الصحة العامة — وما كان ذلك ممكناً وقتها — لنزحت المستنقعات التي يتولد فيها البعوض الناقل للبرداء ولنجت من الوهن والاضمحلال

والتعليم هو وسيلة المجتمع لكشف المواهب وتدريب الملكات وتوجيهها . وقد أصبح في هذا العصر لا ندحة عنه للفرد او للامة لأن الصراع في ميدان الاعمال عنيف والأمة كائنة ما كانت ثروتها الطبيعية وصحة أبنائها لا تستطيع ان تحقق ما ترمقه من آمال كبار الاَّ اذا كان غرض التعليم في نظامها الاجتماعي واضحاً لا يشوبه ابهام يوافق حاجتها، ووسائله منسقة وافية

***

ولقد بهرنا ما رأينا في تركيا الجديدة من العناية بهاتين الناحيتين من حياة الشعب . عناية

لا أستطيع ان أصفها بأكثر من قولي ان نفقات الحكومة المركزية عليهما تبلغ نحو ستة ملايين من الجنيهات وهو يكاد يكون ربع الميزانية أو يزيد

***

وجهت حكومة تركيا الجديدة عناية خاصة الى شؤون الصحة العامة . فأنشأت لها وزارة خاصة أقامت عليها وزيراً طبيباً ووكيلاً طبيباً . وقد زرنا وزارة الصحة في أنقرة فاذا نحن في بناء جديد فخم . جدرانه بيض وأبوابه بيض وسلالمه بيض . لا تكاد تلمح أثراً لبقعة على كل هذا البياض الناصع . وزرنا المعامل فأعجب بها أطباؤنا ونحن نسلم بشهادة الاطباء . ودخلنا الغرف الخاصة بالدعاية الصحية فرأينا فيها مئات اللوحات التي تفسر للعامة بالصور الملونة والكلام القليل ما يجب عليهم من الوسائل الصحية لمكافحة الأمراض المختلفة . كالملاريا والتراخوما والزهري والسل وغيرها

وزرنا كذلك في الجزيرة الثانية من جزائر الامراء ، وقد فاتني اسمها الآن مستوصفاً للسل قائماً على ربوة تشرف على بحر مرمرة من جهاتها الثلاث ، وتحيط بها غابة من اشجار الصنوبر ، فرأيناه جامعاً لكل وسائل الراحة والعلاج ، الاَّ معامله البكتريولوجية فانها لا تفي بالحاجة ولكن الحكومة التركية مع ضعف وسائلها المالية استطاعت ان تضيف الى المستوصف بناءين جديدين وقد خصص جانب من أحدهما للمعمل البكتريولوجي . ووقف البناء الآخر على طهي الطعام باحدث الوسائل واوفاها . والخدمة في هذا المستوصف من درجة واحدة لكل المرضى ، الاغنياء والفقراء منهم على السواء

والمستشفيات في انحاء تركيا كثيرة ، في استانبول وارضروم وديار بكر وسيواس والعزيز وانقره وازمير — ومنها ما هو خاص بالامراض العقلية والعصبية (استانبول) والامراض المعدية (حيدر باشا وازمير) والتوليد وامراض الاطفال (انقره وقونيه وارضروم وادنه وقارس وملاتيا وغيرها) وثمة مستشفى خاص بامراض الاطفال في استانبول ومعاهد لمعالجة الكلب في استانبول وسيواس وديار بكر

وقد اصدرت الحكومة قانوناً سنة ١٩٢٢ تلزم به المقبلين على الزواج بالتقدم للكشف الطبي قبل ذلك . وقانوناً آخر يجعل علاج الامراض الزهرية اجبارياً ومن دون مقابل للجميع

***

وقد تجلى نشاط وزارة الصحة التركية في تحسين الصحة العامة في مكافحة الملاريا . فقد جففت من المستنقعات في خلال سبع سنوات (١٩٢٥ — ١٩٣١) ما مساحتهُ نحو ١٧٣ الف دنم او نحو ٣٥ الف فدان في انقره ومرسين وقونيه وبروسا وسمسون وغيرها . ومن الاقنية التي يتولد فيها البعوض الناقل للملاريا ما طوله نحو ٢٠٠ الف متر

وقد بلغت نفقات الحكومة على المنشآت الصحية العامة التابعة لوزارة الصحة من مستشفيات ومستوصفات نحو مائة الف جنيه سنة ١٩٣١ ونحو مليون جنيه في خلال سبع سنوات (١٩٢٥ — ١٩٣١) أما ما انفقتهُ على مكافحة الملاريا سنة ١٩٣٠ فبلغ نحو ١٤٠ الف جنيه وعلى الزهري ٣٥ الف جنيه وعلى التراخوما ١١ الف جنيه ومجموع ما انفقتهُ على مكافحة هذه الامراض الثلاثة في سبع سنوات نحو مليون جنيه . ويبلغ عدد المشتغلين بالصحة العامة التابعين لوزارة الصحة وللحكومات المحلية للبلديات سنة ١٩٣٠ نحو ١٢٠٠ طبيب و١١٣ صيدليًّا و١٢١٤ مفتشاً صحيًّا و٤٣١ قابلة و٢٢١ ممرضة و٥١٥ موظفاً آخر . والقائمون باعمال هذه المنشئات كلها من اطباء وقابلات اتراك تلقوا علومهم في الغالب في تركيا وبعضهم في اوربا أو اميركا . فالطبيبة في ملجأ الاطفال درست في جامعة بوسطن. ومدير المعمل البكتريولوجي في مستوصف السل درس في المانيا . وتبلغ ميزانية وزارة الصحة نحو اربعة ملايين جنيه

والى جانب المنشآت الحكومية على اختلافها تجد جمعية الهلال الاحمر ولها في تركيا نحو ٥٠٠ فرع وجمعية رعاية الاطفال[1] ولها نحو ٤٠٠ فرع. وقد ذكر لنا الدكتور خليل بك عبد الخالق انهُ علم من وزارة الصحة ان القابلات يقمن بعمل التوليد مجاناً في المنازل على حساب البلديات

***

بلغ عدد معاهد التعليم في تركيا في السنة المدرسية التي انتهت في صيف ١٩٣١ نحو سبعة آلاف معهد — وعند التدقيق ٦٧٩٦ معهداً ، منها ٦٦٢٩ للتعليم الاولي و١٤٨ للتعليم الثانوي و١٩ للتعليم العالي

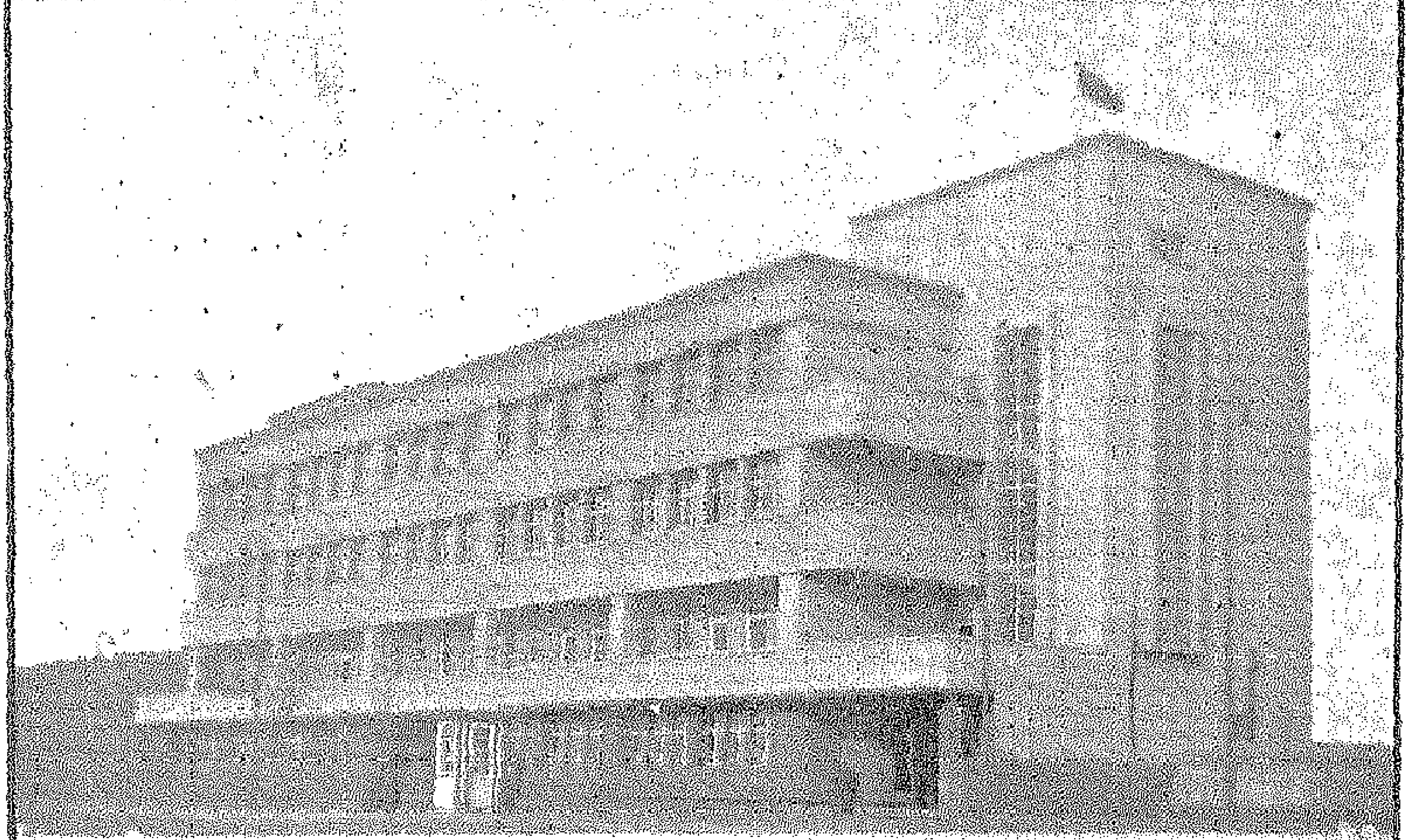
اما عدد المعلمين والمعلمات في المدارس الاولية فبلغ ١١٤٤٣ معلماً و٤٨٩٢ معلمة وفي المدارس الثانوية ١٩٢٧ معلماً و٤٨٤ معلمة وفي المعاهد العالية ٥١٥ معلماً واما عدد الطلاب والطالبات في المدارس الاولية فبلغ نحو نصف مليون . (النسبة بين البنات والبنين ١:٢)وفي المدارس الثانوية نحو ٣٣ الفاً (النسبة بين البنات والبنين نحو ١ : ٣) وفي التعليم العالي ٣٧٠٥ طلاب و٧٢٤ طالبة

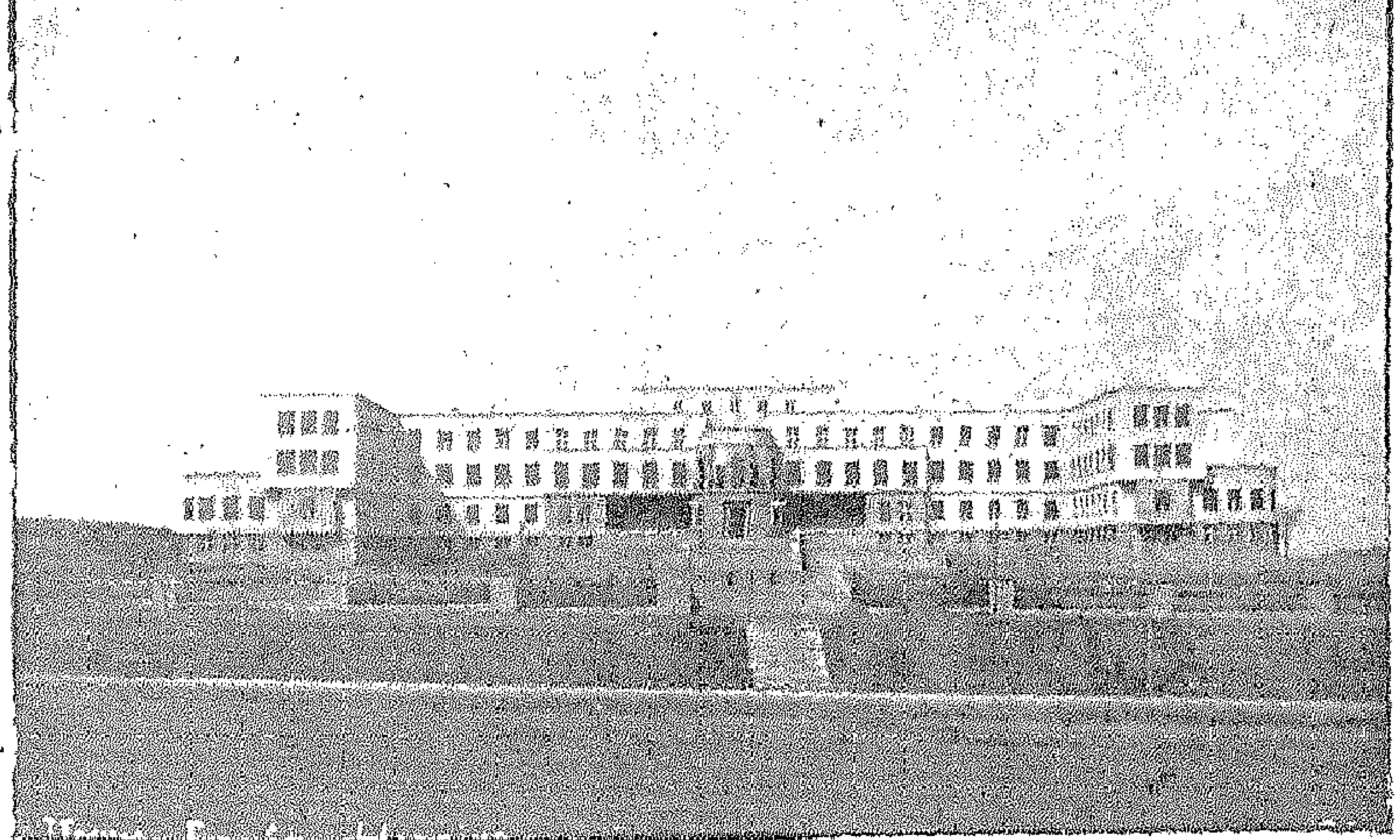
ولما كان يهمني ان اعلم الى اي مدى تقبل الفتيات التركيات على التعليم العالي سألت مدير الجامعة الجديد — في مأدبة العشاء التي اقامها لنا والي استانبول في بيرا بالاس — فقال لي ان عددهنَّ في كلية العلوم كان سنة ١٩٣٠ — ١٩٣١ تسعين طالبة ، وفي كلية الطب ١١ طالبة وفي كلية الحقوق ٧٢ طالبة ،وفي كلية الآداب ١٥٥ طالبة وفي مدرسة الصيدلة ٧ طالبات وفي

---

(١) بلغ عدد الاطفال الذين تلقوا مساعدة من جمعية رعاية الاطفال في فروعها المختلفة في خلال السنوات العشر الاخيرة (١٩٢٣——١٩٣٣) ٦٠٠ الف طفل . فقد وزع اللبن مجاناً على ٧٢٤٧٥ طفلا ووزعت الاحذية على ١٧٤١٤٩ طفلا وبذلت المعالجة الطبية لـ ١٤٩١٣٧ طفلا واهديت القيمات لـ ٧٣٨٥ طفلا واشتريت ادوات المدارس لـ ١٤٣٠٣ اطفال الخ







مباني انقره

(فوق) البنك الزراعي (وسط) معهد عصمت لتعليم البنات الاقتصاد العملي

(تحت) مقرّ اركان الحرب

مدرسة طب الاسنان ۲۷ طالبة وفي مدرسة القابلات ١٤٥ طالبة وفي المعهد الخاص باعداد موظفين للحكومة ۲ طالبات وفي معهد الفنون الجميلة ۷۳ طالبة وفي مدرسة المعلمين العليا ۳۹ طالبة وفي مدرسة المعلمين المتوسطة ۸ طالبات . ثم علمتُ ان عددهنّ في مدرسة التجارة العليا بانقره ١٠٤ طالبات — وقد اطلعنا شوكت سوريًّا بك مدير المدرسة على الرسائل التي اعدتها الطالبات في موضوعات اقتصادية فرأينا فيها من آثار البحث والتنظيم ما اعجبنا به اشد الاعجاب — وفي مدرسة الحقوق العليا في انقره ۲۲ طالبة وفي معهد الغازي ۱۰۰ طالبة

هذا من حيث التعليم العالي ، أما التعليم الصناعي فتجد اقبال الفتيات عليهِ كبيراً . ففي مدرسة الصناعات ٤٢٣ طالبة ازاء ١٢٨٦ طالباً

***

وانتشار التعليم على جلالة شأنه لا يفيد قليلاً ولا كثيراً اذا كانت روح التعليم لا تتفق وحاجة البلاد . فما هي روح التعليم في تركيا

النزعة الوطنية — التاريخ في نظر الغازي مقدس . هو المحكمة العليا التي تقول في آثار الانسان واعمالهِ الكلمة الفاصلة . وقد كانت المدارس الاجنبية في تركيا في ايام السلاطين تعلم التاريخ على هواها ولكن تركيا الكمالية، تبعث بمفتشيها الى هذه المدارس الآن ، فاذا وجد المفتش في المدرسة خريطة قديمة وقد رسمت فيها أزمير على انها يونانية ، والولايات الشرقية على انها ارمنية ، قال المفتش ممتعضاً ان هذه المقاطعات لم تكن قط يونانية ولا ارمنية ولن تكون. ومن عودته يصدُر الأمر باغلاق المدرسة ويجري ما هو من قبيل هذا في كتب التاريخ .فاذا وجد المفتش خطأً واحداً ضد النزعة القومية التركية يجرح الترك في كرامتهم صدر الأمر باغلاق المدرسة التي تدرس ذلك الكتاب . وقد وضعت عبارة يجب على كل طالب ان يرددها كل صباح ، هي بمثابة العقيدة الوطنية التي تغرس فيه وترجمتها : — « أنا تركي امين مجتهد . يقضي عليّ واجبي بحماية من كان أضعف مني ، واحترام من هم اكبر مني ، ومحبة بلادي باخلاص . مطمحي ان ارقي نفسي وان اداوم السير على طريق التقدم . انني اهب كياني لكيان تركيا »

ولكي تتزن هذه النزعة الوطنية ، وضع برنامج لتعليم التاريخ الدولي وتدريس المبادىء الاقتصادية والاجتماعية السائدة في مختلف البلدان . وفي تدريس تاريخ الحركة الوطنية تذكر الحقيقة مجردة ، فهناك يقرأ الطالب اسباب انحطاط الدولة العثمانية واسباب نهوض تركيا الجديدة ، وانتصارها وما يطلب من ابنائها للسير بها الى مطمحها الأعلى

النزعة العملية — بدأت حركة التعليم الجديدة كما يبدأ كل شيء جديد في تركيا ، بخطة

وأمر من الغازي . فاتخذ الولاة كلمة (التعليم واجب وطني) شعاراً لهم في حث الشعب على طلب العلم ، وقد عني واضعو برامج التعليم — بناء على رغبة الغازي — بأن يكون التعليم ، مما يربي الملكات ، لا مما يحشو العقل . فيؤخذ الطلاب في جولات خلوية ، ويعطى كل منهم شيئاً يعثرون به ، زهرة او حجراً غريباً او قطعة فحم او ورقة نبات . ويطلب منهم ان يبحثوا عن تاريخه وان يصوروه . ثم تختار أكثر الرسوم اتقاناً وتعلق على جدران المدرسة وتمنح جوائز للمتفوقين . وفي كل المدارس تجد مجموعة من الحجارة المختلفة ، وهيا كل الحيوانات والطيور المصبرة ، والازهار المجففة ، حتى يكون التعليم مقروناً بالمشاهدة . وفي المدارس التي زرناها — دار المعلمين في ازمير ، ودار المعلمين في انقرة — شهدنا معامل الطبيعة والكيمياء مجهزة بأحدث الآلات حتى يكون تعليم هذين العلمين مقروناً بالتجربة والامتحان . وفي مدرسة التجارة العليا عرفنا ان التعليم متجه الى الوجهة العلمية العملية ، فيعطى الطالب موضوعاً عليه ان يحقق اموره بنفسه في البلاد . وليس امامه مرجع يرجع اليه او ينقل منه . فقد اطلعنا على رسالة لأحد الطلاب في نظام ادارة السكك الحديدية وعمالها ، واخرى في موضوع القطن التركي زراعة وصناعة وتجارة . وهذه النزعة تفسر لك كثرة المدارس الفنية والصناعية التابعة لوزارة المعارف او للوزارات الاخرى ، كمدارس الزراعة التابعة لوزارة الزراعة ومدارس الاشغال العامة ومدارس سكك الحديد ومدارس صناعة الحرير ومدارس مفتشي الصحة

يضاف الى ذلك انك تجد في المعلمين رغبة في كشف مواهب التلميذ وتوجيهه في الوجهة التي تفيده . ولعل ذلك ناشىء من امر اصدره الغازي فحرم به جَلْد التلاميذ

النزعة العلمانية — روت كاتبة انكليزية انها كانت مسافرة من قونيه الى أدنه فلقيت مفتشاً من مفتشي المعارف فدار بينهما حديث ، سألته في خلاله : ولكن ما هي عقيدتك فقال : اؤمن بالعلم والغازي ومستقبل بلادي وأثق بنفسي . فقالت دهشة ولكن ... ولكن ... الله ... فقال من يعلم شيئاً من الله . هناك العلم . وقوتا الخير والشر . أما عن الباقي فلا نعلم شيئاً ما

ولعل هذا المفتش كان يعرب عن ضمير جيله . الجيل الذي يقلب نظره في احوال العالم فلا يرى الفوز الاَّ للصناعة القوية والاسلحة القوية القائمة على العلم . الجيل الذي شهد كيف استعمل الدين لأغراض سياسية . وما عانته تركيا من جراء ذلك من دول تدَّعي انها حامية الدين المسيحي . ألم يقل لهم الغازي في خطاب ألقاه : « علموا الحق وبرهنوا عليه بالعلم . علموا طلابكم الموضوعات التي تفيدهم في الحياة . علموهم النظام والترتيب والملاحظة علموهم الفرق بين الخير والشر ، بين الخطأ والصواب . علموهم ان يعرفوا انفسهم وان يثقوا بأنفسهم وان يعتمدوا على أنفسهم »

انهم يؤمنون بالعمل، ومن يؤمن بالعمل، لا يجد متسعاً من الوقت، في رأيهم، للصلاة والصيام فهم يبشرون بمبدإ التقدم العلماني (١). فاذا قلت لهم ان الدين حامي الفرد والمسيطر على مسائل الجنس والشهوة. قالوا لك الدولة هي حامية الفرد، والمرأة هي المسيطرة على مسائل الجنس والشهوة. والمرأة تعامل بالاحترام الذي يليق بها. حتى في ايام الحريم كنا نحترم المرأة التي تحترم نفسها. وعندنا ان التعليم الأدبي، وغرس مبادىء الفضيلة، خير من مجرد الاعتقاد وعدم تطبيقه. واذا أشرت الى كثرة حوادث الانتحار، وصلتها بانحلال العقيدة، قالوا لك ان لجنة من الاطباء العلماء تناولت البحث في هذا الموضوع ووجدت ان بواعث الانتحار سببها اضطراب الاحوال العامة التي تلت الحرب الكبرى في الغالب

وعندي ان هذا الاتجاه ناشىء عن تطرفهم في احترام القوة والصناعة اللتين لابدّ منهما لامة فتية تحاول ان تدرك ما فاتها من اسباب الرقي المادي. وانهُ اذا استتبَّ لها ذلك ارتدت الى دخيلة نفوسها وعندئذ ترى ان الايمان بالعلم لا يشبع كل حاجات النفس

يضاف الى ذلك ان الغازي يعلق بالرياضة البدنية شأناً كبيراً، من الوجهة الخلقية علاوة على الوجهة الصحية فهي تعلم الانصاف والتعاون في العاب الكرة، وتربي في الكشافة خلق النجدة والنخوة. ولذلك تراه يعززها ما يستطيع الى ذلك سبيلا

— ٧ —

عرف القارىء من الفصول المتقدمة انهُ ليس في وسع الكاتب ان يخطَّ سطراً واحداً عن تركيا الجديدة من دون ان يشير الى الغازي مصطفى كمال، مجدد معالمها، ومغتصب استقلالها بحد السيف، ومنظم حكومتها الجمهورية، ونافخ روح الحياة في شيبها وشبانها، في نسائها ورجالها على السواء. انك تجد طابعهُ الشخصي، في كل مجمع وكل مدرسة وكل ملجإٍ وكل مستشفى تؤمه. بل انك تجده في كل مزرعة حديثة تربى فيها فسائل الاشجار لتحريج النجد القاحل في قلب الاناضول. فأنت لا تستطيع ان تتملى من هذه الصورة العجيبة التي تمثل امام عينيك ممتدة من استانبول الى انقرة، الى ما وراء انقرة، ومن سمسون وطرابزون الى يالوى وازمير ومرسين، من دون ان تتوق الى ان تزيد معرفةً بذلك الفنان المبدع الذي وشَّاها بألوانها ونفخ فيها من روحه، نسمة الحياة

(١) الموقف نحو المدارس الاجنبية في تركيا، صريح لا لبس فيه. فهم يقولون ان تركيا تؤمن بالمبدإ العلماني، كاساس للارتقاء في هذا العصر. وان كل مدارسهم تجري عليه. وانهم كذلك يرحبون بالمدارس الاجنبية في البلاد، وانما يشترطون عليها ان تحترمه. فاذا قبلت ذلك فبها، والا فيجب ان تقفل ابوابها. وقد كتب يونس نادي في جمهوريت فقال: «ان اصحاب المدارس الاجنبية حاولوا ان يسلكوا احد مسلكين اما ان يعلموا الدين او ان يرحلوا. ونحن نطلب اليهم ان يلبثوا في البلاد، وان يخضعوا لقوانين البلاد وتقاليدها، وان يمضوا في عملهم. واننا نوجه هذا الطلب خاصة الى كلية روبرت وكلية البنات الاميركية في استانبول»

ومهما يكن المصير ، الذي خبأته له الاقدار ، فلا ريب عندي في انهُ اصبح من رجال التاريخ العظام . وقد زاده ظهوراً بين قومهِ ان ليس بينهم من يدانيه في قواه العقلية او في مقدرتهِ على تسيير سفينةا لدولة في بحر السياسة العجاج . كلُّ ممثل لتركيا في مؤتمر دولي ، يجب ان يمثل امام الغازي قبل سفره. يعيد عليه القضية التي يدافع عنها فيناقشه الغازي فيها مناقشة مطلع عارف ببواطن الامور ، فاهم لدقائقها ومغازيها ، ويعرض لجميع وجوه المسألة كما يراها ، حتى لا يفاجأ المندوب في المؤتمر مفاجأة تأخذ عليهِ باب الكلام ، او توهن من موقفه القومي . كذلك فعل مع عصمت باشا لما ذهب الى لوزان . وكذلك فعل مع توفيق رشدي بك لما ندب الى جنيف . ولا يبعد ان يكون قد جرى على الخطة نفسها مع اسعد بك قبلما سافر الى لاهاي للدفاع عن تركيا في قضية اللوتس المشهورة

***

كان لمساوىء الحكم في عهد السلطان عبد الحميد اثر عظيم في نفسه منذ حداثته . فكان وهو صبي يافع يتلهب غيرة على وطنه . ويظهر انهُ ورث الروح العسكرية عن اسلافه فنبغ في علومها، وتفوق في الناحية الرياضية منها ، واقسم من حداثته ليبذلنَّ كل غال في سبيل وطنه. وكان ذلك اهم ما يجيش في صدره وهو فتى غض الاهاب فكان ينشر وهو يافع في المدرسة صحيفة يكتبها بخط يده ويشرح فيها ما يراه من مساوىء الحكومة في ذلك العهد

ومع ان المقادير قد اوصلته الى اعلى المراتب بين قومه ، الاَّ انهُ بعيد كل البعد عن المطامح الدنيوية . ولو خيّل اليهِ ان مصلحة الدولة تقتضي بناء السلطان على عرش آل عثمان لما تأخر عن ذلك . بل انهُ في فترة من فترات الجهاد الوطني ، رجا السلطان رجاءً ان يتقدَّم الصفوف، ويقودها فتلكأ السلطان ، فلم يبق بدٌّ من السير من دونه . فلما عرض الترك على الغازي ان يتقلد منصب السلطان والخليفة معاً ابى ذلك كل الاباء . ولو فعل ذلك لاصبح المنقذ القومي مغامراً سياسيًّا ، لا تهمه مصلحة البلاد بقدر ما تهمه مصلحتهُ الخاصة

لذلك يفضل ان يعرف بأنهُ احد ابناء الجمهورية التركية — لا أ كثر ولا أقلّ — وقد قال لمن حاول ان يقابل بينه وبين نبوليون والاسكندر ، اسمي «مصطفى كمال » فاذا شئت ان تكرمني ادعني مصطفى كمال . ولكنه يسمح لقومهِ بأن يلقبوه بالغازي!

***

بعد عشر سنوات من الحكم ، ترى الغازي وحيداً وعلى وحدتهِ مسحة من كآبة العزلة . فكأ نهُ على قنة جبل، رغم محبة الشعب له وتعلقه بهِ. انك تجد صورتهُ في كل مكان، في الباخرة التي سافرنا عليها ، وفي النزل الذي اقمنا فيهِ ، وفي المعاهد التي زرناها على اختلافها . بل انك لا تكاد تطلع على صحيفة من الصحف اليومية— واكثرها مصور— الاّ وتجد صورة للغازي



الغازي مصطفى كمال

مقتطف نوفمبر ١٩٣٣ امام الصفحة ٤٤٩

في موقف من المواقف. المدن تتبارى في اهداء الدور اليه ، ففي ازمير قيل لنا هذا بيت الغازي اهدتهُ اليهِ المدينة ، وفي بروسة بيت الغازي كذلك وفي يالوى بيت الغازي . بل هي تتبارى كذلك في اقامة التماثيل له، حتى انك لترى في انقرة وحدها ثلاثة تماثيل له على الاقل في الميادين العمومية

ولكن الرجل الحديدي ذا الوجه المجعد والعينين الرماديتين الغائرتين تقدحان الشرر ، والجبهة العالية يتوّجها شعر ذهبيٌّ ، ينكمش قليلاً قليلاً بعد ما سنَّ كل ما يراه لازماً لتركيا من القوانين . وابناء وطنه يشعرون بذلك ويحسون بشيء من الكآبة . انهم يعلمون ان مرض الكليتين التي عليه يده الثقيلة واقعده غير مرة . وهم يعلمون انهُ لم يدّخر نفسه في طول حياته فبذلها سخيًّا ، في اللهو وفي الجهاد . هو في انقرة بين قومه يحيط بهِ رفاقه في الجهاد، وابناؤه في النزعة والايمان ، ولكن القوم في استانبول، يلقون الى الشائعات آذانهم. فاذا لم يستطيعوا ان يروه رأي العين، تقوّلت السنتهم الاقاويل ، حتى يبرز لهم الغازي من شرفة تطل على البوسفور فينشر عليهم عندئذ جناحي الخطيب الذي تؤيد افعاله كل كلمة يفوه بها ويقول لهم : — لقد غلبني ماتكبدتموه من المشقة في مجيئكم الى هنا . لا تظنوا انهُ لا ندحة عن التطلع الى وجهي. لافضل في نظري ان تسعوا الى فهم افكاري ومشاركتي فيها . ان عيونكم تنبئكم اني صحيح معافىً . اما المحبة التي تربطني بكم فلن تضعف . وان قوتي لقائمة على تلك المحبة ، وعلى محبتكم لي . ان هذه البلاد ، في ظل هذا النظام ، سوف تصبح اجدر الأمم بالاحترام . وانني لن اموت قبل ان تتحقق كلماتي » !

***

كان السلطان العثماني خليفة المسلمين . فكانت الدولة العثمانية بين نزعتين ، النزعة القومية التركية ، والنزعة العثمانية الاسلامية . وكانت النزعة العثمانية هي السائدة في الغالب . فحفلت قصور السلاطين في الاستانة بخليط من ممثلي شعوب الدولة. من اسبانٍ ويونانٍ وارمن وكردٍ وعرب وتتار وصقالبة. فلما كانت حركة تركيا الفتاة والثورة التي غنموا بها الدستور العثماني من السلطان عبد الحميد. جعلوا الدولة العثمانية بشعوبها المختلفة، المتنافرة في امزجتها ومطامحها، ميداناً لحركتهم ، بدلاً من يوجهوا النظر الى الشطر التركي ، وفيه من التجانس بين السكان ، أصلاً ولغةً وطبائع ، ما يمكنهم من تحقيق الاصلاح الذي ينشدون . وعلى ذلك ترى ان النزعة القومية التي دعا اليها رجال تركيا الفتاة ، وراموا تطبيقها على الدولة العثمانية من البلقان الى ما وراء النهرين ، ومن القوقاس الى المحيط الهندي ، كانت باعثاً على نشوء النزعات القومية بين الاكراد والعرب والارمن وغيرهم من الشعوب التي تتألف من مجموعها الدولة العثمانية

بين الضباط الاتراك الذين حكموا فيما بينهم وبين نفوسهم ، ان النظام القديم بالٍ لا يرجى لهُ اصلاح كان ضابط ، غائر العينين ، نفاذ البصر . عني بهِ رؤساؤه فعيّنوه في اماكن نائية عن عاصمة البلاد فهو آناً ضابط في حيفا ، واخرى مكافح في طرابلس الغرب ، وثالثة ملحق حربيٌّ بمفوضية تركيا في صوفيا . وذلك لانهُ كان حرّ الطبع ، لا يصبر على الخسف ، فكان ينتقد ما يراهُ جديراً بالانتقاد — وما اكثره في تلك الايام — بكلام لا يحتمل التأويل . حارب الانكليز في الدردنيل وغاليبولي فعرفوا فيه ضابطاً ممتازاً شجاعاً لا يني ، صبوراً لا يملّ ، يقظاً لا يؤخذ على غرة ، فباءَ من الدردنيل بتقدير اعدائهِ ، ورئيسه الجنرال فون سندرس باشا

فلما احتلَّ الحلفاء استانبول [1] بقيادة قائد بريطاني ، واصبح السلطان بوقاً في يد المحتلين بذل ما يستطيعهُ لحمل الاتراك على المقاومة ، ولما قنط مصطفى كمال من التواءِ المشتغلين في السياسة ومواربتهم اخذ يعد المعدات للذهاب الى الاناضول فدعي الى مجلس الوزراء وكان منعقداً لينظر في أمر احتلال اليونان لازمير ، فسئل ما رأيه فقال « المقاومة » فقالوا « وكيف نقاوم هنا » فقال « اذ افرغتم جهدكم هنا الحقوا بي »

وفي ١٩ مايو سنة ١٩١٩ نزل مصطفى كمال الى البرّ في سمسون يرافقهُ رأفت بك

***

ليس هذا مكان التبسط في تنظيم الحركة الوطنية ، وما عاناه فيها مصطفى كمال من ضروب المقاومة ، من الحلفاء ومن ولاة الاناضول ومن الحكومة في استانبول حتى ومن بعض اصدقائهِ الاقربين . وكيف كان يتحتم عليه ان ينظر الى تنظيم الجيش ليكون المرجع الأخير في السيطرة على البلاد ، وانشاءِ الفروع ، وارسال التعليمات الى رؤسائها . كان الرجل لا يكلّ من العمل . وكان عقلهُ يتسع لكل كبيرة وصغيرة . قيل لي . وهل تظن ان كل هذه الاعمال التي تمت على يده وباسمه هي من ابتكاره ، فقلت لا يستطيع احد ان يحكم على مصطفى كمال الاَّ اذا قرأ تلك الخطبة الضافية (نحو ٨٠٠ صفحة) التي القاها بنفسهِ من بضع سنوات في مجلس الامة . باسطاً فيها تاريخ الحركة الوطنية . فقد روى بنفسهِ ، وأيّد روايتهُ بالوثائق الرسمية ، انهُ كان يجلس الى آلة التلغراف يخاطب الزعماء ورجال الحكومة ، ويبسط لهم بسطاً مفصلاً ، في كلام مدوّن محفوظ ، آراءَهُ في الاتجاه الذي يجب ان تتجه اليهِ الحركة الوطنية . وفي هذه الرسائل التي كان يكتبها ، والبديهة في الظاهر تمليها — وانما البديهة في الواقع تستمدّها من عقل قلّبها على مختلف الوجوه

[1] عقدت هدنة مودروس في ٣٠ اكتوبر ١٩١٨ وهي تخول الحلفاء حق احتلال اي منطقة من مناطق البلاد العثمانية ولتنفيذ هذه المعاهدة فتحت ابواب الاستانة في وجوههم ولكن احتلال الحلفاء العسكري للاستانة لم يقع الا في مارس ١٩٢٠

وخزن مبادئها واصولها — تقع على بزور كل الانقلابات التي تمّت في تركيا على يديهِ وبمعاونة رجالهِ الاصفياء

هنالك في الاناضول انشأ حكومة وطنية وتحدّى العالم !

تحدّى السلطان ورجال حكومتهِ فلم يستطع هؤلاء ان ينالوهُ بسوء . ولكن اليونانيين ، الذين ورثوا من الحلفاء قطعة من الاناضول ، واحتلوا ازمير باسم الحلفاء ، سيّروا جيشهم على انقرة ، العاصمة الجديدة ، وهي قرية قديمة حقيرة كانت منازلها المبنية باللبن المجفّف ، مقرًّا لوزراء تركيا الجديدة ولاركان حربها . وسار الجيش اليوناني يكتسح امامهُ كلّ شيءٍ ، حتى بلغ نهر سقاريا . هنالك اعدّ لهُ مصطفى كمال العدّة ، بعدما عقد مع فرنسا اتفاقاً اخلى لهُ الوفاً من الجنود الاتراك المرابطين على حدود سوريا ، وعمد الى الحيلة ، فاعلن ان هجومهُ سوف يبدأ في يوم معيّن ، ولكنهُ لم يبدأ . وفي ليلة ليلاءَ ، اعدَّ في تشان كايا مرقصاً فاخراً وامر الناس بالقصف واللهو ، وانسلَّ هو الى صفوف الجيش ، واصدر امره التاريخي : « امامكم البحر المتوسط » واطبق على الجيش اليوناني ، وعيون قوّادهِ متجهة الى مرقص انقره ، فتراجع اولاً ثم اصبح التراجع هزيمة لم تنتهِ حتى دخل الغازي مدينة ازمير . وسار حتى اصبح على بضعة اميال من استانبول ، فلجأ السلطان الى بارجة بريطانية

وفي ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٣ اعلنت الجمهورية التركية ، وانتخب مصطفى كمال ، الغازي ، رئيس المجلس الوطني الكبير ، رئيساً لها

***

كان الظفر في حرب الاستقلال فاتحة لا نهاية . عند ذلك انقلب الزعيم الحربيُّ والقائد الوطنيُّ منظماً سياسيًّا واداريًّا واجتماعيًّا ، في الطبقة الاولى بين رجال العصر . اليس هو القائل ، « ان القائد الحازم يجب ان يكون مشترعاً حازماً . ولا يصدق الحكم على القائد الحربي الاّ وقد اثبت ان في وسعه تحويل رجاله من جيش قتال الى جيش سلام ! »

كان غرضه ان ينشيء من تركيا دولة تتمتع باستقلالها السياسي والاقتصادي — بحريتها التي ابتاعتها بأغلى الاثمان . الحرية — ! وما كان مصطفى كمال من الذين يبهرون ، بمعاني تلك الكلمة الرنانة ، فينقادون الى الوهم والضلال . كان يفهم انك لا تستطيع ان تترك الحرية ، كرةً تتقاذفها تيارات السياسة الحزبية ، يخلقها رجالٌ ، تفتنهم العبارات المنمقة ، ثم تبتلعهم تلك التيارات في دردورها . وكان نظره صائباً اذ صرح في خطبة لهُ في بدء الحركة الوطنية « ان المشروعات الكبيرة تقتضي زعيماً »

فبعد الظفر في الحرب بدت له عظمة العمل الذي امامه ، وما ينطوي عليهِ من المهاوي والمخاطر . ولكنه لم يعلّل نفسه بفترة من السلام ، بعد النصر ، يستجمُّ فيها القوى ، ويأخذ

الاهبة ، لمعالجة المشكلات التي تجب معالجتها . ألا يقول العلم الحديث ، بأن الحياة نزاع لا ينتهي ؟ الم يثبت داروين وعلماء الحياة بأن القوي في النزاع يفوز . وان الضعيف يهوى الى الحضيض ؟ لقد اثبت مصطفى كمال ، في ساحات التنظيم القومي ، وفي ميادين القتال ، انهُ ليس من الاوكاس . ايدع السلام يغلبه في ساعة الظفر الحربي ؟

كانت المشكلة الكبرى التي تواجهه ، التوفيق بين الحرية والنظام . وهو الاساس الذي تقوم عليهِ كل حكومة

لو شاء الغازي حينئذٍ ، لسلك الطريق السهل ، واعلن دكتاتورية حربية ، ولما التقي حينئذٍ مقاومة ما ؟ أليس هو الغازي ، طارد الاجانب من البلاد ؟ الاَّ تتفق الدكتاتورية مع تقاليد الاتراك الحربية ؟ ولكن الدكتاتورية الحربية ، كانت مناقضة لفلسفتهِ السياسية ، القائمة على ركنين من «ارادة الامة» و«امتناع الجيش عن التدخل في شؤون الحكم». ففضَّل ان ينشيء حزباً سياسيًّا ، وبواسطتهِ يبسط سيطرتهُ على مجلس الامة

وكان صريحاً في اعلان رأيهِ . قال ان الظفر الحربي لا يكفي لضمان المستقبل . والمستقبل لا يضمن الاّ بتنظيم الامة تنظيماً اداريًّا وسياسيًّا . واذن فلا بدَّ من برنامج اصلاح قائم على الاسس العلمية . وحزب الشعب الذي أسسهُ ، ورئسهُ يجمع بين الحزب الفاشستي من حيث تمثيلهِ لرغبة الامة ، والحزب الشيوعي في روسيا ، من حيث سيطرتهِ على شؤون الحكومة . وسلطانهُ قائم على تأييد هذا الحزب لهُ . وهو لو شاء لأعلن نفسهُ دكتاتوراً مدى الحياة ، ولكنهُ يفضل في سبيل تثقيف الشعب ، ان يجدَّد انتخابهُ رئيساً للجمهورية ، في كل برلمان جديد ، مرة كل اربع سنوات

وكان خصومهُ في المبدإ اشداء ، وحاولوا ان يهاجموه من ناحية معاهدة الصلح ، لأن المناقشة في مؤتمر لوزان طالت ، ولم تفضِ الى نتيجة ، فقالوا ان عصمت مفاوض ضعيف ، مفرّط في حقوق البلاد ، وانهُ لا بدَّ ان يعود بمعاهدة جديدة كمعاهدة سيفر الممقوتة . فلما يئس كرزون من حمل عصمت على الاتفاق ، عاد غاضباً الى لندن ، فكان ذلك ايذاناً بانفجار روح البغض للاجانب في مجلس الأمة في انقرة ، فاغتنم الغازي الفرصة ووقف في المجلس ، وعصمت الى جنبهِ وقال : « ان تركيا تطلب السلام وانها مستعدّة لتحكم صلات المودة[1] مع كل الامم . ولكن تركيا مستعدّة للحرب اذا اقتضت الحال ذلك ، لان الحياة من دون الاستقلال لا تطاق . وانها لابدَّ ان تفوز ما زالت معتمدة على قوتها الحقيقية ، المستمدة من ميثاقها القومي ودستورها الجديد اللذين الغيا سيادة الفرد واعلنا سيادة الامة

(١) يروي المستر شرل وزير اميركا السابق في انقرة انه عند وصوله الى مقر منصبه ابدى لرجال الحكومة رغبته في زيارة ميادين الحرب مع اليونان فثنوه عن عزمه قائلين « اننا نريد ان نجري على خطة صداقة مع اليونان ولا نريد ان نتباهى امام العالم المتمدن بالنصر الذي احرزناه عليهم »

وعاد عصمت الى لوزان ، ففاز بالمعاهدة التي ترضي تركيا

ولولا الظفر الحربي ، لما استطاع مصطفى كمال ان يمضي في الانقلاب التركي الى نهايته . الغى السلطنة والخلافة في تركيا ، لانهُ اراد ان يرفع من شأن النزعة الوطنية الدمقراطية ، ونقل القانون السويسري المدني بحذافيره ، لانهاقرب الى احوال العصر ، وحرر المرأة لانها يجب ان تشترك مع الرجل في بناء الدولة وتهذيب الاجيال المقبلة ، وغير لباس الرجل ليكون التغيير ماحقاً للفروق بين الاتراك والاوربيين ، واستبدل الحروف العربية بحروف لاتينيةوجعل الكتابة بها من اليسار الى اليمين، لان الكتابة العربية لاتصلح في رأيهِ لنشر مُثُل الحضارة العلمية . وقد كان في كل ذلك مقداماً لا يخشى . ولكن اقدامه كان اقدام رجل مهد الطريق ، واختار الفرصة الصالحة. ولما سألت اوربيًا كبيراً في استانبول عن اهم مايتصف بهِ مصطفى كمال قال « الحكمة العملية » ، لانهُ من السهل ان تعدَّ على الورق برنامجاً طويلاً عريضاً للاصلاح ، ولكن السر كل السرّ في اخراجه الى حيّز العمل في الوقت الصالح والفرصة المناسبة . فمصطفى كمال رجل لا يرتجل الاصلاح ارتجالاً

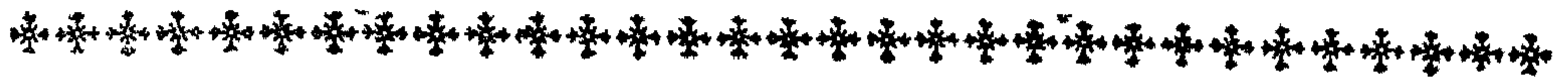
وكذلك اصبحت تركيا ، ذات يوم ، وهي المقهورة في الحرب الكبرى ، فاذا هي أحسن حالاً من كل البلدان المقهورة ، بل من بعض البلدان التي كانت في جانب الحلفاء المنتصرين

***

يجد بعضهم وجهاً في الشبه بين نهضة المانيا الحديثة بزعامة هتلر ، ونهضة تركيا بزعامة مصطفى كمال . ولكن الفرق بين النهضتين يتعدى الظواهر الى الاصول. بدأت النهضة الهتلرية في الداخل فأحيت الروح الالمانية وهي متجهة الى الخارج ، الى تحقيق الحلم بالمانيا الكبرى التي تضمُّ جميع الالمان في اوربا — في النمسا وتشكوسلوفاكيا وغيرها — . واما النهضة الكمالية فبدأت في الخارج ، اذ طردت الاجانب ، وعيّنت حدود البلاد ، ثم اتجهت الى الداخل تحاول ايقاظ الشعب وبعث معنى جديد من معاني الرقي في نفسهِ . فالاولى تتجهُ من فتح روحي الى فتح مادي . والثانية تتجهُ الى الفتح الروحي، بعد الظفر في الفتح المادي

قد كان في استطاعة مصطفى كمال ، في ساعة الظفر ، ان يرنو بنظره ، الى ما وراء تركيا ، فيمد حدودها ، ويبسط نفوذها ، ولكنهُ اختار هذه الفرصة ليغمد السيف، ويوقف الحرب ويخلع البدلة العسكرية . انها والله لعظيمة من هذا الرجل الذي ولد عسكريًا ، وذاق حلاوة الظفر العسكري . كان اسهل الامور عليهِ ، ان يمضي ، وهو الثمل بخمرة الظفر ، فاتحاً غازياً ولكنهُ فضّل ان يستدبر حياة الفاتحين ، ليستقبل حياة المصلحين المحفوفة بالمصاعب . وليس هذا بكثير على من يستطيع ان يلقي عليك عفواً فقرات كاملة من كتاب « ولز » في « موجز التاريخ »

فؤاد صرّوف



ابن خلدون وسبنسر

مقابلة بين فلسفتيهما



« طلب الينا احد قراء المقتطف المهتمين بدرس فلسفة ابن خلدون ان نعيد نشر الفصل الذي عقده المرحوم الدكتور صروف في المقابلة بين فلسفة ابن خلدون وفلسفة هربرت سبنسر. فلبينا الطلب بعدما حذفنا مقدمة الفصل وكانت تحتوي على فذلكتين في تاريخ الرجلين وسيرتيهما »

﴿ المبدأ الاول ﴾ وجوب تمحيص الاخبار قبل اثباتها في كتب التاريخ

قال ابن خلدون ان فن التاريخ محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق وينكبان بهِ عن المزلاَّت والمغالط. لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها العثور ومزلة القدم والحيد عن جادّة الصدق. وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وايمَّـة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثًّا وسميناً ولم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط. وقدَّم شواهد كثيرة على ذلك وفي جملتها قصة معاقرة الخليفة هرون الرشيد للخمرة التي افضت الى نكبة البرامكة واثبت فسادها بالمأثور من حال الرشيد وتديُّنهِ وما كان عليهِ من صحبة العلماء والاخيار. وذكر قصة جبريل بن بختيشوع الطبيب حين احضر لهُ السمك على مائدتهِ وهي حجة قاطعة على ان الرشيد كان يجتنب الخمر وان ذلك كان معروفاً عند بطانتهِ واهل مائدتهِ. ثم بيَّـن اسباب تطرُّق الكذب الى الاخبار فقال « ان منها التشيُّعات للآراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطتهُ حقهُ من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقهُ من كذبهِ واذا خامرها تشيُّع لرأي او نحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاءً على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقلهِ. ومن الاسباب المقتضية لذلك ايضاً الثقة في الناقلين والذهول عن المقاصد والجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع »

وهذا المبدأ غاية في الاصابة ولكن ابن خلدون لم يراعهِ دائماً ولا اصاب في تطبيقه كل

الاصابة لان الاخبار التي اثبتها لا يخلو بعضها من مظنة الشك والتي جعلها في مظنة الشك بل قطع بفسادها هي غير فاسدة كما وهم والأدلة التي أقامها على فسادها واهنة وبعضها منقوض . وسبحان من تفرّد بالكمال

ومهما يكن من عدم اصابتهِ في التطبيق فالمبدأ صحيح ثابت ويجب اتباعه دائماً وقد ذكره هربرت سبنسر في مواضع كثيرة من كتبهِ وبيَّن اسبابهُ . قال في الفصل الأول من كتابهِ في علم السسيولوجيا (أي علم العمران) في عرض الكلام على الشواهد التي يستشهد بها رجال السياسة من التواريخ والجرائد والرحلات اثباتاً لصحة نظام يريدون وضعهُ او سنَّة يقصدون سنَّها انهم ينقلون الاخبار على علاتها غير ملتفتين الى اغراض القائلين بها او ان اهواءهم واغراضهم الشخصية الوطنية والسياسية والدينية وامياهم الطبيعية واسلوب التهذيب الذي هُذِّبوا بهِ كل ذلك يتغلب عليهم ويحرفهم عن جادة الحق ومثَّل على ذلك بالسمكة التي في الماء فانها لا ترى في المكان الذي هي فيهِ بسبب انكسار النور ويزداد انحرافها عن موقعها الحقيقي بازدياد انحراف الناظر اليها . وقال في الفصل الخامس من هذا الكتاب ان من عوائق فن السسيولوجيا فساد الاخبار التي يتناقلها الناس وان الاخبار المدخولة شائعة الآن كما كانت شائعة في الازمنة الغابرة . وذكر امثلة لذلك منها ان بعضهم وصف اهالي زيلندا الجديدة بأنهم اهل نباهة وشجاعة وقساوة . وبعضهم وصفهم بانهم ضعفاء جبناء لطفاء والوصفان على طرفي نقيض وهما في شعب واحد . ثم قال انهُ انتشرت من برهة وجيزة في اسواق مدينة لندن صورة عصفور لهُ رأسان وبدن واحد وقال ان واحداً رأى هذا العصفور واخبرني انهُ مثل صورتهِ تماماً . ثم جاء وصفهُ في جريدة اللانست الطبية فاذا هو عصفوران كاملان لهما بدنان ورأسان ولا اتصال بينهما الاَّ من ظهريهما فكأن محبة الاستغراب تقود الناس عن غير قصد منهم الى تقرير الامور على غير حقيقتها . واطال الكلام في هذا الموضوع وافرد لهُ فصولاً كثيرة بيَّن فيها تأثير التشيع المذهبي والسياسي والتعليمي . والظاهر انهُ هو ايضاً لم يسلم مما نهى غيرهُ عن الوقوع فيهِ فقد ذكر في مقدمة «السنن السياسية» ان بلاد المكسيك كان فيها مدن وسيعة فيها مائة وثمانون الف بيت. وهذا من المبالغة بمكان ولا سيما لانهُ يزيد كثيراً عما قرره كثيرون من المؤرخين فقد قال زوازو الذي زار المكسيك سنة ١٧٢٦ انها ستين الف ساكن وهذا قول واحد من اتباع كورتز ايضاً. ولكن الذي يطالع كتب سبنسر ويرى ما فيها من الشواهد التي تعدّ بالألوف الكثيرة لا يعجب من وقوع الخطإِ القليل فيها ولا سيما لان الشواهد يجمعها لهُ المساعدون من كتب القوم وهو يتولى تنسيقها وتجريد الكليات من جزئياتها

﴿المبدأ الثاني﴾ ان التعاون على المعاش والدفاع هو من اول اسباب الاجتماع الانساني ودعائمهِ

قال ابن خلدون في الفصل الاول من الكتاب الاول «ان قدرة الواحد من البشر قاصرة

عن تحصيل حاجتهِ من الغذاء غير موفية لهُ بمادة حياتهِ منهُ فلا بدَّ من اجتماع الكثير من ابناءِ جنسهِ ليحصل القوت لهُ ولهم بالتعاون قدر الكفاية وكذلك يحتاج كل واحد منهم في الدفاع عن نفسهِ الى الاستعانة بابناء جنسهِ. واذا كان التعاون حصل لهُ القوت للغذاءِ والسلاح للمدافعة فاذاً هذا الاجتماع ضروري للنوع الانساني والاَّ لم يكمل وجودهم » وقال في فصل آخر ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلتهم في المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيلهِ والابتداء بما هو ضروري منهُ ونشيط قبل الحاجي والكمالي

وقال هربرت سبنسر في هذا المعنى ان التعاون لا يتم بغير الاجتماع والاجتماع لا يدوم الاَّ بالتعاون والاَّ انحلَّت عراهُ وتفرق الناس ايدي سبا . وقد يكون الغرض من التعاون تحصيل ما لا يمكن للفرد الواحد تحصيله من المعاش او ما يعسر عليهِ تحصيلهُ اذا انفرد وحده او ما لا يستطيعهُ وحدهُ من مدافعة الاعداءِ. والغالب ان يكون الغرض منهُ مجموع هذه الاغراض كلها. ثم افاض في شرح تقسيم الاعمال والتعاون عليها وعلى الاعداءِ وتأثير ذلك الاجتماع الانساني وبيَّن تدرُّج الناس فيهِ من اوطإِ اطوار التوحُّش الى اسمى درجات التمدن وذكر امثلة لكل ذلك من بين اهل هذا العصر لان فيهم كل درجات البداوة والحضارة التي تقلّب فيها البشر

﴿ المبدأ الثالث ﴾ ان العصبية دعامة اخرى من دعائم الاجتماع الانساني

قال ابن خلدون ان احياء البدو يزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبراؤهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة. وحللهم يذود عنها من خارج حامية الحي من انجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وذيادهم الاَّ اذا كانوا عصبية واهل نسب واحد لانهم بذلك تشتدُّ شوكتهم ويخشى جانبهم اذ نعرة كل واحد على نسبه وعصبيتهِ اهم. واما المنفردون في انسابهم فقلَّ ان تصيب احداً منهم نعرة على صاحبهِ. فاذا اظلم الجو بالشر يوم الحرب تسلّل كل واحد منهم يبغي النجاة لنفسهِ خيفة واستيحاشاً من التخاذل. وقال في فصل آخر ان الملك والدولة العامة انما يحصلان بالقبيل والعصبية لان المغالبة والممانعة انما تكون بالعصبية لما فيها من النعرة والتذامر . ثم ان الملك منصب شريف فيقع فيهِ التنافس غالباً وقلَّ ان يسلّمهُ احدٌ لصاحبهِ الاَّ اذا غُلب عليهِ فتقع المنازعة وتفضي الى الحرب والقتال والمغالبة وشيءٌ منها لا يقع الاَّ بالعصبية . ثم بيَّن بُعَيْد ذلك انهُ اذا استقرَّت الدولة وتمهَّدت فقد تستغني عن العصبية كما هو مشاهد في كثير من البلدان .

وقال هربرت سبنسر ان الاجتماع يقتضي ائتلاف الطبائع وهذا يستلزم وجود العصبية وهي تقوى بالوراثة وتتمكن في الجنس كلهِ . واستشهد على ذلك بشواهد كثيرة لا محل لاستيفائها هنا وقال ان ذلك كان معروفاً من قديم الزمان فان هيرودوتس ذكر الاسباب الرابطة للشعب اليوناني فقال انها اولاً الدم ثانياً اللغة ثالثاً المذهب رابعاً العادات والاخلاق. ثم بيَّن

ان عدم العصبية هو الذي حل بعض الممالك القديمة وهو الذي آل الى تقوض اركان غيرها من الممالك التي لم تزل قائمة الى يومنا هذا. وتشاءم بانسلاخ سلطنة الهند عن الحكومة الانكليزية يوماً ما لانها غير مرتبطة بها بعرى العصبية

﴿ المبدأ الرابع ﴾ ان البداوة اقرب الى الخير من الحضارة

قال ابن خلدون وسبب ذلك ان النفس اذا كانت على الفطرة الأولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير او شر واهل الحضر لكثرة مايعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلونت انفسهم بكثير من مذمومات الخلق وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه. واهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الاّ انه في المقدار الضروري لا في الترف ولا في شيء من اسباب الشهوات واللذات ودواعيها فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل منهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة الى اهل الحضر اقل بكثير فهم اقرب الى الفطرة الاولى وابعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وقبحها

وقال هربرت سبنسر ان بين المتوحشين اناساً تصح مقابلتهم بأفاضل المتمدنين . وبعض الشعوب الشرقية القديمة التي لم تزل في حال البداوة لا تُعرف فيهم خلة الكذب فهم أصدق من أصدق الاوربيين . وبعد ان ذكر شواهد كثيرة على ان البداوة قد تكون اقرب الى الخير من الحضارة قال ان اهالي دمارا الذين يقال انهم خالون من الشفقة لانهم ضحكوا عند ما رأوا واحداً منهم قد افترسه حيوان مفترس ليسوا باقل شفقة من الرومانيين الذين كانوا يقيمون المشاهد العظيمة ليروا فيها هجوم الأسود على الأسرى ولا من كراكلاّ الذي قتل عشرين الفاً من اصدقاء اخيهِ ثم اجبر جنوده المجلس العالي على ان يضعه في مصاف الآلهة. وبعد ان افاض في هذا الموضوع قال ان الخير لا يتبع العمران دائماً بل ان درجات العمران الأولى اقتضت القساوة والبطش لان اشد الناس قساوة وبطشاً هم الذين تغلبوا على غيرهم في اول الامر ووطدوا دعائم الاجتماع الانساني. ثم استنتج ان كل الحروب القديمة وما اظهره البشر من مظاهر القساوة والعتو كان ضرورياً لنمو نوع الانسان وتقويتهِ وانهُ لولا ذلك لكان سكان الأرض يأوون الآن الكهوف والغياض كأضعف المخلوقات . ولله در القائل

حبُّ السلامة يثني همَّ صاحبهِ عن المعالي ويغري المرءَ بالكسلِ
فان جنحتَ اليهِ فاتخذْ نفقاً في الارض او سلماً في الجوِّ واعتزلِ

وقد اتفق رأي ابن خلدون وهربرت سبنسر على ان البداوة اقرب الى الخير من الحضارة ولو كان مراد ابن خلدون من شرور الحضارة غير مراد هربرت سبنسر كما رأيت

﴿ المبدأ الخامس ﴾ ان آفة الملك الترف

قال ابن خلدون ان الدولة تكون في اولها بدوية فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده ويكون خرجها وانفاقها قليلاً فيكون في الجباية حينئذ وفاء بأزيد منها. ثم لا تلبث ان تأخذ بدين الحضارة في الترف فيكثر لذلك خرج اهلها ويكثر خرج السلطان كثرة بالغة بنفقته في خاصته وكثرة عطائه فتحتاج الدولة الى الزيادة في الجباية فيستحدث صاحب الدولة انواعاً من الجباية يضربها على البياعات . وربما يزيد ذلك في اواخر الدولة زيادة بالغة فتكسد الاسواق بفساد الاموال ولا يزال ذلك يتزايد الى ان تضمحل الدولة . وقال في مكان آخر ان العدوان على الناس في اموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من ان غايتها ومصيرها انتهابها من ايديهم . واذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت ايديهم عن السعي في ذلك . وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب فاذا كان الاعتداء كثيراً عامًّا في جميع ابواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة فكسدت اسواق العمران وانتقضت الاحوال وابذعرَّ الناس في الآفاق في طلب الرزق فخفَّ ساكن القطر وخلت دياره وخربت امصاره واختلَّ باختلاله حال الدولة والسلطان لما انها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة . واستأنف الكلام في هذا الموضوع مراراً كثيرة وبيَّن فيه ان ترف الدولة يكثر مظالمها ويفسد حال رعيتها ويسرع باضمحلالها وقدَّم على ذلك شواهد كثيرة من الممالك التي خربت في ايامه او قبلها

وقال هربرت سبنسر ان التعاون يفضي الى وجود النظام السياسي ولهذا النظام منافع ومضار وقد تزيد مضاره على منافعه لانهُ يوجب الجباية على الرعية للقيام بنفقات الملك وبطانته وحاميته وقد يزيد جور الحكام وترفهم فيزيدون الجباية زيادة فاحشة حتى تربي مضارهم على منافعهم ومثَّل على ذلك ببلاد مصر في ايام الرومانيين فان دولة رومية وضعت عليها حينئذٍ اثقل الجبايات وابتزَّت خيراتها منها فكانت تقوم بنفقة ولاتها وحاميتها وبنفقات الجنود الرومانية حيث حلت . وكانت الاموال التي يتبرَّع بها الشعب المصري لاعانة الدولة الرومانية لا تلبث طويلاً حتى تصير ضرائب تؤخذ منهم جبراً حتى هلك الفلاَّح والاكَّار وصارت الاراضي الخصبة قفاراً قاحلة وعلا صوت السياط الى السماء وملأ صراخ الناس الفضاء فماتوا هم ومواشيهم من شدة الفقر والعناء واجبر الاحياء على دفع الضرائب التي كان يدفعها الاموات والسعيد من ساعدتهُ التقادير على الفرار من بلاده الى بلاد الاعداء . واستشهد ايضاً بمملكة فرنسا التي لم يلبث ملكها ان اخضع الامراء والغى مظالمهم الكثيرة حتى ركب مراكب البذخ والترف وضرب على الرعايا ضرائب ثقيلة فتزايدت الجباية من احد عشر مليوناً الى ثلثمائة واحد عشر مليوناً فعمَّت الفاقة ومات الناس جوعاً او هجروا اوطانهم وهاموا على وجوههم وما زالت الخطوب تتفاقم حتى انجلت عن الثورة الفرنسية بكل اهوالها

الاشعاع والتطور

فاتحة تقدّم خطير في علم الحياة
من الناحيتين العلمية والعملية

طماطم جديد

في مستنبتٍ خاص من مستنبتات جامعة ايوى الاميركية ، يقع الزائر المعنيُّ بشؤون النبات على نبتتين من نبات الطماطم ، تسترعيان النظر ، لان مجرّد وجودها ، اشارة الى انقلاب خطير في علم الزراعة العملية. ولو انهُ اتيح لدارون ان يرجع الى الحياة مدة اربع وعشرين ساعة فقط، لكان في الراجح يطلب ان يرى هاتين النبتتين قبل ايّ شيءٍ آخر . لانهما نوعان جديدان من الطماطم لم يشاهدا من قبل بين انواع الطماطم البرية او الاليفة

نعم ، اننا نشاهد الى جنبهما ، النباتات التي نشأتا منها، وهي مثل كل نبات الطماطم جذوراً وسوقاً وورقاً وثمراً . ولكن لو ان باحثاً أتى ، بهاتين النبتتين من مجاهل البرازيل ، ورآهما نباتيٌّ لما تردّد دقيقة واحدة ، بعد مقابلتهما بانواع الطماطم المعروفة ، في الحكم بانهما نوعان جديدان . وهما يختلفان في علو ساقيهما وفي ورقهما وفي ثمرها عن نبات الطماطم المعروف . ثم انهما يتناسلان تناسلاً صريحاً ، أي ان النسل يأتي شبيهاً بالاصل في كل ما تقدم ، اي ان هذه الصفات تنتقل بالوراثة من جيل الى جيل . ومع انّ الاستاذ لندسترم Lindstrom انشأهما بوسائله الخاصة من نبات الطماطم المعروف ، الاّ ان هنالك ما يشير الى ان الطبيعة تجري على الوسائل نفسها في استحداث انواع جديدة من الانواع القديمة

وطريقة لندسترم تلخّص في تعريض بزور الطماطم او افرخ الطماطم للأشعة المنطلقة من الراديوم او للأشعة السينية (اكس) كما يفعل علماء الطبيعة في درس الذرَّة (راجع المقال الاول في هذا الجزء) . والتجربة الاولى من هذا القبيل جرّبها الدكتور مُلر (H. J. Muller) الاستاذ في جامعة تكساس سنة ١٩٢٦

***

لنرتدَّ قليلاً الى ايام داروِنْ. فانهُ اخرج في سنة ١٨٥٩ كتابهُ «اصل الانواع» فأحدث

انقلاباً خطيراً في علم الحياة . بل وفي التفكير الحديث . في هذا الكتاب اعترف داروِن بجهله اذ قال « لقد اشرت حتى الآن الى التغاير كأنه وليد الصدفة . وهذا نظر خاطىء ، ولكنهُ يكفي للاعتراف بجهلنا بكل تغاير خاص . . . . ان جهلنا بنواميس التغاير جهل عميق » . وكان داروِن قد سلَّم بالتغاير على انهُ حقيقة لا تحتاج الى برهان ، ولكنها مجهولة الاسباب ثم حاول ان يبيّن أثر قوة طبيعية في هذا الميل الى تغاير النسل عن الاصل وكيف يحدث الانتخاب الطبيعي ، كما ينتخب مربي الحيوان والنبات الاصلح من نتاج الحيوان او النبات ، انتخاباً صناعيًّا

من مندل الى ملر

وظلَّ جهلنا بنواميس التغاير ، خلال سبعٍ وستين سنة ، عميقاً كجهل داروِن بها . ولكن علماء الحياة اكتشفوا في خلال هذه السنين ما مكّنهم من رؤية الصورة كاملة واضحة . ففي اثناء المدة التي كان فيها داروِن مكبًّا على وضع « اصل الانواع » كان راهب نمسوي يدعى جريجور مندل يتسلّى بتضريب نبات البسلّة واحصاء التغايرات الجديدة التي يراها في النسل . فتوصل الى ناموس بسيط كلّ البساطة ، يبيّن ان الطبيعة لا تجري اعتباطاً في احداث وجوه التغيُّر في النبات والحيوان ، بل على قاعدة رياضية مضبوطة . ولكن احداً لم يُعِر مباحثهُ شأناً ما ، فطويت حتى كشفها احد الباحثين في سنة ١٩٠٠ بعد وفاة مندل

وفي اثناء ذلك كان العالم الهولندي هوغو ده دڤريز يراقب طائفة من نبات زهر الربيع في منطقة من الارض في هولندا ، فلاحظ ، انهُ في الفينة بعد الفينة ، تظهر نبتة تختلف عن النباتات الاخرى التي نبتت من طائفة واحدة من البزور . وعند التدقيق في البحث وجد ان هذه النبتة المختلفة عن اخواتها ، هي في الواقع نوع جديد فدعا هذا الفعل بالتحوُّل الفجائي Mutation واثبت ان انواعاً جديدة كانت تظهر ظهوراً منتظماً بفعل التحوُّل الفجائي من الاصل الذي ترجع اليهِ . ثم ثبت ان هذه الانواع الجديدة صريحة التناسل بحسب قواعد مندل اي ان صفاتها الجديدة ، تنتقل بالوراثة الى الخلف الاول فالى الخلف الثاني الخ

فكان هذا الاكتشاف نقضاً لقول داروِن بان الاحياء في تطوّرها « لا تقفز قفزاً » وان الانواع الجديدة انما تنشأ من تجمع تغايرات صغيرة متوالية لا تلبث ان تصبح صفة جديدة يختلف بها الخلف عن السلف

وفي سنة ١٩٠٠ كشفت حقيقة ثالثة من مقام الحقيقتين اللتين مرّ ذكرهما ، كشفها بوڤيري Bovery لدى فحصهِ خلايا الاحياء بالمكرسكوب ، اذ وجد ان في نواة كلّ خليةٍ ، اجساماً دقيقة يسهل صبغها — فدعاها بالكروموسومات اي الاجسام التي تتلوّن — وتتصرّف تصرُّفاً خاصًّا . فقال في نفسهِ لا بدّ ان يكون لها شأن في الوراثة والتغاير . ثم اثبت الباحثون

الذين تلوا بوفيري ، ان هذه الاجسام هي المسيطرة على الوراثة المندلية ، ولا بدَّ ان تحتوي على اسرار الوراثة والتغاير بل وخفايا التطوُّر نفسهِ

***

وجاء بعد ذلك توماس هنت مورغن الاميركي ، فاكبَّ هو واعوانه على درس الكروموسومات في ذبان خاص يعرف بذبان الفاكهة Drosophila فأثبتوا بعد بحث قليل ان التحولات الفجائية اكثر مما يظنُّ وانما اكثرها دقيق لا يشاهد بالعين المجردة . فقد وجدوا في ذبان الدورسوفيلا تحوُّلات فجائية كثيرة ، تتناول لون العيون وشكل الاجنحة وغير ذلك ، ووجدوا كذلك ان كل تحوُّل منها يورَّث . وقد تناول بحثهم نحو عشرين مليون ذبابة فوجدوا نحو ٤٠٠ تحوُّل فجائي كلُّها تورَّث توريثاً صريحاً اي تنتقل الى الاجيال التالية . وتمكنوا بعد ذلك من تعيين موقع كل تحوُّلٍ في الكرموسوم نفسه فما اقبلت سنة ١٩١٥ حتى كان مورغن قد عين مواقع ثلاثين او اكثر من هذه العوامل — التي تسند اليها التحولات الفجائية — في كروموسوم واحد . فقد عرفوا مثلاً ان في نقطة معيَّنة من كروموسوم معيَّن ، العامل الذي يجعل عيون الذبابة من لون خاص

ولكن البحث في الدروسوفيلا كان بطيئاً ، لانهُ كان مرهوناً بسرعة تناسلها ، وظهور التحوُّلات الفجائية في النسل . وما كان احدٌ يعلم ، لماذا يظهر تحوُّل فجائي جديد ، ولا متى يظهر . فحاولوا ان يستنبطوا طريقة لاسراع حدوث التحوُّلات الفجائية ، فعرَّضوا عوامل الوراثة في الكروموسومات للفواعل الطبيعية من برد وحرارة ، وتجفيف وبلٍّ ، وتغذية وتجويع ، وحرق وسمٍّ ، فباؤا بالاخفاق ، لانهم وجدوا ان هذه الفواعل لا تؤثر مطلقاً في عوامل الوراثة

وفي سنة ١٩٢٦ (راجع مقتطف ابريل ١٩٢٨ صفحة ٣٩٨) خطر للاستاذ ملر ان يستعمل وسيلة جديدة . ذلك انهُ رأى العلماء يستعملون الاشعة السينية والمقذوفات المنطلقة من الراديوم في محاولتهم تحطيم الذرَّة فقال في نفسهِ ولماذا لا نطلق الاشعة السينية على عوامل الوراثة

التحول والاشعة السينية

فاخذ الوفاً من ذبان الدروسوفيلا وعرَّضها للاشعة السينية . واختار الذبان الذي درست عوامله الوراثية ومواقعها من الكروموسومات ، حتى اذا ظهرت صفات تختلف عن الصفات المعهودة فيها ، اسند ذلك الى اثر الاشعة السينية . وقال في نفسهِ ، اذا كان توفيقنا في تجربتنا من نوع توفيق علماء الطبيعة ، صدمت بعض الاشعة السينية عوامل الوراثة ، فتطلِقُ منها ذرَّة او تضيف اليها ذرَّة ، فيتغيَّر بناؤُها الكيمائي . فاذا كانت عوامل الوراثة ، هي المسيطرة

على الوراثة فعلاً كما يقال ، وجب عندئذٍ ، ان تتغير الصفات التي تولّدها هذه العوامل بعد تغيُّر بنائها بفعل الاشعة السينية . وكان علماء الوراثة يعلمون ، ما يجب ان يكون عليهِ لون العيون في نسل هذا الذبان وشكل الاجنحة وغيرهما من الصفات الوراثية بعد عمل الحساب لحدوث ٤٠٠ تحوُّل فجائي في كل ٢٠ مليون ذبابة

وبعد ما عرّض هذا الذبان للاشعة ، ترك لكي يتناسل . فكانت النتيجة ان نسلهُ بعد التعرض للاشعة كان اقل منهُ قبل التعرُّض لها . واذاً فلا بدَّ ان تكون الاشعة قد اتلفت في بعض الذبان الجراثيم التناسلية . ثم ظهرت صفات تدلُّ على ان الاشعة قصمت بعض الكروموسومات . ولكن الظاهرة التي استرعت انتباه هذا الباحث، وغيره من بعده، ان عدد التحولات الفجائية زاد من نسبة ٤٠٠ تحوُّل في ٢٠ مليون ذبابة الى ٦٠٠٠٠ تحول في العدد نفسهِ . فكان هذا دليلاً على ان الاشعة اصابت العوامل الوراثية وغيرت في بنائها، فزاد عدد التحولات الفجائية

واذاً فعملية التطوُّر يمكن ان يزيد الانسان سرعتها بوسيلة يسيطر عليها

كشف خطير

فهذا الاكتشاف يجب ان يحسب من اخطر المكتشفات في علوم الحياة الحديثة ، لانهُ اثبت في الناحية الواحدة وجود عوامل الوراثة (genes) وعددها في الكروموسومات . ففي ذبان الدروسوفيلا اكثر من ١٤ الف عامل من هذه العوامل ، لا ندحة عنها لحياة الذبابة وصحتها . وازاحة احد هذه العوامل من محله او اتلافهُ يكفي لكي تولد الذبابة بلا فخذٍ او بلا عينٍ او بلا رأس ، او غير قادرة على الحياة مدى حياة الذبابة المعهود . ولما كان حجم الكروموسوم معروفاً، وعدد العوامل الوراثية في الكروموسوم الواحد معروفاً ففي الامكان تقدير حجم العامل الواحد من عوامل الوراثة . فهو نحو 1×1^{-18} من السنتمتر المكعَّب وكل عامل يحتوي على ١٨ جزيئاً من البروتين، وكل جزيء يحتوي على نحو ٨ آلاف ذرَّة . وعلى ذلك فسر الوراثة ، اصبح شيئاً يكاد يكون ملموساً ، بعد ما تمكن العلماء من تعيين عدد العوامل التي تحدثها ، ومكانها وحجمها

هذا في الناحية الواحدة . ولكن النتيجة في الناحية الأُخرى اهم مما تقدَّم . ذلك ان هذا الاكتشاف اثبت ان قوَّة قد كشفت تستطيع ان تؤثر في الاجسام الحية فتحدث فيها تغايرات تنتقل بالوراثة من جيل الى جيل

الحذر من التهور

ولكن يجب ان نتخذ الحذر رائدنا في الوصول الى النتائج المبنية على هذا الاكتشاف الخطير . فنسأل: هل اطلاق الاشعة يتلف العوامل الوراثية او يضعفها فقط ? لانهُ اذا كان هذا

هو الاثر الوحيد فيها ، فالنسل الذي اتلفت بعض عواملهِ او اضعفت لابد ان ينشأ مريضاً ضعيفاً . واذاً فالاشعاع لا يمكن ان يكون سبب التطوُّر . لان التحولات الفجائية التي يقوم عليها التطوُّر ، انما هي تحولات تمنح النسل صفات جديدة تمكنه من التفوق على غيره في ناحية او اكثر من النواحي . فالتحوُّلات التي يقوم عليها التطور يجب ان تضيف شيئاً الى صفات النسل لا ان تكتفي بسلبه اشياء

ففي ذبان الدروسوفيلا نحو ١٤٠٠٠ عامل من عوامل الوراثة يجب ان تعمل عملاً منسجماً متسقاً لكي تتمكن الذبابة من الحياة حياة سوية . واقل تحوّلٍ في هذا الاتزان الدقيق يفضي الى الموت . وقد ثبت انهُ اذا اخذنا مائة من التحولات الفجائية في الذبان المعرض للاشعة السينية ، وجدنا ٨٧ تحولاً منها مما يميت . و١٣ تحولاً فقط تمكن النسل ونسله من بعدهِ من الحياة حياة سويّة . فهل في هذه التحولات الثلاثة عشر ، ايُّ صفات جديدة تمنح هذا النسل تفوقاً على سلفهِ ؟

من المتعذر الجواب عن هذا الآن

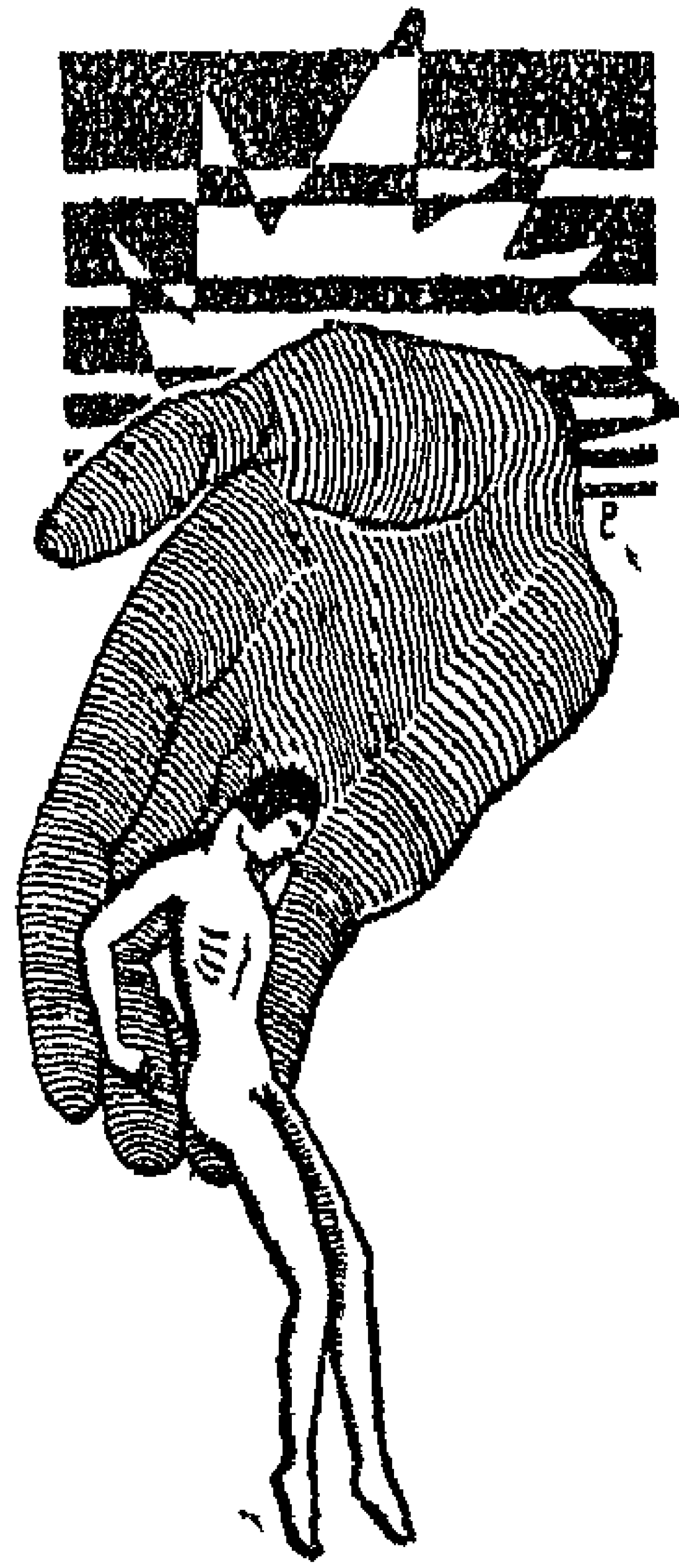
فلنعد قليلاً الى نبات الطماطم من مستنبت الاستاذ لندستترم . فالبحث فيها يرينا ان كل الصفات الجديدة في الانواع الجديدة هي صفات تأخر لا صفات تقدم . فستٌّ من النباتات الجديدة نشأت خالية من الكلوروفل (المادة الخضراء) فهي لا تستطيع ان تعيش في الطبيعة . واثنتان ضعيفتان مريضتان ، وليس فيها اي صفات اخرى لتعوضها من هذا الضعف وتاسعة عقيمٌ . وما يصدق على الطماطم يصدق على نبات الشعير ، والتبغ ، وغيرها من النبات والحيوان الذي جربت فيه هذه التجربة . ولكن الحال في ذبان الدروسوفيلا ، يختلف قليلاً عما تقدم . لانه اذا تحولت ذبابة شكل جناحها كالرقم ٨ الى ذبابة شكل جناحها كالرقم ٤ — بعد تعريضها للاشعة — وكان هذا التحول تأخراً ، فالذبابة التي شكل جناحها كالرقم ٤ اذ تتحول الى ذبابة شكل جناحها كالرقم ٨ يكون هذا التحول فيها تقدّماً . وهذا واقع فعلاً . واذن فالراجح ان بعض التحولات التي يحدثها التعرض للاشعة السينية ، يمنح النسل الذي تحدث فيه صفات جديدة من قبيل الصفات التي يقوم بها التطور الى الامام

الاشعاع والتغاير الطبيعي

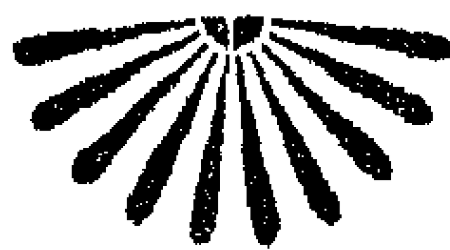
فاذا كان الاشعاع في معمل البحث يحدث تحولات فجائية في الاحياء ، ألا نستطيع ان نبحث عن سرّ التغاير الطبيعي ، في هذه الناحية من نواحي القوى الطبيعية ؟ فالاشعة التي تصيب الارض مختلفة ، وبعضها قوي النفوذ كالاشعة الكونية . افلا نجد في هذه الاشعة الجواب عن السؤال الذي وجّههُ داروين الى نفسه وتركه من دون جواب ؟ ألا يمكن ان تصيب

الاشعة الكونية وغيرها من الاشعة التي تقع على الاحياء، عوامل الوراثة فيها فتحدث التغايرات المنوّعة، ثم تفعل قوى الانتخاب الطبيعي بهذه التغايرات فتنشأ الانواع الجديدة؟

ولكي نستطيع الاجابة عن هذه الاسئلة يجب ان نعرف مقدار الاشعة السينية اللازمة لاحداث عدد معيّن من التحوُّلات في الدروسوفيلا، وقوتهُ وعلى هذا القياس، يجب ان تكون الاشعة التي تقع على الارض اقوى الف مرة منها الآن، لتحدث في الاحياء تحولات خائية من رتبة ما يحدث في الذبان المعرّض للاشعة السينية . ولذلك لا نستطيع ان نسند التغاير الطبيعي الى سبب واحد هو الاشعاع . بل نقول ان الاشعاع احد اسباب التغاير. وقد اثبتت التجارب الحديثة في ايطاليا ان الاشعة الكونية لها اثر فعّال لاجدال فيهِ . وانما يجب ان نبحث عن اسباب اخرى . ثم لا ريب في ان المادة الحية نفسها — البروتوبلازم — مادة مشعة، لانها تحتوي على البوتاسيوم وهو عنصر مشع الى حدٍّ ما . والمباحث دائرة الآن لمعرفة هل الاحياء الناجحة في ميدان التطوّر تميل الى خزن هذه العنصر المشع اكثر من غيرها



يرى القارىء ان خطر مباحث ملر ولندسترم من الوجهة النظرية هو انهما كشفا سبب التغيّر، فاضاءا ناحية من اقتم النواحي في مباحث النشوء والتطور . ولكن ذلك لا يغضُّ لا من قيمة النتائج العملية . لانها تمكن الفلاح والبستاني من استعمال هذه الطريقة لاحداث بعض التحوُّلات المرغوب فيها في عمل الانتخاب الصناعي، في الحيوان والنبات، بعد مايتقدَّم البحث العلمي والعملي في هذه الناحية تقدماً كافياً



مصر في الادب الالماني

« الموت الذهبي »

٦

وبدأوا بسرعة يستغلون المنجم . وجعلوا يحتفرون وينبشون ويجرفون بين صبيب العرق المتساقط في اماكن ضيقة ووسط هواء خانق — وما كان في استطاعة العبيد تحت ضربات سياط رؤسائهم ومراقبيهم منذ قديم الزمان ان يأتوا من العمل بمثل ما أتى بهِ هؤلاء القوم . بل لقد كانت اعظم الاعمال تعباً ومشقة أبعثها في نفوسهم على اللذة والمسرة

وفتحوا العرق الوافر الممتلىء ثم حفروا مهداً للذهب وتركوه يتدفق . ثم رفعوا ربهم المتلألىء من معبده العميق الى نور شمس الصحراء الافريقية بين التهليل ، والتكبير .. وكانوا كلما استراحوا تكلموا حول موضوع واحد ليس الاَّ . موضوع لهُ عندهم الشأن كل الشأن . ذلك هو الذهب وكانوا كأنما رؤسهم لا يشغلها موضوع آخر غيره ...وأحاط بمضربهم نوع من الكابوس كانهُ روح شريرة او شيطان من الشياطين . فكلما راح الباحثون عن الذهب في اعماق نومهم منهوكي القوى يهدمهم التعب والعمل المضني ، زحف هذا الكابوس عليهم كأنهُ وحش من وحوش الليل . واخذ يتقلب ويتدحرج فوق قلوبهم . ويحتضنهم بأذرعة كالمشابك . ويخنقهم ويضيق عليهم الانفاس . ألا انهم كانوا رغم ذلك يصيحون صياح من يصارع الموت هاتفين باسم « الذهب — الذهب — الذهب » .. وأحسوا رغم هذه الاحلام المزعجة بالسعادة والسرور لهذا الغنى المفاجىء ولو انهُ التي بهِ في سعير متقد لما ترددوا لحظة عن الترامي عليهِ والقاء انفسهم بعده في هذا اللهب الذهبي ليجدوا بجواره اسعد الميتات وانعمها

ألا ان هنالك شيئاً لم يستطيعوا بعد ادراك كنههِ او فهم حقيقتهِ . ولم يتوصلوا رغم لهفتهم وبحثهم الى كشف سره . ذلك هو كيف غربت شمس كاشفي المنجم الاولين ، الذين راح خبرهم طي النسيان والفناء . ولم يحاول انسان بعد ذلك البحث عنهم او استقراء اخبارهم. وظهر العرق الذهبي وكأنما هو يتشعب في صميم الصخور ويتفرع مما يدل على عدم امكان افنائه والاتيان على آخره .. ولكنهُ ترك بالرغم من كل ذلك واهمل ونسي

وجعل القائد يكابر نفسه ويخطئها بشكل غريب . ذلك الذي كانت لهُ القيادة عليهم فيما قبل. فلم يصبح لهُ اليوم امر او طاعة . اذ تعصبوا ضده وعصوه كلما طلب منهم طلباً او رغب اليهم في حاجة . مما جعله يحس فجأة بسخافة اكتشافهِ العظيم

وعلى قدر ما ساءت حالة الرجل ، حسنت حال رفاقهِ

وفي اليوم الثالث من أيام وصولهم الى المكان شعروا بشدة الحاجة اليهِ وضرورة الصعود عنده وتقديم رجاء ورغبة . غير ان معظمهم لم يشأ هذا الرجاء في البدءِ حتى الغلام جيوردانو نفسه . . الاَّ ان الآخرين تمكنوا من اقناع اخوانهم . فتم الاتفاق في النهاية على ارسال الفتى الصقلي كرسول من قبل الجميع . .

— ووجد هذا صديقهُ ملقى بطوله فوق الرمال . ذلك الرجل القوي العزيمة . الجبار الارادة يبدو وقد اخذ فجأة بفعل سحر عجيب . فرقد فاقد القوة تحت نيران الشمس كانما فقد رشده .. وتقدم الغلام اليهِ ثم قال لهُ بلغة قومهِ ووطنهِ (تلك اللغة التي يجعلها تلين في فمهِ كلما شاء وترق رقة الموسيقى الجميلة الجذابة) «انك لرجل غريب.. ها انت ذا ترقد هنا وتضطجع كأنما بك مرض من الامراض. مع انهُ لم يلمَّ بك اقل ضير.. الاَّ انهُ ليلزمك الاحتفاء والبشر بدل الاكتئاب والانقباض .. لقدقمت باكتشاف عظيم . واديت مهمتك التي القيتها انت نفسك على كاهلك أجل اداء . فلسوف تصبح رجلاً تغمره الشهرة العالمية . وتصبح فوق ذلك من ذوي الملايين .. كن مستريحاً . فانا اعلم علم اليقين ان ذلك كله ما كان من اجلك . بل من اجلي . . غير انك تدعني هكذا تحت الارض احفر وانبش وحدي كأنني ما زلت في مناجم الكبريت التي انقذتني انت منها ونجيتني .. ها انت تسمعني انا الذي لا انسى يدك على الاطلاق » ..

— لكنتُ افضل الف مرة . لو انك ما زلت تكد في مناجم كبريتك وتشتغل . فلا أخلصك منها ولا انجيك . ولا يبقى لك اليوم شيء مما تحاول الاَّ تنساه

— شكراً لامانيك الاخوية . ان حالي كما هو . وأنهُ بالحق لأحب اليَّ . . ثم ضحك ضحكتهُ الواضحة الصبيانية . وأعقب قائلاً

— تتركني وحيداً كأنما اشتغل واكد واشقى لترقد انت هنا وتحلم احلامك الخيالية غير مهتم بشيءٍ على الاطلاق — لا أهتم بعد لشأن من شؤونك ؟

— أنك ما زلت تحبُّ لي الخير كما كنت على الدوام . ولست في حاجة الى بيان ذلك لي منك ؟

— أفقلت لك ذلك ؟؟ — كتأنيب واتهام

— كلاَّ ما كنت أود ذلك قط — والآن فحسناً .. ألا كن طيب القلب وانهض وتعال معي نذهب. ولكن احباه — الى اين ؟؟ — الى اسفل — نفسي تعاف ذلك

— تعاف الذهب ؟ ؟ . . — تعاف كل شيءٍ — حسناً . انك خياليٌّ

— ولو اني ما زلت ارجوك ان تتبعني — ماذا يود هؤلاءِ القوم مني ؟ ؟

— لقد اكتشفوا منذ برهة كتابة من الكتابات الحفرية — في المنجم ؟؟

— على جوانب احد الجدران . انني اعرف انك ستذهب معي حالما تسمع ذلك. لا ابتغاء

مرضاة حبك لي ولا اكراماً لهؤلاء القوم . بل ابتغاء مرضاة حبك لعلمك . أنني اعرفك . ومن ذا غيري يعرفك او يستطيع معرفتك . ؟ .. ألا تعالى . تعالى معي ..

***

ماذا اصاب الرجل ؟ لقد تمكن في ضوء المنجم الارضي المضطرب من قراءة الكتابة المحفورة على الجدار ... واستطاع بكل جهد حل ألغازها التي دهشها وتركته عديم الكلام .. لقد تمكن كذلك من قراءة كل حرف ورمز في الصحراء من الكتابات الهيروغليفية التي ترشد الى الطريق . الاّ انهُ وقف امام هذه الاحرف جاحظ العينين لا يعلو وجهه بريق النصر بل الخوف المرعب القتال . . ولم يتمكن كل من رآه في موقفهِ الحرج من طلب القراءة والكلام وانعكس شيءٌ من الخوف والهلع الذي ملأ نظرات جاستون لاتور على القوم الذين احاطوه ومع انهُ لم يلحظ الباقون شيئاً من ذلك الاّ انهم احسوا بمواجهة مكروه خفي . ثم سمعوا بعد ذلك .. اذ كانت الكتابة لعنة تتلخص في الآتي : —

على كل من يصل الى مكاننا الملعون هذا ان يسرع في الهرب . وكل من يلبث بعد قراءة هذه الاحرف عُـدَّ فاقداً . . ان ماء هذا المكان مسموم . فكل من شربه شرب الموت الزؤام . لقد كنا نود نحن عدم التزحزح فشربنا ومتنا . . انصتوا الينا ايها الفانون . لا تشربوا . . أنجوا بأنفسكم . . أهربوا

٧

جمع جاستون لاتور القوم في المضرب . وشرح لهم مرة اخرى ما تضمنتهُ تلك الكلمات الماثلة امامهم . وطلب منهم سرعة الرحيل والهرب

أيجب عليهم ترك مناجم ذهب الصحراء فجأة ؟ أيجب ان ينصرفوا عنها وهم يرغبون في استغلالها الى اقصى مدى الاستغلال ؟ أيتحتم عليهم ان ينصرفوا عن جمع الذهب بقدر ما تحمله جمالهم وبقدر ما يمكنهم هم انفسهم نقله ؟ ايجب عليهم الرحيل ؟ أيلزم ذلك بكل سرعة يستطيعونها حتى في ذلك اليوم اذا أمكن ؟ وقد وصل بهم ذلك الى حد الهياج . فصرخوا في وجه الرجل الذي يطلب منهم المستحيل .. ونادى أحدهم فجأة . لا تصدقوه ! انه يكذب . يريدنا ان نرحل ليعود وحده فيما بعد . انه يكذب . . وصاح الجميع مرة واحدة . . . انه يكذب . . .

وكذلك سرى الاعتقاد بأنه « يريد العودة فيما بعد مع مخلوقات مستأجرة ليأخذ الذهب لنفسه » . كان الرجل كاذباً . ذلك الذي ائتمنوه وصدقوه . خادعاً أفّاكاً . .

وهبَّ الجميع متفرقين . ثم تزاحموا على المنجم ملقين بأنفسهم فيه . هنالك حيث الجدار الحامل للرمز المعقد المقصود بهِ تقرير شيء مرعب مخيف . . ونظر الكل الى هذه الاحرف الهيروغليفية ضائعي الفكر فاقدي الصواب . ثم صرخوا . وهاجوا . وزمجروا . وهدروا ..

وامتلك بعضهم الوسواس فجأة . واستسلموا لليأس والقنوط فنهرهم الآخرون . وتقدم الفتى الصقلي للخائفين منهم وخاطبهم .. ودفعهُ انفعاله الوحشي ان يتكلم كالمحموم عن صديقه وصاحب الفضل عليهم فيما بعد . . ولم يقل عنه انه كاذب او منافق . بل طلب من القوم اقناع قائدهم بالبقاء . وذلك لان « الكتابة هي الكاذبة » . .

وأفادت هذه الكلمات في اعادة الهدوء فكانت الحل المنتظر . . « هذا كذب الأموات أنفسهم » وتقدم جاستون لاتور في الليل الى مضرب الغلام الذي أصبح منه كيوذا من عيسى عليه السلام. وألقى نجم سماء الجنوب ضوءه الباهت من بين ثنايا جدار الخباء المفتوح على وجه النائم . الذي لا يمكن لطفل ان يهنأ بمثل هدوء نومته وسعادتهِ . . ولكنه كان بقدر هذه السكينة يحس الرعب والفزع لاقتراب اي انسان منه . . فنهض مذعوراً من نومه بعد ان أفلتت آهة عالية من بين أسنانه . وفتح عينيه ثم صرخ قائلاً . . .

— ماذا تريد مني ؟ — أنني لم اوقظك ! — أنك تود اتهامي بالجحود والنكران

— أنني ما طالبت احداً بشكر في يوم من الأيام بعد . . ما طالبت احداً حتى ولا أنت على الاقل . فمن أحبَّ شخصاً كانت عقيدته الثقة به . لا الشكر والحمد . فهو سعيد لأمكانه حبه . .— انني أعلم انك شريف وطيب . وأوقن انني رديء ومؤذٍ . . ان هي الاَّ طبيعتي التي لم يمكنك أنت تغييرها . حتى ولا بكل حبك وتفانيك . .

— ولا بكل حبي ؟ انه ليجب عليَّ الآن بكل هذا الحب ان أدافع عنك وأحميك من نفسك . . — أتلزمني بالرحيل من هنا . ؟ . — هذا ما يجب عليك . !!

— وهل يبقى الآخرون . . ؟ — انه لا يمكنني انقاذهم — وأنت . ! .

— سأبقى بجوارهم . وسنعود بصحبة أحد البدو

— انت تبقى . لتفنى مع هؤلاء القوم ؟ وما ذلك الاَّ لاعتقادك كذب هذه الاسطر ؟

— أنها الحقيقة المقدسة — ولكنني لا أريد الذهاب

— أتود البقاء نزولاً على رغبة الذهب ؟ ؟ . — أي نعم . أي نعم . .

ثم قفز واقفاً وصرخ قائلاً . «ألا ان ذلك كله لمنتهى الجنون . وقد أصبحنا جميعاً جد مخبولين . وأنت اشدّنا خبلاً . . . لقد مضى علينا اليوم ثلاثة أيام ونحن نشرب من الماء الذي لا بدَّ انه قد سمم بمادة ما من المواد المهلكة منذ آلاف السنين . كما هو مدون هناك . . وربما كان ذلك منذ قديم الزمان . . غير اننا شربنا اليوم من السم ولم يبدُ لهُ اثر. بل ظللنا اصحاء . ألا يدل ذلك على عدم وجود سم بعد فيه ؟ دعنا نبحث عن ماء غيره . إذ لا بدَّ من وجود غيره هناك . انك رجل عالم . وانهُ ليلزمك العلم بذلك . ان معنا طبيباً نوبيًّا كذلك . انهُ يعرف هذه البلاد . يعرفهـا احسن منك كذلك . وقد صرح

ان ذلك محض كذب واختلاق . قال انهُ لمن الغباء والحمق ان نرحل من هنا ونهرب . انني ارجوك بحق حبك لي ان تساعدنا جميعاً . وان لا تستسلم كل الاستسلام الى افكارك

أمصرٌ على البقاء ؟ — وهل تود ان احرم من نوال الذهب لتأخذني معك ؟ انني اعرفك — ليس من اجل هذا الذهب الملعون .... انك لتعرفني حقّـا — انني سأبقى !

٨

وكان الماء الذي يجب ان يجلب الموت سائلاً ذا لون بني كالطين ككل مياه آبار الصحراء مع انهُ كان ينبع من طبقات كثيفة من الصخور والرمال والحصى وعروق الاحجار المختلفة الانواع التي لم تكتشف بعد في هذه الانحاء . كان هذا الماء رغم التعكير او الثفل المعلق فيه افضل نعمة للانسان والحيوان من نعم الصحراء . فهو يهب الحياة ويحميها . اما الموت فكان حيث لا وجود له . واصبح الطبيب العربي كأكبر منقذ في هذه الساحة . فتناول الماء وفحصه . وكان الرجل قد سبق له استصحاب بعض قوافل في الصحراء . فما استطاع احد ان يقول بعد تحليل ماء الآبار انهُ مسمم قط . وكذلك اعتقد الطبيب نفسه صحة هذه «الاكذوبة» التي تحملها الكتابة المقدسة . والتي انتشرت بين القوم منذ زمن قليل

وامكن لهذا الرجل الشافي من جميع حميات الذهب ان يشفي هذه العلة التي كانت لها خطر الحميات الاخرى كذلك . واصبح القوم حذرين — رغم تصريحات الطبيب — فتركوا الجمال تشرب اليسير الواجب وحصروا الأهم في اقل مقدار . كما انهُ امكن لجاستون لاتور حض البدو على الحفر للبحث عن ماء آخر . وكان البدو فقط . وهم دون غيرهم ليس الاّ ، لان الغلام جيوردانو قد هدد واستعطف . وأمر ورجا

وجعل رجال الصحراء من قبيلة بجا يحفرون هنا وهناك . يحفرون حتى آخر عمق مستطاع الاّ انهم لم يجدوا ماء قط . فتوقفوا عن البحث . ولم يشتك الباحثون عن الذهب بعد من اي داء . واخذا يتبادلون لعنة هذا الخوف الذي انتابهم . ثم اتفقوا على تحريم الخوض في الحديث عن هذا السم الوهمي . واجهدوا انفسهم في نسيان هذه القصة المرعبة حتى امكنهم بالفعل نسيانها . ونما البغض في انفسهم نحو ذلك الرجل الذي ايقظهم بكل غلظة وقسوة من حلمهم الذهبي . ثم ازالوا تلك النقوش الكاذبة الخادعة بالمنقاش وأفنوا معالمها . وتمَّ لهم ذلك بكل اغتياظ وحنق . كأنما هم ينتقمون من عدو دموي ويزهقون روحه الملعونة

ولكنهم ما زالوا حتى اليوم اصحاء اقوياء . رغم استشعار هذا او ذاك تعباً مفاجئاً في الجسم مع الم في الرأس وثقل في الاعضاء والاطراف . فلقد كان ذلك بالحق نتيجة ما يقومون به من جهد وتعب فوق طاقة البشر في مثل هذه الاقاليم الحارة والاماكن الضيقة والاجواء الخانقة . تتنازعهم الانفعالات النفسية في هذا الزمن الاخير . في لهيب شمس الصحراء

لقدكانت بالطبع هي الشمس«الذهبية» . ولكنها كانت في لهيبها الابدي واشعتها الكاوية للجسد والروح «الموت الذهبي» كذلك

«الموت الذهبي» ... كلمة لها رنة الغرابة والعجب

***

وعلم الجميع انهم مصابون بحمى الذهب — وكان ذلك شرًّا متوقع الحدوث . كما كانوا يعلمون دواءه الناجع كذلك

الذهب — الذهب — الذهب

كانوا مصابين بهذا المرض . كما كان في استطاعتهم مداواته بدوائه الذي يمتلكونه بوفرة وكانت وفرته جديرة بأن تشفي المرضى . وان تحيي حتى الاموات كذلك

وكذلك حفروا . ونبشوا . ونسفوا . ونقلوا الكنز المكتسب الى ضوء الشمس . ثم استراحوا فوقه واستصحبوه معهم عند نومهم محتضنينه بحرارة وحمية ورغبة لا يفعلونها حتى مع احب النساء واقربهنّ الى الروح

ونال كلٌّ نصيبه . فاذا ما كان لاحدهم نصيب اقل من نصيب غيره — حسد هذا الشخص زميلاً له نال نصيباً اوفر من نصيبهِ . واذا ما كانا من قبل صديقين اصبحا عدوين بعد ذلك

لقد كانت هنالك الوهية مخيفة تلك التي يتقربون اليها جهدهم بالروح والقلب حتى اصبحوا يعتقدون ان كل آلـه لا بد مرعب جبار . وان الحديث القائل بوجود آلـه عادل رحيم ما هو الاّ محض خرافة لا ظل للحقيقة فيها

وعثر احدهم فجأة على اكتشاف مخيف . فلقد تمكن هذا الشخص من الوصول الى عمق ابعد من عمق زملائهِ في صميم الجبل الصخري . ثم اصطدم بعدئذ بحجرة حجرية . وجد بين جدرانها مقداراً كبيراً من آلات العمل قديمة العهد جدًّا . وهنالك بجوارها كانت اكوام عظيمة من الذهب المستخلص متراكمة مهملة . كما كانت بجوارها اكوام من الرمم والعظام البشرية ميتة بشكل موميات قديمة تأثرت بعامل جفاف جوّ الصحراء . وكانت تلك الهياكل البشرية ما تزال بملابسها الكتانية وقد تغطت بالذهب كانما تود التصريح برغبتها في ملاقاة اشد انواع عذاب الموت دون فقدها اياه — وقد تحدَّث الرجل (الذي استطاع الوصول الى الغار المبني منذ آلاف السنين) الى احد البدو فوعده بجانب من هذه الثروة لو انهُ اعانه على الهرب بها

وكذلك انتزع الرجلان تلك الجثث من بين اكداس الذهب وأبعداها عنهُ . ثم القيا بنفسيهما عليهِ وخاضا فيهِ وتمنيا لو انهما استطاعا التقلب والتمرغ والتدحرج فوقهُ. كما يفعل كل انسان يدخل مع الموت حلبة القتال

٩

ضاع الذهب . لقد سرقهُ لص سافل عليهِ لعنة الله والملائكة

سرقهُ البدو . حملوه فوق احسن الجمال التي ما زالت محتفظةً بقوتها بعد . ثم اختفوا بالذهب سرًّا في الليل . حتى الرجال الذين كانوا ينامون فوق ذهبهم . استلبوهم اياه وهم يرددون انفاس الحياة . هؤلاء السود الشياطين المناكيد . . أنهم ولا بدَّ دسوا في طعام البيض [الذين يعتبرونهم كفرة ونصارى] أحد ادويتهم السحرية وعقاقيرهم السرية بالليل . اذ انه لا يعقل ارتكاب مثل هذه السرقة الغريبة الاَّ تحت تأثير وطأة المخدّر . الذي يستلب النظر والسمع والاحساس والشعور — غير انهم لم يمسوا ذهب فرد واحد فقط . ألا وهو الفتى المحبوب لدى القافلة بأجمعها . وبذلك تمكن جيوردانو بلاتينو من الاحتفاظ بذهبهِ . .

أما الكنوز الخفية التي كانت معبأة بخالص الذهب وجثث الاموات في مقبرة الصحراء . فقد فقدت كذلك — سرقت هي الاخرى عن آخرها . .

وحالما اكتشف البعض تلك السرقة أعول وبكى كما يعول الحيوان الوحشي اصابه النار . فاقد الرشد بتأثير الغضب . وأسرع يود تعقب اللصوص السفلة في الصحراء . .

غير انه عاد ثانياً من جديد . . إذ أن الجمال قد فقدت كذلك . ينقصها اكثر من عشرة ولم يسرق منها الاَّ اشدها واقواها . ولم يبق غير تلك التي أصابها الهزال لقلة الماء وتفاهة الطعام . . . — وظهر المرض فجأة على البعض منها

وأعرب جاستون لاتور للقوم عن ضرورة عدم اليأس والاستسلام للمقدور . وأعلن رغبته في سرعة اقتلاع المضرب ومحاولة الرجوع بتلك الجمال المريضة والنجاة بها . .

وأمَّل الآن منهم الاصغاء الى نصحه . واتباع قوله وطاعته

ولكن أبَعْد ان يسرق ذهبهم ؟— حظهم وسعادتهم ؟— بل حياتهم كلها يمكنهم اتباع قوله . . كلاَّ . . وحتى الآن فانهم لا يطيعونه ! . أنهم يودون الاحتفار من جديد . حتى يمكنهم استرداد كنزهم المسروق . بعد ان فاز به لصوص الصحراء

وأخذوا يهددون الرجل [الذي يجرؤ على مطالبتهم بترك المكان] بالموت اذا ما حاول حتى ولو مرة واحدة اخرى طلب الطاعة منهم . — ولكن ماذا تهمه هو حياته ؟ ألا أنهم لا يودون قتله كما يقتلون الكلاب الكلب . بل يودون قتل الغلام الصغير الذي يحبه الرجل اكثر من نفسه ذاتها . . — وهذا الغلام ما يزال يحتفظ بعد بكل ذهبه حيث يمكنه الذهاب بهِ . والهرب بكل ما يملك . بقيادة قائدهم الأسبق . . .

والآن فعليهِ حماية نفسه . حيث لم تصبح الجمال الباقية ملكاً لصديقه . بل ملكاً حلالاً لمن وقعت عليهم السرقة وأصابهم شرها . . .

وكذلك أصبح هؤلاء يحمون الجمال ويحرسونها بكل عناية . وأصبح جاستون لاتور كما أصبح الغلام الصقلي أسيرين ذليلين لديهم .. ومن لم يكن دور الحراسة عليه .. وجب ان يذهب ليحتفر في المنجم ..

وجعلوا يشتغلون حتى اثناء الليل كما يشتغل الارقاء والعبيد . ويتبادلون الحراسة . حتى يتمكن كل منهم من الحفر والبحث ..

وما كانوا مرضى . وما كان الماء سبباً لعللهم .. ولكن ماذا كان بهم حتى أحسوا الضعف بأنفسهم . وكان هذا الضعف يزداد ساعة فساعة . بعث فيهم الارتعاد والارتعاش مع أنهم أحوج مايكون الى قوتهم . ومع ذلك فكانوا يحسون في أطرافهم بثقل الرصاص . ويحسون بآلام الوخز الموجعة المحنقة في رؤوسهم وجماجمهم وبلهيب الحرارة الآكلة في أمعائهم . وكانوا يتساءلون عن سبب إستصحابهم للطبيب . ذلك الذي أجيز له الحفر معهم والبحث عن الذهب مثلهم وألزم ان يكون في هذه الساعة فقط . طبيبهم المداوي . وألزم ان يعالجهم ويداويهم وينقذهم . واعطاهم الاعرابي من مواده وعقاقيره ما امكنهُ اعطاءه لهم . ولكن ذلك لم يسعفهم او يداوهم ..

ربما (وقد اصبح ذلك فجأة ظنّاً لدى الجميع) . ربما وضع لهم الرجل السم في دوائهِ ليقتلهم ثم يأخذ ذهبهم كلهُ . ذلك الذهب الذي استخلصوهُ ببقايا قواهم الاخيرة .. وهكذا ظنوا السوء بالرجل . واتهموهُ وشكّوا فيهِ ... لقد كان اعرابيًّا وكفى ما نالهم من الاعراب الذين كانوا لديهم شياطين الانس رجال الشعب الخائن ... وازداد بهم المرض يوماً بعد يوم .. قد يرجع ذلك الى تناولهم مقدار وافر من الدواء القاتل الذي يقدمهُ لهم اللعين .. وبذلك اصبحوا مسمومين . وسيمسون أمواتاً بعد ذلك . أمواتاً ! . وقادتهم قرائحهم المريضة الى شرور عدة حتى تمكن أحدهم من اطلاق النار على الطبيب فقتله .. ودفنوا جثتهُ بعد ذلك كيفما اتفق ثم اقتسموا فيما بينهم ذهب المقتول الذي جمعهُ من قبل .. وان كان قليلاً نوعاً ما .. وتمنوا لو انهُ كان في استطاعتهم الاستيلاء على ذهب الصقلي . الذي كان محبوبهم يوماً من الايام . الاّ انهُ كان مخفوراً منهم . محروساً احسن حراسة . بالرغم من احتفاظهم بهِ وبصديقه حتى لا يستطيعا الهرب منهم مستصحبين الذهب معهم ليكونا بهِ اغنى الجميع ..

١٠

ماذا تريده هذه الطيور المرعبة ؟ التي لم يرها الانسان من قبل . بل كانت الصحراء عديمة الحياة بقدر ما يستطيعهُ الموت نفسه . اما الآن . ففجأة — فجأة ظهر اسراب النسور .. — وحامت الطيور الكبيرة الضخمة حول المضرب .. ودارت عدة دورات حول المكان . وبسطت اجنحتها العريضة القوية البنية . تلك التي تلمع في ضوء الشمس لمعان « الذهب »

وتعود هذه الكلمة مرة ثانية . . . وتعود دائماً ابداً من جديد في كل مناسبة وحين ... حقـاً لقد كانت هنالك النسور . .

وأحاطت بهم في الجو . . وجثمت فوق اعالي الصخور . واقتربت منهم كل الاقتراب . لاتهش ولا تفزع ولا تطير..

واراد الرجال افزاع تلك الطيور السمجة الوقحة . فصرخوا فيها . ورموها بالحجارة . واطلقوا عليها الرصاص دون ان يمكنهم اصابة الهدف بأذرعهم الكليلة التعبة . فلم تفزع الطيور البتة . بل احاطت بهم وقبعت أمامهم . كأنها تخفرهم وتنتظرهم . . ولكن لماذا ؟؟ واخيراً استطاعوا علم ذلك . . كانت النسور من اكلة الرمم . ولقد دفنوا احد الموتى منذ قليل فهل تود التهامه ! ثم ترحل بعد ذلك ؟؟

الا انها احاطت بهم ووقفت امامهم تخفرهم وتنتظرهم . .

وكان يزعجهم بعض الاحيان صوت صراخ مفاجىء .. صراخ مفزع عال . يتجاوب صداه في سكون مقبرة الصحراء الهادئة . . ثم تتردد صدى صرخات تلك النسور كضحك سخرية احد الجن في بهجته

***

المرض والموت . . مرض الانسان وموته . . ومرض الحيوان وموته . وقد كان صراع موت الحيوان أشد ألماً مما يقاسيه الانسان ..

وكفاها جاستون لاتور شر ذلك فأطلق عليها النار . ولو أنهُ ارغم على توفير طلقاته الرحيمة . فأبقى اثنين منها ...

وتوقفوا عن متابعة الحفر . وألقوا بأنفسهم فوق الرمال الحمر وتحت اشعة الشمس الذهبية يسرّهم تمريض الفرنسي لهم بقدر امكانه

وكانوا ضعافاً حتى عن البغض . مساكين بؤساء . لايمكنهم الشعور بالحب حتى ولا لالهم الذهبي . لو ان في استطاعتهم البقاء احياء ..لانهم يودون الآن الحياة — الحياة — والحياة فقط

وافضى الغلام جيوردانو اليهم بهذه الكلمات. كأنما كانت الحياة لا تزال امامهُ فسيحة ولو ان تحقيق كلماته هذه لا بدّ لها من المعجزات . فقد كان غلاماً غريراً مرحاً جداً يحب الحياة حبـاً حارّاً .. وكان من المستحيل وجوب موته في ريعانه هذا ..كان يانعاً ، من الخسارة موته..

وشعر هو نفسه بذلك . ورآه رأي العين . . وقتل بعضهم نفسه ..ملقياً بها من فوق الصخور او قاطعاً اوردتهُ بأسنانه وفقد البعض الآخر وعيه وادراكه . فصدم بجبهته الجدران البيض من جبال الصوان في خبل وجنون.. وتخيل غيرهم نفسه فوق جبال الالب ايام الشتاء وفصل

الانزلاق لجرى في الصحراء وألقى بنفسه فوق صدر هذه القائلة الملتهب . .
ولم تصبح النسور في حاجة بعد ذلك لئن تحيط بهم، وتقبع أمامهم. ولا لئن تخفرهم وتنتظرهم

١١

ولم تحدث معجزة لاحد الاثنين الباقيين . . ولم تمر قافلة منقذة بمضرب الموت. وكذلك لم يساعدهما أي آله . .

ومدّد جاستون لانور غلامه على فراش الموت . وكلمه كما يتكلم القسيس . . غير ان الميت لم يشأ الانصات اليه . إذ أنه يريد الحياة . . وقال له صديقه التعزية الاخيرة على الارض من الحكمة القديمة المقدسة « من أحبته الآلهة . أماتته صغير السن » . ولكن الميت أحسّ نفسه مبغوضاً لدى الآلهة . فلعنها ولعن الرجل الذي تبعه ليحصل معه على ذهب الحياة . . وعند ما تمددت وتراخت اليد العديمة القوة بطراوة أشبهُ بما في يد الأم . أصبحت جبهة الميت (الرطبة بتأثير الحمى) ناشفة . فقد صدمها الاغماء

والآن فلم يبق هنالك أمل . . حيث دافع شباب الغلام عبثاً بقوة خارقة عن الفتى المسكين ضد الموت

وعند ما غرق المحموم في لجة نوم عميقة ــ عبأ جاستون لانور مسدسةُ بكلا الطلقين الباقيين . . وكان في يده الخائرة قوة كافية لتحقيق خدمته الحبية الأخيرة

***

وحطّت النسور سفل فأسفل في هول هذا السكون الفسيح الذي لا يزعجهُ أي صوت آدمي . ووجد النهم منها (الذي لايزال يبحث عن فريسة) قتيلاً واحداً فقط . صريع طلق ناري . . وكان ملقى فوق سطح بللوري من جبل صوان صبغهُ بدمه . . وكان بجانب الميت وتحت أقدام القبة المتلألئة فوق رمال الصحراء الحمراء قبرٌ لا يزال جديد التكوين . تحميهِ من النسور قبة سوداء لامعة تعلو عن سطح الأرض علو التكريم والاعزاز . ولم تكن من صخر الصحراء وحجارتها . بل كانت من قطع الذهب والسبائك المأخوذة من الكنز الفرعوني

وألقت شمس الصيف الغاربة وراء الافق المتقد برداءها الارجواني على قبر الصحراء الذهبي . وعلى هذا الميت الوحيد المهجور الذي كان ينتزع نسرٌ نهم قلبه من صدره

حسن رشيد نور
مدرس بمدرسة الفنون التطبيقية بالجيزة

باب الزراعة والاقتصاد

نهضة اليابان الصناعية

لفؤاد عينتابي

لقد وجدت اليابان في مركز طبيعي مهم في أقصى الشرق ، يمتاز باشرافه على المحيط الكبير الهادي وبامتلاكه ناصية الجزر القريبة . وكما ان انكلترا في الغرب تقف موقفاً مثيراً للدول الأوربية ، مسيطرة على الطرق التجارية باساطيلها ، كذلك اليابان تقف بالمرصاد ، محاصرة بجزرها الكثيرة شواطيء آسيا الشرقية

ان امة كاليابان او انكلترا مثلاً ، كثيرة السكان قليلة الاراضي لهي في حاجة قصوى الى مستعمرات تمدها بكل ما تحتاج اليه من ضروب المعادن والحبوب والغلال الزراعية . واننا نرى ان الجد والحركة ، والنشاط والاجتهاد ، من طبيعة أهلها . فلما مسحت عيونهم شمس الحضارة ونفخت فيهم المدنية الحديثة روحاً قوية . وتثقفت اذهانهم بالعلوم والمعارف ، وجدوا ان بقربهم امة قوية (الصين) كثيرة السكان ، تعج بالملايين من الناس ، ولكنها ضعيفة بروابطها الاجتماعية ونظمها الاخلاقية . وكان على اليابان قبل كل شيء ، ان تسرع باقتباس نور مدنية الغرب قبل ان تستأثر به جارتها ، فتطغى عليها وتقضي عليها قضاءً مبرماً . وهذا ما دعا اليابان الى التنبه لأمرها ، فتطلعت ، واذا هناك كوريا Korea تلك البلاد الغنية بخيراتها ومواردها الطبيعية ، وكانت الفوضى ضاربة اطنابها في تلك الربوع — تعيش في عهد اقطاعي مظلم — القوي فيها يأكل الضعيف ، والفقير يموت جوعاً تحت رحمة الغني . فمدّت اليابان يدها . فاذا هي تصل اليها بكل سهولة ، وترى نفسها قادرة على ضمها اليها ، كما تفعل دول الغرب . فحاربت الصين من اجلها سنة ١٨٩٤ ، وبعد عشر سنوات حاربت روسية ايضاً من اجل هذا . وكانت اليابان في سنة ١٩١٠ هي المالكة لمقاليد الامور في جميع شؤون كوريا المملكة الحديثة المنضمة الى امها اليابان !

وكان غرض اليابان الحقيقي من هذا الفتح . بل من هذا الضم — كما يقول (هانيهارا)(١)

---

(١) M. Hanihara, in "These Eventful Years" vol. I. p. 661 هو سفير اليابان في الولايات المتحدة ، ونائب وزير الشؤون الخارجية ، والمندوب الياباني في مؤتمر واشنطن

الياباني الصميم ، وسفير دولته في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة ، مبرراً عمل اليابان في ضم كوريا — « لاصلاح كوريا وبث حيوية قوية وروح جديدة في جسم كوريا السياسي لتجعلها سداً بينها وبين جيرانها المغيرين . فلو كانت كوريا امة قوية نشيطة ، ودولة عاملة قادرة على رد غارات الصين والروس لما حاربت اليابان الصين سنة ١٨٩٤ ولا روسية في عام ١٩٠٤ . وقد الحقت كوريا باليابان في اغسطس (آب) سنة ١٩١٠ بصورة سلمية وليس بالقوة » !

ولما دخلت اليابان كوريا مُدَّت الخطوط الحديدية ، وأنشئت المحاكم ، ورفعت الضرائب الاقطاعية التي كانت تؤخذ بالقوة والارهاب ، وحلت محلها ضرائب مشروعة مقبولة . ثم انشئت الطرق الحديثة المعبدة ، والمؤسسات العامة كاحواض المياه ، وانيرت المدن بالكهربائية ومدت الاسلاك التلفونية في المدن الكبيرة ، ونظمت مصلحة البريد ، وشجعت الصناعة والزراعة بحسب الطرق الفنية الحديثة ، واعتني بتحريج الاراضي والجبال ، وتأسست المصارف وبيوت المال (١)

***

ومما لا شك فيه ان من أهم البواعث لليابان على التوسع والاستعمار هو ازدياد السكان ازدياداً مطرداً . فقد جاء في احدى الصحف الفرنسية الاسبوعية(٢) بعنوان (الولادة) ان عدد المواليد في اليابان سنة ١٩٣٠ بلغ (٢٫٠٨٥٫٠٠٠) . وقد اقفلت اميركا واوستراليا أبوابها في وجوه مهاجري اليابان ، فلم يبق امام هؤلاء الاَّ ان يولُّوا وجوههم شطر كوريا ومنشوريا . ولهذا استهدفت اليابان لمحاربة دولتين عظيمتين : الصين وروسية . « وما كادت تنتهي الحرب اليابانية الروسية ، حتى ظهرت اليابان بمظهر دولة كبرى من الدرجة الاولى . طامحة الى السيطرة على شرقي آسيا ، منازعة اميركا سيادة المحيط الهادي ، وهذا ما جعل سياسة اميركا الخارجية أكثر تعقيداً فكان الباعث لها على خوض السياسة العالمية (٣) »

فلما صار لليابان موطىء قدم في منشوريا واستولت على سكك الحديد هناك ، رأيناها تمد نظرها الى ابعد من ذلك ، الى منشوريا ، وظلت تعمل بجد وقوة وعنف حتى وصلت الى ابواب (بكين) العاصمة في ربيع هذه السنة ، ولا تزال مخيمة هناك

ان غاية اليابان من هذا التوسع ، هي الحصول على المواد الاولية والمعادن التي تكثر في منشوريا ، وهذا ما يحدثنا عنه المستر (جورج لسلي شو (٤)) الذي قضي اثنين وعشرين عاماً

(١) هاينهارا . مجلد ١ ص (٦٦٢) (٢) (الاحد المصور) Dimanche عدد ٣٠ تموز سنة ١٩٣٣
(٣) هو استاذ التاريخ الاميركي في جامعة جون هوبكنز John H. Latané in "These Eventful Years" vol I. p. 525.
(٤) راجع مقال (مستقبل منشوريا) صحيفة (٧٩٣) عدد (دسمبر ١١٢٨) من مجلة (Fortnightly Review) "The Future of Manchuria" by George Leslie Shaw.

في (انتونغ) Antung بمنشوريا واطلع على حقيقة الحالة هناك . وعلى مطامع اليابان في البلاد ، قال : —

« ان اليابان تسير بسياستها الخارجية مدفوعة بحاجتها الشديدة الى المواد ولنقل بصراحة ان اكثر ما تحتاج اليه اليابان ، ليس هو مخرجاً لما عندها من زيادة في السكان ، فان لليابان في بلادها امكنة واسعة . ولكن الحقيقة هي ان اليابان في حاجة شديدة الى المواد الخام ، وحاجتها اليها شديدة في صناعاتها — ان هذه المواد هي علة وجود اليابان ! — فيلزمها الفحم الحجري ، والحديد ، والأقوات الحيوية . واليابان تعرف منشوريا وثروتها ، وتعرف مساحتها وهي اكثر من (٣٣٠,٠٠٠) ميل مربع ، فالى منشوريا يمكنها ان ترسل ما يزيد عندها من السكان . وهناك المحاصيل الزراعية والاقوات الضرورية لسكان البلاد الذين يتكاثرون تكاثراً يبعث على الدهشة . ومنشوريا الغنية بالمعادن تنتظر من اليابان ان تستثمرها لتستقل (اي اليابان) عن كل ما يردها من الخارج »

عند ما ضمت كوريا الى اليابان ، كانت منشوريا قليلة السكان جداً ، وخصوصاً في الشمال والغرب . « ولكن ما كادت تنتهي الحرب الروسية اليابانية حتى رأينا اليابان تسيطر على جنوب منشوريا ، واذا هي سيدة (پورت ارثر) والمالكة لجميع الاراضي والاملاك والامتيازات التي ربحتها روسيا ، سواء أبالفتح كان ذلك أو بالمعاهدات ، وبكلمة واحدة ان اليابان على اثر انتهاء هذه الحرب ، ربحت ثمار مساعي روسيا واتعابها في خلال ربع قرن » (١)

***

﴿ النهضة الصناعية ﴾ اذا نظرنا الى اليابان في وقتنا الحاضر رأيناها تسعى سعياً حثيثاً لاغراق الاسواق التجارية ببضائعها المختلفة ومزاحمة تجارة الدول الاوربية مزاحمة شديدة . فاينما ذهب الانسان رأى البضائع اليابانية مالئة الاسواق والمخازن . وقد صنعت اليابان في المدة الاخيرة سيارات رخيصة جداً ترسلها الى جميع الانحاء ، فخافت الدول عاقبة هذه المزاحمة الشديدة ، حتى ان انكلترا منعت مؤخراً دخول هذه السيارات الى فلسطين ، وكذلك فعلت فرنسا في سوريا فمنعت هي ايضاً دخول هذه السيارات الرخيصة . ولكن كيف يسهل على اليابان مزاحمة بضائع جميع الدول الكبرى ؟ . . ان ذلك راجع ولا شك الى رخص اجرة العامل ، وهناك سبب ثانٍ وهو ان البضائع اليابانية ليست جيدة كما يرام ، بل هي رخيصة جداً ، وهذا ما يغري الناس بالاقبال عليها خصوصاً في الوقت الحاضر والازمة على اشدها — بصرف النظر عن الجودة والمتانة

---

(١) « فورتنيتلي رفيو » ص. (٧٩٤)

وقد تقدمت اليابان تقدماً عظيماً ، وان امة شرقية كاليابان تناهض كبرى الامم الصناعية وتزاحمها مزاحمة شديدة . لمما يحير العقول ويثير الاعجاب . كتبت (مجلة اليابان)[١] الصادرة في (توكيو) في عدد يوليو (تموز) سنة ١٩٢٦ فصلاً تناولت فيه تطور اليابان في الخمس عشرة سنة الاخيرة ، وظهورها كأمة صناعية من الدرجة الاولى ، قالت : —

« ارتفع مقياس المعيشة خلال هذه المدة ، كما هو الحال في بقية البلدان ، وزاد السكان بنسبة عشرين في المائة . وهؤلاء يحتاجون الى مخرج في الاعمال الصناعية ، ولهذا السبب زاد عدد المعامل في اثناء هذه الخمس عشرة سنة من (٣٢٫٠٠٠) الى (٨٧٫٠٠٠) معمل وزادت المنتجات الصناعية اضعافاً حتى بلغت قيمتها (٧٠٠) في المائة ! ! . . وهذا التقدم الباهر في الصناعة يرجع الى ما قبل الحرب اليابانية — الروسية ، وقد وضعت أسسه اذ ذاك ، ولكن ذلك البرنامج لم يتحقق ولم يزدهر الاّ بتأثير الحرب الكبرى »

ومثال صغير يدلنا على نجاح اليابان وتقدمها في الصناعة ، ذلك ان تجارة اليابان الخارجية (الصادرات والواردات) في سنة ١٩٠٠ بلغت (٥٢٣) مليون (ين Yen) لكنها بلغت في سنة ١٩٢٠ (٤٫٤١٩) مليون ين ما عدا تجارة كوريا وفورموزا

﴿ المعامل — العمال — ساعات العمل ﴾ لعلّ اعظم مظاهر رقي الصناعة اليابانية كثرة انشاء المعامل ، حتى ان اليابان تعد الآن في مقدمة الامم الصناعية . « فقد انشأت خلال الحرب العالمية (٢٥٠) معملاً لسبك الحديد Foundries . وفي اليابان (٦٠٠٠) معمل تشتغل بصنع الآلات والادوات الميكانيكية[٢] »

« وجاء في الاحصاء الرسمي لسنة ١٩٢٥ ان عدد المعامل بلغ (٤٩٫١٦١) يعمل فيها (١٫٨٠٨٫٣٨١) عاملاً (٨٥٢٫٥٥٤) من الذكور و (٩٥٥٫٨٢٧) من النساء . وانه ليدهشنا حقّاً ان نعلم ان معامل الحياكة والنسيج وحدها ، استخدمت في تلك السنة (٩٧٢٫٦٣١) عاملاً ، اما معامل الماكينات والآلات المعدنية فقد استخدمت (٢٣٤٫١٧٧) عاملاً[٣]

***

ولما كانت اسواق اليابان التجارية هي غالباً في الشرق الاقصى ، وقريبة من اليابان ، والايدي العاملة كثيرة ، واجرة العامل رخيصة ، ومقدرة العمال الصناعية ومهارتهم خصوصاً في المنسوجات والبضائع القطنية كبيرة ، فان هذا ساعد اليابان كثيراً على ان تزاحم البضائع الاوربية مزاحمة شديدة ، فشلت حركتها التجارية . ولكن اجرة العامل ايضاً زادت شيئاً فشيئاً الى ان

(١) مجلة اليابان (توكيو) (Japan Magazine) Tokyo July 1926

(٢) راجع المجلد (٦) ص. (٣٦٣٢) من "The World Book Encyclopaedia" (1931)

(٣) راجع دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشرة مجلد (١٢) ص (٩٠٩)

تضاعفت في المدة الاخيرة بالقياس لما كانت عليهِ في ابتداء هذا العصر . ففي سنة ١٨٩٠ كان معدل اجرة العامل البسيط في اليوم ستة بنسات ، وفي سنة ١٩٠٠ أربت على الشلن . وفي سنة ١٩٢١ بلغت شلناً وعشر بنسات الى ان وصلت سنة ١٩٢٦ الى ٢٥ شلناً وثلاث بنسات! واكثر العمال وخصوصاً في معامل المصنوعات القطنية من النساء وهؤلاء يتناولن اجرة اقل كثيراً من اجرة العامل[1]

ان تحديد ساعات العمل في اليابان يعود في الحقيقة الى اتخاذ ما قرره مؤتمر واشنطن سنة ١٩١٩ حيث اجيز للعمال ان لا يشتغلوا اكثر من (٥٧) ساعة في الاسبوع ، او ستين ساعة في صناعة مواد الحرير الخام ، وذلك اذا وافقت اليابان على مقررات المؤتمر المذكور ، ولكنها لم تفعل ذلك. ونظراً لساعات العمل فان أهم القوانين التي سنتها الحكومة هو تشريع ٢٩مارس (آذار) سنة ١٩٢٣ الذي نقح بموجبه (قانون العمل) لسنة ١٩١١، وقد حددت ساعات العمل بالنظر لتشريع ١٩٢٣ ، للنساء والاولاد الذين هم دون السادسة عشرة ، باحدى عشرة ساعة عمل في اليوم . وسمح كذلك بزيادة ساعتين في اليوم ، اذا اقتضت الحاجة

ولما كان العمل (١١) ساعة في اليوم متعباً شاقاً وخصوصاً للنساء فقد امكن التوفيق، في بعض الاحيان ، بين اصحاب المعامل والعمال ،فانزلت ساعات العمل في بعض الصناعات. وذكر في التقرير الشهري لغرفة تجارة (اوزاكا) ان ساعات العمل في سنة ١٩٢٧ تراوحت بين(٨) و(١٢) ساعة في (اوزاكا) او بمعدل (١٠) ساعات في اليوم[2] وبلغ عدد الاعضاء اليابانيين المنتسبين الى (اتحاد العمل للدولية الحمراء) .R. I. L. U ثمانية آلاف عضو ، وذلك في سنة ١٩٢٨ حيث عقد المؤتمر الرابع لاتحاد العمل للدولية الحمراء . وقد حضره(٤٢١) مندوباً عن (٤٩) دولة مختلفة[3]

❋ المصنوعات القطنية والحريرية ❋ تقدمت صناعة القطن في الاربعين سنة الاخيرة تقدماً عظيماً ،وزاحمت التجارة البريطانية مزاحمة قوية . وقد عهدت (رآسة نقابة غزّالي القطن) في انكلترا الى المستر (ارنو بيرس[4]) ان يدرس عن كثب تقدم صناعة غزل القطن وحياكة المنسوجات القطنية في الشرق الاقصى ، فزار هاتيك الاقطار وقدم تقريراً بكتاب عنوانهُ

---

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية الطبعة الرابعة عشرة مجلد (١٢) ص (٩٠٩)

(٢) راجع مقال المستر Warren B. Catlin استاذ العلوم الاقتصادية وعلم الاجتماع في جامعة (بودين) (دائرة المعارف البريطانية : مجلد (١١) ص. (٨٠٦)

(٣) ارثر غرينود Arthur Greenwood وزير الصحة في انكلترا سنة ١٩٢٩ والمحاضر في علم الاقتصاد في جامعة (ليدز) (دائرة المعارف البريطانية) مجلد (٢٢) ص. (٣٨٩)

(٤) "The Cotton Industry of China and Japan" by Arno S. Pearse

٦ صناعة القطن في الصين واليابان) . وقد كتبت (مجلة جمعية الاحصاء الملوكية [٤] فصلاً عن هذا الكتاب جاء فيهِ ما يلي : —

« ان الصناعة في اليابان تقدمت في خلال جيل واحد تقدماً عظيماً وان المقدرة الفائقة التي يبديها العامل الوطني وسيره سيراً حثيثاً ملائماً للتطور في الصناعة، مما يدل على تقدم اكثر في سرعة الانتاج ومزاحمة التجارة الانكليزية

***

وقد بين الكاتب المذكور سرعة نمو الصناعة في اليابان بجداول تتناول الخمسين سنة الاخيرة . فقد كان لليابان في سنة ١٨٨١ سبعة معامل و(١٦٬٢٠٤) مغازل . وزاد عدد المعامل سنة ١٨٩١ الى (٣٦) والمغازل الى (٣٥٣٬٩٨٠) فكان الانتاج (١٤٤٬٩٨٠) بالة . واما في سنة ١٩٢٨ فقد بلغ عدد المغازل اكثر من (٦٬٥٠٠٬٠٠٠) وزاد الانتاج الى مليونين ونصف مليون بالة

ويعزو المستر (پيرس) تقدم اليابان ومكانتها العالية في الصناعة ، اولاً الى روح الجماعة الكامنة في الشعب الياباني ، هذه الروح التي تضحي بالمصالح الشخصية في سبيل المصلحة الوطنية العامة ، ثانياً بسبب الارباح المتراكمة منذ الحرب الكبرى واستعمالها بالطرق المشروعة المفيدة . وثالثاً تنظيم الصناعة تنظيماً فائقاً لاستثمار المشاريع والاستفادة منها استفادة تامة

« اما المصنوعات القطنية فلها الشأن الاكبر في الصناعة اليابانية . ولذلك تحتاج اليابان سنويًا من القطن الخام الى ما تزيد قيمته على (٣٦٣) مليون دولار. ويأتي في الدرجة الثانية بعد القطن غزل الحرير وحياكتهُ . ولا بد من ذكر مهارة المرأة اليابانية في هذه الصناعة ، فانها تحفظ لليابان شهرتها التي تتمتع بها في عالم الصناعة . واليابان تقدم ٦٠ ٪ من الحرير الخام مما يحتاج اليهِ العالم باجمعه ! فان قيمة ما تصدره الى الولايات المتحدة فقط يزيد في السنة على (٣٥٠) مليون دولار [١] » وبلغ انتاج الحرير النباتي سنة ١٩٢٦ ستة ملايين ونصف مليون ليبرة ، والوارد ثلاثة ملايين ونصف ، إي ان المستهلك بلغ عشرة ملايين ليبرة [٢]

« للبحث تتمة »

---

(١) "Journal of the Royal Statistical Society" Part I. 1933

(٢) The World Book Encylopaedia. vo 16, p. 3632 (٣) راجع مقال (الحرير النباتي) في دائرة المعارف البريطانية ، الطبعة الرابعة عشرة المجلد ٢٠ ص. ٦٦٤ ، لشارل فوكس Charles J. J. Fox من محل Cross & Bevan بلندن المشتغلين في الكيمياء التحليلية ، وسابقاً استاذ الكيمياء الطبيعية في المعهد الملكي للعلوم في مدينة بومباي

مكتبة المقتطف

النجوم في مسالكها

The Stars in Their Courses

تأليف السر جايمس جينز وترجمة الدكتور احمد عبد السلام الكرداني

مؤلف الكتاب عالم مشهور من علماء الرياضيات والفلك وكتابه هذا من مؤلفاته التي نالت شهرة كبيرة لسهولة عبارتها وحسن اسلوبها وقد بسط فيه خلاصة ما وصل اليه علم الفلك من وصف القبة الزرقاء والنظام الشمسي وما فيه من السيارات وتوابعها وذوات الاذناب والشهب والنيازك والرجم. ثم تكلم على صور السماء والنجوم وانواعها والمجرة والسدم ومولد النجوم ونشوئها وسعة الكون وعمر العالم الى غير ذلك من المباحث الممتعة المفيدة وجميع ذلك كما تقدم بعبارة سلسة سهلة الفهم خالية من التعقيد لا يمل القارىء تلاوتها

ومن امثلة ما جاء في الكتاب وصف سياحة تخيلها المؤلف في الفضاء قال :

« لا نستطيع بأنفسنا ان نذهب لنكشف عما تتركب منه الشمس والقمر والنجوم لكن مراقبنا الضخمة تقربها الينا على وجه ما وذلك بمثابة ذهابنا اليها وبهذه الوسيلة يكون الفضاء كله مباحاً لنا نفحصه كيف نشاء ولو الى ان تعترضنا مواد حاجبة لاتستطيع المراقب ان تنفذ الى ما ورائها . بل في هذه الحالات ايضاً تستطيع الحسابات الرياضية ان تتولى تكميل القصة السماوية لنا فقد تمت في السنين الحديثة مثلاً اعمال كثيرة تتعلق ببحث بواطن النجوم . فالارصاد المرقبية والنظريات الرياضية يهيئان فيما بينهما ما هو بمثابة صاروخ سحري يحملنا الى اي مكان نشاؤه من الفضاء »

ثم وصف سياحة في هذا الصاروخ في اعماق الفضاء فوصف القمر احسن وصف ثم سار الى الزهرة فعطارد الى ان بلغ الشمس فوصف ظاهرها وباطنها احسن وصف ثم وصف تحطم الذرات وانفلات الكهارب لشدة الحرارة في باطنها . قال في تحطم الذرات :

« قد رأينا ان ما يبلغ حتى الآلاف القليلة من درجات الحرارة يكفي لاحالة كل المواد العادية الى بخار وليس اثر ذلك مقصوراً على صهر الجمد الى الماء او تحويل الماء الى بخار وانما يتعداه الى فك مفاصل جزيئات البخار الصغيرة المنفصلة فتحلل الواحدة منها الى الثلاث المكونة لها . اثنتين من الايدروجين وواحدة من الاكسجين . كل ذلك نعرفه قبل ان نبدأ

سياحتنا لان مبيّنات الاطياف لدينا كانت انبأتنا بأن كل ضوء الشمس والنجوم تقريباً منبعث من جزيئات قد انحلت الى الذرّات المكونة لها . ولا نجد الاّ في عدد قليل من ابرد النجوم عدداً قليلاً من جزيئات غير منحلة وتلك الجزيئات من انواع ممتازة بشدة تماسكها» . الى ان قال في وصف الذرة : هذا اذاً هو كل ما تتركب منه الذرة — نواة واحدة وعدة كهارب» الى آخر ما قاله في تحطم الذرات ثم وصف اسرة الشمس وهي مؤلفة من الشمس والسيارات وتوابعها والمذنبات والشهب والنيازك والنجيمات

وبحث في الثوابت والجاذبية ووزن النجوم واقدارها — وهو يريد بالاقدار الحجوم او الاجرام — وانواعها والمجرة والسدم وعدد النجوم ومولدها ونشوئها الى غير ذلك من المباحث التي لها علاقة بعلم الفلك وجميع ذلك بعبارة تستهوي القارىء في طلاوتها

وترجمة الكتاب حسنة جدًّا وانما يؤخذ على المترجم تقييد نفسه في بعض المواضع بترجمة كل لفظة وعندنا انهُ لو تصرف في الترجمة لكان ذلك اسهل له وللقارىء . والكتاب اصلهُ محاضرات بسيطة اذيعت بالراديو فالتصرف فيه بحكمتهِ تصرفاً يسيراً ليس امراً ادًّا . ومما يؤخذ على حضرة المترجم ما يأتي :

Betelgeux منكب الجوزاء صواب أما ابط الجوزاء فنظنها خطأ وهي ليست سوى تصحيف يد الجوزاء فكأنهم قرأوا الياء المثناة التحتية باء موحدة تحتية

Argo السفينة وهي صواب أما اجزاؤها فلا نوافقهُ على ترجمتها وهي ما يأتي : —

Carina عربها بالقرينة ونظن الصواب الجؤجؤ في السفينة والطائر

Malus سماه الخبيث ونظن الصواب الدقل والصاري والصارية والسارية

Puppis سماه مؤخر السفينة ولا بأس بها واصلح من ذلك الكوثل

Vela الشراع ونظنهُ صواباً ويراد منهُ القلاع جمع قلع وانما اللفظة الانكليزية جمع ونرى انهُ يحسن ان يقال في ترجمتها اشرعة وقلوع وقلاع

Altair قال في ترجمتها الطائر ونظن الصواب النسر الطائر

Apus قال في ترجمتها عصفور الجنة ونظن الصواب طائر الجنة او طائر الفردوس فاللفظة الانكليزية التي ترجمها العصفور صحة ترجمتها الطائر فالعصفور بالعربية طائر صغير بعينهِ وهو الذي يألف البيوت ثم اطلق على جميع الطيور الصغيرة ثم ان عصفور الجنة عند العامة هو السنونو لذلك نرى ان ترجمتهُ بطائر الجنة كما فعل الدكتور فانديك اصلح كثيراً او طائر الفردوس كما سماه ابنهُ

Grus صوابهُ الكركي على ما نظن كما سماه فانديك لا البجعة

Hydra سماه الشجاع وهو صواب ولا نرى رأيهُ في تسميتهِ بالافعى

Hydrus لا بأس بتسمية هذا بالافعى لانهُ اسم لكوكبة مولدة لم يعرفها العرب أما الشجاع فعرفهُ العرب بهذا الاسم ولا نرى من الصواب ابدال اسم قديم

Columba سماه اليامة ونرى ان الحمامة أو حمامة نوح كما سماها فانديك أصلح كثيراً ولعل حضرة المترجم ظن ان اللفظة الانكليزية لا تترجم بالحمامة فنقول ان حمامة نوح أشهر من ان تذكر

Coma Berenices سماها ذات الشعور وشعر برنيس ونفضل تسميتها بشعر برنيقة أو الهلبة او الذؤابة أو الذوائب أو الحزمة وجميع ما تقدم وارد في كتب الفلك العربية ما عدا شعر برنيقة فهذا تعريب الاسم الانكليزي او بالحري اليوناني

Lacerta سماه الورل ونظن العظاءة اصلح

Sextans, Octans نظن الثمن والسدس كما سماهما فانديك أصلح من الاسماء التي ذكرها

Crux سماه الصليب الجنوبي وهو ترجمة اسمهُ الانكليزي ونظن لو سماهُ نعياً مصغراً كان اصلح من ذلك وهو الاسم الذي سمعهُ المستر فلبي من عرب نجد

Magnitude سماه المرتبة ولا نظن انهُ جاء باسباب كافية لجمله يعدل عما قالهُ علماء الفلك من العرب قديماً فقد قالوا القدر والعظم والعظمة كذلك علماء هذه الايام في مصر والشام

Size سماه القدر ونظن الحجم اصلح وحجتهُ في عدم استعمال الحجم انهُ شاع في كتب الطبيعيات لمعنى آخر فليكن اذاً الجرم وهو يؤدي معنى الحجم فاننا لا نرى من الموافق العدول عن الفاظ سبق غيرنا الى استعمالها صواباً

سمى نير قنطورس الفا قنطورس وهو حضار بالعربية ذكره القزويني وغيره ومن اسمائهِ رجل قنطورس

Mira عرّبهُ بالميرة ونفضل تسميته بالاعجوبة او اعجوبة قيطس كما سماه السيد عبد الحميد البكري اي انهُ ترجمهُ بذلك

Toucan عرّبهُ بالتوقان ونفضل تعريب احمد فارس اي الطوقان وقد تابعه في ذلك فانديك وكثيرون غيره

وبعد فقد كنا نحتاج الى كتاب حديث في العربية يتناول آخر ما بلغهُ علم الفلك من الحقائق والمذاهب وصلته بتقدم الطبيعة ، وطالما اقترحنا على ادارة المقتطف ان تعيد طبع كتاب الدكتور صروف « بسائط علم الفلك » بعد ان تضيف اليهِ المباحث الجديدة فجاء كتاب « النجوم في مسالكها » ، بطلاوتهِ وحسن بيانهِ وبسطهِ لمسائل الفلك العويصة ، فسد في الخزانة العربية فراغاً كبيراً . فنحن نشكر لحضرة المترجم الفاضل عنايته بترجمته ، وللجنة الترجمة والتأليف والنشر عنايتها بطبعه في مطبعة دار الكتب طبعاً متقناً ، ونشرهُ على الناس بثمن معقول

« م »

مقالبر الكتب

١ — ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم

تأليف امين محمد سعيد مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة سنة ١٣٥٢

« ملوك المسلمين » . . . ! ! لا اكاد اسمع هذه الكلمة حتى تتطوح بي الذكر الى الايام السوالف من عصور المجد والقوة والحضارة والعلم والادب ، وانتقل بين درجات التاريخ حتى أصل الى عهد السعادة والرحمة والاخوة والعدل بين الناس ، يوم كان المسلمون امة واحدة تسير بها كلمة الحق في كل وجه — ظافرة ظاهرة — الى سبيل الهدى والرشاد ، ثم ارتد على عقبي الى ما آل اليهِ الامر من فرقة في الجماعة وانقسام في الرأي واختلاف في الحق حتى وضعت فينا وحوش الاستعمار انيابها ومخالبها ممزقة ما بقي من جسم قد اكلته العلة وذهب بهِ الداء ونخر في عظمه السوس، حتى لم يبق من اعضاء هذا الجسم ما يقول ها أنذا سليم فانظروني .... دع هذا ، وعد الى ما نحن فيهِ

يغطي المسلمون الآن رقعة رحبةً من الارض بعيدة الاطراف مقسمة في أمم كثيرة ولكل شعب مسلم من هذه الامم ملكٌ او إمام او سلطان او والٍ تعود اليه امورها ، ومما يؤسف له ان اكثر هذه الشعوب يجهل بعضها بعضاً على ان الاصل الذي وضع عليه دينها هو التعارف والمودة والاخوة والنصرة والتعاون ، أجل ، ان بين ملوك هذه الشعوب وولاتها من المعاهدات والصلات ما تثبته الوثائق الاَّ ان هذا لا ينفي ان جهل هذه الشعوب بأحوال جاراتها كائن لا سبيل الى المراء فيه ، فمن من شباب هذه الامم يلم بأخبار ما ترامى من بلاد الاسلام او ما دنا ويتبع ما يقع فيها من الاحداث العظيمة ويكون على بينةٍ من امرها حافظاً لاخبارها متصلاً بثقافتها في أدبها وعلمها شاعراً بشعورها في آلامها واحزانها . ان الحوادث تثبت لنا كل يوم ان الامم الاسلامية متدابرة متقاطعة الاَّ قليلاً منهم . فمن الاحسان الى انفسنا واوطاننا وتاريخنا ومجدنا ان يقوم بعض اهل الخبرة والمعرفة بتقريب ما تباعد بين هذه الامم بنشر الكتب التي تضع امام قارئها صورة من هذه الامم جميعها ليلم قارئو كل أمة بما عليه احوالها وما هي فيه . وبالامس القريب ظهر كتاب «حاضر العالم الاسلامي» للأمير شكيب ارسلان، فقام بفرض من اعظم الفروض ، واليوم يظهر هذا الكتاب فيتمم كتاب الامير في ناحية من نواحيه . ونحن نشكر للمؤلف ما تفضل بهِ على قراء الامم الاسلامية ، وما بذل من جهد في الترجمة لملوك هذه الامم في هذا العصر وما عانى في جمع المعاهدات والوثائق التي تربط بعضها ببعض والتي تربطها بملوك الاعاجم من دول اوربا وغيرها . وقد سلك المؤلف

مسلكاً حسناً في ترجمة هؤلاء الملوك فهو يقدم لكل امة بلمحة موجزة في موقعها الجغرافي وحكمها السياسي وتعداد سكانها على اختلاف اجناسهم ومللهم ثم يبدؤ في ترجمة الملك من الملوك او الامير من الامراء فيذكر مولده ونشأته وعهده وتاريخ السياسة فيه ونظام حكمه وما عقد من المعاهدات ذاكراً نصوصها ، وكان في عمله هذا سابقاً مشكوراً

هذا ، ولا مندوحة لي من ان أنظر في الكتاب نظرة العربي الذي يحب ان يخدع نفسه وقومه ، ألا وان خداع النفس من أباطيل الحياة وأدوائها التي تنهك البدن وتذهب بالشباب والقوة والحذر . قسم المؤلف كتابه الى قسمين اولهما « الدول الاسلامية المستقلة » وذكر مصر والعراق وبلاد العرب واليمن وتركيا وايران وأفغانستان والثاني : « الدول الاسلامية المحمية » وذكر سوريا وشرق الاردن وحيدر آباد واسبانيا والمغرب الاقصى وتونس ولحج وحضرموت ومسقط والكويت والبحرين . وأنا لا أدري لماذا يخدع المرء نفسهُ فيعمد الى بلاد يأكل الاستعمار مالها وابناءها ويقتل أنفسها ويريق دماءها ويفتك فيها بما ملكت يداه من أساليب السياسة فيعدها في جريدة البلاد المستقلة وهي لا تبلغ ان تكون دولة قد رفعت على منازلها اعلام « الحماية » . ان البلاد التي وقعت فريسة للحماية تشعر دائماً انها فريسة فتسعى الى الخلاص جهدها وتوجه كل قوة فيها الى ذلك فاذا خشي الاستعمار تمام يقظتها واستفحال قوتها خدعها عن نفسها بالاستقلال المقيد بقيود ثقيلة من الذهب فيشغلها بقيودها الذهبية عن آمالها وأمانيها . ثم نأتي نحن فنخدع أنفسنا بأن نعدها مستقلة . . . . اللهم ان هذه الامم مخدوعة من ناحيتين من ناحية العدوّ ومن ناحية أنفسها . او كان المؤلف يعدم حيلة للخلاص من هذا ؟ أكان يضيرهُ شيئاً ان يترك الكتاب على نظامه هذا غير مقسم ذاكراً تلك الحقيقة بأي أسلوب شاء ، وان كنا نؤثر التصريح ، ولا نرى غيره رأياً

٢ — ابن عبد ربه وعقده

تأليف : جبرائيل سليمان جبور . احد مدرسي الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية
المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٣٣

كان شيخنا سيد بن علي المرصفي رحمه الله يستجيد كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ويعده في اجل كتب الادب العربي ، ولا ادري كيف مضى بي الزمن ولم اسأله عن هذا الكتاب سؤال الطالب الذي يريد ان يوقفه شيخه على عيون الكتب ، ويدله على اسرارها ، الاّ اني سمعته مرة — وقد ذكر هذا الكتاب — يشكو من كثرة الخطأ والتحريف والخلط الذي وقع فيه من النساخ . ورحلت عن مصر الى الحجاز في اول سنة ١٣٤٧ وعقدت النية على قراءة هذا

الكتاب لتصحيحه وضبطهِ ولم اوفَّق لأني لقراءته للمرة الثانية دون أن اصححه او اضبطه ولكنني كنت اجد المشقة في قراءته لكثرة الخطإِ الواقع في نصوصه ، واظن انَّ كل من قرأ هذا الكتاب وجد منه مثل الذي وجدت

فلما ظهر هذا الكتاب «ابن عبد ربه وعقده» عدت الى قراءة ما تيسر منهُ لاكون على بينة مما يكتب المؤلف فوجدت فيهِ كثيراً من الخطأ مما فاتني في القراءة السابقة فتمنيت كما تمنى الاستاذ في كتابه هذا ان تقوم جماعة من الادباء بجمع اصول هذا الكتاب ومقابلة بعضها ببعض لتصحيح العقد الذي يوضع بين ايدي الادباء بعد طبعه طبعاً متقناً جيّد التصحيح

وابن عبدربه لم يعرف الاَّ بعقده هذا حتى اصبح هذا الكتاب مما لا يستغنى عنهُ اديب عربيٌّ لايجازه وحسن ترتيبه وجمال اختياره ، ومع هذا فانك لا تجد لابن عبدربه ترجمة في كتاب من الكتب التي بين ايدينا قد استوفت حياة هذا الرجل حتى ابتدر الاستاذ «جبور» واخذ يجمع تراجم ابن عبدربه من كتب التراجم ما طبع منها وما لم يطبع ، وطفق يتسقط اخباره في سطور من الكتب حتى اجتمعت لديه مادة عظيمة ، ثم ارسل فيها رسلاً من ذكائه حتى ضمَّ اشتاتها والّف بينها على اسلوب جيد في ترجمة امثال ابن عبدربه فقسّم كتابه الى خمسة اقسام [الاول : في المصادر التي اخذ منها ، والثاني : في ترجمة حياته ، والثالث : وهو اكبرها — : في الكلام عن العقد ، والرابع : في نثره ، والخامس : في شعره] ويدور هذا الكتاب على التعريف بالعقد اكثر مما يدور على ترجمة ابن عبدربه فقد نقل فيهِ طائفة من العقد في اكثر ابوابه مما يعرف القارىء به ويصوره له . وقد بثّ في خلالها آراءً جيدةً ، واخرى مما يعترى كلّ مؤلف من التطوح او الخطإِ . وكان العهد بيني وبين رئيس التحرير أنْ استوفي هذا الكتاب نقداً وتمحيصاً الاَّ اني رأيت بعد ذلك أن انقض هذا العهد لما فيهِ من المشقة وما يستنفد من الجهد وما يتطاول بالكتابة . هذا ولانّ الكتاب في مجموعه جيد متقن ، ولعل مؤلفهُ سوف يستدرك فيهِ بعد ما فاته الآن فقد قال في مقدمته أنهُ لم يستقص « البحث في درس ابن عبدربه كما يريد او كما يجب ان يكون » وقال « وكل ما في درسي هذا أنهُ محاولة ، إن لم اكن قد وفقت في كل نتائجها ، فاني ارجو ان اكون قد وفقت في الطريق او المنهج الذي سلكته فيها » وليس ما وقع فيهِ الاستاذ مما يشق على مثله ان يتداركه إذا تبين لهُ وجه الصواب واهم ما يلزمنا ان ننبه اليهِ هو حشده الشواهد التي لاخطر لها فيما يستشهد لهُ مثال ذلك انهُ حين تكلم عن تشيع ابن عبدربه لآل البيت رضوان الله عليهم قال ص ٦١

(ولم تكن هذه النزعة (يعني التشيع)عند ابن عبد ربه من القوة او الشدة بحيث تظهر لاول وهلة في عقده إذ قد تقرأ الفصول الطوال من العقد دون ان تشعر بها — الى ان قال — غير

انا اذا قرأنا العقد وانعمنا النظر في هذه المواقف التي يذكر فيها عليًّا وأولاده وآله نرى اثر هذه النزعة عنده — وندر ان يذكر عليًّا دون ان يلحق الاسم « رضى الله عنهُ »). وهذا استدلال ضعيف ، فما من مسلم يذكر عليًّا او غير عليٍّ من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم الاَّ قال «رضي الله عنهُ » الاَّ طائفة قليلة ممن خرجوا على اجماع الامة الاسلامية في تقديم الصحابة وخاصة النفر الاربعة من ولاة الحق وهم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم . وبما ان ابن عبدربه ليس من هذه الطائفة فلا وجه للاستدلال على تشيعه بهذه الحجة الواهية. ونرجو ان يرجع الاستاذ الى حججه التي اوردها في هذا الباب فان اكثرها مما لا يصحُّ ان يتخذ مثله حجة على تشيع ابن عبد ربه . والحق في الفصل الذي عقده لتشيع ابن عبدربه وسماه في آخره « التشيع الحسن » ان ابن عبدربه كان كسائر المسلمين الذين يحبون رسولهم صلى الله عليه وسلم ومن تبع سبيل الحق من أهل بيته ويوقرون الخلفاء الأربعة الراشدين ويبجلونهم ويحبونهم ويترضون عنهم

بقي بعد هذا ان نسأل الاستاذ ألا يحمل في نفسه علينا اذا قلنا — مع تقديرنا لكتابه هذا — انه تعجل فلم يعنَ باختيار الالفاظ والتركيب الفصيح العبارة ، ولا نحب ان نوقفه على شيء منها فما نظن ان صواب الرأي فيها بعيد عنه « ومن زينة الحسناء لباسها »

٣ — رحله الى بلاد المجد المفقود

تأليف مصطفى فروخ والصور بريشته . مطبعة الكشاف ببيروت سنة ١٣٥٢

الاندلس .... كلمة واحدة توقظ في دم كل عربي تاريخاً من المجد والجمال والعلم والأدب وتوقد فيه نيراناً من الألم والغيظ والغضب والحسرة ، كلمة واحدة تراها ضاحكة باكية في التاريخ ، كلمة واحدة تراها حاملة راية النصر والدماء تسيل على جوانبها وتحت اقدامها ، كلمة واحدة تحمل اسباب الحياة الى العالم فتحمل فيه ألواناً من العذاب والظلم والفتك والاعتداء كلمة واحدة مرَّت على التاريخ كما يمرّ الحلم اللذيذ الفرح المحفوف بالجمال والشباب وروائع الخيال ثم توقظ التاريخ من حلمه تلك الجلافة البربرية الضارية التي أتت بها دواوين التحقيق في أبشع الصور وأقبح المطالع وأفظع الوجوه ... لك الله أيتها الأرض العزيزة التي ضمت درر التاج العربي و نفائس الارث الاسلامي وروائع الجمال الانساني، لك الله يا أرض الامجاد من بني مروان

هكذا تدول الدول ويتحطم المجد ويخبو الشعاع لتقوم في كل قلب دولة من الذكرى ويُبنى في كل فؤاد بنيان من الحسرة وتشتعل في كل مهجة نار من الألم ، ويرحل الراحلون ليقفوا على بقايا الاطلال ودارسات الرسوم ليبعثوا في القلوب الذكرى ويجددوا في الافئدة بنيان الحسرة ويورثوا المهج نيران الالم

اجلت قراءة « الرحلة الى بلاد المجد المفقود » ظنًّا مني بأنها كالكتب التي تصدر عن الرحلات في ضعفها وفتورها وجمودها وقلة روائها وذهاب مائها ، فلما قرأتها عدت على نفسي بالملامة ان لم أكن بادرت الى قراءتها من أول يوم فقد اجتمع للاستاذ « فروخ » في هذا الكتاب من دقة الوصف وبراعة البكاء على اطلال المجد العربي وصحة النظر الاجتماعي والاحاطة بكثير من تاريخ البلاد التي رحل اليها — الاندلس — ولطافة الملاحظة ، عدمته كثير من الرحلات التي قرأناها وكانت أشبه بجريدة الاحصاء او سجلّ الوفيات والمواليد. ولولا مايشوب بعض جملها من ضعف التركيب لكانت من أغلى الدرر في كتب الرحلات التي يراد بها ايقاظ الاحساس النبيل في نفوس اصحاب المجد الغابر وارهاف الشعور السامي في قلوب طُلاّب المجد ومجدّدي حضارة العرب من ابناء هذه الامة العربية

بقي ان نلوم الاستاذ «فروخ» على استهانته بتأريخ ما يذكره من الحوادث بالتاريخ العربي الهجري ذلك لاننا اذا تابعنا أصحاب الفتنة على ما يفتنوننا به من زخرف القول في الاقتصار على التاريخ الميلادي في تاريخنا لاختلط على شبابنا التاريخ ، وما ظنك بألف وثلاثمائة سنة كتبت كل كتب التاريخ العربي فيها بالتاريخ الهجري أيسهل ان نقلب التاريخ الهجري في الكتب العربية الى تاريخ ميلادي ؟ على شبابنا ان يعود سمعه وبصره وذاكرته على التاريخ العربي ولا يضعه بمنزلة أدنى مما تنزل الذكر الجميلة من قلبه ، وعلى شبابنا ان يحترم رمزاً المجد العربي يكاد يكون هو الباقي في حياتنا من الحياة العربية . هذا . ولو ان الاستاذ فروخ اتخذ تاريخه التاريخ الميلادي لكان ذلك هيّناً ، ولكنه خلط في الكلمة الواحدة بين التاريخ الميلادي والتاريخ الهجريّ وفي ذلك من وضع العثرات في طريق القارىء ما فيه . اما ما في الكتاب من الخطأ التاريخي الذي تنبه له بعض الكتاب فذلك ما نرجو الاستاذ ان يبرّىء كتابه منه في الطبعات التالية

ثم لعلّ الاستاذ «فروخ» سيواصل رحلاته الى اطلال المجد العربي ويخرج لنا الدرر التي طغى عليها تراب النسيان ، وستر جمالها كيد الكائدين وعنتُ المعنتين فالامم العربية الآن تحتاج إلى من يذكّرها بمجد اسلافها وعزّ آبائها وحضارة اجدادها لتجد في نفسها مضض الحسرة وفي الحسرة الألم وفي الألم الشعور وفي الشعور الحياة والطموح والشوق الى الفوز والغلبة

٤ — تنبيهات اليازجي على محيط البستاني

جمعها وحل رموزها « الدكتور سليم شمعون » و« جبران النحاس » مطبعة صلاح الدين باسكندرية سنة ١٩٣٣

كان الشيخ ابراهيم اليازجي علماً من اعلام الادب العربي ، ولا تزال آثاره وكتبه من ادق الكتب وأحسنها ترتيباً وتحقيقاً ، ويظهر من كثير من كتبه انهُ كان من اكابر اذكياء عصره وبلغائهم ومحققيهم في اللغة والادب حتى اصبح في مقدمة الذين احيوا الادب العربيّ وجددوا

روائعه وامدّوه باسباب النهضة والحياة . وقد كان جيد الاستدراك على اخطاء معاصريه حتى عدّ من ثقات نقّاد اللغة . الاّ ان اكثر ما استدركه على كتب اللغة التي أُلفت في العصر الاخير لم يظهر منها الاّ القليل ، ولعل ذلك يرجع الى انهُ لم يقيده بالكتابة كما بين الاستاذ « جبران نحاس » في مقدمة هذا الكتاب قال « ولكنهُ كان اثناء مطالعته اذا استوقف نظره لفظٌ اشار اليهِ بنقطة على الهامش وهو في الغالب يرسم خطًّا تحت ذلك اللفظ ، وربما عنَّ له شيء مما فات المصنف (يعني البستاني صاحب محيط المحيط) فاستدركه ، ولكنهُ لم يتكلف مثل هذا الاستدراك الاَّ في ما ندر »

وكنا نودّ ان نقول رأينا في « محيط المحيط » الذي جمعت تنبيهات اليازجيّ عليهِ في هذا الكتاب ، الاّ ان هذا المجال يضيق عما نتكلف له . وفي تنبيهات اليازجيّ كفاية للمطالع والمراجع

عمد الاستاذ جبران النحاس والدكتور شمعون في كتابهما الى الاشارات التي وضعها اليازجي على نسخة من « محيط المحيط » فحاولا ان يتبصَّرا موضع النقد او الاستدراك الذي اراده اليازجيّ وقد وُفقا الى كثير من الصواب لولا الاطالة فيما لا تجدي الاطالة فيهِ وتشتت البحث في بعض المواضع ، ولعلهما سيستدركان ذلك في بقية الاجزاء التي ستصدر تتمة لهذا الجزء — وقد استوفيا فيهِ حرف الالف وحسب . ونرجو ان يصحبهما التوفيق في عمل يجدان في كل خطوة منهُ عقبات يزلُّ لها الجلدُ القوي

محمود محمد شاكر

الاعاصير

مجموعة من الشعر الوطني نظم رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) في ١١١ صحيفة من القطع المتوسط — مجلدة تجليداً متيناً — طبع مطبعة مجلة الشرق بسان باولو (برازيل)

ثمن النسخة دولار اميركي او ١٠٠ قرش برازيلي

اشتهر الاستاذ رشيد سليم الخوري بلقب الشاعر القروي ، وكان جديراً بهذا اللقب ففي شعره بساطة الطبيعة تلك البساطة التي تخفي وراءها ما هو اعمق من العظمة الجوفاء . ولعلّ قراء المقتطف ما يزالون يذكرون قصيدته « الربيع الاخير » احدى بدائع الادب الحديث ، وفيها نرى القروي صافي الروح ، هادىء النفس ، وديع القلب ، نسمة تبعث اصداء الخلود . . . لهذا عجبت عند ما قرأت ديوانه « الاعاصير » الذي قصره على شعرهِ الوطني وحاولت ان المس فيهِ هدوء القروي ووداعته فما وجدت الاّ ثائراً يجري في عروقه دم الإباء ، ويخفق قلبه خفقة العظيم الذي تضطرم بين جنبيه نار المجد . وعجبت اكثر من ذلك لاني اعرف ان روح الشاعر تحيط العالم دائماً بحبها ، وترى في كل بقعة من الارض وطناً يستحق الحنان والولاء

ولكنني وجدت في هذا الديوان دعوة الى الجهاد والكفاح لتحرير لبنان من ربقة الاستعمار ووجدت الشاعر يدافع في مقدمة ديوانه عن ثورته وخروجه عن حدود عالميته الى قومية ملتهبة فهو يقول: «اما والله لو كنت شاعراً إفرنسيًّا او انكليزيًّا لحبست النفس على التبشير بالسلام ووقفت القلم على الدعوة الى الرأفة والحنان لان الرأفة والحنان زينة الاقوياء. اما وانا سوريٌّ، ومن لبنان، فانهُ لا غرض لي في الحياة اشرف من دعوة شعبي الى بغض الشعوب، ولا مثل عندي اعلى من استنهاض امتي لمحاربة الامم، وانهُ لبغض اسمى من الحب، وانها لحرب اقدس من السلم! فما دمنا عبيداً ضعفاء فدعوتنا العالم الى السلام ليست من الفضيلة في شيء اكثر من فضيلة العفو بغير اقتدار، حجة الذليل الاثيم. فلنصافح السيوف فاذا تحررنا فلنصافح الاعداء! نحن نحب اوربا ولذلك يجب ان نبغضها اولاً! نبغضها لنحاربها، ونحاربها لنتحرر منها، ونتحرر منها لنستطيع خدمتها بأحسن مما تخدم نفسها . . .» لهذا عرفت مقدار اللوعة التي يحملها الشاعر القروي — المتغني بالطبيعة — في قلبه على مجد لبنان الذي تحاول يد الاستعمار ان تهد من شموخه وتقوّض من دعائمه، وادركت ان وراء الهمسات التي نسمعها من رشيد الخوري زأرات وان وراء النسمة العذبة اعاصير ثائرة

ولاخواننا شعراء العربية المهاجرين في ربوع العالم الجديد حرارة في الوطنية والجرأة اكثر اتقاداً منها في قلوبنا جميعاً ذلك انهم يعيشون في اجواء عزيزة تعرف الحرية طليقة نقية لم تدنسها ريح الاستعباد، فلنستمع الى الشاعر القروي وهو يحيي الاندلس في شخص الشاعر الاسباني الكبير فيلا سبسّا فنرى شاعرنا كيف يتأثر باللاهين عن كرامتهم الضائعة فيقول:

خبرينا كيف نقريك السلاما   طيب النشر كأنفاس الخزامى ؟ !
والشذى المحيي بسوريا العظاما   غادر الشام وبيروت وهاما
في بلادٍ حرة لم نحنِ هاما   وأنوف لم يقبّلنَ الرغاما
خبرينا كيف نقريك السلاما ؟ !

أمِنَ «المياس» حيث العلج رافع   رايةً حمراء تحميها المدافع ؟
امْ منَ الشام، وطرف الشام دامع ؟   ام من الارز، وليث الارز خاضع ؟
ام من الاردنّ والاردنّ ضارعٌ   خاشع الرأس ذليلاً يترامى
امِنَ العبدان ترضين سلاما ! !

ثم يحاول ان يصور فداحة العار الذي يشين الاباء الوطني والعزة القومية في الربوع الشرقية فيرينا من خلال استار القرون الماضية عيوناً من قصر الحمراء تنظر شزراً صارخة: «من ربوع الذل لا ارضى سلاما» ولنستمع الى اصداء الدم الحار في نفس ترى حياة الوطن فوق نعيم الحياة فهو يهتف بالموتى المتحركين في قصيدته «قحط الرجال»:

ويا ناعمين بذلّ القيودِ ويا سادةً في هوانِ العبيد
أمن أجل تقبيل رِجْلِ العميد وبرْيِ الذقون لفرط السجودِ
غدرتمْ بشعبٍ وبعتمْ وطن ؟
ألا زأرةٌ مثل قصف الرعودِ يضجُّ بها الأرز مهدُ الأسودِ
وتهتزُّ منها عظامُ الجدودِ مردّدة من وراء اللحودِ
ليحيَ ، ليحيَ ، ليحيَ الوطن !
ألبنان أين أسود الرجالِ ؟! ألا بطلٌ واحدٌ للنزالِ ؟!
ألا « كَرمٌ » آخرُ في الشمالِ ؟! إلهي بُليتنا بقحط الرجال
أما من فتاةٍ لهذا الوطن ؟!

ولقد عرفت الشاعر الحوادث ان الحق لا يطلب بالسلم ، وان الحكمة « أحبوا بعضكم بعضاً » أصبحت لا تنفع الناس فهو يقول في مرارة :

اذا حاولتَ رفعَ الضيم فاضربْ بسيف محمدٍ واهجرْ يسوعا
(أحبوا بعضكم بعضاً) وعظنا بها ذئباً فما نجّت قطيعا !
(فيا حملاً وديعاً) لم يخلف سوانا في الورى حملاً وديعا
غضبتَ لذات طوقٍ حين بيعت ولم تغضب لشعبك حين بيعا !

واني لأرى رشيداً من خلال قصيدته التي قدّم بها الديوان وقد وقف مناجياً ربه وهو ينظر الى لبنانه الشامخ فلا يرى حوله الا رؤوساً مطأطئة فيقول :

إلهي رُدَّ مالكَ من أيادٍ على وطني ، ورُدَّ له الإيادا
خلعتَ على رباهُ الحسنَ فذًّا وألبستَ القطين به الحدادا
وما شرف الجبال لساكنيها وشمُّ إبائها خُسفتْ وهادا

وأراه وهو يتلفت في ربوع وطنه ليبحث عمن يهدي اليه ديوانه فلا يجد من هو أحق بذلك من شهداء الوطنية فيناجيها :

يا رُفاتاً تحت الرمال دفينا مبعداً ، طاولَ الرموس ، نسيّا
لك أهدي هذا الكتاب لأني لم أجدْ في البلاد غيرك حيّا

على أننا نجد بين هذه الأعاصير التي نحّاها الشاعر في ديوان منفرد لتعصوصف في جوٍّ وحدها ، نجد بين هذه الخواطر الجامحة والافكار الثائرة ألواناً فتانةً وأنغاماً عذبة تجيش بها نفس القروي الوديعة كقوله :

واذا رنَّ بها عود النديم مرْجفاً بالحب أعصابَ النجومِ
ومثيراً لوعةَ الليل البهيم ومديراً أدمعَ الفجر مداما

وكذلك نجد في قصيدته نكبة الشام التي نحس فيها نفس عنترة العبسي ونلمس فيها اقتراباً من معلقته ، نجد قوله :

فربَّ محصَّنات ما تخطَّى اليها الوهمُ قد عدمت سياجا
حرائر كالقلوب مخبَّآت وكنَّ لها سروراً وابتهاجا
نجوم أصبحت بالكف تجنى وقبل اليوم عزَّتْ أن تناجى

وبعد هذه الاعاصير احيي الشاعر القروي وأطالبه بديوان آخر يجمع أنفاسه العطرة فان جوَّ الادب الحديث لمشوق الى هذه الاعاصير

حسن كامل الصيرفي

كتاب مدرسي في الفلسفة

Manuel de Philosophie, Editione Felix Alcan, Paris.

ان النظريات الفلسفية ما تنفك تتلاحق فيهدم بعضها بعضاً في زمن قصير ، فييأس طلبة الجامعات ان يقفوا على اغراضها. وان حاولوا ان ينظروا فيها ليقابلوا بينها فيطمئنوا الى واحدة منها حاولوا أمراً يكاد يكون من وراء الطاقة ، لان مسائلها — وبخاصة المستحدثة — منتشرة في عدة تآليف ، وربما اضطرَّ الطالب الى قراءة عدد متأخر من مجلة فلسفية لكي يهيىء مادة من مواد الامتحان. وقد ظهر منذ عهد قريب مؤلف ضخم في علم النفس والمنطق والاخلاقيات وما وراء الطبيعة، جامع لشتيت الفوائد ، قريب المنال ، انما همُّه عرض المسائل من دون تشيع لها ولا طعن فيها خشية ان تضطرب في ذهن الطالب فما يدري بأيها يأخذ

ثم ان هذا المؤلف يضمُّ بين دفتيه « اكتشافات » ونظريات اليوم في المنطق وعلم النفس ذلك ان المنطق في تحول دائم بسبب تطبيق قواعد الجبر على أساليب التفكير . واما علم النفس فهاهو يدخل في طور جديد من حيث ان جانباً عظيماً منه أمسى بين يديْ علم وظائف الاعضاء على حين ان الجانب الآخر جعل يلحق بعلم الجماعة. هذا واما ما وراء الطبيعة والاخلاقيات فهما في هذا الكتاب على ما كانا عليه لعشر سنوات خلت ، الاَّ بعض الشيء والسبب في ذلك ان اصحاب هذين العلمين قد ذهبا الى غاية يكاد لا يكون وراءها مطلب لطالب

غير ان هذا الكتاب موضوع لتلاميذ المدارس الثانوية في اوربا ، وعليه فانه مقصور على برنامج تلك المدارس ، وهيهات ان يكفي طالب جامعة اوربية . ولكنهُ جدير بأن يرسم لهُ خطة العمل ويمهد له السبيل للبحث ، وربما بسط له مطلباً اشكل عليه او دفع اليه المفتاح الذي به يدخل على مسئلة مقفلة

هذا واني لا يخفى عليَّ ان طالب الفلسفة في الجامعة المصرية لا يكاد يتقدم — في العلم — من يأخذ الفلسفة في المدارس الاوربية . فلعله ينتفع بهذا الكتاب فوق ما ينتفع به طالب الفلسفة في الجامعات الاوربية

بشر فارس
دكتور في الآداب من السوربون

حكايات الاطفال — التربية بالقصص

حكايات الاطفال سلسلة من القصص التي ينشئها الاديب كامل كيلاني لتكون في يد الاطفال يتعلمون بها القراءة العربية وقد قال في مقدمته « وليس هذا الكتاب وما يليه الاَّ متمماً للفكرة التي اخذنا انفسنا بتحقيقها . وقد زادتنا الايام اقتناعاً بها وايماناً بخطرها . بعد ان رأينا اكثر رجال التربية يشركوننا في رأينا ان التكرار اصح اسلوب يلائم الطفل ، في اول عهده بالقراءة لانهُ يشجعهُ عليها ويملأ نفسهُ ثقة بقدرتهِ على المطالعة »

وهذه الحكايات مطبوعة طبعاً متقناً جداً ، بالمطبعة العصرية لصاحبها الياس انطون الياس ، وفيها رسوم وصور تغريهِ بالمطالعة . ثم ان تعديد الوان الحبر تبهج قلبهُ . وكاتب هذه الكلمة يذكر انهُ وهو طفل كان لا يرى شيئاً ابهج من الوصول الى صفحة معيّنة من كتاب انكليزي تحتوي على اشياء ملوّنة فكان يجتهد في درس ما قبلها حتى يتاح لهُ درس تلك الصفحة المعيّنة

اما التربية بالقصص فللمهندس الأديب حامد القصبي . وهي مكتوبة كلها خطًّا جيداً وصنعت منها اكليشيهات طبعت على الورق بحبر أسود ، تتخللها صور ورسوم مطبوعة بالحبر الاحمر . والغرض من هذه القصص البسيطة تعليم الطفل استعمال عقله الغض الناشىء (راجع رسم العلم المصري صفحة ٨ وحبذا الحال لو كانت ارقام النقط اوضح قليلاً مما هي). وطبعهِ بالطابع الوطني المستنير . والحق يقال ان العناية بالاطفال من هذه الناحية يبشر بنهضة فكرية عظيمة ، لانهُ اذا تعلم الاطفال اصول لغتهم من صغرهم ، انطلقت امام التفكير ميادين الابداع لان التعثر في اللغة قيدٌ يرسف فيهِ الفكر

علم طبقات الارض

تأليف الدكتور محمد محرم — استاذ التاريخ الطبيعي — في معهد الطب بدمشق

الحقائق العلمية التي يحتوي عليها الكتاب لا غبار عليها في الغالب ، الاَّ ما ذكره صفحة ٣ من ان نظرية لابلاس هي « النظرية الاخيرة المعتبرة الآن » . ولا يخفى ان نظرية لابلاس في نشوء النظام الشمسي قد نبذت من زمن طويل ، وحلت محلها نظرية قائمة على مباحث تشمبرلين ومولتن وجينز وجفريز (راجع مقال نشوء النظام الشمسي في مقتطف نوفبر ودسمبر ١٩٣١) وما اشار اليهِ صفحة ٤ بقولهِ : « وليست الحلقة الاولى التي انفصلت عنها الاَّ نبتون » وهذا يعني ان نبتون هو ابعد السيارات المعروفة . فإن السيار بلوتو الذي كشف في ١٣ مارس ١٩٣٠

وقد رأينا في صفحات الكتاب الفاظاً عربية علمية معرّبة او مترجمة مع ان قليلاً من التنقيب كان يكفي للاهتداء الى اللفظ العربي الصميم او السائر المتفق عليهِ فقد ذكر حجر الاوبسيديان بلفظه الاعجمي وهو السبج بحسب وصف التيفاشي لهُ . وذكر جبال روشوز معرّباً لفظ Rocheuses الفرنسي . وكان يجب ان يقال الجبال الصخرية لان « روشوز » ليس علماً لهذه الجبال بل هو مترجم Rocky وهو الاسم الذي تعرف به هذه الجبال في اميركا

فاذا شاء التعريب فليعرّب الاسم الاصلي المعروف في اميركا. وقال صفحة ٣٤ « فالحرارة المنتشرة من الشمس يدخرها الهواءُ ويكوّن من حول الارض طبقة حامية» ودافئة في هذا المقام اصلح من حامية

مفكرة القس اسعد منصور

رحل القس الورع اسعد منصور وزوجته الى بلاد الانكليز في يونيو سنة ١٩٣٠ وعادا منها في سبتمبر فزارا انكلترا واسكتلندا وقد دوّن القس اسعد في مفكرته اليومية ما شاهداهُ من آثار العمران في تلك البلاد العجيبة وتاريخ المشاهد والاشخاص . فهنا وصف قصر وهنا تاريخ معهد وهناك سيرة رجل وهنالك بيان مظهر من مظاهر الحياة الخاصة او العامة . قال « ذهبنا وباصرتنا مفتوحة كبصرنا وعقلنا مهيءٌ لاستيعاب ما يمرُّ بنا وما نمرُّ به. كنا ندرس تاريخ المشاهد والاشخاص . كنا نتأمل ونبحث ونقيس ونستنتج ثم ندوّن ما يجدهُ القارىء في هذه المفكرة». فتحنا المفكرة اتفاقاً عند الصفحة ١٠٣ فرأينا العبارة التالية وفيها اجمال لما اشتهر عن الملك هنري الثامن من تعدُّد زيجاتهِ قال : — بعد ان فعل ذلك استصدر أمراً من البرلمان بالغاء زواجهِ غير الشرعي بكاترين (كاترين الارغونية) وتزوّج حنة بولين وسنة ١٥٣٦ ماتت كاترين واعدمت حنة بولين بتهمة الخيانة الزوجية وتزوج حنة سيمور التي ماتت بعد ان ولدت لهُ ادورد السادس وتزوج حنة كليفس ولم يطل الوقت حتى كرهها ثم طلّقها (فنشأ عن ذلك خلافهُ مع كرانمر رئيس اساقفة كنتربري) وتزوّج كاترين هورد وبعد سنتين الحقها بحنة بولين فاعدمها بتهمة الخيانة الزوجية وتزوّج كاترين بار.... وهي الوحيدة التي عاشت بعدهُ .فزوجاتهُ ستٌّ ثلاث كاترينات وثلاث حنّات» . وقال صفحة ٤ في وصف لندن يوم الاحد : — «اقرأت عن عظم الازدحام وشدَّة الحركة. كل ذلك يقف وقوفاً تامًّا يوم الاحد. ويختلف نظر الناس الى هذا الوقوف بحسب اهوائهم فالعالمي يصف لندن في يوم الاحد بالمقبرة .... اما اهل الدين فيقولون هكذا يجب ان تكون الامم المسيحية وبلدانها»

والكتاب في ١٢٩ صفحة من قطع المقتطف وقد طبع بمطبعة دار الايتام بالقدس

الضعف التناسلي

تأليف الدكتور فخري — طبع بالمطبعة العصرية — صفحاته ٢٣٨ قطع المقتطف

قال الدكتور فخري في مقدمته : « دفعني خلوّ اللغة العربية من مؤلف عاميّ حديث عن امراض الضعف التناسلي المتعددة لان اقدم لقراء العربية كتابي هذا . ولعلّ الاطباء الذين لا يجدون من وقتهم متسعاً للاطلاع باسهاب على هذه الامراض واجدون بعض الفائدة من تصفح هذه الابحاث ..واملي ان يجد طلاَّب الطب في كتابي هذا ما ينير اذهانهم عن مجموعة هذه الامراض» . والضعف التناسلي يتخذ اشكالاً مختلفة في النساء والرجال ولكن الدكتور فخري عمد الى التقسيم العلمي ففصَّل ابوابهُ تفصيلاً طبيًّا وصحيًّا وافياً

مطبوعات جديدة

«سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان» الدرجة الخامسة — كتاب نفيس الفه العالم اللغوي جرجس شاهين عطية وافرغه في قالب يحبب الى الطالب دراسة هذا العلم ، فقواعده مبسوطة بأسلوب واضح جلي — طبعته مكتبة صادر ببيروت وثمنه ١١ فرنكاً ونصف خالص اجرة البريد

« تهذيب النحو » الجزء الثاني — تأليف الأستاذ مصطفى محمد ابرهيم وضعه للسنة الثالثة الابتدائية ويحتوي على القواعد النحوية وافية مبنية على أمثلة واضحة مضبوطة بالشكل الكامل وفي آخر الكتاب مجموعة طيبة من أسئلة امتحانات المدارس الابتدائية طبع بالمطبعة الحديثة بشارع خيرت وثمنه ٤ قروش

«الموز» تأليف الاستاذ مصطفى الزيادي كتاب يرجع اليه في شؤون زراعة هذه الفاكهة ويشمل كل ما يعترض زراعها من المسائل والعقبات وكيفية معالجتها او تلافيها وهو نتيجة ما اكتسبه المؤلف من دراساته واختباراته لهذه الفاكهة سواء في الهند التي هي اصل موطن الموز او في مصر طبع بمطبعة مصر بشارع نوبار

«جغرافية سوريا» الجزء الاول تأليف الأساتذة كامل نصري وخلدون الكناني وخالد علي — يحتوي على احوال سوريا الطبيعية من موقعها وحدودها وطبقاتها وجوها . . . وعلى الحياة البشرية والمناطق الطبيعية والحياة الاقتصادية والسياسية . طبع بمطبعة الترقي بدمشق

«جنيفاف» رواية تمثيلية اخلاقية بقلم نبيل البستاني وطبعتها مكتبة صادر ببيروت وثمنها ٥ فرنكات

«البخيل» رواية تمثيلية هزلية تأليف الكاتب الفرنسي الشهير موليير نقلها الى العربية الأديب الشاعر الياس أبو شبكة وأخرجتها مكتبة صادر ببيروت

«زفرات القلوب» وضعه بايعاز لجنة التمثال الخوري المؤرخ عيسى اسعد ويحوي ترجمة وافية لحياة المطران اثناسيوس عطا الله متروبوليت حمص وتوابعها للروم الارثوذكس وما قيل في وفاته من منظوم ومنثور وفي حفلة رفع الستار عن تمثاله طبع بمطبعة السلامة بحمص

«القراءة الفريدة» سلسلة كتب المدارس الابتدائية عني بجمعها وشرحها الأستاذ شريف النشاشيبي مساعد مفتش المعارف في لواء الجنوب بيافا . ظهر منها ثلاثة أجزاء تحوي على الكثير من منثور الكلام والشعر والمواعظ البليغة والأمثال اللطيفة مع قصص قصيرة جامعة . طبع بمطبعة المعارف بشارع الفجالة

« الباكورة » تأليف الاديب حسن طنطاوي سليم ويحتوي على شعر قصصي غزلي وحكم وامثال ومراثٍ طبع بمطبعة العلوم وثمنهُ قرشان

باب الأخبار العلمية

الفضاء بين النجوم

كان المثل العامي يضرب في الفراغ، بالفضاء بين النجوم، ولكن هذا القول كطائفة كبيرة من الاقوال العلمية، يحتاج الآن الى تنقيح، اذا اخذنا بالمباحث التي قام بها علماء مرصد يركيز الاميركي، التي تدل على ان الفضاء في رحاب المجرّة وبين نجومها ليس فراغاً، بل يملأُه ضباب لطيف جداً قد يحسب، للطافته فراغاً تامّاً، اذا قوبل بالفراغ الذي يستطيع علماء الطبيعة ان يحدثوه في الأنابيب اذ يفرغوها من الهواء

***

ودليلهم على ان هذه الرحاب ليست فارغة فراغاً تامّاً احمرار النور القادم من النجوم البعيدة، بعد اختراقهِ للفضاء. وقد أثبت الدكتور طرمپلر Trumpler ان النور القادم من النجوم البعيدة اكثر ميلاً الى الاحمرار من النور القادم من النجوم القريبة. وهذا يؤخذ دليلاً على ان ما في الفضاء لهُ اثر في ضوء النجوم، كأثر الغبار في ضوء الشمس اذ تكون عند الافق. فمرور أشعة الشمس في الهواء وهي عند الأفق، ينشئهُ من المادة المنتشرة اللطيفة الشفق القرمزي الذي يتمتع بهِ محبّو الطبيعة عند الغروب

غاز الهليوم في المعادن

من الحجارة الكريمة حجر يدعى الزبرجد Beryl فاذا كان صافياً عدَّ في الجواهر. وهو يحتوي على مقادير من غاز الهليوم تختلف باختلاف الطبقة الصخرية التي اقتطع منها. وغاز الهليوم ينشأ من تحوُّل العناصر البطيء في الصخور فمقداره دليل على عمر الصخر، اي ان غاز الهليوم قد يستعمل احياناً لمعرفة عمر صخر من الصخور، كما يستعمل الراديوم والرصاص الذي ينشأ منهُ بعد نفاد اشعاعهِ

وقد كتب اللورد رالي العالم الطبيعي البريطاني، الى مجلة نايتشر يقول انهُ عني بتحليل مقادير غاز الهليوم الذي في حجارة الزبرجد المختلفة وبعد المقابلة بسرعة انطلاق دقائق الفا (او ذرات الهليوم) من عنصر البريليوم، قدَّر ان مقادير غاز الهليوم في الزبرجد تقتضي مدة تتراوح من خمسين الف مليون سنة الى مائة الف مليون سنة لتجمعها في هذا الحجر

ولا يخفى ان هذه المدة هي اطول كثيراً من المدة التي قدّرت لتجمع الرصاص الناشيء من الراديوم في الصخور، وهي على الاكثر نحو الفي مليون سنة. واذاً فثمة اختلاف كبير بين الحسابين، لا يجلوهُ الاَّ التعمق في البحث

الاشعة اللاسلكية القصيرة

لقد فاز ماركوني ثانية في تحيير العلماء . اذ أثبت ان الاشعة اللاسلكية القصيرة تخترق الجبال وتنحني مع انحناء الارض فتتلقاها محطات الاستقبال التي وراء الافق . فالتاريخ يعيد نفسه . ذلك ان بوانكاره العلامة الرياضي الفرنسي اثبت سنة ١٩٠١ بالحساب الرياضي ان المخاطبات اللاسلكية لا يمكن ان تتعدى محطتين المسافة بينهما اكثر من ١٦٠ ميلاً لان الامواج اللاسلكية لا تنحني بانحناء الأرض بل تنطلق في الفضاء في خطٍ مماسٍ لكرتها. ولكن في تلك السنة نفسها تمكن ماركوني من التقاط اشارة لاسلكية مرسلة من انجلترا في جزيرة نيوفوندلند على الساحل الاميركي والمسافة بينها نحو ١٩٠٠ ميل

كذلك في العهد الحديث . قال علماء الطبيعة النظرية ان الاشعة اللاسلكية القصيرة يجب ان تتصرف كاشعة الضوء المنطلقة من مصباح كشاف ، فتسير في خطٍ مستقيم ولا يمكن ان تلتقطها محطة مستقبلة وراء الافق . ولكن ماركوني تمكَّن من ارسال امواج لاسلكية قصيرة ، طول الموجة منها قدمان ، مسافة ٩٤ ميلاً وهي ثلاثة اضعاف المسافة التي عيَّنها العلماء . ارسل الاشارة من يختهِ « الترا » في عرض البحر فالتقطتها محطة مستقبلة في داخلية ايطاليا

حتى اذا اقتصر استعمال الأمواج اللاسلكية القصيرة على مسافات لا تتعدى مائة او اكثر قليلاً من الاميال كانت فائدة استعمالها كبيرة . فقصرها يمكن مستعمليها من توجيهها بواسطة عواكس مقعَّرة من السلك على نحو ما توجَّه اشعة النور بمرايا مقعرة الى ناحية معينة . واذاً فتبادل الرسائل اللاسلكية بهذه الامواج يمكن ان يكون مكتوماً بعض الكتمان اذ لا تستطيع محطة غير قائمة في خط اتجاه الاشعة من التقاط الاشارة اللاسلكية التي تحملها . وحينئذٍ لا بدَّ من معرفة طول الموجة حتى تضبط الآلة الملتقطة

الاوزون في الطبقة الطخرورية

اعلنت طائفة من علماء سويسرا وبريطانيا ان مقدار الاوزون في الجوّ على اكبره في الطبقة الطخرورية (الستراتوسفير) على نحو ثمانية اميال فوق سطح البحر . والاوزون نوع من الاكسجين في كل جزيء منهُ ثلاث ذرات من الاكسجين بدلاً من جزيئين كما هي الحالة في الاكسجين العاديّ الذي لابدَّ منهُ للحياة . وللاوزون رائحة قوية حادة ويتولَّد من مرور الشرر الكهربائي في الهواء . ويقال ان المهندسين الذين يجربون التجارب بالتيارات الكهربائية العالية الضغط يصابون بصداع قوي ، يسند الى كثرة الاوزون في الهواء . ولكن قليلاً منهُ في الهواء مطهِّر للدم لان جزيئه غير مستقر فتنفلت منهُ ذرّة من الاكسجين ، وهي شديدة الفعل لانها تميل في الحال الى الاتحاد بذرة اخرى لتوليد جزيء اكسجين عادي مستقرّ . وفي ميلها هذا تؤكسد بعض المواد التي في الدم ، بعد تنفسها فتنقيه

عجائب الاشعة التي فوق البنفسجي

لا ريب ان للاشعة التي فوق البنفسجي اثراً فعالاً في توليد فيتامين (د) المقاوم للكساح وقد عمدت بعض المصانع الى اخراج اطعمة قيل انها عرّضت لهذه الاشعة. فبعضها زادت قيمته الغذائية وبعضها نقصت لسوء التعريض. ولكن جاء من الولايات المتحدة الاميركية انهُ اذا عرّض جلد بطن البقرة لهذه الاشعة امتصّها الجلد فتحلب البقرة لبناً غنيًّا بهذا الفيتامين. ثم ان بعض محطات التجارب الزراعية تجرّب ان تمتحن اثر هذه الاشعة في النباتات فتعرّض لها البزور والافرُخ ثم تراقب نتائج هذا التعريض. ومعلوم ان بعض الثمار يجفّف في الشمس لحفظهِ من دون ان يضاف اليهِ سكّر او ملح او اية مادة حافظة اخرى. ومن هذا القبيل العنب والتين والرطب (البلح). ولكن ثبت الآن ان الاشعة التي فوق البنفسجي افعل في حفظ الاثمار على هذا المنوال من نور الشمس. والخبز الذي يعرّض لها بعد لفّهِ بورق شفّاف يحفظ سليماً من العفن مدة عشرة ايام على الاقل. ويستعملها كشّافو الجرائم في فضح المزوّرين والقتلة وغيرهم

الحامض الايدروسيانيك السامّ

هذا الحامض سمٌّ زعاف. وقد كشف الاستاذ ميراند الفرنسي جنسين من الفطر (عيش الغراب mushroom) يحتويان عليهِ في تاج الفطر ولكن البزيرات التي ينبت منها الفطر وجذوره الخيطية خالية منهُ، وهذا الجنسان هما مراسيموس (Merasimus) وكليتوسيب (Clytosybe)

رأي جديد في السرطان

نشرت المس مود سلاي Slye الباحثة في معهد سبراج للسرطان في شيكاغو، نتائج مباحثها خلال ٢٣ سنة في السرطان في المجلة الاميركية للسرطان فقالت انها شرّحت ١١٦ الف فأرة مصابة بالسرطان فثبت لها ان في احد الكروموسومات عاملاً خاصًّا يورث القابلية للاصابة بالسرطان. وان عدم القابلية للاصابة بهِ صفة متغلبة. وان القابلية للاصابة بهِ صفة مغلوبة. ومعنى هذا انهُ اذا تزوج رجل فيهِ عدم القابلية للاصابة بالسرطان بسبب عامل الوراثة الخاص، بامرأة فيها قابلية للاصابة بهِ جاءَ نسلهما غير قابل للاصابة. واما نسل النسل فيكون ربعهُ قابلاً للاصابة وثلاثة ارباعهِ غير قابل بحسب قواعد مندل في الوراثة

فالوراثة ليست سبب الاصابة بالسرطان في رأيها. ولكن اذا تضافرت عوامل خارجية كالاحتكاك مع عوامل داخلية كنقصٍ خاص في الغدد الصمّ، في شخص ورث قابلية الاصابة بالسرطان اصيب بهِ. وهذا يذكرنا بقول استاذ للطبيعة في انكلترا. قيل ان احد الطلاّب سألهُ ما هي الجاذبية فقال لا ادري فقال الطالب ولكن كتب الطبيعة تذكر حدَّها فقال الاستاذ وذلك الحدُّ غطاءٌ لجهلنا فقط

البكتيريا والاشعة التي فوق البنفسجي

من المقرر بوجه عام ان توجيه الاشعة التي فوق البنفسجي الى مزدرعات البكتيريا يميت البكتيريا فلا تتكاثر في المزدرع، ولكن الدكتور جايتس (Gates) الاستاذ بجامعة هارفرد اثبت ان هذه الاشعة لا تميت كل البكتيريا، وانما تحمل بعضها على النمو نمواً شاذاً. فقد وجَّه الى مزدرع من باشلس القولون اشعة ثبت انها لا تؤاتي نمو هذه المكروبات. فقتل بعضها في الحال. وظلّ بعضها حيّاً ينمو ويتكاثر غير متأثر بالاشعة. وبين الطائفتين كانت طائفة ثالثة تصرفت بعد توجيه الاشعة الى المزدرع تصرفاً شاذاً. فبعضها استطال من دون ان ينقسم حتى اصبح خيوطاً شبيهة « بالمكرونة » على قول الدكتور غايتس. وبعضها ثخن حتى اصبح قطرهُ ثلاثة اضعاف قطر الباشلس العادي. والباشلسات التي تصرفت هذا التصرف الشاذ كانت تتحرك كالديدان او الحيات او تخترق لها طريقاً في السائل المحيط بها كانها مثقب (خرامة) حيّ. فاذا انقضت عليها ثلاث ساعات او اربع حالت degenerated فتتقطع قطعاً وهذه القطع بدورها تحول وتنحل

زجاج عجيب

في انباء المانيا ان مصانع هرتزوجنرات Herzogenrat قرب آكن اخرجت زجاجاً مرناً ينحني ولا ينكسر. وقد اخذ لوح منهُ بحجم لوح الزجاج الذي في مقدّم السيارة وثخانته ووضع على مائدتين بينهما خلاء فوقف عليهِ ثلاثة رجال فانحنى قليلاً تحت وزنهم ولم ينكسر ثم لما نزلوا عنه عاد الى شكلهِ المسطّح وهو زجاج حقيقيّ. اي ليس بمادة غروية مقسّاة ولا بزجاج مؤلف من طبقات رقيقة كالزجاج الذي يصنع للسيارات الحديثة فاذا صُدم انكسر ولكن لم يتشظّ

لقاح جديد للجدري

جاء في مجلة اللانست الطبية ان الكولونل ستيفنسن والدكتور بطلر (G. G. Butler) الباحثين في معهد اللمفا التابع للحكومة البريطانية، اكتشفا طريقة حضرا بها اللقاح ضدّ الجدري من بيض الدجاج، بدلاً من تحضيره بحقن العجول، كما يحضر عادة. وقد استخرجا من ٢٨ بيضة مادة تكفي لتلقيح سبعة آلاف شخص. وقد علقت اللانست على ذلك بان هذا اللقاح معقم، لا تشوبهُ البكتيريا، وان طريقة تحضيره سهلة وقليلة النفقة

التلوُّن في السمك

كان علماء الأسماك يعلمون ان بعض اصناف السمك تملك مقدرة الحرباء على تغيير لونها، بقبض الاجسام الملونة في جلدها او تمديدها. ولكن الدكتور فرنسيس شمتز، احد علماء معهد سكربس للاوقيانوغرافية اثبت انهُ اذا طال اتصال بعض اصناف السمك ببيئة جديدة تقتضي لوناً خاصّاً ولَّد الاجسام الملوَّنة اللازمة او تخلص من الاجسام التي في جلدهِ غير الموافقة لبيئتهِ الجديدة

الجزء الرابع من المجلد الثالث والثمانين

هديتا المقتطف السنويتان

كتابان نفيسان

اصدرت مجلة المقتطف كتابين نفيسين كل النفاسة . احدهما في موضوع « اللاسلكي » وهو بحث علمي عملي مزين بما لا يقل عن مائتي صورة ورسم يتناول هذا الموضوع من وجوهه المختلفة ففيه نبذ عن تاريخ الفنون اللاسلكية . وفيه فصول تبسط مبادىء الكهربائية التي بني عليها اللاسلكي . وفيهِ ارشادات عملية لالتقاط اذاعات المحطات واصلاح الاجهزة . وفيهِ بحث في التلفزة (الرؤية عن بعد) والعين الكهربائية والفنون اللاسلكية الجديدة المختلفة

وقد كتب الكتاب بلغة سهلة واختيرت للالفاظ الاجنبية الفاظ عربية . وللكتاب معجم يشتمل على الالفاظ العلمية والفنية اللاسلكية باللغة الانكليزية وما يقابلها باللغة العربية وتفسير لمعانيها

واما الكتاب الثاني فهو كتاب «رجال المال والاعمال» . وهو سفر نفيس يضم سير طائفة من اكبر رجال الصناعة والعمل والمال في هذا العصر . هنا تجد اسماء فورد وركفلر وروتشيلد وستنس وروتر وتشمبرلين وكروب وغيرهم من الرجال الذين يجد الشبان في سيرهم قدوة وعبرة . والكتاب مزين بصور اعظم الرجال الذين ترجم لهم فيهِ

***

والكتابان لا يرسلان الآَّ الى المشترك الذي يسدد المتأخر عليه لادارة المقتطف وثمن الكتابين معاً لمن يريد شراءهما ٤٠ قرشاً صاغاً . اما كتاب اللاسلكي على حدة فثمنه ٢٥ قرشاً . وكتاب « رجال المال والاعمال » فثمنه ١٥ قرشاً صاغاً

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها ادارة المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

صندوق بوستة ٩٥٤ مصر تليفون رقم ٥٩٧٣٦

مـ

٣٥ القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠ القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثالثة)
٣٥ القاموس العصري عربي انكليزي (طبعة اولى)
٧٠ القاموس العصري عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥ القاموس المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ قاموس الجيب عربي انكليزي فقط
١٥ قاموس الجيب انكليزي عربي فقط
٧٠ « سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠ « سقراط سبيرو انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠ « سقراط انكليزي عربي وبالعكس
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠ عشرة ايام في السودان « « « «
١٢ مراجعات في الادب والفنون (للاستاذ عباس العقاد
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد زعيتر)
١٥ روح السياسة « « « «
١٠ الآراء والمعتقدات « « « «
١٠ اصول الحقوق الدستورية « « «
٢٠ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
٨ مقدمة الحضارات الاولى « «
١٠ الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥ ملقي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
١٨ اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠ مختارات سلامه موسى
١٠ نظرية التطور واصل الانسان « «
٢٠ اناتول فرانس في مباذله (الامير شكيب ارسلان)
١٥ الدنيا في امريكا (الاستاذ امير بقطر)
١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (حسين عبد الله)
١ حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني)
٨ قبض الريح « « « « « « «
٥ نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١ رسائل غرام جديدة (الاستاذ سليم عبد الواحد)
١ الغربال في الادب العصري (للاستاذ ميخائيل نعيمة)
٥ حكايات الاطفال ، اول (مصور بالالوان)
٥ « « ثان « « « «

مـ

١٠ التربية الاجتماعية (الاستاذ علي فري)
٥ خواطر حمار (الاستاذ الجمل)
٥ التعليم والصحة
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران « «
١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات (للدكتور فخري)
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها « «
١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي)
١٠ تاييس « « « «
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠ رواية فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨ رواية الانتقام المذنب (اسعد خليل داغر)
٥ فقر وعفاف (الاستاذ احمد رأفت)
١٢ رواية باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥ رواية روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥ رواية ام روكامبول ، ٥ اجزاء «
٢٠ رواية باردليان ، ٣ اجزاء «
٢٠ رواية الملكة ايزابو ٤ اجزاء «
٢٠ رواية الاميرة فوستا ، جزآن «
٣٠ رواية عشاق فنيسيا ، جزآن «
١٦ رواية كابيتان ، جزآن «
١٦ رواية الوصية الحمراء ، جزآن «
١٢ رواية المبرج ، جزآن «
١٠ رواية فارس الملك «
١٠ رواية ضحايا الانتقام «
٥ رواية المتنكرة الحسناء «
٥ رواية مروضة الاسود «
٥ رواية شهداء الاخلاص «
٨ رواية المرأة المفترسة «
١٦ رواية بائعة الخبز «
١٦ رواية دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ « فرنسوا الاول « «
٨ رواية حورية « «

الى الشعراء

اعلى الشعر وأصدقه ما يتفجّر به الشعور الانساني النبيل ، وأنبل ما يتفجر به الشعور ، ذلك الماء الدافق الذي تتطهر بهِ الاوطان لتخرج الى الحياة نقية ناضرة قوية مشبوبة ، وذلك هو « شعر الوطن »

وقد كان هذا الشعر في العصر الاخير طَهور الحركات الوطنية وغذاءها وحافزها وموجد القوة في عضلاتها التي طال على سكونها الامد ، بيد انَّ ما يؤسف له ان اكثر ذلك الشعر الحيّ قد طوى مع تلك الحركات لاسباب كثيرة فصار مضيّعاً بين سائر الشعر ،... وهو الذي غيّر القلوب وبدّل الانفس وبعث في الامم حياة تتنزَّى لتثب ، ثم ها هو ملقيٌّ في زاوية من التاريخ والأدب مع انهُ هو اناشيد الوطن وأغاني الشعب ... وأصدق العواطف التي منحها الشعراء اممهم مهيبين ومنذرين وموقظين ومصلحين . وقد رأينا برأي محرر المقتطف ان ننفث في هذا الشعر روح الحياة لنبعثه ، ثم لنوقظ قلوب الشعراء حتى تمدنا بآيات منه تتلوها الشعوب العربية لتستشعر العزة والكرامة والاباء

وأخيراً رغبت ادارة المقتطف قياماً بما فرض عليها للامم العربية والشعر العربي ان ننتزع الهمة لدراسة هذا الشعر ونقده وتفصيل اغراضه واظهار روائعه للناس ليكون نبراساً في هذه الظلمات التي ارخت سدولها على العالم العربي. ورجاء المقتطف ورجاؤنا ... ان ينتزع شعراؤنا — في مصر والسودان والشام والعراق وجزيرة العرب وبلاد المغرب والمهجر — همتهم في ارسال ما طوي من شعر الوطن والحرية والاستقلال ، وان لا يبخل شاعر بارسال شعره او ديوانه مع ذكر الظرف الذي قيل فيه ، والاشارة الى مواضع هذا الشعر من الديوان ان كان مطبوعاً... واملنا ان لا تكون شعر شاعر او قدرته بما نعته من ان يرسل الينا شعره ، فان الذي حملنا انفسنا على الشمه والاضطلاع به امر عظيم له ما بعده

ان الاوطان العربية المسكينة تنادي شعراءها ليوقظوا فيها روح الحماسة والطموح والحرية والشرف والمجد والاستقلال «فليستجب الشعراء»

نرجو ان تكون المراسلات الخاصة بهذا الموضوع

باسم محمود محمد شاكر « ادارة المقتطف بمصر »

مجلة المجلات

بيان الى قراء المقتطف ومريديه

وضع قلم تحرير المقتطف خطة جديدة للسنة القادمة يأمل ان تكون مثلاً الى جعل المقتطف رفيقاً لا يستغني عنهُ شرقي مثقف او شرقية مثقفة

﴿مملكة المرأة﴾ فالعالم العربي تنقصهُ الآن مجلة نسائية تكون للمرأة جليساً أنيساً ومرشداً اميناً ولذلك رأينا ان نخصص جانباً من مقتطف كل شهر لهذه المجلة على ان نتوسع فيها اكثر مما كانت تسمح لنا صفحات باب «شؤون المرأة وتدبير المنزل»، في هذا الباب تجد المرأة كل شهر مقالات في الصحة والجمال، في التربية ونفسية الاطفال، سير النساء العاملات، وتقدم الحركة النسوية في العالم، في ترتيب الدار وشؤون المنزل العملية

﴿سير الزمان﴾ ثم ان شؤون العالم تسير سراعاً. ففي الحياة الاقتصادية محاولات لا ندري مدى اثرها في الاجتماع البشري الآن. وفي الحياة السياسية، نظم جديدة ومذاهب جديدة. كالشيوعية والفاشستية وتجربة روزفلت. وفي علاقات الدول والامم بعضها ببعض تحوُّل سريع في ما يتعلق بالسلاح والحرب والديون الدولية والتعاون والنقد والمواصلات. لذلك قرَّرنا ان نفتتح في المقتطف باباً ندعوه «سير الزمان» ننشر فيهِ كل شهر مقالتين او ثلاثاً، تمكن المطالع من مماشاة التطور الحثيث في شؤون الامم

﴿حديقة المقتطف﴾ وللأدب حقٌّ علينا. الادب العربي والادب الغربي. وفي باب «حديقة المقتطف» الجديد يجد القارىء كلَّ شهر قطعة او اكثر من روائع الادب العربي. كما يختارها كبار الأدباء. ومنتخبات مترجمة من الأدب الغربي لتكون بمثابة اللقاح للخيال العربي والبيان العربي

فاذا أضفت هذه الأبواب، الى ما اشتهر بهِ المقتطف في خلال حياة طويلة حافلة، من عناية بتتبع التقدُّم العلمي والادبي في الشرق والغرب، عرفت ان المقتطف (في سنة ١٩٣٤) مجلة عربية في روحها واسلوبها، عالمية في اتساع افقها وتعدُّد مناحيها



المعبود ازوريس من العهد الصاوي
محفوظ في دار تحف القاهرة تصوير الدكتور حسن كمال

انظر مقالة الزراعة المصرية القديمة

٥٧٧

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد الثالث والثمانين

١ ديسمبر سنة ١٩٣٣ — ١٣ شعبان سنة ١٣٥٢

السر ألفر لدج

Sir Oliver Lodge

مباحثهُ العلمية — الضباب والكهربائية واللاسلكية — فذلكة من ترجمته

عبوره على جسر الاثير من العلم الى الفلسفة والاعتقاد في مخاطبة الارواح

السر ألفر لدج من أعجب الشخصيات التي تشغل مقاماً عالياً في عالم الفكر الحديث . عالِمٌ طبيعي في الطبقة الاولى بين علماءِ الطبيعة فهو صاحب مباحث طريفة في صلة الكهربائية بالضباب وفي الوقاية من الصواعق، وركن من الاركان التي قامت عليها المباحث والمستنبطات اللاسلكية. انهُ ندُّ هرتز وممهد السبيل لماركوني . ثم هو يجمع بين العلم والفلسفة . لا يكتفي بالتجربة والمشاهدة ، وانما يبني على التجربة والمشاهدة نظرات فلسفية ، تدور حول الاثير ومكانهِ في الكون والحياة . كان من اوائل العلماءِ الذين رحبّوا بالفتوحات الجديدة في علم الطبيعة بدراسة الالكترون ومنبثقات الراديوم وظواهر الاشعاع . ومع ذلك ما يزال السر ألفر لدج ، من العلماء القلائل ، الذين لم ينبذوا الاثير ، بعد ما اثبت مذهب النسبية ان لا حاجة بالعلم اليهِ. فهو ما يزال يقول ان الاثير ضروري لتفسير بعض الظاهرات الاساسية في الطبيعة والحياة والعقل

هذا الرجل الذي اكتشف واستنبط وعلَّم وألَّف عشرات الكتب ، اتصل من طريق بحثهِ في الاثير ، الى العالم الكائن من وراءِ الحسّ . فآمن ببقاء الشخصية بعد الموت. وبامكان مخاطبة الارواح . وبالفعل خاطب روح ابنهِ ريموند الذي قُتل في الحرب الكبرى ووضع في ذلك مجلداً ضخماً . وما يزال حتى الساعة مرجعاً للباحثين في مناجاة الارواح ولكنهُ منزَّه عما ينسب الى اكثرهم من خداع ، ان لم ينزَّه عما يرمون بهِ جميعاً من الخداع.

— ١ —

نحن في يوم من ايام دسمبر سنة ١٩٠٤ والضباب في مدينة برمنغهام الانكليزية ملبّد لا تكاد ترى يدك اذا مددتها . في صحن الجامعة وقف رجل مديد القامة ، وقور الطلعة ، يفحص اسلاكاً من صنف معيّن . ثم سمعت لعلعةٌ على مقربة من الرجل ، كانت ايذاناً بقفز شرارة كهربائية من قطب الى قطب . واذا بالضباب الكثيف تقلّ كثافتهُ . وليس هناك ريح تدفعهُ امامها . واذا بمباني الجامعة تبدو في الضباب اللطيف كالاشباح تنجلي رويداً رويداً ، على لوحة فوتغرافية في حوض التحميض . تحوّل الضباب الى غيم ، والغيم الى سحاب . واذا الجوُّ في صحن الجامعة صافٍ خالٍ من الشوائب ، يحيط به الضباب من كل جانب . ثم فُصِل السلك الذي احدث الشرر الكهربائي ، فبدأ الضباب يرتدّ الى الصحن ، كأنه جيش يعيد الكرة على معقل أُخذ منهُ عنوةً ، ولكنهُ يبغي ان يحتلّهُ ثانيةً

بعيد ذلك بأيام ، اعيدت التجربة نفسها في مدينة لفربول ، فتمكن السر الِفر لدج ، مدير جامعة برمنغهام من ان يبدّد بشرره الكهربائي الضباب الكثيف من بقعةٍ طولها نحو ستين قدماً وعرضها نحو ستين قدماً وعلوّها نحو ستين قدماً

***

كان الضباب ولا يزال من اعدى عداة الانسان في السفر ، برّاً وبحراً وهواءً . فالضباب اذا تكاثف في مدينة منشستر وضواحيها ، شلّت حركة المواصلات ، لان القطارات والتراموايات تعجز عن السير خوفاً من الاصطدام . او اذا هي سارت زحفت زحفاً . والبواخر اذا اكتنفها الضباب خففت سرعة سيرها ونفخت بصفاراتها تنبيهاً للبواخر التي لا تستطيع رؤيتها مع قربها منها . وكم ذهبت طيارة وكم راح بلون ضحية الضباب الكثيف ، اصطداماً بجبل قريب لم يرَ ، او ببرج عالٍ او بناية شاهقة . لذلك عني العلماء بدرس هذه الظاهرة الجوية والبحث في الاسباب الوافية لمكافحتها والتغلّب عليها . والوسائل العملية تنجب في الغالب من المباحث النظرية . ففي سنة ١٨٧٠ ابان الاستاذ تندل العالم الانكليزي ان الجوّ الذي يحيط بقضيب حامٍ من الحديد يكون خالياً من الغبار . فظُنّ اولاً ان حرارة القضيب تحرق دقائق الغبار في الهواء الملاصق لهُ . وقيل كذلك ان تيارات الهواء الساخنة المنطلقة من جوار القضيب تطرد الغبار . ولكن لدج اثبت سنة ١٨٨٣ ان هذه المظاهر لا تفسَّر باحد التفسيرين المتقدمين . بل يمكن تفسيرها بفعل كهربائي . ولاقامة الدليل العملي على صدق نظرهِ قام بالتجربة التي تقدم وصفها ، فاثبت انك اذا كهربت ضباباً رسبت الدقائق التي تكوّنت عليها قطيرات الماء الى الارض وتبدّد الضباب

كان لدج من ايام الدراسة قد وجّه عناية خاصة الى الظواهر الجوية ، وبوجهٍ خاص ما كان متصلاً منها بالكهربائية . وكتب سنة ١٨٩٢ كتاباً في الموضوع جعل عنوانه «موصلات

البرق وواقياته» . كان القضيب الواقي من الصواعق، المعروف بقضيب الصاعقة قد اقيم اولاً في اميركا . استنبطهُ بنيامين فرنكلن العالم والسياسي الاميركي، سنة ١٧٥٢. وقضيب الصاعقة يصنع عادةً من حديد او نحاس ، محدّد الرأس ، ومتصل بلوح معدني بالارض الرطبة . فاذا اقتربت من البناء الذي اقيم عليهِ القضيب، غيمةٌ مشحونة كهربائية استنفد القضيب المحدد كهربائيتها رويداً رويداً. فاذا تعذّر ذلك وانطلق الشرر الكهربائي من غيمة مشحونة كهربائية موجبة الى غيمة مشحونة كهربائية سالبة ، تلقى القضيب الشرر دون البناء واوصله الى الارض فيوقي البناء كذلك ضرر الصاعقة. وذاع استعمال قضيب الصاعقة على ابراج الكنائس ومداخن المعامل وغيرها من المباني العالية . ظنّاً انهُ يقي هذه المباني وقاية تامةً من الصواعق. ولكن الوقاية لم تكن تامة . لان الصواعق انقضّت على بعض المباني رغم قضبان الصواعق التي اقيمت عليها . فانقلب رأي الناس في فائدة قضيب الصاعقة ، وعندئذٍ بدأ السر اولِفر لدج يعالج الموضوع . ولما كان الموضوع لا يهمنا كثيراً في هذه البلاد ، رأيت ان اكتفي بالاشارة اليهِ . وقد كان من اثر مباحث لدج ان حسّن قضيب الصاعقة حتى يفي بالغرض منهُ وفاءً تامّاً ، وجنت ادارة البريد البريطاني من مباحثهِ هذه وتجاربه ، فائدة كبيرة في وقاية اعمدة التلغراف والتلفون واسلاكهما

— ٣ —

كانت مباحثهُ في البرق والصواعق والوقاية منها ، مما استرعى نظرهُ للبحث في الامواج اللاسلكية . ولعلّ القول بان السر الفِر لدج من الاركان الذين قامت على مباحثهم المستنبطات اللاسلكية الحديثة ، يثير عن بعض القرّاء الدهشة . وقد شهد لهُ بذلك هرتز قال :—

بحث الاستاذ الِفر لدج في لفربول نظرية موصلات البروق . فقام في هذا الصدد بتجارب في تفريغ مكثفات صغيرة قادتهُ الى مشاهدة اهتزازاتٍ وامواجٍ متردّدة . ولما كان لدج يسلم بآراء مكسوِل ويسعى لاثباتها او نفيها ، فليس ثمة اي ريبٍ في اني لو لم اسبقهُ لكان في امكانهِ الحصول على امواجٍ في الهواء وفي اقامة الدليل على انتقال القوة الكهربائية

وقد قال السر الِفر نفسهُ في هذا الصدد ما يلي . بعد ما اشار الى نظرية مكسوِل الرياضية الخاصة بطبيعة الضوء الكهربائية المغناطيسية وبان امواج الكهربائية تسير بسرعة الضوء : —

هذا الاكتشاف العظيم حرّك فينا نحن ، الذين كنا في مستقبل العمر شوقاً شديداً الى البحث والتحري. واتذكر انني تباحثت فيهِ مع من نحترمهُ كلنا الآن جيمس فلمنج وذلك سنة ١٨٧١ و ١٨٧٢ وكنا نتلقى العلم معاً . وبعد سنة او سنتين درست كتاب مكسوِل في هيدلبرج وعزمت من ذلك الوقت على توليد الامواج الكهربائية التي قال عنها مكسوِل وعلى ايجاد طريقة للشعور بها (وهذا بمثابة الارسال والالتقاط في اللاسلكي الحديث) ... وتكامت

انا في هذا الموضوع في المجمع البريطاني سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٠ وفي جمعية دبلن الملكية سنة ١٨٨٢ .... وكان رأي فتزجرالد (وهو من اعلم اهل زمانه حينئذٍ) «ان توليد الاضطرابات الموجية في الاثير بواسطة القوى الكهربائية غير ممكن» . ثم اصلح فتزجرالد خطأه وحذف كلمة «غير» من عباراتهِ المتقدمة . وبيَّن سنة ١٨٨٣ كيف يمكن ان تولد هذه الامواج ... ولو استطعنا حينئذٍ ان نصنع آلة تلتقط الأمواج الكهربائية لوصلنا الى التلغراف اللاسلكي»

وتفصيل مباحثهِ في هذه الناحية والرسائل التي القاها ونشرها في الموضوع يحتاج الى اسهاب لا يتسع لهُ هذا الفصل . وانما لا بدَّ من الاشارة الى ان لدج هو الذي اكتشف الرابط Coherer وهو جزءٌ كان لا بدَّ منهُ في آلة الالتقاط اللاسلكية. فقد لاحظ لدج سنة ١٨٨٩ التصاق الدقائق او تجمُّعها بفعل الكهربائية . وانهُ اذا انقطع التيار تفرقت الدقائق . وكان برانلي الفرنسي قد لاحظ هذه الظاهرة وصنع آلة دعيت «رابطاً» او «مجمّعاً» Coherer ولكنهُ لم يفطن الى فائدتها ، فاستعملها لدج سنة ١٨٩٤ في تبيّن الامواج اللاسلكية المنطلقة في الفضاء من اثر هذه الامواج في برادة الرابط ، بعد ما حسّنهُ حتى يصير ادقَّ احساساً مما كان. وبعد ذلك بسنة نجح ماركوني في تجاربهِ اللاسلكية الاولى، وتعاون بعيدها مع لدج في تحسين بعض الاجهزة اللاسلكية . ولما خطب لدج مبيّناً طرفاً من نصيبه في المباحث اللاسلكية الاولى قال : — ودفعاً لكل مظنّةٍ اصرّح انهُ لولا همة السنيور ماركوني ومقدرتهُ واجتهاده ما صار التلغراف اللاسلكي وسيلة من الوسائل التجارية ولا كانت محطاتهُ قد انتشرت في كل الكرة الارضية ولا كان لهُ الشأن الذي لهُ الآن . وقال في الخطبة نفسها : — لما تمكن السنيور ماركوني من نقل حرفِ S بتلغراف مورس من ارلندا الى اميركا ، نصب علماً في تاريخ البشر يصلح ان يجعل مبدأ تاريخيًّا لما فيهِ من الغرابة والابداع »

—٣—

ولد لُدْج في ١٢ يونيو سنة ١٨٥١ فهو اليوم في الثالثة والثمانين من عمر حافلٍ بالمآثر . وقد كتب اكثر من عشرة كتب بعد ما بلغ السبعين من عمرهِ

كان ابوهُ خزّافاً فبعث بهِ الى مدرسة نيوپورت فظلَّ فيها حتى الرابعة عشرة من العمر ثم ضمّهُ اليهِ في عمل الخزف وكان على وشك ان يصبح خزّافاً لما وقع في يديهِ صدفةً نسخ من مجلة انكليزية تدعى «الميكانيكي القديم» ، ففتحت لهُ باب عالم جديد . فسار في الطريق، غير هيّاب. وظلَّ مع ابيهِ سبع سنوات قبلما ادرك هذا ان ابنهُ نابغة علمٍ . فبعث بهِ الى لندن ليصغي الى محاضرات الاستاذ تندل في كلية لندن الجامعة ويتلقى اصول العلم فيها على اساطينهِ. وكان لا يملك الشاب نفقاتهِ فاضطرَّ ان يعطي دروساً خاصة ليتمكن من موالاة الدراسة . وانت تستطيع ان تدرك مبلغ نجاحهِ اذا عرفت انهُ في خلال خمس سنوات بعد الانتظام في ذلك المعهد نال لقب

دكتور في العلوم وتزوج . ولما كان في الثلاثين ، اي تسع سنوات بعد هجرهِ لصناعة الخزف، عيّن استاذاً للطبيعة في جامعة لفربول. ومنح مدالية رمفرد ، لمباحثهِ في الكهربائية ، فلما عيّن مستشاراً لاحدى الشركات الكهربائية ، طبّق مباحثهُ النظرية تطبيقاً جنت منهُ الشركة فائدة كبيرة . ثم عيّن مديراً لجامعة برمنغهام الجديدة سنة ١٩٠٠ فظلّ في منصبهِ حتى سنة ١٩٢٠ وهنالك قام بالتجربة التي وصفناها في مطلع هذا الفصل ، ومن منبرها العام اصبح لدج ، قوة فعالة في نشر العلوم الحديثة ، بالدروس التي كان يلقيها والمقالات والكتب التي كان يؤلفها. وفي سنة ١٩٠٢ منحهُ الملك ادورد السابع رتبة فارس ولقب سر وانتخب عضواً في الجمعية الملكية واختير بعد ذلك رئيساً لمجمع تقدُّم العلوم البريطاني (١٩١٣)، ورئيساً للجمعية الطبيعية ورئيساً لجمعية المباحث النفسية ورئيساً لجمعية رنتجن

— ٤ —

قلنا في صدر الكلام ، ان لدج مفكّر يجمع بين العلم والفلسفة . وقد كان الاثير الجسر الذي عبر عليهِ من العلم الى الفلسفة ، ثم حلّق بهِ في عالم الارواح

ماذا يملأ الفضاء. وماذا يربط بين الشموس في رحاب الكون. وبين الذرّات واجزاء الذرّات؟ العلوم متجهة الآن الى ان كلّ شيءٍ مؤلف من اجزاءٍ منفصلة بعضها عن بعض. انظر الى القبة الزرقاء في ليلة صافية الاديم ترَ النجوم منثورة في نواحيها. تفصل بينها رحاب شاسعة. اذا اطلقت صاروخاً في الفضاء كان احتمال اصابتك احد الكواكب بهِ بعيداً جدًّا . وهو مثل احتمال اصابتك طائراً اذا اطلقت بندقيتك عفواً او اعتباطاً في الهواء . فالرحاب التي تفصل بين النجوم والسدم عظيمة جدًّا

ولكن ما قولك في خشب هذه المائدة . وزجاج هذا المصباح . وقماش هذا الطربوش؟ أليس الخشب والزجاج والقماش مواد متصلة الاجزاء ؟ كلاّ انها ليست متصلة الاجزاء . فهي في تركيبها الاساسي مؤلفة من ذرات العناصر . وذرات العناصر مركبة من كهارب وبروتونات . والكهارب والبروتونات. شحنات كهربائية دقيقة كلّ الدقة . ونسبة بُعد الكهرب عن نواته قد يقابل بنسبة بعد احد السيارات عن الشمس. فالذرة معظمها فراغ. وفي هذا الفراغ الفسيح نثرة من الكهربائية هنا ونثرة هناك . فالانفصال آية الطبيعة في الاجسام المادية كبيرها وصغيرها على السواء

فلو لم يكن في الكون الاّ المادة . لما وجد رابط يربط بين هذه الاجزاء المنتشرة . واذاً لكان الكون خواءً (Chaos) تامًّا

ولكننا نعلم ان النجوم ليست مستقلةً احداها عن الاخرى . فهي تنتظم مجموعات شمسية هنا . ومجموعات ثنائية هناك . وعناقيد نجمية هنالك . فثمة رابط يربط بينها . يدعي

الجاذبية . ولو لم نعلم ما هو هذا الرابط على حقيقته . واذاً فالفضاء بينها لا يمكن ان يكون فراغاً

وما يصح على النجوم ورحاب الفضاء يصح على الاجسام المادية . فالجزيئات والذرات . والالكترونات والبروتونات تتجمع وتتلاصق . فالجسم الجامد لهُ حجم معيَّن وشكل معيَّن. فاذا كان بلورة رأينا في تنسيق سطوحها جمالاً ونظاماً . ومهما تبلغ الفسحات بين الجزيئات والذرات لا بدَّ ان تكون مملوءة بشيءٍ يربط بين دقائق المادة . ويجب ان يكون هذا الشيء متصلاً

قد نختلف في الاسم الذي نطلقهُ عليهِ . فندعوه آناً بالاثير . وآناً بالفضاء المطلق . وآناً «بالحيز الكوني الزمني المستمر» Space-time Continuum كما يدعى في مذهب اصحاب النسبية. ولكن لا ريب في اننا نحتاج الى شيءٍ يتصف بهذه الصفة الاساسية التي لا نعرف من دونها سبيلاً الى فهم الكون الطبيعي فهماً متسقاً

كذلك يقول لدج

وللاثير صفات اخرى اهمها انهُ لا يرى ولا يشمُّ ولا يسمع ولا يلمس . وانما يستطاع تموجهُ ، والانسان يستطيع ان يحسَّ ببعض تموُّجاته . فهو ناقل للضوء . لا يعيقه من المرور كما تعيقهُ المادة . فوظيفتهُ الاولى اذاً ان يكون رابطاً بين دقائق المادة . ووظيفتهُ الثانية ان يكون وسطاً لنقل امواج الطاقة على اختلافها من الاشعة الكونية البالغة حدًّا متناهياً من القصر ، الى الاشعة اللاسلكية التي تبلغ موجتها أحياناً عشرين كيلو متراً او تزيد

ثم ان الأثير لا يتحوَّل ، ولا ينحلُّ ، شديد الصلابة ولكن المادة تتحرك فيهِ ولا تجد أقل معارضة من فرك او لزوجة

فالاثير ليس مادة بالذات لكنهُ ماديٌّ

وهو اداة الاتصال الكبرى . وقد يكون اكثر من ذلك . لان بدونهِ لا يكون للعالم المادي وجود . ومهما تكن الحال فلا شبهة في لزومهِ للاتصال لانه يشغل كل المسافات التي بين دقائق المادة ويوصل بينها. واذا كان في الامكان وجود المادة من دونهِ فتكون اجزاءً متفرقة. هو الصلة بين العوالم والدقائق . ومع ذلك فقد ينكر الناس وجوده لأنهم لا يشعرون بهِ بحاسة من حواسهم ، إلاَّ بالبصر اذا يتموَّج

— ٥ —

اذا خرجنا من ميدان البحث العلمي البحت، جابهنا السؤال الآتي: هل للاثير صلة بالحياة؟

نحن نعلم ان المادة لها شكلان شكل جامد خالٍ من الحياة ، كالجوامد والسوائل والغازات والكهارب والبروتونات . وشكل آخر يعرف بالشكل العضوي وهي فيه جزيئات كبيرة معقدة التركيب تعرف بالبروتوبلازم . والبروتوبلازم هو آلة الحياة . فبعض اشكال المادة حيٌّ والحياة لغز لم ينفذ الى سره بعد . فنحن لا نعلم ما الحياة . وانما نشاهد ما تفعله الحياة . انها

تؤثر في المادة ، وتتخذ اشكالاً مختلفة من المادة وتنتقل من السلف الى الخلف . فالحياة قد تتخذ شجرة البلوط شكلاً تظهر فيهِ. وحياة شجرة البلوط تنتقل الى شجرة اخرى من البلوط. اوقد تتخذ الحياة العصفور شكلاً تظهر فيهِ، او سمكة او دودة. واشكال الاحياء كثيرة لا تحصى

ففي مرحلة معينة من مراحل الحياة ينبثق العقل في هذه المادة الحية التي ندعوها البروتوبلازم. واذاً فالعقل والحياة قد اثَّرا في المادة . اننا لا نعرف ما هما. وانما ندرس مظاهرهما. انهما يستعملان المادة مدة ثم يختفيان . يقول لدج يختفيان لا يتلاشيان قصداً. انهما يزولان من حيّز معرفتنا نحن . ولكن من يستطيع ان يقول انهما يزولان من الوجود حتماً . وكل ما نستطيع ان نقوله انهما يؤثران في المادة تأثيراً وقتيًّا

ولكن هل تؤثر الحياة ، والعقل في المادة فقط ، دون الاثير الذي يربط بين دقائقها؟ هل تؤثر الحياة في الاثير كما تؤثر في المادة ؟ اننا لا نعلم كيف تؤثر الحياة في المادة . وانما نعلم انها تؤثر . ولكننا لا نستطيع ان نثبت انها تؤثر في الاثير . وانما نحن نوجه هذا السؤال الى الباحثين . ثم هناك سؤال اهم من هذا واكثر اشكالاً . في الانسان صفات العقل والشعور والذاكرة والمحبة . وهي صفات لا نستطيع ان نقول بفقدها في الحيوانات العليا . وانما نعلم انها تتجلى في الانسان؟ فهل تحتاج هذه الصفات العليا الى اداة تتجلى فيها في العالم المادي ؟ اننا نتبين هذه الصفات اذ تبدو في المادة ، فتفعل بالمادة ، تنقلها وتغير اشكالها وتبدّل من ترتيبها وتنفخ فيها احياناً معنىً من المعاني . انها تتخذ من دقائق المادة مجلىً لها . فنحن لا نتبينها الاَّ اذا ظهرت بهذا المظهر المادي، لان حواسنا مادية

ولكن لا بدَّ من سؤال آخر . هل هذه الصفات النفسية ، تفعل بالمادة فعلاً مباشراً او غير مباشر . هذه مسألة يجب ان تخضع للامتحان والتجربة . لا بدَّ في هذا الفعل من الاتصال . اننا نمسك بحجر وننقله من مكان الى آخر . ولكن الذرات لا تتصل قط . بل بينها فراغ . فاذا اقتربت دقيقتان ماديتان ، احداهما من الاخرى ، تولّت قوى الدفع الفصلَ بينهما . فالكهرب لا يستطيع ان يلمس الكهرب . لانهما متدافعان . فهل يستطيع الكهرب ان يلمس البروتون ؟ لا نعلم . ولكن اذا لمَسَهُ ، انطلقت شرارة تدلّ على فناء احدهما في الآخر

والواقع اننا اذ نلمس جسماً من الاجسام انما نلمس الاثير. فهو الشيء الذي يملأ كل المسافات بين الاجسام. ولكن اذا كان لمسنا لا يتعدَّى الاثير، لا نستطيع ان نحدث اثراً يحسّ بهِ صاحبنا او جارنا او محدثنا . لأن حواس الناس لا تستطيع ان تدرك الأثير الاّ اذا تموّج . واذاً فالحياة اذ تفعل بالمادة تفعل بالاثير اولاً فعلاً مباشراً ، وبالمادة ثانيةً فعلاً غير مباشر

ولذلك يذهب السر اولفر لدج ، الى أن اداة الحياة والعقل ليست المادة ، بل الاثير

يقول علماء الحياة انهُ لا بدّ للحياة والعقل من جسم مادي يحملهما . وهذا مسلَّم بهِ .

ولكن هذا الحامل قد لا يلزم ان يكون مادة في شكل من اشكالها المعروفة . بل قد يكون ابسط من المواد المعروفة . فقد يكون شيئاً المادةُ صورة محسوسة من صوره . والاثير عند السر اولفر لدج جسم متجانس فاذا تنوَّع كانت المادة

فالحياة والعقل قد يكونان متصلان بالاثير اتصالاً لا ندركه بحواسنا . واذاً فلا يحق للعلم ان ينفيه نفياً مطلقاً . فالنفي ليس من شؤون العلم . وانما شأنهُ الاثبات . والنفي القاطع اصعب من الاثبات ، لانهُ يقتضي علماً واسعاً محيطاً بكل شيء شاملاً لكل شيء . ونحن نعلم ان فرعاً من العلم قد يغفل شيئاً . ويعتني بهِ فرع آخر . فالفرع الاول لا يستطيع ان ينفي وجود هذا الشيء نفياً قاطعاً . فالكيماويون يغفلون الاثير . وعلماء الطبيعة يغفلون الاحياء . وعلماء الحياة يغفلون في بحثهم العقل والقصد . وعلماء المكرسكوب لا يلتفتون الى الكواكب . فهل يصحُّ ان تنكر كل هذه الاشياء لان علماً من العلوم لا يلتفت اليها ؟ وما احسن ما قيل من ان الشك في كل شيء والتصديق بكل شيء حلٌّ يلجأ اليه الذين لا يريدون ان يشغلوا عقولهم

فاذا قام العلماء ونفوا وجود ما يخرجونه من نطاق بحثهم بطبيعة هذا البحث ، وجب ان لا نقبل قولهم . ان قوانا محدودة وحواسنا لم تألف الاَّ المادة التي نشعر بها . ولا شيء غيرها نستطيع ادراكه . ان عضلاتنا واعصابنا صالحة لتحريك المادة في الجهة التي نختارها . هذا هو جهازنا لحياتنا الارضية وما تاريخ الانسان الاَّ اخبار ما فعله بهذه القوى الطفيفة التي اعطيها

بالمادة يعرف كلٌّ منا بوجود الآخر وبها نتخاطب مع الذين افكارهم تشبه افكارنا ، إما بحركات تموجية كما بالكلام والغناء او بتوزيع دقائق المادة كما في الكتابة والتصوير . فنتخاطب كذلك ونتفاهم . وقد الفنا هذه الوسائل حتى صرنا نحسبها هي وامثالها الوسائل الطبيعية الوحيدة للتخاطب والتفاهم وان كل وسيلة غيرها يصل بها المراد من عقل الى عقل مباشرة خرق لحرمة العلم

— ٦ —

من هنا ترى الاساس الذي يقوم عليهِ اعتقاد لدج في بقاء الشخصية ومخاطبة الارواح . فهو يقول ان الحياة والعقل يحتاجان الى أداة . يظهران بها . او يتجليان فيها . ولكن هذه الاداة لا يجب ان تكون مادة . بل قد تكون الاثير نفسهُ . واذاً فبقاؤها بعد انحلال الجسم المادي محتمل . وان كنا لا نستطيع ادراكه بحواسنا . ولكن بعضاً منا ممن ارهفت حواسهم يستطيعون ان يتبينوا أثر الشخصية في الاثير . فيتلقون من الاشخاص الذاهبين ، الذين خرجوا من دائرة الوجود المادي الرسائل والانباء

كل هذا فرض جميل . وكل انسان اذا تخطى عهد الشباب والفتوة يتوق اذا كان ممن يفكر في خفايا الحياة والكون الى ان يعرف ما وراء الموت . ويتوق كذلك الى الايمان ببقاء الشخصية وفي هذا الفرض من الناحية الفلسفية ما يكفي

ولكن موضوع مخاطبة الأرواح الذي عالجهُ السر اولفر لدج معالجة عملية ليس لهُ بالفرض الفلسفي الاَّصلة ضعيفة . وهو مثار لاختلاف الرأي بين الثقاة . وقد جددت العناية بهِ في العهد الاخير في هذه البلاد بعد ما نشرهُ بعض الكتاب من المقالات في الموضوع

والواقع ان هذه المخاطبة تختلط بكثير من الخداع والانخداع

ويكفي ان استشهد بالحادثة التالية لكي ابيّن ان الجزم في هذه الموضوعات من اصعب الامور . من نحو ثماني سنوات ، عرضت مجلة السينتفك امريكان جائزة مالية كبيرة ، لاي وسيط او وسيطة ، يقوم بظاهرة نفسية ، تثبت على الامتحان امام لجنة مؤلفة من عالمين طبيعيين وعالم نفسي ومشعوذٍ وسكرتير . وقد تقدم الى هذه اللجنة لنيل هذه الجائزة نحو عشرة وسطاء اثبت البحث ان تسعة منهم خادعون ، وظهرت طرق خداعهم . واما الوسيط العاشر وكان وسيطة تدعى مارجري ، ففسّرت الظاهرات التي تجلّت في أفعالها تفسيراً ، فيهِ مطٌّ لبعض النظريات النفسية ولا يقنع طالب الحقيقة من هذه الناحية او من تلك . وما زالت الجائزة في خزائن المجلة لم تمنح لأحد

واذن فنحن امام امرين . الاول ان حلقات الوسطاء حافلة بالخادعين فيجب ألاّ نستسلم لاول صوت نسمعهُ فنتخيلهُ صوت من نريد مخاطبته . والثاني ان هناك ظاهرات عجيبة تحير العقل ولا يمكن تعليلها بما نملكهُ الآن من الحقائق والوسائل

فالموقف المعقول يقضي علينا بالتزام الحذر في الحكم . فكثير من الحقائق العلمية انكرت في اول عهدها ثم ثبتت صحتها . وثمة طائفة اخرى من الحقائق العلمية ، لم نستطع كشفها الاّ بعد كشف وسيلة علمية جديدة كالمكرسكوب او التلسكوب او الاشعة السينية . ومن يدري ما يأتي بهِ العلم في غدٍ من الوسائل الجديدة . فالاشعة الكونية مثلاً اقوى نفوذاً من اشعة اكس واشدّ فعلاً وقد تسخّر غداً او بعد غدٍ فتكشف لنا عن عوالم كانت خافية عنا لاننا لم نملك الوسائل اللازمة لتبيّنها

ثم ان اساليب البحث الطبيعي ليست كل الاساليب التي يمكن الوصول بها الى الحقائق

فاذا شئت ان تكتفي بما تثبتهُ الوسائل العلمية المعروفة . والامتحانات والتجارب التي قام بها رجال منزّهون عن الهوى . استطعت ان تقول ان مخاطبة الارواح لم تثبت بعد . ولكن ليس في العلم ما ينفيها . لان العلم لا يستطيع ان ينفي . الاّ اذا أحاط بكل شيءٍ . واستقرأ استقراءً شاملاً

واذا شئت ان تنظر نظراً فلسفيّاً فلك ان تعتقد مع السر الفر لدج انهُ رغم الخداع والانخداع الذي يخالطان اعمال الوسطاء يقتضي اتساق النظرة العلمية الفلسفية التي بسطناها بقاءَ الشخصية بعد انحلال الجسم المادي ودوام تأثيرها في الاثير المالىء رحاب الكون

فؤاد صرّوف

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

معرض المذاهب السياسية

الفاشستية والنازية والكمالية

في وصف «الفاشستية» الايطالية ما يغني القارىء عن ذكر «النازية» الالمانية لان هذه نسخة منقولة عن تلك بشيء من التصرف تقتضيه ذهنية الالمان وتربيتهم والاحوال التي طرأت على بلادهم ، فمن ذلك مثلاً ان (هتلر) زعيم النازي مع كل ما اقدم عليه من الضغط على خصوصه والتهجم على حريتهم الشخصية خصوصاً الشيوعيين منهم كان بالاجمال أبعد عن العنف واتخاذ الشدة من زميله (موسوليني) زعيم الفاشستي الا مع اليهود ، وهذه الشدة معهم ناشئة من اعتقاد الوطنيين الالمان الراسخ بان اليهود كانوا اصل بلائهم في الحرب العالمية ومصدر نكبة المانيا في اوصابها الحاضرة وسبب تفسخ ابنائها من جراء انتشار العقائد اللاوطنية اليهودية بينهم كالماركسية وغيرها وان الاختبار دلهم في بلادهم وفي غيرها على ان اليهودي يهودي قبل كل شيء مهما تغيرت الاحوال وتبدلت الاوضاع

ثم هنالك فرق جوهري في التطبيق وهو ان الفاشستية تطبق في بلاد غالبة تتمتع بحريتها التامة، فوسوليني زعيم مطلق التصرف مثل زميله مصطفى كمال ، في حين تحاط النازية بالدول الغالبة التي تهددها بالتدخل في شؤونها في كل حين لاعذار مختلفة فتضيف الى عبء خصوم (هتلر) الداخليين عبء العداوة الخارجية الثقيل ، لكن النشاط الذي أبداه (هتلر) في الداخل والحزم الذي تذرع به في الخارج عادا عليه باجتماع كلمة الالمان حوله وتراجع الدول الغالبة عن خططها التهديدية لاذلال المانيا ، فبعد ذلك التفسخ والخضوع والرضى بالمعاهدات الجائرة قامت المانيا النازية تطالب بحقها في الحياة والجلوس على المائدة الدولية على مستوى الدول المعظمة الأخرى

﴿ الفاشستية ﴾ : لقد خرجت ايطاليا من الحرب العالمية مثل سائر الدول المحاربة منهوكة القوى تهددها الثورات وتفت في ساعدها الانقسامات الحزبية واعظم خطر احاق بها خطر الشيوعية

حتى ان الشيوعيين حاولوا في تلك الايام تطبيق المنهاج الشيوعي في (بولونيا) احدى مقاطعاتهم. وفي شهر تموز — يوليو — من سنة ١٩٢٠ حلّ السنيور (جيولتي) محل السنيور (نتي) في رياسة الوزارة فقام بشيءٍ من التجارب الاشتراكية في المملكة ولكن ذلك لم يخفف من حماسة الشيوعيين بل زادهم لهباً فقاموا بثورات عنيفة في سنة ١٩٢١ في انحاء البلاد مما احدث رد فعل شديد في العناصر الوطنية التي نشأت على احترام (غاريبالدي) و (كافور) وغيرهما من مؤسسي ايطاليا الحديثة ووحدتها الوطنية السياسية، ولا سيما بين الطبقات الرأسمالية التي تحترم قاعدة التملك الخاص وتعدها الباعث على الانتعاش والارتقاء. فتألف من هؤلاء جمعية باسم « الفاشستي » رمزها ارتداء القمصان السود ودينها الوطنية وديدنها مصارعة الاشتراكية فسلكت سبيل العنف والشدة مع الخصوم ورأت خير زعيم لتنفيذ رغائبها السنيور (بنيتو موسوليني) الصحفي الراديكالي سابقاً فولته قيادها فساقها الى الامام بحزم وعزم ومهارة نادرة حتى قضى على الشيوعيين وعلى اعمالهم العنيفة — ولو موقتاً — بسرعة فائقة وقبض على الاحرار المخالفين من زعماء وكتّاب والقاهم في غياهب السجن. وتمكن من انقاذ البلاد من الفوضى التي كانت ضاربة اطنابها، وزاد في نجاحه ما اظهره الزعماء الاشتراكيون من السخافات الصبيانية والتقلقل المعيب والجبن الذي نهك قواهم، ومن الطرق المستغربة التي سلكها في إسكات المنتقدين ومضايقتهم تبليعهم جرعاً كبيرة من زيت الخروع. وصار القتل والضرب والتعذيب وحرق الاملاك الخاصة كما قال (اتش. جي. ولز) من الوسائل الادارية في ايطاليا لكبح جماح الاحرار والقضاء على مذاهبهم «فزال شبح الشيوعية وحلّ محله حكم السلاّبين النهّابين»(١)

ولما اشتدت شوكة الفاشستيين وتأيد سلطانهم وصار لهم جيش نظامي يعتمد عليه زحفوا في شهر اكتوبر من سنة ١٩٢٢ على رومية لاحتلالها فتترعت الوزارة (وزارة السنيور فاكتا) لملاقاتهم في الميدان واعلنت الاحكام العرفية وعرضت على الملك الخطط التي تذرعت بها ولكن الملك بدلاً من اقرارها على ذلك دعا اليه (موسوليني) لتولي زمام الأمر فتولاه وقبض بيد من حديد على شؤون الدولة ومرافقها ومصادر قوتها حتى دان له الشعب، ومما فعله في هذا الباب انه قضى على حرية الصحافة وجعل الانتخاب لمجلس النواب مهزلة تشبه مهزلة المجلس الوطني الكبير في انقره، وما فتىء يلقي خصومه السياسيين في اعماق السجون ويأخذهم بالشدة ويقابلهم بالهول حتى قضى عليهم قضاءً مبرماً واصبح الآمر الناهي في طول البلاد وعرضها. وكلمة « الدتشي » — وهي اللقب الذي يطلق عليه — تعني في معجم السياسة الحاضرة الجبّار القاهر

ومما تحسن الاشارة اليه ان «الدتشي» ما تربع على دست الوزارة حتى احتقر البارلمان وحمل

(١) Outline of History, p. 682

على النظم الديموقراطية ولم يذكر الجمهورية التي كان يتغنى بها بكلمة واحدة . ومما جاء في احدى خطبهِ يومئذٍ قوله: «ان جميع المشاكل المتعلقة بالحياة الايطالية قد وجد لها الحل على الورق ولكن الحزم اللازم لوضعها موضع التنفيذ كان مفقوداً فعلى الحكومة الفاشستية ان تمثل هذا الحزم وهذه الارادة التي لا مردَّ لها . والواجب ان تكون القواعد الكبرى في سياستنا الداخلية الاقتصاد والعمل والتدريب» (١)

وقد أتى ظهور الفاشستية في ايطاليا والنازية في المانيا (والكمالية في تركيا) برهاناً آخر على صحة مذهب ارسطو من ان الفوضى تؤدي الى الحكم القاهر . فالفوضى التي منيت بها ايطاليا عقب الحرب العالمية خلقت سوسوليني وجعلته رجل الساعة خصوصاً لأن زعماء الاشتراكيين الطليان على ذلك العهد كانوا ثرثارين — يكثرون من الكلام ولا يكادون يعملون شيئاً ، وكل حزب يجعل همَّه الهدم بمعاول النقد المجرَّد من الاعمال الايجابية البنائية يستطيع ان يشل يد الحكومة ولكنهُ عاجز عن الجلوس على منصتها وهذا ما يمهد السبيل الى يد القاهر الحازمة التي تنقذ الموقف . وكان الاشتراكيون في حيص بيص لم يرضوا بالطريقة القديمة من جهة ولكنهم مع عطفهم الشديد على روسيا لم يجرؤوا على اعلان الشيوعية من جهة اخرى ، فادَّى هذا التقلقل في موقفهم الى الاستياء العام والى اخفاق الطريقة البرلمانية وما فيها من اخذ ورد على غير طائل والى رفع الثقة من الاشتراكية ومن انصارها ومن الحزب الكاثوليكي واعوانه مما عبَّد الطريق امام (الدتشي) وجيشه اللجب من الرجال الناقمين وفتح ابواب رومية لليد القادرة والادارة الحازمة. ولم يمضِ زمن طويل حتى انضمَّ الملك نفسه اليها ودخل تحت لوائها. سنَّة في سياسة الامم حكم بها الدهر لليد القادرة منذ فجر التاريخ ولن تجد لهذه السنة تبديلاً

تشترك الفاشستية الايطالية ومعها النازية الالمانية — والكمالية الى مدى بعيد — من جهة والشيوعية الروسية من جهة اخرى في الشؤون الآتية :

(اولاً) اصرارهما كلتيهما على ان الوطنية الصحيحة هي عمل ايجابي لا اهمال سلبي ، فموقف المتفرجين غير المبالين موقف لا يليق بالمجتمع السليم ولا بنظرية الجماعة المسؤولة ، والبيت الذي لا يكترث اهله لترتيبه ونظامه بيت محكوم عليهِ بالفوضى والانهدام

(ثانياً) الشد بخناق جميع العناصر العدائية والآراء المخالفة والسعي في حرمانها من الاشتراك في ادارة الدولة وسد المنافس دون افصاحها عن آرائها وبث دعايتها

(ثالثاً) رغبتهما كلتيهما في ضمّ جميع المتحدات الاختيارية الحرة وسائر انواع الحياة المشتركة تحت لواء الدولة السامي

(رابعاً) عزمهما على تحويل الاشتراكية الوطنية في ايطاليا والمانيا وتركيا والاشتراكية

---

(١) These Eventful Years, p. 655

الشيوعية في روسيا اليد العليا في تعيين السياسة الواجبة الاتباع كائناً ما كان اسمها

ولئن تماثلت الشيوعية والفاشستية في الطرائق الموصلة هذا التماثل الشديد فالغايات مختلفة كل الاختلاف ، ذلك لان الاساس الذي يبنى عليه العمل في الشيوعية الماركسية هو الطبقة فعلى الطبقة وما فيها من قوة حافزة وما لها من مصلحة ملحّة يجب ان يبنى المجتمع الجديد واما في الفاشستية واضرابها فقطب الدائرة هو الامة ، وان غاية السياسة جعل الامة عظيمة متمتعة بحقوقها رافلة بحلل السعادة ، وايجاد اللسان السياسي او الاداة السياسية التي تعبر عن الحياة الوطنية كاملة ، وهكذا نجد النظريتين الاشتراكية الماركسية والاشتراكية الوطنية على طرفي نقيض ، ويزيد في هذا التباين وما يجر اليه من تنازع جوهري ان الوطنية في نظر الفاشستي لم تعد شيئاً يظفر به الوطنيون بالانتصار على عدو اجنبي ظالم بل هي شيء راهن حاصل في اليد شكلاً ولكنهُ يحتاج الى من ينفخ فيه روحاً ويكسوه لحماً ويحميه من مجازر الاشتراكية وغارات « الدولية »

ولم تكن الفاشستية في اول عهدها نظرية علمية او منهاجاً سياسيًّا بقدر ما كانت دعوة الى العمل وسعياً لانقاذ الوطن من التفتت والانحلال ، ويمكن وضع تعريف لها بسرد ما تضمنتهُ من الكلمات او المصطلحات الدالة على الكراهة والبغض اكثر مما فيها من التعاليم والآراء اللهم الاَّ ما دعت اليه من وطنية بحت وانها رسالة جذَّابة للنشء الحديث وانها التفتت الى العمل واعتدت به واهملت شأن النظر : وقد ابغضت الشيوعية ونفرت من « الدولية » على اشكالها ومن الحروب بين الطبقات وحملت على الطريقة البارلمانية حملة شعواء وحكمت عليها بانها سبب الخيبة وسوء الادارة في ايطاليا — يشاطرها هذا الرأي كل من تتبع سير البرلمانات في جميع البلدان التي لم يستعد اهلها للحكم الديموقراطي ، بل ان هذا الشكل في الحكم يلاقي خصوماً الدَّاء حتى في ارقى البلدان

وتقوم الفاشستية من الاساس على فكرة ان الامة هي الوجود الاخلاقي الذي ما بعده وجود ، وان الواجب على الجميع ان يخضعوا لها ويلتحقوا بها ويسعوا الى تحقيق ذاتهم وما تتطلبهُ نفوسهم ضمنها وبواسطتها . وعلى الناس نحو الامة واجبات ولكن ليس على الامة من واجب ، وقد تتصل بالامم الاخرى بمعاملات سلمية حبية او حربية عدائية ولكنها لا تعترف بتفوق احد عليها او بخضوعها للاسرة الدولية التي هي عضو من اعضائها . وتسعى بروح تحاكي روح (فردريخ نيتشه) الفيلسوف الالماني نصير القوة الى التوسع والانبساط والتجلي بحيث لا يكون السلم العالمي العام متوقفاً على شيءٍ يعارض طموحها . فالامة عند القائلين بهذا المذهب هي الوجود الشامل والسياسة هي تحقيق المطالب الوطنية . وقصارى القول اننا في شرح الفاشستية والاشارة الى زميلتيها النازية والكمالية نشعر كأننا نشرح نظرية (هيجل) في

تقديس الدولة وجعل الوطن سر الاسرار ومجلى الانوار

وتمجد هذه الطرائق الثلاث الفضائل العسكرية ، وفي سياستها نغمة حربية مستمرة ، واذا كان هتلر في خطابهِ السياسي الذي سبق المؤتمر الاقتصادي العالمي قد تجنب اضطراراً ذكر الفتوحات والبسطة السياسية ومصطفى كمال حاول الظهور بمظهر المكتفي بتركيا في حدودها الحاضرة فان الفاشستية عند مؤسسيها تعني التوسع السياسي في الخارج صراحة ، وقد يعميها هذا الميل الاستعماري عن مصالحها الحقيقية ويحملها على البذل الغالي في المال والسمعة والرجال في سبيل بلاد قاحلة قليلة الانتاج مثل طرابلس الغرب وبرقه ، بل انها لم تتورع هناك ان تسوّد صحيفتها فتقتل شيخاً طاعناً في السن من كبار المجاهدين مثل عمر المختار للارهاب العسكري . على ان نظرة سياسية صادقة فيما لها من المصالح في الشرق تدعوها الى جعل شاطىء الصحراء الليبية الخاوية على عروشها مكاناً تتحبب الى سكانهِ فتمنحهم من العطايا السياسية ما يبث لها دعاية في شمال افريقية تزعزع بها اعظم دولة حربية تهددها وتهدد غيرها من الدول «بالامبراطورية السوداء» التي تحلم بتأسيسها في افريقية . قال السنيور (نيتي) رئيس وزارتهم المشهور «ان ليبيا — يعني طرابلس وبرقة — هي المستعمرة التي كلفت ايطاليا اعظم البذل ، ومع كل هذه الحروب المديدة التي خضنا معاركها هناك والنفقات الباهظة التي انفقناها فالظاهر انها محكوم عليها ان تبقى عبئاً ثقيلاً على ميزانية الدولة وسبباً مستمرًّا للقلق واشتغال البال[١]»

ان مثل هذه الذهنية الهجومية الدفاعية تحتم على ايطاليا ان تفكر في الحرب وتعدها في حيز الامكان دائماً ، فلا يجوز للايطاليين والحالة هذه ان يستكينوا للسلم او يستسلموا لهُ حتى لو كانوا ينوون الدفاع عنه

وتعني الوطنية عدا ذلك الارتكاز في الداخل فيجب تنظيم حياة المجتمع الايطالي وضمه حول دولة الامة . ولا يسمح لاية اداة من ادوات العمل او الكلام ان تعيش في المجتمع الايطالي ما لم توطد العزم على احناء الرأس امام الفكرة الوطنية وان تقوم بالقسط المتوجب عليها في تحقيقها . ويتناول هذا الموقف ابادة حركة العمال خاصة والقضاء عليها سواء بالشكل الذي اتخذته في ايطاليا ام في غيرها ، لان طبقة العمال كطبقة الرأسماليين تتشابه في الاقطار الصناعية وتتخذ شكلاً واحداً ، وهي من الاساس مشوبة بالفكرة الدولية فالمتحدات التجارية والاحزاب الاشتراكية كلتاها سواسية فيما لها من التآخي الدولي والخضوع لفكرة التعاضد بين افراد الطبقة الواحدة في الدول المتعددة ، لذلك يتحتم على الفاشستية ان تجتثّ هذه المجموعات من اصولها ، ولكن لا تتوصل الى ذلك ما لم يكن عندها ما يحل محلها ، ذلك لان المجتمع

(١) These Eventful Years, I. p. 636

الحاضر يجب ان يزوّد بهيئات منظمة تفصح عن حاجات العمال ومطالبها العادلة، وما لم يعترف بهذه الحاجات ويسلم بحقها فانها تتخذ شكلاً معادياً لمصالح الذين يريدون القضاء عليها . وفي الحق ان الفاشستية ما كانت لتستطيع الثبات وهي تحارب الاشتراكية هذه المحاربة القاسية لو لم تلتفت الى مصالح العمال الاساسية وتحول دون تدفق تلك الاجور الباهظة او الارباح الغزيرة الى جيوب بعض الطفيليات في المجتمع الايطالي

لاجرم ان الفاشستية بقضائها على طبقة العمال في ايطاليا اخذت في احلال نظام جديد محلها على الشكل الفاشستي، فبدلاً من المتحدات التجارية الاشتراكية قامت متحدات فاشستية يديرها الانصار المقربون ولا يدخلها احد من اهل الخبث والعند . وخولت هذه المتحدات قوة عظيمة منها الحق في ضرب الاعانات على الاعضاء وغير الاعضاء وان تساوم هي وحدها المخدومين وان تنضم الى جمعياتهم فيتألف من المجموع — الخادمين والمخدومين — نقابة رسمية للاشراف على كل خدمة وكل صناعة برمتها، وان تجعل هذه المتحدات الفاشستية دوائر انتخابية بدلاً من الدوائر الجغرافية القديمة فيستناب منها الاعضاء للمجلس التشريعي الفاشستي الجديد

وقصارى القول ان الفاشستية بنت لكل جمعية حرّة اساساً فاشستياً تقوم عليه وجعلتها اداة حكومية وحرصت على ان تكون ادارتها بيد الحزب الفاشستي وانصارها، وليس من السهل ابداً ان نعرف مقدار استيلائها على طبقة العمال الايطاليين ودرجة استمالتهم الى جانبها ذلك لان الفاشستية وزميلتيها النازية والكمالية هي مثل الشيوعية الحمراء تكم افواه المعارضين ولا تسمح لاحد بالتلفظ بما يخالفها، لكنها على كل حال لقد صمدت حتى الآن وحالت دون تجدد الاتصال بين العمال الايطاليين وبين حركة العمال المنظمة في الاقطار الاخرى وساعدها على ذلك معالجتها الناجعة لبعض شرور الرأسمالية وتخفيفها وطأة البطالة التي تئن منها الدول الاخرى

ولا تعد الدولة الفاشستية دولة مؤلفة من افراد بقدر ما هي مؤلفة من نقابات متنوعة تختلف باختلاف العمل الذي تقوم به ويتصل الفرد فيها بالدولة بواسطة النقابة التي ينتمي اليها، فالحكومة بهذا المعنى هي الرأس والنقابات — لا الافراد — هي الاعضاء، ويطلق على هذا الوضع السياسي الحديث اسم «الحكومة النقابية او الدولة المندمجة Corporate »، ويختلف في الفاشستية عنه في غيرها ان النقابة فيها خاضعة للدولة ومسخرة لاغراضها تسخيراً اعمى، ذلك لأن الوطن الايطالي هو «العليّ الاعلى» في حين تمنح النقابات في المناهج الاشتراكية استقلالاً كما هو الحال في المتحدات التي تدعى (جيلد) و (سنديكا) وغيرها من الانظمة التي تهتم بالحرية اكثر من اهتمامها بالخضوع والانقياد . اما الفاشستية فتسير على مذهب (هيجل) مؤسس الامبراطورية الجرمانية من حيث اهتمامها بالطاعة وتفضيلها النظام والتدريب، وهي تدعو افراد الرعية ان يحققوا حريتهم في حرية الدولة اكثر مما يحققونها في فرديتهم او في مجتمعهم النقابي



عدلي يكن باشا

لخليل ثابت بك

رئيس تحرير المقطم



في موقف جليل كهذا الموقف يحار الكاتب في اختيار ما يستهلّ به قولهُ والخواطر تتزاحم والعواطف تتدافع فلا يرى أوجب من أن يبدأ الكلام بتعزية مصر عن خسارتها بفقد قطب كبير وخسارة ابن كريم وانهيار ركن متين فاذا كان الفقيد قد أتمّ ما قيض له القضاء من عمر في هذه الدنيا وذهب الى لقاء ربهِ يحمل بيديهِ سفر اعمالهِ ناطقاً بمحامده فان مصر الثكلى تنوح الراحل وتبكي الفقيد وقد كان من الذين تباهي بهم والذين تعدهم لنجدتها اذا تعقدت الامور وتشعبت المعضلات

وقد يسهل على الذين ألفوا الكتابة عن الاحياء والاموات أن يصيغوا عبارات التأبين من منثور ومنظوم ويصفوا من يؤبنون بما تخطه أقلامهم وما توحيهِ عواطفهم وشعورهم ولكن في ذكرى عظماء الرجال ما يسمو هذا لما فيهِ من العبرة النافعة والعظة البالغة واعطاء كل ذي حق حقهُ من عرفان الفضل وتقدير الجميل وتعيين مدى النهوض بالواجب ولا سيما الواجب القومي

فقد عاصر عدلي باشا نهضة مصر الحديثة وكتب في سفر هذه النهضة صفحات مجيدة تخلد اسمهُ وذكراه وتصلح لان تكون مثالاً يحتذى وقدوة يقتدي بها الذين يعجبون بما كان هذا المصري العظيم متصفاً بهِ وما ميزتهُ بهِ العناية

***

عاصر عدلي باشا هذه النهضة وشبّ معها الى ان ابلغتهُ مواهبهُ ومناقبهُ الى مقام القابض على الدفة فكان شعارهُ واحداً في جميع الحالات ومقصده لا يتغير وكان لهُ من اخلاقهِ وسجاياه ما يساعدهُ وما يعينهُ على سلوك الطريق الذي سلكهُ الى ان صار الرجل الذي يشار اليهِ بالبنان والوزير الذي يعهد اليهِ في جلائل الامور ومعالجة الازمات

كان شمم عدلي يكن متجلياً في هيئتهِ ومنظرهِ ومشيتهِ ووقوفهِ وجلوسهِ ولكن هذا في الواقع ما كان سوى مظهر للروح التي كانت وراء حنايا الضلوع



عدلي يكن باشا

وهذه سجية عرف بها الفقيد واشتهرت عنه وكان لها اعظم تأثير في حياته الادارية وحياته السياسية وسعيه لاستقلال بلاده بمثاله وفعاله ثم بمساعيه لما كان في الوزارة الرشدية ومباحثاته ومفاوضاته في لندن في اثناء وزارته ثم في ما عقب ذلك من انقسام ووئام وشقاق ووفاق ونهوض بعبء القضية المصرية في الحين الذي دجا فيه الجوّ السياسي وتلبدت فيه سحب الحيرة

وهذا الشمم تجلى فيه وهو موظف صغير ولازمهُ وهو مدير ومحافظ مقروناً بعنايته بالعمل ورعايته للعاملين ورغبته في العدل وحب الانصاف وقد كان من نتائجه ان اعتزَّت فيه النزاهة السياسية والنزاهة الادارية فقضى عمراً طويلاً يتقلب في المناصب حتى بلغ أرفعها ولم يسمع عنهُ الاَّ كل ما يزين الفتى ويباهي بهِ الموظف والسياسي وهو مع ذلك يمقت الظهور الاَّ بما تقضي به الواجبات ومقتضى اللياقة وربما كان في وقوفه عند هذا الحد وعدم ميله الفطري الى مجاوزته ما حال دون نهوضه بمهمة الزعامة الحزبية وقد تولاها ثم تخلى عنها حتى قيضت له فعاله وصدق خدمته ان تقلد الزعامة الشعبية باجتماع القلوب حوله وشيوع الثقة به حتى عمت جميع الاحزاب فكانت في ساعات الشدة ترنو اليه بابصارها وترى فيه ابن بجدتها

***

وبعد الذي أوردته هنا لا يحتاج الكاتب الى كدّ الذهن ولا يحتاج القارىء الى حصر الفكر في استخراج العبرة التي يحسن استخراجها من حياة طفحت بأعمال عظيمة القدر وفي حقبة من سني هذا العصر الذي طرأ فيه من التحول على العالم ومصر في جملتهِ ما لم يسبق له مثيل في اضعافها من قبل

ولا ابغي في هذا المقام خوض المباحث النفسية لتعليل ما اتصل بسيرة هذا السيد المصري الكريم — وهذا أقرب تعبير لما يريده الانكليز بلفظة جنتلمان — فلست من المولعين بهذه المباحث النفسية ولا أرى من ينظر في سيرة عدلي يكن في حاجة اليها . فقد كانت حياته صفحة جلية اتاحت له العناية ان يخط فيها سطوراً من الاعمال النافعة المجيدة بحروف من نور تشهد لكاتبها بأنهُ عرف معنى الوطنية الحق وانه أُلهم إلهاماً صحيحاً وانهُ وفق الى كثير مما أراد في خدمة قومه وتركهم أفراداً وجماعات ذكرى حافلة بما ينفع في مواصلة الجهاد

ولكن اذا كان ما رآه معظم الناس عن فقيد مصر مرتبطاً بالعمل السياسي والخدمة الادارية فقد كان في سيرته وجهان آخران لهما دلالتهما في بيان سجاياه ومزاجه وهما يؤيدان ما تجلى في اعماله العامة

فقد كان عدلي باشا شديد الوفاء لاخوانه وأصدقائه وكبير العطف على مرؤوسيه مع اقتضاء صدق الخدمة منهم والتدقيق في تتبع اعمالهم وسعة الصدر في سماع شكواهم والعناية بانصافهم

***

والذين عاشروه في الاندية والمجتمعات وفي أحوال خاصة يعسر فيها ضبط النفس وحبس العواطف كانوا يعجبون اعجاباً شديداً برزانته ووقاره وكيف انهما ما كانا يفارقانه مهما تنوّعت الظروف . وقد قال لنا غير واحد منهم ان عدلي في جميع تلك المواقف كان كالطود الراسخ . وهذا الوصف يطابق ما كان يبدو في عدلي باشا في أثناء الازمات والشدائد وهذا ما اتصف به لما سعى مع زميله المرحوم رشدي باشا لخدمة مصر سعياً قال رشدي باشا في وصفه انه لو عرفه الانكليز في حينه لشنقوه (اي رشدي باشا) والذين يعرفون تلك الحوادث يعلمون ان مصير عدلي ما كان ليختلف عن مصير رشدي من هذا القبيل لو افتضح الامر قبل اوانه

وربما كان من أبهى صحائف هذا الرجل العظيم ما متعه الله به في أخريات أيامه برؤية ذريته ولدي كريمته المأسوف عليها فقد كان عدلي باشا يجد السرور كله وبهجة الحياة جميعها في ما يقضيه من الوقت مع بنت وصبي لا يزالان في سن الطفولة يلاعبهما كما يلاعب الصغار في هذه السن ويجني من المسرة ما يشرح صدره ويخفق له قلبه حبًّا وحناناً وله في ذلك اقوال مأثورة يتناقلها اصدقاؤه وعشراؤه

***

هذا بعض ما نقوله نحن الذين عاصروه وعرفوه واطلعوا على شيء من مناقبه ومواهبه وسجاياه وفعاله ونحن لا نزال قريبين منه ولم نبتعد عنه ما يكفي للاحاطة بالشيء كله كما يحيط به التاريخ بعد ما ينقضي ما يلزم من الزمان لاذاعة ما لم يذع بحكم الاعتبارات السياسية وينقشع الغبار الذي تثيره الخلافات الحزبية في اجواء البلدان وبعد ما تخمد العواصف ويزول الانفعال فتكون الاحكام اقرب الى الصواب بزيادة المعلومات والبينات وسلامة البحث من مؤثرات تقحم عليه وليس لها صلة حقيقية به

سيقول التاريخ كلمتهُ وستجيء مطابقة لما يؤمن بهِ ابناء هذا العصر وهو ان مصر فقدت بعدلي باشا ابناً من اكرم ابنائها خلقاً وأشرفهم طبعاً ومن أصدقهم وطنيةً ومن أكثرهم خدمةً صحيحةً للعرش والامة والوطن

رحمة الله عليه ونفعنا بفضله وخدمته وقدوته

انسان المستقبل

صفاته البيولوجية كما يراها اساطين العلم الحديث

المرجَّح ان انسان المستقبل سوف يكون امدَّ قامةً ، واذكى عقلاً ، واشدَّ مناعة ضدَّ الامراض من انسان اليوم . والمحتمل ان يضيف بضع سنواتٍ الى مدى حياتهِ بل قد يتمكن من ان يتحكم في مواليدهِ من بنين وبنات

***

بهذه العبارات البسيطة يلخَّص بحث طائفة من اشهر علماءِ الحياة في هذا العصر ، الذين اثبتوا بتجارب تنطوي على براعة وابداع ، ان الشكل واللون والحجم والبناء والطبائع والمزايا الشقية (Sex) في بعض الحيوانات يمكن تغييرها ، بل يمكن ان يقلب اتجاهها قلباً تامَّاً . وقد تحكَّموا في افعال الحياة الاساسية في عالم الحيوان ، حتى اصبحوا قادرين من ناحية سيطرتهم على افعال الوراثة ومزايا البيئة ان يحولوا السمندل Salamander من حيوان مائي الى حيوان برّي ، وان يضاعفوا حجم الفئران والجرذان والسمادل ، وان ينشئوا ضرباً من ذباب الفاكهة لا اجنحة لهُ ، وصنفاً من السمك لا عيون لهُ ، ويعكسوا الشقَّ في الطيور والضفادع — اي يحوّلوا الذكر الى انثى والانثى الى ذكر —

فعالِم الحياة بكواشفهِ الدقيقة ، ومكرسكوباتهِ ، وجداولهِ ، يملك تحويل المستقبل . ان تجاربهُ قد اسفرت عن حقائق حيوية غريبة عن افعال الحياة الاساسية ، فردَّ بها القول بالعداءِ والنزاع بين الوراثة والبيئة ، واثبت ان الكائن الحيَّ نتيجة التفاعل بين الاثنتين

***

يعترف بعض البيولوجيين ان طبيعة الانسان ومصيرهُ يتغيران باحداث تحويل في عوامل الوراثة ، او انقلاب كبير في احوال البيئة . ولكن الامل الكبير في امكان السيطرة على خصائص الانسان ، من الناحية البيولوجية ، يقوم بالسيطرة على احوال معينة في خلال تكونهِ ونموّهِ . فالمشكلة التي امامهم ، هي الكشف عن العوامل والوسائل التي تمكنهم من تطبيق ما عرفوه عن الحيوان ، على حياة الانسان

فقد ثبت لهم ان المادة الحية شديدة المرونة . وانها تعنو للعوامل التي توجهها اليها اذا عرفنا هذه العوامل وخصائصها معرفة دقيقة . وعليهِ فالتقدم البشري لا يكون بعد الحصول

على هذه المعرفة ، عرضة لتصاريف الاقدار ، بل ان انسان المستقبل، سوف يكون اشبه شيء بمثال بارع ، ينشيء الحياة على المثال الذي يراه بالتحكّم في اغراض الحياة ومصيرها

***

في هذا العمل الباهر لا بدّ ان يكون للهرمونات (مفرزات الغدد الصُم") مقام واي مقام فهي تسيطر على جرم الجسم ، هل نكون اسوياء او اقزاماً او مردة . بل هي تسيطر على طبائعنا ، هل نكون شديدي النشاط او شديدي الكسل ، وهل تحوّل اجسامنا الطعام الذي نأكله اولا تحوّله ، هل نكون من الزعماء في جماعتنا او من الاتباع ،وهل تتصف عقولنا بصفات الرجل الاجتماعي الامثل او نكون من المجرمين

وقد استعمل بعض الاطباء خلاصة الغدة الدرقية في حقن اناس ولدوا ونشأوا صغار الجثة قصار القامة فكان من اثر هذه الخلاصة التي حقنوا بها ان اصبحوا مديدي القامة

وقد صرّح الدكتور ردل رئيس « جمعية درس المفرزات الداخلية » ان هرمون الغدة النخامية قد يستفرد مثل هرمون الغدة الدرقية قريباً . او قد تنقضي سنوات قبل استفراده. ولكنهُ اذا استفرد وعرفنا كلّ ما يجب ان نعرفه عنهُ امكن استعماله في خلال ادوار الطفولة في المواليد الذين يثبت ان غددهم النخامية ضامرة وينتظر ان ينشأوا اقزاماً فيحول الحقن بخلاصتها دون ذلك

ثم ان التقدُّم في درس المناعة ، ووسائلها ، ينبيء بحلول يوم ، يستطيع فيه الاطباء من تحصين الطفل ضدّ امراض الطفولة ، وتحرير الكبار من قيود الادواء التي تصيب الجسوم والعقول فاذا تمَّ للانسان ذلك تقدَّم الى غزو الطبيعة بقدم ثابتة وعزيمة لا تعرف التردد والخوف

***

ولما سئل الدكتور ردل عن مستقبل الذكاء الانساني ، قال من المتعذر ان نتنبَّأ بما قد يبلغه الذكاء الانساني من التقدم، بالنظر في الحقائق المسلَّم بها الآن . ولكن عقل الانسان مرتبط ببناء جسمهِ ، ويستحيل علينا ان ننظر الى العقل والجسم ، كأنهما وحدتان منفصلتان . فاذا تمكن الانسان من ان يسيطر على نموّه الجسماني ، فلا يعقل ان يصرف العناية عن محاولة درس الاحوال والبواعث التي تمكنهُ من التأثير في قواه العقلية . والراجح ان يوجه الباحثون في المستقبل عنايتهم الى درس العوامل التي تجعل من الانسان الواحد، سياسيًّا خطيراً ، او ماليًّا كبيراً ، او عالماً نابغاً ، او عاملاً بسيطاً ، والمحتمل ان يتمكنوا بعد ذلك من السيطرة بعض السيطرة عليها

هذه الاقوال العجيبة مبنية على احتمالات علمية أسفر عنها التقدم العظيم الذي تمَّ في علوم الحياة في خلال نصف القرن الماضي . وتحقيقها متوقف الى مدى على السيطرة التي يستطيع

الانسان ان يعالجها في البيئة الطبيعية والاجتماعية ، وعلى استعمال الغدد الصم ومفرزاتها . وتطبيق القواعد التي كشفها البحث في الوراثة وارتقاء العلوم الطبيعية على اختلافها

***

ان كروموسومات الخلية اشبهُ شيءٍ بعصيّ ، او حبيبات دقيقة منظومة في عقود . والكروموسومات مؤلفة من عوامل الوراثة ، والى هذه العوامل ترتدُّ الصفات الانسانية الاساسية . هل الشخص ذكر او انثى . هل هو ازرق العينين او اشهلهما . هل في تركيب جهازه العصبي حاسةُ الموسيقي المرهفة . ان الفرق بين بيتوفن العظيم ، والرجل الابله، ليس الاّ فرقاً في انتظام عوامل الوراثة في الكروموسومات . فاذا تغيَّر انتظام هذه العوامل في الخلايا ، ظهر في النسل تحوُّل في الصفات الوراثية ، حتى ولو لم تتغيَّر احوال البيئة التي يعيش فيها ذلك الكائن . وقد يكون التحوُّل غير منتظرٍ على الاطلاق ، في شق الكائن (ذكراً او انثى) او لون شعره ، او لون عينيهِ ، او مقدرتهِ العقلية

خذ مثلاً على ذلك ذبابة الفاكهة الاميركية المعروفة بالدروسوفيلا . ان لون العين الاحمر في هـذه الذبابة يرجع في الغالب الى انتظام خمسين زوجاً من عوامل الوراثة ، انتظاماً معيَّناً . فاذا اتلفتَ عاملاً واحداً من هذه العوامل المائة، كانت النتيجة ان عين الخلف لا تكون حمراء بل تكون بلا لون على الاطلاق . وكذلك ترى ان عاملاً وراثيًّا واحداً ، يحوّل صفة معينة ، اذا كان ناقصاً او اذا كان غير سويّ . ولكن امامك خمسون زوجاً من العوامل ، تتجمع كلها لاحداث صفة لاخطر خاص لها في حياة الذبابة ، هو لون العينين . واذاً فالطرق امامك متعددة لاحداث تغيير في لون عينها

وكذلك في النسل الانساني . فعوامل الوراثة عديدة لا تحصى ، واحتمالات انتظامها في اشكال متباينة عديدة كذلك . واذاً فالنسل يختلف عن الابوين ، ويختلف افراده بعضهم عن بعض . وهذا يعلل لنا نجوب ، عبقري عظيم ، كشكسبير ، او لنكن، او بيتوفن ، من والدين لم يمتازا بشيءٍ من دلائل العبقرية . وهو يعلل لك كذلك، ان اولاد نبوليون وجوته لم يكونوا عباقرة مثل والديهما

***

فاذا كنا نستطيع ان نسيطر على تفاعل هذه العوامل الوراثية في انتظامها ، فننظمها نحن كما نشاء ، ولا نترك انتظامها للمصادفة العمياء ، فان الدلائل تدلُّ على اننا نستطيع ان نخلق الانسان الامثل ، بل نستطيع ان نعين الناحية التي يتفوق فيها هذا الانسان ، ايكون عالماً ، ام رياضيًّا ، ام مهندساً، ام زعيماً سياسيًّا ، ام قطباً من اقطاب المال والاعمال

فما هو احتمال بلوغ الانسان هذا المدى من السيطرة على عوامل الوراثة ؟ يقول الاستاذ

هلدين (J. B. S. Haldane) ان امام علماء الحياة طريقين يسلكونهما ، لتغيير عامل واحد من عوامل الوراثة ، في احد الكروموسومات ، من دون ان يؤثروا في العوامل الوراثية الاخرى. اما الطريقة الاولى فابتداع او اكتشاف مادة كيمائية تؤثر في عامل واحد دون العوامل الاخرى. واما الطريقة الثانية ، فاستنباط وسيلة يستطيع بها الباحث ان يوجّه الاشعة التي فوق البنفسجي الى جزء صغير جدًّا من الكروموسوم من دون ان يتلف الخلية نفسها

ويقول الدكتور ردِلْ انا لا نعلم الآن كيف يجب ان تنتظم عوامل الوراثة البشرية ، حتى يخرج من انتظامها الانسان الامثل . ولكن امامنا طريق علينا ان نسلكه وهو ان ندرس اثر تحوُّل عناصر البيئة في الكائنات الحية نفسها . ولكي نحدث تغييراً في الكائنات الحيّة ، يجب ان نحدث تغييراً في احوال خاصة في مراتب النموّ الاولى . فلننظر الآن ما فعلهُ علماء الحياة في احداث هذا التغيير في الاحوال الخاصة ، وما اثرهُ في السيطرة على اجرام الكائنات ، وشقها ، وغيرها من وظائف اعضائها

***

فقد بيّن بعض علماء الالمان ان بيض الضفادع واجنتها ، اذا عرّضت لحرارة اعلى من الحرارة العادية التي تتعرض لها ، تحوّلت الاناث ذكوراً . واثبتت الدكتور كتي بونس استاذة علم الحيوان التجريبي في جامعة جنيف انها تمكنت من تحويل عدد غير يسير من ذكور الضفادع الى اناث ، ثم زوجت هذه الاناث بذكور سويّة ، فحملت وولدت . والظاهر من محاضرة لها انها ازالت اولاً الغدد الجنسية من الذكور البالغين فتبع ذلك نموّ عضو صغير ضامر في الضفدع ، ولدى فحصهِ ، ثبت انهُ يحتوي على بيوض جاهزة للتلقيح . ولم تنفر الذكور من هذه الاناث بل اقبلت عليها . ومما يحير العقل ان نسل الاناث المحوّلة عن ذكور ، كان كلّهُ ذكوراً . ثم ان الدكتور دُمْ Domm الاستاذ بجامعة شيكاغو تمكن من تحويل بعض ذكور الطيور اناثاً وبعض الاناث ذكوراً ، فانهُ ازال المبيض الايسر من ١٧٥ من اناث العصافير وهو المبيض الوحيد فيها ، لان المبيض الايمن يضمر ويهزل . فلما ازيل المبيض الايسر اشتدّ المبيض الايمن ولكنهُ تحوّل خصيةً بدلاً من ان يبقى مبيضاً . اي ان هذا المبيض الذي اصله غدة تناسلية انثوية ، تحول بعد ازالة المبيض الايسر الى غدة جنسية ذكرية . وقد افرزت هذه الغدد نطفاً للتلاقح . ومن الامور المشهورة ان انقلاب جنس الحيوان لدى فقد غدته يقع في الطبيعة من دون وساطة الانسان . فالحيوان المعروف بالسمندل الذكر اذا جاع بضعة شهور متوالية ، ضمرت غدتهُ الجنسية . فاذا وجد طعاماً بعد ذلك عادت الى النمو ولكنها تنقلب غدةً انثوية . والدجاج يقع له ما هو شبيه بذلك اذا اصيب بالتدرّن

ومن غرائب ما يذكر في هذا الصدد ان الصفات التناسلية في فتاة تحوَّلت من صفات انثوية الى صفات ذكرية على اثر ظهور خرَّاج جعل مفرزات غددها الصم اكثر مما هي عادةً . وكان الدكتور آبل العلامة الاميركي وأحد اساتذة جامعة جونز هبكنز يعالجها فشهد بأن كل صفاتها الجنسية الثانوية الجسمية والنفسية كانت صفات ذكور . وقد عادت الى انوثتها على اثر عملية استؤصل فيها الخرَّاج وارتدت الغدد الى حالتها السويَّة

***

من الحيوانات التي تجرب بها هذه التجارب حيوان السمندل وهو في موطنه الاصلي حيوان مائي يتنفس بخياشيم ويتصف في خلال ادوار حياته جميعها بصفات الحيوانات البحرية ولكنهُ اذا نقل الى مواطن اخرى معيَّنة او اذا قُضي عليهِ في دور معيَّن من نموّه ان يعيش في الهواء او اذا غذّي بقطعة من نسيج الغدة الدرقية ، تحول الحيوان المائي الى حيوان برّي . ثم اذا غذي بقطعة من الفص الخلفي في الغدة النخامية ضخمت جثتهُ حتى ليصبح جرمها ضعف جرمها الاصلي اذ يقتصر في غذائهِ على طعامهِ المألوف . وقد وصل الباحثون الى النتيجة نفسها في الجرذان اذ حقنت بخلاصة الغدة النخامية

***

ويستطيع الباحث العلمي ان يربي سمكة ذات عين واحدة مع انها في الطبيعة ذات عينين باضافة احد المخدرات او احد املاح المغنيزيوم الى المـاء الذي يفقس فيهِ بيض السمك

بل يستطيع الانسان ان يتدخل في دور معين من ادوار حياة دودة من الديدان وبتغيير احوال البيئة يقرّر اي طرفٍ من طرفي الدود يكون رأسها واي طرف يكون ذنبها . ولا تقل عجائبهم في تغيير الوان الحيوانات عمّا تقدّم . فالدجاج الابيض الريش يحوّل الى دجاج اسود الريش

***

من المتعذّر الآن تطبيق هذه الحقائق على النوع الانساني وخصوصاً فيما يرتبط بالتناسل لان تجربة التجارب التناسلية بالانسان امر تعافهُ نفوسنا ولكن اذا تقدّم البحث في الوسائل الاخرى القائمة على احداث تغيير في الكائن الحيّ بتغيير احوال بيئتهِ في ادوار معيَّنة من نموّهِ وبوجه خاص فيما يتعلق بالغدد الصمّ فلا يبعد ان يصبح علماء الحياة عاملاً من عوامل الطبيعة في انشاء الانسان على أعلى مثالٍ يتصورونهُ

الواحة المنسية

لحسن كامل الصيرفي

في ذِمّةِ الفنِّ ألحانٌ تضيعُ، وفي   أصدائها قِطَعٌ من قلب فنّانِ
تجرّعَ الألمَ الدامي لحوّلهُ   الى ترانيم عشّاقٍ والحانِ
يُسْقى العذابَ ويَسقي الناس اكؤسهم   صَفْواً من النُّورِ في ظلماءِ أشجانِ
مدامعُ الأنجم الحيرى تشاركهُ   تَسَلْسُلَ الدمعِ في أجفانِ حيرانِ
وظلمةُ الليلِ تستوحى كآبتَهُ   هَمْسَ السكونِ بإفصاحٍ وتبيانِ
ومطلع الفجر يستوحى ابتسامتَهُ   نورَ الملائكِ في إشراق إنسانِ
أنّاتُهُ من طِعان الدهر صادرةٌ   وجُرْحُهُ من شظايا العالمَ الجاني
تضمّدُ الجُرْحَ كفّاهُ ويسترهُ   بواضحٍ من ثنايا الثغرِ فتّانِ
فيهِ معاني ابتسامٍ وهي سخريةٌ   بعالَمٍ دائرٍ في كَفِّ شيطان
يعيش في الأرض مأخوذاً بعالمهِ   ويهجر الارضَ هيماناً بأكوان
يبدو خلال ظلام الناس مؤتلقاً   نور الخلود بهذا الكوكب الفاني
كواحة ازهرت في القفر تائهة   عن الحضارة في اكناف نسيان
في ذِمّةِ الفنِّ ما ردّدتهُ امداً   فضاع لحني سُدًى في جَوِّ نكرانِ
طغى عليه ضجيجُ القوم فانطمست   أصداؤهُ وفؤادي طيّ ألحاني

فلسفة التحليل النفسي (١)

النفس لغز والتحليل النفسي مفتاحه

اخرج العلامة فرويد نظرية التحليل النفسي Psycho-analysis وطريقة تطبيقها من نحو ثلاثين سنة. واقترح علاجاً نفسياً لطائفة من الامراض العصبية. ولكن هذه النظرية على ما فتحتهُ من ابواب الامل في تمهيد سبلٍ جديدة لكشف خفايا النفس، خيّبت نظر النقاد الذين يحق لهم ان يحكموا في موضوعها، وهي اليوم معرضة للاهمال بتهمة انها افتراض نظري ليس لهُ أساس علميّ سليم يستند اليهِ. بل يقولون انها تجربة خطرة كلّ الخطر، وان الشفاء الذي تمّ بواسطة التحليل النفسي في الامراض العصبية، لم يحقق من الوجهة الاحصائية ولا من وجهة الدليل السريريّ Clinical على انهُ قد تمّ حقيقة ولا ما هي نسبة ما تمّ منهُ الى ما لم يتمّ

يضاف الى ذلك ان متخرجي مدرسة فرويد في التحليل النفسي الذين احرزوا الشهادة التي تخوّلهم ممارستهُ يعوزهم التعليم الطبي والمرانة، اللذان يمكنانهم من فهم الاضطرابات العصبية، دع عنك تشخيصها ومعالجتها. ثم ان السماح لرجال لم يتعلموا التعليم الطبي، في معالجة الادواء الجسدية والعقلية، عرضة للمساوىء والمفاسد والتدجيل، وهو خطر على الصحة العامة. وكثير من الاطباء الذين بحثوا في حسنات التحليل النفسي وامتحنوها يرون ان ما يدعيه رجال هذه المدرسة النفسية، مغالىً فيهِ شديد المغالاة

ان مفتاح النظرية الفرويدية هو ان الاضطرابات النفسية — من عقلية وعاطفية — والاضطرابات الجسدية كذلك، تنشأ في كثير الاحوال، من اسباب نفسية لا من اسباب جسدية. فقد كشف فرويد وهو يبحث ويجرّب التجارب بالتنويم المغناطيسي في عيادة الدكتور شاركو Charcot بباريس ان المرضى المصابين بالهستيريا، اذا ناموا بفعل التنويم المغناطيسي، كشفوا احياناً من تلقاء نفوسهم، عن طبيعة اصابتهم واسبابها. ولما كان فرويد نفسهُ غير بارع في شؤون التنويم المغناطيسي، شرع يحاول ان يكشف عن طرقٍ ووسائل اخرى، لينفذ بها الى العقل الباطن. وكان يعتقد انهُ يستطيع ان يشفي مصاباً من هذا القبيل بنقل سبب العلة من العقل غير الواعي الى العقل الواعي، لانهُ اذا ادرك المصاب طبيعة اصابتهِ واسبابها، زال اولاً خوفهُ وقلقهُ واضطرابهُ، فيزول النزاع بين الذات الواعية، والذات غير الواعية وتنتصر الاولى على الثانية فتتم لمصابنا نعمة الشفاء. وقد اطلق على مجموعة الافكار المشتركة التي تسبب الداء او الاضطراب، بالمركّب او العقدة. وهما لفظان فيهما معنىً من

(١) للدكتور فوكس عن السينتفك اميركان بتصرف قليل

اللفظ الاصلي Complex . وبعد بحث تجريبي في مصابين بالهستيرياء وشديدي توتر الاعصاب، صرح ان المركبات، الباعثة على هذه الامراض العصبية سببها، رغائب جنسية غير تامة النضوج، مكبوتة لا تبدو في مظهرها الطبيعي ، وان هذه الرغائب انفصلت عن تيار الوعي ، فالّفت شخصية او ذاتاً مستقلة عن ذات الانسان العامة ، وان هذه الذات المستقلة في حالة ثورة عنيفة على الذات العادية . وفرويد يعلق شأناً خطيراً بمكانة الرغائب الجنسية ويذهب الى ان الرغبة الجنسية التي يدعوها «ليبيدو Libido » هي اساس لكل مطامح الانسان . ثم هو يدعي ان هذه الحالة — اي حالة النزاع بين الذات المستقلة والذات العامة — يمكن ان تشفى ، بربط الذات الثائرة بالذات العامة ، ثم اكفاء الرغائب غير الواعية ، بتحويلها الى ناحية جديدة . ويعرف هذا العمل بالتحويل Transference فاذا قامت عقبة ، تحول دون تحويل الرغائب ، الى ناحية جديدة كانت العقبة بمثابة المقاومة في علم الكهربائية ، وكان لا بدَّ من المثابرة والمحاولة والمداورة في محاولة تخطيها او التغلب عليها

يفتح التحليل طريقين الى درس العقل الباطن او النفس غير الواعية ، طريق مجموعة الافكار المشتركة اشتراكاً حرًّا ، وطريق تفسير الاحلام

والتنفيس عن الرغائب المكبوتة بطريقة اشتراك الافكار يعرف باسم «كاثاريس» Catharis اي التطهير او التنظيف من اللفظ اليوناني كاثاروس اي نظف . والمقصود باشتراك الأفكار الحرّ ، ما يأتي : ان تداعي الافكار Association of ideas عمل من أعمال الذاكرة . فانت لا تستطيع ان تذكر شيئاً الاَّ وتربطه بشيءٍ آخر او تقابلهُ بهِ . ومعرفة كل انسان هي كل الحقائق التي يستطيع ان يذكرها مضافاً اليها الحقائق التي نسيها او لا يستطيع ان يتذكرها . فاذا حاول الانسان ان يجعل تداعي افكاره ، شعوريًّا اي خاضعاً لارادتهِ ، حاول ان يتذكر حقيقةً مخزونة في الذاكرة ، يربطها بحقيقة اخرى يسهل تذكرها . وفي هذا اللون من التفكير ، يكون توجيه الفكر ، شعوريًّا ومقصوداً ومسيطراً عليهِ

ونحن نعلم ان الأفكار والصور الذهنية واحلام اليقظة ، تطفو احياناً على تيار الوعي او الشعور ، من دون ان يبذل اي جهدٍ خاص في ذلك . فاذا استوقفنا هذه الافكار والصور الشاردة ، لحظة من الزمان ، اكتشفنا ان كل فكر وكل صورة ذهنية ، طفت على تيار الوعي من دون قصدٍ منا ، هو في نفسهِ ، او هي في نفسها ، مسلك الى مخبإٍ من مخابيء العقل الباطن ، فهي اذاً تلقي ضوءًا كشّافاً على النواحي المظلمة من ذهن الانسان ، المنفصلة عن الذاكرة ، او المجهولة من الذات الشاعرة . وهذا هو المقصود ، في مدرسة فرويد ، باشتراك الافكار اشتراكاً حرًّا Free association ذلك ان غرضهُ استكشاف العقل الباطن بواسطة سلسلة حلقاتها الطافية على تيار الشعور ، ومعرفة صلتها بخفايا العقل الباطن

وتحليل النفس عمل لا يتعلمهُ الانسان تعلماً ، لانهُ عمل ذهنيّ طبيعي . فيشرع الانسان في استكشاف نفسهِ في مراحل سهلة الاجتياز . فيدوّن الحقائق المتفرقة التي يكشفها ثم يربط بينها ثم ينشئ منها صورة منسجمة الاجزاء ، تبين لهُ نشأة احوالهِ العاطفية وتاريخها . فالافكار الشاردة والصور الذهنية الطافية من دون ارادة او قصدٍ على تيار الوعي ، واحلام اليقظة ، هي كلها كاحلام النوم ، فيض العقل الباطن الذي يعرب عن رغبة كامنة في الباطن او شعور او اضطراب داخلي . وكل صورة منها ، ككل جزءٍ من الاحلام ، انما هي لفظة من اللغة الرمزية التي يتكلم بها العقل الباطن . وهي تختلف عن لغة العقل الواعي . فالشعور بالبرد ، يوقظ في العقل الواعي الوافاً من الفكر ، تأتلف وهذا الشعور ، مثل «فصل السنة» و«الملابس» و« الاماكن الباردة» و«الوسائل اللازمة لاتقاء البرد » . اما في الحلم — حلم النوم — فالحلم يجيء اولاً ثم يليهِ الشعور بالبرد . خذ مثلاً على ذلك ، رجلاً يأوي الى سريرهِ في غرفةٍ باردة ، وفراش غير دافئٍ ، فيحلم انهُ منقطع عن العالم على جبل من جبال الجليد . والشعور بالخطر يوقظ النائم ، فيحملهُ شعورهُ بالبرد ، على البحث عن دثارٍ يتدثر بهِ ليدفأ . ولكل انسان لغتهُ الرمزية الخاصة بهِ . ولا يتشابه اثنان . فمحاولة تفسير احلام الواحد برموز الآخر ، عمل لا بدَّ ان يفضي الى الخطاءِ . من هنا نرى ان محاولة رجل ان يقوم بتحليل نفسي دقيق لرجل آخر ، عمل متعذر . فالمختصُّ بالتحليل النفسي يستطيع ان يرشد لا ان يعلم . انهُ لا يستطيع ان يهضم اكل غيره ، ولا ان يحلّل نفس غيرهِ . وثمة طرائق عديدة لتحليل النفس وكلها تبدأ بترك العقل الباطن يفيض بما يختلج فيهِ من المشاعر والافكار ، ويلي ذلك توجيه محبة الشخص الجنسية الى شخص معيّن . وهذه الناحية من التحليل النفسي ، هي الناحية التي يندّد بها رجال الدين وجماعة المدافعين عن آداب النفس ، لان المحلّلين النفسيين ، يوجهون هذه المحبة في الغالب الى اشخاصهم . والامر الذي لم يفهم بعد على صحتهِ ، هو هل يتمّ الشفاء باستكشاف العقل الباطن ، او باشباع المحبة الجنسية في شخص المحلّل النفسيّ ، او بكليهما ؟ !

واذن يرى القارئ ان هذه الدعاوى ، ليست على جانب من الدقة العلمية ، او الاخلاص ، او الادب . اذا كان التحليل النفسي يشفي ، فكيف يشفي ؟ اننا نعلم ان العواطف المضطربة تحدث اضطراباً وقلقاً في وظائف الجسم والعقل ، وان معظم هذه الاضطرابات ينشأ في العقل غير الواعي . والاعراض غامضة ، معظمها من نوع المخاوف الموهومة ، والنزاع الداخلي ، وكبت الشعور ، وشدّة الاحساس ، والرغبات النابية ، والحب ، والخجل في الصلات الاجتماعية والعجز عن صبّ الفكر وتوجيههِ الى موضوع واحد

والمصاب يكون في الغالب ، كثير الاضطراب والهمّ ، لا يستطيع ان يصمد للصدمات التي تنتابهُ ولا ان يحتمل ما في الحياة من اخذٍ وردٍّ ، ومدٍّ وجزر . فهو كئيبٌ دائماً ، متجه

الى نفسه ، اقل شيءٍ يحيّرهُ ويقلقهُ . فاذا كانت الحادثة حادةً ، اصيب بالارق وضعف الشهية وانخفاض ضغط الدم وخفقان القلب واضطراب الغدد والهستيريا والعجز الجنسي والتوق الى تناول المخدرات وضعف النطق او اضطرابهُ وغيرها من الاعراض(١) التي يسفر عنها اضطراب الجهاز العصبي . واسباب هذه الاضطرابات او مبعثها رغائب مكبوتة او محبوسة في العقل الباطن ، تنشيء نزاعاً او تناحراً بين اجزاء الشخصية الواحدة . اي ان الذات الباطنة تكون في حالة ثورةٍ فتتفكك وحدة الذات العقلية والجسدية ، في آنٍ واحد

والشفاء من هذه الحالة ، الباعثة على التعس والشقاء،مشكلة صعبة شديدة التعقيد.ويجب الاقبال على حلّها في هوادة وحذر . فالغرض من كل علاج من هذا القبيل ، يجب ان يكون القضاء على التناحر الداخلي ، واطلاق العواطف المحبوسة المكبوتة، واستنباط الوسائل لتهدئة الرغبات غير المشبعة او تحويلها او تسكينها . وقد ذكرنا ان « الجرح » النفسي هو في العقل الباطن . واذاً فيجب ان يمدَّ رواق العقل الواعي الى ما وراء حدودهِ العادية ، حتى يضمَّ تلك الاجزاء التي كانت مستقلة في العقل الباطن فيدمجها في وحدته الشاعرة . وهذه الخطوة هي الاولى نحو العلاج ، ويمكن خطوها بواسطة التنويم المغناطيسي ، واشتراك الافكار بالمعنى المقصود في مدرسة التحليل النفسي ، او حلّ رموز اللغة التي تتكلم بها النفس غير الواعية في اليقظة اوفي النوم.فاذا اكتشف المصاب الباعث الاساسي على حالتهِ ، وفهم طبيعة الاضطرابات التي اصيب بها ، روّح ذلك عنهُ ، وحدَّ من الشك الملازم لمخاوفهِ ، فيعود اليهِ جانبٌ من ايمانهِ وثقته بنفسه . ويستيقظ الامل في صدره وما يسير مع الامل من حماسةٍ تمكنهُ من السير نحو الشفاء التام بفضل الاستهواء الذاتي . واذ يشرع المصاب في معالجة نفسهِ ، يجب ان يتمرّن على تحليل النفس ، بتدوين العواطف والمخاوف والرغائب والنواهي والكوابح ، وما يحب وما يكره ، التي تطفو على تيار وعيهِ . ويفضّل ان يختار غرفة هادئة حيث لا يقلقهُ مقلق، فيدوّن في ورقة امامهُ الاعراض والمخاوف والرغبات . فيأخذ مثلاً رغبة من الرغبات،ويرى ما يتصل بها من الصور الذهنية ، المتسلسلة في نفسه تسلسلاً حرًّا ، فيدوّن كل حلقة من حلقاتها . وقد يلقى تتابع هذه الصور احياناً ما يعيقهُ وما يقطعهُ بلفظة او صورة او فكرة . فليدوّن ذلك وليضع تحتهُ خطًّا احمر، لان ما يقطع تسلسل الصور الذهنية، يشير الى الموانع او الكوابح في الحياة العقلية،اي ما يكبح النفس او يمنعها من الاستسلام الى رغبة من رغابها

فاذا والى المصاب ذلك ساعة كل يوم مدة ثلاثة اسابيع اجتمعت لديهِ الحقائق الاساسية عن اعماق تلك الذات الباطنة،التي بينها وبين الذات العامة نزاع او تناحر هو منشأ الاضطراب. فاذا اتسعت معرفته بتلك الذات الخفية ، عادت اليهِ ثقتهُ في نفسهِ ، الناشئة عن المعرفة ، والثقة تجر في اثرها القوة والسيطرة على النفس ، وهذه اول مرتبة من مراتب الشفاء



مصطلحات علم النفس

ومشكلة تعريبها

للدكتور محمد مظهر سعيد

استاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين



— ٢ —

استعرضت في المقال السابق[1] بعض نماذج هامة لمصطلحات علم النفس الانكليزية تبين للقارىء باجلى وضوح مبلغ ما يجده الاساتذة المصريون من الصعوبة في نقل هذه المصطلحات الى العربية اذا اعتمدوا على الاستعمال العادي وقواميس اللغة وموسوعاتها ، وكيف انهُ اصبح يتعذر وضع الفاظ لها تؤدي المعنى العلمي المقصود وتحدده تحديداً لا لبس فيهِ ولا غموض اذا لم نتتبع المعاني المختلفة التي خلعت على كل مصطلح في مختلف ادواره الفلسفية والسيكولوجية وآراء العلماء الذين وضعوها ان كانت حديثة والمذاهب التي تذهب اليها المدارس السيكولوجية المختلفة في تفسيرها واستخدامها . ولا استطيع ان افعل خيراً من ان اذكر ما قاله احد اساتذة علم النفس الاجلاء عند وضعه اول كتاب علمي في هذا الموضوع. « والله وحده يعلم ما كابدته من المشاق والاتعاب في تأليف هذا الكتاب وتحصيل معانيه . تارةً من اللغة الاجنبية وتارات من الاسفار العربية والتقاط الفاظه كلمة كلمة من كتب شتى. وما بذلتهُ من الجهد في وضع عباراتهِ وسبكها بقدر ما في الامكان على ابسط صورة الخ » (كتاب علم النفس للمرحوم الشيخ محمد شريف سليم سنة ١٩١١ : ص ل مقدمة) وفي ص ١٠ « هذا وقد اعتبرنا في توضيح معاني هذه الكلمات مفاهيمها العامة الجارية على ألسنة العالم » وتواضع الاستاذان علي الجارم ومصطفى امين فقالا في مقدمة كتابهما (علم النفس وآثاره في التربية والتعليم) « وقد حافظنا على ما وضعهُ رجال العربية قبلنا من اصطلاحات العلم واوضاعه . اعترافاً بسبقهم وحبًّا في اتصال عملنا باعمالهم. ولكيلا يضيع الخلاف اللفظي شيئاً من وقت الباحث او يكون سبباً في اختلاط الامر عليهِ » . وعلى الرغم من ضيق دائرة علم النفس الذي يدرّس في مصر واقتصاره على علم النفس التعليمي لطلبة المعلمين والمعلمات وسهولة مصطلحات هذا الفرع وانتشارها فقد شعر الاساتذة الاجلاء المرحوم الشيخ شريف والاستاذ علي الجارم ومصطفى امين وامين مرسي قنديل الذين يرجع اليهم كل الفضل في ادخال علم النفس في مصر ونقله الى العربية وبذل الجهود

(١) راجع مقتطف ا كتوبر ١٩٣٣

الجبارة في سبيل كشف مغلقه ونشره بين الناس ومن قفى على أثرهم امثال الاساتذة حسنين عبد رازق وحامد عبد القادر وعطية الابراشي وكاتب هذه السطور في مصر وغيرهم في الشام والعراق كل هؤلاء لا اخالهم الاَّ شاعرين بشدة حاجة المشتغلين بهذا العمل الى ضبط مصطلحاته وتعميمها قبل ان يترى سيل فروع علم النفس الاخرى عن طريق معهد التربية وكلية الحقوق وتتشعب المصطلحات ويتعذر الاتفاق

وسأذكر للقارىء بعض نماذج الترجمات العربية لأهم مصطلحات علم النفس التعليمي واكثرها استعمالاً تخيرتها من الكتب العربية الآتية التي ما زالت تستخدم كمراجع وكتب مدرسية في مدارس المعلمين والمعلمات وكليات الازهر ومعهد التربية

(١) علم النفس للمرحوم الشيخ محمد شريف سليم

(٢) علم النفس وأثره في التربية والتعليم للاستاذين علي الجارم ومصطفى امين

(٣) اصول علم النفس للاستاذ امين مرسي قنديل — جزءان

(٤) في علم النفس — الجزء الاول — للاساتذة حامد عبد القادر وعطية الابراشي ومظهر سعيد

(٥) » » — » الثاني — للاستاذين » » » » »

وسأتناول علم النفس موضوعاً موضوعاً متدرجاً من الشعور ومظاهره الى الاحساس فالادراك وانواعه فالعمليات العقلية والغرائز

موضوع الشعور

أول مظهر من مظاهر الحياة العقلية وأقوى دليل على وجودها شعور الكائن بذاته ونفسه وما حواليه من اشياء وما يقوم بهِ من افعال او على حد قول فلاسفة المسلمين « شعور الانسان بذاته وما يصدر عن هذه الذات وما هو خارج عنها » وبعبارة اخرى ادراكه لنفسه وما يظهر في ذهنه وما يشعر به في داخله وما يحيط بهِ وافعاله التي يرمي بها الى غرض خاص وغير ذلك مما يحقق قول الفيلسوف ديكارت المأثور (أنا ادرك او افكر فأنا موجود Cogito ergo sum) وقد يتدرج هذا الشعور من مجرد شعور الانسان بشيءٍ يؤثر في حاسة من حواسه شعوراً غامضاً غير محدود يدرك بهِ ان هناك شيئاً ولكن لا يستطيع ان يميزه ، الى شعور كامل بذلك الشيء وادراك لمميزاته وظروفه وأحواله يصل الى ما يسميه الفيلسوف الالماني (كانت) بالمعرفة . واللفظ الذي يتضمن كل هذا المعنى هو بالانكليزية Consciousness ومثله بالفرنسية Conscience . وقد اتفق المؤلفون على ترجمته بالشعور ولم يشذ عن هذا غير الاستاذ الابراشي فقد سماه في بعض الاحوال بالوعي (ص ٣١ . حالة الوعي واليقظة اي الشعور) ولكنهم اختلفوا في تعريفهم له فقد عرَّفه المرحوم الشيخ شريف (ص ٨١) بتعرف النفس على نفسها وهي متلبسة بحال من أحوالها فهو الادراك العام للنفس وهو بذلك اخرج ادراك النفس

لغيرها وما تقوم بهِ من افعال ليست في ذاتها من حالات النفس وقال الاستاذ الجارم (ص ٤١) معرفة الانسان ما يجري في نفسه من الوجدان والفكر والارادة

واتفقوا كذلك على ترجمة Focus (النقطة التي يتجمع او يتركز فيها الشعور) بالبؤرة و Margin (ما يخرج عن المركز ولكنهُ في مجال الشعور على كل حال) بالهامش نقلاً عن علم الضوء والشعور الناقص او الهامش Subconsciousness يشبه الشعور ما عدا الاستاذ عبد الرازق (ص ٢) فقد سماه الشعور الضعيف وهذه الترجمة في الواقع لا غبار عليها لولا انها تختلط بمعنى Anoetic consciousness وهي كلمة جديدة لم ترد بعد في الكتب العربية وضعها العلامة الانكليزي ستاوت للدلالة على الشعور الغامض الضعيف غير المحدود

وترجموا الشعور الباطن (Unconsciousness) الذي هو مظهر الحياة العقلية للعقل الباطن في النوم والسرحان باللاشعور وكنا نرجو ان لا تترجم هذه الكلمة حرفيًّا حتى نصلح عيب الكلمة الاوروبية التي يفهم منها الطلاب والمبتدئون حالة عدم الشعور او فقدانه (non—consciousness) في حالة الموت والتخدير والاغماء. اما الابراشي فقد ترجمها باللاوعي قياساً على ترجمته الشعور بالوعي

وللشعور مظاهر سماها الأقدمون volition, affection, knowing او Will فترجمها من نقل عنهم بالمعرفة او الفكر والوجدان والارادة (الجارم ٤١)

ورأى المحدثون ما في التسمية من خطأ فظيع اذ ليس كل ادراك معرفة اوفكر وليس كل عمل يقوم بهِ الانسان بأرادة فسموها cognition و affection و conation فترجمها من نقل عنهم الادراك والوجدان والنزوع (ما عدا عبد الرازق فقد احتفظ للادراك بلفظهِ القديم وهو المعرفة وذكرهُ كذلك هكذا ص ٢٨—مظهر المعرفة Cognition) وترجمها الشيخ شريف تارة معرفة وادراكاً وتارة علماً. ففي ص ٤٢ مثلاً يقول (الغرائز يندفع اليها الطفل بطبيعته من غير علم ولا شعور فهي غير مشعور بها) والعلم فوق الادراك والمعرفة بمراحل

وفي حين ان بعضهم اخذ باللفظة الحديثة Affection الاَّ انهم ادخلوا تحت مظهر الوجدان ما لم يقل بهِ المحدثون فأدخل الجارم (ص ٤٧) الجوع والعطش وهما أمران عضويان فسيولوجيان وعرَّف الاستاذ قنديل الوجدان (ص ٥٠) بما تجده في نفسك من لذة وألم. من غير ان يفرق بين اللذة والألم المعنويين وهما آخر مراتب الارتياح وعدم الارتياح واللذة والألم الماديين وهما عضويَّان

موضوع الاحساس

كلمة Sensation الانكليزية والفرنسية بالمعنى السيكولوجي المحدود ومشتقاتها يقصد بها العملية الفيزيقية الفسيولوجية التي تستقبل بها الحواس آثار المؤثرات الخارجية كما هي وترسلها

عن طريق الاعصاب المرسلة او المصدرة الى المناطق الخاصة بالتصرف فيها في مراكز الجهاز العصبي. ولاشيء غير هذا المعنى مطلقاً. وقد اتفقوا على ترجمتها بالاحساس ولكنهم عند تفسير معناها ادخلوا تحتها عمليات عقلية ومظاهر شعورية ليست من الاحساس في شيءٍ حتى انهُ ليصعب على الطالب والقارىء ان يفهم المعنى المحدود والفارق بين الاحساس وبين العمليات العقلية والحالات النفسية الاخرى . فالشيخ شريف يقول (ص ٤٦) الاحساس قوة طبيعية اودعها الله في النفس تجد بها لذة وألماً في اشياء (وهذا هو الوجدان) وفي (ص ٤٩) الاحساسات أثرية تظهر آثارها على وجه الانسان (وهذه ايضاً وجدانات) وفي (ص ٥٠) القوة الحسية هي الاحساس الذي تسبب من حصول ظاهرة من ظواهر القوة الطبيعية كألم الجوع — وفي (ص٣٣) الظواهر الانفعالية تدخل تحت القوة الاحساسية. والسرور والخوف المعنويّان القوة الوجدانية وهي ارق قوى الاحساس . فكأنهُ فرّق بين الاحساس والوجدان ولكنهُ اعتبرها مراتب للاحساس . وسبب هذا الخلط ما وقع فيهِ علماء الغرب انفسهم في القرن الماضي من الخطاٍ في الخلط بين كلمتي Feeling و Sensation. اما الاستاذ فنديل فقد ادخل في الاحساس عناصر الادراك الحسي ووضع كلمة الحس (ولا نعرف لها مقابلاً في الافرنجية للدلالة على كتلة مدركاتنا الحسية وخبراتنا السابقة (Apperceiving mass) فيقول فيهِ (ص ٧ الجزء الثاني) الاحساس والادراك الحسي يكوّنان معاً كل خبراتنا الحسية او الحس

ونظرة واحدة الى تقسيم الاستاذ Watt لمظاهر الشعور في كتابه[1] وهو حجة في موضوع الاحساس تبين لنا وجوب فصل الاحساس والمظاهر الادراكية الحسية عن المظاهر الوجدانية

I Sensory— Cognitive System includes all Sensations

II Emotive System includes all non — sensory feelings, pleasure, displeasure & all emotions.

اما في تقسيم الحواس والاحساسات وترجمتها فقد اتبعوا اساساً لا يتفق الى حد ما مع الاساس المعمول بهِ الآن في علم النفس الحديث والذي يجب ان يكون في ذاتهِ دليلاً للترجمة فالاحساسات تنقسم الى اربعة اقسام رئيسية هي

I Exteroceptive (outer)	وتشمل الالم العضوي والحرارة كمؤثر خارجي
II Preperoceptive (inner)	كالنطق والاحساس العضلي
III Interoceptive (inner)	كالاحساس بالجوع والعطش
IV Exteroceptive complex	كالسمع والبصر

المراجع
(1) H. J. Watt "The Sensory Basis or Structure of Knowledge"
(2) Sir Percival "The Psychology of Perception"
(3) Haliburton "A Handbook of Physiology"

(1) The Sensory Basis or Structure of Knowledge

وقد اقتصر معظم المؤلفين على ذكر الحواس الخمس الرئيسية السمع والبصر الخ واضاف الاستاذ حامد عبد القادر (ص ٤٩ الجزء الثاني) المعدة فقال (عدد الحواس عند القدماء خمسة ... واضاف المحدثون المعدة) وذكر (ص ٤٨) الحس الخارجي (للاحساسات الجلدية) والباطني (للالم والسرور) والموضعي والحركي وذكرها الاستاذ قنديل (ص ١٢ الجزء الثاني) كما يأتي

احساسات عضوية كالتنفس والدورة الدموية (ومنها الحشوية كالقلب والرئتين) ثم الحركية فالجلدية فالشمية والسمعية الخ

اما الاشياء المحسوسة ذاتها فقد سميت تارةً بالمحسوسات (شريف ص٢٧) وتارةً بالمحسات (شريف ص ٥٥)وهذه على كل حال ليس لها مقابل بالانكليزية يكمل مجموعة Percept (المدرك الحسي) و Concept (للمدرك الكلي) ولذلك اقترحنا ان تضاف كلمة Sencept (للمحسوس) اما كلمة Stout الجديدة Sensum التي تدل على مجموع الآثار الحسية التي تحل في العقل محل المؤثر الاصلي فيدركه العقل على مقتضاه ، فلم ترد بعد في المؤلفات العربية

موضوع الادراك الحسي

ذكرنا ان العقل في مرتبة الاحساس يستقبل الآثار الصادرة عن المؤثرات الخارجية ولكن لا يكون لهذه الآثار قيمة عقلية او شأن في الحياة العقلية الاّ اذا اعطاها العقل معنىً محدوداً يربط هذا الموقف الحاضر بمواقف سابقة عن طريق التداعي والتذكر والاسترجاع والتعرف وغير ذلك من العمليات التي تساعدنا على ادراك المواقف الخارجية اي انه (كما يقول سانديفورد) يقوم بعملية التعبير عن الاحساسات وترجمتها بطريقة تشعرنا بوجود المحسوسات التي هي مصدر هذه الاحساسات (راجع كتاب علم النفس — النظري والتعليمي لكاتب هذه السطور) . وهذه العملية تعرف في الافرنجية بكلمة Perception وجمهرة الاساتذة تميل الى ترجمة هذا المصطلح بـ « الادراك الحسي » ولكنهم في مواطن كثيرة استخدموا له مرادفات تجعل المعنى غامضاً بعض الغموض . فالشيخ شريف سماه الادراك الذهني (ص ٣) والحسي (ص ٢٥) والانساني (ص ٦٩) وكذلك ذكر له مراتب لا نجد لها مثيلاً في الافرنجية الحديثة الى ادراك اوّلي (ص ٧٥) وهو ادراك الموجودات الخارجية والتميز بينها وهذا بدوره ينقسم الى ادراك اوّلي حسي (ص ٩٣) وهو معرفة الاشياء بمجرد الحس بها وادراك اولي وجداني (ص ٩٣) وهو معرفة الاشياء بمجرد وجدانها (كذا) ثم ادراك اولي عقلي (ص ١١١) وهو معرفة المعاني العامة الضرورية البالغة الغاية في الوضوح ومن ناحية اخرى قسمه (ص ٩٨) الى ادراك طبيعي من طبيعة الحواس نفسها وكسبي بعد تمرين الحواس واشراك بعضها مع بعض . وفي بعض المواضع اعتبر الادراك من عمل الحواس

فقال (ص ٢٥) للنظر ان يدرك كنه الاشياء . واشياء يستحيل ادراكها بالحس . والجارم (ص ٧٩) ذكر ولوع الطفل باحساس الشيء (اي ادراكه ادراكاً حسيًّا)

ولا يتعين في الادراك الحسي ان يعرف الانسان حقيقة ما يحس به ولو أنهُ يدركه ومن باب اولي لا يعلم بهِ علماً تامًّا فكثيراً ما يخطيء الادراك وتخدع الحواس ومع هذا يقول الاستاذ حامد (ص ٧٠ جزء ٢) الادراك الحسي يتضمن العلم بوجود شيء وفي (ص ٧٩) وظيفة الادراك الحسي هي ان تكون على علم تام بما هو واقع فهو العلم بالواقع وفي موضع آخر يشير الى بعض الادراكات الحسية (ص ١٣٦ جزء ٢) بأننا لا نشعر بهذه الاحساسات شعوراً محدوداً واضحاً وفي (ص ١٣٧) ومهما يكن من أمر هذه الاحساسات فانها غامضة يشعر بها عنصر وجداني يتغلب على العنصر الادراكي وهذا مناقض للتعريف الذي ينص على تمام العلم بالواقع عند الادراك الحسي . وأنا أرى ان ترجمة Perception بالادراك الحسي يجعل الحس صفة للادراك في حين ان المقصور هو ادراك العقل لما يحس بهِ فالحس صفة للمدركات وليس للادراك ولذلك ارتاح الى ترجمتها «بادراك المحسوسات» . أما المدركات ذاتها Percepts فأفضل ترجمة لها المدركات الحسية تمييزاً لها عن المحسوسات التي لم تدرك بعد وسماها حامد (ص ١٣٦ — ٢) بالادراكات الحسية ولعله يقصد انواع الادراك من حيث تعدد المدركات ففي (ص ١٠٠ — ٢) يقول تنقسم الادراكات الى عليا ودنيا . فالعليا هي الابصار والسمع الخ والمعنى غامض على كل حال لان السمع والابصار ليسا ادراكات ولا مدركات وانما هما احساس

وبعد ادراك المحسوسات ترتبط هذه المعلومات الجديدة بما يماثلها في كتلة معلوماتنا القديمة حتى تصير منها وتسمى هذه العملية Apperception ولم يشر اليها واحد من المؤلفين الاَّ الاستاذ حامد (ص ١٩٨ — ٢) فقد ترجمها الترابط وترجم Corrolation وهي عملية ادراك العلاقات بين المواقف (على حد رأي العلامة الانكليزي Spearman) بالرابط وهما عمليتان مختلفان ولكنهُ عاد فترجم Apperceiving mass بالكتل الرابطية (يقصد الترابطية) وانا أميل الى ترجمة عملية Apperception بتثبيت المدركات الحسية للاسباب التي ذكرتها في المقال السابق

فاذا ازدادت المدركات الحسية المتشابهة في الذهن عمد العقل الى الاقتصاد في عملياتهِ الادراكية فيجرد هذه المدركات من صفاتها العرضية ومميزاتها الحسية وينتزع الصفات الجوهرية ويضيع منها معنىً كليًّا يعممه على كل انواع هذه المدركات المتشابهة او المترابطة وتعرف هذه العملية في علم النفس والمنطق بكلمة Conception والمدرك الكلي Concept وقد ترجموها بادراك الكليات وتارةً المعقوليات والمفهوميات واضاف حامد (ص ٢٥—٢) ادراك الكلي المعنوي وكذلك اضاف الى عمليات الادراك الثلاث السابقة او مستويات الادراك ما سماه (ص ٢٥ — ٢) المستوى الفلسفي

الكتب والكتّاب والقرّاء

في جمهوريات روسيا

ما تنشرهُ المطابع وما يطالعهُ القرّاء

هل تصدق ايها القارىء الكريم انه طبع في روسيا في سنة ١٩٣١ ترجمة كل مؤلفات العلامة دارون فبيع منها في خلال سنة واحدة عشرة آلاف مجموعة وان خمسة آلاف نسخة من منطق هجل نفدت في خمسة ايام . وان مجموع النسخ التي بيعت في سنة ١٩٣٢ في جمهورية روسيا وحدها من الكتب والرسائل الجديدة بلغ ستمائة مليون نسخة ؟ اقرأ اذن ما يقوله اللورد باسفيلد (سدني وب) وهو من احرص الكتاب على توخي الحقيقة وايرادها

كان لنين يرى ان الكتب والرسائل والمجلات ، ناحية خطيرة الشأن ، من بيئة الانسان الاجتماعية . فيجب ان لا تترك للصدفة تتصرّف فيها ، ولا لشركات المتموّلين يستغلّونها لفائدتهم الخاصة ، ويضللون بما ينشرونهُ من المؤلفات اذهان الشعوب السوفيتية . لذلك جعل الحكومة السوفيتية المشرفة العليا على كل ما يطبع وينشر في روسيا من الكتب والرسائل وجعل دور النشر ملكاً للامة كغيرها من المرافق العامة ، يضاف ما تجنيه من الربح في تجارتها الى ريع الدولة

وقد خطت الحكومة في هذه الناحية خطوات الجبابرة ، في خلال ١٣ سنة من يوم انشئت دار النشر الخاصة بالدولة في موسكو (وتعرف بالاوجيس Ogis) سنة ١٩١٩ الى آخر السنة الماضية . ففي سنة ١٩١٤ كان مجموع النسخ التي تباع في روسيا من الكتب والرسائل الجديدة لا يزيد على ١٣٠ مليون نسخة . وظلّ التقدم بطيئاً خلال السنوات العشر الاولى بعد الانقلاب (١٩١٧ — ١٩٢٨) ولكنه زاد زيادة كبيرة جدًّا في خلال السنوات الاربع الاخيرة ففي سنة ١٩٣٢ بيع من هذه النسخ ثلاثة اضعاف ما بيع سنة ١٩٢٨ ويقدر ما ينتظر بيعه هذه السنة بثمانية اضعاف ما بيع سنة ١٩٢٨ وقد ذكر اللورد باسفيلد في مقالة له في مجلة التاريخ الجاري (مارس ١٩٣٣ ص ٧٩٧) ان دور الطبع والنشر في جمهورية روسيا (دون غيرها من الجمهوريات السوفيتية كاوقرانيا ، التي يتألف منها اتحاد الجمهوريات السوفيتية) اخرجت وباعت في سنة ١٩٣٢ اكثر من ٦٠٠ مليون نسخة من الكتب والرسائل الجديدة البالغ عددها نحو ٤٠ الفاً وان متوسط عدد الملازم (الملزمة ١٦ صفحة) في كل نسخة منها بلغ خمس ملازم

اي ان مجموع الصفحات التي اشتملت عليها الكتب والرسائل الجديدة بلغ ٤٨٠٠٠٠٠٠٠٠ صفحة . وان مجموع الكتب والرسائل الجديدة التي نشرت في اتحاد الجمهوريات السوفيتية بلغ ٥٠ الفاً وعدد ما بيع منها من النسخ ٩٠٠ مليون . يضاف الى ذلك ان في هذا الاتحاد نحو ستة آلاف جريدة ومجلة مجموع النسخ التي توزع منها (يوميًّا او اسبوعيًّا او شهريًّا) اربعين مليون نسخة . فحركة النشر في اتحاد الجمهوريات السوفيتية تعدل بحسب تقدير اللورد باسفيلد ما يقابلها في الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا والمانيا معاً

والحكومة الروسية تجني من عملها هذا ربحاً جزيلاً . فقد بلغ دخل دار النشر في موسكو (اوجيس) سنة ١٩٣٣ اكثر من ٢٥٠ مليون روبل (٢٥ مليون جنيه ذهب) ولكن هذا المبلغ يشمل ما بيع في فروع الدار من الورق وادوات الكتابة ومطبوعات الدور الاخرى كذلك. وأما ثمن ما بيع من مطبوعات الدار نفسها فنحو نصف ذلك . وبلغ الربح الصافي الذي جنته الحكومة الروسية من هذه الدار في السنة الماضية نحو ثلاثة ملايين جنيه

على ان سعة انتشار الكتب، ووفرة ربح الحكومة، لا يهمّاننا في هذا المقام، بقدر ما تهمّنا معرفة الموضوعات التي تعالجها هذه الكتب، وكيف يعامل كتّابها، ووسائل طبعها ونشرها ومراقبتها

فاذا صرفنا النظر عن الصحف الدورية ، وجدنا ان الكتب والرسائل التي تخرجها مطابع السوفيت تتباين من كرّاس صغير ، لا يزيد على اربع صفحات ، ويحتوي على خطبة للرفيق ستالين (يطبع من كراس كهذا عادة نحو مليوني نسخة) الى ترجمة كاملة لكل مؤلفات داروين التي طبعت ونشرت سنة ١٩٣١ في ثمانية مجلدات. وقد طبع منها ١٠ آلاف نسخة كاملة فنفدت كلها قبل مايو سنة ١٩٣٢ . ثم اعيد طبعها في عشرة مجلدات وعشرة آلاف نسخة ولا يبعد ان تنفد قريباً. ولا ريب في ان الجانب الاكبر من المطبوعات الجديدة مؤلف من رسائل صغيرة ، ليس لها رونق خاص . ولكنك تجد كذلك مجلدات ضخمة مطبوعة على ورق من اجود اصناف الورق تحتوي على صور ملوّنة لاشهر الآثار المعلقة في دور السوفيت الفنية ، بل ان كثيراً من المطبوعات في المقام الاول من ناحية الفن والصناعة . والكتب تطبع في نحو خمسين لغة مختلفة من اللغات المستعملة في طول الاتحاد الروسي وعرضه من لبلندا على شواطئ المحيط المتجمد الشمالي الى مضيق بيرنغ الفاصل بين آسيا واميركا الشمالية

وتجد الى جنب مؤلفات الكتّاب الروسيين والاوقرانيين ، مؤلفات الالمان والانكليز والفرنسيين والايطاليين والاسبان والسويديين والتشكيين ، ومؤلفات الاجانب في الغالب علمية او صناعية . ولا تخلو من روايات وشعر وتاريخ . اما المطبوعات الموسيقية فكثيرة جدًّا ولا تقتصر على مؤلفات امة دون اخرى

وليس بالامر اليسير معرفة مقام المؤلفات الادبية معرفة مضبوطة ولكنها اذا قيست بسائر

المطبوعات لاتقلُّ نسبتها الآن عنها في ايام الحكومات القيصرية . فهي ثمانية اضعاف ما كانت عليهِ قبل الثورة . فتجد في قائمة المطبوعات الادبية آثار الروائيين الروس القدماء والمحدثين على السواء محاذية لآثار الروائيين الانكليز والاميركيين والالمان والفرنسيين وقد ترجمت كلها وطبع منها الوف بل عشرات الالوف من النسخ . وقد أُعلن عن اخراج جميع مؤلفات فلوبير وبلزاك الفرنسيين في سنة ۱۹۳۳ فليس من الصواب ان يقال ان الادب الروسي او الادب المطبوع في روسيا كلهُ ادب دعاية للنظام السوفيتي

ولعلَّ الامر الذي يدهش لهُ الزائر عدد النسخ التي تطبع من كل كتاب. فيسترعي نظرهُ اولاً عدد الرسائل الصغيرة التي يطبع منها عشرات الالوف فيحسب ان الرقم ٦٠٠ الف نسخة — وهو عدد النسخ التي بيعت من الكتب والرسائل الجديدة من دار موسكو — رقم مضلّل لان معظم ما يباع انما هو هذه الرسائل القصيرة . ولكن اذا حسبت ان عدد النسخ التي بيعت ٦٠٠ مليون نسخة فيها نحو ٣٠٠٠ مليون ملزمة — وان الرسائل الصغيرة تتراوح بين نصف ملزمة او ربع ملزمة وملزمتين — ادركت ان لا بدّ ان يكون بين هذه الكتب مجلّدات ضخمة. والواقع ان مؤلفات ماركس وجوته وداروِن ولنين ، تطبع وتنشر في مجموعات كل مجموعة منها تختلف من ثمانية مجلدات او عشرة الى عشرين مجلداً . ومتوسط الطبعة الاولى من كل المطبوعات الجديدة في سنة ۱۹۲۹ سواء اكانت كتباً او رسائل او مجموعات كتب ، كان ۱۰۷۰۰ نسخة فبلغ سنة ۱۹۳۱ خمسة وعشرين الف نسخة . فاذا فرقنا بين مؤلفات العامة — كالرسائل والموجزات وكتب الاطفال — ومؤلفات الخاصة ، وجدنا ان متوسط الطبعة الاولى من الطائفة الاولى كانت ١٦٥٠٠ نسخة سنة ۱۹۲۹ فبلغت ٥٤٠٠٠ نسخة سنة ۱۹۳۱ اما مؤلفات الخاصة فكان متوسط طبعتها الاولى سنة ۱۹۲۹ نحو ٤٠٠٠ نسخة فبلغت ۱۱٦۰۰ نسخة سنة ۱۹۳۱ واما كتب الاطفال فليس من النادر ان تكون الطبعة الاولى ۲۰۰ الف نسخة

وكل كتاب ، كتبهُ ماركس او لنين ، قديماً كان او جديداً ، مطبوعاً من قبل او مخطوطاً يطبع منهُ ۱۰۰ الف نسخة في البدء. وقد يهم علماء الاقتصاد في مصر ، بل في دول الغرب ، ان يعلموا ان كتاباً في الاقتصاد لعالم اقتصادي روسي غير مشهور في اوربا واميركا ، طبع منهُ في سنة ۱۹۳۲ مائة الف نسخة وان رسالة علمية عويصة اخرجت في طبعة من خمسة آلاف نسخة، وان العالِم پاڤلوف لما اخرج كتابهُ الجديد في « الافعال العكسية المحوّلة » طبع منهُ في دار موسكو عشرين الف نسخة وجعل ثمنهُ نحو ۷۰ قرشاً فنفدت الطبعة كلها في الحال

بل هنالك ما هو اغرب من ذلك وابعث على الدهشة . ففي سنة ۱۹۳۲ اخرج اول جزء من دائرة معارف الفيلسوف هجل ، وهو كتاب عويص في المنطق وكان المطبوع منهُ ٥٠٠٠ نسخة فنفدت في خلال خمسة أيام ، فطبع منهُ ثمانية عشرة آلاف نسخة نفدت في شهر فطبع

منهُ ثالثة ١٥ الف نسخة وبعد ثلاثة اشهر من صدورها جاءت الانباء بأن الطلب عليها ما يزال متوالياً . والراجح انها تنفد قبل نهاية السنة

والظاهر مما تقدَّم ان ما يطبع من هذه الكتب على كثرتهِ لا يكفي لسدّ الطلب فلما قيل لدار «الاوجيس» في ذلك قال مديرها انهُ لا يستطيع الحصول على المقدار الكافي من الورق مع ان المصانع الروسية تخرج مقادير كبيرة منهُ . فلما طلب الى اللجنة التي تدير مشروع السنوات الخمس ان تزيد مقدار الورق المصنوع قالت انها لا تستطيع الآن ان تزيد عدد العمال في مصانع الورق لانها تحتاج اليهم في الأعمال الأخرى التي لا بدَّ من انتاجها للتصدير تسديداً لثمن واردات لا ندحة لروسيا عنها

اما توزيع هذا العدد الكبير من الكتب والرسائل فقد اصبح عملاً دقيقاً واسع النطاق ودار النشر في موسكو التي تخرج نحو ثلاثة ارباع الكتب التي تنشر وتباع في جمهورية روسيا لها الآن نحو سبعة آلاف فرع في طول البلاد وعرضها ، يديرها رجال ونساء يتناولون مرتباً معيناً مع مبلغ اضافي يختلف باختلاف الكميات التي يبيعونها من الكتب . وتكاد الدار لا تنشر اي اعلان عن كتبها مكتفية بالمراجعات التي تنشرها الصحف . ولكنها تنشر قوائم تحتوي على عناوين المطبوعات وتفصيلات عن حجمها وثمنها وترسلها الى المكتبات والاندية في موسكو وجوارها . ثم ان كتاب « تجارة الكتب السوفيتية » وهو عبارة عن كاتالوج وبيان للمطبوعات الجديدة يصدر مرة كل ١٥ يوماً ويطبع منهُ نحو ١٥ الف نسخة ترسل الى الذين تعرف عنهم رغبتهم في شراء الكتب . وهذا هو النظام الذي تجري عليهِ دور النشر في الجمهوريات السوفيتية الاخرى . ومما يبعث على الدهشة سرعة نفاد الكتب الغالية والعويصة من دون اعلان عنها . وتعليل ذلك اقبال الجماعات المنظمة على شرائها ، كالمكتبات والمعاهد العلمية والاندية والنقابات . فكل من هذه المنشآت تملك مجموعة من الكتب ولا تغفل إضافة المؤلفات الحديثة اليها . فلا يكاد يظهر ذكر كتاب في القائمة التي توزعها دار النشر حتى تنهال الطلبات عليهِ من هذه الجماعات المنظمة . وهذا يعلل لك سرعة نفاد مجموعات الكتب العويصة او الغالية ، كمجموعة مؤلفات داروين ، او مجموعة مؤلفات بلزاك . ويشكو الاساتذة في جامعة كيف انهم اذا تأخروا اياماً في طلب كتاب جديد ، في موضوعهم الخاص ، تعذَّر عليهم اقتناؤه . يضاف الى ذلك نحو ١٠ آلاف استاذ ومحاضر في الجامعات ومعاهد التعليم العالي ، ونحو ٥٠٠ الف من المدرسين وملايين من الطلاب ، كلهم عطاش ظماء للمطالعة . ومن وراء هؤلاء الصناع والعمال والفلاحون المنتظمون في دروس ليلية يقبلون على الكتب الجديدة التي تصلهم اقبال الظماء على عذب الماء

والاقتصاد في توزيع الكتب يفسر لك كثرة الطلب عليها ورخص ثمنها . يضاف الى ذلك

انفجار الرغبة في المطالعة في نفوس الروسيين. فان الجانب الاكبر من خمسين او ستين مليوناً من السكان، الذين تتباين اعمارهم من ١٠ سنوات الى خمسين سنة قد احسوا فجأة برغبة شديدة في المطالعة ولست تجد في التاريخ ما هو شبيه بذلك

وقد يهم المشتغلين بصناعة القلم، ان يعلموا ان صناعة المؤلف في روسيا، هي اجدى الاعمال من الناحية المالية . ويقال ان مؤلفاً في روسيا يجني من مؤلفاته نحو سبعة آلاف جنيه كل سنة . والغالب ان يتعاقد المؤلف مع دار النشر على مبلغ معين يدفع لقاء طبع عدد معين من النسخ من كتاب له . ويعين هذا المبلغ بالاتفاق مع المؤلف بعد النظر في مقامه وشهرته ، ومقدار العمل الذي اقتضاه تأليف الكتاب ، وعدد النسخ التي يتفق على طبعها منه . فاذا زيدت النسخ المطبوعة عن العدد المقرر في العقد ، او اذا ارادت دار النشر اخراج طبعة جديدة منهُ .زيدت المكافأة التي ينالها المؤلف . فاذا اقتضت الطبعة الجديدة جانباً كبيراً من التعديل والتنقيح ، عومل المؤلف كأنهُ يقدم كتاباً جديداً للطبع . واقل ما يدفع لمؤلف ، على ما قيل للورد باسفيلد ٣٠ جنيهاً للملزمة الواحدة من رواية او كتاب مدرسي ابتدائي ، وسبعة جنيهات الى عشرة جنيهات عن كل ملزمة من كتاب اجنبي ترجمة وتصحيحاً وثلاثين جنيهاً الى ٤٠ جنيهاً عن كل ملزمة من كتاب علمي

اما مؤلفو الروايات التمثيلية فدخلهم اكبر من دخل المؤلفين لانهم يتقاضون نصيبهم من دار النشر ومن المسارح التي تمثل فيها رواياتهم

تُقدَّم الكتب الجديدة على اختلاف موضوعاتها الى دور النشر فيقبل بعضها ويهمل البعض الآخر، فاذا قبل احدها دعي المؤلف الى التعاقد مع الدار . وغالباً ما تختار الدار بعض الكتَّاب المجهولين ، فتشجعهم على العمل وتعهد اليهم في وضع كتب معينة ، وتدفع لهم مقدماً ٢٥ في المائة من الاتعاب ، وعند تقديم الكتاب يدفع للمؤلف ٤٠ في المائة من المبلغ المتفق عليه انما يشترط عليه ان يصحح الكتاب وينقحهُ في خلال الطبع وعند نشره يدفع له الباقي

والمطبوعات كلها خاضعة لرقابة الحكومة . فلجنة المراقبة في موسكو (جلاتقي) لها ممثل في دار من دور النشر ، هو في الغالب مدير الدار . وعليهِ ان يمنع طبع اي كتاب او رسالة قبل ان تنال الفوز بموافقة لجنة المراقبة .فاذا سألت عن الكتب التي تحظرها لجنة المراقبة قيل لك الكتب الفاسدة ، والتي تحتوي على قذف في الناس، او تدعو الى اضطهاد الاقليات الشعبية او الدينية، اوما تشتم منهُ رائحة المقاومة لنظام السوفييت .فاذا رفض طبع الكتاب مرة كان ذلك في الغالب قاضياً عليهِ ، ولكن قد يستطيع المؤلف ان يسترعى العناية لهُ لاعادة النظر فيهِ بواسطة نقابتهِ او بطلب يقدَّم الى ولاة الامر . ولا يندر ان تسفر اعادة النظر عن اقرار الكتاب وطبعهِ



تخطيط الفسطاط (١)

بزوغ نجم العمارة الاسلامية بمصر



كان عمرو بن العاص اداريًّا حازماً وسياسيًّا محنكاً بقدر ما كان قائداً مجرباً . وكانت لهُ بمصر صلة تجارية مكنتهُ من درس احوالها درساً سياسيًّا وحربيًّا واقتصاديًّا قبل قدومه اليها بجيشه لغزوها وانتزاعها من ايدي « الاغريق او البيزنطيين » الذين يقال لهم « الرومان » خطأً هذا ولا يعرف بالتحقيق اين باحث الامير عمرو بن العاص امير المؤمنين « الفاروق » في امر اعداد حملة على مصر بل ولا تاريخ هذه المفاوضة . غير ان المظنون ان هذه المباحثة حدثت في فترة حصار « قيسارية » حيث كان الامير عمرو مشتركاً في هذا الحصار بينما كان امير المؤمنين « الفاروق » مقيماً في معسكره بالقرب من دمشق وكيفما كانت الحال فقد اسفرت المفاوضة بينهما عن الاتفاق مبدئيًّا على فتح مصر بعد ما بسط ذلك الامير الداهية لسيده اسباب الحاجة الى هذا الفتح وضرورة الاستيلاء على مصر اعلاء لشوكة الاسلام ونشراً لرايته

وقد كان من اكبر الاسباب التي حملت عمرو على الاسراع في العمل والزحف على مصر ان « ارطابيون » حاكم اورشليم الاغريقي الذي ترك بيت المقدس قبل ان يضيق المسلمون الحصار عليهِ هرب الى مصر فأخذ يلم شعث جيشها وينظمهُ حتى يستطيع الثبات في وجه الجيش العربي ان حدثتهُ نفسه بالزحف على مصر



سار عمرو على رأس جيش مكون من ٤٠٠٠ جندي حتى بلغ رفح وبحيلتهِ المعروفة طاول رسول امير المؤمنين حتى بلغ العريش واجتاز حدود مصر الى ان بلغ « الفرما » ومنها سار الى القنطرة وواصل السير حتى بلغ الصالحية فبلبيس فاحتلها

شخص عمرو ببصره فلاحت له (هليوبوليس) او (عين شمس) بعد مسيرة يوم كامل وسط المزارع والحقول لكنهُ كان يرنو الى نقطة اخرى على النيل هي قرية (ام دنين) التي كانت شمالي مدينة بابليون عاصمة مصر في ذلك العهد والتي يكاد يكون موقعها اليوم على التقريب محصوراً بين شارع كلوت بك شرقاً وجنوباً وبين شارع قنطرة الدكة غرباً وشارع اولاد عنان

---

(١) نص محاضرة القاها الاستاذ محمود احمد مدير قسم الآثار العربية بوزارة الاوقاف في نادي رابطة الادب الجديد بمصر

ونوبار باشا شمالاً . فقد كانت(ام دنين)ميناءً نهريًّا هامًّا وموقعاً حربيًّا حصيناً وخط دفاع قوي عن ذلك الحصن المنيع المعروف بحصن(طريانوس)والذي نسميهِ اليوم (قصر الشمع) القائمة فوقهُ الآن (الكنيسة المعلقة) الغنية عن الذكر

لذلك كان لا بدَّ للجيش العربي لكي يستولي على عاصمة مصرحينذاك وعلى حصنها — من الاستيلاء اولاً على(ام دنين) وكان لابدَّ للاروام لكي يحافظوا على العاصمة وحصنها من الاحتفاظ بام دنين وعدم تمكين العرب من الاستيلاء عليها . فدافعوا عنها دفاعاً شديداً اوقف جيش عمرو عن التقدم نحو بابليون فترةً غير قصيرة . وجعل مصير المعركة معلقاً في ميزان القدر لا يعلم ايُّ الفريقين يكون النصر في جانبه يدلُّ على ذلك قول المقريزيّ : —

ان القتال اشتدَّ عند ام دنين حتى تأخر النصر وقول ابي المحاسن حمي وطيس الحرب الى درجة جعلت معرفة اي الفريقين ينتصر مشكوكاً فيها

واخيراً وبخدعة حربية قامت بها القيادة العربية بعد ما وصلتها امداد كافية تحت قيادة الامير الزبير بن العوام ثم بجهل (تيودور) قائد الجيش الرومي بخدعة عمرو الحربية ، انهزم الروم هزيمة تحوَّلت الى كارثة حيث ابيد جيشهم عن بكرة ابيه الاَّ ٣٠٠ جندي تقهقروا الى حصن بابليون فوجدوا ابوابه مغلقة استعداداً من حاميته للدفاع عنهُ

لكن الاخبار التي تسرَّبت الى حامية الحصن خاصة بشدة هول النضال وبشدة بأس العرب خلعت قلوب جانب من حماة الحصن فلجأُوا الى الفرار بطريق النيل الى مختلف الجهات

وكذلك اذنت نتيجة معركة ام دنين بقرب زوال الحكم البيزنطي ووضع اول حجر في أساس الحكم العربي

***

تحصن الاروام داخل حصن بابليون واحاطوه بخندق عميق نشروا في قاعهِ حسك الحديد (الحديد الشائك) . لكن القدر كان قد بتَّ في مصير هذا الحصن فان انتصار العرب في ام دنين كان لهُ تأثير عظيم ومزايا لا تقدَّر. فان بابليون او(مصر) التي كان يحميها الجيش الرومي المرابط في هذه العاصمة . اصبحت تحت رحمة عمرو الذي ملكها بغير قتال ثم سيطر على شاطىء النيل شمالي الحصن وجنوبيهُ بعد ما نقل معسكره من هليوبوليس وحشد جيشهُ شمالي الحصن في فضاء من الارض ممتد على التقريب اليوم من جامع عمرو جنوباً الى مجرى العيون بفم الخليج شمالاً اطلق عليهِ الاروام اسم (فساطوم) اي (المضرب) وسماه العرب بعد ذلك (الفسطاط) وفيهِ انشأ العرب بعد سقوط حصن بابليون في ايديهم تلك البنايات الساذجة التي كان قوامها الطين واللبن والتي تكوَّن من مجموعها حيٌّ من احياء العاصمة كان على بساطته مقرَّ الحكم

ودار الامارة . اما ما ذكره المؤرخون غير ذلك من اسباب تسمية الفسطاط فلا سند له ولا يصح الركون اليه

نمت الفسطاط واتسعت عاماً بعد عام وادمجت فيها بابليون العاصمة القديمة فتنازلت لها هذه عن السيادة الى الآن ورضيت مرغمة بمحو اسم (بابليون) من عالم الوجود الاَّ انها احتفظت باسمها الثاني اسمها الخالد وهو (مصر) فان الفسطاط مع سطوتها لم تستطع محوه بل ولا اخفاءهُ فرضيت بمشاركته وصارت فسطاط عمرو تعرف (بالفسطاط وبفسطاط مصر) و(مصر) فقط فلما انشئت القاهرة ونقل مركز الحكم اليها تغلب اسم (مصر) على الفسطاط فتوارت الفسطاط كثيراً وها نحن اليوم نناديها باسم (مصر العتيقة) وذلك على الرغم من ان هذا الحي الذي نناديه الآن بذلك الاسم كانت ارضه وقت انشاء الفسطاط جزءًا من مجرى النيل مغموراً بمائه لم ينحسر عنها الاَّ في اواخر القرن الرابع الهجري ولم تنشأ فيها ابنية الاَّ بعد ذلك التاريخ

وهنا نرى الفرصة سانحة للجهر بحقيقة يتعين علينا اثباتها خدمة للحق والتاريخ وهي ان الفسطاط دثرت ودرست معالمها من نحو خمسة قرون ودفنت انقاضها وآثارها واسمها تحت تلك الاطلال الممتدة من عين الصيرة جنوباً الى حي البغالة وابن طولون شمالاً الى ان كانت سنة ١٩١٨ حيث بعث اسمها من مرقده الاثري المؤرخ المرحوم «علي بك بهجت» مدير الآثار العربية الاسبق وبذل جهد الجبابرة حتى رفع التلال عن جزء من موقعها ثم عهد اليَّ في اعادة تخطيطه على اصله واصلاح ما امكن من بيوته ومصانعه التي ابقى الدهر على كثير من معالمها . وقد تفضل بعد ذلك جلالة مليكنا المعظم فشرَّفها بزيارته الكريمة وها هي اليوم يؤمها الفضلاء والعظماء من رجال الآثار ولا تزال تنادي ابناءها المهندسين المصريين ان تعالوا وابحثوا ونقبوا ففي آثاري من مواد البناء ومونه وطرق تخطيطه ما انتم بحاجة شديدة الى درسه وتفهمه والوقوف على مكنون سره مما يساعدكم على النهوض باعباء اعمالكم الحاضرة وفي بيوتي من النظام والترتيب ما يهديكم الى الطراز الملائم لمناخ بلادكم وعاداتها وما يجعلكم توقنون حقًّا ان تلك المدارس الاسلامية المتعامدة انما اختطَّها المماليك على مثال ذلك البيت القديم المصري البديع



نعود الى حصن بابليون فنراهُ على الرغم من هروب بعض حاميته قويًّا منيعاً يعزُّ على المهاجم اقتحامه خصوصاً بعد ما تعزَّزت حاميته بالنجدات القوية التي جمعها قواد الروم من انحاء الوجه البحري ووضعوها تحت تصرف (سيروس) الذي سماه العرب (المقوقس) حاكم مصر ونائب الامبراطور (هرقل)

كذلك نرى جيش عمرو محدقاً بالحصن من جهتيه البحرية والشرقية فقط بخلاف الجهتين

الغربية والجنوبية فقد كانتا مشرفتين على النيل ثم نرى القتال يستأنف بين الطرفين من آن الى آن بغير جدوى للعرب لوفرة معدات الحرب عند الروم وقلتها عند اعدائهم، ودامت الحال على هذا المنوال نحو ثمانية شهور ساور القلق امير المؤمنين (الفاروق) في خلالها على جيوش المسلمين التي رأى قوادها ان الحيلة اجدى من القوة فعمدوا اليها ، وكان الامير « الزبير بن العوام » رئيس اركان حرب عمرو هو المنفذ لها . فأنه خدع الحامية وغافلها وتركها في احدى الليالي تنام هادئة مطمئنة الى ان ادبر النصف الأول من الليل ثم أتى بسلم صعد عليه حتى بلغ قمة سور الحصن ولحق به البعض من اتباعه ومن القمة انحدروا الى احد ابواب الحصن [1] فقتلوا حراسه ثم فتحوه فتدفقت منه بقية الجيش وتغلغلت في داخل الحصن واعملت سيوفها في رقاب الحامية التي اخذت على غرة فتسابق رجالها الى الفرار ووطد العرب اقدامهم فلم تكن الا هنيهة حتى علا التكبير والتهليل ونادى بشير العرب (نصرٌ من الله وفتحٌ قريب)

لم يكن المقوقس حاضراً تلك المفاجأة التي اعقبتها الهزيمة الساحقة . بل كان قبلها قد نقل مركزه الى جزيرة الروضة هرباً من تلك الكارثة التي كان قد توقع حدوثها فاستعدَّ من قبل لها فركب سفينة اقلته من داخل الحصن الى الجزيرة مجتازة ذلك الباب التاريخي المعروف بالباب الحديد والذي تعلو برجيه الكنيسة المعلقة حالاً [2]

***

ودارت مناظرة ظريفة بين المقوقس وبين رئيس الوفد العربي الذي ارسله عمرو بن العاص الى الاول اجابة لطلبه للمفاوضة في الصلح وذلك قبل سقوط الحصن وقد دلَّ اختيار اعضاء الوفد ورئيسه على علوّ كعب في السياسة من جانب عمرو بقدر ما دلت لهجة « عبادة بن الصامت» رئيس الوفد في مخاطبة المقوقس على مبلغ علوّ النفس والاعتداد بها

ركب عبادة — وكان طوله عشرة اشبار — السفن الى المقوقس ودخل عليه مع اصحابه فهابه المقوقس لسواده فقال « نحّوا عني هذا الأسود وقدّموا غيره يكلمني » فقالوا « ان هذا

(١) عدد (ابن دقاق) و (المقريزي) وغيرهما من المؤرخين على اختلاف اجناسهم ابواب الحصن وقرر بعضهم ان العرب دخلوا الحصن من بابه الجنوبي الذي هرب المقوقس منه والذي تقوم الآن على برجيه الكنيسة المعلقة وذلك رغماً عن ان موقعه من النيل يحول دون الدخول منه والمرجح المعقول جداً ان العرب دخلوا الحصن من باب رئيسي مفتوح في جدار الشرقي كشفت آثاره لجنة حفظ الآثار العربية سنة ١٩٢٥ م وهذا الباب لم يعده احد من المؤرخين من ابواب الحصن المعروفة مع انهم ذكروا امثاله فهل لنا ان نستنتج من هذا ان ابن دقاق والمقريزي كانا يعتمدان في تدوين مؤلفاتهما على النقل دون المعاينة. هذا ما تدل قرائن الحال عليه لان هذا الباب الشرقي الضخم كان كغيره من ابواب الحصن ظاهراً للعيان في عهد المقريزي

(٢) هذا ما اجمع عليه المؤرخون غير اني ارجح ان خروج المقوقس كان من الباب الغربي للحصن الباقي هيكل برجه الجنوبي الى الآن . اما برجه الشمالي فتعلوه الآن كنيسة مار جرجس

الاسود افضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمقدَّم علينا نرجع جميعاً الى رأيه وقوله وقد رأسه الامير علينا وامرنا ان لانخالف رأيه وقوله ». فقال المقوقس لعبادة « تقدم يا اسود كلمني برفق » فتقدَّم نحوه عبادة فقال ما ملخصه : —

قد سمعت مقالتك وان فيمن تركت من أصحابي الف رجل اسود كلهم اشد سواداً مني وافظع منظراً ولو رأيتهم لكنت ارهب لهم منك لي وانا وقد وليت وادبر شبابي ومع ذلك فاني بحمد الله ما اهاب مائة رجل من اعدائي لو استقبلوني جميعاً وكذلك اصحابي وذلك لأن رغبتنا في الجهاد في سبيل الله لا رغبةً في الدنيا وما يبالي احدنا اكان له قنطار من ذهب ام كان لايملك الاَّ درهماً لان غاية احدنا من الدنيا اكلة يسد بها جوعه لليله ونهاره وشملة يلتحفها لان نعيم الدنيا ليس بنعيم وانما النعيم والرخاء بالآخرة

فلما سمع المقوقس ذلك قال لاصحابه « هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لأهيب عندي من منظره » ثم اقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له

« ايها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن اصحابك واخبرك انه قادم الينا لقتالكم جيش من الروم لا يحصى عدد رجاله معروفون بالنجدة والشدة لا يبالي أحدهم من لقي ومن يقاتل وانا لنعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد اقمتم بين اظهرنا شهوراً وانتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نعطف عليكم لقلة ما بايديكم وتطيب انفسنا ان نصالحكم على ان نعطي كل رجل منكم دينارين واميركم مائة دينار ولخليفتكم الف دينار فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل ان يغشاكم مالا طاقة لكم بهِ »

فقال عبادة بن الصامت : — « يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك. اما ما تخوفنا بهِ من كثرة عدد الروم وشدتهم وانا لا نقوى عليهم فلعمري ما هــذا بالذي تخوّفنا بهِ ولا بالذي يثنينا عما نحن فيه . وان كان ما قلتم حقّـاً فذلك والله ارغب ما يكون لنا في قتالكم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا أقدمنا عليه فان قتلنا عن آخرنا كان ذلك امكن لنا في رضوانه وجنته ونكون منكم حينئذ على احدى الحسنيين اما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم ، اوغنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا، وانها لأحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله عزَّ وجل قال لنا في كتابه: (كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين) . وما منا رجلٌ الاّ وهو يدعو ربه صباحاً ومساءً ان يُرزق الشهادة وان لايردّه الى بلده ولا الى ارضه ولا الى اهله وليس لأحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه اهله وولده وما همنا الاّ ما امامنا

« وأما قولك اننا في ضيق وشدّة من معاشنا وحالنا فنحن في اوسع السعة . ولو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا اكثر مما نحن عليه فانظر فيما تريد فليس بيننا وبينك

الاّ خصلة من ثلاث فاختر ايها شئت . ولا تطمع نفسك في الباطل . بذلك امرني الامير وبها امره امير المؤمنين وهو عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم من قبل الينا . اما ان اجبتم فالاسلام او الجزية فان ابيتم فليس بيننا وبينكم الاّ المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا او نصيب ما نريد منكم فانظروا لانفسكم »

وبعد حوار طويل بين عبادة بن الصامت وبين المقوقس من ناحية ثم بين هذا الاخير وبين اتباعه من ناحية اخرى قطعت المفاوضة واستؤنف القتال الذي انتهى بسقوط الحصن كما اسلفنا . وما خان صفر من سنة ٢٠ للهجرة (٢٠ يناير سنة ٦٤١م) حتى اعلن الامير عمرو ابن العاص فتح مصر فكان هذا الاعلان ايذاناً بضياع آخر وأثمن درّة في جبين الامبراطورية البيزنطية . واذا كان امبراطورهم عند ما طرده العرب من سوريا قال وهو ينظر اليها من فوق ظهر سفينته السلام عليك يا سوريا سلاماً لا اجتماع بعده فانا لا ندري ماذا قال قواده عند ما فارقوا الحصن نادمين على ملك افرطوا في التفريط فيه

***

كان اول ما عُني بهِ عمرو لما اصبح امير مصر ان شيد جامعهُ ثم وزع ما حوله من الارض على الجماعات من القبائل المتنوعة التي تألف منها جيشه فاختطت كل قبيلة فيما اختصت بهِ خططاً تألف من مجموعها اول عاصمة اسلامية للديار المصرية وأول نواة للعمارة الاسلامية بها

وفي الجهة البحرية من الجامع بنى عمرو داراً له وأخرى غربيها لابنه عبد الله عرفت «بالدار الصغرى» تمييزاً لها عن دار ابيه التي عرفت بالدار الكبرى . كذلك بنى الزبير بن العوام داراً لهُ بجوار دار عبد الله . وظلّ عمرو حاكماً لمصر الى ان عزل عنها سنة ٢٣ هـ (٦٤٤م) ثم عاد اليها سنة ٣٨ هـ (٦٥٨م) وبقي حاكماً عليها الى ان توفي سنة ٤٣ هـ (٦٦٣م)

***

اتسعت هذه المدينة رويداً رويداً وارتقت على عهد الخلفاء من بني امية وصارت مقرّاً للولاة من قبلهم وفيها ابتنى عبد العزيز بن مروان امير مصر من قبل اخيه الخليفة عبد الملك الاموي (دار الامارة) تعلوها قبة مذهبة شأن الامويين في تفخيم بناياتهم حتى تبزّ البنايات البيزنطية التي خلفها الروم وراءهم في الاقطار التى انتزعها العرب منهم

ولعلّ دار الامارة هذه كانت اول بناية اسلامية كبيرة في مصر وصل الينا نبأ زخرفتها . وفي آخر لحظة من حياة الدولة الاموية قدم مصر مروان آخر خلفائها فارّاً امام جيوش العباسيين التي كانت تتعقبه حتى وصلت مصر فنزل القائدان صالح بن علي وأبو عون بعسكرهما في الشمال

الشرقي من الفسطاط وهنالك شيدوا المساكن والدور وتكوَّن من مجموعها ضاحية جديدة للفسطاط سميت (العسكر) وفي وسطها بنى صالح بن علي « دار امارة » جديدة صارت مقرًّا للامراء بدلاً من دار عبد العزيز بالفسطاط . ثم بنى الفضل بن صالح جامعاً جديداً بجوارها سمي جامع «العسكر» . وبذلك انتقل مقر الحكم من فسطاط عمرو الى «العسكر» . ولما قدم احمد بن طولون والياً على مصر نزل بدار الامارة والعسكر. ولكن لما ضاقت بعسكره وحاشيته بنى له قصراً خاصًّا في الميدان الذي تحت قلعة الجبل الآن . وانشأ ميداناً بين هذا القصر وبين الجبل القائم عليه حيّ طولون الآن . وحول هذا الميدان بنى قواده وعساكره اخطاطاً كاملة لكل قائد بعساكره خطة خاصة ومن مجموع هذه الاخطاط تكوَّنت مدينة ثالثة شمالي العسكر سميت «بالقطائع» وان تكن في الواقع ضاحية ثانية او امتداداً لمدينة الفسطاط. والى هذه المدينة الجديدة انتقل مركز الحكم والامارة

وقد همَّ بنو طولون بالاستقلال بمصر عن دولة العباسيين ببغداد الاَّ ان دولتهم دالت سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٤ م) فأمر الخليفة المعتضد بالله العباسي عماله الذين جاءوا بعد الطولونيين بهدم القطائع وقصور بني طولون كراهةً فيهم وانتقاماً منهم . فاكتفى هؤلاء العمال بهدم القصور وتركوا القطائع والجامع على حالتهما فبقيت عامرة زاهرة اكثر من قرن بعد زوال حكم مؤسسيها

ولما زال حكم الاخشيديين وامتلك الفاطميون مصر انشأوا القاهرة شمالي الفسطاط . واتخذها خلفاؤهم عاصمة جديدة لملكهم ومقرًّا لهم وحاشيتهم دون سواهم. اما طوائف العسكر والتجار والعمال فكانوا يسكنون الفسطاط . ثم اخذ الناس يفدون على القاهرة آناً بعد آن حتى كسفت الفسطاط . وفي الواقع ان قيام القاهرة اقعد هذه العاصمة القديمة وقضى عليها تدريجاً فكانت القاهرة كلما تقدمت خطوة في سبيل الاتساع والعمران تقهقرت الفسطاط بجانبها خطوة الى الوراء في طريق التدهور والانحطاط حتى قال ابن سعيد (ومنذ بنيت القاهرة ضعفت مدينة الفسطاط وفرط في الاغتباط بها بعض الافراط)

ومما عجَّل في خراب الفسطاط امران (اولهما) الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر ابتداء من سنة ٤٤٦ هـ (١٠٥٤م) حيث ارتفعت اسعار الحاجيات واشتدَّ الغلاء وكثر الوباء بالقاهرة والفسطاط والاقاليم مما سبب الفتنة الكبيرة التي خرب بسببها القطر بأكمله ومهاجرة جانب عظيم من سكان الفسطاط التي تخلى عنها اصحابها . فأخذوا كل ما وصلت اليه ايديهم من مواد البناء ونقلوه الى القاهرة حتى خرب معظم الفسطاط والعسكر والقطائع

والثاني — حريقها في وزارة شاور بن مجير السعدي لسبب التنافس على الوزارة بينه وبين ضرغام ثم تداخل اموري دي لوزينيان منتصراً لشاور سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦م) واعتزامهُ بعد ذلك

بسنتين غزو الفسطاط فسار اليها حتى بلغ بركة الحبش بعد ما استولى على بلبيس

وفي ذلك الوقت كان اكثر العسكر والقطائع خالياً من السكان بخلاف الفسطاط فانها وان لم تكن على عهدها الأول من القوة الاَّ ان سكانها كانوا غير قليلين . ولما لم يسع شاور الدفاع عنها امر باخلائها وحرقها . وهنا ندع المقريزي يتكلم فيقول : —

(فنادى شاور بمصر ألاَّ يقيم بها احد وازعج الناس في النقل منها فتركوا اموالهم ونجوا بانفسهم واولادهم وقد ماج الناس واضطربوا كأنهم خرجوا من قبورهم الى المحشر لا يعبأ والد بولده . ولا يلتفت اخ الى اخيه . وبلغ كراء الدابة من مصر الى القاهرة بضعة عشر ديناراً . وكراء الجمل الى ثلاثين ديناراً . ونزلوا بالقاهرة في المساجد والحمامات والازقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين بعيالهم واولادهم وقد سلموا سائر اموالهم . (الى ان قال) وبعث شاور الى مصر بعشرين الف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء فصار منظراً مهولاً فاستمرت النار تأتي على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتمام اربعة وخمسين يوماً . ومن ثمَّ تحولت مصر الفسطاط الى تلك الاطلال المعروفة الآن بكيمان مصر

وبعد ان اوقد شاور النار في الفسطاط التجأ الى القاهرة . ولم يتمكن أموري من الاستيلاء على مصر لان صلاح الدين كان قد ظهر في عالم الوجود واضحى سيد مصر واستولى على الشام

***

وفي القرن التاسع الهجري لخص القلقشندي المحن التي نزلت بالفسطاط (الى ان قال) : —

(وبعد حريق شاور تزايد الخراب وكثر الخلو ولم يزل الأمر على ذلك في تقهقر أمره (الفسطاط) الى ان كانت دولة الظاهر بيبرس أحد ملوك الترك بالديار المصرية فصرف الناس همتهم الى هدم ما خلا من اخطاطه والبناء بانقاضه بساحل النيل بالفسطاط والقاهرة وتزايد الهدم فيه (الفسطاط) واستمرَّ الى الآن حتى لم يبق من عماراتهِ الاَّ ما بساحل النيل وماجاوره الى مايلي الجامع العتيق (جامع عمرو) وما دانى ذلك ودثرت اكثر الخطط القديمة وعفى رسمها واضمحلَّ ما بقي منها وتغيرت معالمهُ

واليوم ونحن في منتصف القرن الرابع عشر الهجري . لم يبق من الفسطاط الأصلية إلاَّ كيمانها القائم فيما بين النيل والمقطم وما نسميهِ اليوم مصر القديمة لايمكن اعتبارهُ من بقاياها فان المنطقة المحصورة بين خط سكة حديد حلوان شرقاً وضفة النيل الشرقية غرباً لم تظهر الى عالم الوجود الاَّ في اواخر القرن الرابع الهجري بعد ما تحول النيل من مجراه الأصلي شرقاً الى مجراه الحالي غرباً . وسبحان من لا يتحوَّل !!

أدب الصومعة وأدب الحياة

مقدمة الصنّاجة(١)

بين داليّة ابي العلاء (غير مجدٍ) ، و (رباعيات) الزهاوي ، و (مواكب) جبران ، و(صنّاجة)الرياشي نسب وعرق متين. فهي على الجملة قنوط من العيش، وملل من السعي، وتضاحك بالناس . فكأن هذا الفرع من الأدب العربي شيء على حدة ، لا صلة بينه وبين الآخرين !

ويتلاقى على الفرع الجديد شعراء من كل صوب فسرب من ضفاف (دجلة) وسرب من مشارف (المهجر) يضاف اليهم شعراء ما برحوا زغب الحواصل . فلم يعتلوا الجو بعد ، ولا تجاوبت الجهات بأصواتهم . بل تسمع لهم بين الفترة والفترة هتفات تجيء بها الريح وتذهب

وإنك لتعجب حين تدري ان ذلك الفرع العربي الذي نبت ــ او كأنهُ نبت ــ على جوانب (اللزوميات) لم يستقم ساقهُ في النماء ، ولاخرج شطؤه على عادة الشجر ، فهو غراس عجيب، طلع في (المعرة) ، واورق في (نيسابور) . فكأنما نبت في (دهليز) ابي العلاء ، ومال على (بساط) الخيام بالظل والزهر ! فقل في ذلك الفرع الاعوج:غراس نسقيه الماء عربيّاً،فيخرج الزهر فارسيّاً . كاحدى الشجرات في حقلك ، على الحد ، همها عليك ، وظلها على جارك . . .

***

وذلك الفرع لم يتبدّل على الازمنة . فهو منذ ما مدّ الخيام بساطه الى يومك الحاضر شيمة واحدة . مقت للناس كما رأيت ، وهزؤ بالحياة ، واطلاق النفس على الهوى ، وتباعد عن المعترك حتى لتحسب ان الدنيا خلقت لواحد ! فبينا أنت من يومك حيث تعجُّ الدنيا العريضة بالغادين على العيش ، وتزحم المناكب المناكب، اذ الواحد من الجماعة يناديك من بعيد وهو في مثل كوة الصومعة . فتدهش لذلك المتخلف عن ركب الحياة ، تسائل نفسك ما شأنه ، وما تخلفهُ في آخر الخلائق ، وما يصنع بعمره ، ويُنتفع بهِ ! !

فتجد صاحبنا قعيد الصومعة ، محلول العزيمة . همُّه من الدنيا بساط عشب ، وكأس خمر ، وساعة من حبيب — وعلى كل شيء بعد ذلك العفاء !

ولعمرك كيف يتبدّل (أدب الصومعة) هذا ، ويمد ساقيه على بحبوحة ، ومجاله اضيق من قيد الشبر ! ! فهو أشبه ما يكون بمخيلة (مانه) على قول (زولا) :

— (مانه) عصفور صغير ، على غصن صغير ، في ربيع عمره خمس دقائق . . .

---

(١) الصناجة ديوان شعر للاديب اللبناني قبلان الرياشي والمقدمة للشاعر اللبناني امين نخله

وهكذا (أدب الصومعة) لفّ ودوران على غرض أيسر من ان يحسب في الهموم فلا غوص على النفس ، ولا تطلع الى محجّب من وجوه الحياة ، ولا كدح في صعيد الفكر وراء الحق والجمال . فاذا جاد حبيب بساعة، وامتلأت كأس براح ، واخضرّ مطرح بعشب، قامت الدنيا في نظر الجماعة ، واستراحوا حيث تتعب العقول !

ولقد أشرفت الدنيا على آخرها . و (أدب الصومعة) في موضعه لا يتحوّل . فلا مدّ اذناً بعد (الخيام)، ولا اطرح عيناً، ولا سرح اصبعاً ، فالقصة ان شاعر الفرس بعد ان جاب فكره الأرض والسموات ، وأوفى على الامر ، برّح بهِ الكد ، فاطلق في وجه الحياة رباعية حرى، عذره بها عذر الغمرة التي تغم النفس بعض الاحايين ثم تنجلي . فتعلق اولئك على الرباعية (السوداء) . وحسبوا ان تلك النفثة غاية الرجل من الفلسفة ، وجماع رأيه . ومعاذ (ابي الفتح) عمر ، وهو نادرة فارس في الحكمة والطبيعيات والفقه والتكاليف والتاريخ وعلوم النجوم ان يقصر العيش على هبوط الطبع ، وانتكاس الذهن !

فأعجب لأدب مُسمّر عليه بتلك النفثة الفانية . تتحوّل العقائد ، وتترامى الأغراض، وتنفسح شقة الفكر البشري ، وهو المعلق في مكانه !

***

و (أدب الصومعة) أدب الحب والطبيعة ، في زعم أهله . فاذا جئتهم تسأل لساناً واحداً يبحث الحب والطبيعة،كأنْ يذكر لك مثلاً علاقة الطبع بالحساسة، او رابطة النفس بالطبيعة في شيمةٍ من شيم الخلقة فانك تطلب ريشة العنقاء !

فالجماعة كندامى (المجوس) يحتسون الخمر بالنظر ، وينشقون الزهر باطراف الاصابع !

***

ان الادب الحق غير ذلك !

هذا (شكسبير) وهو نادرة الازمان ، تكاد العيون اليوم تتغامز على اوجه . ويكاد المتشددون يهمون بالقول ان « الشكسبيرية » على شفا . فسقوطها اقرب مما في الحسبان . ذلك ان الادب « المطنّب » الذي لا ينغمس في معمعان الحياة حتى الركبتين ، اصبح مزلزل القدم في جيل « التبسط» من هذا ! . وبوادر «الشعوبية »الادبية الجديدة ما ترى في الادب الفرنسي مثلاً من تنكب عن الدرب، حتى ليستطيع امس كاتب ناشىء « كلورين » ان يضحك على انف « كورنايل » فيقول فيهِ « صنم الفضائل الا كه » ، ولا تقوم القيامة ...

وكما يقال في الادب يقال في الموسيقى ، وفي التصوير ، وفي التمثيل ، وفي مختلف الفنون « فمونه » آية الجيل المولي عند الفرنسويين ، لا يكاد يذكر بشفة في فجر « الكيبيزم » الطالع . ويكاد « وغنر » يخفت صيته في ضجة « الانطلاق » التي يثيرها « فان دونغن »

و « رينالدوهن » فلقد اعقب نسق الدقائق في الرسم نسق الجملة ،واعقب التبسط في الموسيقى التماسك . وبكلمة اخرى ، فالفنون اليوم تتنزل من رفرف التأله الى مستوى الناس ...

فاذا جاز ان يقال هكذا في « شكسبير » و«كورنايل »واضرابهما من اصحاب الممتعات في فهرس الفكر البشري فكم يجاز — باللهعليك — ان يقال في زمرة « الخيّاميين» المساكين !!

***

قال « پول ڤاليري » يوم رفعت القبة على قبر الجندي المجهول في باريس .

« على اصحابنا — يعني اهل الادب — ان يستيقظوا ! فقبر الجندي المجهول قصيدة تخرجها الحياة على اتم ما يكون ، دون ان تفتقر الينا فتتلاقى تحت القبة قلوب الفرنسويين من كل حدب ترف على البلاطة ، وتحوّم بملايين الاغراض المتفرّقة ، من الف المشاعر الى يأسها... فاذا انطلقت الحياة تخرج للناس في غيبة الادب وتقصيره امثال هذه القصائد الوافية ، فما حاجتهم الى الشعراء ! ! »

فعلى الادب ان ينزل الميدان . عليه ان يغشى الحياة ، ويدخل من الابواب ومن النوافذ ومن شقوق الحائط !

ان الادب مرآة الحياة . مجالها مجاله . واطارها اطاره . فكل ادب لا يتراءى فيهِ وجه الحياة على تمامه ، فهو مرآة ناقصة ، طرحها اخلق من الابقاء عليها . وكما ان الحياة قسوة واعنات وتصعيد وتصويب ، كذلك يجب للادب . فيكون عليه غبار الكد . فمن المحصل ان الضحولة لا تقذف اللؤلؤ ، ولا تشق الاصبع عباب اليم . ومن العبث ان لا يجعل الادب في تقليد الحياة ، حذوك الشيء بالشيء . فعظام « اوسكارويلد » بليت في ترابه ، وبلي معهُ قوله «الحياة تقلد الادب ، والادب لا يقلد الحياة»

والادب تأدية رسالة . عهده في الله : الحق والجمال . ففي العهد ان تؤدي الرسالة وهي تقطر بدم القلب ! كدّاً على الحق ، حتى يشعشع بياض الصحيفة من البرهان . وهوى للجمال حتى تتفتق قصبة القلم من الوله ! !

هذا هو الادب . وذلك شأنه في الميدان . اما أن يظل المتمشي على الحافة ، في رباعيات (الخيّاميين) وخماسياتهم وسداسياتهم الى آخر الحساب ، ينظر من بعيد ولا يلقي قدماً ، فالحياة براءٌ منهُ

***

ذلك ، فضلاً عن ان« ادب الصومعة » غريب في عقر داره. فهو يتهالك في التباعد عنا ، تقرّباً الى ذوق الفرس القدماء من جيل الخيّام. تراهم يطبعون اذواقهم على الفارسية العتيقة. يتخذون لها المقاطع مقطّعة من كل وزن ، وبياض الصحيفة صحراوات رحيبة بين البيت

والبيت . حتى لقد كاد باعة الورق يدّعون انهم انصاف ادباء ، محتجّين بذلك علينا . . .

وتراهم يخرجون الدواوين في طائفة من الصور ، تقليداً « لانجيل الخيّاميين » فقد اجمع مترجمو « الرباعيات » على انها وجدت في صور ترمز اليها . وتراهم يزرون بالاوضاع ، ويعبثون بالتقليد الكريم ، شأن الخيّام ، وقد ازرى بالفارسية وعبث بتقاليدها يوم الرباعيات

إن شرط الادب قبل اي شيء ، ان يكون ، في الاقل ، من نصيب الامة . تفيء اليهِ بكلفة مرفوعة وسبيل ممهد . وان يغدو صورة صحيحة في تاريخها ومشاعرها وعقائدها

وشرط الصدق في الادب ان يصدر واحدنا عن ذات نفسهِ ، وعن بيئته ، فلا يكون منّا ، ولسانه مثلاً يلعلع علينا من خلال (الرباعيات) الاجنبية !

وشرط التلاقي بين الادب والفن على صنيع واحد ، ان تكون الريشة في دورها والقلم في دوره . لا ان تطغى الريشة على القلم . فيقصر الادب ، ويقوم الفن بالدورين . اذ الادب ادب لا يزيده الفن شيئاً على المحك ، ولو تولاه (ليونار ده فنسي) نفسه بالف (جوكوندا) ؟

وشرط الاجادة ان ترضي الاوضاع عن النتاج . فلا يقطع الواحد حبل الابد ، وينطلق على رأسه . ففي الادب سياق هو الحسن على كل جيل . شرط المضمار فيه ان تذهب الجياد في شوط واحد . لا ان يند الجواد عن فوجه ، وينفرط التسابق !

***

هذا من جهة الغرض . واما من جهة الصناعة ، فبيننا وبين الخيّاميين ، خلاف ننادي بهِ على السطوح ! فنقول نحن بالخاطر الشائع ، في الصنيع الفني ، من المستهل الى المقطع . حتى تغدو القصيدة « قطعة » واحدة ململمة الاطراف . لا افراط بها ولا تفريط . وبالمعنى الذي يسكن المبنى . فينصب الماء في ذوقنا ملء الاناء . معنى واحد في مبنى واحد ، لا الف اناء لقطرة ماء . . .

ونقول بالاداء السريّ . فالديباجة شرط مقدم . اذ ان الصنيع الفني ينهض بجناحين المعنى من جانب ، والمبنى من جانب . والادب بيان . فكيف يصلح الاّ صبيحاً ظاهر البهجة مدفّق الرونق . حتى لقد تشدد نفر من اصحابنا «فاحسّوا» انتفاضة الحياة في اللفظة الواحدة — ونعم التشدّد !

ونقول بالميسم المطبوع . فيكون على الصنيع الفني نفس صاحبه يكاد القارىء يتبيّنهُ من الرائحة . . . فنسلم الاعراض في الادب ، ويصبح لكل بنت من بنات الافكار والد !

ذلك رأينا في الصناعة . واما رأي الخيّاميين ، فتقطيع الاوصال في « الوحدة » الفنية . وكيل الالفاظ في المعنى . والعبث بالمبنى . والتقليد في اللهجة حتى ليقبل واحدهم ، على رشاش من ريق الف قائل . . . وعفا الله عن الباقي !

الزراعة المصرية القديمة

نظرة اجمالية

للدكتور حسن كمال

توطن قدماء المصريين وادي النيل منذ آلاف السنين . ومن ذلك الوقت والبلاد كانت عرضة لغزو الاجانب وفتح الفاتحين. ولما توثقت عرى التعامل مع البلدان المجاورة زاد الاختلاط وكثرت الهجرة بين الاقطار المتاخمة والمملكة المصرية على توالي الاجيال . لكن بالرغم من ذلك حافظ المصري على خصاله وعاداته واخلاقه . ولما كانت مصر « هدية النيل » جاز لنا ان نستنتج ان تأثير هذا النهر العظيم والمعيشة في واديه كانا عنصرين قويين في محافظة سكان تلك البقعة على طباعهم بل وفي صبغ كل من يقطنها بنفس الصبغة من حيث المعيشة والطباع والمعاملة او بعبارة اوجز من حيث «التمصّر» . ولسنا نعرف قطراً في هذا العالم يعتمد في معيشته على نهر واحد الاَّ القطر المصري. كذلك لا يوجد نهر في العالم له خواص وادوار طبيعية منتظمة مثل النيل . فاذا علمت ذلك ثم زدته فحصاً وتمحيصاً اتضح لك ان سكان القطر المصري لا بدَّ ان يكونوا محافظين على مصريتهم جدّ المحافظة كما حافظ نيلهم على نظامه وحافظت تربتهم على طبيعتها

لذلك كان هذا الثبات في طباع القوم واخلاقهم ومعاملاتهم ثمرة وادي النيل وتربته . والمعروف ان كل عنصر اجنبي استوطن القطر المصري في الازمنة الغابرة تأثر تدريجاً بالمؤثرات المصرية حتى تمصّر الى حدٍّ بعيدٍ . وليس هذا الامر بالمستغرب لان المعروف في اقطار العالم ان الطبائع الخاصة بسكان المعمورة هي وليدة الاقليم والتربة . وان مصر تمثل هذه الحقيقة اوضح تمثيل . فهي بعزلتها شمالاً بواسطة البحر الابيض المتوسط وشرقاً وغرباً وجنوباً بالصحارى جاءت برهاناً ساطعاً على صدق هذا الرأي

ومن الطباع المصرية الغريزية ولعُ المصريين بالزراعة وفروعها المتباينة حتى جرى ذلك في نفوسهم جريان الدم في الجسد . فيجد الباحث في تاريخ مصر القديم ان اهلها كانوا مزارعين من اقدم الازمنة وان خبرتهم في الفلاحة ذاعت وصيتهم في طرق الريّ والمساحة علا وارتفع . فتمكنوا بمرور الزمن من التغلب على العقبات الناجمة من فيضان النيل وطبيعة الارض . وحصر القوم زراعتهم في حاجاتهم الاقتصادية . فابتكروا اولاً طريقة لقياس الزمن وتجزئته بما يتفق مع زراعتهم فأدخلوا السنة الشمسية ذات الثلاثمائة والخمسة والستين يوماً في حسابهم



البقرة المقدسة « حاتحور » من العهد الصاوي
دار تحف القاهرة تصوير الدكتور حسن كمال

وكان ذلك عام ٤٢٤١ قبل الميلاد . ثم قسموا السنة الى ثلاثة فصول زراعية هي فصل البذر وفصل الحصاد وفصل الفيضان النيلي . ثم جزأوا كل فصل بعد ذلك الى اربعة اشهر فصارت سنتهم مقسّمة الى اثني عشر شهراً كما هي الحال عندنا الآن . ثم تغلبوا على صعوبة اختلاف ارتفاع الاراضي بان قسّموها الى عدة حياض وذلك باقامة الجسور وحفر الترع . ثم فرضوا الضرائب قياساً الى المساحة المزروعة وذلك بمعرفة الحد الاقصى لفيضان النيل السنوي . لان هذا الاخير يعطيهم فكرة عامة عما يمكن ان يكون عليه مقدار المحصول السنوي وقتئذٍ . وتفننوا في طرق الري فشادوا خزاناً بالفيوم وذلك في عهد الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ - ١٧٩٠ ق.م .) وكان هذا الخزان يحجز مقداراً من الماء يكفي لريّ الدلتا بعد هبوط النيل

ووردت روايات كثيرة من المؤرخين عن مجرى النيل اهمها حكاية هيردوتس الذي قال ان مينا اول ملك حكم مصر مجتمعة (حوالي عام ٣٢٠٠ ق . م .) حفر مجرى آخر للنيل قبالة منف وحوّل هذا النهر العظيم الى مجراهُ الجديد (وهو الحالي) فربح بذلك منطقة كبيرة شاد عليها مدينة منف عاصمته الجديدة وقتئذٍ

ومنذ ما بدأ اهتمام المصريين بالشؤون الزراعية ينمو ويكبر (وهذا الاهتمام يرجع تاريخه الى اقدم العصور المعروفة) اخذت مصر تتقدم في فروع الزراعة على اختلاف انواعها بنفس الخطوات التي خطتها في مدنيتها وابتكاراتها حتى صارت في النهاية مملكة زراعية صناعية من الطبقة الاولى واشتهرت بضائعها بين الامم فصار للكتان المصري المرتبة الاولى في الاسواق . كذلك مصنوعاتها الخزفية والزجاجية والخشبية

ولا ينحصر السبب في تقدم الزراعة المصرية في خصب التربة وحسب وما احدثهُ ذلك في نفوس الاهالي بل يشتمل ايضاً على أثر هذا الخصب في اخلاق القوم ومعلوماتهم الفنية بشكل لا يقلّ وضوحاً عن الحالة الاولى . كذا خصائص النيل الطبيعية ونتائج فيضانهِ السنوي يرجع اليها كثير من الفضل في معرفة المصريين لعلمي الهندسة والمساحة . فقد نسب كل من هيردوتوس وافلاطون وديودوروس واسترابون اصل علم الهندسة الى التغيرات الطبيعية التي تقع اثر الفيضان النيلي والى ضرورة ارجاع حدود الاراضي الى نصابها بعد الفيضان كما كانت عليهِ قبله . وهذا كله مما يعزّز القول بان علم الهندسة ولد بالقطر المصري وترعرع فيهِ. وليس هذا الامر بالمستغرب فان زوال الفيضان كان تصحبهُ منازعات ومشاجرات بين اصحاب الاراضي لسببين . اولهما : ان حدود الاراضي لم تكن ثابتة ثبوتاً كافياً في كل الاحوال. وثانيهما: ان جسور النيل كانت عرضة في بعض الاحيان للتلف نتيجة ارتفاع النيل فيتغيّر كثير من معالم الارض الواقعة على شاطئ النيل . لذلك أصبح ضروريًّا وضع نظام ثابت لمساحة الاراضي لمنع هذه المشاحنات وايضاً لجمع الاموال الاميرية . ولا نعلم بالضبط تاريخ ظهور

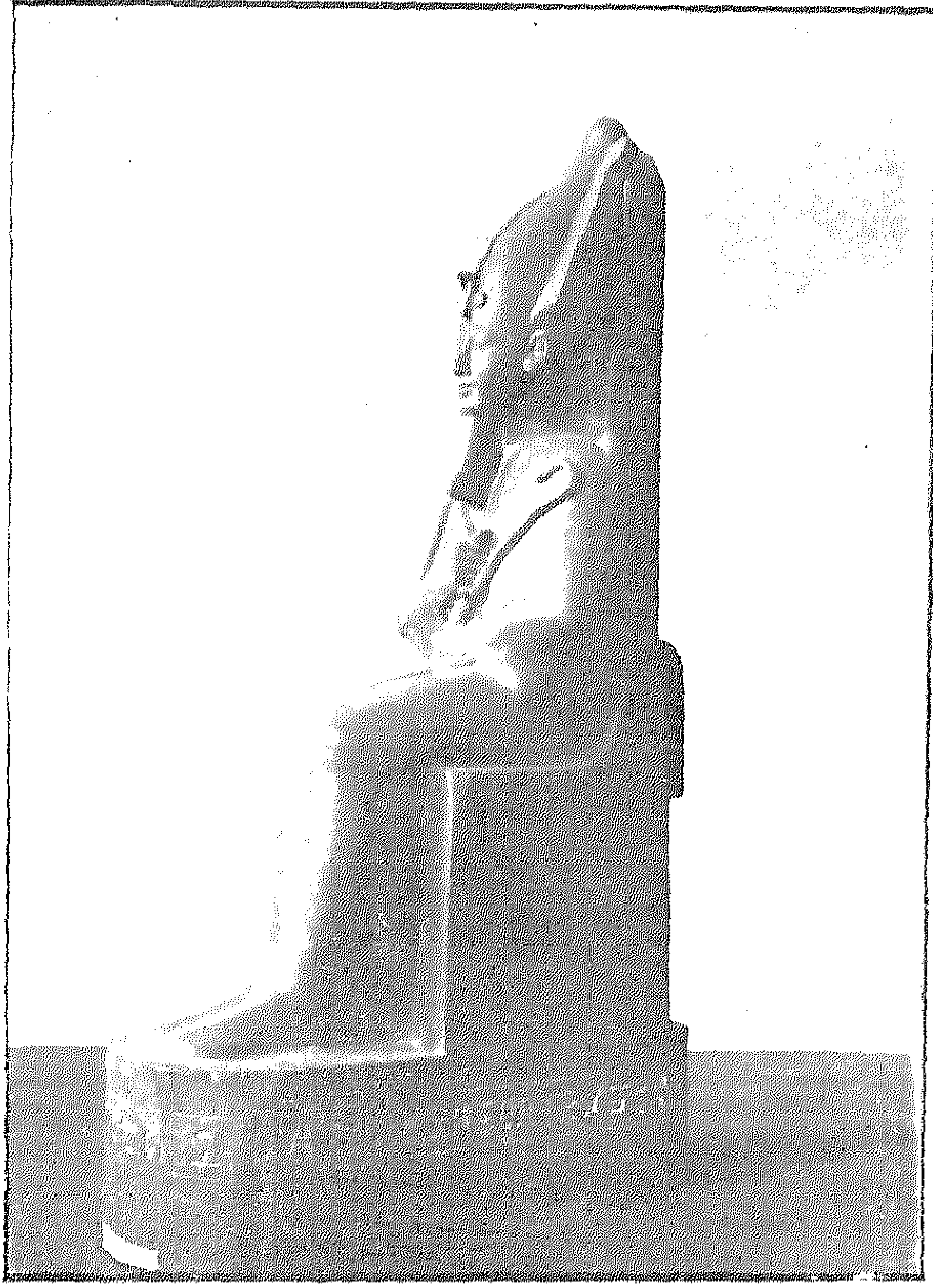
علم المساحة بالقطر المصري والغالب انهُ قديم العهد جدًّا

بمثل هذه الطرق وسواها تمكنت الحكومة وقتئذٍ من الاشراف على كل زراعة القطر وتقدمها فنجم عن ذلك زيادة عدد السكان . لكن هناك عوامل اخرى ساعدت على تقدم الزراعة في وادي النيل خلاف خصب التربة هي عظم فيضان النيل ونشاط العنصر المصري وعدم تغير الطقس وقلة المطر وعزلة الوادي . هذه الاحوال كلها هيأت مصر لان تكون مزرعة العالم القديم تصدّر حاصلاتها الى سوريا وجنوب اوربا في مقادير كالتي كانت تغذّي بها روما في العصور الاخيرة

والرسوم الزراعية العديدة المنقوشة على الآثار المصرية تظهر بوضوح عظيم اهتمام المصريين بالفلاحة . ويستدل منها ان محاصيل القطر وقتذاك لم تختلف كثيراً عن محاصيله الحالية . اما خبزهم فكان يصنع غالباً من القمح . وقد عثر في المقابر على مقادير كبيرة من القمح الفرعوني كما عثر أيضاً على مقادير لا بأس بها من الخبز ويجد الباحث الآن كثيراً من هذه الاخبزة في جميع متاحف العالم تقريباً. ولا حاجة بنا الى ان نذكر هنا ان القمح المذكور لا يمكن انباته الآن لان جنين الحبّة لا يعيش طويلاً ، وعلى ذلك فكل ما قيل عن امكان انباته لا يدل الاَّ على ان بعضاً من القمح الحديث تسرَّب الى القديم وان ما نبت هو الحديث

وصنع القوم الجعة العذبة (البوظة) من الشعير والنبيذ من العنب الذي كان كثير النمو في القطر. واشتهر اقليم مريوط والواحات بالعنب والنبيذ. اما العرقي فكانوا يصنعون منهُ مقادير وافرة . واما اشجار النخيل فكانت كثيرة .واهتم القوم بتربية النحل حتى لقبوا مليكهم بالنحلة . وعلى ذلك فكان الشهد كثير الاستعمال . اما قصب السكر فلم يكن معروفاً

اما الحيوانات الداجنة والوحشية فكانت وافرة بالقطر. فمن الفريق الأول الحمير والثيران والغنم والماعز والخنازير والكلاب والهرر والاوز والبط . وكان هناك نوع من الغنم له قرون حلزونية افقية انقرض منذ عهد الاسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م .) لكنهُ بقي في الديانة القديمة يرمز بهِ الى المعبود (خنوم). اما الكبش ذو القرنين الهلاليين فكان يرمز به الى المعبود أمون . واستأنس القوم الكلاب منذ اقدم العصور وتولد منها لديهم عدة اصناف. واما الهرّ فحيوان مصري قديم اعتبرهُ القوم وقتئذٍ رمزاً للمعبودة (باستت) وادخلت الخيل القطر المصري مع الهيكسوس او ملوك الرعاة الذين حكموا مصر من سنة ١٧٨٨ الى سنة ١٥٥٥ ق . م . تقريباً وحضرت معها وقتئذٍ العجلات الحربية . اما الدجاج فلم يدخل مصر الاَّ في زمن الاسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م .) ولم يقدس المصريون الخيل ولا الدجاج. وامتازت الخيل المصرية بجودة نوعها حتى ورد ذكرها في التوراة وذلك في الاصحاح العاشر في الملوك الاول آية ٢٨ وهي «وكان مخرج الخيل التي لسليمان من مصر » . ولم يمتط



المعبود ازوريس من العهد الصاوي
دار تحف القاهرة تصوير الدكتور حسن كمال

القوم الجواد الآَّ في العهد الصاوي (٦٦٣ — ٥٢٥ ق . م .) ولم يستعملوا الجمل في فلاحتهم بل بقي استعماله مقتصراً في الصحراء . ولم يرد رسمه على الآثار الاَّ في العصور الاخيرة بالرغم من ان بعضهم يدعي انه وجده منقوشاً على آثار يرجع تاريخها الي ما قبل حكم الاسر المصرية . وكان الفيل معروفاً قبل عهد الفراعنة بالقطر المصري (اي قبل حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م.) . ثم انقرض تدريجاً الى ان اصبح وجوده بمصر ضمن جزية البلاد الاسيوية

وولع القوم بالصيد والقنص في المستنقعات والصحاري والمستعمرات الاسيوية فكانوا يصطادون الثيران الوحشية والوعول والقطاط الكبيرة بالقوس والرمح او بعصاة الصيد الملتوية . وهذه الاخيرة كانت تستعمل بكثرة في صيد الطيور في المستنقعات واستعمل القوم العجلات في صيد الصحاري والشباك في صيد الاسماك

وكان لشدة ولعهم بالزراعة اثر كبير في احوالهم المعاشية . فعبدوا النيل منذ اقدم العصور . وألّهوا الثور (إبيس) (شكل ١) والبقرة حاتحور (شكل ٢) والطائر (إبيس) واعتقدوا ان (ازوريس) (شكل ٣) هو الذي علمهم الفلاحة ونقشوا اسمه داخل طغراء ملكية . اما الكهنة فعلّموا الاهالي ان (ازوريس) هو رمز الماء وهو ايضاً رمز للحياة التي تفنى لتعود بعد ذلك في شكل أزليّ . ومثلوه بالنبات الذي ينمو بعد قطعه . قال (فلوطرخوس) ان الآلهة لما زارت مصر اوجدت المعبودة (ازيس) (شكل ٤) القمح وخلق (ازوريس) ادوات الزراعة وكان اول من ربط الثور الى المحراث وعلم الخلق انواع النبات . ولما اعتلى (ازوريس) العرش انقذ الخلق من الفاقة وعلمهم الفلاحة وسنَّ لهم القوانين

وعبد القوم عدة اشجار مثل اللبخ والجميز والسنط ، كما انهم قدّسوا بعض الاسماك مثل سمك (العبيدي Oxyrhynchus) و (ثعبان الماء Phagrus) و(البنيّ Lepidotus) ثم خصصوا للقمح معبوداً سموه (نبرو) ولفيضان النيل في الصعيد معبودة سموها (مرتى قمح) ولفيضان الوجه البحري معبودة سموها (مرتى محت) . وهناك معبودة يقال لها (رننت) رمزوا بها الى الحصاد ومعبود سموه (من) كنوا به عن الخصب . ولم يقتصر الحال على ذلك فتخيلوا ان في الآخرة حقولاً كثيرة القمح وان قمحها يفوق قمح النيل طولاً وسيأتي ذكرها

وتأثرت الصناعات والفنون الجميلة بأحوالهم الزراعية . فصنعوا عمدهم على شكل النخيل وزهر اللوطس (البشنين) وسيقان البردى . وجعلوا ارجل مقاعدهم بهيئة ارجل الحيوانات . حتى ادوات الزينة صنعوها على شكل حيوانات وحشرات كالجراد مثلاً . واثرت الزراعة ايضاً في معلوماتهم ومعارفهم فكوّنت عدداً كبيراً من احرف الخط الهيرغليفي يعدّ بالمئات منها الطيور والحيوانات الوحشية والداجنة والحشرات والنباتات واجزاء النباتات مما هو معلوم عند علماء تلك اللغة

وتأصلت المعيشة الزراعية في حكومة البلاد فسبقوا اسم الملك برسم فرع البردي (وهو رمز الوجه القبلي) وبرسم النحلة (وهو رمز الوجه البحري) اشارة الى ان هذين القطرين قد خضعا له . ويصحب هذه الرسوم غالباً رمزان آخران هما العقاب (وهو رمز «نخبت» معبودة مدينة الكاب عاصمة الوجه القبلي) والصل (وهو رمز «بوتو» معبودة عاصمة الوجه البحري المسماة بوتو ايضاً) . ويشاهد النسر على رؤوس التماثيل الملكية ليحميهم من الاذى كما هو الحال في تمثال الملك (خفرع) المحفوظ بدار تحف القاهرة

كل هذه المعلومات تظهر للقارىء شأن الزراعة المصرية القديمة وكيف تدرجت من اقدم العصور الى زمننا هذا . ولاستقصاء ذلك يجب الرجوع الى ما كتبه المؤرخون مثل هيرودوتوس وبلنيوس والى الرسوم الزراعية الواردة على الآثار والى الاوراق البردية والى النباتات والزهور التي وصلت الينا محفوظة مع ادوات الموتى وموميائهم والى الحيوانات المحنطة

اما أهم النقوش الزراعية القديمة فهي الواردة في مقابر اكابر القوم . وهذه توجد عادة في مختلف جهات القطر بحسب عصرها . فمقابر المملكة القديمة (٢٩٠٠ — ٢٤٧٥ ق . م .) تكثر في منطقة الاهرام كأبي صير وسقارة وميدوم والجيزة . ونقوش هذه المقابر متقنة الصنع عادة وتحوي مناظر هامة لطرق المعيشة الزراعية وقتئذٍ . وكان رائد الحفار حينذاك اثبات الحقائق فجاءت رسومه قريبة جداً من الحقيقة . ولما دخلت مصر في عهد الاقطاع (٢٤٧٥ — ٢٠٠٠ ق . م .) تفرقت المراجع الزراعية الى عدة جهات بالقطر مثل بني حسن ودير الجبراوي واسيوط ومير . لكن يلاحظ ان الحفار في تلك العصور كان رائده اثبات ما يمكن ان يؤثر في نفوس الزائرين دون توخي الحقيقة بقدر الامكان . اما مقابر اسوان التي يرجع تاريخها الى هذا العهد فتكاد تكون معدومة النقوش اللهمَّ الاَّ القليل منها وذلك حول مدخلها الخارجي . ومقابر عصر المملكة الوسطى (٢٠٠٠—١٧٨٨ق.م.) ليست دائماً حافلة بالنقوش . ولما جاء عهد الامبراطورية (١٥٨٠ — ١٣٠٠ ق.م.) كان همُّ القوم اثبات ما كان يهم المملكة القديمة اثباته وذلك بقصد الزخرفة والزينة في معظم الاحوال

ولقد ساعدتنا رسوم المقابر المذكورة على تفهم الشيء الكثير من الحياة الزراعية والريفية بالقطر المصري لان الغرض من اثباتها في المقابر كان يقصد به انقلابها بصورة حقيقية في الدار الآخرة كي يجد الميت في اخراه ما كان يتمناه في دنياه . وكثيراً ما يشاهد منقوشاً على الواح المقابر القديمة دعوات حارة «لاعطاء المتوفي آلافاً من ارغفة الخبز وقوارير الجعة والثيران والاوز واقمشة الكتان وكل الاشياء الجميلة النقية بكميات لا تحصى ...»

وزيادة في اثبات رغبتهم في الحصول على الغذاء في الدار الآخرة اهتم القوم بنقش كل الاجراءات التي تعمل في الدنيا للحصول على الخبز وذلك على جدران مقابرهم. فنقشوا طرق



الثور المقدَّس أبيس

دار تحف القاهرة تصوير الدكتور حسن كمال

الحرث والبذر وحفر الاراضي وضم المحاصيل وذرّ الحبوب ودرسها وخزنها في الاهراءات بل وحتى طريقة طحن القمح وعمل الخبز . وكان من اثر الزراعة في اذهانهم انهم تخيلوا ثم رسموا الجنة التي كانوا يمنون انفسهم بالمعيشة فيها بعد الممات . واهم هذه المناظر هي الخاصة بالزراعة والنزهة في الحقول والمستنقعات واعتبروا ان قيام الميت بأعمال الزراعة في آخرته من الامور المسلّية المشوّقة

ومن القصص القديمة التي يرجع تاريخها الى عصر رمسيس الثاني ما تناولت امور الفلاحة وهي تعرف بقصّة الاخوين تتلخص في ان اخوين عاشا معاً في كوخ في أحد الحقول وكان اكبرهما متزوجاً وقابضاً على زمام البيت . اما الاصغر فكان عائشاً معه كابن له . فصبت نفس زوجة الكبير الى الصغير فردّها . عندئذ ارادت ان تكيد له فوشت في حقه عند اخيه الكبير فصمم على الاقتصاص من اخيه واراد قتله خلسة فتحفز له وراء الباب . وفي مساء اليوم عاد الاخ الصغير بالبهائم ليدخلها اصطبلاتها فلحظت احدى هذه الحيوانات الامر وأسرّت الى راعيها بما يضمر له اخوه الكبير . فلما علم ذلك فرّ هارباً خوفاً من القتل . ثم حصلت بين الاثنين حوادث خرافية لا تتمشى مع ما جاء اولاً من مطابقتها للواقع . وبالتأمل في هذه الحكاية يجد القارىء في جزئها الاول شبهاً بقصة سيدنا يوسف الغرامية التي رواها لنا بنو اسرائيل وجاء شرحها في الذكر الحكيم

وسنذكر للقارىء هنا بياناً موجزاً للنباتات المصرية القديمة بعضها مصري الاصل والبعض الآخر اجنبي دخل القطر المصري من البلدان المجاورة . وتنقسم هذه النباتات الى قسمين : —

القسم الاول : وهو النباتات الكثيرة الانتشار في القطر قديماً حتى لم يهتم المصريون كثيراً بزراعتها لوفرتها وهذه اما (نباتات خشبية) اي التي استعملوا خشبها في الادوات المعاشية مثل النخيل والدوم والجميز واللبخ والسنط او (نباتات ذات فاكهة) مثل التين او (نباتات ليفية) مثل البردي والاعشاب والقنب او (نباتات برية) مثل البشنين الازرق والابيض او (نباتات طبية) مثل الينسون والشبت والنعناع والحصلبان وابو النوم والكمون والعرعر

القسم الثاني : ويشمل النباتات التي اعتنى القوم بزراعتها وهذه تتلخص في (الحبوب) مثل القمح والشعير و(الخضراوات) مثل الفول والعدس والبسلة والبامية والملوخية والخيار والبطيخ والثوم والكرفس والخس والكرنب والجرجير والفجل والبصل و(التوابل) مثل السمسم والكزبرة و(النباتات الزاحفة) كالعنب و(النباتات الصناعية) كالكتّان و(نباتات الصباغة) كالقرطم والنيلة والحنا و(النباتات الزيتية) كالزيتون و(نباتات الزينة والعطريات) كالورد والاراولة والنرجس

وقبل الفراغ من هذا البحث يجدر بنا ان نذكر بالايجاز شيئاً عن جغرافية مصر القديمة وطريقة تقسيمها لخطر ذلك من الوجهة الزراعية . والمعروف ان جغرافية الجزء الواقع بين منطقة الشلالات والقاهرة لم تتغير تغيراً يذكر منذ أقدم العصور التاريخية . اما الجزء المعروف

الآن بالدلتا فكان عرضة لكثير من التغير . ففروع النيل بلغ عددها في اكثر الازمنة سبعةً وكانت تعرف وقتئذٍ بالاشاتيم وهذه كانت تسمى بالاقاليم التي كانت تمرّ بها فكان يطلق عليها مثلاً « البلوزي والتنيسي والمنديسي والسمنودي والكانوبي الخ » . اما الآن فلم يبق منها الاّ فرعا دمياط ورشيد

وكانت مصر مقسمة قدماً الى قسمين الوجه القبلي وابتداؤه من اسوان الى دهشور وتاج ملكه ابيض والوجه البحري ويبتدىء من دهشور الى البحر الابيض المتوسط وتاج ملكه احمر . فلما ضمّ هذان القسمان لملك واحد نُعت هذا الملك بسيد القطرين . ومن مجموع هذين القسمين تكوّنت مملكة الفراعنة . فتى حكم ملك على مصر قاطبة جاز له ان يجلس على كرسي مرسوم عليه البردى واللوطس حول اشارة دالة على اجتماع الوجه البحري والقبلي معاً

ثم انقسمت مصر بعد ذلك الى ثلاثة أقسام . الاول مصر العليا اي الصعيد الأعلى وهو المحصور بين سلسلتين من الجبال غير مرتفعتين يمتد من اسوان جنوباً الى العرابة المدفونة (قرب البلينا) شمالاً . والثاني مصر الوسطى ويسمى عند اليونان تبابيد يمتد من العرابة المدفونة الى القاهرة . والثالث الوجه البحري ويقال له باليونانية الدلتا لشبهه بهذا الحرف عندهم ويمتد من القاهرة جنوباً الى البحر الابيض المتوسط شمالاً . وكان هذا القسم منذ حوالي سبعة آلاف سنة بحيرة من الماء تمتد الى بحيرة موريس جهة الفيوم فحوّلها النيل الى ارض خصبة

اما اقسام مصر القديمة (وهي اشبه كثيراً بمديرياتنا) فكان عددها يختلف باختلاف الدول وكانت اعمالها تارة في الزيادة وتارة في النقص في العهد الفرعوني والبطالسي والروماني والاسلامي حتى انتهى الأمر بتقسيمها الحالي . فالآثار ومؤرخو اليونان أثبتوا انقسامها تارة الى ٣٦ قسماً وتارة الى ٤٠ او الى ٤٤ وطوراً الى خمسين قسماً . والسبب في ذلك ما كان من التنازع بين الأسر والأمراء المالكين للأقسام او من الحروب الاهلية او الزواج او الفتوحات او غيرها مما يستوجب انتقال الملكية من يد الى اخرى وقد نقشت اسماء الاقسام في معبد كلابشة والكرنك ودندرة والعرابة المدفونة ورسمت لها صور على حيطان المعابد بهيئة صور النيل تقدم للملك الحاكم محصولات الأرض . ثم حددت هذه الاقسام (وكان يقال لكل منها حسبت) باحجار مكتوبة وكان كل قسم يحوي قاعدة (وتسمى نويت) وبندر ومركز المدينة ومركز الديانة واراضي الزراعة واراضي المستنقعات التي كانت تستعمل مرعى ولزراعة البردي واللوطس وصيد الطيور ثم الترع الخارجة من النيل لري الأراضي والملاحة . وكان يعين لكل قسم حاكم من بيت الملك يقال له (حق) وعلى سكان كل قسم ان يدفعوا للملك الاتاوات المقررة عليهم من محصول الارض حسب الايراد كما كان عليهم ان يوردوا رجال العسكرية والسخرة لانجاز الاعمال اللازمة للمنافع العمومية مثل اصلاح معبد او بناء قلعة او جسر او مد طريق او شق ترعة

نافذة

احبُّ ان يكون لي نافذة تطلُّ على البحر
حيث تمخر السفن متجهة الى اقاصي الارض او عائدة منها
حيث الأشرعة المنتفخة ودخان البواخر تشير اليَّ
بأن اترك غرفتي للبحث في تيهِ الاشكال الدائمة التغيُّر
تبدعها الشمس والغيوم والرياح والامواج
وتدعوني الاجواءُ القصية الى المغامرة في بلدان اجهلها

احبُّ ان يكون لي نافذة تطلُّ على البحر
حيث استطيع ان اقف : فأراقب العاصفة المجتاحة
واشعر برعد الموج مصطدماً باليابسة
واحسُّ في الليلة الهادئة بالمدِّ مرتفعاً تحت النجوم
واسمع في همس الماءِ للرمل ، الصوت الضئيل الهادئ
صوتَ مَن في كفهِ المحيطات

يا ليت لي نافذة تطلُّ منها نفسي على البحر
فتتعرَّف معنى الاشياء التي من وراء البصر الانساني
تلك العجائب التي قد تغريني بالخروج من غرفتي الارضية
للبحث في تيهِ الله الحافل بالاسرار
فأذهب مغامراً في عوالم لا يعرفها انسانٌ

احبُّ ان يكون لي نافذة تطلُّ على البحر

٢ – استدراك على معجم الحيوان

للفريق الدكتور امين باشا المعلوف

اوردت في الجزء الماضي من المقتطف بعض انواع السمك التي ذكرها المسيو غريفل وفي ما يلي انواع غيرها ذكرها في كتابهِ

فصيلة الإصفرنيّ — Sphyrénidés. E. Shyraenidae

قال ليس منها في سواحل الشام الاَّ النوع الآتي

الإصفرنيّ — Le Spet ou Sphyrène Spet. E. Spet or Barracuda. (Sphyraena Spet, Lacep. = S. vulgaris, C. V.)

قال هو كثير في سواحل الشام والاهلون[1] يسمونهُ الاصفرني . قلت ذكرته في ص ٢٩ وص٢٣٣ من معجم الحيوان وانما لم اذكر اسمهُ النوعي وهو على ما اورده المسيو غريفل كما تقدم

فصيلة الصير او المانون — Menidés. Les Menides ou Mendoles ou Picarels. E. Maenidae

سمك صغار دقاق لا تزيد الواحدة منها على ١٥ او ٢٠ سنتيمتراً قال ميّزنا نوعين منها

السمارس المعروف — Picarel vulgaire (Smaris vulgaris, C. V.)

سمارس القِرِلّى او صياد السمك — Picarel martin-pecheur (Smaris alcedo, C. V.)

لم يذكر المسيو غريفل اسماً عربيًّا للفصيلة المتقدمة ولا لهذين النوعين وانما ذكرت السمارس في المقتطف ٣٩ : ٣٤٢ وفاتني ذكره في معجم الحيوان . اما المانون فذكره لكلير في المادة ٢٠٧٥ من مفردات ابن البيطار واللفظة لاتينية من اصل يوناني . واما الصير فعن ده ساسي كما ذكرت في المقتطف وفي معجم الحيوان ص ١٠

فصيلة الاسبور او الاسبوريات — Sparidés. E. Sparidae

قال هي كثيرة في سواحل الشام وذكر انواعاً منها ما يأتي

سُرغوس — Sar ou Sargue. E. Sargo (Sargus Rondeletti, C. V.)

قال هو كثير في البحر المتوسط لاسيما في اسواق الاسكندرية وبورت سعيد وبيروت والاهلون يسمونهُ السرغوس . قلت ذكرت هذا النوع من السمك في المقتطف ٣٨ : ٤٥٩ وفي معجم الحيوان ص٨٤ وص٢١٢ اما الاسم العلمي الذي اعتمده المسيو غريفل فكما تقدم

السَرْب — Le Bogue saupe ou Saupe. E. Boce or Bogue or Bogue salpa (Box Salpa, Cuv.)

لم يذكر له المسيو غريفل اسماً عربيًّا وانما ذكرته في المقتطف ٣٨ : ٤٥٩ وفي معجم الحيوان ص ٦٣ وكلاهما باسم علمي غير هذا والصواب ما ذكره المسيو غريفل

---

(١) ترجمت اللفظة التي استعملها المسيو غريفل اي Indigénes باللفظة المتقدمة اي الاهلون ولم أقل « الوطنيون » وكنت اود لو اجتنب المسيو غريفل ما يجرح عواطف السوريين باستعمال هذه اللفظة وعسى انه اذا عاد الى سورية وكتب عنها وعن السوريين يقول «السوريون» كما امتنع الانكليز ان يقولوا عن العراقيين Natives وانما البحث هنا بحث علمي لا بحث سياسي وربما كتبت في ذلك مقالة في جريدة يومية

السرب المعروف Le Bogue Commun. E. Common boce or Bogue (Box vulgaris, C. V. = Box boops, L.)

اما في شركة المصايف فهو سمك موسى ولكن سمك موسى سمك مشهور هو غير هذا ولعلَّ السرب الذي ذكره ده ساسي على ما قلت في المقتطف هو هذا والذي قبله فانهُ سمع لفظة شَرْب بالمعجمة عن جفروى وكلاهما ثقة يعوَّل عليه . اما لفظة شرب التي قال جفروى انها اسم هذا السمك في الاسكندرية ولفظة السرب على ما جاء في كتاب الافادة والاعتبار واللفظة اللاتينية المتقدمة من اصل واحد قديم في البحر المتوسط

قَجَاج . نجار . دجاج البحر Le Pagre vulgaire. E. Red porgy, Braize or Becker. (Pagrus vulgaris, Cuv.)

ذكرته في المقتطف ٣٨ : ٤٥٩ وفي معجم الحيوان ص ١٨١ و٢٣٢ وقلت من اسمائه ما تقدم. وذكر المسيو غريفل القجاج اي ان اهل بيروت يقولون كما يقول اهل دمياط . ثم ان ارسطو ذكر هذا النوع من السمك وقال مترجم كتاب ارسطو في حاشية له . انه نقل عن ابستوليدس ان اسمه مرجان في استانبول اي يسمونه باسم الفرّيدي المعروف بالمرجان في الاسكندرية وسيأتي ذكره اي ان المرجان يطلق على هذا النوع من السمك وعلى الفرّيدي

فرّيدي في سواحل الشام Le Pageau ou Pagel Commum. (Pagellus erythrinus, L.)

مرجان في الاسكندرية . فالفريدي عن المسيو غريفل والمرجان مما اعرفه في مصر والاسكندرية

جَربيديّ في سواحل الشام . Le Rousseau (Pagellus centrodontus, Delar)

كحلاء في الاسكندرية . الجربيدي عن المسيو غريفل والكحلاء مما اعرفه في الاسكندرية

حفَّار . مُرْمار Le Mormyre (Pagellus mormyrus, L.)

ذكرته في ص ٦٣ من معجم الحيوان باسم علميّ آخر والصواب هو هذا . ولم يذكر المسيو غريفل الحفَّار وقد اخذتهُ عن فورسكال وكلونزنجر . واما المرمار فعن جفروى

ثم ان اسم الجنس في هذه الانواع الثلاثة يوناني الاصل اي تصغير Pagros وهو اسم القجاج الذي تقدم ذكره. اما الاسم النوعي للفرّيدي او المرجان فمعناه الاحمر . ثم ان هذا الجنس اي Pagellus متحجر في سواحل لبنان وهو كثير في المعاملتين من اعمال كسروان ولكنني لا اعلم اي نوع منهُ هل هو الفرّيدي اي الاول او الجربيدي اي الثاني او الحفَّار اي الثالث وارجح انهُ الثالث اي الحفَّار

مَرْجان La Daurade vulgaire ou Dorée. E. Gilthead (Chrysophris aurata, C.V.)

او مرجان ذهبي الرأس : لم يذكر له اسماً عربيًّا ولا اعرف له اسماً غير المرجان ولعلَّ اصلح اسم له هو المرجان المذهب او المرجان الذهبي الرأس . اما اسمه الجنسي فمعناه الذهبي الحاجب

نفَّار . قمر Le Denté (Dentex vulgaris, Cuv.)

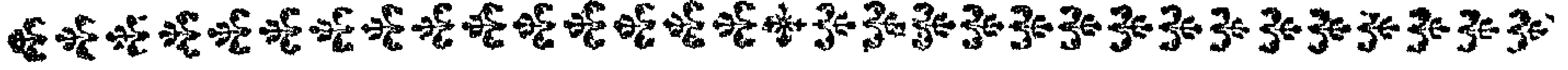
لم يذكر له اسماً عربيًّا اما النفَّار والقَمَر فعن كلونزنجر فقد ذكر انواعاً كثيرة من هذا الجنس وسماها بهذين الاسمين وهما معروفان في البحر الاحمر



ابن خلدون والنقد الحديث

للاستاذ محمد عبد الله عنان

عن كتابه « ابن خلدون : حياته وتراثه الفكري »





ابن خلدون كما تصوره ورسمه جبران خليل جبران

يرتفع النقد الغربي بتراث ابن خلدون الى أسمى مكانة . وقد عرف التفكير الغربي قبل ابن خلدون طائفة كبيرة من المفكرين المسلمين لم يرتفع كثير منهم الى مكانته ، وعرف قبله كثيراً من المؤرخين المسلمين ، لا لأنهم اجدر بالبحث والتعريف ، ولكن لانهم ظهروا في عصور الاسلام الفتية الزاهرة او لأنهم تناولوا نواحي عني بها التفكير الغربي [1] . ولكن ابن خلدون ظهر في عصر سرى فيه الانحلال الى صولة الاسلام وسيادته ، واضمحل التفكير الاسلامي ، فلم يكن اجدر العصور بالتعريف والبحث . ولبث تراث ابن خلدون مغموراً في

---

(١) عرف الغرب مؤرخين مثل المسعودي وابي الفدا وابن العبري وابن خلكان وابن عربشاه قبل ابن خلدون بعصور طويلة ، وترجمت بعض مؤلفاتهم الى اللاتينية . ونشر تاريخ ابن العبري وتاريخ ابن عربشاه (تاريخ تيمور) في انكلترا بنصهما العربي منذ منتصف القرن السابع عشر

الشرق والغرب مدى قرون ، يكاد الشرق يجهله ، ولا يعرف الغرب شيئاً عنه . وفي سنة ١٦٩٧ م ظهرت عنه في موسوعة « دزبلو » الشرقية اول ترجمة غربية . وهي ترجمة موجزة فياضة بالخطأ . ومضى بعد ذلك اكثر من قرن قبل ان يعنى التفكير الغربي بشأنه ، حتى نشر المستشرق الفرنسي سلفستردي ساسي سنة ١٨٠٦ ترجمة ابن خلدون مع ترجمة فرنسية لفقرات من المقدمة في قاموسه Chrestomathie Arabe ثم نشر بعد ذلك باعوام ترجمة لمقتطفات اخرى من المقدّمة . وعاد فنشر سنة ١٨١٦ ترجمة اوفى لابن خلدون في قاموس التراجم العام Biographie Universelle مع وصف مسهب لمقدّمة ابن خلدون. وفي نفس الوقت نشر المستشرق النمسوي فون هامار رسالة بالالمانية عن « اضمحلال الاسلام بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة »، تعرّض فيها لبعض نظريات ابن خلدون في انحلال الدول ، ووصفهُ بأنهُ « مونتسكيو العرب » . ونشر بعد ذلك ترجمة المانية لبعض مقتطفات من المقدمة ، ثم نشر وصفاً لبعض اجزاء المقدمة في « المجلة الاسيوية[1] ». واستمرّ دي ساسي وبعض زملائه المستشرقين على نشر مقتطفات مترجمة من مقدّمة ابن خلدون او تاريخه ، والبحث الغربي فيما بين ذلك يزداد اهتماماً بابن خلدون وتراثه ، وإعجاباً بقوة تفكيره وطرافته ، حتى نشر كاترمير مقدّمة ابن خلدون كاملة بنصها العربي سنة ١٨٥٨ ، ونشر دي سلان بعد ذلك ببضعة أعوام ترجمة فرنسية كاملة للمقدّمة ، وعندئذٍ ظهر ابن خلدون للتفكير الغربي في روعة ابتكاره ، وظهرت قيمة ذلك التراث الباهر الذي غمره النسيان مدى عصوره

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر يعنى النقد الغربي بابن خلدون ونظرياته الاجتماعية عناية خاصة . كان وقوف الغرب على تراث ابن خلدون اكتشافاً علميًّا حقًّا ، وكان اعجب ما في هذا الاكتشاف أن يظفر الغرب في تراث المفكر المسلم، بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التي لم يطرقها البحث الغربي الاّ بعد ابن خلدون بعصور طويلة . اجل اكتشف النقد الغربي لدهشته واعجابه في تراث ابن خلدون كثيراً مما ردده مكياڤيللي بعده بقرن ، وما ردده ڤيكو ومونتسكيو ، وآدم سميث ، واوجست كونت[2] بعده بقرون . وكان المعتقد ان البحث الغربي اول من اهتدى الي فلسفة التاريخ ، ومبادىء الاجتماع ، واصول الاقتصاد السياسي ، فاذا بابن خلدون يسبقه بعصور ويغزو في مقدمته هذه الميادين ويعرض كثيراً

---

(١) « المقتطف » — على من شاء معرفة المراجع التي اعتمد عليها المؤلف ان يراجعها في كتابه

(٢) مكيافللي مؤرخ وسياسي ايطالي (١٤٦٩ — ١٥٢٧) . وفيكو مؤرخ وفيلسوف ايطالي (١٦٦٨ — ١٧٤٤) ومونتسكيو مشترع وفيلسوف واجتماعي فرنسي (١٦٦٩ — ١٧٥٥) وآدم سمث اقتصادي انكليزي (١٧٢٣ — ١٧٩٠) واوجست كونت فيلسوف فرنسي وهو واضع اصول الفلسفة الوضعية (١٧٩٨ — ١٨٥٧) .

من نواحيها ونظرياتها بقوة وبراعة. ومن ثمَّ فانا نرى النقد الغربي ، بعد ان اكتشفهُ ودرسه، يرتفع بتراثه الى اسمى مكانة ، وينظمه في سلك الفلاسفة ومؤرخي الحضارة وعلماء الاجتماع والاقتصاد السياسي ، بل ويعترف له بفضل السبق في هذه الميادين

— ١ —

كانت الناحية التاريخية الفلسفية في تفكير ابن خلدون اول ما عنى النقد الغربي بدرسه ، ولكن الناحية الاجتماعية ما لبثت ان لفتت انظار طائفة من علماء الاجتماع ، واخذت تتفوّق على ما عداها من نواحي تفكيره . ومنذ أواخر القرن التاسع عشر نرى نظريات ابن خلدون الاجتماعية تشغل فراغاً كبيراً في النقد المعاصر ، ويتناولها حتى يومنا طائفة من النقدة الاجتماعيين بالدرس والتحليل المقارن

وكان في مقدمة من درس تراث ابن خلدون من الناحية التاريخية الفلسفية المستشرق النمسوي الكبير البارون فون كريمر، فكتب عنه بالالمانية رسالته الشهيرة «ابن خلدون وتاريخه لحضارة الدول الاسلامية» وقدمها لاكاديمية العلوم بڤينا سنة ١٨٧٩ . ويعتبر فون كريمر ابن خلدون مؤرخاً للحضارة Kulturhistoriker يؤرخ حضارة الشعوب الاسلامية ، لانه من بين المؤرخين المسلمين اول من خصص فصولاً ضافية للتحدث عن النظم السياسية وانواع الحكم، والخطط العامة كالقضاء والشرطة والادارة وتطورها في الدول الاسلامية ، وعن النظم الاقتصادية والتجارة والمكوس والضرائب ، وعن المهن والحرف والصنائع ووجوه الكسب والمعاش، ثم عن العلوم والفنون والآداب واصنافها واحوالها وتطورها في العالم الاسلامي وهو اعتبار صادق من بعض الوجوه فقط لان ابن خلدون لا يعالج هذه المسائل مستقلة او لذاتها وانما يعالجها كصور فقط من هذا العمران الذي هو موضوع بحثه ودرسه . ومراحل الحضارة مقياس لمراحل العمران

••••••

ويعتبر دي بوير (الهولندي) ابن خلدون فيلسوفاً ، ويضعهُ في ثبت الفلاسفة المسلمين الى جانب ابن سينا والغزالي وابن رشد وابن الطفيل ، وينوّه بقيمة المنطق في صوغ نظرياته ويصفه بانه مفكر متزن ، فهو ينكر ثمرة الكيمياء والعرافة بحق، وكثيراً ما يعارض مبادىء الفلسفة العقلية ، بمبادىء الاسلام البسيطة سواء عن اعتقاد شخصي او لاعتبار سياسي . بيد ان الدين لم يؤثر في آرائهِ العلمية بقدر ما أثرت الارسطوطالية الافلاطونية. وقد اثرت في تكوين ذهنيتهِ جمهورية افلاطون وفلسفة فيثاغورس الافلاطونية ، وكذلك المؤلفات التاريخية لاسلافهِ المشارقة ولاسيما المسعودي ، ايما تأثير . وقد حاول ابن خلدون ان يؤسس نظاماً فلسفيًّا جديداً لم يجل بذهن ارسطو ، وان يجعل من التاريخ نظاماً فلسفيًّا ، وهو يقول لنا

ان هذا النظام انما هو الحياة الاجتماعية ، ومادة المجتمع كلها وثقافته الفكرية . ومهمة التاريخ هي أن يبين كيف يعمل الناس وكيف يحصّلون اقواتهم ، ولماذا يقاتلون بعضهم بعضاً ، وكيف يجتمعون في جماعات كبيرة في ظل بعض الزعماء ، وكيف يُلهمون اخيراً في ظل حياة الحضر رغبة العناية بالفنون والعلوم الرفيعة ، وكيف تتقدم الحضارة من البداية الخشنة الى الترف الناعم وتزدهر ، ثم تضمحل وتموت . ثم يقول دي بوير ان ابن خلدون هو بلا ريب اول من حاول ان يشرح بافاضة تطور المجتمع وتقدمه لاسباب وعلل معينة ، وان يعرض ظروف الجنس والاقليم ووسائل الانتاج وما اليها ، وأثرها في تكوين ذهن الانسان وعاطفته وفي تكوين المجتمع . وهو يرى في سير الحضارة تناسقاً داخليًّا منظماً . ويختم دي بوير حديثه عن ابن خلدون بما يأتي : « لقد سار امل ابن خلدون في ان يخلفه من يتم بحثه في سبيل التحقيق ، ولكن في غير الاسلام ، فكما انهُ كان دون سلف ، فكذلك بقي دون خلف »

— ٣ —

بيد ان النقد الغربي كان اكثر اهتماماً بفلسفة ابن خلدون الاجتماعية . ولقد لقي ابن خلدون من هذه الناحية ذروة الاعجاب والتقدير ، وعني كثير من علماء الاجتماع المعاصرين بتحليل نظرياته الاجتماعية ومقارنتها بنظريات اقطاب المحدثين

ومن هؤلاء النقدة العلامة الاجتماعي لدفيج جمبلوفتش ، فهو يخصص لابن خلدون في مباحثه الاجتماعية فصلاً كبيراً ، ويصفه بأنه اجتماعي او من علماء الاجتماع . ويتناول طائفة من آرائه الاجتماعية بالتحليل والمقارنة ، ويبين انه قد سبق في كثير من هذه الآراء اقطاب الاجتماع المحدثين ، فهو مثلاً قد اهتدى الى نظرية الاجيال الثلاثة الخاصة بنهوض الاسر وانحلالها قبل ان يعرضها اوتوكار لورنتس في اواخر القرن التاسع عشر . ويقول جمبلوفتش ان ابن خلدون يرتفع الى ذروة البحث الاجتماعي حينما يعرض ملاحظاته عن تفاعل الجماعات الاجتماعية ، وكيف ان هذه الجماعات نفسها انما هي ثمرة الوسط . وآراؤه في هذا المقام عن الاجناس الغالبة في منتهى الخطر . وفي اقواله عن الوسط ومؤثراته ما يدل على انه عرف « قانون التشبه بالوسط » قبل ان يعرفه داروين بخمسة قرون ؛ وفيما يقوله عن تشبيه الانسان بالحيوان في الخضوع للقوانين الاجتماعية العامة ما يدل على انه عرف مبدأ « وحدة المادة » قبل ان يعرفه هيكيل [١] . ومن المدهش ان نرى كم تتفق الاجراءات التي ينصح ابن خلدون باتخاذها للفاتحين الظافرين لكي يؤيدوا سلطانهم ، مع النظم الحربية التي اثبت البحث التاريخي الحديث ان مؤسسي الدول الاوربية في العصور الوسطى قد اتخذوها ، بل ان فضل السبق يرجع بحق الى العلامة الاجتماعي العربي (ابن خلدون) فيما يتعلق بهذه النصائح التي

(١) ارنست هيكيل علامة بيولوجي وطبيعي الماني (١٨٣٤ — ١٩١٩)

أسداها مكيافيللي بعد ذلك بقرن الى الحكام في كتابه « الامير » . وحتى في هذه الطريقة الجافة لبحث المسائل وفي صيغتها الوقعية الخشنة ، كان من المستطاع ان يكون ابن خلدون نموذجاً للايطالي البارع الذي لم يعرفه بلا ريب . هذا وقد استطاع ابن خلدون ان يقرر منذ خمسة قرون اصل السلطتين الروحية والزمنية ، كما يقررها اساتذة القانون السياسي والقانون الكنسي

واخيراً يقول جمبلوفتش : « لقد أردنا ان ندلل على انه قبل اوجست كونت ، بل قبل فيكو الذي اراد الايطاليون ان يجعلوا منه اول اجتماعي اوربي ، جاء مسلم تقي فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن ، وأتى في هذا الموضوع بآراء عميقة ، وما كتبه هو ما نسميه اليوم : علم الاجتماع »

وفي نفس الوقت الذي أدلى فيه جمبلوفتش بهذه الآراء تناول تفكير ابن خلدون باحث اجتماعي ايطالي هو فريرو فأيد وصف جمبلوفتش لابن خلدون بأنه « اجتماعي » ونوه بطرافة ابن خلدون وسبقه في هذا الميدان . ويوافقهما في ذلك الكاتب الاجتماعي الروسي ليفين فيعتبر ابن خلدون فيلسوفاً «اجتماعيًّا»

ودرس مسيو مونييه استاذنا السابق بكلية الحقوق ، ابن خلدون من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية في بحثين قويين ، يتناول في اولهما آراء ابن خلدون الاقتصادية وفي الثاني آراءهُ الاجتماعية ، ويعتبرهُ فيلسوفاً واقتصاديًّا واجتماعيًّا معاً . ويصف مقدمته وتفكيره بما يأتي : « انها مزيج عظيم من القوانين الكونية ، وموسوعة لعلوم العصر ، وتحتوي على اجزاء متفرقة لبحث كامل في علم الاجتماع . وطريقتها بالاخص بديعة تدلُّ على ذهن علمي حق . واذا كانت آراء ابن خلدون لا تعبر عن مثل وضعي أعلى ، فهي مع ذلك تقوم على الملاحظة التحليلية للحوادث ، وهي مرآة الواقع . وليست فلسفته سوى شرح وتعليل لتاريخه ، وشروحه تشهد بذهنية وضعية كان فيلسوفنا يسبق بها عصره » ثم يحلل مسيو مونييه نظريات ابن خلدون الاجتماعية ويقسمها الى قسمين هما : القوانين العامة للحياة الاجتماعية ، وقوانين التطور الاجتماعية ؛ ويصفها بقوله : « واذاً فان فلسفة ابن خلدون الاجتماعية يغشاها على ما يظهر استنتاج بالغ التشاؤم . فالمجتمع ليس الاَّ لحظة في مجرى الاشياء الكوني ، وهو يفنى كما يفنى كل شيء . والحياة كالرَّوي ، وكل تغيير يقتضي عكسهُ ، وكل ارتفاع يعقبه سقوط . . . ولكن تشاؤم ابن خلدون تشاؤم مستسلم غير مكترث ، فهو لا يحكم وانما يشاهد . وهو بذلك يدلُّ على ذهنية علمية حقة ، وبذا يجب ان يفسح لهُ مكان في تاريخ الاجتماع الوضعي »

وينوه معظم نقدة ابن خلدون بهذا التشاؤم الذي يطبع فلسفته . ويقول لنا فون كريمر ان ابن خلدون يذهب في تشاؤمه الى حدود بعيدة ، ويقارنهُ في ذلك بأبي العلاء المعري . ويعتقد ان مصدر هذه العاطفة هو انحطاط الدول والحضارة الاسلامية في العصر الذي كتب فيه ابن

خلدون . ولكن فريرو يرجعها الى ظروف الحياة السياسية العاصفة التي تقلب فيها ابن خلدون وما بثّت في نفسه من مرارة وخيبة امل. على ان كثيراً من الناحية الوقعية لفلسفة ابن خلدون يرجع الى هذه العاطفة ؛ ولم يكن تشاؤمه نزعة شخصية كامنة في اخلاقه ، ولكنهُ صفة لتفكيره فقط . ونتيجة للبحث والدرس . اما ابن خلدون نفسه ، فكان كما تدلُّ حوادث حياته اكثر ميلاً الى الثقة والابتهاج والتفاؤل

ويدرس الكاتب الالماني فون ڤيسندنك نظريات ابن خلدون في نشوء الدول وانحلالها ويرى فيهِ ذهناً وافر الابتكار ، ومثلاً اعلى في التفكير العربي وآخر نجم سطع في أفق التفكير الاسلامي الحر . ويعتبره مثل فون كريمر مؤرخاً للحضارة Kulturhistoriker ، ويرى فيهِ بحق إماماً لمدرستي مكياڤيللي وڤيكو ، ويحاول ان يطبق نظرياته في سقوط الدول والاسر على الامبراطورية الالمانية والدول الاوربية فيقول : « وقد يلوح للالماني في الوقت الحاضر ان هذه الآراء الفياضة بالتشاؤم ليست من ابتكار مفكر اجنبي ، فان الامبراطورية الالمانية لم تعمر طويلاً ثم ذوى غصنها غضاً الى عالم الفناء بسرعة خارقة ، فهل يجب ان نبحث لتلك المأساة عن اسباب غير تلك التي اوردها الكاتب العربي عن سقوط المرابطين والموحدين ؟ ان نظريات ابن خلدون تقدم الى المتأمل فرصة صادقة ، يقف مؤرخ الحضارة المسلم الكبير وحيداً في المشرق ، لم يعقبه خلف ولم ينسج على منواله ناسج ويطبق ما كان يشعر بهِ او يدعو اليهِ على اوربا في القرن التاسع عشر أصح تطبيق وأتمه. وتدوي ميول المفكر والسياسي الافريقي في معترك الحوادث مهما كانت وجهتها دوياً يتردد صداه في عالم افكار عصرنا »

— ٣ —

درس الاستاذ استفانو كلوزيو ابن خلدون من ناحية اخرى هي الناحية الاقتصادية . ويرى كلوزيو بادىء بدء « ان ابن خلدون من حيث الجنس الذي انحدر منه ، والبلد الذي ولد فيه ، والحضارة التي ينتمي اليها ، يمكن ان يوضع في صف عظماء الرجال الذين يتبوأون في التاريخ أسمى مكانة » . وقد اكتشف ابن خلدون آفاقاً جديدة في ميدان العلوم الاجتماعية . ولكنه لا يجاري مكياڤللي كمؤرخ ، لانه لم يعرف او لم يرد ان يطبّق المبادىء التي عرضها في مقدمته ليشرح اسباب الحوادث التي يقصها في تاريخه . ومع ذلك فقد سبق مكياڤللي ومونتسكيو وڤيكو ، الى وضع أصول علم جديد هو الدرس النقدي للتاريخ . وتلك حقيقة نوَّه بها أماري المستشرق والمؤرخ الايطالي الكبير قبل كلوزيو فوصف ابن خلدون بأنه أول كاتب في العالم عالج موضوع « فلسفة التاريخ » ثم يحلل كلوزيو نظرية ابن خلدون في « الجبر الاجتماعي » ويرى انها موجودة في تلك العبارة التي يستهل بها ابن خلدون حديثه عن اجيال البدو والحضر وهي : « ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلتهم من المعاش »

على ان كلوزيو ينوه بالاخص بنظريات ابن خلدون الاقتصادية ، فيقول لنا « ان المؤرخ البربري العظيم استطاع في العصور الوسطى ان يكتشف مبادىء العدالة الاجتماعية والاقتصاد السياسي قبل كونسيدران وماركس وباكونين »[1] ثم يحلل آراء ابن خلدون عن عمل الدولة من الناحية الاقتصادية وآثاره السيئة ، وعن القوى السياسية والطوائف الاجتماعية ، وعن طرق الملك وانواع الملكية ، وعن مهمة العمل الاجتماعية ، وتقسيم العمل الى حر ومأجور ، وكون العمل الحر مصدراً للرزق (المعاش) ثم عن قانون العرض والطلب . ويرى كلوزيو في ذلك كله ان ابن خلدون كان اقتصادياً مبتكراً يعرف مبادىء الاقتصاد السياسي ويطبقها بذكاء وبراعة قبل ان يعرفها البحث الغربي بعصور طويلة ، ويختتم بحثه بما يأتي : « اذا كانت نظريات ابن خلدون عن حياة المجتمع المعقدة تضعهُ في مقدمة فلاسفة التاريخ ، فان فهمهُ للدور الذي يؤديه العمل والملكية والاجور يضعهُ في مقدمة علماء الاقتصاد المحدثين

— ٤ —

ومن احدث البحوث النقدية في دراسة ابن خلدون رسالة للاستاذ ناتانيل شميت الاستاذ بجامعة كورنل بأمريكا ، درس فيها ابن خلدون كمؤرخ وفيلسوف واجتماعي . ويرى الاستاذ شميت ان ابن خلدون كمؤرخ يمكن ان يوضع في صف مؤرخين عالميين مثل ديودور الصقلي ، ونقولاوس الدمشقي او تروجوس پومبيوس ممن كتبوا في القرن الاول الميلادي ، او مؤلفين من كتاب القرن الثامن عشر مثل جاتيرر وشليتسر ، وهذا مع كونه يتفوق عليهم سواء في الانتفاع بالمصادر القديمة او في الرواية الاصلية ، ولو ان ابن خلدون لم يخلف لنا سوى تاريخه السياسي ، لكان أثراً ينبىء عن همة لا تنفد ، وغزارة في المصادر ، وحكم سديد ، ولكان بالنسبة لبعض العصور مصدراً نفيساً للرجوع ، بل لكان في عدوله عن طريقة الحوليات ما يرفعه بكثير عن مستوى رجال مثل البخاري والمسعودي والطبري وابن الاثير . على ان حق ابن خلدون في الشهرة الخالدة لا يرجع الى تاريخه بل يرجع الى ذلك الأثر المدهش الذي كتبهُ مقدمة لتاريخه ، فهنا تبدو عبقريته في روعة بهائها ، وهنا ينثر بيدين نديتين ثمرات تأملاته الناضجة عن سير التاريخ البشري

وأما من حيث فلسفة التاريخ فيرى الاستاذ شميت ان ابن خلدون هو الذي اكتشف ميدان التاريخ الحقيقي وطبيعتهُ ، وهو بلا ريب صادق حين يقول ان احداً من المفكرين المسلمين قبله لم يطرق موضوعه ، واذا كانت معرفتنا بعلوم القدماء اعظم وأغزر ، فإنا مع ذلك نستطيع اليوم ان نقول ان ابن خلدون كان بحق اول كاتب استطاع ان يعرّف موضوع التاريخ

(١) كونسيدرال اشتراكي فرنسي له عدة مؤلفات في الاشتراكية (١٨٠٨ — ١٨٩٣) . وكارل ماركس اقتصادي واشتراكي الماني كبير ومؤسس الاشتراكية المتطرفة ، ومؤلف اعظم كتاب في الاشتراكية (رأس المال) ، (١٨١٨ — ١٨٨٣) . وباكونين اجتماعي واقتصادي روسي ومؤسس مبدأ اللاحكومية (١٨١٤ — ١٨٧٦)

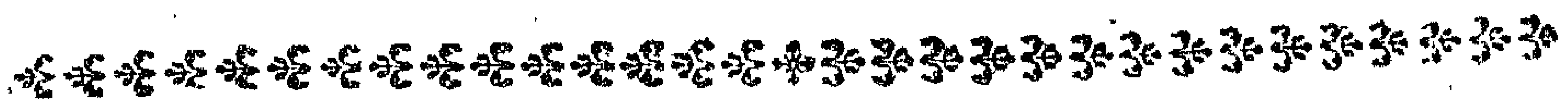
بهذه الصورة ، وان ينظر الى التاريخ كعلم خاص يبحث في الحقائق التي تقع في دائرته . بل لم يقل احد غير ابن خلدون ان التاريخ علم خاص موضوعه بحث جميع الظواهر الاجتماعية في حياة الانسان . فاذا كان يجدر بنا ان نتوسع في فهم التاريخ الى هذا الحد ، واذا كان التاريخ علماً ، فان التونسي العظيم الذي ابتكر هذا الرأي ودافع عنهُ ليس له سلف فيما يظهر. ومن حقه ان يعتبر انهُ المكتشف . وهنا بلا ريب اروع ابتكاراته واكثرها طرافة ، وان كان ذهنه النافذ قد شقَّ طرقاً جديدة في نواحٍ كثيرة . وقد لاحظ ابن خلدون في دراسة الدول وقيامها وسقوطها ان اسباب هذه التطورات لا ترجع فقط الى البواعث والاطماع ، والى الاغراض والغايات ، والى قوة الارادة ، وقوة الذهن لدى الافراد ، ولاحظ ان تأثير هذه العوامل لا يخضع فقط لخواص الجماعات التي تنتمي اليها ، ولكنها تخضع ايضاً للظروف الاجتماعية العامة وقد حمله ذلك على ان يبحث العوامل التي تؤثر في هذه الظروف الاجتماعية وتكيفها ، وانتهى الى انها ترجع الى خواص قومية وجنسية . ولكنه لاحظ ايضاً ان هذه الخواص نفسها ترجع الى مؤثرات الوسط الطبيعية كالاقليم ، والماء ، والأرض ، والموقع ، والغذاء . واذاً فمن الضروري لكي نفهم التطور السياسي ، ان ندرس كل مظاهر الحياة الاجتماعية ، ولكي نفهم هذه يجب ان نحسب حساباً للعوامل الطبيعية ، ومن ثمَّ كان اتساع نطاق التاريخ ، واتساع مهمة المؤرخ إذ يغدو التاريخ علم المجتمع الانساني ، واذاً فهو علم الاجتماع . ثم يقول الاستاذ شميت ان ابن خلدون رغم طابعه الاسلامي انما هو فيلسوف مثل اوجست كونت ، وتوماس بكل ، وهربرت سبنسر . وفلسفته التاريخية ليست كفلسفة هجل [1] تحليلاً للقضاء والقدر . واذا كان يذكر خلال بحثه كثيراً من آيات القرآن ، فليس لذكرها علاقة جوهرية بتدليله ، ولعله يذكرها فقط ليحمل قارئه على الاعتقاد بأنه في بحثه متفق مع نصوص القرآن

وأما عن الناحية الاجتماعية ، فان الاستاذ شميت يرى مع معظم النقدة ان ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع ، ويرى بالاخص مع جمبلوفتش ان الاجتماع وجد قبل اوجست كونت بعصور طويلة ، وان ابن خلدون ذهب في تفكيره الى حدود لم يذهب اليها كونت ، وانه فيما عالج من خواص العادة والاقليم ، والارض ، والغذاء ، قد سبق مونتسكيو وبكل وسبنسر وغيرهم

وينقل الاستاذ شميت الينا هذه الكلمة عن العلامة الاسباني التاميرا : «كفى انهُ في القرن الرابع عشر ، حينما كانت دراسة التاريخ الاوربية في منتهى النقص ومنتهى البعد عن آراء كالتي يعرضها ابن خلدون ويدافع عنها ، قد كتب كتاباً كالمقدمة ، درست فيه وعرضت كل المسائل ، التي غدت فيما بعد ، أهم مهام المؤرخين المحدثين »

---

(١) توماس بكل كاتب ومؤرخ اجتماعي انكليزي ، وله مؤلف شهير في تاريخ الحضارة الانكليزية (١٨٢١ — ١٨٦٢) وسبنسر فيلسوف انكليزي ومؤسس فلسفة التطور (١٨٢٠ — ١٩٠٣) . وهجل فيلسوف الماني كبير . درس فلسفة الدين والروحيات والالهيات (١٧٧٠ — ١٨٣١)



المعجم المحرَّر

في حاجة الى المباني والتخريج



حقَّق الله الأمل المنشود . فأصدر صاحب الجلالة احمد فؤاد ملك مصر المعظم ايَّده الله امرهُ المطاع بتأليف « مجمع اللغة العربية الملكي »ليلي إنشاء معجم صحيح الوضع يأتي على مافي موادّ اللغة من المباني والمعاني معيداً الفروع الى اصولها فلا يأتي بصيغ الجموع ولا مفرَدَ لها كما ورد في القاموس والمعاجم التي نقلت عنهُ ولا بصيغ المفرد ولا جموع لها او بغير استيفاء صيغ جموعها ويزيل ما في المعاجم من الخلل ويكشف النقاب عن وجوهٍ لا يهتدَى اليها لغموضها ويقف موقف الحكم العدل في القضايا التي جاءَت نصوص المعاجم فيها متعارضة . فهذا العمل الشاقّ لا غنى له عن الاستعانة بعلم المباني والتخريج. فما المباني . وما التخريج

المباني

يورد التصريف للفعل الثلاثي ستة اوزان عن تحريك عين الفعل بالفتح والضم والكسر ماضياً معلوماً ومضارعاً ثم ينصرف الى الامر فالمصادر فالمشتقات فالمزيدات فمشتقاتها فالاعلال فالادغام فما الى هنالك من نسبة وتصغير ومثنى وجمع

فيأتي المباني وينظر في الاوزان الستة ثم يوزّع كل وزن طوائف وهذه الطوائف منها اصول ومنها ملحقات ولكل طائفة مصادرها ومشتقاتها . فلكل طائفة مبنىً خاصٌّ له معنىً خاص فاذا اختلفت المباني اختلفت المعاني واذا تعدَّدت المعاني تعدَّدت الطوائف . فيكون للمبنى الواحد معانٍ متعددة فيأتي كل معنىً من طائفة وكل طائفة تعود الى وزن

وهذا كلامٌ مجمل لا يخلو من غموض فأوضحه بالتمثيل هكذا اولاً جاءَ في مادة « ك م ل » في احد المعاجم « كَمَلَ يَكمُلُ وكَمِلَ يَكمَلُ وكَمُلَ يَكمُلُ كمالاً وكُمُولاً من باب نصر وهي أفصح ومن باب علم وهي اردأها ومن باب كرُم او الكمال اسم تمَّ »

فمضمون هذا القول ان مادة « ك م ل » وردت على ثلاثة اوزان والمفاد واحد والاتفاق واقع على ان المصدر هو الكمُول واما الكمال فمختلف فيه بين انهُ مصدر او اسم مصدر . فلدى هذا النصّ لنا ما يأتي

ا — للأئمة مذهبان في المصدر والفعل الماضي فمذهب بأصالة المصدر ومجيء الفعل عنهُ ومذهب بأصالة الفعل ومجيء المصدر عنهُ . فان كان الفعلُ الاصلَ فهنا ثلاثة اوزان لها مصدر على قول او مصدران على قول آخر . فهل كل وزن له المصدران اولكَمِل مصدر ولكَمَل مصدر وان كان المصدرُ الاصلَ فكيف جاءت الافعال الثلاثة لمصدرين او لمصدر واحد . .

ب — ما الدليل على أن كُمولاً اعرق من كمالٍ في المصدرية ولماذا يمتنع ان يكون كمالٌ اعرق من كمول ولماذا وقع الخلاف في كمال بين انهُ مصدر او اسم مصدرْ واين الدليل على انهُ اسم او مصدر . ولماذا تعذَّر البتُّ في حقيقة كمال

ت — لم تتعدد الاوزان في « ك م ل » الاَّ عن تعدُّد المعاني في هذه المادة فلكَمِل معنى لا يؤدّيه كَمَل ولا كَمُل . وكَمَل في معناها الخاص بها هي الفصحى وما سواها ليس فصيحاً فالقول عنها انها « اردأها » ليس له مستند ولا دليل بل الدليل ينقضهُ

ث — لنميز بين معاني كَمَل وكَمِل وكَمُل اورد قول الشاعر

فتىً كملت أخلاقُهُ غير انهُ جوادٌ فلا يُبقي على المالِ باقيا

واسأل هكذا ما الفرق بين ضبط كمل بالفتح او بالكسر او بالضمّ وأيٌّ منها يظهر ان الشاعر أراده .ثانياً « حرص على الشيء حرْصاً (بكسر وسكون في المصدر) من بابي علم وضرب بمعنى جشع » فكيف جاءَ للوزنين مصدر واحدٌ . وكيف نضبط قول الشاعر

إحرصْ على الشِيَم التي كرمت آثارها في الأعصُر الأُوَلِ

وقول الآخر

إحرصْ على نشَب تجمّعهُ بالجهدِ او ما أورث الوِلْدُ

أمن وزنٍ واحد هما او من وزنين وأين الضبط بكسر الراءِ لا بالفتح او بالفتح لا بالكسر فان الصرف ومتن اللغة يوردان حرَص وحرِص معاً

ثالثاً — جاءت الآية « ويأبى الله الاَّ ان يتمَّ نورهُ » فما الفرق في المعنى بين ضبط يأبي كيرمي مضارع رمى ويأبى كيرضى مضارع رَضيَ وأي المعنيين اولى بالآية

***

هذه الدقائق لعلم المباني ولا يقتصر عليها فهو يبحث المصادر والمشتقات والجموع. فقد ورد في جمع فاعل فَعْل وفُعْل وفِعْل كصحْب لصاحب وحُجّ لحاج ووِلْد لوالِد فعلام جاءَ صَحب بالفتح لا بالضم وحُجّ بالضم لا بالكسر ووِلد بالكسر لا بالفتح

وجاء في غازٍ غازونَ وغزوٌ وغازية وغزاة وغَزِيٌّ (بفتح فكسر) وغُزِيٌّ (بضم فكسر)

وغُزَّى (بضم فشدة فألف مقصورة) فغزَّاء (بضم فشدة فألف ممدودة فهمزة) ولم تأتِ هذه الصيغ الا عن تفاوت في معانيها وليس في التصريف ولا متن اللغة جلاء عن هذا التفاوت

وذكرت المعاجم شاب فهو اشيب ج شِيبٌ وشُيَّب وشُيُب وروى معجم البلدان في مادة مسكن :قتلتُ به من حي فهد بن مالك . ثمانين منهم ناشئون وأشيبُ

فما ضبط اشيب. أبفتح الياء على انهُ مفرد او بالضمّ على انهُ جمع او هو تحريف عن شُيَّب وما شأن اشيُب لو ثبت انهُ جمع . وما الفرق بين شِيب وشُيَّب وشُيُب . وهل من جموع القبيل صيغة فعَّل فتأتي لفاعل ولغيره او لفاعلٍ دون سواه كجُدَّد وزُوَّر وعُوَّد وان خُرَّداً لخاردة لا لخريدة هذه شؤون يبحثها علم المباني فهو من التصريف كالمعاني من النحو وقد اهتدى اليه المرحوم ظاهر خير الله والدي ولم يتسنَّ له نشرهُ فهو مطويٌّ في اوراقه

التخريج

هو من المباني كالاعراب من النحو وكما يصح لك ان تعرب برز زيد فجأة فهو نائب مناب مفعول مطلق تقول في صِحاب انهُ جمع صاحب كقيام جمع قائم او جمع صَحيب مثل رِفاقٍ جمع رفيق وكما يرجح في النحو مذهب على مذهب يرجح في المباني ايضاً

فمن التخريج الفرق بين جُدُد بضمتين وجُدَد بضم ففتح في جمع جديد وكيف جاء شِجاع بكسر الاول في جموع شُجاع بضم الاول وسَرًى في جمع سريٍ وكيف يحلّ الخلاف في كماة أجمعٌ كامٍ هو او جمع كميّ وان سراة جمع لسارٍ لا اسم جمع لسريّ . وقد اوردت في كتابي الرأي الحاسم نقد صيغ جمع سِوارٍ بمعنى قُلْب وهي أسوِرة وأساوِر وأساوِرة وسُؤر وسؤور فاستغرق النقد ١٠ صفحات . وأبنت ان المعجم أغفل ثلاث صيغ جمع واقول ان فِعالاً لا يجمع على أفاعل بل على فعائل مثل شِمال وشمائل وإقال وأقائل وعِيال وعيائل (وقيل عيايل) وفِعال يجمع على أفعُل كألسُن وأذرُع وأشهُب في لِسان وذِراع وشِهاب ويجمع أفعُل على افاعِل كأرهُط (جمع رهط) على أراهط. وأطرُق (جمع طريق) على اطارق اذن سِوار يجمع على أسوُر (لم ترد في القاموس) وجمع أساوِر فقد اهمل القاموس صيغة جمع فلم يحسن الضبط وأخلّ بالقياس

فهذه الكلمة الوجيزة يبدو بها ما للمباني والتخريج من الفائدة في إنشاء المعجم فاذا رأت وزارة المعارف المصرية الجليلة الاستعانة بمن انفق من عمره فسحة في استقرائهما ضمته الى ذلك المجمع الجليل واخذت الدرَّة من حيث وجدت

دمشق : البطريركية الارثوذكسية

امين ظاهر خير الله

اصل الحياة

لمصطفى جواد

ما لسرّ الحياةِ ظلَّ مُعمَّى بين هذي العلومِ ذاتِ الضياء؟
أترانا من الطبيعة أمْ ما ذا ترانا مِنْ نسلِ هذا الهباء؟
ما الذي كان للطبيعة أمّا كيف صار الهباءُ ذا إحياء؟

قال لي بلبل على الغصن يشدو في جمال الربيع سرّ الحياةِ
بسمة الزهرِ للملاحظ تبدو بنشوء الحياةِ قبل المماتِ (١)
إنَّ هذا الربيع جاءك يعدو فتمتَّعْ فأنتَ مثل النباتِ

بلبلَ الروض ، انتَ سكرانُ من ألـ ـوان زهر أريجُهُ فوَّاحُ
انني ما عن الجمائل اسألْ لا ولا شاقني بها القدّاح (٢)
انت ترجو دفع الشتاء ودرأ الـ ـحزنِ منهُ فحسبكَ الأفراحُ

قال هلاّ شُغلتَ عن بحث سرّ بعناء الحياةِ يا انسانُ !
تتعبُ العقلَ بينَ درْسٍ وخبرٍ واضطراب يثيرُه البرهانُ !
يا بني آدمٍ شُغفتمْ بأمرٍ كلُّ ما فيه انهُ خسرانُ

قلتُ للزهرةِ المفيضةِ حُسناً مِنْ أسالَ الحياةَ في الاشجار؟
من كسا هذه الوُريقات لوناً مستمدًّا من ريعك السيار؟
ولماذا تصوّحين أحُزناً ام بحكم مِنْ دَهركِ القهّار؟

قالت الزهرةُ الخجولُ : حياتي ومماتي سرّان مكنونانِ
أتغذّى من الثرى والرفات وبنشق الهواءِ أقضي زماني

---

(١) هذه هي الفكره الفلسفية (٢) القداح نور النبات قبل تفتحه ويطلق في العراق على نور الليمون والنارنج ونوعهما

أرتوي مثلكم بماءٍ فآتي بجمال محبَّبٍ فتَّانِ

قلتُ يا زهرةَ الحديقةِ طيبي ان عمر الزهور جدُّ قصيرِ
وأطلي من فوق غصنٍ رطيبٍ وامنحينا الأريج قبلَ المصيرِ
انَّ سرَّ الحياةِ جِدُّ غريبٍ فاهنئي وارْكي غريبَ الامورِ

***

ضاقت بي الحالُ حتى صرتُ مبتدعا وطالما كنتُ ميقاناً ومُتَّـدعا
هي الحقيقة تحييني فتبعثني من عالم الجهل حتى أهجر الورعا
اريدُ بالنفس خيراً غير انَّ لها شيطانَ جهلٍ اذا ارشدتها امتنعا
يغور فكري ببحر الشك مضطرباً يكابد الهولَ والحيرات والجزعا
قد أعجز العالمُ الاذهانَ فابتدعتْ ما لو يطورُ بهِ ذو غفلةٍ قنعا
كل الامور على عبثٍ تدُلّ فلا يغرُرْكَ ذو كلمٍ في غيهِ ارتفعا
فالموتُ والفقرُ والافسادُ بارهةٌ انَّ التمدن من وحشيةٍ طلعا
وحاجة الحيّ للاغذاء معربةٌ ان الحياة تُرى إن أمرها اجتمعا
«عند العذول اعتراضات ولائمة»[1] فانْ طلبتَ اليهِ حجةً فزعا
وقد تشعبت الاديانُ واختلفتْ وامرها في جدالات الورى سطعا
كل يقول أنا الماشي على سننٍ يهدي الالهُ اليهِ كلَّ من صنعا

***

وسألتُ المياهَ في الروض تجري كمسير الدماء في الاجساد
قلتُ : يا ماءُ انتِ كاشفُ أمري أنت مأوى الحياة في الآباد
بنشوء الحياة هل أنت تدري هل نشوءُ الحياة من ذا الجماد ؟

قال لي الماءُ : كلّ حيّ وليدي ووليدُ الهواء في كلّ حال
نستثير الحياةَ بالتوحيد ونُصير المحالَ غيرَ مُحال
هل وجدتَ الحياة دون وجودي ام وجدتَ الهواء من تلك خالي ؟

مرّ شيخ مقوّسٌ ذو أناةٍ تخذ الدهر ظهره قوسَ وعظِ

(١) هذا الشطر للكامل بن أبي الفتح

قلتُ يا شيخُ مَّ اصلُ الحياةِ فلقد كدتُ في الضلالة أمضي
أنت ذو خبرةٍ قريبُ المهات كيف فكّرْتَ ؟ قال اني لأقضي

***

قد حيّر الكونُ أذهانَ الورى جُمَعا فان تفكّر ذو عقلٍ بهِ جزعا
مُعتقدٌ مذ رأى الانسانُ صورتهُ من ذا رأى القمر السيّار اذ طلعا
شمسٌ ونارٌ وسيّارٌ على دأبِ النار تحرق والسيارُ قد دُفعا
ما الجذبُ ما الدفع ما الدنيا وخالقها أضحى الجوابُ على الانسانِ ممتنعا
هذا يقول وهذا منكرٌ أبداً حرنا فلسنا نرى الاَّ امراً فزعا
أما الدليلُ فلا عينٌ ولا اثرٌ وكل حزب بما قد ناله قنعا
إنْ قلت ماذا يُرى الانسانَ منهجهُ من الهدى قيل : ان الدين قد وزعا
ما الدينُ يا قومُ ان الدينَ مكتسبٌ وطالما من جدالات الحجى ارتدعا
والعلم والدين في التحليل ما اتفقا والنفس والعقل في المقصود ما اجتمعا
ليسَ الحياةُ سوى سرٍّ تكنّفهُ مغالقُ الغيبِ لم يُكشفْ ولا سُمِعا
والدينُ يعجز عن تبيانِ منشئها والعقلُ ساعٍ الى التبيان ما رجعا

***

قلتُ : ياشيخُ قد كفرْتَ فكفّرْ عن خطاياكَ واتبع الرحمانا
إنما الدينُ عن حياتِكَ يخبرْ كلُّ حيٍّ مِنَ المياهِ استبانا
ذاكَ شيء تعالموهُ فذكّرْ انَّ ذكراكَ تنفعُ الأديانا

قالَ ما زلتُ في الضلالِ أهيمُ كيفَ صار «الاميبُ» حيًّا سويّا ؟
انّ ارضاً قد ظلَّ فيها الجحيمُ كيفَ تحيا الحياةُ فيها مليّا
انّ كونَ الحياة فيها قديمُ وكذا النارُ أنشئَتْ كيمويّا

قلتُ : ياشيخُ ذاكَ فكري فمن لي بنصيرٍ يذيعُ هذا المقالا
هذه الارضُ حيّة قبلَ كلّ ذي اشتعال فهل تجيب سؤالا ؟
كيف هذي الحياةُ كانت فقل لي فلقد صار كل أمري ضلالا ؟



القوى الروحية في الصين

من محاضرة لكلود فارير



لا أجد بدًّا من الاعتراف بما أشعر بهِ من التردّد في معالجة مسألة لم يستطع ذكاء الغربيين سبيلاً الى حلها حلاً أكيداً وهي : ما هي الصين ومن هم الصينيون ؟

لقد درست هذه المسألة طوال ثلاثين سنة ان لم اقل طوال حياتي كلها ، فقد عشت في الصين مدة طويلة ليس في المدن الكبيرة فحسب بل في القرى النائية التي لم يقدر لرجل من البيض ان وطئها قبلي ، فتعرفت الى الصينيين في حياتهم الخاصة ولي بينهم اصدقاء احترمهم وأعجب بهم ولا انسى ان فئة من الطلاّب الصفر سألتني مرة ان اضع رواية عن بلادها ، على اني تردَّدت في اجابة الطلب قائلاً : «لن أجيد وضع هذه الرواية فأنتم شيوخ مسنون ، وما انا بالنسبة اليكم سوى ولد صغير »

فاتخذوا هذا الجواب ضرباً من ضروب الأدب واللياقة فالصينيون يرتاحون كثيراً الى من يغرق في مضاعفة أعمارهم وأبلغ عبارة تستطيع ان تمدح بها سيدة صينية هي ان تقول لها انها طاعنة في السن . وبالحقيقة ان قولي للطلاب الصينيين إنهم شيوخ مسنّون إنما هو قول حقّ وصواب . فأعمارنا نحن الفرنسيين لا تتجاوز خمسة عشر قرناً اوعشرين على الأكثر ، فالغاليّون لم يكونوا فرنسيين ، ولم يكن للشعب الفرنسي من أثر قبل القيصر الكبير ، في حين ان الصينيين هم صينيون منذ ثمانين قرناً على الأقل

﴿ اقدم حضارة بشرية ﴾ لم تكن اسيا الوسطى ، قبل عهد البشر ، سوى قاعدة من الارض تمتدّ من بيقال الى بحر الهند ، فطرأ عليها تغضين عظيم نشأت عنهُ جبال حملايا والكونيلون والتيانشان والنانشان والالتائي ، ثم انحنت القاعدة المنتفخة من الغرب الى الشرق واذا بالمياه تتجمع في ذلك الوادي المزدوج المعروف بالهوانغ هو واليانغ تسي ، ثم اخذ هذان النهران يلفظان موادَّها واذا بالتربة الصفراء تنشأ رويداً رويداً وهي أخصب تربة أوجدتها الطبيعة قد لا تمدلها تربة اميركا الشمالية ولا تربة روسيا السوداء

وهبطت قبائل رحالة منحدرة من التركستان الى النهر الاصفر فاكتشفت الارض الصفراء واستدرجها الخصب الى استغلالها فاستوطنتها ، ومنذ ذلك الحين نشأ الصينيون

ولا مشاحة في أن السلالة الصينية مردودة الى مستهلّ التاريخ البشري ، ويكفينا لنستوثق من ذلك أن نرمي نظرة الى الاسطورة الصينية . فقد جاءَ في ميثولوجيا ابناء السماء أنهُ كان في

البدء « أسرة الجلد السامية » ثم « اسرة الارض السامية » ثم « اسرة الانسانية السامية » وأن هذه الاسر جميعها قد دامت خمسمائة واربعين قرناً . ثم جاء الامراء المنزهون عن التوبيخ وعددهم سبعة وثلاثون اميراً منهم اثنان او ثلاثة اطلق عليهم هذا اللقب : « بدأوا يبنون العشاش » وهذه العشاش كانت قرى مائية اي مبنية على ضفاف البحيرات . ومنهم من اطلق عليهم : « افركوا قطعتين من الحطب لتشتعلا » ولا ريب بان هذا اللقب يرمز الى استعباد النار . وأطلق على احد هؤلاء الامراء لقب « الدائرة والوسط » وهذا اللقب يرمز الى اختراع الدولاب والعجلة . أما المحراث فلم يكن قد اخترع بعد

يتضح لنا مما تقدم أن حضارة قديمة كهذه ينبغي أن تكون كثيرة التوغل في ظلمة الماضي وأن ثمانين قرناً إنما هي عدد ضئيل إذا قيس بعمر هذه الحضارة

﴿ الصينيون يخترعون الكتابة ﴾ جاء في أساطير الصين ان امبراطوراً يدعى « فوهي » كان مالكاً زمام الامبراطورية السماوية في نحو القرن الخامس والاربعين قبل المسيح ، وان هذا الامبراطور كان اول من دجن الماشية وسنَّ شريعة الزواج وأعطى شعبهُ المحراث الاصلي وتخيَّل أحرف الكتابة ، وهذه الاحرف لم تكن سوى ثماني علامات رمزية

ولكن في نحو القرن السابع والعشرين صعد العرش امبراطور آخر يدعى « هوانغ — تي » ولقبهُ « الاصفر المعظَّم » فبعد ان افنى الدباب التي كانت تتكاثر في ذلك الحين ، ورتَّب امتيازات السحرة بقوانين ، ونظَّم اليومية القمرية ، وأمر برفع القرابين الى كل قوة غير منظورة عمد الى إصلاح الاحرف المكتوبة فكمَّلها

إذن فالصينيون قد عرفوا الكتابة ألفي سنة قبلنا وقبل اجدادنا الروحيين اليونان والفينيقيين ، وإذن فذهنهم قد ارتاض قبل ذهننا ببرهة ، وفي هذا ما يدعو الى التأمل والتفكير

على ان هنالك ما هو اعجب من كل ذلك ، فقد قلت إن « الاصفر المعظم » كمَّل الاحرف المكتوبة ولم يستنبطها ، فالكتابة الصينية هي كتابة رمزية تصوّر الفكر دون الصوت ، وكل كلمة صينية يعبّر عنها على الورق برسم صغير ينقل الى دماغ القارىء التأثير الموافق . اما كتابتنا نحن — وهي كتابة صوتية — فانها تنقل الى دماغ القارىء تأثيراً رنَّاناً يستخرج منهُ الدماغ التأثير النهائي المتعلق بالشيء المطلوب وهذا لعمري جهد دماغي يختلف عن الاول اختلافاً بيّناً . ولا شك في أن جنسين من أجناس البشر ينتجان عن هذا الاختلاف البعيد وفي هذا دليل على ان الصينيين لا يشابهوننا في شيءٍ ، وانهم اقدم منا بقرون عديدة . ولهذا السبب لم يكن بين ثقافتنا وثقافتهم أقل علاقة

﴿ الفتيات البشعات بليّة وعالة ﴾ والآن أتريدون أن نجوب معاً جيوب التاريخ الصيني منذ القرن السابع والعشرين قبل المسيح — وهو عصر الامبراطور هوانغ — تي — الى قرننا هذا ؟

إذن فيستغرق مسيرنا مدة خمسة آلاف سنة لا يصعب علينا ان نختصرها في فترة خمس دقائق

بعد ان توفي الامبراطور هوانغ — تي — تعاقب على العرش ثلاثة من امبراطرة الاساطير هم ياو ، وشون ، ويو ، فالاول نظّم مجاري المياه ، والثاني انشأ قانون الجنايات الاول ونظم يومية شمسية أرضى بها المزارعين ، والثالث حمل شعبه من شواطىء النهر الاصفر الى شواطىء النهر الازرق واستطاع بهذه الطريقة ان يخلق اول دولة حقيقية

على ان هؤلاء الامبراطرة لم يسودوا الاّ على بضع خيم وبضعة قطعان ، فقد كانوا بطارقة بسطاء لا اكثر ولا اقلّ ، فالاسرة الصينية قديمة جداً يرجع تاريخها الى اربعة آلاف سنة او خمسة آلاف سنة قبل المسيح ، وهي اسرة جميلة ، صلبة ، سلسة ، خصبة ، تقبل المضارّة بالطبع وتقبل ايضاً عدا الزوجات الشرعيات زوجات غير شرعيات ، ولكن في اشراف القانون. أما الابناء فتجوز ولادتهم بكثرة من غير ان يطوح احداً منهم خارج الحجر العائلي بشرط ان يكونوا غلماناً لان الفتيات الكثيرات بلية وعالة على اهلهنّ لا سيما اذا لم يكنّ مفرطات في الجمال ، والشريعة الصينية لا تجيز البلايا

﴿ الفلاسفة الصينيون الثلاثة ﴾ في العام ٢٢٠٥ قبل المسيح ظهرت السلالة الصينية الوارثة الاولى وهي سلالة « هيا » التي تربعت على العرش ثم عقبتها سلالة شنغ ، فسلالة إنّ ، فسلالة تشيو التي سادت الف سنة ، اي الى عهد هنيبال فالهيا حكموا من العام ٢٢٠٥ الى ١٧٦٧ ، والشنغ والإنّ من العام ١٧٦٦ الى ١١٢٢ ، والتشيو من العام ١١٢٢ الى ٢٥٥ ، وفي عهد هذه السلالة الاخيرة عاش الفلاسفة الصينيون الثلاثة وهم لاوتسو الذي ولد في العام ٦٠٤ قبل المسيح ، وكونغ تسو الذي ولد في العام ٥٥١ ومات في العام ٤٧٩ (؟) ، ومانغ تسو ، تلميذ هذا الاخير (٣٧٢ — ٢٨٩) ولست بحاجة الى القول ان كونغ تسو هو نفسه الفيلسوف المعروف بكونفوشيوس . والآن من هم هؤلاء الفلاسفة الثلاثة ؟

يسهل عليّ التكلم عن كونغ تسو ومانغ تسو ، فهذان الرجلان العظيمان كانا حكيمين اكثر منهما عالمين من علماء النظريات ، فلم يحدث لاحدهما ان عالج القضايا الكبرى المتعلقة بالقضاء البشريّ . وقد قال كونغ تسو : « لا اعرف ما هي الحياة ، فكيف اهتمّ بمعرفة ما هو الموت ؟ » وكونغ تسو هذا املى حكمة اجتماعية ، منطقية وأساليب حكومية عديدة . وهذه الاساليب الحكومية المجموعة في كتيّب عنوانه « الدرس الكبير » تستحق ان يتأمل فيها جميع زعماء الدول حتى الحاليون منهم

اما لاوتسو فيختلف عن هذين الفيلسوفين ، فهو عالم نظري ، ونظريته في العالم ، تلك النظرية الغائمة تقرب من نظريتي فيثاغوراس وهيراقليطوس . على ان لاوتسو لم يخلق ليعيش في الشرق الاقصى ، فالشرق الاقصى لم يفهمه ، ولم يستطع الصينيون ان يستقوا من تعاليمه

الاّ مزيجاً من الخرافات الغريبة وهذا المزيج من الخرافات يعرف بالطاو ، وهو مفعم بالسحر، وعبادة النار والكواكب ، وغير ذلك من الغرائب والمبهمات . الاّ ان حسن الحظ شاء ان يولد كونغ تسو بعد لاوتسو بنصف قرن فأتيح له ان يضع بعض النظام في تلك الخرافات المشوشة ثم جاء مانغ تسو فضاعف ما اصلحه كونغ تسو حتى اصبحت الخرافات الضعيفة مذهباً وتقاليد واليكم مثالاً من «الليكي» وهو كتاب الرتب الدينية عند الصينيين القدماء :

« في الشهر الاول من الصيف قبل ان يأتي الصيف بثلاثة ايام ، اعلنه المقوم الكبير لابن السماء ، فتطهر ابن السماء بالزهد ، وفي مستهل ايام الصيف خرج لاستقبال هذا الاخير في مركبته الحمراء التي تجرها جياد صهبٌ ذات اذناب سود . لقد خرج بعلمه القرمزيّ مرتدياً لباسه الاحمر وعلى قبعته وحزامه اليواقيت الحمر ، يتبعه ثلاثة من كبار وزراء الدولة وتسعة من الوزراء الآخرين وجميع كبار الرؤساء، فرحب بالصيف في الجهة القبلية من العاصمة لما قفل راجعاً وزّع الحمد والنعم بعدله الكبير» . واليكم هذا المقال الآخر :

«إن ابن السماء يرفع القرابين او التضحيات الى السماء والارض، الى ارواح الخوافق الاربعة، الى ارواح الجبال ومجاري المياه والى الخمسة الانواع من الآلهة الانيسة»

فالمثال الاول هو ولا ريب من كونغ تسو ، والمثال الآخر من لاوتسو، وهذان المثالان هما نموذجان من مزيج يؤلف الديانة الصينية الاولى ، او بالاحرى النظام الاجتماعي في الصين فالصين منذ خمسة وعشرين قرناً كانت ركاماً من العيال يديره امير بطريقيّ

﴿امبراطور يحرق الاسفار القديمة﴾ كذلك كانت الصين في عهد التشيو بعد ان جازت عهد الإنّ والتشنغ والهيا ، ولكن عند ما انهارت سلالة التشيو حدث انقلاب عظيم

قلت عند ما انهارت سلالة التشيو ... ولكن كيف انهارت هذه السلالة وكيف انهارت قبلها سلالات الإن والشنغ والهيا ؟ — لقد انهارت هذه السلالات جميعها كما ستنهار السلالات التي ستعقبها ، فبعد هؤلاء الامراء المؤسسين، الامراء الحكماء الاذكياء المتحمسين حلّ امراء وارثون يعلقون على العرض اكثر مما يعلقون على الجوهر ، والشعب الصيني كثير الشبه بقطيع الاغنام ، فهو سهل الانقياد على ان لا يطلب منه ما ليس في حسبانه او ما هو صعب عليه . فلقد سقطت سلالة الهيا لان حظية آخر امير من امرائها صور لها ان تضرم النار حين لم يكن من داع لاضرامها ، ولقد شاءت هذه السيدة الفتّانة ان ترى ما يحدث بعد ذلك، ولكن الذي حدث هو ان الصينيين قطعوها تقطيعاً واسقطوا عشيقها عن العرش

ولنعد الآن الى الاغنام ، فلما اضمحلت سلالة التشيو وذلك في العام ٢٢٥ قبل المسيح قاست الصين ثلاثاً وثلاثين سنة من الفوضى والاضطرابات ، ثم انبثق رجل عظيم من مقاطعة شانسي وذلك قبل ان يربح شيبيون الافريقي معركة زاما بعشرين سنة ، وهذا الرجل العظيم

هو الأمير تسن" المعروف بفانغ تشنغ

قلت ان فانغ تشنغ هذا نجب من مقاطعة شانسي القائمة على كتف النهر الأصفر ، فلما قبض على زمام الصين بأسرها — بعد ان أباد جميع المشاغبين — سمى نفسهُ تسن شوهوانغ — تي اي الامبراطور الاول لسلالة تسن . وأول ما بدأ بهِ هو ان انشأ من الصين امة متحدة

كان هذا الامبراطور يقبل نصيحة أي كان، ولكن عند ما كان يرى النصيحة سيئة كان يحرق الناصح حيًّا او يغليه على النار. وكان الكتّاب يواجهونه دائماً بالشرائع القديمة ليوقفوه عند حده ويمنعوه من العمل على هواه فحرق جميع الاسفار القديمة وأغلى أحياءً جميع الذين كانوا يقرأون اي كتاب كان . فغضب الصينيون على تسن شوهوانغ — تي وأخذوا ينظرون اليه نظرتهم الى ملك دجال . على ان تسن شوهوانغ — تي كان قد شيّد أمة حقيقية تدعى الصين ، وهذه الامة لم تضمحلّ الاّ بموت هذا الامبراطور في العام ٢٠٦ على انها لم تضمحلّ الاّ لتبعث فيما بعد ، والذين عملوا على بعث هذه الامة هم الهان — السلالة السماوية الحقة — الذين ساروا مدة اربعمائة سنة او اكثر ولم يسودوا طوال هذه المدة الاّ انهم عرفوا اختيار قوادهم الذين كثيراً ما جدّدوا الوحدة الصينية . ولم تضمحلّ سلالة الهان الاّ في السنة ١٨٤ للمسيح

﴿الصين في عهد الاستيلاء الاجنبي﴾ كان القرن الخامس للمسيح عهد الغزوات البربرية ان في الصين وان في الغرب الاقصى ، ففي العام ٤١٠ استولى «الاريك» على روما ، وفي ذلك العهد أيضاً احتل ليو تسونغ ، ملك «الهون» Huns ، العواصم الصينية وأسر امبراطورين جعل أحدهما خادماً لهُ . ومنذ ذلك الحين بدأ الغرباء يحكمون الصين ، فبعد ان جلا «الهون» عن الصين خلفهم «التوبا» وقد اهتدوا الى الدين البوذي ، فعالجوا سلطتهم من غير أن يتخذوا لهم لقب امبراطور ، على ان سلالتين من المغول انبعثتا من دمهم هما السوي والتانغ . ولقد بقي الغرباء يحكمون في الصين مدة خمسمائة سنة متتالية فأنشأوا أمة عظيمة أداروها بشراسة ولكن بحذق ونشاط. ولا ريب بأن احتكاك هؤلاء الامبراطرة بالصين — ذلك الاحتكاك الطويل — جعلهم صينيين . على ان الصين ، في عهد الاستيلاء الاجنبي هذا ، تفتحت في أفكار لم تخطر في بال كونفوشيوس نفسه ، فبين القرن السادس والعاشر وقعت في المملكة السماوية أزمتان او ثلاث ازمات دينية ، على ان هذه الازمات لم تلبث ان تلاشت ، فلما سقط التانغ في العام ٩٠٧ وعقبت سقوطهم فوضى دامت نحواً من ستين سنة انقسمت الصين الى دويلات مختلفة حتى ظهر فيها قائد ظافر او متشرد أحذق من سواه اذا شئتم فأسس السلالة الوطنية الوحيدة التي عرفتها الصين منذ عهد الهون والتشيو وهي سلالة سونغ

سوى ان هذه السلالة الصينية لم تتصرف تصرفاً حسناً لأن مؤسسها كان جنديًّا حاذقاً اكثر منهُ محارباً، ولقد شبهه الفرنسيون بهنري الرابع. على ان الجدير بالذكر هو ان الصينيين

كانوا سعداء في عهد السونغ الذين انهارت سلالتهم في العام ١٧٢٩ بعد ان انهار كل شيء من حولهم ، ولقد شرح لنا ماركو بولو لماذا كان الصينيون سعداء في عهد السونغ ولماذا استسلموا لاول فاتح هبط عليهم . قال ماركو بولو :

لو كان شعب مانزي (اسم ملك) من الشعوب المحاربة لافتتح العالم . ولكن شعب مانزي لم يكن شعباً محارباً بل كان تاجراً وصانعاً ولقد صرف همه على النساء . وكان ملكه اميل ما يكون الى النساء والى العطف على الفقراء والاحسان اليهم »

ولنستأنف الآن الكلام عن آخر الامبراطرة الصينيين فنقول : ان سلالة « منغ » الصينية خلفت المغول الغرباء وتوارثت الملك الى العام ١٦٤٤ ، ثم عقبتها سلالة « تاتسنغ » فحكمت من العام ١٦٤٤ الى العام ١٩١٢ أي الى عهد الفوضى الحالية التي لم تدم الاّ احدى وعشرين سنة ، والاحدى والعشرون سنة ليست بالمدة الطويلة متى كان الأمر متعلقاً بفوضى صينية

﴿ الصينيون عيال لا أمة ﴾ اظنني جعلتكم تمسون باصبعكم تلك الحقيقة التاريخية وهي ان الصين لم تكن صيناً حقيقية الاّ تحت سيطرة الفاتحين الغرباء . وهذه الحقيقة التاريخية تجعلنا نذهب الى ان الفوضى الحالية في الصين لن يوضع لها حدٌّ الاّ اذا تدخل الغرباء في الامر

ولكن فيمَ لم نر الصينيين الذين هم ولا ريب اكثر تجار الكرة الارضية حذقاً وحكمة وأشد الفلاحين صبراً وصلابة ، والذين عرفوا اكثر مما عرف سواهم ان يقمعوا مزاجهم العصبي في الجهود الشاقة ويصور اليهم انهم اقرب الجنس البشري الى الكمال ، فيمَ لم نرهم صاروا الى تلك النتيجة البسيطة التي كثيراً ما صارت اليها سلالات هي دونهم بمراحل بعيدة وهي حكم النفس بالنفس ؟ فيم لم تكن الصين صيناً حقيقية الاّ تحت سيطرة فاتحين غرباء تحت سيطرة كثيراً ما كانت ظالمة شرسة ؟ . ذلك لان الصينيين الذين عرفوا في البدء ان يؤسسوا عيلة صينية متينة اضطرتهم الحاجة في الكثير الغالب الى ان يمزجوا عيالهم بعضها ببعض ويجعلوا منها قبائل لا أمة ، فالصينيون يؤمنون بالعيلة ، وبالعيلة دون سواها

﴿ لا يخلق الامة الاّ الزواج المختلط ﴾ لم تخلق الامم ان في آسيا وان في اوربا الاّ منذ الوقت الذي اختلط فيه الزواج من عيلة الى عيلة او من قبيلة الى قبيلة . والامم القوية التي أسرعت بالنشوء كالامة الفرنسية والانكليزية والاسبانية والايطالية ، لم تستمد قوتها الاّ من امتزاجها بعضها ببعض ، فالامة الفرنسية مثلاً هي مزيج من السلط واللاتين والفرنج والبروغونديين والنورمانديين ، والامة الانكليزية هي مزيج من البريطان والانكلو والسكسون والدانوا والنورمانديين والغائيل !

وخلاصة القول يجب ان يتزاوج الشبّوط والارنب ليكون هناك امة حقيقية على ان

الصينيين لم يكونوا الاَّ صينيين،فالصينيون لا يسمحون بالتمازج ، والتمازج وحده يخلق الامم
يبلغ عدد سكان الصين اربعمائة وخمسين مليوناً ما يعادل ثلث سكان الكرة الارضية .
سوى ان هذا العدد لم يزد منذ اكثر من مئة سنة . واذا استثنينا شعوب كندا واليابان
وبولونيا رأينا انهُ ما من سلالة بشرية تتكاثر بسرعة السلالة الصينية

على ان الصينيين ، وهم شعب يحتقر احتقاراً شديداً كل ما هو في نطاق الصحة ، يموتون
بالملايين ؛ وقد لا نستطيع ان نحصي عدد هؤلاء البشريين الذين يموتون كل سنة بالاوبئة المختلفة
وقد لانخطىء ايضاً إذا قلنا انهُ منذ اليوم الذي يهتم فيه الصينيون بتربية ابنائهم بحسب القوانين
الصحية يصبح عددهم تسعمائة مليون بدلاً من اربعمائة وخمسين مليوناً ويصبح الشعب الاصفر
وهو يعدُّ بالمليارات لا بمئات الملايين. وعندئذٍ لايبقى لنا — نحن وأنسالنا — إلاَّ أن نحتجب :
« الصين في الوقت الحاضر » ولكن مالنا ولهذه المسألة المخيفة ، فلنبقَ في الحاضر
ولنحصر حديثنا في هؤلاء الصينيين المساكين من طراز ١٩٣٣ الذين يقتتلون اليوم مدلجين
في الفوضى العمياء التي لا يعرفون الخروج منها . . .

قد تقولون لي ان رجلاً واحداً يكفي لانقاذ شعب ، وقد رأيتم حقيقة ذلك في فرنسا ،
على أن فرنسا تعدُّ اربعين مليوناً او أقلّ . اما الصين فتعدّ اربعمائة وخمسين مليوناً ، وهذا
الشعب العظيم يحتاج لانقاذه الى رجل عظيم ،والعظماء لا يخلقون كل يوم

وفي الصين ، بين بكين وكانتون ، عشرون حكومة مختلفة لا تكف عن التناحر بكل مافي
الوحشية من المعنى ،وهذه الحكومات لا تعبأ بعواقب تناحرها فهي تكتفي بقتل الحياديين
اي بقتل الشعب،فالصينيون يقتلون الصينيين بالسهولة التي نراها نحن في قولنا: اسعدت صباحاً

ثم ان هذه الحكومات وعلى رأس كل منها زعيم متشرد او لص ، يفاوض بعضها موسكو
وبعضها توكيو ، والبعض الآخر واشنطون، ولندن أيضاً . ولكن لندع السياسة جانباً !
فنحن في الصين ولنبق فيها . نحن في بلاد تعسة ، في أشقى البلدان جميعاً. قد تقولون ان شقاء
هذه البلاد يرجع الى اخطائها هي . حسناً ، ولكن افريقيا ، بين السينغال والكنغو ،
ومراكش بأسرها كانت في الماضي ميادين مصبوغة بالدم ، حتى جاء فيدهرب وارشيفار ومانجن
وليوتاي فأشفقوا على هذه الشعوب المتناحرة ومنحوها السلام الفرنسي. فمن تراه يشفق على
الصين المسكينة فيمنحها السلام أي سلام كان ويجعل منها امة حقيقية ولو أكلت الأرض ؟

أني لا أعني ان يجيء أحد ، منشوريًّا كان ام مغوليًّا ام يابانيًّا ! فمنقذ الصين لابد له ان
يصبح صينيًّا بما ان جميع الذين افتتحوا الصين لم يمر عليهم جيل واحد حتى اصبحوا صينيين .
وهذا سرٌّ غريب نضيفهُ الى اسرار آسيا القصوى هذه ، الى اسرار تلك الأرض العجيبة التي
اخترعت البيان — اثمن المزايا البشرية — والتي تعمل الصينيين بسرعة تدهش العقول

العطور واستخراجها

بين الطبيعة والعلم

ان حاسة الشم من الحواس التي لم ترتقِ بارتقاء الانسان ، بل على الضد من ذلك ضعفت. فالكلب، يميّز بين الصديق والعدو بالشم ويستطيع ان يقفو اثر انسان اذا شم رائحة ملابسه. وهذا ما يفعله رجال الشرطة في اقتفاء آثار المجرمين احياناً. اما الانسان فقد فقد دقة حاسة الشم او كاد. انهُ يستطيع ان يميز الروائح الطيبة من الروائح الكريهة. ولكن اللغة نفسها اقوى دليل على ضعف هذه الحاسة فيه. فليس يحتاج احدٌ الى بلاغة نادرة لكي يصف جسماً من الاجسام وصفاً يمكنك من معرفته اذا رأيتهُ . فالاميُّ يستطيع ان يصف حيواناً غريباً رآه بالفاظ تمكنك من معرفة هذا الحيوان اذا رأيتهُ انت، فتقول هذا هو الحيوان الذي وصفهُ فلان . ولكن ذلك متعذر في وصف الروائح الى حدّ بعيد. حاول ان تصف رائحة معيّنة ولتقل انها رائحة الورد من دون ان تستعمل لفظ الورد في وصفها ، بطريقة تمكن صاحبك من معرفة الرائحة التي تقصدها . ان اللغة في الغالب تقصر دون مرادك ولو كنت من البلغاء

والعطور محلولات من زيوت معيّنة او مواد عطرة ، في كحول مخفّف . اما عطور القدماء فكانت المواد العطرة نفسها . غير محلولة في كحول او اية مادة اخرى

والزيوت العطرة تستخرج من مصادر نباتية ، من الازهار والاوراق والسوق والجذور باساليب دقيقة كل الدقة ، وقد عرفت بالزيوت ، لانها في الغالب مواد دهنية او زيتية ، اخف من الماء وتطفو على سطحه من دون ان تمتزج به. وهي تشبه الزيوت الاخرى ، كزيت الزيتون وزيت بزر الكتان ، في انها تحدث بقعة دهنية ، اذا وضعت قطرة منها على الورق. ولكنها تختلف عن الزيوت العادية ، في ان هذه البقعة الدهنية على الورق ، تزول بالتبخر بعد ما تمكث قليلاً ، واما بقع الزيوت العادية على الورق فتمكث ولا تزول

فعطر التربة والقرنفل والخزامى والتُنّوم او رقيب الشمس والسنط والياسمين والنارنج والورد والبنفسج يستخرج من ازهارها. وعطر الخزامى و اكليل الجبل والنعناع والبنفسج يؤخذ من ازهارها واوراقها . وعطر العِتر والدارصيني يؤخذ من اوراقهما وسوقهما . وعطر الدارصيني والتربة يؤخذ من لحائهما. وعطر العرعار والصندل من خشبهما. وعطر حشيشة الملاك (angelica) والساسفرس من جذورها . وعطر البرجموت والليمون والليم والبرتقال يؤخذ من اثمارها . وعطر اللوز المرّ واليانسون وجوز الطيب يؤخذ من

بزورها . وعطر المرّ وبلسم بيرو والمَيعة يؤخذ من أصماغها

وثمة طيوب تستخرج من الحيوانات . وهي اغلى العطور واندرها . فالعنبر يستخرج من حيوان بحري ، تقذفهُ الحيتان المريضة وتحملهُ الامواج الى الشاطىء . والمسك يستخرج من احد الايائل ، الذي كاد ينقرض الآن ، لجدّ الناس في صيدهِ . والزباد طيب نادر يستخرج من سنّور الزباد باساليب كادت تقرض هذا الحيوان

اما الاساليب التي تستعمل لاستخراج العطر من الازهار فبعضها قديم كالتقطير والنقع في الأدهان والكحول، وبعضها حديث كاستعمال بخار البترول. ويندر ان يكتفى الآن بأسلوب واحد في استخراج عطر زهر من الازهار ، بل يعمد الى غير اسلوب واحدٍ حتى يثبت ان كل العطر الذي في الزهر قد استخرج

ففي طريقة التقطير توضع الازهار في انبيق كبير وتغمر بالماءِ ثم يبدأ عمل التقطير المعروف المستعمل في تقطير ماء الزهر من زهر النارنج وماء الورد من زهر الورد

اما طريقة النقع في المواد الدهنية فيعمد فيها الى وضع الازهار فيها حتى تتهرأ وتصير كالمروّخ ، والغالب ان يوضع عدد معين من الازهار في دهن نقي او زيت زيتونٍ نقي ثم يوضع الاناء في اناءٍ آخر فيهِ ماء غالٍ ، وبعد وقت معيَّن تخرج الازهار ويوضع غيرها محلها حتى يتشبع الدهن او الزيت من عطرها . ثم تمرث الازهار التي نقعت وتضغط في مكابس مائية حتى يعصر منها كلّ ما تبقّى فيها من العطر. ويؤخذ المروّخ ويغسل مراراً بالكحول فيذيب الكحول العطر الذي فيهِ ويمتصهُ فيصبح بعد التصفية والتبريد خلاصة زهر النارنج اذا كان الزهر من النارنج او البرتقال ، وعطر الورد اذا كان الزهر ورداً

وقد تستخرج المادة العطرية باستعمال بخار البترول النقي وهو احدث الاساليب وافضلها وطريقتهُ ان تمرث الازهار اولاً فتتمزق الغدد الزيتية التي تحتوي على المادة العطرية، وتتصل هذه المادة ببخار البترول وتبقى الازهار الممروثة على هذه الحال ٤٨ ساعة . ثم يبرد البخار ويستقطر فيبقى منهُ مادة شمعية ذات رائحة عطرة، ويعاد عمل الاستقطار مراراً فتصبح المادة الشمعية خلاصة العطر الجامدة التي تباع في الاسواق

يسهل استعمال هذه الاساليب للازهار التي تستخرج رائحتها بسهولة اذا مرثت ، ولا تزول رائحتها اذا مضى عليها وقت طويل بعد جنيها ، ولكن ما كان من الازهار كالياسمين والزنبق، لا يستخرج عطرهُ الاَّ بالحيلة لان مقدار العطر قليل — فقد لا يستخرج من طن من الزهر الاَّ اوقية او اوقيتان من العطر — لا يصلح التقطير لاستخراجهِ ولا يستخرج بالنقع ولا ببخار البترول لئلاَّ تتلف الازهار. ولذلك يستخرج عطرها باستعمال الدهن البارد. وآية ذلك ان الازهار الغضة توضع في اطباق مبطنة بالدهن ، وتقام هذه الاطباق بعضها فوق بعضٍ ،

وتبدل الازهار الذاوية بغيرها مرة كل ٤٨ ساعة بعد ان يمتص الدهن عطرها ويصبح كالمروّخ المذكور آنفاً . ثم يغسل هذا المروّخ بالكحول كما تقدم

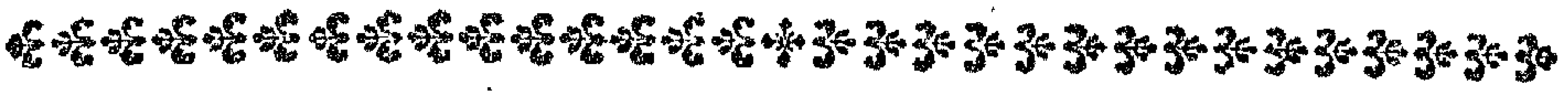
وقلما تباع خلاصات العطور الاّ لصنّاعها. ويختلف سعر الاوقية الواحدة من نحو جنيه الى عشرات الجنيهات. وثمن بعضها يفوق وزنهُ ذهباً . وهؤلاء يمزجونها ثم يحلونها في الكحول ويبيعونها في زجاجات انيقة ، لا يحتوي المحلول الذي فيها على اكثر من ١٠ في المائة عطراً و ٩٠ في المائة كحولاً

وسرّ صناعة العطور هو في مزج الخلاصات الزيتية قبل حلّها ، وهو فنٌّ دقيق ، توارثت سرَّه بعض الاسر التي اشتهرت بهذه الصناعة . فماء الكولونيا الالماني ، لا يباح سرُّ صناعتهِ ، حتى للعلماء . وكان الكيماوي الالماني «پيس Piess» قد صنع للعطور سلَّماً شبيهاً بالسلَّم الموسيقي في اسفله العطور الشرقية القوية مثل عطر خشب الصندل وفي أعلاه العطور الطيارة الخفيفة مثل عطر شجرة اليمام Heliotrope . على هذا السلَّم العطري يستطيع الخبير البارع ان يمزج العطور كما يؤلف بين الانغام فيخرج منها عطوراً مركبة منسجمة . فاذا كان غير خبير ، وقع تنافر بين الاجزاء التي يصنع منها العطر المركب كما يقع التنافر في الانغام

فمزج العطور المختلفة لاخراج عطر جديد يستطيبهُ الناس ويقبلون عليهِ ، فنٌّ دقيق يحتاج الى حسٍّ مرهف ، والراجح ان اكتسابهُ ممكن بالاختبار وطول المرانة

فصنع العطور ميدان لبراعة الكيماوي . ولولاه لظلَّت العطور غالية الثمن عزيزة المنال الاَّ على الاثرياء . خذ مثلاً عطر البنفسج. فهو من اندر العطور واغلاها ثمناً. فاذا زرعت فداناً بنبات البنفسج ، لم تستطع ان تستخرج من ازهاره ، الاّ بضع قطرات من عطر البنفسج الزيتي . ومن اشق الأمور حفظهُ . لانهُ طيّار . فلما حلل الكيماوي هذا العطر وجد ان عنصره الاساسي مادة تدعى ايونون . فاذا استفردت هذه المادة نقية من الشوائب بلغ من قوة رائحتها انها تشل حاسة الشمّ فلا يستطيع الانسان ان يتبين لها رائحة ما . فعمد الكيماوي الى محاولة تركيب هذه المادة تركيباً صناعيًّا في المعمل . وقد افلح في ما حاول . والعطور المحتوية على خلاصة عطر البنفسج اصبحت رخيصة، حتى ليتعذر عليك في الغالب أن تبتاع عطر البنفسج الطبيعي ، لانهُ لا يستطيع ان ينافس العطر الصناعي ، فلا يصنع لانهُ لا يفي بنفقات استخراجهِ الطائلة. ومن هذا القبيل فوز الكيماوي بصنع المواد الاساسية في العطور والطيوب المختلفة كالمسك وعطر الورد وعطر الليمون وغيرها

ولكن العطور التي يصنعها الكيماوي لاتصلح ، وحدها ، الاّ لصنع العطور الرخيصة . ولذلك تمزج ببعض العطور الطبيعية في صنع العطور المركبة ، لان اصحاب الحسّ الدقيق يستطيعون ان يميزوا العطر الصناعي البحت



بول پانليڤه

Paul Painlevé



كتب العالم البريطاني توماس جرينوود في مجلة نايتشر قال: لما ذهبت الى لقاء المسيو پانليڤه قبيل وفاتهِ كان منهمكاً في إعداد الجزء الثاني من محاضراتهِ المشهورة في «ميكانيكية السوائل» التي القاها حديثاً في السوربون، فرأيت «الرئيس» (كما يدعوه اصدقاؤه) وهو في شفق حياتهِ، مشغولاً بالمباحث التي شغفتهُ، قبلما لبَّى نداء الوطن وخاض ميادين الخدمة العامة. وكان حينئذٍ ناقهاً من علة اصابتهُ وأقعدته عن العمل والدرس، وكان يأمل ان يتاح له اعداد خطبته الافتتاحية ليتلوها في «معهد الفنون والصنائع» الذي دعي باسمهِ، اعترافاً بفضله ونبوغهِ. ولكن القدر لم يمهله، فوضع نعشهُ في ردهة ذلك المعهد، قبل حمله الى البانثيون (مقر رفات الفرنسيين العظماء). ففرنسا خسرت بوفاتهِ ابناً من أكرم ابنائها، والعالم رياضيًّا وسياسيًّا من اعظم رياضييهِ وساستهِ

***

قلما يتاح لرجل من المشتغلين بالشؤون العامة ان يجمع بين المكانة العلمية والمقام السياسي في أعلى مراتبهما. ولكن المسيو پانليڤه كان من هؤلاء

ولد في باريس سنة ١٨٦٣ وتلقى العلم في دار المعلمين العليا (الايكول نورمال سوبيريور) واحرز لقب دكتور في علوم الرياضة ثم اثبت بمباحثهِ انهُ رياضي من الطبقة الاولى، فعين استاذاً في السوربون وانتخب عضواً في مجمع العلوم

ومنذ ما قامت في فرنسا قضية دريفوس الشهيرة بدأ يوجه عنايتهُ الى السياسة، ففي سنة ١٩٠٦ انتخب نائباً اشتراكيًّا مستقلاًّ عن باريس، ووجه عناية خاصة الى شؤون الجيش والاسطول والسلاح الجوي. ولكنهُ لم يشغل منصباً سياسيًّا كبيراً قبل الحرب الكبرى. وفي سنة ١٩١٥ الف بريان وزارة واختار پانليڤه ليكون وزير المعارف فيها. ولكنهُ اختلف مع رئيسه في طريقة مواصلة الحرب، فلما اعاد بريان تأليف وزارتهِ هذه في ديسمبر سنة ١٩١٦ خرج پانليڤه منها

وفي مارس سنة ١٩١٧ الف الوزير ريبو وزارته واختار پانليڤه لوزارة الحربية، فاقدم في الحال على تعيين الجنرال پتان قائداً عامًّا للجيش الفرنسي بدلاً من الجنرال نيڤل. فلما استقال

ريبو دعي بانليفه لتأليف الوزارة الجديدة وكان ذلك في سبتمبر سنة ١٩١٧ . وكان يود أن يشرك الاشتراكيين معهُ في هذه الوزارة ولكنهم تشددوا وغالوا في مطالبهم ، فألف الوزارة من دونهم ، واستبقى لنفسه منصب وزير الحربية علاوة على الرآسة . وفي اكتوبر بعد تأليف الوزارة بشهر واحد ، أحسَّ بعد اقتراعٍ تمَّ في المجلس ، ان الاكثرية الموالية لهُ ليست بكافية للسير بشؤون الدولة فاستقال ، وأعاد تأليف الوزارة فاخرج منها ريبو وضمَّ بارتو وزيراً للشؤون الخارجية . فلما مني الايطاليون بعد ذلك بهزيمتهم الشنيعة في كابورتو اسرع الى رابلّو فاجتمع هناك بلويد جورج رئيس وزراء بريطانيا، وأورلندو رئيس وزراء ايطاليا ، فاسفرت محادثاتهم عن انشاء مجلس الحلفاء الاعلى في فرساي، واختير الجنرال فوش ، ليكون الممثل الفرنسي الاول في هذا المجلس . وفي ١٣ نوفمبر رفض مجلس النواب الفرنسي تأجيل البحث في مسألة الدعاية الى وقف الحرب Defeatism (وهي المسألة التي حوكم فيها الوزير السابق جوزف كايو وحكم عليه) فاستقال بانليفه ودعي كلمنصو الى تأليف الوزارة التي حاكمت كايو ، وسارت بفرنسا الى النصر العظيم

***

وقضى بانليفه بعد ذلك بضع سنوات بعيداً عن ميدان السياسة الفعالة ، ولكنه عاد فألف مع هريو كتلة من احزاب اليسار،ففازت هذه الكتلة في انتخاب ١١ مايو سنة ١٩٢٤ فألف هريو الوزارة وانتخب بانليفه رئيساً لمجلس النواب . ولكن الاحزاب المتطرفة اضربت عن تقلد المناصب الوزارية الاَّ اذا ذهب مِلِران — وهو رئيس الجمهورية — من منصة الرآسة فذهب . ويقال ان بانليفه حاول حينئذٍ ان ينتخب مكانه رئيساً للجمهورية فاخفق في سعيهِ . وانتخب المسيو جاستون دومرج

فلما سقطت وزارة هريو سنة ١٩٢٥ للاختلاف على بعض المسائل المالية ، خلفه بانليفه في الرآسة وأخذ على عاتقه وزارة الحربية ، وأقدم على عمل جريء اذ ضمَّ اليه الوزير السابق، المحكوم عليه ، جوزيف كايو ، وزيراً للمالية

في تلك السنة اشتدَّت الحال في مراكش على اثر الحرب التي شنَّها الامير عبد الكريم ، فطار اليها ، للنظر في الحالة ، وعاد فعين المارشال بتان لكي ينظم قوى المقاومة والهجوم على الامير عبد الكريم وجنوده. وفي يوليو من تلك السنة ثبت له انه لايستطيع ان يستمر في الحكم من غير تأييد بعض فرق المعارضة،لان الاشتراكيين رفضوا ان يؤيدوا كايو في خطته المالية . وفي ٢١ نوفمبر تحوَّلت اكثريته الى اقلية فاستقال

نخلفهُ بريان في رآسة الوزارة . واشترك هو مع بريان وزيراً للحربية . وكذلك شغل هذا المنصب نفسه في وزارتي بوانكاره اللتين طالتا من يوليو سنة ١٩٢٦ الى نوفمبر سنة ١٩٢٨

وقد انتخب پانليڤه في حياته عضواً في مجامع العلوم في فرنسا وبولونا (ايطاليا) واستوكهلم (السويد) وروما ومن مؤلفاته «دروس في الفرك» ودروس في «تحليل معادلات لاختلاف» وهو فرع من الرياضة العالية

***

كان شغف پانليڤه بالرياضة اساساً لنظرتهِ الفلسفية الى الطبيعة . وفي رسالتهِ « اوليّات الميكانيكا » عرض لبحث مبادىء الميكانيكيات القديمة، وفكرة العلة والمعلول ، واصول النسبية ، وانتقال الضوء . وقد كان في البدء حذراً في الايمان بنظرية اينشتين ، بل انهُ وجَّه اليها في مجمع العلوم الفرنسي نقداً محكماً . فلما اقيمت مناظرة عامة في السوربون سنة ١٩٢٠ في موضوع النسبية ، اذهل پانليڤه الحضور ، بكثرة الاحتمالات التي عرضها لتحلَّ محلَّ « اوليات اينشتين » . وكان اليوم مطيرا فلما خرج الجمع المحتشد ، مشى الاستاذ لانجفان — وهو مناظر پانليڤه — مع جرينوود فقال لانجفان ، انني واثق بان پانليڤه ، يغير رأيه بعد عشاء شهيّ . فلما ترجم جرينوود محاضرات ادنغتن في النسبية سنة (١٩٢٤) كتب له پانليڤه مقدمة اعترف بها بالفائدة العلمية الجليلة التي تجنى من «الصورة الكونية الجديدة» المبنية على نظرية النسبية . ومما لا يُرتاب فيهِ ان نقد پانليڤه لنظرية النسبية ، كان من البواعث الفعالة على استكمال نقائصها ، وتصحيح بعض تفصيلاتها ، وتوضيح مقتضياتها الفلسفية

كان پانليڤه قصير القامة ، طيب القلب ، تحمل اساريره آثار العناء العقلي الذي يكابده في اشغالهِ العقلية واعماله الادارية . فقد كانت حياتهُ ، حياة بساطة وجهاد . وكان يتشدَّد في انجاز كل اعماله بنفسهِ . وهذا لا يتاح لانسان الاَّ اذا كان نادراً في قدرتهِ على جمع افكاره وتوجيهها الى الموضوع الذي يريده . وقد ذكر جرينوود انهُ كان في مكتبهِ يوماً يناقشه في موضوع الانتخابات وإذا جرس التلفون يقرع ، وكان مخاطبهُ زميلاً في السوربون ، يستوضحهُ في مسألة علمية ، فأفاض پانليڤه في بسط علاقتها بالمعادلات الصعبة في حساب التمام والتفاضل فلما انتهى التفت لزائره معتذراً ، واستأنف البحث في الانتخابات

ومن عجائب العقل الانساني ، ان يشتهر هذا الرجل بشرود الذهن كذلك . فيروى عنهُ انه كان يخرج احياناً من مجلس النواب ، فيستقل سيارة اجرة الى داره ، وسيارتهُ الخاصة تنتظر . ويقال انهُ كان احياناً يذكر رقم تليفونه لسائق سيارة ، اذا سأله عن عنوانهِ ، بل اغرب من ذلك انهُ خرج من داره يوماً ، وكان ينتظر صديقاً ، فكتب كلمة مؤداها « پانليڤه يعود حالاً » وعلقها بالباب . ثم عاد قبل مجيء صديقه ، فرأى الورقة معلقة ، فوقف پانليڤه ينتظر عودة پانليڤه !



داود بركات

داود بركات

صورة وحياة

رزئت الصحافة العربية بوجه عام ، والمصرية بوجه خاص ، بفقد داود بركات رئيس تحرير الاهرام ، وقد كان براً بزملائه واخوانه ، مخلصاً لوطنيه لبنان ومصر ، فانطوت بموته صفحة من صفحات القلم المجيدة في الشرق . وقد رغبنا الى صديقه الاستاذ بولس غانم في كتابة فصل فيه، فأتحفنا بالصورة القلمية التالية:

١ — صورة من حياته

كهل ربعة القامة واضح الجبين مشرقهُ، واسع الحدقتين حادّ البصر نافذه في حياء ، حاضر الابتسامة سريع الجواب . يسير مطرق الرأس بادي التفكير مهمل الشعر واللباس في عصاً لا تحمله بل يحملها هو، ملقاة على عضده ويده الاخرى لا تخرج من جيبه الاّ لتمر على جبينه او لتلقي بغطاء رأسه الى الوراء — تلك صورة لداود بركات وهو ذاهب من منزله بالفجالة الى جريدة الاهرام

يأنف ركوب السيارات ويؤثر عليها العربات إما محافظة على قديمهِ وهو المحافظ على دينه وعاداته . واما لما يأخذه من رأفة على الحوذيين الذين نضبت موارد رزقهم بعد ان الف الناس ركوب السيارات . ذلك ما حدّثني بهِ داود وتلك صورة اخرى مصغرة لذلك القلب الفيّاض بالرحمة والحنان

فاذا بلغ منزله الثاني في دار الأهرام — ذلك المنزل الذي فيه فتاته وعروسه وافراحه وآلامه وذكريات شبابه وجني يديه - التقى بعصاه وبغطاء رأسه في غير ما عناية ولا اكتراث واحتفى بالكثير من الزوّار الراقبين قدومه وتلطف معهم بالحديث واكرم وفادتهم واخذ في مطالعة اكداس الرسائل الواردة بعناية لا يتوهمها محدثه وهو يسائله عن اموره الخاصة بل ربما اخذ يكتب احدى مقالاته التي لو طالعتها في الغداة لظننته قد كتبها في هدوء الليل وصفاء الذهن والخاطر

فاذا بلغ الليل وهنه وحلّ بهِ التعب خرج محنيّ الظهر متثاقلاً في مشيته الى مقهى اللواء فجلس الى فئةٍ مختارة من اصدقائه وزملائه يباسط هذا ويتبادل النكات مع ذاك حتى اذا

جدَّ الجد وجرَّهم الحديث الى امرٍ هام قطَّب حاجبيه واستوى على مقعده واخذ يحدثهم باحداث التاريخ وكأنه يقرأ من كتاب او يباحثهم في سياسة اليوم حريصاً في كلامه عفيفاً في انتقاده صادق النظر في حكمه

فاذا طاب لهم طعام اوشراب رأيته وقد أومأ الى الندل فهرول مسرعاً يحضر لهذا كأساً من الشراب ولذلك صنفاً من الطعام فاذا جاء وقت الحساب اعتذر اليك الندل باستيفائه القيمة من داود

تلك هي صورة مصغرة من داود في أهرامه ومن داود بين اصحابهِ ومنه في كرمه وسخائه

فاذا بلغت الساعة الواحدة صباحاً عاد الى مكتبه واخذ يتفقد ثوب عروسه الأهرام محواً واثباتاً حتى اذا كانت الساعة الثانية ركب سيارة مستصحباً صديقاً او محرّراً وذهب الى المطبعة في بولاق فالقى النظرة الاخيرة على صنعة يديه . ثم ينصرف الى منزلهِ مطمئنّاً فالقى ما عليه من ثياب العمل واخذ يقلب كتب التاريخ والصحف والرسائل الى ان يغلبه سلطان الكرى فلا يستيقظ الاَّ حوالي الظهيرة ليتناول القليل من الطعام ثم يعود الى عمله

كذلك صرف داود بركات سنيه الاربع والثلاثين مقبلاً الى الاهرام منصرفاً عن الاهرام

فاما وانا احدثك عن داود رجلاً فلا بدَّ لي ان اكشف لك ناحية من نواحي حياته يجهلها الكثير من الناس حتى اقرب اصدقائه اليه . تلك حياته في منزله بين اهله وذويه

كان داود اذا أوى الى منزله وانصرف عنهُ زائروه ينصرف بجملته الى اخوته واخواته وفيهنَّ الأيم ومنهنَّ الفتاة ويحنو على ابنائهنَّ وبناتهنَّ فيباسط هذا ويداعب تلك طفلاً مرحاً ساذجاً لا تظن اذا رأيته بينهم وبينهنَّ ذلك الكاتب العبقري النحرير الذي يخشى بأسه العظماء ويتزلف اليهِ ارباب المناصب وكبار الادباء

وربما طاب لداود — وكثيراً ما كان يطيب له — ان يدعو الى منزله رهطاً من اصدقائه واخصائه وليس منهم الاَّ كل أديب فيبذل لهم الحديث العذب والمحيّا الباشَّ قبل الطعام والشراب ويجمع لهم في منزله دواعي الانس من غناء وطرب واسباب لهوٍ وسمر وكان أحب شيء اليهِ ان يكون المجلس حافلاً بالاحداث والاطفال كأن هذا الكبير بكل شيء كان في سذاجة الاطفال والرضعان في طيبة قلبه وصفاء نفسه ورضي خلقه وقديماً كانت الشعور البيض تحنو على الشعور السود

وقلما كانت تخلو دار داود — ولهف نفسي ان تصبح اليوم وحشاً — من طالبي الحاجات وسائلي الحسنات ، يطرقون بابه ليلاً وفي النهار في ساع الطعام والقيلولة فيستقبلهم هاشّاً باشّاً يواسيهم ويسليهم ويتوجع لآلامهم وشكاتهم ويعدهم بقضاء حاجاتهم وقد طالما قضى اللبانات واغاث الملهوفين ونصر طلاب العلم والعمل بوجاهته ووساطته وماله على شدة حاجته الى المال

وكان اذا وجد متسعاً من الوقت اسرع الكرة الى الجمعية الخيرية المارونية التي نمت بفضل

عنايته وتشرفت فيما بعد برآسته ليمدّ رجالها بآرائهِ الصائبة وينظر في حاجة فقرائها

ولم تكن شواغله الكثيرة واخلاصه لوطنه الثاني — مصر التي اظلته سماؤها ورواه نيلها والهمه جوّها وآخاه ابناؤها واخذ بيده عظماؤها — لم يكن كل ذلك لينسيه وطنه الاول لبنان بل ظلّ اميناً على ولائه مخلصاً له في حبّه غاضباً لغضبه عاملاً على اعلاء شأنه وهو الذي كانت له اليد الطولى في تأسيس «جمعية الاتحاد اللبناني» التي أسدت قبل الحرب وفيها وبعدها اجلّ الخدمات للبنان وساعدته على نيل استقلاله . ولو صدق وعد الواعدين لكان هذا الاستقلال أتم واكمل

وقد كان الوفاء اظهر صفات الفقيد رحمهُ الله . فقد كان وفيًّا كل الوفاء لوالديهِ ولاخوتهِ ولاقربائهِ واصدقائهِ وللاهرام وصاحبها ولوطنيه العزيزين مصر ولبنان

برّ بوالديه فاقام لهما في مسقط رأسهِ بحشوش ضريحاً فخماً وبنى لله كفّارة عن نفسيهما معبداً لاقامة الصلاة وبرّ باخوته فربّاهم التربية الحسنة العالية ومنع نفسه عن الزواج ليتمكن من الانفاق على اخوتهِ واخواته . وبرّ باصدقائه فما ضنّ على واحد منهم بمساعدة او موآزرة او مشاطرة في فرح او حزن او تفريج كربة او بلاء

وبرّ بالاهرام وصاحبها امدّ الله بعمره فاحتضنه صغيراً وبذل له من حياته وأدبه وعلمه وكان كالجندي في ساحة الوغى قضى وقلمه بيده . ووفى لوطنيه حقهما فدأب الدفاع عن مصر ولبنان وقضى حياته يعمل لخير مصر ويناضل عن حقوق مصر ويجاهد في سبيل مصر باخلاص ويقين وسعة اطلاع وحسن عقيدة وروح وثابة وقلم سيّال وهذه وقفاته الى جانب المرحوم مصطفى كامل ومقالاته « مصر والسودان » و« تعالوا الى كلمة سواء فان الحق احق ان يتبع » اصدق شاهد على حسن بلائه وصدق جهاده

وكان يعمل الجهد المستطاع على التأليف بين وطنيه وقد طالما تمنّى على الله جمعهما في وطن واحد وهذه مقالاته في تاريخ « ابراهيم باشا والامير بشير الشهابي » و« اني اخاف على السنديانة ان تقطع » اوفى دليل واصدق شاهد على اخلاصه ووفائه

٢ — صورة من ادبه

كان داود بركات رحمهُ الله صحافيًّا واديباً وقلَّ ان تجتمع هاتان الصفتان في كاتب

كان فيهِ من الصحافيّ حسن الكياسة وسرعة الخاطر ودقة استخراج النتائج من الحوادث اليومية وبعد النظر في استجلاء النتائج البعيدة للحوادث الواقعة وكان فيهِ ميزة قلَّ ان نجدها في صحافيّ غيره وهي تلك المقدرة على الاشارة الى مرام خفية واغراض خاصة مقصودة باسلوب واضح ولكنه غير صريح جليّ ولكنهُ مبهم لا يخفى على عين الرقيب وهو مع ذلك لا يعرّض كاتبه لنقمة حاكم او لانتقاد منتقدٍ او غضبة غاضب ولعلنا نوفق في وصف هذا الاسلوب اذا

اصطلحنا على تسميته « بالبيان بالكناية او بالتورية والابهام » فقد كان يقرأ مقالة داود في صدد امر لا يصح التصريح به اكثر من قارىء وكان كل من قرّاء هذه المقالة يفهم منها ما يجب ان يفهمه او ما يريد ان يفهم بحيث كان يتمكن داود من الخوض في كل موضوع ولو امتنع الخوض فيه دون ان يقع تحت طائل او ملامة، وكذلك تمكنت الاهرام ولا سيما إبان الحرب العالمية ان تطلع قراءها على كل خفيّ ممنوع نشره دون ان تتعرض الى ايقاف او تعطيل . وكان فيه من الاديب دقة التصور وجميل الخيال وحسن الديباجة وجودة الوصف والشعور بما يكتب للناس مما يثير العواطف او يؤلم الناس

فكان اذا رثى تبيّنته شاعراً لا ناثراً في شعورهِ واسلوبه ولو قرأت رثاءه لتلك السيدة النبيلة ذات الايادي البيض على داود والاهرام — مدام تقلا باشا — لبدا لك منها عاطفة الشاعر وبيان الشاعر واخلاص الوفي . وكان اذا وصف انتقل بك الى اسمى مدارج الخيال وعرف كيف يكسو موصوفاته اجمل الصور واصدقها بحيث تلمس ما يصفه وتحس به بارزاً في شكل محسوس رائع

وكان داود بركات تاريخاً حيًّا صادقاً لمصر وحوادثها وللوزراء المصريين الذين تولوا الحكم منذ النصف الاخير للقرن التاسع عشر وكان فوق ذلك حافظاً لانساب المصريين واسرهم وحياة رجالاتهم ومذاهبهم السياسية ونزعاتهم الفكرية بحيث كان اذا شاء ان يكتب عن حدث او واقعة تاريخية او معاهدة سياسية او مسألة حزبية لا يرجع الى كتاب ولا الى تاريخ بل يملي كل ذلك عن ذهنه وذاكرته وتلك قوة لم يؤتها الاّ داود رحمه الله

وكان في عقيدته السياسية على مبدإ الحزب الوطني مخلصاً كل الاخلاص لهذه العقيدة فكنت اذا ذكرت على مسمع منهُ اقطاب هذا الحزب وعلى رأسهم المرحوم مصطفى كامل امتلأ صدره حماسة وفاض لسانه في بيان فضل مصطفى على مصر والمصريين بما بثّه في صدور النشء من روح الوطنية والتضحية والاقدام

فاذا اجمعت اليوم كلمة الصحافة في الشرق على اطراء داود بركات والثناء على مقدرته الصحافية وخلقه المتين وادبه العالي وعفة لسانه . وجمال بيانه ووفائه لاهله واهرامهِ واخوانه فلا تكون فيما نكتبه مبالغة اومغالاة . فقد كان — برد الله ثراه — من ابرع الصحافيين في الشرق واعفهم قلماً واقلهم عنفاً في الخصومة واغزرهم بياناً ومعرفة واحفظهم للحوادث التاريخية واكثرهم الماماً واتباعاً للنهضة المصرية وللحركة الفكرية ولا شك ان وفاته قد محت صورة جميلة تاريخية من صور الصحافة والادب والخلق والوفاء . وان الشرق قد لا يتهيأ له قبل انقضاء نصف جيل من الزمن ان يكوّن من النشء الجديد صحافيًّا له من المقدرة وطول الباع والكياسة ما كان للمرحوم المغفور له داود بركات

البحيرة

لألفونس دي لامرتين

نظم لامرتين هذه القصيدة بعد وفاة حبيبته جوليا التي خلد ذكراها في روايته المسماة « رافائيل » وهي من درر قصائده . وقد نزلت من قلوب القراء منزلها في قلب ناظمها نفسه . فلحنت مراراً واستدرت الدموع تكراراً عندما ناحت بها اوتار المثاني ، ولا غرو فالحقيقة اشد احساساً واعظم شاعرية من الخيال ، لان الشاعر الاكبر كما يقول لامرتين هي الطبيعة لا الانسان . وهذه ترجمة تكاد تكون حرفية لها

هكذا ، نحن دائماً مدفوعون الى شواطئ جديدة ، يذهب بنا الليل الابدي ، بلا عَوْد ولا رَجْعَة ، فهل لا يتسنى لنا يوماً ما ، ان نُلقي بمرساتنا في بحر الحياة ؟

ايتها البحيرة ! ما كاد العام يلفظ أنفاسَهُ ، حتى عُدْتُ وحيداً اليك ، فانظري ، بالقرب من امواجك المحبوبة ، التي كان يجب ان تراها ثانيةً ، اجلس منفرداً على هذه الصخرة ، التي ابصرتِها تَقْعُدُ عليها

لقد كنت تَهدرين هكذا تحت هذه الصخور العميقة ، وكنت تتكسرين على جُنُوبها الممزقة ، كما تفعلين الآن ، وكان الريحُ تُلقي بزَبَد امواجكِ على قدميها المعبودتين ، كما هي الحال في هذه البرهة

أتتذكرين عشيَّةً كنا سائرين على صفحاتك الهادئة ، ونحن سكوت ، ولا يُسمع في الأُفق ، على الماء ، وتحت السماء ، سوى حركة المجذّفين ، الذين يضربون بوزن متناسقٍ ، لُجَجَكِ المُشجية

فارتفعت فجأةً الفاظٌ ، لا عهدَ للارض بها ، فردَّد الساحل المأخوذ بسحرها ، صَداها المطرب ، فأنصتتِ الامواج ، وأنشأ ذلك الصوت العزيز لديّ يُلقي هذه الكلمات :

« ايها الزمن ، قِفْ عن طيرانك ، وانتِ ايتها الساعات الملائمة لهنائنا ، إنقطعي عن سيرك ، ودعينا نتذوّق لذائذ اسعد ايامنا ، السريعة الزوال »

كثير من التاعسين في هذه الحياة ، يفزعون اليك أيها الزمن ، فسرْ ، سِرْ لاجلهم ، واصرم بانصرام ايامهم ، حبل شقائهم الذي ينهش افئدتهم ، وأنسَ السعداء

ولكني عبثاً ألتمسُ ، فالزمان ضنينٌ بهنيهات وجيزة ، والوقت يفلت مني ويهرب فابتهلتُ الى الليل ان يتّئدَ ، ولكن الفجرَ ما عتّمَ ان بدّد غياهب الظلام

فلنتحابّ اذن ، لنتحاب سراعاً ، ولننعم على عجل ، بالساعة المولّية ، فليس للانسان في حياته مرفأٌ يرسو فيه ، ولا للوقت ساحل يلجأ اليه ، فالزمن يسري بنا ، ونحن نمرُّ مسرعين

ايها الزمن الحسود ، هل في شرْعة الانصاف ، ان تمرّ اويقات النشْوة ، التي يساقينا فيها الحبُّ كؤوس الهناء مترعة ، بنفس السرعة التي تدبر بها ايام الشقاء ؟

والهف نفسي ! أليس بمقدرتنا ان نبقي حتى على اثرها ؟ فهل ولّت الى الابد ؟ وهل ضاعت كاملةً دون امل ولا رجاء ، وهذا الزمن الذي جاد بها ، هو ذاته الذي القاها في غياهب العدم ، ألا يعيدها الينا ثانيةً ؟

ايتها الازلية ، ايها العدَم ، ايها الماضي ، لأنتم هوّات معتمة ، ماذا تفعلون بالايام التي تبتلعونها ؟ تكلموا : هل تردون الينا ذلك الانشغاف الروحي ، وتلك الافتتانات السابية التي تسلبوننا اياها ؟

ايتها البحيرة ! ايتها الصخور الصمّ ! ايتها المغاور ايتها الغابة المظلمة ! انتنّ اللائي يبقي عليكنّ الزمن ، ويتمنى له اعادة زَهْوَ الصبا اليكنّ ، احتفظنَ من هذه الليلة ، احتفظي ايتها الطبيعة الجميلة على الاقل بذكراها

أناشدكِ الله ايتها البحيرة الجميلة ، ان تردّدي ، سواء كان بسكون مياهكِ وهدوئها ، او باصطخاب امواجك وثورانها ، او بمنظر سواحلكِ النضرة الضاحكة ، او بأشجار الصنوبر السود التي على حوافيكِ ، او بصخوركِ الموحشة ، المعلّقة فوق مياهك . . .

ردّدي ، سواء كان بنسيمك المضطرب الساري ، او بدَوِيِّ ضفتَّيك المنتقل من شاطيء الى آخر ، او بالكوكب ذي الجبهة اللُّجينية الذي يُنير صفحاتكِ بضيائه الساحرة . . .

رددي ، سواء برياحكِ المنتحبة ، او بزفرات اعشابكِ وورودك ، او بعَبيرك المعطّر فضاءك ، او بكل ما تسمعهُ الأُذُن ، وتراه العين ، ويستنشقهُ الفم ، رددي هذه الكلمة ، التي هي زفرة القلب الدامي ، ونحيب الروح الحائر :

لقد تحابّا ، لقد تحابّا

جورج نيقولاوس

اكتشاف أثري عظيم الشأن

في جبل الكرمل قرب حيفا

آثار رجال عاشوا هناك منذ ٣٠ الف سنة

لما اكتشف مدفن توت عنخ امون سنة ١٩٢٣ كانت الصحف المصرية تنقل وصفه عن جريدة التيمس. واليوم ننقل الى قرائنا عن جريدة الدايلي مايل نبأ اكتشاف اثري عظيم الشأن وهو اكتشاف آثار انسان عاش في فلسطين منذ ٣٠ الف سنة اي قبل عصر التاريخ وارسلت آثاره الى لندن. قالت الدايلي مايل: واذا ذهبت الى الطبقة السفلى من كلية الجراحين الملكية في لندن وجدت رجالاً ونساءً يعملون في الواح كبيرة من الحجر الكلسي لاستخراج آثار بشر عاشوا منذ ٣٠ الف سنة. فقد وجد تسعة هياكل من امة لم تعرف قبلاً. ومتى حرِّرت من قيودها واخرجت من الصخور الكلسية التي سجنت فيها فسيفحصها السر ارثر كيث العالم الانثروبولوجي المشهور. وينتظر ان يكون هذا الاكتشاف صفحة جديدة في قصة الانسان

وجدت هذه الآثار في كهف على سند من اسناد جبل الكرمل. والذين وجدوها هم رجال بعثة مؤلفة من مدرسة الآثار والعاديات البريطانية في القدس والمدرسة الاميركية لدروس ما قبل التاريخ. وقد سميت وقتيًّا هذه الامة التي وجدت آثارها «رجل فلسطين»

واجتمعت في احد اقبية البناء بالمستر ثيودوز «ماك كاون» الذي اكتشف الهياكل العظيمة فارانيها فاذا عظامها محفوظة حفظاً غريباً وقال لي: «اسعدنا الحظ بالعثور على مقبرة عمرها ٣٠ الف سنة او نحو ذلك. وموقع هذه المقبرة فيما يسمى اليوم «مغارة الجديان» (صغار المعزى). وهذه المغارة على علو ٣٠ قدماً في سند جبل قريب من حيفا

وأول ما عثرنا عليهِ جمجمة طفل ثم سائر الهيكل العظمي. وما زلنا نحفر وننقب بضعة اشهر حتى وجدنا ثمانية هياكل عظمية اخرى في صف واحد. ويظهر من تزاحمها الواحد الى جانب الآخر ان ذلك كان عملاً مقصوداً لتشغل اضيق ما يمكن من المكان. وفي رأينا انها ربطت بربط فنيت في ذلك الزمان الطويل. وفي خلال ذلك تكونت اغلفة كلسية حول الهياكل حفظتها من البلى على مر العصور. ومن هذه الهياكل ما حفظ اتم حفظ

ويكاد يكون من المؤكد ان «رجل فلسطين» قريب من رجل نياندرتال الذي وجد في اوربا ومعاصر له ولكن هناك بعض فروق كبيرة تبين لنا انهما ينتميان الى امتين مستقلتين الواحدة عن الاخرى. وقد اشترك معي في هذا الاكتشاف المس دوروثي جارود من اشهر علماء الآثار عندنا وقد عادت الآن الى فلسطين وفهمت انها اكتشفت اخيراً ثلاثة هياكل اخرى

ويقول السر ارثر كيث ان هذه الهياكل اعظم اكتشاف اكتشف عن الانسان المعروف باسم «رجل العصر المتوسط الحياة»

باب الزراعة والاقتصاد

نهضة اليابان الصناعية

لفؤاد عينتابي

﴿ قوى المياه المستعملة في الاعمال الكهربائية ﴾ ان اليابان تثابر الآن على اتباع خطط الغرب واساليبه في الاعمال الصناعية ولها اجهزة لتوليد القوى الكهربائية تزيد على مليونين كيلوات ونصف المليون . يكلفها ذلك سنويًّا ما لا يقل عن ٢١ مليون جنيه استرليني[١]

اما المياه المستعملة لتوليد الكهرباء فقد بلغت منذ سنة ١٩١٦ قوة مليون ومائتي الف حصان ، ويقدر « ارنولد هـ . جبسون[٢] » استاذ الهندسة في جامعة فكتوريا بمنجستر ، ان المياه الطبيعية التي في اليابان يمكنها ان تولد قوى كهربائية قدرها ستة ملايين واربعمائة الف حصان ، ولكن المستعمل منها الآن لا يتجاوز قوة (١٫٦٠٠٫٠٠٠) حصان

﴿ المناجم والمعادن ﴾ لما كانت اليابان امة صناعية فهي بحاجة كبيرة الى المعادن والزيوت والفحم ولكن اليابان تكاد تكون خالية من المعادن ، فتستورده من الخارج ، وما يستخرج فيها من الحديد يسير لا يكاد يذكر ، على ان المعدل السنوي للحديد الذي يستخرج من المناجم اليابانية لا يزيد على (٣٧٫٠٠٠) طن ، واليابان تستورد مقادير كبيرة من الحديد والفولاذ من الخارج وذلك لكثرة الاحتياج اليه في المصانع والمعامل ، لصنع السفن وعمل الاسلحة . اما الكبريت فيستخرج من رواسب البراكين ، والبترول يوجد في اكثر الجزر ولكن مقاديرهُ قليلة ، ولذا يؤتى به من الخارج لكثرة الطلب عليه ، والموجود منه في البلاد يتناقص مقداره سنة بعد سنة ، فقد استخرج في سنة ١٩٢٢ اكثر من (٧١) مليون غالون من البترول ، ولكنهُ نقص في سنة ١٩٢٦ الى خمسين مليون غالون

وبلغ عدد المناجم الى نهاية سنة ١٩٢٦ (١٫١٩٥) منجماً ، ثلثاها للفحم والبترول ، وبلغ عدد العمال الذين يشتغلون فيها (٢٩٣٫٥٦٢) وقيمة المعادن المستخرجة (٤٣) مليون جنيه استرليني »[٣] وهناك كثير من المعادن توجد منها مقادير قليلة في اليابان ، كالذهب ، والقصدير ، والرصاص ، والفضة ، والمنغنيس الى غير ذلك . وقد بلغت قيمة المعادن المستخرجة سنة ١٩٠٦

(١) R. Garcke مدير الشركة الانكليزية لجر القوة الكهربائية

(٢) Arnold Hartly Gibson

(٣) دائرة المعارف البريطانية المجلد (١٢) ص . (٩٠٨)

(٨٥ر٤١١ر٥٧٦) جنيه . ولكن في سنة ١٩٢٦ زاد المحصول الى (١٠ر٧٤٠ر١٢٣) جنيه استرليني

﴿ الاسماك وصيدها ﴾ الياباني مشهور منذ القدم بكونه صياداً ماهراً في صناعته ، وذلك لموقع بلاده الطبيعي ، فلا غرابة اذن ، اذا رأينا المشتغلين في اليابان بصيد الاسماك وبيعها وتجارتها يقاربون المليوني نسمة . ومحصول السمك يرسل اكثره الى الصين ، وكذلك زيت السمك فانهُ محصول مهم جداً في اليابان . وترسل اليابان من (السراطين) المحفوظة في العلب Canned crabs الى الولايات المتحدة فقط ، ما تزيد قيمته على خمسة ملايين دولار في السنة . والاسماك كثيرة جداً هناك ، حتى انهم يستعملونها كأسمدة في الزراعة ، وذلك مما يتبقى منها بعد استخراج زيت السمك [(١)]

﴿ الصادرات ﴾ كانت صادرات اليابان في ابتداء العصر الحاضر ، ما عدا الشاي والاواني الخزفية والحرير ، قليلة جداً ، وكذلك كانت مستورداتها ضئيلة لا تذكر ، وهي عبارة عن الامتعة والمواد المصنوعة ، وفي هذه المدة كانت اكثر صادراتها للولايات المتحدة ، ولكن اليابان تمكنت في اثناء الحرب الكبرى من نشر مصنوعاتها ، وترويج بضائعها في افريقيا وجزائر الارخبيل الجنوبي وقد احتكرت تقريباً تجارة الشرق الاقصى بأجمعها » [(٢)]

ولم يكن في اليابان شيء يذكر من الشركات في سنة ١٨٧٠ ، فلم يمر على البلاد ربع قرن حتى بلغت الشركات التجارية والصناعية في سنة ١٨٩٦ (٤ر٥٩٥) شركة برأسمال قدره (٤٠) مليون جنيه استرليني . ويوجد الآن في اليابان (٣٤ر٠٠٠) شركة برأسمال (١ر١١٥) مليون جنيه استرليني . واننا لنرى واضحاً جلياً تأثير نمو تجارتها الخارجية وازدهارها ، عند ما نعرف انه لم يكن لديها في سنة ١٨٧٠ ما تصدره للخارج من المصنوعات . وبلغت قيمة البضائع المصدرة الى الخارج سنة ١٩٠١ ثمانية ملايين جنيه ، وزادت قيمة تجارتها في سنة ١٩٢٥ الى (٢٣٠) مليون جنيه ، منها (٤١) ٪ بضائع تامة الصنع ، و (٥٠ ٪) بضائع غير تامة الصنع

وقد جرّبت بعض الدول ان تقلد البضائع اليابانية فخابت في ذلك واخفقت في سعيها ، ولم تتمكن من تقليدها بنجاح تام ، وخصوصاً الورق الياباني المصنوع من ورق التوت ، والمستعمل لتغطية الحواجز والجدران ، وزجاج النوافذ ، وكذا المناديل المصنوعة من الورق واذا شمّع هذا الورق امكن استعماله كشمع ، وألبسة تمنع نفوذ الماء» [(٣)]

وأهم صادرات اليابان ، الحرير والمصنوعات القطنية والمنسوجات والشاي والكافور والارز

---

(١) "The World Book Encyclopaedia" vol. 6. p. 3631

(٢) راجع مقال التجارة العالمية لـ (Julius Klein) في المجلد الثاني من كتاب (These Eventful Years)

(٣) The World Book Encyclopaedia vol. 6. p. 3632

والمحاصيل البحرية وغير ذلك . وفي الجدول الآتي يرى القارىء قيمة البضائع المهمة والمواد المصنوعة المصدرة الى الخارج في سنة ١٩٢٦ [١]

	جنيه استرليني
حاصلات بحرية	٢٫٣١٤٫١٢٤
مسكرات وحلويات ومربيات	٣٫٧٣١٫٩٢٨
مشروبات ومأكولات	٤٫٠٣٣٫٧١٥
ادوية ومواد كيمائية وغيرها	٤٫٧٨٧٫٨٠٠
منسوجات حريرية وغزل وغيرها	٩٠٫٨٣١٫٥٩٤
منسوجات قطنية وغزل وغيرها	٥٠٫٩٩٣٫٩٠٣
اواني خزفية وزجاجية	٤٫٨٤٢٫٩٤٣
ملابس	٦٫٥٣٧٫٣٦٥
المجموع	١٦٨٫٠٧٣٫٣٧٢

وفيما يلي جدول [٢] آخر يبين نسبة صادرات اليابان في سني ١٩٠٧ و١٩١٣ و١٩٢٧ ومقدار ذلك بالعملة اليابانية (ينْ) Yen (يساوي اليَنْ شلنين وبنساً ونصفاً)

الصادرات

	١٩٠٧	١٩١٣	١٩٢٧
الاطعمة والمشروبات والتبغ	يَنْ	يَنْ	يَنْ
(ا) خام	١٧٫١١١٫٠٠٠	٢٤٫٦٥٥٫٠٠٠	٥٤٫١٦٥٫٠٠٠
(ب) مصنوعة صنعاً تاماً اوجزئياً	٢٧٫٥٨٤٫٠٠٠	٣٧٫٤٨٨٫٠٠٠	٩١٫٣٩٧٫٠٠٠
المواد الاولية «مواد خام»	٤٣٫٦٩٠٫٠٠٠	٥١٫٣٤٠٫٠٠٠	١٣٧٫٣٢٤٫٠٠٠
مواد مصنوعة تستعمل في الصناعات المختلفة	١٩٨٫٩٢٩٫٠٠٠	٣٢٨٫٠٨٤٫٠٠٠	٨٥٢٫١٨٣٫٠٠٠
مواد تامة الصنع	١٤٢٫٢٥٤٫٠٠٠	١٨٤٫٩١٤٫٠٠٠	٨٣١٫٢٢١٫٠٠٠
مصنوعات ومواد مختلفة	٢٫٨٤٥٫٠٠٠	٥٫٩٧٩٫٠٠٠	٢٦٫٠١٢٫٠٠٠
المجموع	٤٣٢٫٤١٣٫٠٠٠	٦٣٢٫٤٦٠٫٠٠٠	١٫٩٩٢٫٣٠٢٫٠٠٠

(١) دائرة المعارف البريطانية مجلد (١٢) ص ٠ (٩٠٩)

(٢) راجع ما كتبه (هربرت كرفت) Herbert Craft من غرفة التجارة بلندن، في دائرة المعارف البريطانية المجلد (٨) ص (٩٩٨)

﴿ الواردات ﴾ كانت اليابان في سنة ١٨٧٠ تستورد الدقيق ، والسكر ، والجلود ، والاصباغ ، والادهنة ، والملابس ، والادوات الحديدية ، فصارت الآن تصدر هذه المواد الى البلاد الاجنبية ، وكانت قبل ثلاثين سنة تستهلك مقادير عظيمة من مصنوعات لنكشير القطنية ، فصارت الآن تزاحم هذه البضائع في البلاد الصينية ، وبمصنوعاتها القطنية اسواق الهند نفسها . ومع ان بضائع اليابان اخف نوعاً وادنى جنساً من بضائع اوربا واميركا ، فانها تجد اسواقاً رائجة وزبُناً كثيرين ،وذلك بسبب رخص بضائعها الذي يجلب اليها الزُّبُن الذين يفضلون الرخص على نوع البضاعة وجودتها . ومع ذلك فلا ننس ان الازمة الاقتصادية الحاضرة قد اثرت ايضاً في الاسواق اليابانية فنزلت صادراتها بمقدار لا يستهان به . واما اهم وارداتها فالقطن والمنسوجات ، والحديد ، والفولاذ ، والسكر ، والارز ، والبترول

وفيما يلي بعض ما جاءَ في التقرير الذي اعدتهُ السفارة البريطانية في (توكيو) عن تقدم التجارة اليابانية[1] :

« ان الظروف الحاضرة في اليابان ، واحوالها الخارجية ، وطبيعة شعبها الطموح ، اجبر اليابان على توحيد الجهود لتحقيق ما سمت وتسمى اليهِ من تقدم في الصناعة ، ونهضتها الاقتصادية في عقود قليلة ، بينما صرفت غيرها من الامم اجيالاً برمتها للقيام بهذه المشروعات ، وانها في عملها هذا قد استفادت كثيراً من تجارب غيرها من الدول المزاحمة لها التي قضت سنين طويلة للاستفادة من تجاربها واخطائها »

وفي الجدول الآتي بيان تجارة الدول المختلفة مع اليابان وقيمة الصادرات والواردات في سنة ١٩٢٦ بالجنيه الاسترليني : —

	الصادرات	الواردات
الولايات المتحدة	٨٧ر٨٨٠ر٠٤٠	٦٩ر٤٣٦ر٠٠٠
الصين	٤٣ر٠٦٠ر٠٠٠	٢٤ر٤٤٠ر٠٠٠
الهند	١٥ر٩٢٠ر٠٠٠	٣٩ر٩٢٨ر٠٠٠
الهند الهولاندية	٧ر٦٣٠ر٠٠٠	١٠ر٥٢٢ر٠٠٠
بريطانيا	٦ر٠٧٣ر٠٠٠	١٧ر٣٨٢ر٠٠٠
هونغ كونغ	٥ر٤٠٧ر٠٠٠	١٠٤ر٠٠٠
المانيا	٨٣٠ر٠٠٠	١٤ر٨٢٤ر٠٠٠

(١) دائرة المعارف البريطانية مجلد(١٢) ص (٩١١)
(٢) دائرة المعارف البريطانية ، مجلد(١٢) ص ٠ (٩١٢)

	الصادرات	الواردات
اوستراليا	٥ر٢٦٨ر٠٠٠	١٣ر١٠٧ر٠٠٠
فرنسا	٤ر٣٢٩ر٠٠٠	٣ر٥٩٤ر٠٠٠
مستعمرات المضائق	٤ر٢٣٦ر٠٠٠	٤ر٠٧٠ر٠٠٠
كندا	٣ر٥٢٦ر٠٠٠	٦ر٥٣٢ر٠٠٠
مصر	٣ر٣٥٨ر٠٠٠	٣ر٢٦٢ر٠٠٠
المجموع	١٨٥ر٥١٧ر٠٠٠	٢٠٦ر٢٠١ر٠٠٠

ولمدينة (كوبه) Kobé الآن المقام الاول في التجارة الخارجية، ومدينة (اوزاكا) في المقام الثاني ؛ و(يوكوهاما) في المقام الثالث . وقد بلغ مجموع تفريغ البواخر التي دخلت المرافئ اليابانية سنة ١٩٢٦ (٤٩ر١٨٦ر٠٢٩) طنًّا منها (٣١ر٨٧٣ر٥٢٣) طنًّا تفريغ السفن اليابانية ثم تأتي بعدها في الدرجة الثانية انكلترة ، ومحمول بواخرها (٩ر٣٦٣ر٢٤٥) طنًّا .والبواخر الاميركية ومحمولها (٣ر٩٦٠ر٣٤٢) طنًّا

﴿ طرق المواصلات ﴾ لم يكن في اليابان سنة ١٨٧٢ سوى خط حديدي طوله (١٤) ميلاً يوصل مدينة توكيو بيوكوهاما، ولكن منذ ذلك التاريخ بدأت اليابان ببناء الخطوط الحديدية لربط اجزاء البلاد بعضها ببعضها . فبنت حتى الآن (١٣ر٠٠٠) ميل من الخطوط الحديدية ، والحكومة تملك وتدير ثلاثة ارباعها ، ومن ذلك الخطوط الحديدية في منشوريا ومنغوليا ومجموعها (٦٩٤) ميلاً . وقد منحت الصين حق بنائها لليابان . وفي المدة الاخيرة بدئ بمشروع عظيم وهو تسيير القُطُر بالكهربائية . اما عرض الخط الحديدي فثلاث اقدام وست بوصات[١]

﴿ صناعة بناء السفن ﴾ لما كانت اليابان امة صناعية ، تجارية ،فهي تحتاج الى سفن كثيرة لنقل بضائعها واستيراد المواد التي هي بحاجة اليها ، وهي لصيانة حقوقها في البحر تحتاج كذلك الى اسطول حربي قوي يحفظ لها مكانتها بين الدول ، ويصون حقوقها في البحر ، ويؤمن لها سير تجارتها الى البلدان التي تتجر معها . ولذلك نرى لليابان اساطيل قوية سواء تجارية او حربية ، ولا تكاد تنقطع بواخرها عن مرافىء المحيط الهادي (الباسفيك)

وقد كانت اليابان في سنة ١٩٠٠ تملك مائة وخمسين باخرة يزيد محمول الواحدة على الف طن . واما في سنة ١٩٢٠ فبلغت سفنها التجارية (٧٢٧) محمولها جميعاً (٢ر٣٥٦ر٤٧٧) طنًّا . وفي ابتداء هذا العصر لم تكن صناعة بناء السفن شيئاً يذكر . ولكن الآن فان الاحواض اليابانية

(١) راجع مادة « اليابان » في The World Book Encyclopaedia المجلد (٦) ص ٣٦٣٤٠

تبني افخم السفن التجارية واعظمها ، واقوى البوارج الحربية واسرعها ، لها وللدول الأجنبية أيضاً

وفي مدة ست سنوات نهايتها (١٩٠٢) اضيفت (٨٣٥) سفينة الى اسطول اليابان التجاري محمولها (٤٥٥،٠٠٠) طن ، وقد كانت خزينة الدولة تدفع سنويًّا مبلغ (٦٠٠،٠٠٠) جنيه استرليني لتشجيع الملاحة وصناعة السفن ، فنمت هذه الصناعة نموًّا عظيماً ، فاحواض بناء السفن بنت سنة ١٨٧٠ باخرتين محمولهما معاً (٥٧) طنًّا فقط ، ولكن الأحواض الحديثة بنت سنة ١٩٠٠ (٥٣) باخرة مجموع تفريغها (٥،٣٨٠) طنًّا و(١٩٣) سفينة شراعية تفريغها (١٧،٨٧٣) طنًّا . واما في سنة ١٩٠٧ فقد كان لليابان (٢١٦) ترسانة لبناء السفن Shipyards و ٤٢ حوضاً Docks خاصًّا . وبينما كانت الاحواض التابعة للحكومة منهمكة في بناء افخم البوارج الحربية واقواها ، كانت الاحواض الخاصة (التابعة للافراد او للشركات) تبني بواخر تجارية لا يقل محمول الواحدة عن (٩،٠٠٠) طن

« وقد بنت اليابان في اثناء الحرب الكبرى (٩٣) سفينة للولايات المتحدة وانكلترا والنرويج وروسيا وفرنسا وشيلي والدنمارك واسبانيا والصين ، وفي سنة ١٩١٩ فقط ، انهت المعامل اليابانية صنع (١٣٤) باخرة محمول الواحدة اكثر من الف طن ، ومجموع تفريغها (٦١٩،٥٥٨) طنًّا »[(١)] وربحت تجارة اليابان البحرية ارباحاً طائلة في الحرب الكبرى. وبلغ مجموع تفريغ بواخرها التجارية سنة ١٩٢٧ ما يزيد على الثلاثة ملايين طن وسفنها الشراعية اكثر من مليون طن

« اما بحارة السفن التجارية فقد بلغ عددهم في سنة ١٩٢٥ (٤،٣٧٩،٦١٥) بحاراً من ذلك (٣،٤٩٦،٠٦٦) بحاراً يعملون في البواخر و (٨٨٣،٥٤٩) بحاراً في السفن الشراعية ، وعدد الضباط البحارة في السفن التجارية (٥٦،٨١٣) ضابطاً »[(٢)]

***

هذا وقد اثبت التاريخ ان الشرقيين لا يقلون ذكاءً وفطنةً ومقدرة على العمل عن اخوانهم في الغرب . ولكن اذا ما زالت هذه الغشاوة عن عيونهم والقوا رداء الخمول والكسل والجهل عن عواتقهم ، فحينئذٍ بشرهم بمستقبل لامع سبقتهم اليه امبرطورية الشمس المشرقة ، فتبوأت مركزها اللائق بها واستوت على عرش من القوة والاخلاص والعلم متين !...

(١) M. Hanihara. in "These Eventful Years" vol I. p. 672

(٢) دائرة المعارف البريطانية مجلد (١٢) ص (٩٠٥)

مكتبة المقتطف

آداب الطب

دفع اليَّ رئيس تحرير المقتطف بهذا الكتاب لأرى رأيي فيهِ فأوقعني في ورطة لا ادري كيف اتخلص منها لان النقد في الشرق ليس بالامر الهيّن . وسيرى القارئ كيف اخرج من هذا المشكل لا عليَّ ولا لي

والكتاب هو : آداب الطب وحياة الطبيب بقلم الدكتور فؤاد غصن خبير المحاكم واستاذ الطب الشرعي في الجامعة الاميركية في بيروت وصاحب المجلة الطبية العلمية وعضو المعهد الملكي للصحة العامة في لندن . طبع في بيروت

هو كتاب جليل الفائدة جمعه مؤلفه على ما جاء في ديباجته «من معلوماته الخاصة واختباراته العديدة ومن معلومات الاساتذة الغربيين واختباراتهم المفصّلة في مؤلفاتهم» . اما معلوماته الخاصة واختباراته العديدة فلا شبهة في كثرتها لانه طبيب قديم خبير مارس الطب سنوات عديدة وهو فضلاً عن ذلك يشغل منصب استاذ الطب الشرعي في الجامعة الاميركية في بيروت وينشئ بالعربية مجلة هي من ارقى المجلات الطبية والعلمية فلا عجب اذا جاء كتابه هذا شاملاً لما وضع لهُ ولا اغالي اذا قلت انه فريد في بابه لم ينسج على منوالهِ بالعربية في ما اعلم . ثم ان المؤلف قد احسن في عرض فصول منه على زملائه فنشرها تباعاً في مجلتهِ وبعث بنسخة منه بعد انجازه وقبل نشره الى سعادة الدكتور رضا بك سعيد رئيس الجامعة السورية في دمشق ومدير المعهد الطبي فيها والدكتور رضا بك طبيب مشهور له من سعة الاطلاع والخبرة ما يجعل لرأيهِ شأناً في ما يكتبهُ

قرأت هذا الكتاب من اوله الى آخره ولكنهُ يتعذّر عليَّ ان أوفيَهُ حقه من النقد لان ذلك يقتضي البحث في فصوله فصلاً فصلاً وانما سأشير الى بعض فصوله ومحتوياتها

استهلَّ المؤلف كتابه في فصل سماه الدعوة الى تعلم الطب ثم ذكر الصفات الضرورية ليصير الطالب طبيباً . منها ان الطالب ينبغي ان يكون ذا ثقافة عالية نال فيها قسطاً وافراً من العلوم واللغات الحديثة والقديمة مما له علاقة بعلم الطب . فهذا الفصل وما يليه ينبغي على كل طالب او ولي امره ان يقرأه لكي لا تخرج لنا المدارس اطباء هم دون المستوى الذي نريده

ثم يلي ذلك بحث في الدخول الى المدرسة الطبية وشروط النجاح وحسن التصرف او سوئه والمرضى والزيارات الاولى وغير ذلك من الامور المتعلقة بالاطباء

ويليه فصل في كلام الطبيب فما قال فيه : « ليأذن لي زملائي الاطباء ان الفت نظرهم الى امر أراه من الاهمية بمكان وهو ان على الواحد منهم ان يزن كلامه ليل نهار فيزنه بين مرضاه وفي عمله وبين اصحابه وعلى مائدته حتى وفي خلوته الزوجية فلا يبوح بشيء من الاسرار التي يسرّها اليه مرضاه» . ولم ينسَ مضايقة الناس للطبيب المسكين فقال «بينما يكون الواحد منّا في الحفلات او المتنزهات او القطار او غير ذلك ناسياً انه طبيب مستريح البال يرى نفسه مرغماً على ان يتكلم على الطب » . ومن محاسن الاتفاق ان كاتب هذه السطور دخل لايام مضت على حلاّقه فلم يكد يجلس على الكرسي حتى بادره صاحبنا بقوله ان فلاناً مصاب بحصاة في مثانته فما رأيك فضحكت واخرجت له كتاب الدكتور غصن من محفظتي وقد كنت اقرأه في ذلك اليوم وأريته العبارة المتقدمة ورويت له قصة وقعت بين الطبيب والمفتي في احدى مدن فلسطين وهي ان طبيباً كان كلما رآه المفتي يشكو له شيئاً ، اما رأسه او صدره او ظهره او غير ذلك فلقيه يوماً في السوق وكانت السوق ضيقة ومزدحمة بالناس فقال له عندي بواسير يا حكيم قال له اكشف لاراها قال هنا في السوق قال انت طلبت ذلك في السوق فشفي المفتي بعد ذلك من جميع علله

ومن فصول الكتاب الانيقة فصل في زواج الطبيب قال فيه « ومن أهمّ ما يجب على زوجة الطبيب الاّ تكون غيوراً والاّ كان الزواج مثل جهنم — وقد رُوي لي ان زوجة احد الاطباء كانت شديدة الغيرة عليه حتى انها لم تضبط نفسها عن المجيء الى غرفة الفحص ودخولها اليها فجأة دون تنبيه عند ما يكون آخذاً بفحص مريضة فتاة» على ان المؤلف لم يخبرنا شيئاً عن هذا الطبيب فهل كان زيراً غيسانيًّا او قشعوماً دمياً او من الذين يتظاهرون بالتقوى والورع والمسكنة فالنساء اخبر بأزواجهنَّ فلعلَّ لها عذراً ونحن نلومها . فالحادثة تشخيصها صعب والانذار سيء جدًّا

ثم فصل في طالبات الطب قال فيه ليس من الضروري ان تكون المرأة الطبية شنيعة قلت والعياذ بالله . ثم لو فرضنا انها شابة تارّة رعبوبة وزوجها غيور مثل زوجة الطبيب التي ذكرها في ما تقدم وكان مرضاها من الفراهيد الغيسانيون ألاّ يكون الزواج في هذه الحالة كالزواج السابق

ثم فصل في التشخيص والانذار وغيره في المعالجة وفصول غيرها مما يجب على الاطباء معرفته او مما له علاقة بالاطباء ومرضاهم

ومن خير الفصول في هذا الكتاب فصل في شرف المهنة وبحثه في التدجيل وقد ميّز نوعين منه فقال «كل شخص يتعاطى الطب بغير صفة قانونية يجب ان تقاومهُ الجماعات الطبية باسم جميع الاطباء لانهُ خطر على الشعب » . اما النوع الثاني فقال عنه «ولكن الذي يعرّض جسمنا الطبي للخطر هو التدجيل المدعوم بالشهادة وهو كثير الانواع غير محدودها وهو

لسوء الحظ على درجات مختلفة في جميع الطبقات » اي ان النوع الاول من التدجيل خطر على الجمهور والنوع الثاني خطر على الاطباء وهو في نظري اصعب الشرّين . وقد رأى المؤلف اتقاءً لهذا الشر ان تنشأ في البلاد الشرقية نقابات طبية افرد لها بحثاً خاصًّا في آخر الكتاب وانما يتعذر ذلك في البلاد الشرقية ما زال فيها احتلال وانتداب ومعاهدات زائفة وامتيازات اجنبية فيحسن بالاطباء الشرقيين ان يعيروا هذا الامر اهتمامهم رفعاً لشأنهم بين الامم

والكتاب كما تقدَّم حسن جدًّا قد سدَّ فراغاً في اللغة العربية وهو مكتوب باسلوب سهل العبارة فصيحها وكله خالٍ من التبجح فأهنيء الزميل لابرازه هذا الكتاب النفيس واشير على طالبي الطب والاطباء وكذلك جمهور الادباء على مطالعته لان لجميع الناس علاقة بالطب والاطباء

ومما قاله ما يأتي : قد قامت في سنة ١٩١٠ كل جمعيات الطب والصيدلة في باريس على نسق التعليم وطلبت العودة الى التعليم القديم اي ينبغي على الاطباء ان يكونوا علماء لا محترفين واني اشير على كل طالب طب او كل والد يريد ان يدخل ابنه في مدرسة طبية ان يقرأ الفصول التي عقدها المؤلف في هذا الباب مثل الدعوة الى تعلم الطب والصفات الضرورية الكافية ليكون الرجل طبيباً والاستعداد للدروس الطبية وادب الطلاب وشروط النجاح وحسن التصرف ونحو ذلك اي ان الطبيب يجب ان يكون عالماً

ولما كان للناقد ان يجد ولو عيباً واحداً في الكتاب فاني كنت اود لو اجتنب المؤلف استعمال الزبون « بمعنى المريض الذي يعهد بنفسه الى عناية الطبيب » ولو قال المريض وحده كما فعل في مواطن كثيرة لما اختلّ المعنى فقولنا الزبون يجعل الطبيب بمنزلة البائع والمريض بمنزلة المشتري . ثم ان للزبون معاني كثيرة قد توقع في مشاكل نسائية احياناً

امين المعلوف

اسماعيل المفترى عليه

Ismail The Maligned Khedive
by Pierre Crabitès Routledge, London 12s. 6d.

كان عصر اسماعيل عصراً حافلاً بالحوادث الخطيرة

ففي سنة ١٨٦٦ فاز من السلطان بحق توريث ابنائه العرش في خطٍ مستقيم وفي سنة ١٨٦٧ اتخذ لقب خديو وفي سنة ١٨٧٣ اعترفت الاستانة لمصر باستقلالها مع بقاء الجزية . ثم ان اسماعيل وجَّه عنايتهُ الى تنظيم الحكومة والادارة والجمارك وأنشأ مصلحة البريد المصرية (١٨٦٥) واصلح المدارس الحربية وشجع نشر التعليم ومدَّ السكك الحديدية وخطوط التلغراف وبنى المنائر ومرفأ السويس وحاجز الامواج في ميناء الاسكندرية وشقّ الترع وشيد الكباري وحارب تجارة الرقيق وبعث بحملة الى السودان لاستكشاف قلب القارة

السوداء . وفي عهده احتفل بافتتاح ترعة السويس (١٨٦٩) وانشئت المحاكم المختلطة (١٨٧٦) ولو ان ملكاً او اميراً ترك نصف هذه المآثر في بلاد اخرى ، لاضيف لقب « العظيم » الى اسمه . ولكن من نكد الدنيا ، ان اسماعيل كان في حاجته الى المال ، للقيام بكل هذه الاعمال العظيمة ، يعامل طائفة من المرابين الدوليين ، لا يعرفون الاّ الجشع مبدأً ومعاداً . وهذه مصر طعمة سائغة لهم ، لان اميرها ، يريد ان يخرجها من الظلمة الى النور فليجوروا عليه ، ما مكّنهم من ذلك سلطان المال ، وليقرضوهُ القروض بفوائد عاليةٍ وليعطوه نحو ٢٤ مليون جنيه لقاء سندات قدرها اربعون مليوناً او تزيد ، وليستنجدوا بوزارات الخارجية يكبلون عنق مصر بالاغلال السياسية ، ضمانة لاموالهم ، ثم ليعمد رجالهم الى التاريخ يشوهونهُ ، عمداً او جهلاً ، فيرموا هذا الامير العظيم بكل نقيصة تسويغاً لفعلتهم . ألم يقل مركيز زتلند في ترجمته للورد كرومر ان توفيق باشا «اثبت انه بالمقابلة مع سلفهِ الفضوح كان حاكماً لا بأس بهِ فلم يكن سفّاكاً ولا مبذّراً ولا لصّاً ». وقال لورد ملنر: « ان اسماعيل جمع في نفسه كلَّ صفةٍ طيّبة وسيئة ، لابدَّ منها لجعلهِ مبذّراً امثل . كان مترفاً ، شهوانيّاً ، طمّاحاً ، يحب مظاهر الابهة ، ومجرّداً من المبدإ ، وكان في الوقت نفسه يفيض بالمشروعات العظيمة لتحسين حالة بلاده المادية». وقال لورد كرومر: «ويقال بوجهٍ عام ان اسماعيل باشا اضاف ما متوسطهُ ٧ ملايين جنيه الى دين مصر كلَّ سنة مدة ثلاث عشرة سنة . وقد بذّر كل المال المقترض الاّ ١٦ مليون جنيه انفقت على ترعة السويس »

فهل يرضى التاريخ بهذا الحكم على اسماعيل ؟

. هل كان حقيقة مبذّراً للمال لنقص في ملكة تدبير المال ؟ هل كان حقيقة طالب لذّة يقدمها على شؤون الدولة ؟ أليس لهُ من الخصال ومن الآثار ما يردُّ عنهُ هذه الوصمات امام محكمة التاريخ العليا ؟

***

أسئلة تنزل في الصميم من تاريخ مصر الحديث . وقد اثبت القاضي كرابيتس في كتابهِ الذي ظهر حديثاً باللغة الانكليزية بعنوان « اسماعيل : الخديو المفترى عليه » ان هذه الاقوال تنطوي على جور وافتراءٍ وتشويه للحقيقة . قال في مقدمة كتابه: «ان هذه الصفحات تحدٍّ لتلفيقٍ تاريخي . انها ترفض ان تنضمَّ الى الجوقة التي يقودها ملنر وكلفن وكرومر ، فلا تتفق معهم على ان اسماعيل باشا كان مبذّراً او طالب لذة او لصّاً ... لقد انقضت خمسون سنة منذ نفي اسماعيل المفترى عليهِ . فقد آن الاوان للبحث عن حقيقة ولايتهِ في الوثائق المعاصرة التي لا يطعن في صحتها . ولو كان هذا الكتاب كتابي بالمعنى الضيق ، لكان يثبت رأيي فقط ازاء آراء جيش من المؤرخين الكبار... ولكن الادلة التي اوردها تحدٍّ لاقوال مؤلفين

ذوي مكانة عالية . انني ارفض ان اقبل اقوالهم واستنتاجاتهم . واني اقدّم مستندات من الوثائق المعاصرة لردّ ما جاؤا به عن نية حسنة، ولكن من دون ان يتغلغلوا في صميم الموضوع »

والمطلع على كتاب القاضي كرابيتس يلمس في كل صفحة من صفحاته انهُ تغلغل الى صميم الموضوع . فانهُ استخلص التهم الواردة في كتاب ملنر وزتلند وكرومر واضرابهم . ولكنهُ لم يغفل ماينافض اقوالهم في كتب ادوِن ده ليون الذي كان قنصلاً جنرالاً للولايات المتحدة الاميركية في ذلك العهد وظلَّ مقيماً في مصر بعد اعتزالهِ لعمله الرسمي . وما كوان، وقد كان صحافيًّا بريطانيًّا وغيرهما . بل انهُ لم يكتف بالكتب المطبوعة والمنشورة ، فعمد باذن خاص من حكومة الولايات المتحدة الاميركية ، حصل عليهِ بواسطة وزير مصر المفوض في وشنطن، الى سجلات وزارة الخارجية الاميركية للحصول على صور الرسائل التي تلقتها الوزارة في ذلك العهد من قناصلها في مصر . يضاف الى ذلك ان جلالة الملك، اصدر امره الكريم، بان تباح لهُ سجلات مكتبة عابدين الملكية لاستخراج الحقائق من الرسائل المحفوظة فيها

***

وقد خرج القاضي كرابيتس من كل ذلك بصورة منسجمة متسقة النواحي للخديو اسماعيل

كان اسماعيل في الثالثة والثلاثين من عمره لما دعي الى تقلُّد المنصب السامي في هذه البلاد . ورجل في الثالثة والثلاثين ، ليس فتىً يتقلب مع كل ريح . ثم انهُ كان زارعاً بصيراً بشؤون الارض والفلاحين . والزارع محافظٌ في الغالب . وما اشتهر بهِ من العناية باملاكه وتحسينها ورعاية فلاّحيهِ، وجَّههُ عند ارتقاء الاريكة الى شؤون البلاد . فقد وصفهُ ده ليون القنصل الاميركي بانه كان نشيطاً في عملهِ الى اقصى حدود النشاط . قال : لما كان من مقتضيات الحكم المطلق ان يطلع الرئيس على كل التفصيلات الدقيقة ، فكان محتوماً (على اسماعيل) ان ينهض باكراً في الصباح، ويقبل على العمل الذي يحبهُ — وهو تسيير اداة الدولة — ويظلّ الى ساعات متأخرة من الليل . . . » اما ماكوان الصحافي البريطاني فيؤيد قول القنصل الاميركي . فانهُ يلخص خلق الخديو من هذه الناحية بقوله « الدولة هي الخديو » ثم يعمد الى التفصيلات فيقول بعد الاشارة الى اجتماعات الوزراء . — « فمن المفاوضة في معاهدة او قرض الى الموافقة على عقد لشراء فحم او آلات ، انهُ يعرف كل تفصيل من تفصيلات الادارة ولا شيء يفوتهُ من الاعمال المصلحية الاَّ ما كان عادياً يسير من تلقاء نفسه ... وبكلمة من الاسكندرية الى وادي حلفا . . . . لا يكتفي سموّه بالجلوس على الاريكة بل يحكم كذلك »

بل ان القنصل الاميركي قال في تقرير سرّي بعث بهِ الى وزارة الخارجية الاميركية : — ارتقى اسماعيل باشا الاريكة في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ ، فاظهر في قيامهِ باعمالهِ فهماً نادراً للرجال والاعمال ، وقدرة ادارية قلما عرفت في امراء الشرق . ومن ساعة ارتقائهِ الاريكة ، وقف

نفسهُ ، ونشاطه الذي لا يفتر ، على تقدم مصر الداخلي » وتاريخ هذا الكتاب ١٥ سبتمبر سنة ١٨٧٣ اي عشر سنوات بعد تقلُّد اسماعيل لمنصبهِ العالي

فهل يعقل ان يكون هذا الرجل ، رجلين ، الرجل الذي يقول عنه ملنر وزملاؤه ، انهُ كان طالب لذة ، مبذّراً ، يحب الابهة . والرجل الذي يقول عنهُ ده ليون وماكون انهُ كان يبذل نشاطه الذي لا يفتر في سبيل تقدم مصر ، وتدبير شؤونها ، نحو ١٤ ساعة كل يوم و ٣٠٠ يوم كل سنة ؟

يتهم اسماعيل ، بانه زاد دين مصر ، نحو ٩٠ مليون جنيه ، وان هذا المال — الاَّ ١٦ مليون جنيه منها انفقت على قنال السويس — بذّر تبذيراً

هذه هي المشكلة التي يعرض لها القاضي كرابيتس بكل تفصيل ، ويخرج منها بان ولاية اسماعيل ، لها ميزانيتان اما الاولى فمالية . واما الثانية فأدبية

وقد اثبت اولاً تضارب الاقوال في مقدار الدين الذي اضافهُ اسماعيل الى دين مصر . وفضح في ناحية من النواحي افعال المرابين الدوليين الذين كانوا يعقدون لهُ قرضاً بمبلغ معيَّن ، وبفائدة عالية ، وكيف حتم على الوالي اصدار السندات اللازمة ؛ ثم هم لم يدفعوا لهُ ، الاَّ جزءًا من مبالغ القرض» ففي الصفحة ٢٩٤ من كتاب القاضي كرابيتس بين ان الخديوي اسماعيل اقترض من الماليين بين ١٨٧٠ — ١٨٧٩ مبلغ ٢٣٫٨٠٢٫٠٠٠ جنيه اضطرَّ ان يصدر بها سندات بقيمة ٤٠٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه . ويتهم اسماعيل بانهُ لاسرافهِ اضطرَّ ان يبيع اسهمهُ في شركة ترعة السويس . ولكن ينسى من يتهمهُ بذلك انهُ احتفظ ، عن فهمٍ ، بحصة مصر في ارباح الشركة وهي ١٥ في المائة ، وقد بلغت قيمة هذه الحصة سنة ١٩٣٢ ما يزيد على مليون جنيه وان هذه الحصة بيعت بعد تنازلهِ وخروجهِ من البلاد . ثم ينسى كذلك ان اسماعيل استردَّ ما كان قد منح للشركة من اراضي مصر (نحو ٦٠ الف هكتار) يقدَّر ثمنها باضعاف ذلك المبلغ (١٫٢٠٠٫٠٠٠ جنيه) الذي اضطر الى دفعهِ تعويضاً نزولاً على تحكيم نبوليون الثالث

اما الميزانية الادبية فيجب ان نذكر فيما يتعلق بالترعة انهُ الغى السخرة في حفرها ، وكان معتمد الشركة عليها بما دسَّ في عقد الامتياز الذي منح لدلسبس . ومنع الشركة من احتلال منطقة من ارض مصر باختيار واليها السابق . ثم انهُ فتح السودان لا حبًّا بالغزو والفتح ، ورسائله الى بايكر وغوردن تشهد بذلك ، بل رغبة في محاربة تجارة الرقيق ، واستكشاف مجاهل القارة السوداء ، وتوسيع آفاق العلم . وغنم لمصر لقباً مميّزاً لواليها ، واستقلالاً تامًّا لها لولا الجزية للباب العالي . ولو انهُ اراد ان يغنم ذلك بحرب لانفق في الحرب اضعاف ما انفق في السلم ، اذا صرفنا النظر عن دماء الرجال التي حقنها . وكل هذه اعمال لا نستطيع ان نقدرها بالمال فلا يمكن ان تظهر في موازنة مالية

اما نقد القاضي كرابيتس لتقرير كايف ، وبيان ما فيهِ من الاضطراب ، واقامة الدليل على ان اللجنة التي وضعتهُ لم تفهم حالة البلاد فهماً صحيحاً حينئذٍ فمن ادل فصول الكتاب على ما عانهُ المؤلف من مشاق البحث

والخلاصة ان كرابيتس لا ينكر ان اسماعيل انفق مالاً ، ولكنهُ ينكر بشدَّة انهُ بذرهُ تبذيراً بل يقيم الدليل على ان اسماعيل لشدّة فطنته كان يرى ابعد مما يرى معاصروهُ

ولكن الامر الذي لا ريب فيهِ، ان اسماعيل باشا انفق مالاً اقترضهُ من المرابين الدوليين وانهُ انفقهُ على ما اثبت المؤلف في سبيل اصلاح البلاد وترقيتها واستقلالها عن الدولة العثمانية. ولكن هذه القروض كانت سبيلاً سلكه الطامعون الى تكبيل مصر بالاغلال السياسية التي تحمل اثقالها الآن

ف.

صناجة الرياشي

الجزء الاول : اناشيد الارواح، بقلم قبلان الرياشي ، كتب مقدمته الاستاذ امين نخله — ٨٥ صحيفة من القطع الكبير — طبع بمطبعة الكشاف ببيروت محلى برسوم رمزية من ريشة مصطفى فروخ

نعم بين دالية أبي العلاء ورباعيات الزهاوي ومواكب جبران وصنّاجة الرياشي — كما يقول الاستاذ أمين نخله — نسبٌ وعِرقٌ متين ، وان كل ذلك غراس عجيب طلع في المعرّة وأورق في نيسابور فكأنما نبت في دهليز أبي العلاء ومال على بساط الخيّام بالظل والزهر ... ولكن ما أحسّهُ ابو العلاء في الحياة ، وما لمسهُ الخيّام منها ، وما عرفه جبران والزهاوي ، وما شربهُ فوزي المعلوف ، ولمحهُ الرياشي إن هو الاّ احساسٌ ذاتيٌّ يطغى على النفس فيذيقها المرارة ويجرّعها السمَّ ويكويها بالنار فتضطر الى تبريد نارها بأنفاسها فتهتف من الاعماق تلك الصيحات الانسانية الموجعة ، ولكل صيحة حنجرتها ، ولكل حنجرة اوتارها ، فتصدر الانغام مختلفة وان كانت اللوعة التي تثيرها متشابهة الفصول

على انّ هناك تشابهاً عظيماً تلمسهُ اول وهلة عند اطلاعك على صنّاجة الرياشي بينها وبين ملحمة المرحوم فوزي المعلوف « على بساط الريح » . . .نعم هناك تشابهٌ عظيم في كثير من الآراء والافكار والغاية حدا بالشاعر الرياشي الى ان يتمشى في حدود التشابه الى اقصاها حتى بلغ طريقة نظام الطبع والرسوم الرامزة الى فكرة القصيدة

وقبلان الرياشي ، وان كنت لم اقرأ له قبل «الصناجة» شيئاً ، ألمحهُ من خلال اناشيده التي يضربها على صناجته شاعراً انسانيّاً يحاول الوصول الى أبعد آفاق الحياة ، بل يريد ان يتجاوز هذه الآفاق الى ما وراءها الاّ أنّ اشياء تحول بينه وبين ذلك ، واظن انه لو توفر على استكمالها حتى تتوافر لديه لفاز بما يؤمل ، فهو قليل الاهتمام بالصياغة والوزن الشعري ، يحاول الاحتذاء ، وجدير به ان يهتم بوزنه وصياغته وان يترك شاعريتهُ في أفق ليس فيهِ مرايا تعكس على شعره

وجوه آخرين ، ولا يلبس شاعريته أثواباً لشاعريات آخرين

فمن سقطاته في الوزن — وفي الصناجة من ذلك كثير — قوله :

وبعد قليل أتى كاهنٌ يضيء الشموعَ ويذكي البخورا
ويتلو الصلاة على نعشهِ وهو جاثٍ يناجي الإله الغفورا

وقوله : وما كان في لحمه شبعٌ ولا كان قتل الضعيف اضطرارا

وقوله : نظرت ربّات الجمال اليهِ يتغنى بحبهـا ويجيدُ

وكان يصحُّ ان تكون كلمة «جثوّا» بدل «وهو جاثٍ» وكلمة «مشبع» بدلاً من « شبع » و « ربّةُ » عوضاً عن « ربّات » ليستقيم له الوزن ، ولعلَّ هذه وما يشابهها أخطاءٌ مطبعية يتداركها الشاعر في طبعة ثانية

ولاحظتُ في الصنّاجة في قصيدة « رمز الأُمومة » تفككاً بين المطلع والقصيدة وان لا رابطة بينهما وكان يجب ان يربط الشاعر بينهما كما فعل في غير هذا الموضع ،ولاحظت تفككاً في خيال الشاعر يجعل الصورة غير متفقة الالوان ، متباعدة الظلال ، جامعة لمراءٍ متنافرة مثل قوله في هذه القصيدة ايضاً :

فما (ابتسمت) أُمّهُ للولاد وألوتْ عليهِ تهزُّ السريرا
وتوسعهُ قُبَلاً حُلوةً تسيل حناناً وحبّاً طهورا
وتنهلهُ فوق عذب الحليب من (البسمات) شراباً نميرا

فكيف لا تبتسم الأُم وهي تبتسم ! ؟ وقوله في قصيدة « الشاعر والمرأة » :

آدمٌ جاء من تراب ولكن جئتِ من لحمٍ أو دم مسفوك

ثم قوله بعد ذلك في نفس القصيدة :

انتِ من طينة الملائك كُوّنتِ ولله كنت عرشاً أثيلا

فانه رغم اختلال الوزن في البيت الاول فان في هذين البيتين تنافراً وإلاّ فكيف لا تكون المرأة مخلوقة من التراب كآدم في البيت الاول وهي مخلوقة في البيت الثاني من طينة الملائكة وكان أجدر بهِ ان يقول : «انت من عنصر الملائك كوّنتِ» أما الشطرة الثانية فان معناها غير لائق !

على اني اعجب في الرياشي بروحه واعجب بخياله ، واعجب اكثر من ذلك برغبته في التحرّر ولكنني ادعوه قبل ان يتوغل في آفاق الحرية الى ان يتزوّد كثيراً حتى لا تدعوه قِلةُ الزاد الى السقوط من عرشهِ ! ولعله في الجزء الثاني من صناجته لا يدعونا الى مطاوعة الاستاذ امين نخله في الاكتفاء بما في الصنّاجة بهذا العطش الميمون حتى اذا طرح ابريق الخيّام دون ريّ عاد الينا بما في الينابيع من عذوبة وبما في اعماقها من اسرار

حسن كامل الصيرفي

الاسلام والقبائل في مستعمرة نيجاريا

L'Islam et les Tribus dans la Colonie du Niger
Editions Geuthner, Paris.

ان الفضل في الاطلاع على جغرافية نيجاريا راجع الى روّاد الافرنج الذين رحلوا اليها منذ بداية القرن التاسع عشر ، لأن ما صنفته العرب عنها بات مجهولاً او كاد

وقد دخل الاسلام تلك البلاد عن طريق السودان على يد الشريف محمد عبد الكريم المادلي او على ايدي تابعيه ومريديه ، وعن طريق المغرب مباشرة بواسطة تجار طرابلس . وبعد ذلك تغلغلت السنوسية الى تلك البقعة في نهاية القرن التاسع عشر

على ان الاسلام لا يعتنقه جميع اهل نيجاريا . ففيهم طائفة كبيرة تدين بالفتيشية . ومنها من يخالط المسلمين ويصاهرهم ومنها من ينقبض عنهم ويقاطعهم . والمسلمون يبلغ عددهم ٧١٨٠٠٠ والفتيشيون ٢١٢٠٠٠ . واشد المسلمين تحمساً هم الطوارق الملثمون ، ولكن تقواهم اقرب الى التظاهر . ومما يحسن ان ينقل هنا ان الانكليز المحتلّين تلك البقعة لا يحاربون الاسـلام بل يعززونهُ . ويقال ان كبار الانكليز يشتركون مع المسلمين في بعض عباداتهم ، ومن ذلك ان المندوب السامي في (سوكوتو) يصاحب امام المسلمين الى مقام هنالك يدعى مقام عثمان فوديه حيث تقام الصلاة

والمسيو مارتي Marty صاحب هذا الكتاب يذكر ذلك كله ثم يحدد بلاد النيجاريا ويبحث في كل من اقسامها مع سرد خصائصها وذكر اعيانها وعرض مظاهرها الدينية بين جوامع ومقامات ومدارس ومكاتب

ترجمة حديثة للقرآن

Le Coran. Editions Geuthner, Paris

قام بهذه الترجمة اثنان ممن يُعهد اليهم في الترجمة الرسمية في بلاد المغرب . وقد تصفحت هذه الترجمة فوجدتها غير وافية على نحو غيرها من التراجم الافرنجية وانها ليعوز جانباً منها الطلاوة والامانة في النقل والدقة والبراعة في التعبير

وعلى هذا فلا اظن القرآن ينقله الى اللغات الاعجمية واحد او اثنان . وانما لا يقوى على النهوض بترجمته الاَّ فريق من اللغويين والفقهاء والشعراء والكتّاب فلغوي يعنى بالالفاظ والتراكيب ويظهر معناها الصحيح بين حقيقي ومجازي ، وفقيه يؤول اللفظ ويشرح التركيب مستنداً في ذلك الى التفاسير القويمة ، وشاعر يفطن الى ما ينتشر في آيات القرآن من صور جلابة وتشابيه خلابة ، وكاتب يحكم العربية ويحذق اللغة المنقول اليها فيفرغ الآيات في قالب

رائع واسلوب سليم . على انه لا يشك احد انه مهما صنع اولئك القوم فلن يصلوا الى شيء من اعجاز القرآن . ولكنهم يستطيعون ان ينقلوه الى اللغات الاعجمية في شكل مقبول لا اعوجاج فيه من حيث المعنى ولا اختلال من حيث المبنى

ومما لا يخفى على أحد ان مسئلة ترجمة القرآن وقد اثارت ضجة في مصر لبضعة شهور مضت . فقال بعضهم بها وطعن غيرهم فيها فاشتد « النقاش » بين فضيلة الشيخ التفتازاني والاستاذ فريد وجدي . وليس هنا مجال هذا البحث ب . ف .

سيرة حياتي

كتاب الفهُ الاديب توفيق ضعون صاحب مجلة الدليل في سانبولو البرازيل . يتضمن هذا الكتاب اهم ما جرى لمؤلفه من الحوادث في سورية ومصر والسودان وسواها من البلدان في قالب روائي فكاهي ، نشرهُ مؤلفه عند بلوغه الخمسين من العمر (لانه ولد سنة ١٨٨٢ في سورية) قرأت هذا الكتاب على اثر مطالعتي اربعة كتب من نوعه . الاول مذكرات جمال باشا . والثاني مذكرات هندنبرغ . والثالث مذكرات لودندورف . والرابع مذكرات مسز اسكويث . طبعاً ان وقع الكتاب في النفس يتوقف على امرين اولهما خطر حوادثه وثانياً حسن تأليفه . واذا كان هنالك سبب ثالث فهو علاقته بالمؤلف . امتاز كتاب ضعون هذا بالعامل الثالث ، مع ان الثاني لا بأس بهِ . عرفت هذا المؤلف في سانبولو وأؤكد انه لين العريكة ، حسن الطوية ، متواضع ، مخلص . لذلك كانت مطالعتي كتابه مقرونة بشيءٍ من التآخي . فكأنه الى جانبي يحدثني

اما عدا ذلك فالكتاب رشيق العبارة ، وينطوي على قصص ونوادر شائقة ، مقرونة بنكات مستحبّة في بعض الاحيان . وهو عندي خير من رواية مختلقة بعيدة عن الابداع ، او من ترجمة رجل عاش في غير عصرنا ومصرنا . وقد تكون مطالعة هذا الكتاب لذيذة بنوع خاص للذين عاشروا توفيق ضعون اكثر مني لانهُ اتى فيه على ذكر حوادث تتعلق بهم ، او انهم عرفوها من قبل . وعلى كل حال فهذا الكتاب يضع امام القارىء

اولاً : صورة شاب عاش في اواخر القرن التاسع عشر واوائل هذا القرن في البلاد العربية والمهجر

ثانيا : صورة للحالة الروحية في سورية ومصر والسودان

ثالثاً : يكشف عن الأخلاق واحوال الهيئة الاجتماعية في ميدان واسع النطاق .

رابعاً : يعلن للملاءِ نفس اديب جميلة فهو سفر نفيس جدير بالمطالعة . ومطبوع طبعاً حسناً في نحو ٤٠٠ صفحة ، متين الغلاف ، حسن الترتيب . فأثني على حضرة المؤلف وأحييه تحية الآخاء

مصر حنا خباز

مقالير الكتب

١ — أنتم الشعراء

تأليف أمين الريحاني — مكتبة الكشاف ومطبعتها — بيروت سنة ١٩٣٣

يقول الشاعر المجيد بشارة الخوري

الهوَى والشبابُ والاملُ المنـ ـشود توحي فتبعث الشعر حيًّا
والهوَى والشبابُ والاملُ المنـ ـشودُ ضاعتْ جميعُها من يديَّا
يشربُ الكأسَ ذو الحجا ويبقّي لِغدٍ في قرارة الكأسِ شيّا
لم يكنْ لي غدٌ فأفرغتُ كأسي ثم حطّمتها على شفتيَّا
ايها الخافقُ المعذَّبُ يا قلـ ـبي نزحتَ الدُّموعَ من مقلتيَّا
أفحتمٌ عليَّ إرسال دَمعي كلما لاح بارقٌ في محيَّا
يا حبيبي لأجْل عينيك ما ألـ ـقى وما أوَّل الوشاةُ عليَّا
أأنا العاشق الوحيدُ لتُلقى تبعاتُ الهوَى على كتفيَّا

فتكون هذه الابيات الرقيقة سبباً في إثارة الريحانيّ على الشعراء المعاصرين الذين يحبسون شعرهم على البكاء والنحيب والحسرة والالم وإظهار الضعف عن تحمل الهوى . ويكثر الجدلُ بين الادباء عن هذا الشعر الباكي الضعيف ويتقسمون الرأى بين راض ومستنكر . ويسخر الريحانيّ في كتابه هذا من الشعر الذي يحبسهُ أهله على الضعف والتخنث والبكاء والتقليد ويهيب بالشعراء الى القوة والفتوة والرجولة والتجديد

ونحن من قبلنا لا نحبُّ ان نجادل فيما لا يلدُ الجدل فيه الاَّ العناد والكبرياء والتعصب للرأي او للهوى ولا نبالي ان يقول الناس أصبنا او أخطأنا الاَّ ان يكون ميزان الصواب والخطأ العدل والحق والاخلاص والقسط الذي لا يرجح بالناقص ولا يشيل بالوافي

الشعراء الخلص الذين لا يطلبون بشعرهم شهرةً ولا صيتاً ولا دعوى مستطيلة هم ناسٌ من البشر لهم ما لهم وعليهم ما عليهم الاَّ انهم من الامم بمنزلة مقياس الحرارة (الترمومتر) الذى يؤثر فيه تقلّب الجوّ تأثيراً ظاهراً بيّناً يثبته العدد فلا موضع فيه للجدل الاَّ ان يكون هذا المقياس في ذاته مختلاًّ فاسداً لا يدلّ على حقيقة الجوّ الذي يحيط به وبذلك يصبح مقياساً لنفسه لا للناس . والحقيقة لا تعرَف الاَّ من المقياس الصحيح الذي لا خللَ فيه فالناس جميعاً مفتقرون اليه ، اما المقياس الفاسد فلا يرجى له خير الاَّ ان يحطَّم او يهمل وما بأحدٍ اليه حاجة . وهذا مثل الشعراءِ في كل أمة من الامم

ونحن من قبلنا أيضاً لا نستنكر على شاعر ان يرقّ ثم يرقّ حتى يضعف ويبكي ويئن ويتوجع من آلام الهوى وتباريح الصبابة ما كان ذلك الشاعر صادقاً لا يتباكى محبًّا لا يتصنع

لان الشاعر — كما سلف — رجل من الناس ربما كان له من اسباب الهوى ما يدنفه ويبكيه، وهذه الاسباب تكون له جوًّا يحيط بهِ خاصةً فهو يتأثر بهِ على كل حال . الاَّ ان هذا الشاعر نفسه رجل من أمة يكون لها من اسباب القوة والسيطرة والعزة ما يكون لها او رجل من امة بها من الضعف والفتور والذلّ والاستعباد والمهانة ما تضرب به الضربات الشداد بمعاول الظلم والجَبرية والعدوان والشر الاستعماري القبيح الدنيء . فلا بدَّ للشاعر من هذه الامة ان يكون لسان الامة الذي يتكلم بأوجاعها وآلامها وان يكون من جهة اخرى قائداً من القوَّاد يقف في قلب الجموع المسكينة خطيباً تنفذ كلماته الى القلوب لتحركها وتنعشها وترمي فيها بالحياة والشباب والنشاط وبذل النفس وغلبة الرأي على الشهوات والاهواء . وان لا يكلَّ ساعةً عن الجهاد والدعوة الى الطريق السويّ . فاذا خلا الشاعر قليلاً قليلاً الى نفسه وغلبتهُ الحياة الفردية والاهواء الخاصة فليقل ما شاء بمقدار لا يُلين منهُ ولا يضعف من قوى جنده، وليستجمَّ لنفسه بما يجعله أقدر على الجهاد حين يعود الى الميدان بين المتألمين والمحطَّمين والباكين مما يصيبهم من وحوش الاستعمار والعدوان التي توسعهم نهشاً وتمزيقاً وافتراساً

هذه سبيل الشعر لأمتنا العربية في أمرنا هذا من أيامنا هذه . أما ان يأخذ احدنا شعر الشاعر العربي فلا يجد فيه الاَّ الضعف والتخنث والبكاء والذلة والضراعة والحبَّ المريض . فذلك امر لا تقبله النفوس العزيزة التي تستشعر العزة والنخوة والمروءة ، واما الفتنة التي فتن بها الناس من قولهم الشعر العالميّ والشعر الانساني والشعر ... اللهم اني اعوذ بك من سوء المنقلب .... فهذا كلام لا معنى لهُ في حياة الامم الضعيفة المظلومة التي لا قائد لها ولا امام .. أيغنّي العصفور الضعيف للثعبان الفاتك ليسحره بألحانه وتغريده . ألا ان لحم العصفور أشهى الى الثعبان من لحنهِ ... وما في ذلك الاَّ سوءُ التقدير وأفن الرأي وقلة الحيلة

ان الارض العربية تطالب شعراءها وأدباءها وكتَّابها وأصحاب الرأي فيها ان يتخذوا ألفاظهم في شعرهم وأدبهم وكتاباتهم وآرائهم من النار والحديد والبراكين والدويّ والرُّعود المجلجلة فعسى ان يهبَّ هؤلاء النوَّام من سباتهم وان يرجعوا عن غفلتهم ويعلموا ان الامر جدٌّ وان الحياة صراعٌ وان عدة هذا الصراع هو الايمان والصبر وبذل النفس وكبح الشهوات واطراح الجبن والخور فاذا خرجنا من الميدان بالنصر والظفر فلنطلب نفع الانسانية في كل بقعة من بقاع الارض ولنمحُ آثار المظالم والعدوان والفجور والبغي ولنغن ما وسعتنا الالحان وما واتتنا الأغاريد

وسنعود قريباً الى التوسع في هذا القول حين نبتدئ — بعون الله — كلامنا عن الشعر الوطني في هذه المجلة يوم نجد من شعرائنا اقبالاً على ارسال شعرهم الوطني كما أمَّلنا ذلك في النشرة التي كتبناها في اول مقتطف نوفمبر الماضي والله المستعان

٢ — تاريخ مصر الاسلامية

تأليف الياس الايوبي — مطبعة الرغائب بالقاهرة سنة ١٣٥٢

ظهر هذا الكتاب ، وكثر الحديث عنهُ فثارت الهمة لقراءته والنظر فيه وبخاصة لانهُ تاريخ أغمض العصور التي مرّت بمصر وذلك لضياع اكثر الكتب المؤلفة في هذا التاريخ الواقع ما بين سنة ٢٠ من الهجرة الى سنة ٢٥٤ منها . واخالف ما درجتُ عليه في الكتابة وأقول إني اخذت هذا الكتاب فقرأتهُ أحسبهُ شيئاً فاذا هو ليس بشيءٍ ، واقول هذه الكلمة وانا احمل اوزارها واثقالها وما يشاء القارىء من اوزار واثقال . فانا — يا سيدي القارىء — لم أقرأ هذا الكتاب الاَّ وقد عقدت النية على انهُ تاريخ مصر من ايام الفتح العربيّ إلى اول عهد الدولة الطولونية لا على انهُ اوهام في تاريخ مصر من الفتح العربي الى عهد الدولة الطولونية

وقبل ان نبدأ ينبغي لنا ان نعرف ما هو التاريخ وكيف يكتب؟

يعتمد مؤرخ كل امة من الامم على دعامتين ، فإحدى الدعامتين هي دعامة الرواية والاخرى دعامة العقل . والرواية هي مادة التاريخ الذي لا يمكن ان يسمى تاريخاً الاَّ باجتماعها وحشدها. والعقل هو المصنع الذي تنقى فيهِ هذه المادة وتجلى ويؤلَّف بين المتقارب ويفرّق بين المتباين من اجزائها وعناصرها. فاذا اعتمد المؤرخ على الرواية دون العقل كان ما يكتبهُ تاريخاً الاَّ انهُ تاريخ اعرج فاذا اعتمد على العقل دون الرواية لم يكن ما يكتبهُ تاريخاً فان اعتمد على العقل وقليل من الرواية كان ما يكتبهُ نوعاً من الكلام لا يسمى تاريخاً بل يسمى اوهاماً في التاريخ ولا يخرج التاريخ الصحيح الاَّ من مصانع العقل القويّ المشرق الذي اجتمعت له المادة التاريخية المحشودة المصححة . ولا اظن ان مؤرخاً مهما بلغ من قوة العقل واشراقه يستطيع ان يولّد لك من بعض الروايات المنسوبة الى التاريخ تاريخ امة قد ملأت الارض علماً وحضارة وادباً. هذا .... فاذا اعتمد المؤرخ على الهوى دون العقل مع قلة الرواية وضعفها وتهالكها فكيف يكون تاريخه ؟ اذا أردت ان تعرف ذلك فاقرأ هذا الكتاب المسمى « تاريخ مصر الاسلامية » وتأويل ذلك

تقول مقدّمة الكتاب « وكنت كلما اتصور تمكّنني (كذا) من انجاز فكرتي، واتخيل عملي امامي تامّاً: فاراني اصبحت اول مؤرخ مصري جدير بهذا الاسم (كذا) وأراني قد انشأت، حقيقة ، في احضان قومي روحاً مصرية بحتةً — لا عربية ولا تركية ، لا مسيحية ولا يهودية ولا اسلامية — روحاً مصرية متشبعة بالمبادىء القومية العصرية ، ومثقفة بالثقافة العصرية الحقة التي تستمد منها الحضارة العصرية قوتها وجمالها . . . . الخ » وذكر كلاماً رمى فيهِ مؤرخي العرب جميعاً بالجهل والتدليس وغلبة الهوى حين كتبوا سيرة الرسول صلى الله عليهِ وسلم فقال « ... جعلوا فيما كتبوه من سير للنبيّ الغلبة للخرافة على الحقيقة ، مقلدين في

ذلك المتقدمين من مؤلفي المصريين والكلدانيين واليونان والرومان (تأمل) الذين رووا حوادث تأسيس الدولة المصرية والكلدانية واليونانية والرومانية . . . . . الخ » واستعتب القارىء في نقل هذه الجملة ايضاً : « واني اذا كنت — على عكس ذلك — رأيت نفسي مضطرًّا احياناً الى حرق ما قد قدستهُ زمناً طويلاً فيما مضى ، فذلك لأني انما رميت بكتابي الى احياء الشعور القومي المصري البحت في نفوس قرائي ، كما قدمت .... لا لأني ارغب في جرح شعور احد او احساس احد او فكر احد » ولعله قد سقط من الاصل « بل اريد ان اجرح شعور التاريخ واحساس التاريخ وفكر التاريخ »

لا يدري القارىء ماذا اقاسي من الالم المبرح في نقد هذا الكتاب وما ذلك الاَّ لأني اذا كتبت عنهُ فانما اكتب عن مؤلفه وقد اصبح من مادة التاريخ فآنف ان انازل من لا يدافع عن نفسه ، ولأن الكتاب في اكثره افسادٌ للتاريخ وتدليس عليه ولأن مواضع النقد فيه كثيرة لا ادري ماذا آخذ منها او أدع في هذه الورقات . ولكني أستعين الله على ما ألاقي من الالم في الكتابة عن هذا المؤلَّف

لم يعتمد كاتبنا في تاريخه الاَّ على كتب قلائل ليست شيئاً في المكتبة العربية الزاخرة بكتب التاريخ ، وهي كتاب المقريزي وابن اياس وابن وصيف شاه وتاريخ التمدن الاسلامي لزيدان والكندي وابن الشحنة في روضة المناظر وقليل غير ذلك من كتب الادب . هذا فلو نظرت الى كتاب (فتح العرب لمصر) الذي ألّفه الاعجميّ الدكتور (بتلَرْ) الانكليزي لوجدته يعتمد في تاريخ حقبة من الزمن لا تبلغ خمس سنوات على عشرين ومائة كتاب في التاريخ ثلثها من كتب التاريخ العربي والبقية من كتب الامم في التاريخ . فلو ان (بتلر) اراد ان يكتب تاريخ مصر الاسلامية من سنة ٢٠ لسنة ٢٥٤ لاعتمد على اضعاف هذا من كتب التاريخ . وذلك لان التاريخ لا يكون شيئاً الاَّ اذا حشدت له المادة العظيمة ونظرت فيها بالنظر الصائب وربَّ كلمة شاردة في ذيل ورقة تفتحُ للمؤرخ باباً من الفهم يجعلُ الغامض واضحاً بيّناً والمتباعد قريباً دانياً وتصل بين حافتي هوَّة في التاريخ فتمكن المؤرخ من اجتيازها

هذا امر المادة التاريخية نفسها ، فلننظر ماذا فعل المؤرخ بالمادة التاريخية القليلة التي اجتمعت له حين الف كتابه . عَمِدَ المؤلف الى هذه المادة القليلة التي لا يستقيم بها تاريخ فقرأها وأراد ان يتفهمها فأخطأَ في كثير وأصاب في قليل وقرَّ ذلك في نفسه ، ثم اول بعض هذه المادة تأويلاً لا يقبله عقل ولا تاريخ حتى يستطيع — كما يقول — «ان ينشىء حقيقة في احضان قومه روحاً مصريةً بحتةً — لا عربية ولا تركية ، لا يهودية ولا مسيحية ولا اسلامية — » فلذلك سَخِرَ بالعرب وساق الرواية العربية القوية في اسلوب من السخر بالعرب والازراء عليهم والغض منهم ومن افذاذ رجال الفتح . وأنت اذا قرأت الفصل الذي

سماه «كيف فتح العرب مصر» لم تجد فيه حقيقة غير هذه. فهو حين يذكر «عبادة بن الصامت» رضي الله عنه حين بعثه عمرو على رأس النفر العشرة الى المقوقس فتقدم عبادة وكان عبادة اسود ضخماً من الرجال فهابه المقوقس لسواده «وقال: نحّوا عني هذا الاسود وقدموا غيره يكلمني، فقالوا جميعاً: انهُ افضلنا رأياً وعلماً وخيرنا والمقدَّم علينا وانما نرجع جميعاً الى قوله ورأيه» فيقول المؤلف تعقيباً على هذا

«ولسنا ندري من اين اتى عبادة بن الصامت العلم !!» . . . ونحن والله لاندري ايضاً، ولا نعلم الاّ ممن شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له من الرأي ما أجلَّه به قومه، بلى وانه رجلٌ من افذاذ الامة التي اشرقت بنورها على الارض فأخرجت الناس من الظلمات الى النور . ولسنا ندري لماذا ينكر صاحبنا العلم على عبادة، وهم لم يقولوا انه اعلم العالمين بل قالوا هو افضلنا رايًا وعلماً وهم ادرى بأنفسهم منا بها وقد كانوا رحمهم الله يقدّرون انفسهم قدرها فيقدّم الرجل الشريف العبدَ الحبشي العالِم على نفسه واهله، وما كان فيهم من يتصدر ليقول عن نفسه انهُ اكبر عالِم او اتقى رجل او افضل مخلوق او اوّل مؤرخ لمصر جدير بهذا الاسم . وقد اطلت ليعلم القارىء كيف يطمس الهوى على قلوب الناس اذا حرفوا العلم او التاريخ بأعنته، والهوى كما قال ابن عباس رضي الله عنه — إله معبود . . . والكتاب كله على هذا النمط من الازراء على العرب والعبث بالاسلام، وما يريد المؤلف من كل هذا الاّ انشاء روح مصرية لا عربية ولا اسلامية كما يزعم لا تقرير الحقيقة التي يجب على كل انسان ان يطلبها أنَّى كانت، والمؤلف نفسه في حيرة من العرب والاسلام وتغلغل كلٍّ منهما في مصر فتراه احياناً يدور حول نفسه يريغ المخرج ولا مخرج حتى انهُ لم يستطع ان يمحو ذكر الاسلام — والعرب — فيما سمّى بهِ كتابه فألقى عليه هذا العنوان الذي يتبرأ مما تحته ... «تاريخ مصر الاسلامية»

ولنفتح في الكتاب اي صفحة يكون من نصيبها التمزيق، بسم الله فهذه ص ١٨٠ يقول المؤلف في رأسها ان ابن عباس روى عن النبي صلى الله عليه وسلم «انما ضلَّ من كان قبلكم بالكتابة» وأطال الكلام بعد ذلك على هذا الحديث الذي لانشك في وضعه حتى قال «وأهملوا — يعني العرب — تدوين كل ما جادت به قرائحهم في بابي الشعر والخطابة ذاتها لتفضيلهم الحفظ على التدوين، بل اهملوا تدوين العلم الانساني البحت عينه — على قلته — (كذا وتأمل) وقضوا قرنهم الاول وبعض الثاني (كذا قال المؤلف) وهم يتناقلونه بالتلقين، ولم يدوّنوا القرآن نفسه بعد ان احجم ابو بكر مدة عن ذلك قائلاً «كيف افعل امراً لم يفعله رسول الله، ولم يعهد الينا فيه عهداً» ... الاّ لما خافوا ان تذهب الحروب والفتوحات بحفَّاظه فيضيع» انتهى

ولا ندري هل يعلم المؤلف أن من الصحابة ناساً يسمون «كتَّاب الوحي» كانوا يكتبون

رسول الله صلى الله عليهِ وسلم ما يوحى من القرآن وان الرسول صلى الله عليهِ وسلم قد فادى أسرى يوم بدر فكان شرط من لا مال عنده ان يعلّم عشرة من الغلمان الكتابة قالوا فيومئذٍ تعلّم الكتابة زيد بن ثابت كاتب الوحي وأن رسول الله صلى الله عليهِ وسلم قد أمر عبد الله بن سعيد بن العاص ان يعلّم الناس الكتابة بالمدينة وانهُ قد ورد في الاستيعاب لابن عبد البر والاصابة لابن حجر ان الشفّاء ام سليمان بن أبي حثمة — علمت حفصة (وهي زوجه) الكتابة وقال لها « علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة » . وان القرآن كان مكتوباً جميعهُ على عهد الرسول صلى الله عليهِ وسلم كتبه له كتّاب الوحي وكتبه لنفسه من كان يحسن يكتب من الصحابة وهم كثير ، وان قول أبي بكر «أأفعل امراً لم يفعله رسول الله» انما هو عن جمعه بين دفتين أعني في كتاب او مجلة كما يقولون وليس ذلك لان ابا بكر كان يعاف الكتابة والتدوين . وتأويل ذلك ان أبا بكر لما عافت نفسه ما قال بهِ من جمع القرآن دعا زيد بن ثابت وقال له (نرويه من حديث زيد بن ثابت) « ان هذا — يعني عمر — قد دعاني الى امر فأبيت عليهِ وأنت كاتب الوحي فان تكن معهُ اتبعتكما وان توافقني لا افعل فاقتصّ ابو بكر قول عمر وعمر ساكت ، فنفرتُ من ذلك وقلت يفعل ما لم يفعل رسول الله صلى الله عليهِ وسلم الى ان قال عمر كلمة : وما عليكما لو فعلتما ذاك ؟ فذهبنا ننظر فقلنا لا شيء والله ما علينا في ذلك شيء قال زيد فأمر ابو بكر فكتبته من قطع الأدم وكسر الاكتاف والعُسُب » وهل يعلم المؤلف ان هنالك مصاحف تنسب الى اصحابها من الصحابة كان مسعود ومصحف ابيّ ومصحف زيد كانت مكتوبة على عهد الرسول صلى الله عليهِ وسلم وعرضها اصحابها العرضة الاخيرة عليهِ قبل ان يلحق بالرفيق الأعلى صلى الله عليهِ وسلم

هذه صفحة لم نعمد اليها من الكتاب وها أنت تراها كيف مزّقت شرّ ممزّق وذريت قطعها في الهواء . وهذه المجلة لا تتسع في هذا الباب لأكثر من هذا ولكن ليكن القارىء على يقين من ان كلّ ورقةٍ من هذا الكتاب هي هذه الورقة الممزّقة . ولله الامر من قبل ومن بعد

٣ — آلاء الرحمن في تفسير القرآن

تأليف محمد جواد البلاغي النجفي — الجزء الاول — مطبعة العرفان بصيدا — سنة ١٣٥٢

كان القرآن الكريم ولا يزال مادة البلاغة العربية بل مادة العقل العربي بل مادة الحياة الانسانية العالية بآدابها وعلمها وفقهها واحكامها ودولتها . نزل بهِ الوحي على محمد صلى الله عليهِ وسلم لجمع الامة بعد شقاقها وافتراقها على كلمة واحدة في قلب رجل واحدٍ أينما سارت سجدت لها العروش ودانت لها الملوك وخضعت لها الرقاب واستقبلتها القلوب وانقادت لها النفوس وعلا بها الحقّ واضاء بها الوجود حتى اذا تمت لها المعجزة في اخضاع العالم للحق

واخراجه من ظلمات الباطل الى نهار الحق بدأت طبيعة الحياة تفعل فعلها وتفتن فتنتها فمدَّت الشبهات أعناقها ، وظهر الخلاف بين الناس الاَّ ان الشبهات كانت لاول عهدها خفية قليلة وكان الخلاف ضعيفاً متقارباً ثم بدأ الجدل واللجاج والعناد الانساني البغيض حتى استحكمت الشبهة وكثر الخلاف واتسع ما بين أصحاب الرأيين وتعصب هذا وتنطع ذاك فخرجت الفرق المتعادية والنحل المتخاصمة وبقي كل فريق يطلب النصر لرأيهِ لا للحق وبذلك اضطرب الحبل وفسدت الامور واستحلَّ القتال وضعفت الدولة . وهذه صورة يتكرر ظهورها في التاريخ . ومن يتتبع أحوال الفرق وأسباب نشأتها واطوار نموّها وضعفها يعلم ان الخلاف او الشبهة التي ينبني عليها المذهب ليست الاَّ كبوة عقلٍ واحدٍ في رجل من أصحاب الرأي انساق في آثارها وجرَّ وراءه أمة من الناس تعصبوا له ، فانكبُّوا معهُ . ولا بأس ان ننقل هنا كلمة للجاحظ عن ابراهيم النظام رأس الفرقة المشهورة من المعتزلة بالنظامية قال في كتابه الحيوان ج ٢ ص ٨٣ «وكان ابراهيم مأمون اللسان قليل الزلل والزيغ في باب الصدق والكذب . . . . . . وانما كان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه وجودة قياسهِ على العارض والخاطر والسابق الذي لا يوثق بمثله فلو كان بدل تصحيحه القياس التمس تصحيح الاصل الذي قاس عليه ، كان امره على الخلاص ، ولكنه كان يظنُّ الظنَّ ثم يقيس عليه ، وينسى ان بدء أمره كان ظنًّا ، فاذا اتقن ذلك وايقن جزم عليه وحكاه عن صاحبه حكاية المستبصر في صحة معناه ، ولكنه كان لا يقول سمعت ولا رأيت » اه . وهذه صفة رؤوس الفرق جميعاً في كل ملةٍ وفي كل علم

قدمنا هذه الكلمة بين يدي هذا الكتاب ، لان مؤلفه من علماء الامامية ، وهم فرقة من اهل الاسلام افترقت فيما بعد الى فرق كثيرة واصل عقيدتها امامة عليّ رضي الله عنهُ وبقاؤها في عقبه ، وللكلام على الامامية وتفصيل مذهبها ذيول طويلة ليس هذا موضع ذكرها والذي يهمنا ان هذه الفرقة كان لها في الاسلام شأن عظيم والّف في الردّ على مذاهب اهلها من الكتب شيء كثير . وقد قرأنا عنها مذاهب عجيبة لا يقرها عقل . ولم يصل الى ايدينا من كتبهم الاَّ ما قرأناه من النصوص المنقولة عن كتبهم في الردّ عليهم فسرّني كثيراً ان ارى بين يديَّ تفسيراً لعالم من علماء هذه الفرقة ، وان اجد هذا التفسير قد قرّب مسافة الخلف بين ما قرأتهُ عن الامامية وبين عقيدتي وعقيدة اكثر المسلمين . وهنا لا نجد بدًّا من الاشارة الى ان اهل الفرق والمذاهب لا يزالون في غفلةٍ عن الحياة . فهم يتقسمون امرهم بينهم والعدوّ من ورائهم وامامهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم يعد العدَّة ويتوثب للفريسة الغافلة ولا مخرج للعرب بعد اليوم الاَّ ان يرجعوا الى حكم الله اذ يقول « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلَّكم تُفلحون . . . . . واطيعُوا الله ورسُوله ولا تنازَعُوا فتفشَلُوا وتذهَبَ ريحكم واصبرُوا انَّ الله معَ الصَّابرين» . ولا بدَّ ايضاً من ان

يرجعوا الى كتابهم وسنة رسولهم مخلصين لا يؤولون ولا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وان يتركوا وراءهم ظهريًّا اقوال رؤوس الفرق وأئمتها فانهم أصل البلاء ومادة الشر، ولا حياة لامة على الامر الذي لا يحوي الخلاف فيه الاَّ الفرقة والخصومة والشنآن والعداوة المتوارثة ونسأل الله ان يجعل آخر امر المسلمين والناس جميعاً كاوله ألفةً وارتباطاً وصفاءً وعملاً خالصاً لله لا للشهوات والاهواء

محمود محمد شاكر

ابن خُلدون

سيرتهُ وتراثهُ الفكري

نشرنا في مقالات هذا الجزء الجانب الاكبر من فصل ممتع في « ابن خلدون والنقد الحديث » عن كتاب الاستاذ محمد عبد الله عنان . وقد ضاق هذا الجزء عن بحث جدير بما عاناه المؤلف من مشاق البحث في تأليف هذا السفر النفيس

كتب جديدة في التربية

انظمة التعليم

وضع الاستاذ احمد سامح الخالدي مدير الكلية العربية واستاذ التربية بها
الجزء الاول — ١٦٠ صحيفة بالقطع الكبير — مطبعة بيت القدس

دراسة نظم التعليم في البلاد الناهضة كاوربا واميركا ليس الغرض منها اثبات نجاحها، فنظم التعليم كالحياة نفسها سائرة متغيرة، واذا نجح نظام تعليمي في بلد فليس معناه امكان نجاحه في بلد آخر وهذا ما يؤكده المؤلف في مقدمة كتابه، فتراه يحذر المدرس العربي بقوله «فاحذر وانت تنقل هذه (الغرسات) الى بلادك واذكر ان ماء الاردن غير ماء التيمس ومناخ برلين غير مناخ فلسطين»

ومباحث الكتاب يمكن تقسيمها الى فصلين (اولاً) نظم التعليم في المانيا وفرنسا وتركيا (ثانياً) نظم التعليم الثانوي في اوربا واميركا. ونحن لا ندري الحكمة في هذا التقسيم، إذ كان اقرب الى تنظيم العمل ان يخصص الاستاذ الخالدي هذا الجزء من كتابه لدراسة نظم التعليم المختلفة فبدلاً من مقارنة نظم التعليم الثانوي كان عليه ان يتم دراسة نظم التعليم في انكلترا وسويسرا والدنمارك واميركا ويعرج على الشرق ويدرس مصر وغيرها . وعندئذ تتيسر المقابلة بين هذه النظم

وعند دراسة نظام التعليم الالماني اهمل الاستاذ دراسة نظام رياض الاطفال Kindergarten وبيوت صغار الاطفال وهي ما تتميز بهِ التربية الالمانية وقد يستطاع اقتباسه مباشرة في الشرق بلا قيد ولا شرط، كما كان يجدر بالمؤلف ان يربط دراسة النمسا بألمانيا ويبسط لنا طرفاً عن

نظم تعليم ذوي العاهات والشواذ ، والتعليم العسكري الالماني في هذه المدارس ولو ان الاستاذ وضح كتابه بشيء من الصور التي تمثل الحياة الاجتماعية لكان اكثر تأكيداً لكلامه. كما اننا نأخذ على الاستاذ المؤلف تعريب كثير من المصطلحات اللاتينية كما هي كاستخدام لفظ (اكاديمي البيداغوجيا) بدلاً من «معهد التربية» مع سهولة هذه وتأديتها للغرض

ومع ذلك فالكتاب قد ملأ فراغاً في التأليف العربي ، وجدير بكل مشتغل بشؤون التعليم ان يدرسه بامعان لا ان يقتنيه فقط

محاضرات ومقالات في التربية والتعليم

كتابان مستقلان — ٧٤ و ١٠٤ صحيفة بالقطع المتوسط — مطبعة الكشاف ببيروت

يشتمل الكتاب الاول (محاضرات في التربية والتعليم) على ثلاثة بحوث ، في تدريس اللغة ، وقواعد اللغة ، وتنظيم المدرسة ذات المعلم الواحد . كما يشتمل الكتاب الثاني (مقالات في التربية والتعليم) على بحوث خاصة بتدريس اللغة العربية واخرى مترجمة او مقتبسة

وعناية الاستاذ بارودي احد مفتشي المعارف في لبنان بطرق تدريس اللغة العربية امر مشكور ، لان النقل والاقتباس عن الغرب يقصر عند هذا الحد ، فان كنا نأخذ عن الغرب الطرق العامة في التدريس ، فان طرق تدريس المواد ولا سيما اللغة لا بدَّ وان نعتمد في اختيارها او ابتكارها على انفسنا ، فكل لغة لها مميزاتها وخصائصها . واللغة العربية لا يمكن بحال من الاحوال ان نقارنها باية لغة اوربية . فلو ان الاستاذ قد خصص كتابيه او احدهما على الاقل لدراسة طرق تدريس اللغة العربية بكل فروعها لكان ذلك اكثر فائدة ، ولو انهُ قد اكثر من الأمثلة التي يشاهدها في تفتيشه على المدارس اللبنانية (كالمصاعب التي يلاقيها المعلمون او التلاميذ في دروس اللغة) لكانت بحوثه اقرب نفعاً . والصعوبات التي تعترض تدريس اللغة العربية كثيرة اورد بعضها المؤلف ومثال ذلك «تدريس الهجاء ، تشكيل الحروف ، قواعد اللغة ، التجديد في تدريس الانشاء ، الخط» مما يعرفه المشتغلون بتدريس اللغة العربية

وحبذا لو نهج المشتغلون بالتعليم من مفتشين ونظار ومعلمين نهج الاستاذ واصف بارودي في تدوين ملاحظاتهم وتجاربهم الخاصة بشؤون التعليم ، فانها تكون بذلك المرجع الذي يعتمد عليه المعلمون الناشئون والباحثون في مشاكل التعليم في البلاد العربية احمد عطية الله

ذكرى الدكتور محمد بن ابي شنب

بقلم الاديب عبد الرحمن الجيلالي ويحتوي على نسب صاحب الذكرى ونشأتهِ وعامهِ واخلاقهِ وآثارهِ ومنشآتهِ — ويطلب من المكتبة الادبية بالجزائر وثمنهُ ١٠ فرنكات

الفلاح الاقتصادي

مجلة زراعية اقتصادية — لمنشئها ثابت ثابت — مطبعة المقطم وتوزع مجاناً

لثابت افندي ثابت ، منشىء هذه المجلة ورئيس تحريرها ، عناية خاصة بالموضوعات الاقتصادية والزراعية تشهد بذلك مقالاته المفيدة في المقطم التي يودعها كل سنة زبدة مشاهداته في بلدان اوربا واحوالها الاقتصادية والعمرانية . وله علاوة على ذلك اهتمام عملي خاص بشؤون مصر الزراعية ، وهو الذي ما برح يخالط الفلاح المصري من عشرين سنة او تزيد ، فدرس احواله ونفذ الى رغائبه وآماله . فرأى ان ينشىء هذه المجلة لتكون مرشداً ومؤازراً للفلاح في هذا البلد «الذي نعيش بخيره ونشارك في سرّائه وضرّائه . والمساهمة في ارشاد خاصته وعامته الى الطرق الحديثة التي تؤول الى تحسين تربته وانماء زراعته وصناعته وزيادة انتاجه بالوسائل التي عمدت اليها شعوب وبلدان اخرى فأصابت بها اوفر قسطٍ من زكاء الربح من الرفاهة والرخاء». والعجيب في امر هذه المجلة ، ان منشئها قد عمد الى توزيعها من دون لقاءٍ زيادة في نشر الفوائد التي تجنى من مباحثها — وكل بحث ينطوي على فائدة خاصة

وقد جعلت ابوابها خاصة بالزراعة والصناعة ، والمال والتجارة ، وفي كل باب منها مباحث غزيرة المادة بليغة الأسلوب جمة الفائدة . ونخالنا لا نكون مبالغين اذا قلنا ان رجال الزراعة والاعمال في القطر يحسنون صنعاً باجتناء فوائدها مطالعة وحفظ اعدادها لتكون لهم مرجعاً ومعاداً

وقد حلي العدد الاول منها بقصيدة للشاعر الكبير خليل مطران نظمها لما « اقتضت حكمة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك أيده الله ان يشتري لحضرة صاحب السمو الامير فاروق ولي عهده تفتيش المطاعنة بالصعيد من شركة السكر فأصبح سموه بذلك بعد جلالة والده في طليعة زرّاع القطر» قال الشاعر منها

ليست مشارفة الامير لضيعةٍ ضَعةً وما الجهد المغلُّ بضائع
ان الفلاحة والفلاح تسلسلا لفظاً ومعنىً من نجارٍ جامع

وقال في وصف جلالة الملك

لحظ الرمال القاحلات فنضّرت وازينت بمغارسٍ ومزارع
لحظ المدائن والقرى فتجمّلت وتكملت بمدارسٍ ومصانع
لحظ الثقافة للعقول فأخرجت ما طاب من ثمر العقول اليانع
لحظ الرياضة للجسوم فهيّأت نشأً جديد عزائمٍ ونوازع
لحظ العلوم فما ترى من روضةٍ الاّ ظماء الطير حول مشارع
لحظ الفنون فعاد مؤتنفاً بها ما كان من فضل قديم بارع

باب الاخبار العلمية

العيون الكهربائية ايضاً

بها العمي يقرأون الكتب مباشرةً

يسوغ لنا لغويًّا ان نطلق على العين الكهربائية لفظ (البصاصة) لأنهُ مرادف للعين في معاجم اللغة . ولاسيما ان العامة في القاهرة وغيرها من مدن القطر تسمي البوليس السري « البصَّاص » فنقول ان للبصاصة الكهربائية شأناً عظيماً في ميادين الاعمال ومرافق الحياة عموماً في اوربا واميركا ومن ادلة ذلك ما بيَّناه في المقال الضافي المنشور في مقتطف نوفمبر الماضي . ثم ما حدث عند افتتاح معرض شيكاغو الحالي اذ سخرت البصاصة الكهربائية لالتقاط نور نجم السماك الرامح وتقويته بالكهرباء حتى استطاعوا ان يفتحوا بهِ ابواب ذلك المعرض العالمي ، الذي لم يسبق له نظير ، بما حواه من مستنبطات علمية . وما دمنا في معرض منافع البصاصة الكهربائية فلا مندوحة لنا عن اعادة ما نشرناه في جزء مارس سنة ١٩٣٢ من المقتطف في باب الاخبار العلمية : —

السماك الرامح نجم اصفر من القدر الاول في كوكبة العواء وهي من الصور الشمالية . وقد رأى علماء الكهربائية في الولايات المتحدة تسخير شعاع من نوره لفتح المعرض الاميركي العالمي بمدينة شيكاغو . والمعروف عند علماء الفلك ان السماك الرامح يبعد عنا مسافة تقدر باحدى واربعين سنة نورية .

وقد جرب مرقب مرصد يركيز الكاسر الذي قطر عدسته اربعون بوصة لرصد ذلك الكوكب فجعلوا في قاعدة المرقب بطارية كهرنورية (بصاصة) حتى اذا مرَّ طيف الكوكب امام عدسة المرقب المنتهي بالبطارية آنفة الذكر التقطت نوره حالاً فيولد فيها تياراً كهربائيًّا يقوَّى ثم ينقل بالاسلاك الارضية الى مدينة شيكاغو حيث يستخدم لفتح باب المعرض واضاءة المصابيح الكهربائية التي فيه

وحديثنا اليوم يدور حول (الفيزاغراف) وهي معجزة جديدة للبصاصة الكهربائية يستفيد بها العميان واليك وصفها

لقد اتيح للعميان لاول مرة في تاريخ الانسان ، قراءة اي كتاب مطبوع ، وذلك بالعيون الكهربائية المثبتة في آلة اخترعت حديثاً تسمى « فيزاغراف » تعوض الاكمه ما حرمتهُ الطبيعة اياه من حاسة الابصار ، فتجعل من الحروف العادية المطبوعة في اي

كتاب حروفاً بارزة ضخمة تسهل قراءتها لمساً بالبنان في هنيهة من الزمان

ومخترع الفيزاغراف هو المستر روبرت نومبرج من ولاية مساشوستس من اعمال الولايات المتحدة الاميركية وقد عرضها حديثاً في مدينة نيويورك . وهي على شاكلة منضدة من مناضد الكتابة التي توضع في مكاتب الاشغال ودوائر الاعمال. فاذا أُدخلت في الآلة كتاباً مطبوعاً وأُدرتها فتحت عينها الكهربائية المستكنة في حامل اسطواني من النحاس الاصفر فاخذت تجول في الصفحة المعروضة من الكتاب المراد قراءته من اليسار الى اليمين حتى تتم تصفحها . وكل ما تراه تلك العين الكهربائية ينسخ في الحال حروفاً بارزة، وذلك على شريط رقيق ملفوف من الاليومنيوم مركب على يمين الآلة

وقد جرب المخترع الفيزاغراف امام الجمهور فجاء بسيدة شابة ضريرة كان قد درَّبها ٣٠ يوماً فقط على استخدام الفيزاغراف والقراءة بها فجعلت تقرأ من فورها امام الحضور الكلمات التي تلمسها بنانها مؤلفة من الحروف البارزة التي تصدر من الفيزاغراف واحداً فواحداً فأعجب بها النظَّارة ايما اعجاب

واذا ما فرغ الضرير من قراءة الحروف البارزة مطبوعة على شريط الاليومنيوم، لمساً ببنانه امكنهُ الاحتفاظ بالشريط عينه حتى تمس الحاجة الى قراءته مرة اخرى والاَّ استغنى عنهُ فيطمس معالمه، وذلك بحصره بين اسطوانتين، يشبهان عصَّارة الملابس المغسولة حيث يضغط فيملس حتى يعود الى اصله فيتسنى استعماله مرة اخرى عند الحاجة

والفيزاغراف مؤلفة من جزئين وهما الناقل والطابع . فالناقل يقرأ الكتابة المطبوعة في الكتاب ثم ينقلها الى الطابع نبضات كهربائية فيقوم الاخير بتدوينها نقطاً وشرطاً على شريط الاليومنيوم

ويتم ذلك الحدث باستخدام ست شعاعات صغيرة مرتبة ترتيباً عمودياً على طول الخط المطبوع من ناحية النقل . وكل شعاعة تعتبر أداة حسَّاسة كشَّافة خاصة بقضيب واحد من القضبان الستة المؤلف منها الطابع، والقضيب الاسفل منها يتولى تصفح اذناب الحروف الافرنكية مثل .P و .g فاذا اصابت شعاعة كشَّافة الجزء الاسود من الحرف حركت القضيب الطابع الخاص به فيقوم بطبع النقط والشرط على شريط الاليومنيوم

***

وقد يستطيع الضرير تنظيم وضع الكتاب المزمع قراءته . وكذلك يمكنه نقل الحامل المحتوي على البصاصة الكهربائية من سطر الى آخر — وقد استغرق المخترع في اختراع الفيزاغراف اربع سنين لم يأل فيها جهداً حتى حسَّنها الى الدرجة التي هي عليها الآن وسيجعلها تقرأ المجلات والرسائل التي تكتب بالتيبريتر (الآلة الكاتبة) في القريب العاجل . لانه ذلل العقبة الكأداء التي اعترضته في بدء الامر وهي الوسط الصالح لتدوين الحروف حتى عثر على ضالته في شريط الاليومنيوم

وقد عرض الاستاذ «جون بلاّمي تايلور» المهندس المستشار لدى شركة الكهرباء العامة بأميركا امام اعضاء المجمع العلمي الاميركي الجهاز الذي اخترعه لجعل الصوت منظوراً والضوء مسموعاً . فنصب لهذا الغرض هدفاً زجاجيًّا صغيراً بمثابة مرآة ذات شكل قطع مكافىء وذلك في غرفة الرقص المظلمة في فندق استور بمدينة نيويورك . فثبت ان الضوء المتولد من الجهاز المشار اليه متى مسّ تلك المرآة تولدت منهُ موسيقى . وانهُ اذا اعترض اي شبح الشعاعة المنعكسة عن المرآة ، انقطعت الموسيقى . وانهُ اذا بسط امرؤ اصابعه تجاه النور تخلل النور الاصابع فتعزف الموسيقى، واذا اطبق اصابعهُ اطباقاً طفيفاً تضاءلت الانغام الموسيقية

***

ويستفاد من هذه التجربة ان الجهاز السابق الذكر يحوّل الصوت الصادر من اسطوانة الفونوغراف نبضات كهربائية فتتحوّل هذه نفسها امواجاً نورية

وبيان ذلك ان في الجهاز المستقبل بصاصة كهربائية تلتقط الضوء فتحوله قوة كهربائية محركة ثم تتحول هذه القوة صوتاً ينتقل من المرآة العاكسة للشعاعة الى الجهاز المستقبل وذلك على امواج الضوء

ويسمي الأستاذ تايلور طريقته العلمية هذه narrowcasting اي الاذاعة المحصورة تمييزاً لها عن الاذاعة الواسعة النطاق المسماة broadcasting

وقد استنبط الدكتور هانس تيرنج الاستاذ في احدى جامعات فيينا بالنمسا جهازاً كثير الشبه بالجهاز آنف الذكر لنقل الصوت بالضوء

بيد ان طريقة العلامة بلاّمي مازالت وليدة في مهد المختبرات العلمية ولما تعلم فوائدها . ومع ذلك يزعم الخبيرون بأنها ستستخدم في نقل الرسائل السرية الى الجهات القريبة في ميادين القتال وذلك بين مراكز طلائع الجيوش وفرقها في الميدان

***

ولما كانت اجهزة الراديو الحساسة جدًّا لا تبين امواج الضوء السريعة التناوب ، فاذا استعملت الأشعة التي وراء الاحمر او غيرها من الاشعة التي لا تستطيع العيون البشرية رؤيتها ، تمكنت الشعاعة (ذات النور الخفي) من نقل الرسائل دون ان تراها عيون رقباء الاعداء ولا تسمعها آذانهم

واما سبب كون الامواج اللاسلكية تدور حول الكرة الارضية ولا تتبع في سيرها خطًّا مستقيماً فهو بحسب رأي الخبراء وجود طبقة خفية تسمى في عرفهم (السطح اللاسلكي) تحول دون اتخاذ الامواج اللاسلكية مجرى مستقيماً . واما كون اشعة النور تخترق هاتيك الطبقة فيتجلى لنا من حقيقة ان القمر ينعكس نوره على الارض . ويؤخذ مما تقدَّم انه اذا تحققت في اي وقت احلام العلماء الذين يعتقدون بامكان التراسل مع سكان الكواكب . كان رسولهم اليها حينئذ امواج النور

عوض جندي

اشعة اكس مكان الراديوم

الراديوم اغلى العناصر المعروفة بل اصبح ان يقال ان اغلى الجواهر ارخص منه بكثير اذا اعتبر الوزن . وقد اكتشف في اواخر القرن الماضي وما زال منذ عهد اكتشافه على ازدياد في استعماله لمعالجة بعض الامراض والسرطان في مقدمتها وذلك لان اشعته اقوى كثيراً من اشعة اكس وانجع في بعض الامراض المذكورة

وقد عرف العلماء منذ زمان طويل انهُ اذا امكن الحصول على اشعة من اشعة اكس تكون «قاسية» وقصيرة الى حد محدود فان فعلها يكون كفعل اشعة الراديوم والظاهر ان هذا ما توصلوا اليهِ الآن في بعض معامل اميركا العلمية التابعة لاحدى الشركات الكهربائية . فقد صنعت انبوبة من اشعة اكس قوتها وامواجها مساوية للاشعة المنطلقة من مقدار هائل من الراديوم

***

وقد قدروا انهُ اذا اريد اعداد جهاز كامل من الراديوم للاستعمال في مستشفى من المستشفيات فان نفقاته لا تقل عن مائة الف جنيه ولكن جهازاً من اشعة اكس لا يكلف اكثر من ٢٠ الف جنيه

وفي العالم الآن ٥٠٠ جرام من الراديوم الصرف وثمن الجرام ١٥ الف جنيه. ومعلوم ان اول من اكتشفهُ مدام كوري « العالمة » الفرنسية ارملة الاستاذ كوري العالم الفرنسي الذي قتل منذ سنين في احد شوارع باريس بصدمة سيارة عمومية . اكتشفتهُ مدام كوري سنة ١٨٩٨ وهو يستخرج من اكسيد الاورانيوم وهذا يوجد في الاكثر في رواسب المعدن المعروف باسم البتشبلند واعظم مناجمه في بوهيميا وهناك مناجم اصغر منها في كندا والبرتوغال ومدغسكر ويكاد يوجد في كل تربة ولكن على قدر صغير وسبب غلائه صعوبة استخراجه

اما انبوبة اشعة اكس المشار اليها فتستعمل الآن للمعالجة في المستشفى التذكاري بمدينة نيويورك وقد عولجت بها جميع الامراض التي تعالج بالراديوم فجاءت بمثل نتائج الراديوم وبلغ عدد الذين عولجوا بها مئات ولكن اعظم امتحان لها هو في معالجة السرطان

ويقال ان الاشعة قوية حتى انها تخترق النحاس الى مدى ثمن بوصة والحديد الى مدى أربع بوصات ثم تصور بها صورة فوتوغرافية

وقد قال احد الخبيرين بالراديوم في انكلترا انه عرف منذ زمان طويل ان بعض اصناف اشعة اكس المعروفة باسم الاشعة «القاسية» تنجع في علاج الامراض مثل الراديوم بنفقة اقل وقد تحل محله في المستقبل

***

وقال احد العلماء المشهورين المشتغلين باشعة اكس في انكلترا انه يولد منها عادة ٤٠٠ الف فولط للاعمال الصناعية التي يراد بها اختراق الفولاذ الصب واجزاء الطائرات لاكتشاف ما قد يوجد فيها من الشقوق الصغيرة

جوائز نوبل العلمية

منحت جائزة نوبل الطبية عن سنة ١٩٣٣ للعالِم الاميركي الاستاذ توماس هنت مورغان صاحب مذهب «العوامل الوراثية» Geve Theony في الوراثة (راجع مقالات اسس الوراثة للدكتور شريف عسيران في مقتطف يناير وفبراير سنة ١٩٣٢). ومنحت جائزة نوبل الطبيعية عن سنة ١٩٣٢ للعالم الالماني المشهور ڤرنر هيزنبرج الاستاذ بجامعة ليبزغ، وهو من اساطين علم الطبيعة الحديث القائم على نظرية اينشتين ونظرية الكمّ Quantum او المقدار وصاحب مبدإ عدم التثبت Principal of Uncertainty. وقسمت جائزة نوبل الطبيعية عن سنة ١٩٣٣ بين الاستاذ ديراك الانكليزي والاستاذ شرويد نغر الالماني، لمباحثهما في نظرية الكمّ. اما الاول فأستاذ في جامعة كمبردج. واما الثاني فكان استاذاً في جامعة زوريخ ثم في جامعة برلين وهو الآن في كلية مجدلين بجامعة اكسفرد

خسارة معهد باستور

في ٢٩ اكتوبر الماضي توفي الدكتور كالمت معاون مدير معهد باستور وصاحب المباحث المشهورة في السلّ وكان عمره سبعين سنة. وفي ٣ نوفبر فقد ذلك المعهد مديره الدكتور اميل رو الذي اشتهر بمباحثه البكتيريولوجية، بالاشتراك مع باستور وبهرنغ وهما من اعلام هذا العلم في نشأته. وكان يوم وفاته في الثمانين من العمر

فقيدا الطيران المصري

في الثامن عشر من شهر نوفمبر الماضي طار سرب الطيارات المصرية الحربية من مطار «لمبد» بانكلترا» بقيادة اللفتننانت كولونيل «تايت بك» بعد ما ودعها وزير مصر المفوض في لندن وكثير من كبار الانكليز احسن وداع

وعبر السرب — وهو مؤلف من عشر طيارات — بحر المانش بسلام واجتازوا الحدود الفرنسية فاذا هم يسيرون في ضباب كثيف شطر الطيارات شطرين فضلت ثلاث منها الطريق ولم تستطع اولاها متابعة السير فسقطت بطياريها وعطلت ثم اصلحت واصيب راكباها باصابات خفيفة وسقطت الاخريان فحطمتا ونجا راكبا احداها واحترق راكبا الثالثة وقد كانا مع الأسف مصريين هما المرحومان الملازم الأول فؤاد حجاج قائد الطيارة وشهدي دوس ميكانيكيها

اما الطيارات الباقية فواصلت سيرها حتى وصلت الى مطار «ليبورجيه» سالمة بحمد الله

ونقلت الجثتان الى باريس وصلي على احدهما في مسجد باريس وشيعتا في موكب حافل الى محطة ليون لايصالهما الى مرسيليا ومنها ارسلتا بالباخرة «مريت باشا» الى الاسكندرية فوصلتا يوم الثلثاء ٢٨ نوفمبر وشيعتا في اليوم التالي باحتفال عظيم مهيب سار فيه وزير الحربية وجميع وحدات الجيش بملابسهم العسكرية ونقابة المحامين وطلبة الجامعة والمدارس وشتى الطبقات

الجزء الخامس من المجلد الثالث والثمانين

صفحة

هديتا المقتطف السنويتان

كتابان نفيسان

اصدرت مجلة المقتطف كتابين نفيسين كل النفاسة . احدهما في موضوع « اللاسلكي » وهو بحث علمي عملي مزين بما لا يقل عن مائتي صورة ورسم يتناول هذا الموضوع من وجوهه المختلفة ففيه نبذ عن تاريخ الفنون اللاسلكية . وفيه فصول تبسط مبادىء الكهربائية التي بني عليها اللاسلكي . وفيهِ ارشادات عملية لالتقاط اذاعات المحطات واصلاح الاجهزة . وفيهِ بحث في التلفزة (الرؤية عن بعد) والعين الكهربائية والفنون اللاسلكية الجديدة المختلفة

وقد كتب الكتاب بلغة سهلة واختيرت للالفاظ الاجنبية الفاظ عربية . وللكتاب معجم يشتمل على الالفاظ العامية والفنية اللاسلكية باللغة الانكليزية وما يقابلها باللغة العربية وتفسير لمعانيها

واما الكتاب الثاني فهو كتاب « رجال المال والاعمال » . وهو سفر نفيس يضم سير طائفة من اكبر رجال الصناعة والعمل والمال في هذا العصر . هنا تجد اسماء فورد وركفلر وروتشيلد وستنس وروتر وتشمبرلين وكروب وغيرهم من الرجال الذين يجد الشبان في سيرهم قدوة وعبرة . والكتاب مزين بصور اعظم الرجال الذين ترجم لهم فيهِ

***

والكتابان لا يرسلان الاَّ الى المشترك الذي يسدد المتأخر عليه لادارة المقتطف وثمن الكتابين معاً لمن يريد شراءها ٤٠ قرشا صاغاً. اما كتاب اللاسلكي على حدة فثمنه ٢٥ قرشاً ، وكتاب « رجال المال والاعمال » فثمنه ١٥ قرشاً صاغاً

Al-Muktataf

FENDIAN.C

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها «ادارة المطبعة العصرية» بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

ص

٣٥ القاموس المصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠ « « « (طبعة ثالثة)
٧٠ « « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥ « المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ « « عربي انكليزي فقط
١٥ « « انكليزي عربي فقط
٧٠ « سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠ « « « انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠ « « « « « وبالعكس
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٠ الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠ عشرة ايام في السودان « « «
١٢ مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥ روح السياسة « « «
١٠ الآراء والمعتقدات « « «
١٠ اصول الحقوق الدستورية « « «
٢٠ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥ حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠ الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥ ماقيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨ اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠ مختارات « « «
٨ نظرية التطور واصل الانسان « «
٢٠ اناتول فرانس في مباذله، للامير شكيب ارسلان
١٥ الدنيا في اميركا (الاستاذ امين بقطر)
١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
١٠ جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥ المرأة بين الماضي والحاضر
٥ مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥ حصاد الهشيم (الاستاذ ابرهيم عبدالقادر المازني)
١٠ قبض الريح (« « « « «)
٨ نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠ رسائل غرام جديدة (سليم عبدالواحد)
١٠ الغربال في الادب العصري (ميخائيل نعيمة)
٥ حكايات للاطفال، اول (مصور بالالوان)
٥ « « ثان « «
٥ « « ثالث « «
٥ تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥ جمهورية افلاطون (الاستاذ حنا خباز)
٦ مراقي النجاح (الارشمندريت بشير)
٥ مريم المجدلية (موريس ميترلنك)

ص

١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥ خواطر حمار (الاستاذ الجمل)
٥ التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران) « «
١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات « «
٢٠ الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠ تاييس « « « «
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية اهوال الاستبداد، مصورة
١٠ « فاتنة المهدي، او استعادة السودان
٨ « الانتقام المعذب (اسعد خليل داغر)
٥ « فقر وعفاف (الاستاذ احمد رأفت)
١٢ « باريزيت، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ « غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥ « روكامبول، ١٧ جزءاً (طانيوس عبده)
٢٥ « ام روكامبول، ٥ اجزاء «
٢٠ « باردليان، ٣ اجزاء «
٢٠ « الملكة ازابو ٤ اجزاء «
٢٠ « الاميرة فوستا، جزآن «
٢٠ « عشاق فنيسيا، جزآن «
١٦ « الساحر العظيم ٤ اجزاء «
١٦ « كابيتان، جزآن «
١٦ « الوصية الحمراء، جزآن «
١٦ « بائعة الخبز «
١٢ « فلمبرج، جزآن «
١٠ « فارس الملك «
١٠ « ضحايا الانتقام «
٨ « المرأة المفترسة «
٥ « المتنكرة الحسناء «
٥ « مروضة الاسود «
٥ « شهداء الاخلاص «
١٦ « دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ « فرنسوا الاول « «
١٠ « الجنون فنون « «
٨ « حورية « «
٨ « الغلامان الطريدان « «
١٢ يسوع ابن الانسان (جبران خليل جبران)
٨ النبي (« « «)
٥ آلهة الارض (« « «)